# مَوسُوعَة

# أَسماءِ اللهِ الحُسنى

## فِي ضَوءِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

**الطبعة الأولي**

**١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م**

**رقم الإيداع: ٨٠٩٦ / ٢٠٢٢م**

**الترقيم الدولي: ٩٧٨ـ٩٧٧ـ٩٩٧ـ٣٥٤ـ٨**

جوال المؤلف

٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

بريد إلكتروني: mb_twj@hotmail.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

0225117747 - 01050144505

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

0502357979 - 01007868983

# مَوسُوعَة

# أَسْماءِ اللهِ الحُسنى

## فِي ضَوءِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ


للفقير إلى مولاه

مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد الله التُّويجري



الطبعة الأولي

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م


الجُزءُ الثَّالِث


دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# البـاب الثامن

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٣٤- اسم الله المؤمن.

التعبد لله عز وجل باسمه الله المؤمن.

٣٥- اسم الله المهيمن.

التعبد لله عز وجل باسمه الله المهيمن.

٣٦- اسم الله العزيز.

التعبد لله عز وجل باسمه العزيز.

٣٧- اسم الله الجبار.

التعبد لله عز وجل باسمه الجبار.

# أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

## اســـم الله

# المؤمن

# اسم الله المؤمن

الله ﷻ له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وقد أمرنا ﷻ أن نتعرف على أسمائه وصفاته وأفعاله ، فقال ﷻ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد/ ١٩].

وأمرنا أن نعبده بموجبها فقال:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف/ ١٨٠].

وأسماء الله الحسنى واحدةٌ في الدلالة على الذات، وهي متعددة الصفات، فهي أسماء وأوصاف، كل واحد يدل على ذات الله ﷻ، وكل واحد يحمل صفة من الصفات، فالرزق يدل على الرزاق، والله ﷻ يرزق، اسمه الرزاق، وباسمه الرزاق يرزق عباده، وهو العليم الذي يعلم عباده، وهو الرحمن الذي يرحم عباده.. وهكذا.

- **وأسماء الله الحسنى من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام:**

**الأول**: الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته؛ مثل: الواحد، الأحد، الله، الإله، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، وغيرها من الأسماء الحسنى.

**الثاني**: الأسماء الدالة على المُلك والقدرة؛ مثل: الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القادر القوي، المقدم، والمؤخر، وأمثالها.

**الثالث**: الأسماء الدالة على الخلق، والإيجاد، والإمداد؛ مثل: الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، البر، المقيت، وأمثالها من الأسماء الحسنى.

**الرابع**: الأسماء الدالة على العلم والإحاطة؛ مثل: العليم، الخبير، السميع، البصير، الرقيب، الشهيد، الحفيظ، المحيط، وأمثالها.

**الخامس**: الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة؛ مثل: الرب، الرحمن، الرحيم، الرءوف، الحليم، الحميد، المؤمن، الشكور، الودود، الولي، النصير، القريب، المجيب، العفو، الغفور، وغيرها من الأسماء الحسنى.

**السادس**: الأسماء الدالة على الهداية والبيان؛ مثل: الهادي، المبين، الوكيل، الكفيل، وأمثالها من الأسماء الحسنى.

فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، وأمرنا أن نتعرف على

أسمائه وصفاته، وأفعاله، لنعبده بموجبها، ولنتخلق بها على شاكلة العبودية، فالله ﷻ هو الملك القدوس السلام المؤمن، الذي أَمِن الناس من ظلمه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣].

هو المؤمن الذي أَمِن العباد من ظلمه، المؤمن الذي أَمِن من عذابه من لا يستحقه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠].

هو المؤمن الذي أَمَّن من آمن به، وأَمِن الناس من عقابه إذا آمنوا به: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

وهو سبحانه المؤمن الذي يملك خزائن الأمن كلها، وكل أمن في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة؛ فمنه وحده لا شريك له، هو الذي ينشر الأمن، ويؤمن كل خائف: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش/ ١-٤].

هو المؤمن الذي يخص أولياءه بمزيد من الأمن؛ فيهب المؤمنين به الأمان والاطمئنان في قلوبهم، وأبدانهم، وأموالهم، وبلدانهم، فيؤمنهم في الدنيا من كل شر وسوء: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

الله ﷻ هو الذي يؤمن عباده من كل سوءٍ وشرٍ وبلاء، يؤمنهم عند القتال، وعند الفتن، وعند الشدائد والمحن، بما يُنزله عليهم من الأسباب التي تؤمنهم، فالله ﷻ يؤمن عباده خاصةً في مواطن الخوف، كما قال عن أوليائه في معركة بدر: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾[الأنفال/ ١١-١٢].

فالنبي ﷺ كان في مكة يُطارَد، وسَبُّوه، وآذوه، وشتموه، ورموه بالأقوال السيئة؛ فقالوا عنه: شاعر، وكذاب، وساحر، ومجنون، وآذوه في بدنه، وآلموا قلبه؛ حتى ذهب إلى الطائف؛ وحتى هاجر بعد ذلك إلى المدينة وهو خائف، واختبأ في الغار، ثم انطلق من الغار إلى المدينة، فأمن هناك، وصار يؤمن الناس.

فالله ﷻ هو المؤمن الذي يؤمن من شاء من عباده ممن آمن به، فهو ﷻ بيده الأمن، الأمن كله بأنواعه بيده جل جلاله، فأخرجت قريش مئة من الإبل لمن يأتي برأسه ﷺ حيًّا أو ميتًا، ولماذا خرج النبي ﷺ خائفًا؟ وخرج موسى خائفًا؟﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص/ ٢١].

لأن الرسل قدوة للضعفاء الذين لا يملكون شيئًا؛ فخرج ﷺ من مكة إلى المدينة، وسلك طريق الساحل حتى وصل إلى المدينة، خرج خائفًا من بطش قريش، وهو متوكل على ربه، لكن الحكمة من أعمال الرسل، لأنهم قدوة لاتباعهم:﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩].

خرج ﷺ خائفًا، ثم رجع إلى مكة يوزع الأمن؛ فدخل المسجد الحرام، وقال لأهل مكة: «**مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**».

ثم قال ﷺ حينما أراد أن يدخل مكة: «**مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَهُ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ**» أخرجه مسلم (١) .

ففي هجرته كان خائفًا، ثم رجع يوزع الأمن على الناس، بأن من دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فالمؤمن جل جلاله هو الذي يملك الأمن بأنواعه.

فالله ﷻ يؤمن عباده عند القتال، وعند الشدائد، وعند المحن، بما ينزل عليهم من الأسباب التي تؤمنهم، فالصحابة أصابهم النعاس وهم أمام العدو، ولا يأتي النعاس إلا لإنسان آمن.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨٠).

ويؤمِّن المؤمن سبحانه عباده المؤمنين به عند الاحتضار، وعند الموت بما يُنزل من الملائكة التي تبشر المؤمن عند موته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

ويؤمِّن عباده المؤمنين به في الآخرة عند الفزع الأكبر: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠٣].

ويؤمِّنهم إذا دخلوا الجنة، فالجنة كلها سلام وأمن وأمان: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧٤].

وعلى قدر إيمان العبد يكون الأمان في الدنيا والآخرة، وعلى قدر الإيمان تأتي قوة التوكل على الله، وعلى قدر الإيمان يكون الأمان في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

هو سبحانه المؤمن الذي يُصدِّق ظنون عباده المؤمنين به، ولا يخيب آمالهم، بل يكرمهم، ويعطيهم على قدر حُسن ظنهم به جل جلاله، قال الله عز وجل في الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي**» متفق عليه(١).

وقال: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَمَنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا وَجَدَ ذَلِكَ، وَمَنْ ظَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ وَجَدَ ذَلِكَ**» أخرجه ابن حبان (٢).

هو سبحانه المؤمن الذي صدَّق نفسه بتوحيده، وشهد لنفسه بالوحدانية، وتفرده بالربوبية، والألوهية، والعبودية، وهذه أجلُّ الشهادات، وأعظم الشهادات التي شهد بها الملك العظيم لنفسه جل جلاله، وكفي هذه الشهادة: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٨].

ومن عِظَم محبة الله لاسمه المؤمن أنه سمى عباده وأولياءه الذين آمنوا به بالمؤمنين، ولم يعطه إلا أحب الخلق إليه، والله يحب المؤمنين، والله مع المؤمنين.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

(٢) صحيح/ أخرجه ابن حبان برقم (٦٤٥).

- **واسم المؤمن اسم فاعل من آمن يؤمن إيمانًا فهو مؤمن، وله معنيان:**

**الأول**: إذا تعدى فعل آمن بنفسه كان بمعنى التأمين؛ أي: أعطاه الأمن والأمان، كما قال سبحانه عن قريش: ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾[قريش/ ٤].

**الثاني**: أن يتعدى الفعل آمن بالباء أو اللام، فيكون بمعنى التصديق والانقياد؛ فاللام كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾[يوسف/ ١٧].

يعني بمصدِّق لقولنا.

والباء كقوله سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[البقرة/ ١٣٦]، أي: صدقنا.

والله سبحانه هو المؤمن المصدِّق لرسله بإظهار معجزاته على أيديهم، المصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب، المصدق الكافرين ما وعدهم به من العقاب؛ فهو سبحانه المؤمن الصادق في وعده: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥].

صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام، صدقًا في الأخبار، فكل أخبار الله ﷻ عن نفسه، وعن مخلوقاته، وعن أوامره، وعن الدنيا، وعن الآخرة؛ كلها حق، فهذا الدين كله عدل وإحسان، ليس فيه مشقة.

- **وأصول السعادة تتحقق مع الإيمان بثلاثة أمور:**

الأمن .. والعافية .. والقوت.

- **وأصول الشقاوة التي تهدد سعادة البشر ثلاثة:**

الخوف .. والمرض .. والجوع.

ولهذا امتن الله على قريش، فذكرهم بهذه النعم ليعبدوه؛ فقال سبحانه: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾[قريش/ ١-٤].

وقال ﷻ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾[القصص/ ٥٧].

**فهذه الأمور الثلاثة**: الخوف، والمرض، والجوع، من عافاه الله منها؛ فكأنما ملك الدنيا بأجمعها.

قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا**

**حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**» أخرجه الترمذي[1].

واسم الله المؤمن اقترن بالمهيمن؛ لدفع توهم أن تأمينه عن ضعف وخوف غيره، بل هو المهيمن، وتأمينه لعباده رحمةً بهم، فالله لا يخاف أحدًا، فالخلق كلهم في قبضته.

فاقترن اسمه المؤمن بالمهيمن؛ لدفع توهم أن تأمينه عن ضعف وخوف غيره، سبحانه وتعالى عن ذلك: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣].

فهو سبحانه المؤمن الذي أَمِنَه عباده من أن يظلمهم، هو المؤمن الذي يؤمِّن عباده من الخوف، ويدفع عنهم كل شر، ويلقي في قلوبهم الأمن والطمأنينة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

- **فالنعمة حقًّا في هذه الثلاثة أمور:**

**أولًا:** في الأمن؛ فإنه ليس لخائف عيش.

**ثانيًا:** وفي الغنى؛ فإنه ليس لفقير عيش.

**ثالثًا:** وفي الصحة؛ فإنه ليس لسقيم عيش.

والله وحده بيده هذه النعم، وكل النعم، فليذكر العباد ذلك، ويشكروا ربهم المؤمن الذي أمَّنهم من كل سوء، الذي يؤمنهم بما يسعدهم في الدنيا والآخرة؛ ليشكروه ويعبدوه على ما أنعم به عليهم، وليذكروا أعظم النعم، وهي نعمة الإيمان: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٣].

والإيمان بالله هو مقصود الرب من خلقه، والإيمان قول، وعمل، واعتقاد: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧].

- **وأركان الإيمان ستة:**

أن تؤمن بالله .. وملائكته .. وكتبه .. ورسله .. واليوم الآخر .. والقدر خيره وشره، والمؤمن سبحانه يحب الإيمان، ويحب المؤمنين، ويحب الأعمال التي تقرب المؤمنين إلى

(١) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٦).

ربهم، ولمحبته لهذا الاسم سمى أولياءه وعباده المؤمنين به؛ بالمؤمنين، ولحبه لاسم السلام سماهم بالمسلمين، ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[الحج/ ٧٨].

فلمحبته للإيمان، وحبه لمن اتصف به، وحبه للأعمال التي تقرب المؤمنين إلى ربهم؛ الله ﷻ مَنَّ علينا بأن سمانا بالمؤمنين، فهو مؤمن، هو المؤمن الأعلى، ومن آمن به هو المؤمن الأدنى، لكن المؤمن الأدنى مؤمن على شاكلة العبودية؛ فالإيمان أغلى شيء في خزائن الله، وهذه السلعة الغالية الله يحبها، ويحب من اتصف بها، ولهذا الله ﷻ اشتراها، الإيمان الله ﷻ مَنَّ علينا به، وفطرنا عليه، فمن رحمته بنا أن فطرنا على الإيمان، فقلوبنا معلقة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

- **ولكن لا بد من سقي هذه الفطرة بنظرين:**

**الأول:** نظر في الآيات الكونية التي تزيد الإيمان في القلب: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

**الثاني:** ونظر في الآيات الشرعية التي تعرف بالله وأسمائه وصفاته: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

- **والآيات الشرعية تنقسم إلى قسمين:**

أخبار .. أوامر:

**فالأخبار**: خبر عن الله واسمائه وصفاته وأفعاله.. وخبر عن مخلوقات الله، وهذه كلها يجب التصديق بها: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

**والأوامر**: هي طلب الفعل، وطلب الترك، وهي الأحكام والأوامر الشرعية.

وهذه يجب فعلها: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

فالإيمان أعظم شيء في خزائن الله، والله يريد منا أن نكون مؤمنين: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن: ٨].

والإيمان له لفظ، وله طعم، وله حلاوة، وله حقيقة، فعلى العبد معرفة هذه الأمور؛ ليجني ثمرتها.

**الإيمان له لفظ**: كأن أقول لا إله إلا الله، أو أنا مؤمن، وله طعم، وله حلاوة، وله حقيقة.
**أما طعم الإيمان**: فبيَّنه النبي ﷺ بقوله: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**»أخرجه مسلم[1].
أسعد الناس هم المؤمنون؛ لأنهم اتصلوا بالمؤمن الذي يؤمنهم من كل شر في الدنيا والآخرة، اتصلوا بالمؤمن الذي يُسعدهم في الدنيا والآخرة.
**أما حلاوة الإيمان**: بعد الذوق لا ندري هل الطعم حلو أو مر؟ الحلاوة فوق الطعم، بعد الاستطعام يتبين لي ما آكله وما أشربه أنه حلو أو مر، أو لذيذ أو كريه، فحلاوة الإيمان تأتي بعد ذوق طعم الإيمان.
قال النبي ﷺ:«**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سُوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**» متفق عليه[2].
هذه حلاوة الإيمان، من وجدت فيه هذه الصفات الثلاث؛ وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ لأن الله ربي هو الذي خلقني وهداني وعافاني ورزقني؛ فأنا أحبه جل جلاله؛ لكبريائه وعظمته، ولإنعامه وإحسانه، وإذا أحببته أطعته، والطاعة هي العبادة، فالعبادة هي طاعة العابد لمعبوده فيما أمر به:﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١**﴾[البقرة/ ٢١].
صفاته:﴿**ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢**﴾[البقرة/ ٢٢].
فحلاوة الإيمان تحصل للعبد بثلاث صفات:
**الأولى**:أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.
**الثانية**: أن يحب المرء، لا يحبه إلا لله.
قال النبي ﷺ:«**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»متفق عليه[3].
فالمؤمنون إخوة يتوادون ويتراحمون فيما بينهم، وإذا حصلت هذه المودة، وهذه الرحمة،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦)واللفظ له، ومسلم برقم (٤٣).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣)واللفظ له، ومسلم برقم (٤٥).

وأحببت لأخي ما أحب لنفسي؛ فلا نحتاج إلى المحاكم، ولا إلى السجون، ولا إلى دوريات الأمن.

فالمؤمن من أَمِنه الناس على أموالهم وأبدانهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

فالمؤمن لا يأخذ ما ليس له، أمين على جوارحه، وأمين على منافع خلقه، وعلى الأمانات التي أودعها الناس عنده.

**الثالثة:** «**وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**» متفق عليه(١).

لأنه يرى الكفر ظلمات، ويرى الإيمان كله نور: ﴿ **أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فلحياة الأبدان الله ﷻ أرسل الملك أن ينفخ الروح في الجنين في بطن أمه؛ فتأتيه الحياة البدنية، أما حياة القلوب فلابد من نفخة الرسول البشري وهو محمد ﷺ، فنفخة الرسول الملكي الذي ينفخ فيه الروح تجعله حياً، ولكن لابد مع الحياة من نور، وإلا الإنسان يتخبط في الظلمات، والذي يسير في الظلمات إما أن يصطدم بما هو أكبر منه فيضره، أو يطأ ما هو أصغر منه، فيُتلِفه ويكسره.

فالذي يعيش في الظلمات في عذاب دائم، والذي يعيش في النور يرى كل شيء، وتستقيم حياته: ﴿ **أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

**أما حقيقة الإيمان:** فتحصل لمن كان عنده كمال اليقين، وحقيقة الدين، وقام بجهد الدين عبادةً ودعوة، هجرةً ونصرة، جهادًا وإنفاقاً: ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

- **فالدين ركنان:**

عبادة الحق .. والإحسان إلى الخلق.

عبادة الحق: ﴿ **وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا** ﴾ [النساء/ ٣٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٣).

والإحسان إلى الخلق: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام/ ١٥١].
عبادة الحق: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة/ ٤٣].
والإحسان إلى الخلق ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة/ ٤٣].
هذا مجموع الدين، فالدين المطلوب من الإنسان أن يدخل في الإيمان، فإذا دخل الإيمان في القلب؛ أنبت شعب الإيمان، فحقيقة الإيمان تحصل لمن كان عنده الدين وجهد الدين، تحصل لمن كان عنده اليقين على الله وأسمائه وصفاته، وكانت عنده حقيقة الدين، فالإيمان تحقيقٌ وتطبيق، تحقيق في القلب، بأن يشهد القلب أن لا إله إلا الله.
وتطبيق بالجوارح، اللسان يذكر الله، والجوارح تعمل بطاعة الله.
فالإيمان تحقيق وتطبيق، أما تحقيق بلا تطبيق فلا ينفع، لابد من ربط التحقيق بالتطبيق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧٧].
ولهذا الأعمال من الإيمان، فالمؤمن يأخذ من الدين، ويعطي للدين.
ومن وضع وقته، وماله، وجهده، وفكره تحت شجرة الدين؛ كبرت واتسعت وأثمرت علمًا وإيمانًا وتقوى، ومن وضع وقته، وماله، وفكره، وجهده، تحت شجرة الدنيا؛ كبرت هذه الشجرة، وطرحت الثمار الفاسدة، وأنبتت الشهوات المحرمة، واشتغل الإنسان بالنعمة عن المنعم.
فحقيقة الإيمان تحصل لمن كان عنده حقيقة اليقين، وحقيقة الدين، وقام بجهد الدين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].
يتوكلون على الوكيل في كل شيء؛ فالأحوال بيد الوكيل، أما الأعمال فهي بأيدينا.
وكلٌّ في خسار إلا من ذكرهم الله ﷻ من أهل الإيمان، الذين عندهم جهد على أنفسهم وعلى غيرهم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ – ٣].
فهؤلاء جمعوا بين التحقيق والتطبيق، آمنوا بقلوبهم، وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾ [الأنفال/ ٧٤].

فالإيمان تحقيق وتطبيق: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات: ١٥].

ولا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

فهذه الأمور العظيمة، يجب على العبد أن يتعرف عليها، وأن يعرف أن مقصود الرب ﷻ من خلقه هو حصول هذا الإيمان الذي يثمر أنواع العبودية لله عز وجل.

وأقوى رابطة في الحياة هي رابطة الإيمان، فالإيمان يربط بين المخلوق وخالقه، ويربط بين المؤمن وغيره من المخلوقات، ويربط بين المؤمن والملائكة، ويربط المؤمن بالدنيا والآخرة، فأقوى الروابط النافعة التي تربط البشرية بعضها ببعض هو الإيمان بمن يملك الأمن جل جلاله، الإيمان به وتصديقه، والخضوع له، تصديق لأخباره، وامتثال لأوامره جل جلاله، هذا المطلوب من البشرية كلها: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾ [البقرة: ١٣٧ – ١٣٨].

فأسعد حياة، وأطيب حياة، هي حياة المؤمنين، لما فيها من سعادتهم، وإسعاد غيرهم: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة: ٧١].

فالله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه بأسمائه وصفاته؛ ليزيد إيماننا به، وإذا زاد إيماننا امتلأ القلب بالإيمان، ثم انشرح الصدر واتسع لأنواع الطاعات، ثم أمر القلب الجوارح بأن تمتثل أمر الله ﷻ في كل ما أمر، وتجتنب كل ما نهى عنه جل جلاله.

فالإيمان مولِّد، كيف يأتي؟ بسقي الفطرة بالنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ [ق: ٦ – ٨].

إذا جاء الإيمان؛ جاءت عظمة الله في القلوب، وجاء تكبيره في القلوب.

وإذا عرفنا الله ﷻ بأسمائه وصفاته، صفات الجلال، وصفات الجمال؛ أحببناه وعظمناه، وإذا أحببناه؛ أطعناه، وهذه هي العبادة، فالعبادة: طاعة العابد لمعبوده فيما أمر، وهذا هو مقصود الرب من خلقه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالله أنزل من السماء ماءً، وأنبت به من كل زوج بهيج؛ وأنزل من السماء الوحي؛ ليَنبُت نباتاً يحبه الله ﷻ؛ لتمتلئ هذه القلوب بالإيمان؛ فتخرج أكبر قبيلة، وأفضل قبيلة، في البشرية هي قبيلة المؤمنين، قبيلة المسلمين، وكل الناس خارج هذه القبيلة إلا من آمن بالله ﷻ، وآمن بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ١ – ٣].

فالله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وقد أمرنا ﷻ بمعرفته، قبل معرفة أحكامه، فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٨)﴾ [المائدة/ ٩٨].

واسم الله المؤمن من أعظم الأسماء، وبه سمى عباده المؤمنين، فالله تبارك وتعالى هو المؤمن الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال والجلال والجمال، المصدق لنفسه بما أخبر به وأمر به، الذي وحد نفسه، وصدق نفسه، وأثنى على نفسه بقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾ [آل عمران/ ١٨].

هو سبحانه المؤمن الذي أَمِن خلقه من أن يظلمهم، المؤمن الذي أمنهم مما يضرهم، وأمن لهم ما يُصلحهم، ما يُصلح أبدانهم، بأمرهم بالأكل من الطيبات التي سخرها لهم، وما يصلح قلوبهم، وما يُصلح دنياهم وأخراهم بهذا الدين، بالإيمان الذي به سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، فالله تودد إلى عباده بأن سخر لهم كل شيء، وذكرهم بهذه النعمة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)﴾ [آل عمران: ١٠٣].

هو المؤمن الذي نشر الأمن في مُلكه العظيم، الذي يطعم الجائع، ويؤمن الخائف، فأمَّن البلاد كلها، والخلائق كلها، فأمْن البلاد والعباد كله بيده: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ

﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ [قريش/ ٣-٤].

هو سبحانه المؤمن الذي وهب الأمن للإنسان من كل وجه، في كل زمان ومكان.

هو المؤمن الصادق في وعده، فإذا وعد المؤمن بالنصر فسينصره: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [الروم/ ٤٧].

وقد نصر المؤمنين في بدرمع قلة العدد والعدة: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

وإذا وعد عباده بالرزق فسيرزقهم: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود: ٦].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود: ٦].

وإذا وعد الله المؤمن بالشفاء فسيشفيه: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

بيده خزائن الشفاء، هو الشافي من كل داء، ولكنه أمرنا بفعل الأسباب؛ لأن هذه الدنيا دار الأسباب، فالدنيا لها أسباب، والجنة لها أسباب، ودخول النار له أسباب.

وإذا وعد المؤمن بالجنة فسيدخله الجنة قطعًا، وإذا وعده بالتمكين في الأرض فسيمكنه في الأرض إذا جاء بالصفات التي يحبها، فليتَّقِ العبد ربه، وليعرف ربه بأسمائه وصفاته، وبقدر معرفته تكون تقواه، بقدر معرفته بربه، ومعرفته بوعده ووعيده تكون تقواه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان/ ٣٣].

والله ﷻ حكيم عليم، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ [البروج: ١٣ – ١٦].

يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويعطي ويمنع، ويبسط ويقبض، يسكن ما شاء، ويحرك ما شاء من مخلوقاته، ثبت السماء والأرض أن تزولا، وثبت أنواع الجماد، والنبات، والحيوان، وثبت الشمس والقمر، وثبت الشروق والغروب، فهو رب المشرقين، وهو

رب المشارق والمغارب، وهو رب المشرق والمغرب: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٩].

خلق جميع ما في هذا الكون لتأمين هذا الإنسان، ليأمن الإنسان، ويتفرغ لعبادة ربه ﷻ، فهو سبحانه المؤمن الذي سخر وأمن كل نعمة لمخلوقاته جميعًا: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

إذًا إذا عرفتم ذلك؛ فآمنوا به وأطيعوه واعبدوه؛ لأنه هو الذي سخر لكم ما في السموات وما في الأرض؛ فآمنوا به، وهذا من أقوى الدلائل على أن الإنسان يجب أن يؤمن بالله ﷻ السلام الذي يملك السلام، والرزاق الذي يملك الأرزاق، والرحمن الذي يملك الرحمة، والمؤمن الذي يملك الأمن؛ فالإنسان بحاجة إلى أنواع الأمن؛ حتى يستطيع أن يعيش، فالله ﷻ ثبت المخلوقات تأمينًا له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فهو ﷻ ثبت أنواع الجماد، خلق الحديد على وضعه، والتراب على وضعه، خلق الشمس، والقمر، والسماء الأرض، خلقها وأمسكها بقدرته، وثبت صفاتها؛ بحيث الحديد يحمل مائة طابق، الحديد لا تتغير صفته، الذهب لا تتغير صفته، جميع المخلوقات خلقها الله وثبتها، الأرض الله ﷻ ثبتها على هذه الصفة؛ فهي تُنبت لا تتغير أو ترفض بأن لا تُنبت، فهو سبحانه المؤمن الذي خلق الأسباب التي يأمن بها الإنسان، فعل ذلك إظهارًا لعظمته، وكمال قدرته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

هو الوكيل على الشمس، وعلى القمر، وعلى السماء، وعلى الأرض، وعلى أرزاق العباد، وعلى البحار، وعلى الرياح؛ هي بيده، فأنا لابد أن أتوكل على الله؛ وما معنى التوكل؟ هو تفويض الأمر إلى الوكيل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

فأفوض أمري إلى الله؛ لأني أعلم أن الوكيل قادر على القيام بجميع حاجاتي، هو الوكيل على الكون كله، هو الوكيل على ما في السموات وما في الأرض، وربك على كل شيء وكيل؛ والوكيل لابد أن يكون قادرًا على قضاء حوائج من وكله، فربي وكيل، وأخبرنا

أنه الوكيل، فبيده الأحوال، وبيده تغيير الأحوال: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ولكن الله طلب منا الإيمان، طلب منا الأعمال، فنكمل محبوباته في الدنيا، والله يكمل محبوباتنا في الآخرة، محبوبات الرب: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢ ﴾ [التوبة/ ١١٢].

ومحبوبات النفس: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾ [البقرة: ٢٥].

وهو سبحانه الذي بيده التحريك والتسكين، حرك الرياح والعواصف والسحب والأمطار من أجل أمْنِك، من أجل أن تسعد في الدنيا والآخرة.

حرك الرياح والعواصف، والسحب والأمطار، والليل والنهار، والشمس والقمر، والحر والبرد، والصحة والمرض، والأمن والخوف، فعل ذلك من أجل الإنسان، فعل ذلك من أجل ألا ينساه الإنسان، ومن أجل أن تسأله تغيير الأحوال، ومن أجل أن ندعوه ونتوب إليه: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ ﴾ [فاطر/ ١٣].

﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤ ﴾ [النور: ٤٤].

ثبات الأحوال في الدنيا محال، وقضاء الحاجات بالأشياء محال، الأحوال بيد الله، والدنيا بيده، والأسباب بيده، نفعل الأسباب امتثالًا لأمره؛ نتوكل على الله بقلوبنا، ونفعل الأسباب بجوارحنا، ثبات الأحوال في الدنيا محال، لا تثبت الأحوال إلا يوم القيامة، حين يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ، أما في الدنيا فلابد من أمنٍ وخوف، وصحةٍ ومرض، وغنًى وفقر؛ حتى نسأل الله ﷻ تغيير الأحوال، فالله ما منع إلا ليعطي، وما قبض إلا ليبسط، وما ابتلى إلا ليعافي، فهو الحكيم الخبير جل جلاله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٣٠ ﴾ [الإسراء/ ٣٠].

فلا إله إلا الله! كم أنواع الأمن التي نعيش فيها، والتي خلقها الله ﷻ إكرامًا لهذا الإنسان؛ ليأمن، ويتفرغ لعبادة ربه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

ولمحبة الله لهذا الاسم الكريم؛ سمى الله أولياءه بالمؤمنين، وأثنى عليهم به، وبشرهم بالجنة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾[البقرة/ ٢٥].

هو سبحانه المؤمن الصادق الذي يصدقه عباده بما أقام لهم من الشواهد على وحدانيته وعظمته، وكمال أسمائه وصفاته، هو المؤمن الصادق الذي يصدقه عباده بما أقام لهم من الشواهد والآيات في الكون التي تدل على وحدانيته وكمال علمه وقدرته، وكمال أسمائه وصفاته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴿١٢﴾﴾ لماذا؟ ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك كبرتم الله، وعظمتموه، وأحببتموه، وإذا أحببتموه أطعتموه، وعبدتموه، وقد أمرنا الله ﷻ بذلك ليزيد إيماننا، فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والإيمان يزيد بالنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾[ق/ ٦-٨].

هو سبحانه المؤمن الصادق الذي وهب الإيمان والصدق لعباده، الذي صدق أنبياءه ورسله فيما بلغوا عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الزمر/ ٣٣].

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء/ ٩٠].

الله ﷻ يصدق أولياءه، ويصدق أنبياءه بما يقيم لهم من الشواهد الدالة على وحدانيته، فيؤمن الناس بما أجراه الله ﷻ على أيدي رسله من الآيات التي تكون حُجةً على أقوامهم: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

هو سبحانه المؤمن الصادق الذي صدق الصادقين بما أقام لهم من شواهد الصدق، المؤمن الذي صدق في أخباره، مِن نَصْر أوليائه، وخذلان أعدائه، فكم أرسل الله ﷻ من رسول؟ وكم نصر هؤلاء الرسل ومن آمن بهم على من عاداهم؟ ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۝٩﴾ [الأنبياء/ ٩].

هو سبحانه المؤمن الصادق الذي يؤمن عباده المؤمنين من عذابه وعقابه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢].

وهو سبحانه المؤمن الذي خلق الأمن ومَنَّ به على من شاء من عباده، المؤمن الذي عنده خزائن الأمن: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر: ٢١].

هو المؤمن الذي وهب الأمن لعباده المؤمنين يوم الفزع الأكبر، وأمنهم بخلق الطمأنينة في قلوبهم: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ۝٨٩﴾ [النمل/ ٨٩].

فسبحان الرب الملك القدوس السلام المؤمن، الصادق في كلماته وأخباره، الصادق في دينه وشرعه، الصادق في وعده ووعيده، الصادق في ثوابه وعقابه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء/ ١٢٢].

وسبحان الملك العظيم الذي خلق هذا الكون العظيم، وجعله مظهرًا لأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وأفعاله الكبرى، أما ذات الله ﷻ فلن يستطيع أحد أن يُدركها، لكن المؤمن يرى ربه يوم القايمة ولهذا الله ﷻ أودع أسماءه وصفاته في مخلوقاته؛ فإذا رأيت السماء العظيمة؛ عرفت العظيم، وإذا رأيت السماء الكبيرة؛ عرفت الكبير، وإذا رأيت الأرزاق؛ عرفت الرازق، وهكذا.

فالله ﷻ أودع أسماءه وصفاته في مخلوقاته وآياته، أما ذات الله ﷻ فلن يستطيع أحد أن يراها في الدنيا، لكن يستطيع الإنسان أن يتعرف على ذاته وأسمائه وصفاته من خلال آياته ومخلوقاته: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢- ١٠٣].

والحمد لله أن مُنعنا من رؤيته ﷻ، حجبنا بحكمته عن رؤيته في الدنيا، ونراه يوم

القيامة، ولو ظهر لنا جل جلاله لما عصاه أحد، فالملوك لا تعصى بحضرتها، فكيف بملك الملوك لو ظهر للناس بجلاله وجماله وكبريائه وعظمته؛ لما عصاه أحد، بل أطاعه كل أحد قهرًا، ولكن الله من رحمته أن حجب أعيننا عن رؤيته في الدنيا، لكن نراه بقلوبنا، ولا نراه بأبصارنا، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ولو رأيناه لبطل أمر التكليف، وأمر الثواب والعقاب، والأوامر والنواهي؛ لأننا نراه عيانًا، ومن رأى ملك الملوك العزيز الجبار عيانًا لا يمكن أن يعصيه، بل يضطر لطاعته، وامتثال أوامره؛ فيبطل التكليف، والله يريد منا أن نأتي إليه اختيارًا لا إجبارًا، ولهذا الله ﷻ جعل رؤية المؤمنين له يوم القيامة، فنحن نعبد الله ﷻ ونؤمن بالغيب، والله غيب، وملائكته غيب، وكتبه غيب، ورسله غيب، واليوم الآخر كله غيب: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة/ ١-٣].

فالله غيب جل جلاله، فنؤمن به، ونتمثل أمره، ونحن لا نراه، ومن آمن به، وامتثل أمره في الدنيا؛ رآه عيانًا يوم القيامة، لكن لا يحيط به: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

فالنظر في الآيات الكونية من أعظم روافد الإيمان، وهو الكتاب المفتوح لكل إنسان على وجه الأرض؛ فالخلق يدل على الخالق، إذا نظرنا بأبصارنا إلى هذه المخلوقات؛ نرى أن الخلق يدل على الخالق، والصور تدل على المصور، والأرزاق تدل على الرزاق، والتدبير يدل على المدبر: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

فإذا رأيت ذلك؛ اخترقت المخلوقات إلى الخالق؛ فامتثلت أمره وأنست به، وتجاوزت الصور إلى المصور، وتجاوزت الأرزاق إلى الرزاق، فآمنت به، وامتثلت أمره، وهذا مقصود الرب من خلقه، أن نصل من المخلوق إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

فعلينا أن نتعرف على الله ﷻ، بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ كي نحبه، وإذا أحببناه أطعناه

وعبدناه كما يليق بجلاله؛ لأنه العظيم الذي يستحق أن يُعبد، ويطاع أمره، الكريم الذي حوائجنا كلها في خزائنه، وسعادتنا في الدنيا والآخرة بيده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

الله ﷻ هو المؤمن، فعلى العبد أن يتعرف على ربه المؤمن؛ ليأمن في الدنيا والآخرة.

ومن أراد أن يعرف انه مؤمن حقًّا فليعرض نفسه على كتاب ربه الذي بَيَّن فيه صفات أهل الإيمان فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

وقال ﷻ عن صفات أهل الإيمان: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ
قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٦٤].
وقال ﷻ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ
مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا
عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ
يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾
[المؤمنون: ١ – ١١].

فلابد أن نتعرف على صفات المؤمنين التي بينها الله في القرآن؛ فالقرآن بين الله فيه حقيقة الإيمان، وصفات أهل الإيمان، والوعد على الإيمان، والوعيد على من لم يؤمن بالله ﷻ.

فالمؤمن مطيعٌ لربه في جميع أحواله؛ أعرض نفسي على القرآن؛ ليتبين لي أني من أهل الإيمان أو من غير أهل الإيمان؛ فأهل الإيمان لهم صفات، والكفار لهم صفات.

فالمؤمن مطيع لربه في جميع أحواله، مزاجه سمعنا وأطعنا كالملائكة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة/ ٢٨٥].

سمعنا وأطعنا، ليس سمعنا وعصينا: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١﴾ [النور: ٥١].

فالإيمان ليس كلمة تقال باللسان فقط، ولا عقيدة تستقر في الجنان فقط، إنما الإيمان عقيدةٌ، وعملٌ، وسلوك، علمٌ، وعمل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٧ – ١٠٨].

والمؤمن: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ
زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ
٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾
[الأنفال: ٢ – ٤].

سبحانه وعد المؤمنين بموعودات كريمة في الدنيا والآخرة.

- **فمن موعودات المؤمنين في الدنيا على إيمانهم:**

**أولًا:** الفلاح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ - ٢].

**ثانيًا:** الهداية: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٤﴾ [الحج/ ٥٤].

**ثالثًا:** النصر؛ كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم/ ٤٧].

**رابعًا:** العزة؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون/ ٨].

**خامسًا:** الخلافة والتمكين في الأرض؛ كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور/ ٥٥].

**سادسًا:** الدفاع عن المؤمنين: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج/ ٣٨].

**سابعًا:** الأمن؛ كما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢].

**ثامنًا:** النجاة من النار والعذاب: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يونس/ ١٠٣].

**تاسعًا:** الحياة الطيبة؛ كما قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل/ ٩٧].

**عاشرًا:** عدم تسليط الكفار على المؤمنين؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝١٤١﴾ [النساء/ ١٤١].

ولكن الأمر متعلق بالحقائق، فإذا وجدت الحقيقة؛ جاءت الثمرة، وجاءت النصرة.

**الحادي عشر:** حصول البركات: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف/ ٩٦].

**الثاني عشر:** معية الله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٩﴾ [الأنفال/ ١٩].

- **أما موعودات المؤمنين في الآخرة:**

فدخول المؤمنين الجنة، والخلود فيها، ورضوان من الله، ورؤية الرب ﷻ، والقرب من الرب ﷻ، وسماع كلامه وغير ذلك: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

هؤلاء المؤمنين لهم أعمال مرضية: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

- **وللمؤمنين على هذه الأعمال مواعيد وكرامات:**

**أولًا**: دخول الجنة ورضوان الرب: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

**ثانيًا**: رؤية الله ﷻ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢- ٢٣].

**ثالثًا**: القرب منه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

**رابعاً**: سماع كلام الرب: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨].

**خامساً**: السلامة من جميع الآفات في الجنة: ﴿ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

**سادساً**: الخلود في نعيم الجنة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

لكن الصفات الموعودة في الدنيا غير موجودة في حياة كثير من المسلمين اليوم، فما السبب؟ السبب هو ضعف الإيمان، وعدم أداء الأعمال على الحقيقة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال: ٧٤].

فإذا ضعف الإيمان؛ ضعفت الأعمال، وذهبت روحها، ولا سبيل للحصول على هذه الثمرات، أو رؤيتها؛ إلا بتقوية الإيمان الموجود بالإيمان المطلوب.

- **فالإيمان على ثلاث درجات:**

إيمان موجود .. وإيمان مفقود .. وإيمان مطلوب.

فباجهد على الإيمان الموجود يأتي الإيمان المفقود، ثم يتحقق الإيمان المطلوب، ثم تأتي النتائج على الإيمان المطلوب: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾[البقرة/ ١٣٧].

ولهذا لابد من الجهد على القلوب؛ حتى تمتلئ بالإيمان، ثم تمتثل الأوامر، وتعبد الله بالحب لله والتعظيم والذل له ثم يأتي رضا الله، جهد على القلوب بالإيمان، فإذا جاء الإيمان؛ فالقلوب تُقبل على الله ﷻ، وتتوجه إليه.

وإذا جاء كمال الإيمان في القلب جاءت الطاعات للرب، ثم تنوعت الطاعات، ثم جاء رضوان الرب، ثم جاء بعد رضوان الرب سعادة الإنسان في الدنيا، ثم تزداد السعادة عند الموت، ثم تزداد السعادة في القبر، ثم تبلغ السعادة كمالها في الجنة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة: ١٥-١٧].

وإذا ضعف الإيمان؛ ضعفت الأعمال، وفسدت الأخلاق، ثم جاء سخط الله، ثم شقي هذا الإنسان في الدنيا، ثم ازداد شقاؤه عند الموت، ثم ازداد شقاؤه في القبر، ثم ازداد شقاؤه في نار جهنم؛ لأن جهنم سجن عظيم، وفي داخل السجن ألوان من العذاب، من الحميم والزقوم، وغيرها من ألوان العذاب بينها القرآن، وهي تزيد على عشرين نوع من أنواع العذاب داخل نار جهنم، وفي جهنم العذاب الشديد، والعذاب العظيم، والعذاب المقيم، والعذاب المهين، والعذاب الأليم.

لهذا لابد من الجهد على القلوب؛ حتى يأتي الإيمان، بالجهد على النفس، والجهد على الغير، جهد على النفس بالاستقامة، وجهد على الغير بالدعوة والتعليم والإحسان إلى الخلق: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[البقرة/ ١٣٧].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[النساء/ ١٣٦].

فالضلال البعيد هو ضلال الكفار، والمشركين، والهندوس، والنصارى، واليهود، ضلوا عن الحق ضلالًا بعيدًا.

والله ﷻ أمرنا أن ندخل في الإسلام، وأن ندخل في الإيمان جميعًا، وأن نمتثل أوامر المؤمن جل جلاله جميعًا؛ فالإيمان تصديقٌ، وتطبيقٌ، وتحقيق، تصديق بالقلب، وتطبيق بالجوارح، الإيمان تصديق بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ادخلوا جميعًا في الإسلام؛ لتفوزوا بالجنة، وتنجوا من النار، وامتثلوا جميع الأوامر: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر: ٧].

جميع أوامر الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، يجب امتثالها كلها، لا نأخذ ما تشتهي أنفسنا، ونترك ما هو ثقيل علينا؛ بل نتمثل الأوامر جميعًا، وندخل في السلم كافة، كذلك علينا أن نتمثل أوامر الله ﷻ جميعًا، وإلا شقينا في الدنيا والآخرة: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥﴾[البقرة/ ٨٥].

فنأخذ الدين كله، ولا نخلط به عبره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾[البقرة/ ٢٠٨].

فالناس إما جنود الرحمن، وإما جنود الشيطان، وكل الناس جنود للشيطان إلا جند الرحمن، وكل الناس في النار إلا جنود الرحمن.

- **وجند الرحمن صفاتهم أربع:**

جهد على النفس بالاستقامة، وجهد على الغير بالدعوة: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر/ ١-٣].

فهذا الاسم العظيم اسمٌ مبارك، وهو من أعظم الأسماء لله ﷻ؛ فنحن نسعى ونتحرك في الحياة؛ لنحصل على الأمن، أمنٌ من الجوع، أمنٌ من الخوف، أمن المرض.

والله هو المؤمن الذي بيده الأمن كله، هو المؤمن الذي يؤمن كل خائف جل جلاله، وعنده خزائن الأمن كلها: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ

مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ [الحجر/ ٢١].
الإيمان ليس كلمة تقال باللسان فقط، ولا عقيدة تستقر في الجنان فقط؛ وإنما هو عقيدة، وسلوك، وعلم وعمل.
والله سبحانه هو المؤمن الذي وعد المؤمنين بالوعود العظيمة على الصفات الكريمة؛ تكرمًا منه وفضلًا جل جلاله.
المؤمن يوفي بالعهود والعقود: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة/ ١].
﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء/ ٣٤].
المؤمن أمين لا يغدر، ولا يخون، ولا يكذب، ولا يغتاب، ولا يؤذي أحدًا بقولٍ أو فعل، ولا يسخر من أحد، ولا يؤذي أحدًا من الخلق، فالله ﷻ يريد من المؤمن أن يتصف بالصفات التي يحبها المؤمن سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، فكذلك العبد لابد أن يتصف بصفات ربه المؤمن، فلا يؤذي أحدًا ولا يخون، ولا يكذب، ولا يتخلق بالأخلاق السيئة.
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات/ ١١-١٢].
فالله ﷻ لتحقيق الأمن لهذا الإنسان أمره بالأخلاق العالية، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، وأن يعبد ربًّا واحدًا؛ ليحصل له الأمن في الدنيا، والأمن في الآخرة؛ فمن آمن بالله وأطاعه؛ سعد في الدنيا والآخرة، ومن كفر بالله وعصاه؛ شقي في الدنيا والآخرة: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].
فالمسلم إذا عرض نفسه على كتاب ربه ﷻ عرف أنه مؤمن، وعرف أنه حقق من صفات الإيمان شيئا وغابت عنه أشياء، من عرف أن ربه المؤمن أيقن أنه سوف ينصره مهما وقف

له الأعداء، ومهما تكالبوا عليه، لو تجمع عليه أهل الشرق والغرب، وأهل السماء والأرض، والله المؤمن معه بقوته وقدرته، فسينصره: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج/ ٤٠].

والأمن والأمان والتأمين كله بيد الواحد الأحد لا شريك له، هو الله المؤمن الذي كل أمن في العالم بيده: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وبهذا نعلم أن شركات التأمين على الحياة، أو الأعضاء، أو الأموال كلها من أكل أموال الناس بالباطل؛ فالأمن بيد واحد، والخلق بيد واحد، والتدبير بيد واحد، والرزق بيد واحد؛ فكل شيء بيده: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١].

فشركات التأمين تأكل أموال الناس بالباطل؛ لأنها لا تملك شيئًا من الأمن، بل الذي يملك الأمن كله هو ربنا ﷻ الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، القادر على كل أحد، الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، الواحد الأحد المحيط بكل أحد: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

جميع المخلوقات جاءت من اسمه الخالق، وجميع الأوامر جاءت من اسمه الله والرب والرحمن والرحيم، الأوامر الملكية منه، والأوامر الشرعية منه، فيجب أن يُطاع؛ لأننا نريد السعادة والأمن في الحياة، وكلٌ يسعى ويجتهد ويتحرك؛ لتحصيل السعادة والأمن والسعادة بيده، والأمن بيده: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

فمن لوازم الإيمان أن تعرف من تؤمن به؛ لتعبده بما يليق بجلاله، فنستعين به إذا علمنا قدرته، ونتوكل عليه إذا عرفنا قوته، ونسأله إذا علمنا كرمه وغناه: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر/ ٩].

فإذا عرفته آمنت به، ورضيت بقضائه وقدره، وعظمت أمره،واجتنبت نهيه، وأحببته، وخضعت له؛ فبقدر المعرفة يكون الإيمان، وبقدر الإيمان يكون العمل: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ

﴿ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

وكلما عرف العبد اسمًا من أسماء الله جل جلاله، أو صفة من صفاته؛ ازداد إيمانًا بالله، ومحبةً له، وطاعةً له، وسعادةً به؛ لهذا أمرنا الله ﷻ بمعرفته، فقال: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٨].

فعلى قدر معرفة العبد ربه يُطيعه، وعلى قدر طاعته يزيد عمله، وعلى قدر عمله تكون سعادته، وكل ملك من ملوك الدنيا لا يرضى أن يسمى أحدٌ من أفراد رعيته باسمه، لا يرضى أن يسمى باسم الملك، المُلك لواحد، لكن ملك الملوك سمى نفسه بالمؤمن فقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٣].

وسمى عباده الذين آمنوا به بالمؤمنين: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

والله سبحانه المؤمن الذي يدافع عن الذين آمنوا؛ لأنه يغار عليهم؛ لأنهم أولياؤه، والَوْه بالتوحيد والإيمان، ووالاهم بالنصر والرزق والأمن: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحج/ ٣٨].

فلا إله إلا الله! كم خلق من المخلوقات، لينعم العبد في هذه الدنيا بالأمن؟! ويؤمِن بالمؤمن، ويتوجه إلى المؤمن، ويسأل المؤمن جل جلاله.

الله خلق هذه المخلوقات العظيمة، وكلها مسخرة للإنسان، من سماء وأرض، ومن شمس وقمر، من جبال وبحار، من نبات وحيوان وغيرها، ليعرف بها العبد كمال قدرة ربه، ويستعين بها على طاعته.

فالله ﷻ هو القوي القادر المهيمن على كل المخلوقات، فثبات أحوال المخلوقات على وضعها من فعل المؤمن جل جلاله، من فعل القادر القاهر، الذي قهر كل شيء بقدرته: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٨].

فثبت المؤمن جميع المخلوقات على خواصٍ معينة، فالماء من طبيعته السيولة، والنار من طبيعتها الإحراق، ثبتها الله على هذه الأمور، ولو شاء لبدلها؛ نصرةً لأوليائه.

فثبات خواص المخلوقات من السماء والأرض، والشمس والقمر، والجبال والحديد، والجماد والنبات وغيرها؛ كلها بقدرته، فالله ثبت خواصها؛ لأنه المؤمن الذي كل شيء بيده، هو المؤمن الذي يهب الإنسان أنواع الأمن، فالشمس تُشرق من أجله كل يوم، وتغرب كل يوم، خلقها الله إظهارًا لقدرته، وعلامةً يُستدل بها على نوره جل جلاله، وتسخيرًا لهذا الإنسان؛ لأنه لابد له من نور يمشي فيه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس: ٥].

فالشمس تشرق كل يوم، وتغرب كل يوم، والأرض مستقرة نُقيم عليها البنايات، وعليها الجبال الراسيات، والأشجار الشاهقات.

فالأرض مستقرة ثبتها الله ﷻ تحقيقًا للأمن لهذا الإنسان، والحديد ثبت الله قوته، والنباتات بأنواعها ومنافعها لا تُحصى.

فالله ﷻ ثبت هذه المخلوقات تأمينًا للإنسان، وإكرامًا للإنسان، وإظهارًا لقدرته جل جلاله؛ فهو جل جلاله الذي ثبت هذه المخلوقات، وكلها من مماليكه وعبيده جل جلاله: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦ -٨].

ويقول ﷻ: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النمل/ ٦٠].

كل هذا من أجل أن يأمن الإنسان، ومن أجل أن يُعرف ربه سبحانه بأسمائه وصفاته: ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النمل: ٦١].

فلابد أن نتكلم عن الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده؛ حتى يعرف الناس ربهم، فإذا عرفوه عظموه وكبروه وأحبوه، ثم عبدوه وأطاعوه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ

رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل/ ٦٢-٦٤].

وثبات حركة الأشياء ببدأ المؤمن وحده، من الأشياء ما هو ثابت، ومنها ما هو متحرك، فالله أظهر قدرته في خلق الثابت، وفي خلق المتحرك، فثبات حركة المخلوقات بيده فالشمس والقمر، لهما حركات ثابتة، ومسارات معينة: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨ – ٤٠].

فحركة المخلوقات، من شمس وقمر، وليل ونهار، والتمدد والتقلص، وحركة التنفس في الإنسان، وحركة الدم في الإنسان، ونمو النبات؛ نعم من الله تهب الأمن للإنسان، هذه خلقها الله ﷻ؛ لينعم الإنسان بالأمن في هذه الحياة الدنيا، ويستدل بها على كمال قدرة الله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة/ ٥٨-٥٩].

في النطفة الواحدة الله ﷻ أودع فيها بقدر عدد البشرية، ولكنه جل جلاله الرحمن الرحيم يخلق واحدًا أو اثنين ويموت البقية؛ لأن قدرته مطلقة في خلق الأشياء الكبيرة، وفي خلق الأشياء الكثيرة، قدرته مطلقة في خلق الأشياء الكبيرة، كالعرش والكرسي، والسماء والأرض، والجبال والبحار، وفي خلق الأشياء الكثيرة كعدد قطرات الأمطار، وعدد الذرات، وعدد الرمال، وعدد الكلمات، وعدد المخلوقات من كل جنس، ومن كل نوع من مخلوقاته ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فالله أظهر قدرته في خلق الأشياء الكبيرة، وفي خلق الأشياء الكثيرة، وفي خلق الأشياء الصغيرة، وفي خلق الأشياء الجامدة، وفي خلق الأشياء السائلة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

كل يوم يولد مليارات المواليد من هذه الأم الكبيرة، أكثر من أربعين مليون مولود على ظهر هذه الأم الكبيرة، كانوا في بطنها، وأخرجتهم إلى ظهرها بقدرة الله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا

لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[الواقعة/ ٦٣-٧٤].

هو سبحانه الذي خلق هذه المخلوقات، وأمسكها بقدرته، وحرك بعضها بقوته، وسكن بعضها بقدرته جل جلاله، هذه المخلوقات العظيمة تدل على عناية الله بخلقه، وأنه يريد لهم الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة، فالإنسان الأرض ملكه ،يتنفس من الهواء كيف شاء، ويمشي إلى أي جهةٍ شاء، والشمس والنور معه حيث اتجه، والأرزاق من بين يديه ومن خلفه؛ فليتفرغ لعبادة ربه الذي خلقه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

فهذا النظر، وهذا التدبر، وهذا التفكر يولد في القلب الإيمان الذي هو مقصود المؤمن من خلقه، وإذا جاء الإيمان؛ جاء كل خير، وإذا فُقد الإيمان جاء كل شر، كما أنه إذا جاء الماء نبت كل شيء، وإذا فقد الماء مات كل شيء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الأنبياء/ ٣٠].

والله أنزل هذا الهدى؛ لينزل في القلوب، فتعمل به، وتتصف به، فينتشر الأمن بين الناس: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

فهذا الإنسان الله ﷻ جعله خليفة في الأرض، وحماه وحفظه من كل شر، فكل خطر من أخطار الأشياء جعل الله ﷻ للإنسان وقايةً منه؛ ليؤمنه من شره؛ فالنار تُطفأ بالماء، والمرض يشفيه الله بالدواء، والجوع يُزال بالأكل، والعطش يُزال بالماء، وهكذا.

فالله ﷻ هو الذي بيده الملك، يُعز بأسباب الذلة، ويُذل بأسباب العزة، فرعون عنده الملك والمال، لكن الله أذله، والأنبياء ليس عندهم شيء إلا الإيمان والأعمال؛ فأعزهم الله ﷻ.

ويُنجي الله بأسباب الهلاك، الله أنجى موسى ومن معه في البحر، وأنجى إبراهيم من النار، يُنجي بأسباب الهلاك، ويُهلك بأسباب النجاة؛ كما أهلك فرعون مع ملكه

وجنوده وأمواله؛ لأنه هو الملك الذي بيده كل شيء، هو الملك الذي يملك الأمن، ويملك جميع المخاليق: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

هو جل جلاله الملك الذي بيده مقاليد الأمور، وكل شيء بيده جل جلاله.

هو جل جلاله الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠].

فعلى العباد أن يعبدوه ويطيعوه؛ لأنه هو الملك، هو الخالق، هو الرازق، هو اللطيف، هو الكريم، هو الرحمن، هو الرحيم: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾ [يونس/ ٣١].

إذا عرفتم ذلك ألا تتقون الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، وفعل ما يُرضيه، واجتناب ما يُسخطه؟ ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ [يونس/ ٣٢].

فالمؤمن إذا عرف هذه الأمور؛ توجه إلى ربه وأقبل عليه، وامتثل أمره بالحب الكامل، والتعظيم الكامل، والذل الكامل، واستأنس بربه، واستوحش من مخلوقاته، وأتبع الأعمال بالاستغفار؛ لأنه يرى أن ربه عظيم، وأنه لم يقم بامتثال أوامره على قدر شأنه جل جلاله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

فسبحان الملك القدوس السلام المؤمن الذي وهب الأمن للإنسان، وتكفل بأرزاق الخلق؛ ليأمنوا في حياتهم، ويعلموا أن أرزاقهم بيده: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [القصص: ٥٧].

والمؤمن يتيقن على أن له ربًّا يرزقه، ويتكفل برزقه، ويتيقن على أن رازقه واحد لا شريك له، فلو كانت السماء من رصاص، والأرض من نحاس، وأهل الأرض كلهم أولاده؛ لما خاف على رزقه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٨].

فسبحان من قسم الأرزاق بين الخلق: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ

﴿مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[هود/ ٦].

فالمؤمن أمَّن لعباده ما يسعدهم في الدنيا والآخرة، وطلب منهم العمل، والعمل ثوابه وفائدته عائدةٌ عليهم: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦].

فسبحان المؤمن المهيمن الذي خلق الإنسان، وهيأ له أسباب الأمن في الدنيا: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم/ ٣٤].

ومن آمن بالله؛ وقاه من زلات المعاصي، ومضلات الفتن، وكربات يوم القيامة، فالكافر دائمًا في خوف وذعر، وشقاء وتعب؛ لأنه ليس له حظ من أمان المؤمن سبحانه: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام/ ٨١-٨٢].

وأما من لم يؤمن بالله؛ فهو في خوف دائم، وفي ضلال دائم، وفي شقاء دائم: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٧].

فمن آمن بالله ملأ قلبه أمنًا وأمانًا واطمئنانًا واستقرارًا، وملأ قلبه رضًا بقضائه، وشكرًا لنعمائه، وصبرًا على بلائه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

فمن آمن بالله وأطاعه؛ فهو في أمن وسلام وسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[الانفطار/ ١٣-١٤].

فالإيمان فيه السعادة بحذافيرها، ومن دخل جنة المعرفة في الدنيا؛ أدخله الله جنة الآخرة، وجنة المعرفة هي معرفة الله، والإيمان به، والعمل بشرعه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وليأمن الإنسان عذاب الله في الآخرة؛ أعطاه الله العقل، وأعطاه الفطرة، وأعطاه القدرة، وأعطاه المعرفة، وأعطاه الدين، وأعطاه الدنيا، وأعطاه الاختيار وغير ذلك من النعم، ومقومات النجاة من عذاب الله يوم القيامة: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

ويقول ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾[النحل/ ٧٢].

فالله ﷻ أعطى للناس هذه العقول، وهذه الأسماع، وهذه المعارف؛ حتى يوم القيامة يفوزوا بجنته وينجوا من عذابه.

وهو المؤمن الذي خلق الأمن، ومَنَّ به على من في العالم العلوي والعالم السفلي، ومن في الدنيا والآخرة، فالأمن لأوليائه، والخوف لأعدائه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

- **الله ﷻ خلق في كل إنسان ثلاث أواني:**

آنية الإيمانيات .. وآنية المطعومات .. وآنية المعلومات.

فالقلب آنية الإيمان، وهذا القلب لابد أن يملأ بالإيمان.

والإيمان يقوم على سبعة أمور هي:

الإيمان بالله .. وأسمائه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعده .. ووعيده.

- **والإيمان بجميع أركان الإيمان:**

الإيمان بالله .. وملائكته .. وكتبه .. ورسله .. واليوم الآخر .. والقدر خيره وشره.

فإذا امتلأ القلب بالإيمان عن طريق النظر في الآيات الكونية والآيات القرآنية؛ اتسع للطاعات، وأحب الله، وكبر الله، وطلب ما يرضي الله وابتعد عما يُسخط الله، فأمر هذا القلب الجوارح بالعمل، وأمر اللسان بالذكر والتسبيح والتقديس والحمد والثناء، والدعاء والدعوة، وأمر الجوارح بالطاعات المختلفة؛ من صلاة وصيام، وزكاة وغير ذلك من الأعمال، فهذه آنية الإيمانيات غذاؤها بالعلم بالله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

أما آنية المطعومات: فهي المعدة وهي التي تستقبل المأكولات والمشروبات الحلال، وتبتع عن المحرمات من الميتة والخنزير والخمر وغيرها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن

﴿طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].

أما آنية المعلومات فهي العقل أو الدماغ، يشترك فيها المؤمن والكافر، علم الطب، علم الهندسة، علم الزراعة، علم كيفية الصلاة، كيفية الطهارة، كيفية الحج.. وهكذا.

فالإيمانيات نشترك فيها مع الملائكة، والمعدة نشترك فيها مع الحيوانات والكفار، أما المعلومات العقلية فنشترك فيها مع الكفار، علم الصناعة، الزراعة، التجارة، عل الفرائض، هذه العلوم يعقلها العقل، ثم يستقبلها علمًا، ثم يُخرجها عملًا.

فلابد أن نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده، هذه الأمور المغذية للقلب بالإيمان، ولابد في كل يوم أن نأخذ من هذا الغذاء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

# التعبد لله عز وجل باسمه المؤمن

من عرف الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته أحبه، ثم أطاعه، وأقبل عليه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، ولن تطيع ربك، وترجوه وتخافه، وتستسلم لأمره، وترضى بقضائه، إلا إذا عرفته، وإذا عرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وكلما زادت معرفة العبد بربه العظيم زاد إيمانه؛ فاستسلم له، وخضع له، وأطاع أمره، واجتنب نهيه، وأقبل على عبادته بالحب والتعظيم والذل له: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر/ ١٨].

لابد من التزكية، تزكية القلوب بالتوحيد والإيمان، تزكية الأعمال بأن أتبع النبي ﷺ في أقواله وأعماله وأخلاقه، وفي نيته، تزكية الأخلاق حتى أعامل الناس وأخالقهم بخلق حسن: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

وكلما زادت معرفة العبد بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ زاد خضوعه بقلبه وجوارحه لربه، وزاد خشوعه لله، وزادت أنواع الطاعات والعبادات، وجاءت السكينة والطمأنينة في قلبه وحياته: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وعلى قدر المعرفة بالله؛ تقوى الطاعة له، وعلى قدر الطاعة يسعد المؤمن بالقرب منه جل جلاله، وينال ثوابه العظيم يوم القيامة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

في الدنيا نحن عبيده نتمثل أوامره، ونراه بقلوبنا، ولا نراه بأبصارنا، لكن نرى الآيات الدالة على وجوده جل جلاله، وعلى عظمته، وعلى كمال أسمائه وصفاته.

في الدنيا تعيش مع النعم التي تعرف بها المنعم، ويوم القيامة نرى المنعم، وتعيش مع

النعمة، والجنة كلها من نعمته: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

وعلامة معرفة العبد بالله العظيم: الإكثار من ذكره، والثناء عليه، والحديث عنه، والدعوة إليه، وتعظيمه وحبه، ووجل القلب عند ذكره: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

العبد مشغولٌ بعبادة ربه؛ لأنه يرى أنه عبد في أرض مولاه، وعليه امتثال أوامر ربه، وهو يرزقه جل جلاله، فعلينا أن نعرف عظمة الله بمعرفة أسمائه وصفاته؛ لكي يزداد إيماننا به، وحبنا له، وتعظيمنا له، وإذا لم نعرف عظمة الله؛ هان علينا ترك أوامره، وتجاوز حدوده، وانتهاك حرماته: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

فالمعرفة القليلة بالله لا تكفي ولا تقدم ولا تؤخر؛ لأنها لا تحجز الإنسان عن محارم الله، ولا تحمله على طاعة الله، ولا تنقي قلبه من الشك، ولا تصرفه من الدنيا إلى الآخرة؛ ولهذا تغذية الإيمان أن أتعرف على لا إله إلا الله؛ وأعرف حقيقة لا إله إلا الله، وقوة "لا إله إلا الله": ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

واعلم أنه لا يجاور الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن؛ في دار السلام والأمان إلا من اتصف بالإسلام والإيمان والأمانة، فالمؤمن الخالق سبحانه هو الذي خلق الإنسان بيده، وجعله خليفة في الأرض، والمؤمن المخلوق هو المؤتمن على الحق، يؤمن به، ويعمل به ويعلمه ويدعو إليه من عهد آدم ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فالمؤمن الذي أدخل نفسه في الأمن والإيمان هو الذي قبل الأمانة، وحملها، وعمل بها، فله الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة، ما دام قبل الأمانة، قبل الدين؛ فله يوم القيامة الأمن ، إذا قام بمقتضيات هذا الإيمان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ

عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

والكافر والمشرك ضيع الأمانة؛ فخسر الدنيا والآخرة، فله الشقاء في الدنيا، وفي الآخرة. وجزاؤه أن يُحرم من الجنة، ويدخل النار: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة/ ٧٢].

والناس في أداء الأمانة درجات، وأعظمهم أداءً لها الأنبياء والرسل، ثم من آمن بهم.

أما من لم يقبل الأمانة؛ فقد خسر دنياه وأخراه: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢ – ٧٣].

هذا الإنسان من الجهد عليه، حتى ينتقل من الضلال إلى الهدى، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الظلم إلى العدل، ومن الجهل إلى العلم، هذه الأمانة عُرضت على الإنسان فقبلها؛ لأنه ظلوم جهول، لا يعلم بعواقب الأمور.

والمخلوقات كلها خيرت فاختارت أن تكون مسخرة، أما الإنسان فاختار أن يكون مخيراً، ولهذا ابتلى الله الإنسان بالأوامر الشرعية، وبالشهوات الحيوانية، فأصبح الجسد له محبوباته والروح لها محبوبات، فهذا هو محل الابتلاء، محل الابتلاء في البشر أن النفس تريد تكميل الشهوات الحيوانية، والروح تريد تنفيذ الأوامر الشرعية: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

فالله ﷻ عرض الأمانة على هذه المخلوقات فأبت، وقبلها الإنسان: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٣].

والملائكة والأنبياء والرسل كلهم أمين على طاعة ربه والقيام بأمره، وكل رسول قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الشعراء: ١٠٧ – ١٠٩].

فالرسل أمناء على الرسالة، وعلى إبلاغ الوحي، وعلى الجوارح، جميع جوارحهم

وألسنتهم تتحرك بطاعة الله، وتدعو إلى دين الله، وتعلم شرع الله، وتُحسن إلى الخلق: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

فكيف نحن نؤدي هذه الأمانة العظيمة؟!

المؤمن جل جلاله أمرنا أن نصدق بهذا الاسم، وسمانا بالمؤمنين، ولابد أن نتصف بصفات المؤمن؛ فنصدق الأخبار، ونمتثل الأوامر، لماذا؟ لأن الإيمان تصديقٌ وتطبيق وتحقيق.

فليأمن المؤمنون في الدنيا والآخرة، ويسعدوا في الدنيا والآخرة، ناداهم الله باسم المؤمنين في أكثر من ثمانين موضعًا بتنفيذ الأوامر الشرعية، أمرهم بالطاعات، ونهاهم عن المعاصي.

فالله ﷻ في القرآن أمر من دخل في الإيمان بالطاعات، ونهاهم عن المعاصي، أمرهم بالتوحيد، ونهاهم عن الشرك، أمرهم بفعل الخير، ونهاهم عن فعل الشر، أمرهم بالتقوى ونهاهم عن الفجور، أمرهم بالحق، ونهاهم عن الباطل، بين لهم الحلال، ورغبهم فيه، ونهاهم عن الحرام وحذرهم منه كل هذا من أجل تأمينهم وسعادتهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢ – ١٠٣].

فالله ﷻ يريد من كل إنسان أن يؤمن به، وأن يعرف دينه الذي هو مصدر كل أمن، وأن يعمل بهذا الدين؛ ليحصل على الأمن في الدنيا والآخرة، وأن يدعو إلى ما فيه الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة، وهو هذا الدين، الذي أمرنا الله بإبلاغه للناس كافة: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

فالخلق كله بيده، والملك كله بيده، والسعادة كلها بيده، والشقاوة كلها بيده، والعزة كلها بيده، والذلة كلها بيده: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ

﴿مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

فمن آمن وصدق أن ربه المؤمن بيده الملك والملكوت، وآمن أن بيده خزائن السموات والأرض، لم يذل نفسه لسواه، وسأله جميع حوائجه، ولم يلتفت لأحدٍ سواه من المخلوقين؛ لأن الله قاضي جميع الحاجات وحده، وجميع الحاجات، وجميع المخلوقات بيده، جميع من في العالم العلوي والعالم السفلي، الكرسي، والعرش، والسموات، والأرض وما فيهن بيد الله ﷻ وحده لا شريك له، وهو الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه تأمينًا للبشر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١].

فجميع الحاجات والمخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي بيده وحده لا شريك له.

وجميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته، ومستجيبةٌ لمشيئته، ومسرعةٌ إلى إرادته، وخاضعةٌ لأمره جل جلاله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦].

هو الملك الذي بيده الملك، هو الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، يقضي جميع الحاجات في وقت واحد لجميع الخلائق، ويرزقهم جميعًا في وقتٍ واحد: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

لا نعلم كيفية ذاته، ولا كيفية صفاته، قوي وقوته لا أول لها ولا آخر، عزيز وعزته لا أول لها ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، رزاق ورزقه لا أول له ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

فهو ملك عظيم، ونحن عبيده، هذه جنة المعرفة، من دخلها أدخله الله جنة الآخرة يوم القيامة: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

جنة في الدنيا بالإيمان والأعمال الصالحة، وجنة في الآخرة بالنعيم والرضوان.

فلله الحمد على عطائه وإنعامه، وله الحمد على هدايته وإحسانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة/ ٢].

وقال عز وجل: «**يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**» أخرجه مسلم[1].

فالله ﷻ بيده الهداية، بيده الأمن، بيده الخلق، بيده الملك وأكثر الخلق اشتغل بالتعرف على أوامره ولم يعرف الله ﷻ كما يجب، والله أمرنا أن نعرفه أولًا ثم نعرف أوامره ثانيًا، ثم نعرف جزاءه ووعده ووعيده ثالثًا: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

- **فالعلماء ثلاثة أقسام:**

**الأول:** عالم بالله، وبأوامر الله، هذا في أعلى الدرجات، في مقدمة هؤلاء: الأنبياء والرسل، والعلماء والفقهاء من هذه الأمة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

**الثاني:** عالم بالله، غير عالم بأوامر الله، وهذا دون الأول.

**الثالث:** عالم بأوامر الله، غير عالم بالله، وهذا دون الثاني.

والإيمان له بداية، وليس له نهاية، وبحسب قوة الإيمان تكون قوة الأعمال.

- **فالإيمان ثلاث درجات:**

إيمان مطلوب .. وإيمان موجود .. وإيمان مفقود.

**فالإيمان المفقود** الذي لا أعرفه أنا الآن، فلابد أن أتعرف على الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأعرف الملائكة، وأعرف الكتب، وأعرف الرسل، وأعرف القضاء والقدر، وأعرف اليوم الآخر، ثم أجد الإيمان المطلوب، لابد أكمل الإيمان الموجود الذي أنا فيه الآن بالإيمان المفقود، حتى أرقى إلى الدرجة العالية بالإيمان المطلوب الذي عليه الموعودات في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج/ ٤٠].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾[المؤمنون/ ١-٢].
﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾[النحل: ٩٧].
فنأتي بالصفات التي تأتي عليها الثمرات، ونحن الآن لا تأتي الثمرات؛ لأن الصفات صورة لا حقيقة، عندنا علم عقلي لكن لم ينزل في القلب، ليس عندنا علم حقيقة لا إله إلا الله كما كانت عند إبراهيم ﷺ، أو كما كانت عند النبي ﷺ لما كان في الغار فقال لأبي بكر: «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»متفق عليه[1].
هو ﷺ يرى المؤمن الذي يملك خزائن الأمن يراه ويمنعه من أعدائه: ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾[التوبة: ٤٠].
فنحن كيف نتعبد لله ﷻ بهذا الاسم العظيم؟ ونعبد الله ﷻ بهذا الاسم العظيم؟
منّ عرف أن ربه هو المؤمن الذي بيده مقاليد الأمور أحبه وأجله، إذا عرفت الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، وملكه وسلطانه، ودينه وشرعه، هذه المعارف العظيمة تثمر للعبد قوة الإيمان، قوة اليقين، وتجعل هذا المؤمن أمة؛ لأنه عرف ربه فآمن به وأحبه وعبده: ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾[البقرة/ ١٣٨].
فمن عرف الله، وعرف أنه هو المؤمن الذي بيده مقاليد الأمور أحبه وأجله، ولجأ إليه وحده في كشف الكربات ورفع البليات، ودفع الكريهات: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[الحشر/ ٢٢].
ما دام عالمًا، ويعلم حالتي؛ فنسأله ونتضرع إليه، لأن الله ﷻ يريد أن أسأله هو، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، لماذا؟ لأن السؤال مذلة، فلا تسأل إلا الله الذي لا تنبغي الذلة إلا له ...
قال النبي ﷺ: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ**

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٦٦٣)واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٨١).

لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» أخرجه الترمذي(١).

علينا أن نعرف أن الله ﷻ هو المؤمن الصادق في أخباره، العدل في أحكامه، هو الذي أحكامه كلها عدلٌ وإحسان، هو الصادق في أخباره، فما أخبرنا الله به عن خلقه السموات والأرض، والملائكة، والجنة والنار وغيرها من الأمور الغيبية نصدق بها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧].

ونعرف المؤمن الذي عنده خزائن الأمن؛ لنستفيد من خزائنه ما يؤمِّنا في الدنيا، ويؤمِّنا في الآخرة، لابد من التعرف على المؤمن، وكيف نحصل على مصادر الأمن منه جل جلاله﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

هذا تعريف بالله، الله يريد أن يُعلمنا بذلك؛ حتى نتوجه إليه، ولا نسأل غيره: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

أنا عرفت ربي، ولكن كيف تأتي هذه الصفة في حياتي؟ كيف أستفيد من اسم الرازق؟ بأن أتعبد بهذه الصفة، فأطعم نفسي، وأطعم غيري، وأنشر الرزق بين الناس، وأنفع الناس، إذا عرفت العليم استفدت من علمه، وعلمت الناس، إذا عرفت الرحمن ومظاهر رحمته؛ كيف تأتي فيَّ هذه الصفة؟ إذا عرفت المؤمن، كيف أكون سبباً لنشر الإيمان والأمن في العالم؟ فالمؤمن هو الذي يسعى في قضاء حوائج خلقه بما يؤمنهم في الدنيا والآخرة ويمنع عنهم الشرور.

ومن علم أن الله هو المؤمن الذي بيده الملك، وتدبير الأمور لجأ إليه في تحقيق أمن الأوطان، وشفاء الأبدان، ورخص الأسعار، ورغد العيش وتحسين الأحوال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

كيف نلبس حلة المؤمن؟ كيف نلبس حلة الإيمان والأمان في هذه الحياة؟
ومن عرف ربه باسمه المؤمن صبر على ما يقدره عليه من الفقر، والأمراض، والمصائب، وعلم أنها شفاءٌ من أمراض القلب، فهذه الأمراض والمصائب شفاء من أمراض في القلب تفتك بالإنسان لو استمرت فيه، فتأتي المصيبة؛ لتكون سبباً في التخلص منها؛ فيرى المرض ذاته شفاءً ودواءً نافعًا، ساقه له المؤمن، الذي هو أرحم بالعبد من نفسه، لأنه رب رحمن رحيم: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة/ ٥١].
قد كتب الله لنا في هذه المصيبة خيراً، كم في باطن المكروه من خير كثير؟!
فالمصائب والمكاره نعم باطنة تجر الأشرار إلى أعمال الأخيار، وترد النفوس إلى الملك القدوس، وتوجه الناس من دار الغرور إلى دار السرور: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[البقرة: ٢١٦].
ومن عرف ربه باسمه السلام المؤمن أحسن إلى عباده بقوله وفعله، وكفَّ عنهم شره، وتسامح معهم في جميع معاملاته، فيكون مؤمنًا يأمنه الناس على أنفسهم وأموالهم.
قال النبي ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ**» أخرجه الترمذي(١).
فالأمن كله بيد المؤمن سبحانه، والمطلوب أن يسلم المسلمون من لسان الإنسان ويده، وأن يأمن الناس على دمائهم وأموالهم منه.
قال النبي ﷺ في حجة الوداع: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا**» أخرجه مسلم(٢).

- **فالدين ركنان:**

**الأول:** عبادة الحق بما جاء عن الرسول ﷺ.
**الثاني:** الإحسان إلى الخلق.

---
(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢٧).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨).

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦].

والإحسان يكون دعوةً إلى الله؛ ليأمن الناس من العذاب يوم القيامة، والشقاء في الدنيا، وتعليمًا لشرع الله؛ حتى يعبدوا الله بعلم، وإحسانًا إلى الخلق بالقول والفعل، بالقول بالثناء عليهم، وذكر محاسنهم، والفعل بإعطائهم ما يطلبون وما يرجون: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

فالرزق كله بأنواعه لا يكون إلا من الرازق جل جلاله، والعلم كله لا يكون إلا من العليم، والأمن كله بأنواعه لا يكون إلا من المؤمن سبحانه؛ فكل شيء في خزائن الله: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١].

فالأمن لا يكون أبدًا إلا في جوار المؤمن، الذي يملك جميع خزائن الأمن جل جلاله: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش: ١ – ٤].

والخوف لا يكون إلا في البعد عن دينه وهداه والكفر به: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [القصص: ٥٧].

فنعوذ بالله من الجهل، ونعوذ بالله من الطبع على القلب حتى لا يفقه ولا يبين له البين، فإذا البين لا يبين فكيف بالخفي متى يبين؟ فالله أبيَن من كل بيِّن، هو جل جلاله المبين، الذي أظهر نفسه في آياته ومخلوقاته، وأظهر دينه وبيَّن أحكامه، وبين ما يدل الخلق عليه؛ لأنه يريد لهم الأمن في الدنيا والآخرة: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣].

وكل طاعة مقرونة بالأمن، وكل معصية مقرونة بالخوف، فالأمن بأنواعه للمؤمنين الذين قاموا بجميع أنواع الطاعات فرضها ونفلها، واجبها ومستحبها، الأمن كله

بأنواعه للمؤمنين، فحيثما كانت الطاعة إلا وينشرح صدر المسلم، ويطمئن قلبه، ويجد لذة فيه، فكل إنسان بعد كل طاعة يجد لذة وأمناً وراحة وطمأنينة وسكينة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨].

فكل طاعة مقرونة بالأمن، فحيثما كانت الطاعة كان الأمن، وحيثما كانت المعصية كان الخوف، واحدة بواحدة، فالأمن بأنواعه للمؤمنين، والخوف بأنواعه للكافرين: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل: ١١٢].

إن الله أصلح كل الأرض: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فالأمن بالإيمان، والسعادة بإتباع أوامر الله ﷻ، فلا أمن إلا من المؤمن، ولا أمان إلا من المؤمن: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وحظ العبد من اسم الله المؤمن أن يأمن الخلق كلهم جانبه، فيكون المؤمن مصدر سلام وأمن لكل الناس، ويكون كالشجرة المثمرة، الناس يقطفون من ثمارها.

فحظ العبد من اسم الله المؤمن أن يأمن الخلق كلهم جانبه، ويرجو كل خائف رحمته في دفع الهلاك عن نفسه في دنياه وآخرته.

أن نعرف أن المؤمن يؤمن عباده من كل شر، ويريد لهم كل خير: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [يونس/ ٤٤].

الله ﷻ لا يظلم أحداً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء/ ٤٠].

فالحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى الأجر العظيم الذي لا يُعلم عدده، إلى الأجر الذي يعطيه الله ﷻ من كرمه وجوده لمن شاء من عباده.

فيجب على المؤمن أن يتخلق بهذه الصفة، يجب على المؤمن ألا يظلم الناس، ليأمن الناس شره وغوائله، وأولى الناس بذلك جاره ثم كل الناس.

قال النبي ﷺ: «**وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:**

**الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**» أخرجه البخاري[1].

وعلى المؤمن أن يكون صادقًا مع نفسه، ومع ربه، ومع الناس، وأن يصدق في جميع أقواله وأحواله، وأن يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**» متفق عليه[2].

ومن ثمرات إيمان العبد باسم الله المؤمن أن يصدق الله ﷻ فيما أخبر بهعن ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعن آياته ومخلوقاته، وعن أنبيائه ورسله، وعن وعده ووعيده:

**فالقرآن قسمان:**

أخبار.. وأوامر .

والأخبار أقسام كثيرة، منها الخبر عن الخالق بأسمائه وصفاته، ومخلوقاته وآياته.

ومنها الخبر عن أنبيائه ورسله، ومنها الأخبار عن كتبه، ومنها الأخبار عن الجنة والنار، ومنها الأخبار عن خلق السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦ -٨].

**﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾** [الأعراف: ٥٤].

هذه كلها أخبار، فالله ﷻ أخبرنا عن مخلوقاته؛ لنعرف الخالق من المخلوق، ونتجاوز المخلوق إلى الخالق، وأرانا هذه الصور؛ لنتجاوز الصور إلى المصور جل جلاله: **﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾** [الطلاق/ ١٢].

لابد من معرفة من له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، نعرف المؤمن حتى نتحصل

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠١٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

على الأمن، نعرف الرزاق حتى نأخذ الرزق منه جل جلاله من باب الخواص، باب الإيمان والتقوى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

أما الباب العام فهو: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

فالله خلق المخلوقات وتكفل بأرزاقها؛ لأنه هو الكفيل الذي تكفل بالأرزاق، لكن هذا الرزق العام للمؤمن والكافر والحيوان، لكن الرزق الخاص خاصٌ للمؤمنين، يأخذونه بالإيمان والأعمال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

ومن ثمرات إيمان العبد باسم الله المؤمن أن يصدق الله فيما أخبر به، ويطيعه فيما أمر به: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

هذا تنفيذ الأمر، فبعد الإيمان يأتي تنفيذ الأمر، بفعل الأوامر، واجتناب النواهي، فالإيمان تصديقٌ وتطبيقٌ وتحقيق، والإيمان بالتصديق فقط بدون التحقيق بتطبيق الأوامر لا قيمة له، ومن ذلك إيمان إبليس الذي آمن بالله، لكنه عصاه، فطرده الله ولعنه.

وعلى المؤمن أن يشكر ربه المؤمن الذي خلقه ورزقه وهداه ووفقه للعمل الصالح: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة/ ٢٣٩].

وعليه أن يعبد من أطعمه وأمنه: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش/ ١-٤].

هذه العبادة التي فيها اللذة، وفيها المحبة، وفيها الرجاء، وفيها الخوف، إنما تكون بعد معرفة الله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ

مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

- **فكل عبادة لها ثلاثة أركان:**

محبة الله .. ورجاء ثوابه .. والخوف من عقابه؛ فالعبادة المقبولة بأنواعها المختلفة القولية والفعلية، والقاصرة والمتعدية، تقوم على تلك الأركان: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

هذه العبادة نجد فيها اللذة والأنس، وتخف علينا الطاعات إذا عرفنا الله بأسمائه وصفاته، وعرفنا من بيده كل شيء، ومن ذلك الأمن الذي ننشده في الدنيا، نريد الأمن الصحي، الأمن الغذائي، الأمن السياسي، الأمن الاقتصادي، الأمن الاجتماعي.

هذا الأمن كله في خزائن الله، وليس له إلا باب واحد عند المؤمن جل جلاله الذي خلق الأمن، ومنّ به على جميع خلقه، فالله خلق اللسان، وخلق السمع والبصر، وخلق الأقدام والأيدي، كله من أجل تأمين الإنسان في الحياة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

لكن الأمن الخاص، الأمن المقصود هو أن يدخل الإيمان في القلب: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات: ١٤].

أنا دخلت السوق المركزي، وتجولت فيه؛ عرفت أشياء، ولم أعرف أشياء، لا نوعها ولا قيمتها لكن صاحب السوق المركزي يعرف الأواني، والأجهزة الكهربائية، وأنواع التمور، والملابس، وكل شيء في هذا السوق المركزي يعرفه، ويعرف سعره.

فهذا السوق المركزي كله دخل في قلب هذا الإنسان؛ فهو يعرف كل شيء فيه.

هكذا المؤمن، أن أدخل في الدين شيء، وأن يدخل الدين فيّ شيء آخر، إذا دخل في الدين؛ تحولت حياتي كلها لله، أما إذا دخلت في الدين فاخترت منه أشياء تكون خفيفة علي، وتركت أشياء فهذا جمع بين الهوى والهدى.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٨٥].

فأن أدخل في الدين شيء، وأن يدخل الدين في قلبي شيء آخر، إذا دخل الدين في قلبي

تحركت بجميع أعمال الدين، عبادةً، ودعوةً، وتعليمًا، وإحسانًا إلى الخلق، وكنت في الدين في جميع أحوالي، فيتحول عمر هذا الإنسان إلى عمر إسلامي: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

- **فالعمر أربعة أقسام:**

عمر إنساني .. وعمر حيواني .. وعمر إبليسي .. وعمر إسلامي.

والمطلوب هو أن يكون عمري إسلامي: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١ – ١٦٣].

وكل من قضى عمره فيما سوى ذلك فهو في خسار: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ١ – ٣].

فأول المسلمين لابد أن يكون قدوة للمسلمين، وقدوة أول المسلمين هو رسول رب العالمين: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر: ١١ – ١٢].

- **وأول المسلمين يجب أن يقتدي بالرسول ﷺ في خمسة أمور:**

في توحيده وإيمانه .. وفي نيته وفكره .. وفي أقواله الحسنة .. وأعماله الصالحة .. وأخلاقه العظيمة.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ومن عرف أن الله ﷻ هو المؤمن فعليه ألا يطلب الأمن إلا منه وحده لا شريك له، ومن عرف ربه المؤمن الذي بيده الأمن والأمان، فلينشر الأمن والإيمان في العالم تحقيقًا لأمر ربه: ﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

ولينشر العلم الإلهي، ويعلمه للناس؛ لينال ثواب الله العظيم، ويأمن عقوبته ويكون

سبباً لدخول الناس في هذا الدين وعبادتهم لله ﷻ على علم: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

والمؤمن يجب أن تكون أفعاله مطابقة لأقواله، وظاهره متفق مع باطنه، وسره وعلانيته على حد سواء، حتى يكون عمله خالصاً لله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف/ ٢-٣].

والأنبياء والرسل مؤتمنون على أداء رسالة الله إلى خلقه، والمؤمن مؤتمن على بدنه، وعلى قلبه، لابد أن يحمله على طاعة الله، المؤمن مؤتمنٌ على بدنه، ومؤتمنٌ على جوارحه، ومؤتمنٌ على الخلافة في الأرض، ومؤتمنٌ على سمعه وبصره وعلى أوقاته، وأمواله، وأولاده: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَـٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَـٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال النبي ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» متفق عليه[1].

وأعظم أمانة كلف الله ﷻ بها هذه الأمة هي الدعوة إلى الله: ﴿ قُلۡ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالدعوة إلى الله هي التي تحقق للعباد الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة، ويأمن بها الناس من عذاب الله: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالإسلام شرفنا نتشرف به، وحاجتنا نحن محتاجون للإسلام، وهو مسؤوليتنا أمانة

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١٣٨) واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٢٩).

عندنا، لابد من إبلاغه لأهل الأرض كلهم، الأرض الآن عرفناها جغرافيًّا، مائتان وخمس وأربعون دولة، وعرفنا المدن التي فيها، وأنهارها، وصناعاتها، بقي علينا أن نوصل لا إله إلا الله لقلوبها، ومحمد رسول الله لأبدانها؛ حتى تتزين أجساد البشرية بالصفات والأخلاق الإسلامية، وتمتلئ قلوب البشرية بالإيمان بالله، والتوكل عليه، والحب له، والتعظيم والذل له، هذه رسالتنا.

فالله وكل الشمس بالإنارة، ووكل السحب بنقل المياه، ووكلنا بنشر الهداية للعالم: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

لماذا؟ لينتشر الأمن في الدنيا، الأمن الآن كله مضطرب في العالم؛ لأن القوي سيأكل الضعيف، وكلٌ يخاف من الآخر، فهم كلٌ يتقوى على غيره ويجمع الأسلحة، ويصنع الأسلحة؛ ليكون هو المسيطر في العالم، فالعالم يعيش في رعب، والله أمرنا أن ندخل في الإسلام، وأن نسعى لدخول الناس في السلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

فسبحان المؤمن الصادق في أخباره، وأحكامه، وأفعاله، وفي وعده، ووعيده: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥].

ومن دخل في الإسلام سلم، ومن دخل في الإيمان فهو آمن في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

والمؤمن يصدق بكل ما جاء عن ربه من أخبار الوعد والوعيد، ويعمل بمقتضى ذلك: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٤].

ووعود الله ﷻ التي أخبر بها في القرآن، إذا لم نراها قد تحققت فنحن السبب؛ لأن الله وعد على صفة الإيمان النصر والعزة والأمن والسعادة، وكل وعد مربوط بسبب، وكل وعيد مربوط بسبب: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج/ ٤٠].

صفاتهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟

بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

فالله رءوف بالعباد يُكرم بفضله، ويعاقب بعدله، ويحب لعباده الخير، ولا يرضى لعباده الكفر والشقاء والعذاب: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء/ ١٤٧].

الله يحب لعبده كل خير، ويكره له كل شر، ولهذا يجازي على كل حسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

الله ﷻ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

وعلى العبد المؤمن الذي ينشد الأمن في الدنيا والآخرة أن يتعرف على هذا الاسم الكريم، فاعلم أيها العبد المؤمن أن ربك المؤمن يريد أن يؤمنك من العذاب في الدنيا والآخرة؛ فبادر إلى طاعته، وامتثال أوامره؛ ليتحقق لك ما أراد الله لك: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

هذا وعده: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

وهذا وعيده: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٨].

واعلم أنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنة، آمنت بالله، وصدقت بأخباره ونفذت أوامره، لا يدخل الجنة يوم القيامة إلا نفس مؤمنة آمنت بالله، فاجتهد على نفسك أيها المؤمن بالعلم والعمل؛ ليزيد إيمانك، وتزكوا عبادتك، وتحسن أخلاقك وتصلح أحوالك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ

عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ [البينة: ٧ – ٨].

واجتهد بالإحسان إلى غيرك بالنصيحة، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، ومواساة المحتاج، ورحمة الصغير، وتوقير الكبير، والإحسان إلى الخلق بكل ما تقدر عليه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

أنت من خير أمة في العبادة، في الدعوة، في التعليم، في الإيمان، في التوحيد، في الأخلاق: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠].

وأظهر رحمك الله من برك وخيرك، ما يأمن ا لناس به من شرك، ويطمعون في خيرك، يحبك الله والناس: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦].

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

ولا ريب ولاشك أن جميع الخلق هالكون وخاسرون إلا صنفٌ واحد، فإن لم تكن أسبقهم فكن على الأقل منهم: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣].

جهدٌ على النفس آمنوا وعملوا الصالحات، جهدٌ على الغير تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، فيجب علينا لزوم تقوى الله ﷻ في جميع الأحوال، فبالتقوى تؤدى الأمانات، وتوفى العهود، وتُحفظ الحدود، وتحصل البركات، وتُدفع العقوبات: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ
حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

والمؤمن يجب أن تأتي أفعاله مصدقة لأقواله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف/ ١٠-١١].

فما هو حظك من هذه الصفات والأعمال والكرامات.

فالإيمان له لفظ، وله صورة، فاللفظ كأن أقول: أنا مؤمن، وله صورة أو رسم، وله طعم، وله حلاوة وله حقيقة كما مر معنا؛ فلابد أن يرتبط أوله بآخره، وأن نصدق الأقوال بالأفعال.

قال النبي ﷺ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**» أخرجه مسلم(١).

والمؤمن من البشر يجب أن يأمنه الناس على أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن حقًّا مصدر أمان للخلق كلهم، يصدق أقواله بأفعاله، ويصدق سره بعلانيته، فهذا هو المؤمن الذي له الأمن من ربه في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

وإيمان كل مؤمن بقدر علمه بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعمل كل مؤمن بقدر إيمانه، ودرجة كل مؤمن في الجنة بقدر تقواه، وتقواه ثمرة علمه وإيمانه، هذه مسائل لابد أن نعرفها؛ لأنه ينبني بعضها على بعض، ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فإيمان كل مؤمن بقدر عمله، وعمل كل مؤمن بقدر إيمانه، جميع الطاعات الواجبات والمستحبات تكون بقدر العلم، وعمل كل مؤمن بقدر إيمانه بربه، ودرجة كل مؤمن في الجنة بقدر تقواه، وتقواه ثمرة علمه وإيمانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾[الأنفال/ ٢-٤].
ماذا لهم؟﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾[الأنفال/ ٢-٤].
فاتقِ الله رحمك الله كما ينبغي لجلاله وجهه، وعظيم سلطانه، وكثرة إحسانه، والتقوى ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾﴾[الأحزاب/ ٧٠].
والقول السديد أن تكبر الكبير، وتعظم العظيم، وتحمده وتمجده وتثني عليه، وتدعو الناس إليه، وإلى دينه، وتعلم شرعه، وتُحسن إلى خلقه، وتسبحه، وتقدسه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب/ ٧٠-٧١].
﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].
فأحسن عبادتك لربك ولا تؤذي أحداً من خلقه، واستغفر من ذنوبك، وأدي الحقوق التي أمر الله بها، تكن من الفائزين:﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾[الأحقاف/ ١٦].
فالله ﷻ إذا وعد فهو الصادق في وعده، وإذا أخبر فهو الصادق في خبره، وإذا أمر فهو الحكيم في أمره وشرعه جل جلاله:﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾﴾[النساء: ١٢٢].
فالله ﷻ هو المؤمن الذي أمَّن خلقه بثبات حركة الأفلاك، حركة الأفلاك كلها بيده:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾﴾[فاطر/ ٤١].
لو رفع الله عنها أمر البقاء؛ لخرت السماء على الأرض أو لفنيت، ويمسك السماء أن تقع على الأرض؛ تأمينًا للخلق:﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾[الحج/ ٦٥].
﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[يس/ ٣٧-٤٠].
هذه المخلوقات إيجادها بأمره وتحريكها بأمره، وبقاؤها بأمره، ونفعها وضرها بأمره، وهي تسبح بحمده وتشهد بوحدانيته:﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن

﴿شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

فسبحان الملك القدوس السلام، الذي له ملك السموات والأرض، والذي مَنَّ علينا بالنعم المادية؛ لتبقى حياتنا، وبالنعم الروحية؛ لنعيش في هذه الدنيا سعداء، ويوم القيامة ندخل الجنة ونفوز برضوان الله ﷻ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

هو سبحانه المؤمن الذي وهب عباده الأمن الفكري، والمؤمن مؤمن أن الله ربه وأن كل ما أخبر به صحيح: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾ [الأنعام/ ١٦١].

المؤمن يجب أن يكون صادقًا، فأحسن حلية للإنسان أن يكون صادقًا في جميع أحواله، ويلبس لباس الصادقين، لباس المؤمنين، فالأشجار تتزين بالأوراق والأزهار والثمار، والإيمان إذا أكرم الله ﷻ به عبده فيجب أن يظهر أثر الإيمان على اللسان، وعلى القلب، وعلى الجوارح، فيلبس الإنسان أحسن الحلل، وهذه الحلل الله ﷻ أثنى على أصحابها فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

الله يريد من نزول الوحي على الخلق، أن يدخل إلى قلوبهم، ثم يظهر آثارًا على قلوبهم وأجسادهم، وقيمة السلعة بقدر ما تحمل من الصفات الإيمانية.

والله خلق البشر، واشترى منهم المؤمنين، واشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، وعلى قدر الصفات تكون قيمة السلعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

وصفات هؤلاء المؤمنين: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].

سيارة فيها مواصفات جيدة، قيمتها خمسمائة ألف، إنسان فيه صفات جيدة، ومعه علوم

جيدة، طبيب، مهندس بقدر صفاته، تكون قيمته العلمية؛ حتى في الحيوانات، الكلب المعلم يختلف عن الكلب غير المعلم، فقيمة الإنسان بصفاته لا بذاته، فأعظم الصفات الإيمان، فالله يحب ظهور أسمائه وصفاته في عباده ليتحلوا بها، ويتجملوا بها، فالجميل يوم القيامة يكون بقرب الجميل، والكريم بقرب الكريم، والعفو بجنب العفو: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

وهكذا نأخذ من الأسماء والصفات على شاكلة العبودية، ونتعبد لله بها، وندعو الله بموجبها، ولا يمكن أن نعرف الصفات حتى نتعرف على من له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، إذا عرفنا المؤمن فيجب أن نكون مؤمنين مصدقين بوعد الله وأخباره، ممتثلين لأوامره وندعو الناس للتصديق بأخباره، والإيمان به، وامتثال أوامره.

فهذه الصفات لابد أن تظهر فينا، وهذه الصفات التي يحبها الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

فالله يحب أهل الصفات، يحب المؤمنين، والمتقين، والمحسنين، والصابرين.

صفات عشر، هذه حلل يلبسها المسلم يتجمل بها في الدنيا، ليعرف أنه مسلم، صفاته تميزه عن الكافر، وتميزه عن الحيوان، تميزه بصدقه إيمانه وتقواه وإسلامه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فمن آمن بالله، يجب أن يهب من حوله من الناس الأمن، بإظهار صفات الإيمان من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية.

فالإيمان تصديقٌ وتحقيقٌ وتطبيق، تصديقٌ بالأخبار، وتحقيقٌ بفعل الأوامر، واجتناب النواهي، فصفات الإيمان، وشعب الإيمان، بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأعلاها قول: "لا إله إلا الله"، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

- **فالإيمان يظهر في ثلاثة مواطن:**

**أولًا:** قول: لا إله إلا الله باللسان.

**ثانيًا:** الحياء صفة قلبية نائبة عن الأخلاق الطيبة.

**ثالثًا:** إماطة الأذى عن الطريق نيابة عن أفعال الجوارح.

فلابد للمؤمن الذي آمن بالله أن يهب من حوله الأمن بإظهار صفات الإيمان من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية: ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ [البقرة/ ٨٣].

﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤** ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

المؤمن هو الذي يُشعر كل إنسان يلقاه أنه أقرب الناس إليه، فكن كريمًا لطيفًا بأقوالك، بأفعالك، بمالك، ليحبك الله، ويحبك الناس، ويأمنوا جانبك، ويطمئن إليك الخلق، وبذلك يتحقق الأمن والطمأنينة في كل مجتمع: ﴿ **وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١** ﴾ [التوبة: ٧١].

ولهذا لما قل الإيمان وضعف امتلأت السجون، والمحاكم، والمستشفيات بالخلق، لكن المساجد قل من يعمرها، والمساجد هي بيت الأمان، هي بيت المؤمن جل جلاله، والأمن من المؤمن، ولا أمن ولا طمأنينة إلا بالإيمان بالله ﷻ؛ آمنت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا.

بالإيمان يتحقق الأمن والطمأنينة في الأمة: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢** ﴾ [الأنعام: ٨٢].

كونوا عباد الله إخوانًا، تكونوا يوم القيامة إخوانًا على سرر متقابلين، والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

قال النبي ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ أو قال: لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» متفق عليه(١).

وشر الخلق من اتقاه الناس مخافة شره، ومن أهل النار كل غليظ جواظ مستكبر: ﴿ **وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣)، ومسلم برقم (٤٥) واللفظ له.

﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان/ ١٨-١٩].

والله سبحانه هو المؤمن الذي صدق نفسه، وأول من شهد لنفسه بالوحدانية، فأول مؤمن بالله هو الله، وهذه أعظم شهادة: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران/ ١٨].

هو سبحانه السلام المؤمن الموفي بعهده: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ [الروم/ ٦].

سبحانه هو المؤمِن لعباده، الذي يؤمنهم في حياتهم، وأرزاقهم، وآجالهم، فكل حي إنما يبقى بأمر الحي القيوم، ورزقهم أمنه لهم الرزاق، وآجالهم بيده: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون/ ١١].

هو سبحانه المؤمن الذي يأمنه لناس عند الغضب؛ لأن رحمته سبقت غضبه، والعفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من القسوة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢].

فكن أيها العبد المؤمن أمينًا على أقوالك، وعلى أعمالك، أمينًا على أموال الناس، أمينًا على أعراض الناس، فلا تخوض فيها، أمينًا على أسرار الناس، فلا تُفشي سرًا من أسرارهم، ومن أعان ظالمًا سلطه الله عليه، وكان أول ضحاياه، والمؤمن يمنع الظالم من الظلم.

قال النبي ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**» أخرجه البخاري(١).

الظالم تحجزه عن الظلم، والمظلوم تكون معه حتى ينتصر على من ظلمه، فالمؤمن يمنع الظالم من الظلم، ويُجير المظلوم من ظلم الظالم وبذلك يتحقق الأمن.

حظك أيها المؤمن من ربك المؤمن؛ أن تؤمن بالله حقًّا، وصدقًا، وتؤمن بمحمد رسولًا، وتؤمن بالإسلام دينًا، والله سبحانه مؤمن، والإنسان مؤمن، والإيمان في حق العبد تصديق الخبر تصديقًا جازمًا، وتنفيذ الأمر تنفيذًا كاملاً: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات: ١٥].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٣).

- **وآيات القرآن نوعان:**

خبر .. وطلب.

**والخبر:** خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ومخلوقاته.

**والطلب:** إما أمر بالفعل كالصلاة، أو نهي عن الفعل كالنهي عن الفواحش.

والإيمان في باب الأخبار هو التصديق، والإيمان في باب الأوامر هو التنفيذ، الإيمان في باب الأخبار هو التصديق بالله ﷻ، وكل ما جاء عنه، والإيمان في باب الأوامر هو التنفيذ؛ لأن الإيمان تصديقٌ وتحقيق التصديق، نصدق كل خبر جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، والإيمان في باب الأوامر هو التنفيذ لكل ما أمر الله ورسوله به: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾**﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فتصديق الخبر إيمان، وتنفيذ الطلب إيمان، فمن صدق الأخبار، وفعل الأوامر أثابه الله السعادة في الدنيا، والجنة والرضوان يوم القيامة: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾**﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

فكما أمرنا الله بتصديق خبره؛ أمرنا كذلك بتنفيذ أمره: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾**﴾ [الحج/ ٧٧].

وقال النبي ﷺ لوفد عبد القيس: «**أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِالله وَحْدَهُ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا الْخُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ**» أخرجه البخاري[1].

فاسم الله المؤمن اشتمل على عدة معان يجمعها تصديق الخبر، وتنفيذ الطلب، فالله وعد بالنصر والعزة لمن آمن به، وامتثل أوامره.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٣).

والله سبحانه هو المؤمن الذي أمن عباده في الآخرة، فأدخلهم الجنة، وأنجاهم من النار بفضله لا بعدله، وأدخل الكفار النار بعدله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس: ٢٦].

فالعدل أن تكون الأعمال الصالحة مقابل النعم السابغة عليهم، ولكن الله كريم أعطاهم من النعم السابغة الجنات والرضوان، تكرمًا منه وإحسانا؛ فلهم الجنة إذا أحسنوا، والزيادة زيادة الأمن، وزيادة النعمة بالرضا من الله عز وجل.

وقال النبي ﷺ: «**لَا يُدْخِلُ أَحَدًا مِنكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا؛ إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**» متفق عليه[1].

والعبد المؤمن يسأل ربه المؤمن الذي يملك خزائن الأمن أن يؤمنه من الشرور كلها، ويحميه مما يضره ويُشقيه، قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ**» أخرجه الترمذي[2].

فسبحان المؤمن الذي لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك/ ١].

هو سبحانه المؤمن الذي يصدق عباده إذا قالوا: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

هو سبحانه المؤمن الذي خلق الخلق، وأرسل إليهم الرسل؛ ليأمنوا في الدنيا والآخرة.

واعلم أن الله سبحانه خلق الإنسان، وأسكنه في دار الاختبار، دار الاختبار التي نحن فيها، ووضع له منهجًا يسير عليه من أراد السعادة، وأرسل معلمًا لهذا المنهج وهم الرسل: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨١٦).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٣٧٢).

﴿حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦].

فطلاب السعادة الذين يريدون السعادة في الدنيا والآخرة لهم مقرر يدرسونه، ويعملون بما فيه؛ ليفوزوا ويسعدوا في الدنيا والآخرة: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: ١٩ – ٢٢].

هؤلاء الذين لهم الأمن في الدنيا والآخرة.

وطلاب الشقاوة تركوا هذا المنهج، وعاشوا على هواهم، واشتغلوا بالشهوات عن عبادة الله، فخسروا الدنيا والآخرة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

والمقرر الذي ندرسه في الدنيا هو هذا القرآن، الذي أنزله الله ﷻ تبيانًا لكل شيء، ومطلوبٌ منا أن نقرأ القرآن لنعرف الأخبار، ونتعرف على الأوامر، وعلى النواهي، وعلى الوعد والوعيد، وأن نعرف أسماء ربنا وصفاته، وأن نتقرب إليه بما يحبه ويرضاه، هذا مقرر يجب على كل مسلم من حين يعقل إلى أن يلقى الله وهو يلازم قراءة القرآن؛ لأنه مقرر عليه أن يصدق بأخباره، ويعمل بأحكامه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

الله أنزل القرآن؛ لينذر من كان حيًّا، ليس للأموات، إنما هو ليُنذر من كان حيًّا، فهو مقرر لازم، فمن أراد السعادة؛ فليقرأ القرآن بالتدبر ليعرف المنهج الذي يصله بربه، ويعرف الأعمال التي يحبها الله ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

فأهل السعادة وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل، ثم المؤمنون بهم، المصدقون لهم، هؤلاء قرأوا القرآن، وامتثلوا الأوامر، واجتنبوا النواهي؛ ففازوا بالسعادة، أما من أعرض عن هذا المقرر، وعن هذا المنهج، فهؤلاء طلاب الشقاوة، تركوا هذا المنهج، وعاشوا على

هواهم، واشتغلوا بالشهوات عن عبادة الله فخسروا الدنيا والآخرة: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

فأهل الشقاوة الذين أعرضوا عن ذكر الله ﷻ؛ لهم يوم القيامة العذاب، ولهم في الدنيا النكد، والشقاء، والتعب، والمعيشة الضنك: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ [الرعد/ ٢٥].

هؤلاء أعرضوا عن المنهج، واشتغلوا بالشهوات عن عبادة الله، فخسروا الدنيا والآخرة، فمن درس هذا المنهج وعمل بموجبه؛ أجاب في الامتحان، فالإنسان سوف يسأل بعد موته عشرة أسئلة، سوف يسأل الإنسان في قبره: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟.

ويسأل يوم القيامة خمسة أسئلة قال ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ**» أخرجه الترمذي(١).

وسيسأل الخلق كلهم في عرصات القيامة: ماذا أجبتم المرسلين؟، وماذا كنتم تعملون؟؛ هذه عشرة أسئلة لا يستطيع الإجابة عليها إلا من آمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، فالذين تركوا هذا المنهج لا يستطيعون الإجابة، ولهذا من لم يجب فهو في خسار: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر/ ١-٣].

فمن درس غير المقرر، واشتغل بعلوم اليهود والنصارى وجميع الكفار، من درس غير المقرر وغير المنهج الإلهي لم يتمكن من الإجابة على أسئلة من وضع المقرر والمنهج؛ فرسب في الامتحان.

وأكثر الخلق مشغولون بغير المقرر والمنهج الإلهي الذي فيه النجاح لمن قبله ودرسه وعمل به: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ [يوسف/ ١٠٣-١٠٤].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٧).

فمن ترك هذا المنهج، وترك منهج الهداية وخسر في الدنيا والآخرة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر/ ١٥].

أعظم خسارة أن يخسر الإنسان أهله وماله ونفسه يوم القيامة.

وما يُكرم الله به المؤمنين من كرامات في الدنيا إنما هو تكريم من أجل الثبات على العمل، جميع ما نُعطى في هذه الدنيا هو تكريم أولي من أجل الثبات على العمل، والاستمرار في العمل، وتنبيه للكفار والعصاة؛ ليتوبوا إلى ربهم، أما النعيم الكامل، والأمن الكامل، فذلك يوم القيامة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٨٥].

فالمؤمن سبحانه صادقٌ في وعده، أحصى أعمال العباد كلها، وسوف يحاسبهم ويجازيهم بما عملوا من خيرٍ أو شر: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

وهناك سوف يسأل الله الرسل والمرسل إليهم عما عملوا: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٦ - ٩].

وذلك اليوم يوم عظيم، للمؤمن فيه النعيم الكامل، والأمن الكامل: ﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

هؤلاء الذين لهم الأمن والسلام؛ لأنهم دخلوا في الإيمان، ودخلوا في السلام في الدنيا، ودخلوا في الإسلام، فيوم القيامة لهم دار السلام من جميع الآفات: ﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

وللكافر الشقاء الكامل، والخوف الكامل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج/ ١-٢].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء: ٥٦].

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واختم بالصالحات أعمالنا.

وقيمة الشيء بقدر صفاته، والإيمان أعظم صفات الإنسان، ولهذا اشترى الله جميع المؤمنين والمؤمنات، وجعل ثمن الشراء الجنة، وهذه السلعة التي اشتراها الله، لها صفات يحبها الله كما مر معنا.

والله ﷻ من أجل أمان الخلق ، منّ علينا جميعًا بهذا الدين فقال ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾ ﴾[المائدة/ ٣].

والله ﷻمن أجل أن يؤمننا، وأن نعيش في هذه الدنيا بأمن وأمان؛ منّ علينا بهذا الدين الكامل، ومن دخل في الدين فلا بد أن يمشي على أوامر الدين؛ ولهذا الله ﷻ من أجل أن نأمن في الدنيا والآخرة منّ علينا بالأوامر الشرعية التي هي أمان من غضب الله ﷻ، ومن عقوبته، فالمؤمن الذي دخل في الإيمان الله ﷻ يأمره ويناديه، ليفعل ما يحب الله، ويجتنب ما يُسخط الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢ – ١٠٣].

فأنا عبد في أرض مولاي أتلقى أوامره، وليس عندي عمل إلا امتثال أوامره، فأنا عبده مطيع لأمره، ولهذا الله ﷻ ينادي المؤمنين بصفة الإيمان، يناديهم ليأمنوا على أنفسهم في الدنيا والآخرة، يناديهم دائمًا بصفة الإيمان، إما أمرٌ بطاعة أو نهيٌ عن معصية، إما بفعل محبوب للرب، أو ترك مسخوط للرب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ادخلوا جميعًا في السلم، ادخلوا جميعًا في الإسلام، وهذا يحرك المسلمين للدعوة، ادخلوا في السلم كافة، وتعلموا جميع أحكام الدين، حتى إذا علمناها تعبدنا الله بها؛ فزاد أجرنا وزادت محبة الله ﷻ لنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

أمرنا بفعل الخير؛ لأن الله ﷻ يريد لنا أن نفعل الخير، والله قادر كما ينور الكون كله بالشمس، قادرٌ أن يهدي الناس ، لكن الله ﷻ جعل لنا ثلاثة أماكن ومواضع نضع فيها أعمالًا صالحة.

الله ﷻ جعل الكافر آنية للدعوة أدعوه إلى الله فيكون في صحيفتي، هو ومن دخل الإسلام بسببي، جميع عباداته في صحيفة من دعاه، فالكافر آنية للدعوة، والجاهل آنية للعلم أعلمه، والضعيف والفقير أحسن إليه، هذه الأواني الله ﷻ جعلها لنا؛ لنكسب الأجر والثواب من الله ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

وفي القرآن أكثر من ثمانين نداء للمؤمنين، نداءات من رب العالمين، وتعليم من رب العالمين؛ حتى نفعل ما يحبه الله ويرضاه، ونجتنب ما يسخطه ويكرهه جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ﴾[آل عمران/ ١٣٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾[الأنفال/ ٢٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[النساء/ ٢٩].

الإيمان تصديقٌ وتحقيقٌ وتطبيق، فالمؤمن يُتبع العلم بالعمل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾[النساء/ ٤٣].

توجيهات من الله ﷻ؛ حتى يؤمنا في الدنيا وفي الآخرة من عذابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾[النساء/ ١٣٥].

كونوا قوامين بالقسط، جهدٌ على النفس بالاستقامة، وجهدٌ على الغير بالدعوة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ ﴾[المزمل/ ١-٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧ ﴾ [المدثر: ١ –٧].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[المائدة/ ١].

هذا أمر بفعل الخير، حتى يعيش الإنسان في أمن وسلام في الدنيا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[المائدة/ ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾[المائدة/ ٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

الله ﷻ يدعو الذين آمنوا بأن يمتثلوا الأوامر، ويجتنبوا النواهي؛ ليأمنوا في الدنيا والآخرة ويسعدوا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

خلقكم في أحسن تقويم، ورزقكم من الطيبات، وأعطاكم العقول التي تعقل، والأعين التي ترى، والأذان التي تسمع، وأعطاكم هذه الصحة والعافية، وأعطاكم هذه الأرض التي تمشون عليها، وهذه الألبسة التي تلبسونها، وأعطاكم هذا الدين الذي يربطكم بخالقكم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾[الأحزاب/ ٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المائدة: ٣٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١].

لا نتخذ اليهود والنصارى أولياء، ونبغضهم بقلوبنا ولانتخلق بأخلاقهم، الشيطان زين لكثير من الخلق أن يكرهوا اليهود والنصارى بذواتهم، ولكن حبب إليهم صفاتهم.

قال النبي ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ؛ قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فَمَنْ؟**» أخرجه البخاري[1].

أكثر من ثمانين نداء في القرآن، لو تتبعناها في القرآن؛ لوجدناها أمرًا بخير، ونهيًا عن شر، أمرًا بفعل الطاعات، وأمرًا بترك المعاصي، بيان لما أحل الله، وترغيبٌ فيه، وبيان لما حرم الله، وتحذيرٌ منه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المائدة: ٨٧].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة/ ١٠٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٠].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٧].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال/ ٢٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾ [التوبة/ ٢٨].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ ﴾ [التوبة/ ١٢٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣٢٠).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾[التوبة/ ١١٩].
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٧٧ ﴾[الحج/ ٧٧].
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾[النور/ ٢١].
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾ [النساء: ١٣٦].

وهكذا في آيات كثيرة، يطول بنا المقام لو تتبعناها آيةً آية، ولكن علينا أن نتتبع هذه الآيات انفراديًّا، لنعرف هذه الأوامر من ربنا ﷻ، يا عبد المؤمن إذا سمعت الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[النساء/ ١٣٦]، فأرعها سمعك؛ فإنها خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه.

فإذا آمن العبد بربه استعد لامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

فيا سعادة المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، سعادتهم بإيمانهم بربهم ﷻ، وإتباع شرعه، وامتثال أوامره، وسعادتهم بالأمن والخلافة، والهداية في الدنيا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ٨٢ ﴾[الأنعام/ ٨٢].

وفي الآخرة: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾ [البقرة: ٢٥].

فالحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيباً مباركاً على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، والحمد لله أن جعلنا مؤمنين، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، فله الحمد كثيرًا كما يُنعم كثيرًا.

نسأل الله ﷻ لنا ولكم التوفيق والهداية والسداد، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٨ ﴾[الزمر/ ١٨].

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾[آل عمران/ ١٩٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾

[آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾[آل عمران: ٨].

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت.

اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت؛ أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، اللهم إني أسألك إيمانًا يقويني على طاعتك، ويقينًا يحجزني عن معصيتك؛ حتى أعبدك بما أستحق به رضاك، وأتوب إليك من ذنوبي خوفًا منك وحياءً منك يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

## إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# اســــم الله

# المهيمن

# اسم الله المهيمن

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى .

وأسماء الله ﷻ كلها حسنى، بالغةً في الحسن والكمال والجمال والجلال منتهاه، وهي متفاوتة في الحسن والكمال؛ فمنها كاملٌ وأكمل، وحسنٌ وأحسن، وعظيمٌ وأعظم : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾ [ طه: ٨ ].

فمن أسمائه جل جلاله ما يدل على اسم الله الأعظم، مثل: الله، الحي، القيوم، الرب، ونحو ذلك.

ومنها أسماء تدل على عدة صفات جامعة كالمجيد والعظيم، والحميد، والصمد، والواسع .

ومنها ما يدل على معنيين كالبصير بمعنى الرؤية والعلم والخبرة، والودود بمعنى أنه المحبوب والمحِب.

ومنها ما يدل على صفة واحدة مثل العليم الغفور .

ومنها ما جاء بصيغة التفضيل الذي يدل على المفاضلة، كالعلي والأعلى، والكريم والأكرم، والرحمن والرحيم، والخالق والخلاق ونحو ذلك .

هذه الأسماء الحسنى لله ﷻ، عرفنا بها؛ لنتخلق بها على شاكلة العبودية : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾ [ الأعراف: ١٨٠ ] .

وهذا العلم العظيم من أعظم العلوم؛ فالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، أنفع العلوم، وأشرفها وأجلها وأعظمها؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، والعلم بالله أشرف معلوم، وأجل مقصود، وأعظم محمود، وأحق ممدوح : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [ محمد: ١٩ ] .

وأشرف اللذات هي اللذات القلبية، فأشرف اللذات لذة العلم والمعرفة، وأشرف العلوم العلم الإلهي؛ لشرف معلومه، وشدة الحاجة إليه .

وهذا العلم الإلهي هو أساس الإيمان والأعمال والدرجات بنيان وأساسها الإيمان، وعلى قدر الأساس يكون علو الإيمان؛ فمن عرف الله حقًّا عبده حقًّا، ومن عرف الله ﷻ كبره، وعظمه، وأحبه، وتقرب إليه بما يحبه ويرضاه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] .

فالله ﷻ من أسمائه الحسنى أنه المهيمن، هو جل جلاله الرب المؤمن المهيمن على كل شيء، المطلع على خفايا الأمور، العليم بما تُكنه الصدور، الرقيب على جميع خلقه، الشهيد الذي يُبصر كل ذرة في ملكه، العظيم الذي لا بداية لعظمته ولا نهاية، ولا أول ولا آخر؛ فهو العظيم الكبير وحده لا شريك له: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

هو سبحانه الملك المهيمن الرقيب الشهيد، الذي يعلم السر والنجوى، ويعلم الظاهر والباطن، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القاهر لكل شيء، القادر على كل شيء: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٢-٣].

هو سبحانه الملك المهيمن على الملك والملكوت، وهيمنة الله ﷻ هيمنة مقرونة بالحب والرحمة والرأفة بخلقه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

هو المؤمن المهيمن الحافظ لكل ما في مُلكه العظيم، مهيمن عليم لا يترك حاجةً تخرج من ملكه بلا علم، ولا مراقبة، ولا محاسبة، ولا تسجيل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر/ ٥٢-٥٣].

فسبحان الملك المهيمن الذي أحاط بكل شيءٍ علمًا، ولا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨] .

ومن عرف الله مهيمنًا خضع له وتوكل عليه، وذل له وأحبه، وانقطعت آماله عما سواه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

ومن رأى المخلوق مهيمنًا وقف أمامه كالطفل الصغير، يبالغ في التذلل له، وهو يبالغ في إهانته، ويبالغ في الخضوع له، وهو يبالغ في إهدار كرامته:﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران/ ١٧٥].

فالذلة للعزيز ﷻ، والاستصغار للكبير جل جلاله، أما أن يذل المخلوق للمخلوق؛ فإن كانت الذلة مقرونةً بالتعظيم فهذا من الشرك، فمن رأى المخلوق مهيمنًا وقف أمامه كالطفل الصغير يبالغ في التذلل له فقد أشرك بالله : ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٦].

وهو سبحانه الملك العلي الأعلى المهيمن، العالي على جميع المخلوقات:﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة/ ٢٥٥].

والله ﷻ من أسمائه الحسنى المهيمن، هيمن بقدرته وبقوته وبعلمه، وإحاطته على جميع مخلوقاته، هيمن على جميع ملكه العلوي والسفلي .

فالله ﷻ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن؛ المهيمن على كل شيء خلقًا ، وملكًا ، وعلمًا ، وقدرةً ، وإحاطةً ، وتدبيرًا:﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر/ ٢٢-٢٤].

هو سبحانه المهيمن القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، الذي لا يُعجزه شيء، ولا يخفى عليه شيء، ولا يعزب عنه شيء، أظهر قدرته وأسماءه وصفاته في مخلوقاته:﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك أحببتموه، وآمنتم به ثم أطعتموه وعبدتموه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

واسم الله ﷻ المهيمن من الأسماء الذاتية؛ فالله هو المهيمن على كل شيء أبدًا، وهيمنته

على مُلكه لا تنفك عنه أبدًا .

واسم المهيمن يدل على صفة الفعل؛ لكونه متعلقًا بالمشيئة، فالله من هيمنته يقهر من يشاء، ويُعز من يشاء، ويحيي ويميت ، ويرفع ويخفض؛ لأنه هو المهيمن وحده لا شريك له وكل ما سواه خاضعٌ له، فهو جل جلاله يقهر من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو المهيمن الذي يتصرف في ملكه ما يشاء: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران/ ٢٧].

سبحانه هو الملك المهيمن على جميع مخلوقاته إيجادًا وعلمًا وإحاطةً وتدبيرًا : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤ ] .

وقد اقترن اسم الله المهيمن بالمؤمن قبله، وبالعزيز بعده، والحكمة من ذلك أن صفة السلام والمؤمن تدلان على عناية الرب بعباده، وتربيتهم والإحسان إليهم، وإصلاح أمورهم، واسم المهيمن يدل على القوة، يدل على كمال علمه وقدرته، واسم العزيز يدل على أن الله غالبٌ لا يُعجزه شيء ، ولا يقف له شيء .

فقرن المهيمن باسم السلام والمؤمن؛ ليبين لعباده أنه مهيمن لكنه سلام ومؤمن وعزيز؛ فهو الرحمن الرحيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء، مهيمن لكن ليست هيمنة تسلط؛ فهيمنته مقرونة بالخير المطلق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

فسبحان المؤمن المهيمن الذي لا يخرج عن علمه معلوم، ولا يخرج عن قدرته مقدور، ولا ينفك عن حكمه مفطور: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فالله ﷻ خلق جميع المخلوقات ، وكل ذرة في ملكه، وكل جرم كبير وصغير ، كله تحت عنايته وبصره وسمعه وهيمنته، فالكل خاضعٌ لعظمته ، وخاضعٌ لأمره ، ومستجيبٌ لمشيئته ، ومسرع إلى إرادته، وشاهد بوحدانيته .

هو سبحانه المؤمن المهيمن على كل شيء من كبيرٍ وصغيرٍ، ومن عال وسافل، ومن ناطق وصامت : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو سبحانه الشاهد على خلقه في جميع أحوالهم؛ المطلع على خفايا الأمور ، وما تكنه الصدور: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ [البروج/ ٩].

هو المؤمن المهيمن الذي لا تخفى عليه خافية ولا بادية ظاهرة: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: ١٣-١٤] .

هو سبحانه المؤمن المهيمن الرقيب القائم على كل الخلائق بالرعاية والعناية، والإمداد والإصلاح: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام/ ١٨].

هو الحليم الذي يضع الشيء في موضعه، الخبير بأحوال خلقه ، وما يُصلحهم، فالله ﷻ مهيمن بكمال علمه ، وكمال قدرته، فهو القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، وهيمنته مقرونة بالرحمة، والإحسان إلى خلقه، لكن هيمنة حكام وملوك ورؤساء البشر تكون مقرونة غالباً بالشدة، لكن هيمنة الله ﷻ مقرونة بالرحمة؛ فالهواء لكل مؤمن وكافر، ونور الشمس لكل مطيع وعاصي، والأرض تنبت لكل مخلوق، مؤمن أو كافر، فهو مهيمن لكن هيمنته هيمنة رحمة : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢﴾ [الحشر: ٢٢] .

وهو سبحانه المؤمن المهيمن على كل أحد، الخالق المهيمن على كل مخلوق، القوي المهيمن على كل قوي .

هو جل جلاله المهيمن على العرش، والكرسي، والسموات والأرض ، والجبال والبحار، هو القوي المهيمن على كل قوي : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾ [الزمر/ ٤].

الله سبحانه هو المهيمن على جميع ما في مُلكه العظيم؛ يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد، لا

راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه، قوي لا يقف له شيء ، قادر لا يعجزه شيء ، إذا أراد ليلًا كان ليلًا، وإذا أراد نهارًا كان نهارًا: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور/ ٤٤].

وإذا أراد أمنًا كان أمنًا، وإذا أراد خوفًا كان خوفًا، بيده الأمن؛ لأنه المؤمن الذي خلق الأمن ومنّ به على من شاء من عباده، إذا أراد رحمة أحد رحمه، وإذا أراد نزع الرحمة من أحد نزعها ، لأنه الفعال لما يشاء: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

هو العزيز الذي لا يغلب، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه؛ لأنه عليم خبير بعباده.

الله ﷻ هو الرب المهيمن ، المُلك كله بيده والخلق كله بيده، والأمر كله بيده، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبدًا: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود/ ١٢٣].

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

هو الملك الذي بيده الخلق والأمر، بيده الخلق فهو الذي خلق جميع المخلوقات، وبيده الأمر كله، الأمر الملكي القدري، والأمر الشرعي الإلهي، والأمر الجزائي وهو الوعد والوعيد، كل هذا بيده .

وإذا عرف العبد أن ربه المهيمن؛ له هذه الصفات العظيمة وهذه الأفعال الجميلة؛ آمن به، وأخلص له العبادة : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

أيها الناس أقوالكم كلها محفوظة: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق/ ١٨].

وأعمالكم كلها محفوظة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٧-٨].

كل شيء بحسابٍ وكتابٍ ، وثواب وعقاب؛ فالمهيمن على خلقه هيمن على النيات والأقوال والأعمال، وكل ما يجري في مُلكه، وكل ذرة في مُلكه الله ﷻ خلقها لحكمة.

- **وكل ذرة في ملكه لها ثلاثة أوامر ممن خلقها :**

أمرٌ بالإيجاد .. وأمرٌ بالبقاء .. وأمرٌ بالنفع والضر.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾[الحجر/ ٨٦].
خلق الذرة الصغيرة، وخلق العرش العظيم، الذي أحاط بالكرسي ، والكرسي محيط بالسموات والأرض .
والله محيط بكل محيط فسبحان الملك المهيمن على كل مهيمن، كم مهيمن من المخلوقات، فسبحان الملك المهيمن على كل مهيمن من الأشخاص، والرياح، والدول، والعرش والكرسي ،والسموات والأرض ، والحكومات، والطغاة، والجبابرة : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ الحشر: ٢٣ ] .
هو سبحانه المؤمن المهيمن العزيز الجبار، الذي يمهل الظالم؛ ليتوب إليه، فإذا لم يتب أخذه أخذ عزيز مقتدر، يمهل الظالم؛ حتى يتوب إليه؛ لأن رحمته وسعت كل شيء ، والله ﷻ بالناس رءوفٌ رحيم؛ فيرسل الرسل إلى الخلق، فإذا لم يؤمنوا أمهلهم ، ليؤمنوا ويتوبوا؛ لأنه رحيم بالعباد جل جلاله، فإذا لم يتوبوا أخذهم أخذ عزيز مقتدر:﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت/ ٤٠].
والهيمنة الكاملة لربنا العزيز الجبار مقرونة بالقدرة المطلقة؛ فهو هيمن بقدرته التي أحاطت بكل شيء، الهيمنة الكاملة لربنا العزيز الجبار مقرونة بالقدرة المطلقة، والعلم المطلق، والحكمة المطلقة، والرحمة المطلقة، هو لا ينتقم تشفيًا، لكن ينتقم من الظالم لمن ظلمه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [ النساء: ٤٠ ] .
﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر/ ٢٢].
فهيمنة المهيمن مقرونة بقدرته المطلقة، وعلمه المطلق، والحكمة المطلقة، والخير المطلق ، والرحمة المطلقة : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ غافر: ٦٥ ] .
فسبحان الملك المؤمن المهيمن الذي كل ذرة، وكل مجرة، وكل صغير، وكل كبير، في

العالم العلوي والعالم السفلي ، شاهد بوحدانيته، خاضعٌ لأمره، مستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته، ومسبحٌ بحمده:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الحج/ ١٨].

فلا إله إلا الله، كم عظمة قدرته، وكم عظمة علمه، وكم عظمة هيمنته على مُلكه العظيم، في العالم العلوي، والعالم السفلي، وملك الدنيا، وملك الآخرة، وملك عالم الغيب، وملك عالم الشهادة، هو خالق هذا الكون كله بعلويه وسفليه، والمالك له والمهيمن عليه : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح: ١٣ – ٢٠ ] .

هو سبحانه المهيمن الذي خضع له كل شيء، وحكم كل شيء، وكتابه القرآن الكريم مهيمن على جميع الكتب السابقة، ورسوله محمد ﷺ سيد الأنبياء والرسل، وأمته خير أمة أُخرجت للناس .

فله الحمد كثيرًا على جلال سلطانه، وكمال أسمائه وصفاته، وله الحمد كثيرًا على أسمائه الحسنى ، وصفاته العلا، وكتابه العظيم، وأن أرسل إلينا أفضل رسله ، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس:﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية/ ٣٦-٣٧] .

هو سبحانه المؤمن المهيمن الذي خضعت جميع الخلائق لعظمته، وخشعت القلوب لهيبته ، والخلق كلهم تحت قهره وهيمنته، وسيوقف جميع من أطاعه وعصاه من خلقه، ويجازيهم بحسب أعمالهم : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

وسيجمعهم بقوته وقدرته وهيمنته، للحساب، ثم الثواب والعقاب، ولن يغيب أحد، ولن يفر أحد:﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾[الرحمن/ ٣٣].

فإنا لله وإنا إليه راجعون : ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

وبعد الحساب يكون الجزاء : ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [ القارعة: ٦ – ١١ ].

هو سبحانه المؤمن المهيمن على ظواهر الخلائق وبواطنها، المهيمن على كبيرها وصغيرها، المهيمن الذي أحاط علمه بكل ذرة في ملكه، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون : ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [ السجدة: ٦ – ٧ ].

هو سبحانه المهيمن على الذوات والصفات، المهيمن على المكان ومن فيه، المهيمن على الزمان ومن فيه، المهيمن على عالم الغيب ، وعالم الشهادة:﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام/ ٥٩].

هذا الإله العظيم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، هو الذي يستحق أن يُعبد وحده، وأن يعظم وحده، وأن يُكبر وحده، وأن يُشكر وحده؛ فنحن عبيده والحمد لله كثيرًا أن ربنا ملك عظيم له الأسماء الحسنى والصفات العلا، والأفعال الجميلة : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [ يونس: ٣ ].

الخير كله بيده، وحاجاتنا جميعها عنده، وهو الرءوف بالعباد جل جلاله .

هو جل جلاله المهيمن الذي يعلم السر والنجوى:﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾[غافر/ ١٩].

عليم لا يخفى عليه شيء من نيةٍ وإرادة ، أو قولٍ أو فعلٍ، أو حركةٍ أو سكون .

فسبحان المؤمن المهيمن على كل شيء في الأرض والسماء:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾[الزخرف/ ٨٤].

عليم بكل شيء : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ [ آل عمران: ٥ ].

وسبحان المهيمن القادر قدرة علم، وقدرة قوة، فله القدرة المطلقة المقرونة بعلمه المطلق، وله القدرة المطلقة المقرونة بقوته المطلقة، إن الله يمسك السموات بقوته أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبقوته يُمسك السموات والأرض أن تزولا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾[فاطر/ ٤١].

فالسماء تريد أن تقع على الأرض؛ لما تراه من المعاصي، ولكن الله ﷻ لعظمة حلمه يُمسكها أن تقع على الأرض: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾[مريم/ ٩٠-٩٣].

والعبد حقًّا هو من امتثل أوامر سيده، لكن لمصلحته هو ، لا لمصلحة سيده، العبد يخدم سيده؛ لأنه يأخذ منه منافعه، يعطيه مرتباً، لكن العبد الذي يعبد ربه منافعه له، فنفع أعمال العباد راجعٌ إليهم؛ لأن الله غنيٌ عن العالمين : ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾[العنكبوت/ ٦].

فهو سبحانه القادر قدرة علم، وقدرة قوة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق/ ١٢].

هو جل جلاله الملك العزيز ، ذو العزة والجبروت، والملكوت، والكبرياء ، والعظمة .

هو المهيمن الذي له الخلق كله، وله الأمر كله: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الروم/ ٤].

وله الملك كله: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾[المائدة/ ١٢٠].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾[الأعراف/ ٥٤].

هو جل جلاله المهيمن على كل شيء، المهيمن على جميع الأموال والأرزاق خلقاً وتقسيماً، يعطي من يشاء ويمنع ما يشاء: ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ

عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[الشورى/ ١٢] .

هو سبحانه المهيمن على كل شيء، العلي فوق خلقه، القاهر لكل ما سواه ، المهيمن الذي له علو الذات؛ فهو العلي الأعلى فوق جميع مخلوقاته؛ فهو فوق كل شيء، وتحته كل شيء، وهو القاهر فوق عباده، وكل ما سواه دونه:﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[الأنعام/ ١٨].

وله علو الشأن في أسمائه وصفاته وأفعاله، فعلمه وكرمه وعزه مطلق، ليس له بداية ولا نهاية، ولا أول ولا آخر، وقدرته ورحمته مطلقة، ليس لها حد ولا بداية ولا نهاية، ولا أول ولا آخر:﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨].

وله علو القهر والهيمنة فلا غالب له، بل الجميع في قبضته ، وتحت قهره جل جلاله .

فهو سبحانه المهيمن على عباده بكل صفة، فمهما علا منهم من علا فالله مهيمن عليه، ومهما استغنى الإنسان فالله مهيمنٌ على كل غني وفقير، غني عن كل غني وفقير، محتاجٌ إليه كل غني وفقير : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس/ ٦٨].

هو سبحانه مهيمن على جميع مخلوقاته بكل صفة، فهو الرزاق المهيمن على كل رزاق، القادر المهيمن على كل قادر، الغني المهيمن على كل غني، ومهما استغنى الإنسان فالله مهيمنٌ على كل غني، غنيٌ عن كل غني، محتاجٌ إليه كل غني:﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[يونس/ ٦٨].

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر/ ١٥].

الله ﷻ هو المهيمن الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، أحصى كل شيء عددًا؛ لأنه مهيمن بقدرته وعلمه، أحصى الذرات ، وقطرات المياه، وذرات الرمال، وقطرات البحار، وعدد نجوم السماء، وجميع الكلمات والأنفاس، وجميع الحروف والأقوال، والأعمال، وكل الذرات والهباءات في كل مكان وزمان .

لأنه هو المهيمن الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، ولا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء:﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾[سبأ/ ٣].

هو المهيمن على كل شيء، فهو الملك المهيمن على كل ملك، مهيمن على جميع ملوك الدنيا، هو الملك المالك لكل من في مُلكه، هو الخالق المهيمن على كل مخلوق في العالم العلوي والعالم السفلي، من العرش العظيم؛ حتى أصغر ذرة .

هو مهيمن على كل مخلوق، هو المؤمن المهيمن على كل مؤمن، فالجميع في قبضته، الكريم المهيمن على كل كريم، فالمخلوق إذا كان كريماً فإنما يكرم من إكرام ربه له : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [ النحل: ٥٣ ] .

هو الجبار المهيمن على كل جبار، هو الذي قصم الجبابرة، هو الذي أهلك قوم نوح لما كفروا، وأهلك قوم عاد لما استكبروا، وقوم صالح لما كذبوا .

هو الجبار المهيمن على كل جبار، القوي المهيمن على كل قوي، وهكذا في بقية الأسماء، ولابد أن نكرر مثل هذا الكلام، فما تكرر تقرر، ما تكرر على القلب تقرر .

هو الكبير المهيمن على كل كبير، هو العليم المهيمن على كل عالم، وهكذا في بقية الأسماء لماذا نكرر؟ حتى نكبر الكبير، ونعظم العظيم، ونعبد الله ﷻ، بالتعظيم له، والذل له، والمحبة له جل جلاله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [ الأحزاب: ٤١ – ٤٣ ] .

والذي يذكر الله كثيراً يبادر إلى طاعته ، ويستحي من معصيته ، ويكثر من حمده وشكره .

هو القوي القادر المهيمن على كل ما في السموات والأرض وما بينهما؛ من ملائكة، ونجوم، وكواكب، وسحب ورياح، وجبال وبحار، وماء ونار، وإنس وجان، وطير وحيوان، الله أكبر! كم عدد هذه المخلوقات؟ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [ البقرة: ٢٥٥ ] .

﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك/ ١].

فسبحان الملك العظيم الجبار الذي له جميع المحاسن والفضائل، والذي تفرد بالأسماء الحسنى ، والصفات العلا: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

إذًا فاعبدوه ما دام أن له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فلنتعلق بالكبير ونكمل أنفسنا بالتخلق بهذه الصفات؛ لأن الله ﷻ يحب أسماءه وصفاته، ويحب من يتخلق بها من عباده، والله يحب المؤمنين، والله يحب الصابرين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة/ ١٩٥].

وهو سبحانه المؤمن المهيمن الذي خص هذه الأمة بأفضل الرسل، وأحسن الشرائع، وأعظم الكتب، الذي جعله مهيمنًا على ما قبله من الكتب: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة/ ٤٨].

فكم عظمة أسماء الله وصفاته التي ذكرها الله في القرآن من ضمن الأخبار؟! وكم الله ﷻ بين لنا الأحكام الشرعية؟! فهذا الكتاب مهيمن على جميع ما في الكتب السابقة، شاملٌ لما فيها : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

والمؤمن بالتدبر والتفكر يترقى في درجات الإيمان، فالإنسان قبل أن تُنفخ فيه الروح كان مواتًا، فلما نُفخت فيه الروح؛ صار حيًّا حياةً جسمانية، ثم أكرمه ربه ، ونفخ فيه روح الإيمان؛ فشهد لربه بالوحدانية، وأقر له بالربوبية، فأبصر قلبه بعد العمى، وسمع بعد الصمم، وتكلم بعد البكم، واهتدى بعد الضلال : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ثم لا يزال المؤمن يترقى في درجات العلم والإيمان فيمتلئ قلبه بنور الإيمان الذي يفرق به بين الملك والعبيد، والخالق والمخاليق، والصور والمصور، والحق والباطل، والمحكم والمتشابه، ويمشي بنور إيمانه في الظلمات كما يمشي البصير في ضياء الشمس لا يتعثر، فلابد لكل إنسان من نفخة الرسول الملكي لتدب فيه الحياة، بعد أربعة أشهر، ولابد له كذلك من نفخة الرسول البشري، لتحصل له الهداية إلى الإيمان : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

ثم هذا المؤمن يكمل تصديقه بما لم تره عيناه ، ويتحقق له إيمانه بما لم تسمعه أذناه، ويصل عالم الظاهر بالباطن، وعالم الشهادة بالغيب.

- **فيجتمع له نوران:**

نور البصر .. ونور البصيرة.

بنور البصر يرى الأشياء، وبنور البصيرة يرى الحقائق، ويخترق المخلوقات إلى خالقها، ويتجاوز الصور إلى المصور، ويتجاوز الدنيا إلى الآخرة، فيجتمع له نوران:

نور البصر الذي يرى به الأشياء، ونور البصيرة، ونور العقل، ونور الوحي، ويصل إلى ربه من باب علمه وفكره وخلقه: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤].

فإذا نظرنا إلى السموات والأرض؛ نرى عظمة الملك ، وعظمة الخلق ، وعظمة التدبير والتصريف، فنعلم بذلك أن لهذا الخلق خالقاً، فنطلب ماذا يرضيه ، ما هي أوامره، فنتعرف عليها، ثم نعبده بمقتضاها : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

فلا إله إلا الله ليس في الدنيا إلا جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الأخرة، وهذه الدروس، وهذه المجالس التي منّ الله ﷻ علينا بها؛ هي مجالس لإحياء الإيمان في القلوب، والتعريف بالخالق جل جلاله، وما يجب له من التوحيد ، والتعظيم ، والتكبير، والتسبيح، والتقديس، وبحسب المعرفة تكون قوة الإيمان، وبحسب الإيمان تكون قوة الأعمال، وبحسب الأعمال يكون الجزاء بالثواب والعقاب : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

فبهذه المعارف يترقى الإنسان، فيجتمع له نور البصر ، ونور البصيرة، ونور العقل الذي

يعقل به الأشياء، ونور الوحي، ويصل إلى ربه من باب علمه وفكره وخلقه:﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٢].

يتفكر الإنسان:﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)﴾[الغاشية/ ١٧-٢٠].

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨)﴾[عبس/ ٢٤-٢٨].

إن النظر والتدبر هو باب الإيمان الأعظم، ومفتاحه الأكبر:﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨)﴾[ق/ ٦-٨].

حتى نعرف العزيز، الجبار، المتكبر، المهيمن، القوي، القادر، الرزاق، العليم، اللطيف، الكريم، الحليم، نتعرف على ربنا من خلال أسمائه وصفاته، من خلال أسمائه وصفاته التي أظهرها الله ﷻ في ملكه العظيم، وكشفها في كتابه الكريم .

فالله أودع أسماءه وصفاته في جميع مخلوقاته؛ حتى ننظر في الملك والملكوت، ونتعرف على الخالق القوي ، العليم ، الخبير، الله ، الرب ، وكشفها في كتابه الكريم القرآن العظيم نجد كثيراً من أسماء الله الحسنى كالعزيز، الحكيم، اللطيف، العفو، الرحمن، الرحيم، الخالق، البارئ، وهكذا.

واعلم بأن من أراد الله كماله لصلاحيته للجمال؛ ناطقه روح القدس بالحق، وتنزلت عليه الملائكة بالروح من أمره بالصدق، ثم أيده ربه المهيمن بروح القدرة؛ فخُرقت له العادات، وظهرت على يديه أنواع المعجزات والكرامات، كما حصل للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم .

فالمؤمن يدعو ربه ويتكلم مع ربه، ويعلم أن ربه جل جلاله يسمعه ويراه ، وقادرٌ على قضاء حاجته، ويحب قضاء حاجته، وهو أرحم بالعبد من نفسه، يدعو متيقناً بهذه الصفات القلبية : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)﴾[الأنبياء/ ٨٧].

فورًا استجاب الله دعاءه فقال : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنبياء/ ٨٨].

فلندع الله باليقين، ولنتعبد له جل جلاله بأسمائه وصفاته، فنطلب العزة من العزيز، ونطلب الشفاء من الشافي، ونطلب الرزق من الرزاق وهكذا : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف/ ١٨٠].

فابن آدم يشترك مع البهائم في المأكولات والمشروبات، ويشترك مع الكفار في المعلومات والمعقولات، ويشترك مع الملائكة في الإيمان والتصديق، وكمال ابن آدم بالإيمان والتقوى؛ ولهذا الأنبياء لم يعطهم الله إلا الإيمان والأعمال، أما الأسباب فأُعطوا منها بقدر الحاجة : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[ الأنبياء: ٨٩ – ٩٠ ] .

وكمال ابن آدم في الدنيا هو أن يكون في قلبه الإيمان الذي يربطه بالمؤمن الذي يؤمنه من كل شر ، ويؤمن له حاجاته، يربطه بالقوي الذي يُعينه ، ويتوكل على ربه القادر على كل شيء، ويتخذه وكيلًا وكفى بالله وكيلًا جل جلاله، وهذا كمال ابن آدم في الدنيا، وهو خاص بالأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله ﷻ، واجتباهم ، وخصهم من بين الخلق بالوحي والرسالة، وكمال الإيمان واليقين، فصدقوا، وبلغوا، واتقوا وأحسنوا ، ثم من آمن بهم .

- **وهؤلاء الأنبياء والرسل الله ﷻ أمرهم بأمرين:**

العبادة .. والدعوة.

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[الأحزاب/ ٣٩-٤٠].

إذا عرفنا أن الله عليم، هبناه أن نعصيه، إذا عرفنا أنه عليم عبدناه كأننا نراه، إذا عرفنا أنه عليم، استحيينا أن نسكن في مُلكه ونعصيه بنعمه .

فسبحان المؤمن المهيمن الذي خلق عالم الإنسان وهيمن على ظاهر وباطن كل فرد فيه،

من كان وحيث كان: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

ثم الله ﷻ بعد استكمال المؤمن بهذه الصفات الإيمانية، يبعث الله ﷻ الناس يوم القيامة للحساب والجزاء، ويحشر المؤمنين إليه في أحسن صورة؛ كما عملوا بأحسن دين، وقالوا أحسن الأقوال، وعملوا أحسن الأعمال، وتخلقوا بأحسن الأخلاق: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦﴾ [مريم: ٨٥-٨٦].

ولهم أحسن المنازل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس: ٢٦].

ويجملهم في أبدانهم؛ لأنهم أطاعوا الجميل في الدنيا؛ فجملهم بالإيمان والأعمال في الدنيا، ويوم القيامة لهم جمال آخر، كما قال النبي ﷺ: «**أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسُدَ**» متفق عليه(١).

ثم ينال المؤمن يوم القيامة جزاء عمله؛ فيكون ثواب أول درجات الإيمان، أن يرى المؤمن ربه عيانًا ويكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، ويجمع له ربه الكريم بأول نظرة إلى وجهه الكريم، كل نعيم أوجده للمؤمنين في تلك الدار، ثم يزيدهم من النعيم بما لا يخطر على قلب بشر، ثم يحل عليهم رضوانه؛ فلا يسخط عليهم أبدًا: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾ [مريم/ ٦٣].

ومن رأى ربه في الدنيا بقلبه؛ فآمن وعمل صالحًا، وعبد الله كأنه يراه؛ رآه يوم القيامة ببصره: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

ثم يكمل النعيم والسرور في الجنة برضوان الرب على كل من أرضاه في الدنيا وآمن به: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

ثم يصعد كل مؤمن بعمله في درجات الجنة؛ فالمؤمنون يدخلون الجنة برحمة الله، لكن يقتسمونها بأعمالهم؛ فدرجاتهم حسب أعمالهم: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف/ ١٩].

ثم يصعد كل مؤمن ومؤمنة بعمله في درجات الجنة، وهي منازل الأنبياء والمرسلين، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين، والعلماء ، والمجاهدين، لكل درجته حسب صعوده في درجات الإيمان والأعمال في الدنيا: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء/ ٢١].

فما أعظم الإيمان ، وما أحسن ثمرته : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

فسبحان الملك الحق الذي ملك فرحم، وعز فقهر، وحكم فعدل، المحيط بكل شيء، العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، المهيمن على كل شيء: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

سميًّا في الخلق والإيجاد؟ سميًّا في الأسماء والصفات؟ سمياً في العلم والقدرة ؟ سمياً في الرحمة والإحسان ؟ سميًّا في الحُكم؟ سميًّا في الثواب والعقاب؟ لا تعلم له سميًّا ، بل هو الله الواحد القهار، هو الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد ، ولا يحتاج إلى أحد، الغني عن كل أحد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

وسبحان مالك الملك، وخالق الخلق، ومدبر الأمر، ما أعظم شأنه، وما أعز سلطانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك/ ١-٢].

دائمًا الله ﷻ للترغيب والترهيب يذكرنا بصفات الجلال ، وبصفات الجمال، فالعزيز صفة جلال، والغفور صفة جمال : ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة: ٩٨] .

هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، اختص بالكمال والجلال والجمال، وفطر عباده على الضعف والنقص والعيب والجهل؛ ليتوجهوا إلى ربهم في إكمال صفاتهم على قدر شأنهم، من رحمة الله ﷻ أن خلق هذا الإنسان ضعيفاً وناقصاً ، وفيه العيب والجهل؛ ليتوجه إلى ربه في إكمال صفاته ، لكن على قدر شأنه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر/ ١٥].

ضعيف .. فقير .. عاجز .. محتاج.

ضعيف محتاج إلى القوي، فقير محتاج إلى الغني، عاجز محتاج إلى القادر، صغير محتاج إلى الكبير الصمد الذي عنده خزائن كل شيء، فالإنسان الله ﷻ فطره على هذه الأمور؛ ليسأل ربه، ويتوجه إليه في قضاء حوائجه .

قال الله ﷻ في الحديث القدسي : «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي .**

**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ .**

**يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**» أخرجه مسلم(١).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

فكلنا فقراء، وكلنا ضعفاء، وكلنا محتاج إلى الملك الغني القادر، العزيز الجبار المتكبر .

الله ﷻ هو المؤمن المهيمن على جميع المخلوقات بالتدبير والتصريف في ملكه العظيم، المهيمن على المناهج والأحكام التي تحكم حياة البشر في كل حال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف/ ٤٠]. ولكن أكثر الخلق لا يدرسون المقرر والمنهج الإلهي؛ ولا يعملون به بل درسوا غيره، وأقاموا حياتهم على المنهج البشري فضلوا وأضلوا، وفسدوا وأفسدوا، وانقلبت حياتهم إلى حياة الجاهلية، حيث قل العلم الإلهي، وفشت فيهم عصبية الجاهلية، وظلم الجاهلية، وانتشر فيهم الشرك بعد التوحيد، والكفر بعد الإيمان، والجهل بدل العلم، والفرقة بدل الوحدة ، والظلم والطغيان بدل العدل والإحسان: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٧ ] .

هو سبحانه المهيمن الذي بيده الخلق والأمر .

له الأوامر الملكية في ملكه بالخلق، والتدبير، والتصريف، أمر الأمطار بيده، أمر الرياح بيده، أمر البحار بيده، أمر الجبال بيده، أمر الملائكة بيده، أمر الجن بيده، أمر البشر بيده، أمر جميع من في البحر بيده: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

هو سبحانه المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، المهيمن القادر القاهر الذي خلق المخلوقات بقدرته، ودبرها بمشيئته، وأمسكها بقوته، وقهرها بجبروته، هذا هو الإله الذي يستحق أن يُعبد ، وأن يُشكر، وأن يعظم، وأن يُدعى ، وأن يُسأل : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فهو جل جلاله ذو العزة والجبروت ، والكبرياء والعظمة، خضعت لعظمته الرقاب، وتصاغرت لكبريائه المخلوقات، وذلت لعزته جميع مخلوقاته : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣].

هو سبحانه الرحمن الرحيم الذي هيمنته مقرونة برحمته وعدله وإحسانه؛ فلا يُنقص الطائع من ثوابه؛ لأنه عدل جل جلاله، بل يزيده ويضاعفه له، ولا يزيد العاصي عقابًا على ما يستحقه؛ لأنه غني عن طاعات الطائعين، ولا تضره ، معصية العاصين : ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾[العنكبوت/ ٦] .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠].

هو سبحانه الملك الحق المهيمن على خلقه، له وحده الإرادة الكونية، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وله وحده الإرادة الشرعية؛ يأمر عباده بما شاء، وما شاء ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [ يوسف: ٤٠ ] .

فله جل جلاله الإرادة الكونية، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد، من خلقٍ وتدبيرٍ وتصريف، في كل ثانية تصدر من الله ﷻ الأوامر الملكية بالمليارات، بالإحياء والإماتة، والعزة، والذلة، والتدبير، والتصريف، والتغيير في هذا الملك العظيم، كم نبتة في العالم، وكم حركة كل مخلوق في العالم؟ كلها مقيدة بالإرادة الكونية : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [ الأعراف: ٥٤ ] .

فالله ﷻ لا يقع في ملكه إلا ما يريد، ولو لم يرده لم يقع، فما أراده وقع ، وما لم يرده لا يقع مهما كان، وما وقع قد أراده الله ، ولكن الذي يقع إن وقع من الناس على وفق ما يحبه الله ويرضاه ، فهذا محبوب له، وإن وقع على خلاف ما يحبه ويرضاه، فقد أذن به ولم يأمر به، وأراده كونًا لا شرعًا؛ فالله أراد كونًا كفر الكافر، لكن لم يرده شرعًا، لكن الله ﷻ أراده كونًا؛ فكفر الكفار ومعصية العصاة كلهم، وكل أعمالهم بإذنه وإرادته: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [ الأنعام: ١١٢ ] .

فالله خيرهم فاختاروا ما يُسخطه على ما يحبه، فكفروا به وعصوه، والمؤمن اختار ما يحبه ويرضاه فآمن به وأطاعه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ التكوير: ٢٧ – ٢٩ ] .

فبالإرادة الكونية ظهرت ربوبيته، بالإرادة الكونية الله خلق السماوات، وخلق الأرض، والجبال، والبحار، والأنهار وغيرها من المخلوقات ، بإرادته الكونية ظهرت ربوبيته، وأنه رب يستحق أن يُعبد؛ لأنه الذي يربيني وهو رب العالمين، وبالإرادة الشرعية ظهرت حكمته؛ أن أمرنا بالمحاسن ، ونهانا عن القبائح، أمرنا بكل خير ، ونهانا عن كل شر، بإرادته الشرعية ظهرت حكمته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه؛ هو بيده التصريف والتدبير، وبيده جميع الأوامر، وله الملك، وله التدبير في ملكه:﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[آل عمران/ ٢٦].

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [ النساء: ٢٧ – ٢٨ ] .

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[البقرة/ ١٨٥].

فالله ﷻ هو المؤمن المهيمن على الكون وما فيه، المهيمن على المكان والزمان، وكل ذرة فيهما، المكان ظرف، والزمان ظرف، المكان ظرفٌ للأشياء من الجبال والبحار والمخلوقات، والزمان ظرفٌ للأعمال، ظرفٌ للأعمال الصالحة ، والأعمال السيئة، وهذا وهذا شاهدٌ على الإنسان يوم القيامة : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [ النور: ٢٤ – ٢٥ ] .

فالله ﷻ هو المهيمن على الكون وما فيه، المهيمن على المكان والزمان، وكل ذرة فيهما، مهيمن على الشمس فلا تجري إلا بأمره:﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يس/ ٤٠].

هو المهيمن على الرياح فلا تهب إلا بأمره، قوة الرياح، سرعة الرياح، اتجاه الرياح ، بيده

وحده، فالله ﷻ مهيمن على الرياح، مهيمنٌ عل قوتها، مهيمنٌ على سرعتها، مهيمنٌ على وجهتها، مهيمنٌ على حرارتها وبرودتها ، ونفعها وضرها؛ فإن شاء أجرى بها السفن، وإن شاء دمر بها، وإن شاء جعلها تنفع النبات : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾[الأعراف/ ٥٧].

فهو سبحانه المهيمن على الكون وما فيه، مهيمن على المياه؛ فلا تنزل من السماء إلا بأمره، جميع المياه هو المهيمن عليها، هو الذي يُنزلها، وهو الذي يفرقها، وهو الذي يسقي بها الإنس والحيوان، ويُنبت بها النبات، مهيمن على الذرات فلا تتحرك ولا تسكن إلا بأمره : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾[الأنعام: ٣٨-٣٩] .

كم ذرات العالم؟ كم ذرات الغرفة التي نحن فيها الآن؟ وكم ذرات البيت؟ وكم ذرات المدينة التي نحن فيها؟ وكم ذرات البلد الذي نحن فيه؟ وكم ذرات قارة آسيا وإفريقيا والقارات الخمس؟ وكم الذرات الموجودة في الفضاء من الهباءات؟ وكم ذرات السماوات والأرض وما بينهما، وكم ذرات الكرسي؟ وكم ذرات العرش؟ هذه الذرات العظيمة لها أمر من الله بالإيجاد، وأمر بالبقاء، وأمر بالنفع والضر وكل ذرة تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته ، وتخضع لأمره : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء: ٤٣-٤٤] .

هو سبحانه المهيمن على الأرض، فلا تُنبت شيئًا ولا نباتًا إلا بأمره، المهيمنُ على البحار فلا تفعل شيئًا إلا بأمره، المهيمنُ على الأنهار؛ فلا تجري إلا بأمره ، المهيمن على الشمس والقمر والنجوم فلا تسير ولا تقف إلا بأمره : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف/ ٥٤].

فله الخلق والأمر وحده لا شريك له، هو سبحانه المؤمن المهيمن على الإنسان، حياة الإنسان بيده، موت الإنسان بيده، صحته بيده، رزقه بيده، هدايته بيده، أعضاؤه بيده، الله ﷻ هو مالك كل شيء، مهيمنٌ على الإنسان ، وعلى جوارح الإنسان، مهيمنٌ على لسانه؛ فلا يتكلم إلا بإذنه، مهيمنٌ على بصره؛ فلا يرى إلا بإذنه، مهيمنٌ على بدنه فلا يتحرك إلا بإذنه، مهيمنٌ على مشاعره فلا يضحك أو يبكي إلا بإذنه: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ۝٤٤﴾ [النجم/ ٤٣-٤٤].

لكن الله خيره في حياته: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان/ ٢-٣].

فهو جل جلاله مهيمنٌ على جميع المخلوقات، وجميع المخلوقات كمخلوقٍ واحد، بل كذرة واحدة في قبضته: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

هو سبحانه المؤمن المهيمن الذي بيده مقاليد الأمور كلها، له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله ما بين السموات والأرض ، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض ، وله مقاليد السموات والأرض ، وله ميراث السموات والأرض : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك/ ١].

ننظر إلى عظمة ملكه ، وهيمنته على جميع ملكه ومن في ملكه، هذه المخلوقات العظيمة ، لابد للقلب أن يعرف هذه الأمور؛ حتى يعرف أنه عبد للملك العظيم جل جلاله : ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ۝١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠].

هو سبحانه المؤمن المهيمن على جميع العطايا والصفات : ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ۝١٧﴾ [الكهف: ١٧].

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، يا أرحم الرحمين، يا ذا الجلال والإكرام.

هو سبحانه المؤمن المهيمن، القادر على كل شيء، المهيمن الذي لا يُعجزه شيء، يفعل

بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب .

يفعل بالأسباب كما يُنزل الماء من السماء على الأرض فتُنبت من كل زوج بهيج، وكما يحصل الولد بعد النكاح، أو كما يتكلم اللسان في هذا الفم المجوف؛ فيفعل وحده بالأسباب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

فالله ﷻ يفعل بالأسباب، وبدون الأسباب: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس/ ٨٢].

ويفعل بضد الأسباب، فيُنجي بأسباب الهلاك، ويُهلك بأسباب النجاة، دمر فرعون مع ملكه وماله، ودمر قارون مع ماله : ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥﴾ [ الزخرف: ٥٥ ] .

وأنجى وليه إبراهيم ﷺ بالنار المحرقة : ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء/ ٦٩] .

# التعبد لله عَزَّوَجَلَّ باسمه المهيمن

الله عَزَّوَجَلَّ هو المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، لا إله غيره ، ولا رب سواه، فكيف نتعبد لله عَزَّوَجَلَّ بهذا الاسم الكريم؟

الله عَزَّوَجَلَّ هو الكريم ، ويريد من عباده أن يكونوا كرماء، وهو الرحمن، ويريد من عباده أن يكونوا رحماء، وهكذا نتخلق بهذه الأسماء.

فكيف نتعبد لله باسمه المهيمن جل جلاله؟ الله عَزَّوَجَلَّ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن على جميع مخلوقاته، العالي عليها، المتصرف فيها، والله عَزَّوَجَلَّ له تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها دخل الجنة، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»متفق عليه[1].

فلنحصها عددًا، ولنتخلق بها صفة ، وليكن لنا حظ بحسن التعبد لله بها ، فكيف نتعرف على اسم ربنا المهيمن ، ونتعبد لله عَزَّوَجَلَّ به .

وإحصاء الأسماء فهمها ، وعبادة الله بها، وأن يكون لنا نصيبنا منها، ومن لم يكن له نصيب من كل اسم فما أحصاه: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾**﴾[الأعراف/ ١٨٠].

الله عَزَّوَجَلَّ هو المهيمن الأكبر، هو المهيمن الأعلى، هو المهيمن الأول، وأنت أيها المخلوق أنت المهيمن الأدنى، وحظك من هذا الاسم أن تهيمن على نفسك بالإيمان، وتطهر قلبك مما سوى الله، وتطهر جوارحك من المعاصي، وتطهر عقلك من كل عقيدة زائفة، وتستقيم على أوامر الله، وتدعو إلى الله، وتعلم شرعه : ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾**﴾ [الشمس: ٧ – ١٠ ].

وتُحسن إلى الناس، وتُصلح ذات بينهم: ﴿**لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾**﴾[النساء/ ١١٤].

وراقب الله في جميع أحوالك؛ فإنه يراك أيها العبد ويسمعك؛ فلا تؤذ أحدًا، واستحِ من الله أن تعصه بنعمه، وراقب الله في جميع أحوالك؛ فإنه مهيمن محيط بسمعه وبصره

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢)واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

بجميع مخلوقاته : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس/ ٦١].

ومن عرف أن ربه هو القوي توكل عليه وحده ، ومن عرف أنه الغني سأله وحده ومن عرف أنه الرقيب ، استحي من معصيته ، ومن عرف أنه السميع البصير لم يفعل ما يغضبه ويسخطه ، ومن عرف أنه الغفور استغفره ، ومن عرف أنه القادر استعان به وحده: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن/ ١٣].

ومن عرف الله أطاعه ولم يعصه ، وكبره وعظمه ، وحمده وشكره : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾

[ محمد: ١٩ ] .

فلكي تتعلم لابد أن تقرأ وتتدبر ، وتحضر مجالس العلم، ولكي تُصلح كل اعوجاج لابد أن تكون لك إرادة قوية، ولكي تستقيم لابد من التحلي بالصدق والصبر، والاستعانة بالله، والانقطاع عن مجالس الغفلة وبهذا تنتفع من اسمه المهيمن، فتهيمن على قلبك بكمال الإيمان واليقين، بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات القرآنية: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء/ ٨٢].

وتهيمن على جوارحك بكمال التقوى، وتهيمن على نفسك بحملها على طاعة الله وكفها عن معصية الله: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[هود/ ١١٢-١١٣].

هو جل جلاله الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا، هو الملك العزيز فذل له، هو الجبار فاخضع لجبروته، هو الكريم فاحمده، هو المحسن فاشكره، هو الرحمن؛ فتعرض لرحمته، هو الغفار فاستغفره فإنه غفور رحيم يغفر الذنوب جميعًا : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ

هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر/ ٥٣].

وعليك بطاعة الذي خلقك، ورزقك وهداك ولا يصرفنك ما أعطاك من النعم عنه فتخسر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[الانفطار/ ٦-٨].

قف أيها العبد بباب ربك الغني القادر، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن؛ قف بابه؛ فخزائن جميع ما تريد عنده، واسأله سؤال الأنبياء، من طلب الهداية، فأعظم سؤال في القرآن هو سؤال الهداية، وهو أول سؤال ، وأعظم سؤال، فسؤال الأنبياء طلب الهداية، ورضوان الرب، والجنة، وطلب العفو ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف/ ٢٣].

وفي سورة الفاتحة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[الفاتحة: ٦ – ٧].

فبعد التمجيد والتعظيم لله جاء طلب الهداية : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٦].

قف أيها العبد الفقير بباب ربك الغني القادر، واسأله ما شئت، والزم باب العبودية، وأحسن الانقياد لمولاك المؤمن المهيمن، وداوم الخضوع له، والانكسار بين يديه، وحُسن التواضع له ، تعظيمًا له وذلًا له ، وحياءً منه ، ومحبةً له : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٥ – ١٧].

واحذر الكبر، والتجبر، والعلو؛ فإنك لا تستحقه، بل لا يليق بك ، فضلًا عن أن تطلبه، بل ذلك كله لربك، العزيز الجبار المتكبر، المحمود على أسمائه الحسنى ، العلا : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فالتعبد لله ﷻ بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا، هو المقصود من معرفة الأسماء الحسنى ، والصفات العلا لله ﷻ ، فكيف نتعبد لربنا ﷻ؟ .

من عرف ربه باسمه المهيمن عظمه وكبره وأحبه وشكره؛ لأنه يعلم أنه مهيمنٌ على جميع المخلوقات، مهيمنٌ على الكون كله؛ فإذا عرف المهيمن، عظمه في قلبه، وكبره وأحبه وشكره، لما يراه من نعمه وإحسانه، وتقرب إليه بأنواع الطاعات، تعبدًا له ، وتعظيمًا لشأنه وشكرًا على إحسانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢].

ومن عرف الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، العزيز الجبار المتكبر؛ توكل عليه وحده، وفوض أموره كلها إليه: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر/ ٦٥].

هو الحي بصفات الكمال، حيٌ بالسمع الكامل، بالبصر الكامل، بالعلم الكامل ، بالقوة الكاملة، بالرحمة الكاملة، بالعفو الكامل، بالعزة الكاملة، بالكبرياء الكامل: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر/ ٦٥].

فأنتم بحاجة إليه؛ لأنه هو الغني عن كل ما سواه : ﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر/ ٦٥].

فاحمدوه على قضاء حاجاتكم وحده : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر/ ٦٥].

ومن عرف ربه المهيمن عظمه وكبره ، وخضع له ، وانكسر بين يديه؛ لأنه بحسب المعرفة يكون القنوت، يكون الانكسار، يكون التضرع، الصغير إذا عرف الكبير أجله وكبره واحترمه وأطاعه؛ فالله ﷻ هو الكبير المتعال، هو الغني، هو الرزاق، هو الكريم، هو الرحمن، هو الخالق، هو الرازق، فمن عرف ربه المهيمن عظمه وكبره ، وخضع له، وانكسر بين يديه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

ومن عرف ربه باسمه المهيمن خاف منه ، واستحيا منه، وراقبه في جميع أحواله، وبادر إلى فعل ما يحبه، وابتعد عن كل ما يُسخطه : ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر: ٩].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

لماذا؟ لأنهم عرفوا الله عَجَلَّ بأسمائه وصفاته، وأفعاله، بعد المعرفة يكون العمل ، والعمل عمل القلب من التعظيم، والتكبير، والحب لله عَجَلَّ، وعمل الجوارح: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة/ ١٦-١٧].

ومن عرف ربه المهيمن توكل عليه وحده ، ولم يبال بقوة من سواه ، مع الأخذ بالأسباب الدافعة لشر الأعداء : ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولكن الناصر واحد، وهو خير الناصرين، فالنصر من الله: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾[الأنفال/ ٤٠].

وفعل الأسباب مطلوب شرعًا، فالله أمرنا بفعل الأسباب الموصلة للجنة، وأمرنا بفعل الأسباب التي نعيش بها في هذه الحياة الدنيا، فنحن نفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا، فيتوكل المؤمن على ربه، مع الأخذ بالأسباب الدافعة لشرور الأعداء؛ لأن الله محيط بهم مهيمنٌ عليهم: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾[آل عمران/ ١٢٠].

وهو المحيط بكل محيط، ولا يحيط به محيط، والخلق كلهم كذرة في قبضته جل جلاله، في قبضة القوي، في قبضة القادر، في قبضة العليم، في قبضة الجبار، في قبضة المهيمن، فماذا يكون الخلق؟ وماذا يفعل الخلق إذا كانوا كالذرة في يد الجبار جل جلاله؟ : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

ومن عرف ربه المهيمن ابتعد عن ظلم العباد، وأكل حقوقهم؛ لأنه يعلم أن المهيمن سبحانه عليمٌ بكل شيء، قادرٌ على كل شيء، وسوف يحاسبه على كل شيء: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[الغاشية/ ٢٥-٢٦].

فإذا عرفنا العزيز ، والملك، والمهيمن عبدناه بموجب هذه الصفات: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة: ٩٨].

الله ﷻ مهيمن على الأحياء والأموات، وسوف يدعو جميع الخلق للبعث والحساب والجزاء: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٤٧].

وحظ العبد المؤمن من هذا الاسم الكريم أن يهيمن على نفسه، ويحملها على طاعة الله، ويكفها عن معصية الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٢].

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧ – ١٠].

وأن يهيمن على لسانه؛ فيستعمله فيما يحب ربه ويرضاه، من ذكر ربه، وحمده، وتمجيده، واستغفاره، وتلاوة كتابه، والدعوة إلى دينه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه؛ يكون له هيمنه على لسانه، لا يتركه يفلت في الغيبة والنميمة، والقيل والقال، وشهادة الزور؛ بل يكون له هيمنة على لسانه، يذكر به ربه تارة، وتارة يحمده، ويمجده، ويتلوا كتابه، وتارةً يدعو إلى دينه، وتارةً يعلم شرعه، وتارةً يُحسن إلى خلقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٠-٧١].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة/ ٨٣].

ويهيمن الإنسان على أهله ومن تحت يده؛ فيدلهم على الخيرات، ويرغِّبهم في الطاعات، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم/ ٦].

فالمؤمن عبد للرب المهيمن جل جلاله، والإنسان مهيمنٌ على جوارحه، والإنسان مسئول عن جوارحه، ماذا قال؟ وماذا عمل؟ وماذا سمع؟ وماذا رأى؟ وماذا عمل

بجوارحه ولسانه وبدنه؟ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء/ ٣٦].

وإذا كان الله ﷻ هو المهمين، العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء، المالك لكل شيء، الذي هيمنته مقرونةٌ برحمته ولطفه، إذا كانت هذه صفاته ألا يخطب الإنسان وده؟ ويطيعه؟ ألا تجب طاعته؟ ألا يستحي الإنسان من ربه وهو يعصيه؟ ألا يستحي العبد من ربه ﷻ أن يسكن في ملكه ، ويأكل من رزقه ، ويعصيه بنعمه أمام خلقه!؟ يجب على الإنسان أن يستحضر عظمة ربه، الذي له الملك كله ، وبيده الأمر كله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴿٤﴾﴾ [يونس/ ٣-٤].

لماذا؟ ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس/ ٤].

فالقلب إذا عرف ربه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا؛ توجه إليه بالعبادة التي يحبها ربه، ويرضاها جل جلاله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [ الأنبياء: ٩٠ ] .

الله ﷻ هو المهيمن، وعبد المهيمن منصورٌ ، ومحفوظٌ ، وسعيدٌ ، ومطمئن، والذي لا يؤمن بربه المهيمن له الذلة ، والضنك ، والمشقة ، والتعب ، والنار يوم القيامة : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

فسبحان المؤمن المهيمن الذي يؤمن غيره؛ لأنه المهيمن على الأمن السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والصحي، وغيرها من أنواع الأمن، كما قال الله ﷻ عن موسى وهارون لما ذهبا إلى فرعون : ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه/ ٤٦].

هو المهيمن على جميع الملوك والممالك، وعلى جميع الأشخاص والذوات، فالله مهيمنٌ رقيبٌ وشهيد، ومحيط بالعالمين، ومهيمن بقدرته على الخلق أجمعين، وهو على كل شيء

قدير: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾[هود/ ٥٦].
فالمهيمن الحق من له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا، فاطلب العلم لتهيمن به على الناس، وتنفعهم به، ابتغاء مرضاة الله، وتخلق بالأخلاق الحسنة، لتكون قدوة للناس، ويؤمن الناس برب الناس، بسبب حُسن أخلاقك، صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، وهيمن على قلوب الناس بحسن الأخلاق لتجذب الناس إلى أن يعبدوا ربهم : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف/ ١٩٩].
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾[القلم/ ٤].
ومعرفة الله يجب أن تسبق معرفة أحكامه، لتأتي العبادة بكمال الحب ، والتعظيم، والذل لله ﷻ؛ فنعرف المعبود أولًا، لتسهل العبادة ثانيًا كما قال لقمان لابنه:﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾[لقمان/ ١٦-١٧].
فسبحان المهيمن الذي هيمن برحمته على جميع مخلوقاته في الدنيا والآخرة : ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].
وسوف يسأل كل من عاش في رحمته ونعمه ولم يشكرها:﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾[التكاثر/ ١-٨].
وقال ﷻ:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾[الحجر/ ٩٢-٩٣].
المؤمن حقًا من هيمن على أوقاته فملأها بما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الصالحة تعبدًا ، ودعوةً ، وتعليمًا ، وإحسانًا إلى الخلق:﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾[الأنعام/ ١٦١-١٦٣].
المؤمن حقًا من هيمن على جوارحه، فسخرها في طاعة مولاه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٢].

المؤمن حقًّا من هيمن على أمواله، فلم يصرفها إلا في وجوه البر والإحسان، وما يُرضي الرحمن من النفقة على النفس، وعلى الأهل، والإنفاق في سبيل الله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾ [البقرة/ ٢٧٤].

المؤمن حقًّا من أمنه الناس، وسلم المسلمون من لسانه ويده، وحفظ لسانه من كل سوء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات/ ١١].

المؤمن حقًّا من هيمن على الناس بحسن الخلق؛ فأحبوه وأحبوا الدين الذي اتبعه، وأحبوا الرسول الذي جاء به، وأحبوا الرب الذي خلقه وهداه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم/ ٤].

فالدين ركنان ، عبادة الحق ، والإحسان إلى الخلق : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٦].

وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق؛ بل الدين كله هو الخلق .

قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» **وَفِي رِوَايَةٍ:** «**مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**» أخرجه أحمد والبيهقي[1].

فحُسن الخلق أثقل شيء في ميزان العبد، حُسن الخلق صبغة، رتب الله ﷻ على هذه

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩)، وأخرجه البيهقي برقم (٢٠٥٧١).

الصبغة وهذه الأخلاق العالية الأجر العظيم : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴾ [ الأحزاب: ٣٥ ] .

فقيمة الإنسان بصفاته لا بذاته، وأعظم الصفات هي هذه الصفات العشر التي ذكرها من الإسلام والإيمان والصدق وغيرها، وثوابها الأجر العظيم من ربنا جل جلاله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٧٢) ﴾ [ التوبة: ٧٢ ] .

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا فهم هذه الأسماء وإحصاءها، والتخلق بها، وأن يكون لنا حظ من كل اسم من أسماء ربنا الحسنى؛ فالله يحب أسماءه الحسنى، ويحب من اتصف بها: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) ﴾ [الفرقان/ ٧٤].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٢٣) ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ (٨) ﴾ [ آل عمران: ٨ ] .

اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم .

اللهم بيدك الملك كله، ولك الحمد كله، ومنك الفضل كله ، وإليك يرجع الأمر كله، وأنت الله الرءوف الرحيم، أسألك الجنة وما قرب إليها من قولٍ وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قولٍ وعمل .

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك .

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

## إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# اســــم الله

# العزيز

# اسم الله العزيز

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الاعلى في السموات والأرض: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[الروم: ٢٧].

الله ﷻ هو الملك الحق الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، وهو العزيز في ملكه وسلطانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨].

الله ﷻ هو العزيز الجبار الغالب لكل شيء، القاهر لكل شيء، القادر على كل شيء، الخالق لكل شيء، الغني الذي له كل شيء: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾[الحج/ ٧٤].

واسم الله العزيز من أسماء الله الحسنى، ومن أسماء الله العظيمة في كتاب الله ﷻ، فقد ورد كثيرًا في القرآن العظيم، وفي السنة النبوية.

الله ﷻ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، هو العزيز الذي يقهر ولا يُقهر، ويغلب ولا يُغلب، العزيز الذي ليس كمثله شيء في عزته، وجلاله وجماله وكمال أسمائه وصفاته، تسبحه جميع مخلوقاته: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾[الجمعة/ ١]. فمن هذه أسماؤه وهذه صفاته؛ فهو جدير بأن يُسبح بحمده، وأن يكبر، وأن يعظم، وأن يستغفر، وأن يُسأل.

هو سبحانه القوي العزيز القادر القاهر الذي قهر كل ما سواه، العزيز المنيع، الذي لا يقهر ولا يغلب، بل هو القاهر والغالب، ولا يقدر أحد على منعه، عزيز في ملكه وسلطانه، عزيز منيع لا يوصل إليه؛ فلا ينال جنابه لكمال عزته وعظمته، وجبروته وكبريائه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية: ٣٦-٣٧].

فاسم الله العزيز من أسماء الله الحسنى العظيمة، وورد في القرآن الكريم أكثر من تسع وثمانين مرة، مقترنًا بأل، ومجردًا من أل، ومرفوعًا ومنصوبًا، ومجرورًا.

وقد ورد اسم الله العزيز مقترنًا بغيره من أسماء الله الحسنى؛ فاقترن اسم الله العزيز مع اسمه الحكيم سبعًا وأربعين مرة، واقترن مع اسم الله ﷻ الرحيم ثلاث عشرة مرة، واقترن مع اسم الله القوي تسع مرات، واقترن مع اسم الله العليم ست مرات، واقترن مع اسمه الحميد ثلاث مرات، واقترن مع اسم الغفار ثلاث مرات، واقترن مع اسم الغفور مرتين، واقترن مع اسم الوهاب مرةً واحدة، واقترن مع اسم الجبار والمهيمن والمقتدر كذلك مرةً واحدة، ولهذا الاقتران أسرار.

فقد فسر اقتران اسم الله العزيز بالحكيم في سبعة وأربعين موضعًا، منها قوله سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾[آل عمران/ ١٨].

بأن العزة والحكمة مصدر الخلق والأمر؛ فخلق الله الكون بقدرته، ودبره بحكمته؛ فمصدر العزة والحكمة مصدر الخلق والأمر، وبهاتين الصفتين يفعل الله ما يشاء، ويأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويعز ويذل، والعزة كمال القدرة، والحكمة كمال العلم: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

فالله حي بكمال الصفات، من العزة، والقوة، والقدرة، والقهر، والعلم، والإحاطة، والملك، والسمع والبصر، فالله حي بصفات الكمال، ومن صفات الكمال العزة، فالعزة كمال القدرة، والله عزيز؛ لأنه القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القاهر لكل شيء.

والحكمة كمال العلم؛ لأن الله حكيم يضع الشيء في موضعه؛ فأفعاله كلها حكمة، وحكمة الله ﷻ مطلقة، مقرونة بالخير المطلق، فكل أفعال الله ﷻ خير، وحكمة ورحمة، ولكنها بالنسبة لنا قد تكون شراً، لأنها قد يكون عقوبة، لكنه ﷻ هو الحكيم العليم الذي يضع الشيء في موضعه.

فعزته سبحانه لكمال قدرته، وكمال حكمته، والجمع بينهما كمال آخر؛ فالعزة كمال، والحكمة كمال، والجمع بينهما كمال آخر للرب ﷻ؛ ولذلك كثيرًا ما يصف الله ﷻ نفسه بالعزيز الحكيم، العزيز الغالب الذي لا يغلب، الذي لا مثيل له، المنيع الذي لا يقدر

أحد على الوصول إليه، ولا رؤيته، ولا الإحاطة به.

فعزته سبحانه مقرونة بالحكمة المطلقة، ليس عزيزًا يستعمل قدرته في الظلم والجور؛ بل هو عزيز وعزته مقرونة بالرحمة، مقرونة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة/ ١١٨].

العزيز الذي لا يغلب، القادر على كل شيء الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه فيعاقب المسيء، ويثيب الطائع، الحكيم الذي أحكم الأمر؛ فأفعاله كلها حكمة؛ وعزته سبحانه مقرونة بالحكمة، فعزته جل جلاله عزة خالق حكيم قادر رحيم، عزته لا تقتضي ظلمًا وجورًا، كما يحصل من عزيز المخلوقين؛ فإن العزيز قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور؛ ولذلك قل أن تجتمع العزة والحكمة في المخلوقين.

فإن أهل العزة من الملوك والرؤساء في الدنيا، يغلب عليهم التعسف والجور في الأحكام، وحكمته سبحانه مقرونة بالعز الكامل، أما المخلوق فعزته يعتريها الذل، عزة المخلوق موهوبة، والموهوب قد يسلب، فليست العزة إلا من العزيز، والرحمة من الرحيم، والرزق من الرزاق، فكل عزة في الكون من الله وحده: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ [يونس: ٦٥].

وكل ما سوى الله ذليل، فعزة المخلوق يعتريها الذل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢٠ - ٢١].

فالعزة بيد العزيز يعز بها من يشاء من عباده: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون/ ٨].

فالله عزيز أعز رسله وأعز أولياءه بعزته؛ لأنه العزيز الذي يملك خزائن العزة، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء؛ لأن بيده الملك جل جلاله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقد اقترن اسم الله العزيز بالقوي سبع مرات، منها قوله سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج/ ٤٠].

وقد ورد معظم هذا الاقتران في مجال الصراع بين الحق والباطل، والسر في ذلك والله أعلم الإشارة إلى أن الله عزيز قادر على كل شيء، عزيز غالب لا يغلب؛ لأنه الملك القادر على كل شيء، الملك ملكه والخلق خلقه، والأمر أمره؛ له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض؛ وله ميراث السموات والأرض: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ١٢٠﴾[المائدة: ١٢٠].

فهو العزيز الذي كل ما في السموات والأرض ملكه، هو العزيز المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، له ملك العالم العلوي، والعالم السفلي.

فالسموات ظرف، والأراضون ظرف، السموات ظرف للملائكة، وما الله عليم به من المخلوقات، السموات ظرف كبير، وما في داخل الظرف الملائكة، والملائكة خلق من خلق الله، لا يستقبلون الأمر إلا من واحد وهو الله ﷻ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ٢٧﴾[الأنبياء: ٢٦ – ٢٧].

السموات خلقها الله ﷻ، وجعلها ظرفًا للملائكة الذين خلقهم الله من نور، فهم على نور، وهم من نور، وأعمالهم كلها نور؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يعظمون العزيز، ويكبرون العزيز جل جلاله، ولا يستكبرون عن عبادة ربهم: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ٢٠﴾[الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

والأرض ظرف كبير وما في داخل الظرف مخلوقات كثيرة لا يحصيها إلا الله، من عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الجن، وعالم الإنس، وعالم الملائكة.

وما في داخل الظرف مخلوقات كثيرة، خص الله من بين هذه المخلوقات الكثيرة هذا الإنسان، الذي يتلقى الأمر أحيانًا من خالقه، وأحيانًا من الشيطان، فهو مخير يتلقى الأمر من هنا ومن هنا؛ ولهذا الله ﷻ أعز هذا الإنسان من أول يوم؛ حتى لا يتصل إلا بالعزيز، ويعرف أنه محتاج للعزيز، فقير إلى العزيز.

فالله ﷻ من بين المخلوقات، خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجده له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، ثم جعله خليفة في الأرض، هذا تكريم من العزيز لهذا

الإنسان:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء: ٧٠].

الله أعز هذا الإنسان، بفضله وكرمه؛ ليكون عزيزًا لا يذل إلا للعزيز، ولا يذل لأحد سواه، ومن عرف العزيز لم يذل نفسه إلا للعزيز، ولم يقف بباب الذليل أبدًا، والله يغار على عبده أن يذل نفسه لغيره:﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٧ – ٢٢٠].

هو عزيز حي بكامل الصفات:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٣ – ٢٤].

ومن اتصل بالعزيز فهو عزيز، ومن اقترن بالذليل فهو ذليل، مهما كان كبيرًا ومهما كان غنيًا.

فاسم الله العزيز لا بد للمسلم أن يتعرف عليه، ليتصل بالعزيز، ويستفيد من خزائن العزيز، ويعرف العزيز، ويعبد العزيز، الذي له العزة والجبروت والملكوت:﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾[الجمعة: ١].

الله جل جلاله عزيز غالب لا يغلب، ولا يغلب جنده، ولا يهزم حزبه،هو القوي العزيز الذي ينصر أنبياءه ودينه والمجاهدين في سبيله:﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾[المجادلة/ ٢١].

قوي لا يقف له أحد، عزيز لا يغلبه غالب، منيع لا يصل إليه أحد، عزيز عنده خزائن العزة، يعز من يشاء ويذل من يشاء، يعز من يشاء بطاعته، ويذل من يشاء بمعصيته: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[الحج: ٤٠].

وقد اقترن اسم الله العزيز مع الرحيم سبع مرات، منها قوله سبحانه في سورة الشعراء بعد بيان حال كل نبي مع قومه:﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[الشعراء/ ٩].

والسر في ذلك للدلالة على أن الله ﷻ مع كونه قويًا عزيزًا، غالبًا قاهرًا لكل شيء؛ فهو رحيم رؤوف، بر محسن، لطيف بعباده، فعزته مقرونة برحمته التي تستلزم إفاضة الخير

والإحسان على خلقه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].
وتكرار اقتران هذين الاسمين في سورة الشعراء ثمان مرات للدلالة على أن ما حصل للمكذبين للرسل من عذاب وهلاك؛ إنما هو مقتضى عزته وقوته، وما حصل من إنجاء رسله وأتباعهم؛ إنما هو مقتضى رحمته ولطفه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٩﴾ [الشعراء/ ٩].
هو العزيز الذي يغلب ما سواه، الرحيم بعباده الذين ينصرون دينه؛ فينصرهم ويحفظهم من أعدائهم.
واقترن اسم الله العزيز مع العليم ست مرات، منها قوله سبحانه: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ [يس/ ٣٨].
والسر في ذلك والله أعلم أنه إشارة إلى أن عزة الله مقرونة بعلمه الشامل لكل شيء، وأن نفوذ عزته جل جلاله، إنما يكون بعلم ومعرفة بمواطنها وعواقبها: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦﴾ [الأنعام/ ٩٦].
أما عزة المخلوق، فتتعلق في الغالب بالهوى وتنطلق غالبًا من الهوى والظلم، لا من العلم والحكمة والرحمة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾ [البقرة: ٢٠٦].
فكل أفعال العزيز صادرة عن قدرة وحكمة وعلم ورحمة: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ [يس/ ٣٧-٤٠].
فسبحان الملك القدوس العزيز الحكيم، العزيز العليم، الذي انقادت له جميع المخلوقات صاغرة ذليلة، انقادت له ذليلةً مسخرةً بأمره، لا تتقدم ولا تتأخر عن أمره: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].
هو العزيز العليم بالظواهر والبواطن، والأوائل والأواخر، العليم بمصالح العباد كلها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[الروم/ ٢٧].

وقد اقترن اسم الله العزيز بالحميد ثلاث مرات، منها قوله سبحانه:﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾[إبراهيم/ ١].

والسر في ذلك: ليدل على أن من سلك صراطه المستقيم، فهو عزيز محمود حسن العاقبة، وأن صراطه المستقيم من أعظم الأدلة على كمال ذاته وأسمائه وصفاته، وأن الذي نصبه لعباده، عزيز في سلطانه، غني عن خلقه، حميد في أقواله وأفعاله وأحكامه، وأن من احتمى بحماه، واهتدى بهداه؛ فلن يستطيع أحد أن يذله أو يضله:﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾[ص/ ٦٦].

فسبحان الرب العزيز الحميد في عزته؛ فهو المحمود على عزته؛ لأنها مقرونة بالرحمة والحكمة واللطف والمغفرة وعظيم العطايا والمواهب:﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾[فاطر: ٢].

واقترن اسمه العزيز باسمه الغفور والغفار كما قال سبحانه:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر/ ٢٨].

وقال سبحانه:﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾[ص/ ٦٦].

هو عزيز منيع غالب لا يغلب، لا مثيل له، ولا شبيه له، العزيز الذي يملك خزائن العزة؛ فمن أعزه الله فهو عزيز، وإن لم يكن بيده شيء، ومن أذله الله فهو ذليل، ولو كان عنده الملك كفرعون، أو المال كقارون، فالله ﷻ عزيز، وخزائن العزة بيده:﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾[يونس/ ٦٤].

هو السميع للأقوال، العليم بالأفعال، فلا تطلبوا العزة إلا من العزيز كما لا تسألوا الرزق إلا من الرزاق، كما لا تطلبوا الشفاء إلا من الشافي:﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾[الذاريات: ٥٠ - ٥١].

هو سبحانه الملك العزيز الرحيم، الذي رحمته ومغفرته وعفوه عن عزة وقدرة، لا عن ضعف وعجز؛ هو ملك قادر قاهر، عزيز لا يغلب، لكنه رحيم غفور ودود لطيف:﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

﴿أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك/ ١-٢].

والله جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وعزته مقرونة بالرحمة، مقرونة بالحكمة، مقرونة بالعلم، مقرونة باللطف، فهو سبحانه المتصف بجميع صفات الكمال وحده لا شريك له؛ فهو الكامل في عزته، الكامل في مغفرته، إذا أعز أعز حيث لا ذلة، وإذا أذل أذل حيث لا عزة، إذا أعز رفع، وإذا أذل خفض، هو الكامل في عزته، الكامل في مغفرته، الكامل في الجمع بين عزته ومغفرته: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

واقترن اسم الله العزيز بالوهاب كما قال سبحانه: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩﴾ [ص/ ٩].

هو عزيز قادر على كل شيء، خلق الأرزاق كلها، وبعزته أوصلها إلى مخلوقاته، في البر والبحر والجو، وما من دابة إلا على الله رزقها: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود: ٦].

فالله ﷻ خلق المخلوقات، وخلق الأقوات والأرزاق، وبعزته خلق، وبعزته رزق، وبعزته أوصل الأرزاق إلى جميع المخلوقين، في كل ثانية يخلق مليارات الأرزاق، ويوصلها إلى مليارات المخلوقين في العالم العلوي، والعالم السفلي، في البر والجو والبحر: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ [يونس: ٣١ - ٣٢].

فاقترن اسم الله العزيز بالوهاب، ليعلم العباد أنه العزيز الذي له التصرف التام في ملكه العظيم، وله التصرف التام في صنوف العطايا والمنن المادية والمعنوية؛ فهو الذي خلق ورزق وهدى، هو الذي أمد المخلوقات بأنواع العطايا والمنن، والأرزاق المادية والمعنوية ولهذا يحمد على نعمه المادية: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام/ ١].

لماذا يعدلون بالله غيره؟ مع أن هؤلاء لم يخلقوا شيئًا، ولم يرزقوا أحدًا. وكذلك أمد عباده من الأرزاق بالرزق الأكبر وهو الهداية، ويحمد على نعمه الدينية كما قال سبحانه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ

لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف/ ١].

ونحمده على نعمه المادية والدينية كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٢ – ٥].

فله الحمد والشكر على نعمه المادية، وعلى نعمه المعنوية وهي الدين، لا ينازعه في ذلك منازع في ملكه العظيم؛ لأنه العزيز الذي لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا ينوب عنه نائب، فهو الذي خلق الخلائق، وهو الذي تكفل بأرزاقها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فلا إله إلا الله العزيز في ملكه، الحكيم في أمره، الكريم في عطائه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران/ ٦].

فعزته سبحانه متضمنة للإنعام على خلقه بصنوف النعم، التي تستوجب منهم الشكر عليها، وتفضله وإنعامه صادر عن عزة وقدرة، وعن غنى وتفضل لا لجلب نفع، أو دفع ضر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

فجميع المخاليق، وجميع الخلائق في العالم العلوي، والعالم السفلي، كلهم فقراء إلى الله، فكل ذرة في الكون فقيرة ومحتاجة إلى العزيز في إيجادها، وبقائها، ونفعها وضرها، كل مخلوق محتاج إلى الله، كل مخلوق من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في الكون، محتاج إلى العزيز جل جلاله، في خلقه وبقائه وتدبيره.

- **وكل مخلوق مطبوع على أربع صفات:**

ضعيف .. فقير .. عاجز .. محتاج.

فقير؛ يحتاج إلى الغني جل جلاله، ضعيف؛ محتاج إلى القادر، ضعيف، فقير، عاجز، محتاج إلى القادر، محتاج إلى ربه في كل شيء، محتاج إلى أقواته، محتاج إلى الأرض التي يسكن عليها، إلى الطعام الذي يأكله، إلى الماء الذي يشربه، إلى اللباس الذي يلبسه، إلى الهواء الذي يتنفس منه: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان: ٢٦].

فالله عزيز لا يمتنع عليه شيء، هو الذي يريد لك العزة؛ فمن اتصل بالعزيز فهو عزيز، ولا عزة إلا من العزيز، ولا عزة إلا باتباع أوامر العزيز؛ فمن اتبع أوامر العزيز فهو

عزيز: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون/ ٨].

فالعزة الوهمية التي يراها الأغنياء، أو الملوك، أو الرؤساء، أو أصحاب الطاقات، التي أعطاهم الله ﷻ إياها؛ ليستعينوا بها على طاعته، فمن اعتز بغير الله ذل، ففرعون مع ملكه وماله أذله الله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف: ٥٥].

وقارون مع ماله الله ﷻ أذله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: ٨١].

فاتصل بالعزيز لتكون عزيزًا، ولتعمل في أعمال العزة، الله أعزك لتعز الناس، تعز الكافر بالإسلام ليكون عزيزًا، تعز الجاهل بالعلم، تعز الفقير بالإعانة، تعز المريض بالأخذ بيده، وهكذا تجتهد على الإنسان، ليكون عزيزًا بين الناس، وعزيزًا عند ربه، والله يريد من عباده جميعًا أن يكونوا أعزة لا يخضعوا ولا يذلوا لغيره أبدًا، فكل غنى وتفضل منه ليعز الإنسان، لا لأنه يجلب بذلك نفعًا، أو يدفع ضرًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

هو الغني الذي عنده خزائن كل شيء، الحميد المحمود على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي الدنيا وفي الآخرة: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨].

فيجب على العبد أن يحمد ربه العزيز، أن يحمد ربه القوي، وأن يعرف من أول يوم عبد من هو، عبد من أنت، هل أنت عبد العزيز؟ هل أنت عبد القادر؟ هل أنت عبد القوي؟ هل أنت عبد السميع؟ هل أنت عبد البصير؟ لا بد للإنسان أن يعرف عبد من هو، هل هو عبد للرحمن؟ أو عبد للشيطان؟ أو عبد لهواه؟ فالله ﷻ كل نعمة منه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

هو العزيز الذي خلق كل نعمة، وأوصلها إلى خلقه في كل مكان، لهذا وجب حمده وشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى؛ لأنه العزيز القوي القادر، الحي المتصف بجميع صفات الكمال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

فله الحمد كثيرًا وله الشكر كثيرًا: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فمعرفة اسم الله العزيز، والتعبد بها لله ﷻ، أمر مطلوب من العبد؛ ليعرف العزيز، ويتقرب إلى العزيز، ويستفيد من عزته؛ ليدخل في أبواب العزة، فالله ﷻ أخبرنا أنه هو العزيز: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣].

اعلموا أن الله ﷻ ملك، والملك له مماليك، وله أوامر في مملكته، فأطيعوا أمر الملك؛ لأنه ملك قادر على كل شيء، مالك كل شيء، عزيز غالب لا يغلبه أحد، منيع لا يصل إليه أحد، يريد أن يعزك أيها الإنسان؛ فأقبل عليه لتنال من عزته.

هو الله العزيز الجبار الغالب لكل شيء، القاهر لكل شيء، القادر على كل شيء، الغني الذي له كل شيء: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج/ ٧٤].

وهو سبحانه العزيز الذي لا يغلب، العزيز الذي لا يقهر، وأنت عبده، أنت ذليل بين يديه عزيز بين خلقه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وهو سبحانه العزيز الذي لا يغلب، العزيز الذي لا يقهر، العزيز الذي لا يضام جاره، ولا يذل أنصاره: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة/ ٢١].

وهو سبحانه العزيز المالك لكل شيء، العزيز الذي أحاط بكل شيء، العزيز الذي لا يعجزه شيء، ولا يتعذر عليه شيء، ولا يمتنع عليه شيء، جميع المخلوقات تحت قهره وأمره، ولا يمتنع عليه منها شيء، وجميعها تشهد بوحدانيته، وتسبح بحمده، وتخضع لمشيئته، وتسرع إلى إرادته، وتطيع أمره: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر/ ٤٤].

وهو جل جلاله العزيز القهار، الذي امتنع عن الأوهام أن تكيفه، وعن العقول أن تحيط به، فالعقل له حد، والبصر له حد، والسمع له حد في السمع، والبصر له حد في الرؤية، والعقل له حد في المعرفة، العاقل لا يدرك كل شيء، يدرك أشياء ومُنع عنه أشياء، الروح في بدن الإنسان، لكن البصر لا يستطيع أن يراها أو يعلم في أي مكان، الهواء موجود

نحس به ولا نرى شخصه، والله ﷻ عزيز: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام/ ١٠٣].

عزيز منيع، لا تصل إليه العقول جل جلاله، فهو العزيز الواحد لا شريك له، الاحد الصمد الذي لا مثل له، ليس في الكون إلا إله واحد، ورب واحد، وعزيز واحد، وقادر واحد، وحكيم واحد، ورازق واحد: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[البقرة: ١٦٣].

هو العزيز القهار الذي امتنع عن الأوهام أن تكيفه، مهما استعمل الإنسان خياله؛ لن يستطيع أن يحيط بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله وامتنع عن العقول أن تحيط به: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق: ١٢].

فالله محيط بكل محيط، ولو أدركته العقول، وأحاطت به، لقدرت عليه، والله قادر غير مقدور عليه، هو قادر على كل أحد، ولا يقدر عليه أحد، فقد تنزه عن العقول أن تحيط به، وعن الأبصار أن تدركه، العين مخلوق صغير لا يمكن أن يرى العظيم جل جلاله؛ لأن هذا البدن مخلوق في هذه الدنيا على شكل معين، ويوم القيامة يخلق خلقاً آخر، يتمكن فيه المسلم من رؤية ربه ﷻ في الجنة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة/ ٢٢-٢٣].

هو العزيز الذي بقدرته خلق الخلق جميعًا في العالم العلوي، والعالم السفلي، وخلق عالم الغيب، وعالم الشهادة، وعالم الدنيا وعالم الآخرة، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو جل جلاله العزيز العلي الأعلى، المحيط بكل أحد، الذي لا يحيط به أحد، هو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحديد: ٣].

هو سبحانه العزيز الذي لا يرام ولا ينال جنابه؛ لعزته وعظمته، وجبروته وكبريائه،

العزيز الذي لا مثل له ولا نظير، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، وحده لا شريك له: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/ ٤].

هو الواحد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، هو جل جلاله العزيز الذي له العزة كلها، الفعال لما يريد، وجميع أفعاله مقرونة بالعلم المحيط، وبالقدرة المطلقة، والقدرة المطلقة مقرونة بالخير المطلق؛ فلا يفعل إلا ما هو خير؛ لأن الشر ليس إليه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

فسبحان الملك العزيز الجبار، الذي ذلت لقدرته الصعاب، ولانت لقوته الصم الصلاب، وخضعت لعظمته الرقاب: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

تسبحه جميع مخلوقاته، لأنها تعرف ربها أنه عظيم، وكبير، وعزيز، وقوي، وغني، ورقيب، وسميع، وبصير.

هو العزيز الذي له العزة كلها، وحده لا شريك له، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، ويؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو الملك الذي كل مَلِك في الدنيا ما جلس في ملكه إلا بإذنه، ولكن الله ابتلاه بهذا الملك؛ لينظر أيطيع الله فيه، أم يعصي الله فيه، فالملك عبودية وابتلاء: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥].

هو جل جلاله، الملك العزيز القادر على كل شيء، كل غيب عنده شهادة، وكل بعيد عنده قريب، وكل كبير عنده صغير، وكل قوي عنده ضعيف، وكل غني عنده فقير: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

فسبحانه هو العزيز المحيط بكل شيء، القاهر لكل شيء، وكل هارب في قبضته، وكل شارد إليه ذاهب، وكل مخلوق إليه راجع، فلا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [الرحمن: ٣٣].

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٦].

فسبحان الخلاق العليم، القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

فلا يستطيع أحد أن يخرج عن ملكه؛ لأن الملك وما فيه كله له: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾ [المائدة/ ١٢٠].

هذا هو العزيز جل جلاله، ويريد للإنسان أن يكون عزيزًا، وعزة الإنسان باتصاله بالعزيز؛ ليكون عزيزًا في الدنيا، وعزيزًا يوم القيامة.

هو سبحانه العزيز وحده لا شريك له، عز عن الأبصار أن تدركه، وعز عن العقول أن تتصوره، وعز عن الأوهام أن تكيفه، وعز عن المخلوقات كلها أن تحيط به، وعن الألسن أن تحصي ثناءً عليه: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر/ ٦٥]. فلا يستطيع أحد أن يثني على الله كما يجب؛ لأن الله ﷻ عظيم له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، فما عبدناه حق عبادته، ولا قدرناه حق قدره، والسبيل إلى معرفته ومعرفة قدره أن نعرف أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

استغفر لذنبك من التقصير في هذا العلم، ومن التقصير في العمل، ومن تأخير الواجبات، وغشيان المحرمات.

هو سبحانه القوي العزيز الذي خضع كل شيء له، هو القوي العزيز الذي ألبس الطغاةوالجبابرة عزته فذلت، وصب على الوجوه مخافته فخضعت، وقهر الخلائق على ما

أراد فأطاعت: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام: ١٨].

وساق بعزته الخلائق للقدوم عليه للحاسب فعنت: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ١١١﴾ [طه/ ١١١].

هو العزيز الذي ألبس الجبابرة عزته، بعزته أذل الجبابرة، والطغاة، والمجرمين، فذلت وصب على الوجوه مخافته فخضعت: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ٤﴾ [الملك/ ٣-٤].

هو جل جلاله العزيز في ملكه وسلطانه، العزيز في أفعاله، فلا يقف له أحد، وضع اسمه على السماوات فاستقلت، ووضع اسمه على الأرض فاستقرت، ووضع اسمه على الجبال فرست، ووضع اسمه على الرياح فهبت، ووضع اسمه على المياه فسالت، ووضع اسمه على اللسان فتكلم، ووضع اسمه على الأذن فسمعت، ووضع اسمه على العين فأبصرت: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٧٨﴾ [الرحمن/ ٧٨].

فهو العزيز بذاته وأسمائه وصفاته وكلامه، هو الذي أنزل القرآن تبيانًا لكل شيء، وسمى القرآن عزيزًا: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ٤٢﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٢].

فسبحان من لا حد لقدرته، ولا حد لخلقه، ولا حد لعطائه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٧ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ٢٨﴾ [لقمان/ ٢٧-٢٨].

فالله أكبر! ما أعظم عزته! وما أعظم ملكه وسلطانه! وما أعظم أسماءه وصفاته جل جلاله، هو العزيز الواحد الذي لا شريك له، الأحد الصمد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وليس لذاته كيف، ولا لأسمائه وصفاته كيف؛ لأننا لا نعلم كيفية ذاته، فلا نعلم كيفية صفاته: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

هو العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، السميع لكل شيء، أما المخلوق فهو يسمع شيئًا دون شيء، ويعلم شيئًا دون شيء، ويرى شيئًا دون شيء فلا إله إلا الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١].

هو العزيز الذي ليس كمثله شيء في العزة، هو القوي الذي ليس كمثله شيء في القوة، وكل قوة في العالم من قوته، الله خلق القوة في كل قوي، ولو رفع الله عنه أمر القوة، لعاد ضعيفًا؛ لو رفع أمر الحياة عن كل حي لمات، لو رفع أمر البقاء عن كل مخلوق لفني، لو رفع أمر الحفاظة عن السموات والأرض لزالتا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١ ﴾[فاطر/ ٤١].

هو العزيز العليم الذي لا تخفى عليه خافية، يعلم ما كان، وما يكون وما سيكون.

يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ذرات الرمال، ويعلم عدد النجوم في السماء، وعدد الذرات في الأرض، وعدد الهباءات في الفضاء، عليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، لا تواري منه سماء سماءً، ولا أرض أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، لأنه عزيز محيط بكل شيء، بصير بكل شيء، خبير بكل شيء: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

هو العزيز الذي لا يضل ولا ينسى، ولا يتعب ولا ينصب، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

الله وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾[آل عمران: ١٨].

ليس الكون إلا ملك واحد، عزيز واحد، بيده الملك كله، وبيده العزة كلها، وبيده الأرزاق كلها، وما سواه من الملوك في الدنيا فهم عبيد في صورة ملوك؛ لأنهم محتاجون إليه في طعامهم وشرابهم، وعافيتهم وأمنهم، وحياتهم وأرزاقهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾[فاطر: ١٥].

هو العزيز الذي لا يعجزه شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[يس/ ٨٢-٨٣].

فنسبحه وننزه أن يكون له شريك أو مثيل، ننزهه عن صفات النقص والعيب، ننزه عن صفات الكمال في البشر، فلان قوي، فلان عزيز، فلان قادر، هذه صفات المخلوقين، الله ﷻ وهبهم إياها، فننفي عنه صفات المخلوقين، فلا نشبه الله بخلقه، لأن الله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى: ١١].

ما في الناس من الصفات فهي مخلوقة، الله خلق الذوات، وخلق الصفات، وخلق الأعمال، لكن توجيه الأعمال الله ﷻ وكلها إلى الناس، فمنهم من يختار الإيمان، ومنهم من يختار الكفر، ومنهم من يطيع الله، ومنهم من يعصي الله: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾[الإنسان: ٢-٣].

وبهذا الاختيار صار الناس فريقين: مؤمنون وكفار، أبرار وفجار، ولا يقع في ملك الله إلا ما يريده، وما يأذن به، فالله ﷻ أراد من المؤمن كونًا وشرعًا أن يكون مؤمنًا، وأراد من الكافر كفره كونًا لا شرعًا، بل الله ﷻ لا يرضى لعباده الكفر، بل أمرهم بالإيمان: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾[الأعراف: ١٥٨].

وإنما الكافر هو الذي أراد الكفر، وأذن الله ﷻ له، واختار هذا العبد ما أذن الله به: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ [الإنسان: ٢٩-٣١].

فكل إنسان يختار بعقله ما يسعده في الدنيا والآخرة؛ فالمؤمن اختار الله ودينه؛ لينال ثوابه، وينال السعادة في الدنيا والآخرة، والكافر اختار هواه وشهواته، فاقترن به الشيطان، فنقله من معصية إلى بدعة، إلى كبيرة، إلى كفر وهكذا: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾[النساء/ ٣٨].

والله ﷻ عزيز، ولا يرضى لعبده أن يكون ذليلًا، بل يريد له أن يكون عزيزًا، عزيزًا بين

خلقه، ذليلًا بين يديه، منكسرًا بين يديه، مفتقرًا إليه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾[المؤمنون/ ١-٢].

خاشعون لعظمة العزيز وكبريائه، يشعرون بحسن إنعامه، وإفضاله وإحسانه، يعبدون الله ﷻ كأنهم يرونه، يرونه ملكًا، عظيمًا، عزيزًا، قاهرًا، قادرًا، كريمًا، لطيفًا، محسنًا، رؤوفًا، قريبًا، مجيبًا، ولهذا الله ﷻ أمرنا بالإكثار من ذكره، وكثرة ذكر الله ﷻ تجعل الإنسان يعبد الله كأنه يراه، وبكثرة ذكر الله ﷻ؛ تزول الظلمة البشرية، فكل شيء في الكون مظلم إلا ما اتصل بالله، فالمؤمن لما اتصل بالله ﷻ استنار قلبه بالتوحيد والأعمال.

فهذه الأمة ربها نور: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[النور/ ٣٥].

ودينها نور: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾[التغابن/ ٨].

وكتابها نور: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[المائدة/ ١٥].

فهذا النور إذا دخل في القلب؛ استنار بنور التوحيد والإيمان؛ فأشرق بالنور الذي يعرف به الخير من الشر، والحق من الباطل، وما يحب الله، وما يسخط الله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[الزمر/ ٢٢].

وبهذا النور يرى الخالق يخلق ما يشاء، يرى الرزاق يرزق من يشاء، ويرى الناصر ينصر أولياءه، ويرى القاهر يقهر من يشاء، ويرى العزيز في ملكه يدبر الرياح، ويدبر الملك كله، ويقهر الأعداء، ويقصم الجبابرة.

فنور البصر والبصيرة نعمتان من الله ﷻ، بالبصر ندرك الأشياء المحسوسة، وبالبصيرة نصل من الأرزاق إلى الرازق، ومن النعم إلى المنعم، ومن المخلوقات إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور، هذا ما يتميز به المؤمن الذي آمن بربه، وعبده وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢-٤].

هو سبحانه الملك العزيز الذي يحتاج كل أحد إليه في كل شيء، خلقًا وإيجادًا، وأمرًا وتدبيرًا، وإمدادًا وقوتًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾

[فاطر: ١٥].

هو الملك العزيز الذي خلق كل شيء في ملكه، ويحتاجه كل شيء، في كل شيء:

خلقًا: فهو الخالق، الخلق كله أمر متوجه من الخالق إلى المخلوقات فكانت: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وأمرًا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

أوامر التصريف، والتدبير، والتحريك، والتسكين، والتقليب بيده وحده: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ٤٤﴾ [النور/ ٤٤].

أوامر التحريك والتسكين والتصريف والتغيير بيد العزيز، المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٢٧﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧].

ما دمتم فقراء محتاجين فاسألوا الغني، ضعفاء اسألوا القوي، عاجزين اسألوا القادر على كل شيء، أذلة أمنوا بالعزيز ليعزكم، فيكم الجهل اسألوا العليم، وهكذا الله ﷻ خلق الإنسان، وجعله محتاجاً إلى ربه في كل حال، فليعبده وحده، لأنه الذي خلقه وحده، ورزقه وحده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

فلا عزة إلا من العزيز وحده لا شريك له، فالأنبياء كلهم أعزة؛ لأن جميع الناس بحاجة إليهم، وإلى علمهم، فإن العزيز جل جلاله جعلهم أبواب رحمته، وأبواب فضله وأبواب إحسانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٢﴾ [الجمعة/ ٢].

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة/ ١٢٨].

الأنبياء كلهم أعزة، لماذا؟ لأن جميع الناس بحاجة إليهم؛ فلا يمكن لأحد أن يعبد الله، ولا يمكن لأحد أن يدخل الجنة؛ إلا باتباع الأنبياء والرسل؛ لأن جميع الناس بحاجة إلى علوم الأنبياء والرسل، فإن العزيز جل جلاله جعلهم أبواب رحمته: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء/ ١٠٧].

وأبواب هدايته: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[الشورى/ ٥٢].

وأبواب فضله وأبواب إحسانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[آل عمران: ١٦٤].

فالعزة لله جميعًا، ومن عزته أعز رسله، وأعز أولياءه؛ لأنه العزيز الذي يهب العزة لمن شاء من خلقه ممن آمن به وأطاعه: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾[يونس: ٦٥].

فسبحان العزيز الذي له ملك السموات والأرض لا إله غيره، ولا رب سواه.

وكلما اشتدت الحاجة إلى أحد فهو عزيز، فالملك عزيز؛ لأن الناس بحاجة إليه في أمور الدين والدنيا، والعالم عزيز؛ لأن الناس بحاجة إلى علمه؛ لأن العالم يصل الخلق بالخالق، ويعلم الناس ماذا يرضي الخالق، وماذا يريد الخالق من خلقه، والمؤمن عزيز، لأنه آمن بالعزيز: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[المنافقون: ٨].

ومن عرف العزيز، وعرف أنه عبد للعزيز؛ لم يذل نفسه لمخلوق كائنًا من كان، فلا عزة إلا من عند العزيز، من عرف العزيز لم يقف بباب الذليل، ومن عرف الغني لم يسأل الفقير، ومن عرف القادر لم يستعن بالعاجز، ومن عرف الكريم لم يقف بباب النجيل: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

واعلم أنك كلما قطعت طمعك من الناس أعزك الله، وكلما مرغت وجهك في السجود

للعزيز أعزك الله، وكلما طمعت فيما عند الله أحبك الله وأعزك، وكلما طمعت فيما عند الناس، أذلوك وكرهوك: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠].

والله ﷻهو الملك العزيز الذي خزائن العزة كلها عنده، خزائن العلم عنده، خزائن الرزق عنده، خزائن الأموال عنده، خزائن الأخلاق عنده، ومن أراد العزة بغيره فهو ذليل: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾[فاطر/ ١٠].

هو سبحانه العزيز الذي له جميع معاني العزة من جميع الوجوه.

فله عزة القوة، وعزة الغنى، وعزة القهر، وعزة الامتناع، وعزة العلو.

له عزة القوة فالله ﷻ هو القوي وحده لا شريك له، وكل ما سواه ضعيف: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[الحج: ٧٤].

وله عزة القهر هو سبحانه الواحد القهار، وله عزة الامتناع، فلا يصل إليه أحد، وعزة العلو: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنعام: ١٨].

وله عزة الغنى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾[لقمان: ٢٦].

فيسمى الله عزيزًا والإنسان عزيزًا، لكن عزة الله ﷻ مطلقة لا مثيل لها ولا شريك له، فسبحان العزيز الذي له معاقد العزة كلها،وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي مقهوره للعزيز الجبار، خاضعة لعظمته، منقادة لأمره، مستجيبة لمشيئته، مسرعة إلى إرادته: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾[هود/ ٥٦].

وله عزة الامتناع؛ فهو الغني عن كل أحد، العلي على خلقه، وكل ما سواه دونه وهو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، بل كل أحد محتاج إليه، وهو القادر على كل أحد، ولا يقدر عليه أحد: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[يونس/ ٦٨].

سبحانه هو العزيز الذي له العزة جميعًا، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وبيده مقاليد السموات والأرض: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف/ ٥٤].

وكل هذا يحتاج إلى عزة، وإلى قوة، وإلى قدرة، وإلى علم:﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك: ١].

له جل جلاله الخلق كله، خلق السموات والأرض، خلق العرش والكرسي، خلق الشمس والقمر، خلق الفضاء، خلق الأرض، خلق الجبال، خلق البحار، وله الأمر كله، أوامر الخلق، والتدبير، والتصريف، والتغيير، له الأوامر الكونية كلها.

هو العزيز الذي له الأوامر الكونية في ملكه العظيم:﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَىۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾[النحل/ ٤٠].

وله الأوامر الشرعية:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡىِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[النحل: ٩٠].

هو الذي أنزل على عباده أوامره الشرعية، الأوامر والنواهي، والحلال والحرام.

وله الأوامر الجزائية، فالله ﷻ رتب على الأوامر الشرعية الوعد والوعيد، فله سبحانه الأوامر الملكية الكونية، وله الأوامر الإلهية الشرعية، وله الأوامر الجزائية، بالوعد والوعيد:﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾[المائدة: ٩ – ١٠].

فمن أراد العزة في الدنيا والآخرة؛ فليؤمن بالعزيز الرحيم، العزيز الحكيم، العزيز الغفور، ويطلب العزة من رب العزة متوسلًا إليه، بالعمل بما يحبه ويرضاه:﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾[فاطر: ١٠].

فالله ﷻ أمرنا بمعرفة أسمائه وصفاته؛ لنعبده بمقتضى هذه الأسماء، وليكون لنا حظ من هذه المعرفة، فنعبد الله ﷻ بمقتضاها؛ فمن أراد العزة فيسأل العزيز، ومن أراد العلم فليسأل العليم، ومن أراد الشفاء فليسأل الشافي، ومن أراد الرزق فليسأل الرزاق وهكذا:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِىٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠].

فسبحان الملك العزيز الذي انقادت له جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء منها، من جماد ونبات وحيوان، ومن الملائكة والجن والناس أجمعين: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[الحج: ١٨].

هو سبحانه الملك الحق، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٣ – ٢٤].

هو سبحانه العزيز الغني الحميد، الذي جميع مخلوقاته تسبح بحمده وتشهد بوحدانيته، جميع مخلوقاته مسرعة إلى إرادته، مفتقرة إليه، متصاغرة لكبريائه، ذليلة بين يديه: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء: ٤٣ – ٤٤].

واسم الله العزيز من صفات الذات، فالعزة صفة ذاتية لله، فهو العزيز أبدًا، العزيز الذي لا تنفك عنه العزة أبداً، ومن صفات الأفعال؛ لأنه عزيز يعز من يشاء، ويذل من يشاء.

فأما دلالته على الذات فهو سبحانه العزيز الغني، العظيم القدر والشأن، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، فهذه الصفات ذاتية له لا تنفك عنه أبدًا، وليس لها تعلق بالمشيئة، هو قادر أبدًا، عليم أبدًا، قوي أبدًا، عزيز أبدًا: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾[يونس/ ٦٤].

وهو سبحانه العزيز الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء، يعز أولياءه، ويذل أعداءه متى شاء، وهذه صفة فعل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آل عمران/ ٢٦].

فصفة الفعل متعلقة بمشيئته، أما صفة الذات فهي صفة لازمة له؛ فالله عزيز بذاته، وصفة العزة لا تنفك عنه أبدًا، هو العزيز وحده لا شريك له، وكل ما سواه ذليل صغير

بين يديه.
هو سبحانه العزيز العظيم الشأن، الذي لا مثيل له، ولا شبيه له، العزيز الواحد الأحد، فليس في الكون إلا عزيز واحد، لا شريك له، العزيز الذي يفتقر الخلق كلهم إليه، العزيز الذي لايمكن الوصول إليه، هو العزيز الذي لا يمكن إدخال مكروه عليه؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[يس: ٨٢ – ٨٣].
هو العزيز في قوته فلا يصمد أمامه شيء، العزيز الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق، العزيز الملك الذي قهر كل ما سواه: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾[الصافات/ ١٨٠-١٨١].
هو سبحانه العزيز الذي له العزة جميعًا كما له الملك جميعًا كما له الخلق جميعًا، العزيز الذي لا يضام جاره، ولا يذل أنصاره، هو العزيز الذي منع الأبصار أن تدركه، ومنع الأوهام أن تكيفه، فلا إله غيره ولا رب سواه.
هو العزيز المعز لغيره فمن أعزه الله فهو عزيز، ومن أذله الله فهو ذليل، يعز بأسباب الذلة كما أعز الأنبياء والرسل وأتباعهم من المؤمنين مع أنه ليس معهم من أسباب العزة الظاهرة شيء، ليس معهم من الأموال والأشياء شيء، ولكنه عزيز يعز عباده بما شاء: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣﴾[آل عمران/ ١٢٣].
فالعزة الوهمية في الأموال والأشياء، وأما العزة الحقيقية، فليست إلا من العزيز وتحصل بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون/ ٨].
فمن أراد أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة؛ فليتصل بالعزيز، وليمتثل أمر العزيز؛ لينال يوم القيامة ثواب العزيز: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة: ٧٢].
هو سبحانه العزيز الذي يذل بأسباب العزة كما أذل فرعون مع أن عنده الملك والمال، وأذل قارون مع كثرة ماله، وأهلك قوم نوح مع كثرتهم، ودمر قوم هود مع قوتهم،

وأهلك قوم صالح مع صناعتهم، وأهلك قوم شعيب مع تجارتهم، ودمر قوم سبأ مع زراعتهم. لماذا؟ لأنه العزيز الغالب لكل غالب: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف/ ٥٩].

هو العزيز الذي إذا أراد شيئاً فعله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

خزائن العزة بيده وحده؛ فهو جل جلاله يعز من يشاء بالإيمان والطاعة، ويذل من يشاء بالكفر والمعصية؛ لأنه حكيم يضع الشيء في موضعه.

فسبحان العزيز الذي له العزة جميعًا بكل اعتبار، هو سبحانه العزيز الذي من كان معه نصره؛ لأنه الغالب الذي لا يغلب: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات/ ١٧١-١٧٣].

سبحانك لا إله إلا أنت، لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، والنفوس مجبولة على حب الكمال، والتعلق بأهل الكمال، والسعي لتحصيل الكمال، فمن أراد الكمال والعزة فليتعلق بالعزيز الذي بيده العزة كلها، ولا يتعلق بأحد سواه: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٦-٢٢٠].

والله سبحانه هو العزيز الغالب على أمره وعلى خلقه، وعلى كل شيء: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف/ ٢١].

هو الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد يعز بأسباب الذلة، ويذل بأسباب العزة، وينجي بأسباب الهلاك، ويهلك بأسباب النجاة؛ لأنه العزيز القادر على كل شيء، الذي لا يمتنع عليه شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

فسبحان العزيز الذي لا مثيل له، ولا شريك له، العزيز الذي يحتاج إليه كل شيء، في كل

شيء العزيز الذي لا يمكن الوصول إليه إدراكًا وإحاطة؛ لأنه محيط بكل محيط: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته مقدم على العلم بأمره، فلا يعبد الله ﷻ من خلقه إلا من عرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله، هذا العبد حقًّا الذي يعبد ربه حقًا بالتعظيم له والذل له والحب له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

الله ﷻ عزيز لا يمكن الوصول إليه إدراكًا وإحاطة؛ لأنه المحيط بكل محيط، لكن يمكن أن تعرفه وتطيعه، وتعبده إذا آمنت به، وامتثلت أمره، ومن رحمة العزيز بالإنسان أن جعل الدنيا لا تمد الإنسان بمتعة دائمة، بل بمتعة ناقصة مشوبة بالكدر؛ لئلا يركن إليها: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد/ ٤].

فكل أموره بالمجاهدة، فكل شيء يحصل عليه الإنسان من ألوان النعيم يملكه الله ﷻ، وكل ما يتحصل عليه الإنسان من النعم يمله، إلا الله ودينه، لماذا؟ لأن المخلوق يُمل، لكن الله ﷻ أمرنا بذكره دائمًا فلا نمل من ذكره أبدًا، تسبيحًا وتقديسًا وحمدًا وشكرًا واستغفارًا: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم/ ٤٢].

فمن عرف العزيز توجه إليه بالتعبد، وامتثل أمره في الدنيا؛ ليكون بالقرب منه يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥].

هو سبحانه الحي القيوم، الذي كل حي من آثار اسمه الحي، وكل رزق في الكون من آثار اسمه الرزاق، وكل عزيز من آثار اسمه العزيز: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة/ ٢٦٠].

أخذ الطيور الأربعة وقطعها، ثم وضعها على مجموعة جبال ثم دعاها فجاءت؛ لأن الله ﷻ هو العزيز، الذي لا يمتنع عليه شيء، هو الخلاق الذي يستعمل قدرته بالأسباب،

وبدون الأسباب، وبضد الأسباب.
يستعمل قدرته بدون الأسباب: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس/ ٨٢].
ويستعمل قدرته بالأسباب، كما يُنزل الماء على الأرض فتنبت؛ وكما يحصل الولد بالنكاح، ويستعمل قدرته بضد الأسباب، كما ربى نبيه موسى ﷺ في قصر فرعون، وكما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، وكما جعل البحر الذي هو موطن الهلاك موطنًا للنجاة وموطنًا للهلاك، في آن واحد، في وقت واحد، في بحر واحد كما حصل لموسى وفرعون؛ فالله أنجى موسى فتح له البحر بقدرته، ثم دخل فرعون، ثم انطبق البحر عليه، فهذه قوة لا إله إلا الله، فمعرفة العزيز تغنيك عن كل ذليل، وعن كل مخلوق، فمن اتصل بالعزيز كان الله معه فرزقه ونصره: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج/ ٤٠].
وأسماء الله ﷻ واحدة في الدلالة على الذات، فالله غفور رحيم، شكور، كريم، لطيف، عزيز، حكيم، ملك، أسماء الله ﷻ كلها دالة على ذات الله، فيقال: عبد الله، عبد الكريم، عبد العزيز، عبد الرزاق، عبد اللطيف، كلها أسماء دالة على ذات الله ﷻ، ودالة على صفة من صفاته فهو العزيز الذي يعز، الملك الذي يملك، الرزاق الذي يرزق، الخلاق الذي يخلق، أسماء الله ﷻ واحدة في الدالة على الذات مختلفة الصفات، فالكريم غير القوي، والرحمن غير الجبار... وهكذا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨].
واسم الله العزيز دال على ذات الله، وعلى صفة العزة له؛ ولهذا أمرنا الله ﷻ أن ندعوه بأسمائه الحسنى، باعتبار ما تضمنته من الصفات، بحسب حاجة العبد إلى ذلك.
فالخائف يسأل الله ﷻ باسمه المؤمن، يسأل المؤمن الذي يملك الأمن، وخزائن الأمن، وكل أمن بيده: الأمن السياسي، الأمن الاقتصادي، الأمن الصحي، فالذي يخاف يسأل الله باسمه المؤمن، أن يؤمنه من الخوف في الدنيا والآخرة، والضال يسأل الله الهادي، أن يهديه باسمه الهادي، فالهادي واحد، والجاهل يسأل العليم سبحانه أن يعلمه، والفقير يسأل الغني أن يغنيه، والمريض يسأل الشافي أن يشفيه .. وهكذا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ

﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والهداية بيد الهادي، والرزق بيد الرازق، ولكننا نحن مأمورون بأوامر الدعوة، ندعو الناس، لعل الله ﷻ أن يهديهم: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣﴾ [السجدة/ ٣].

ثم: ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ [البقرة: ٢١٣].

والمحتاج لشيء يسأل الله ﷻ باسمه الغني؛ فيقول: اللهم أغنني بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، والعاجز يسأل الله باسمه القادر، أن يمده بالقدرة والعون، والمريض يسأل الشافي أن يشفيه من أمراض القلوب والأبدان، وعند السؤال يسأل الله باسمه المجيب؛ لأنه يعلم أن ربه قريب مجيب: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

فلا تتوجه لغير الله؛ فليس بيده شيء أصلًا المخلوق ما كان شيئًا حتى يفعل شيئًا، أو يملك شيئًا، بل هو مملوك لله ﷻ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾ [الإنسان: ١].

فاسأل الملك العظيم الذي بيده كل شيء، وهذا معنى التعبد لله ﷻ بأسمائه الحسنى، فعند السؤال يسأل العبد ربه باسمه المجيب أو الكريم أن يعطيه، وعند الضعف يسأل الله باسمه القوي أن يهبه القوة، وعند الذلة يسأل ربه العزيز أن يعزه، وهكذا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

والعزة وصف ذات لله لا تنفك عنه أبدًا؛ فهو العزيز وكل ما سواه ذليل، والإعزاز وصف فعله، فهو العزيز الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء في أي وقت شاء.

وعزة الله من إضافة صفة إلى موصوف؛ فالله قوي عزيز، عزة الله، قدرة الله، رحمة الله، كلها من إضافة صفة إلى موصوف وهو الله.

وعزة المخلوق من إضافة مخلوق إلى مخلوق، فعزة المخلوق مخلوقة، ورحمة المخلوق

مخلوقة، الله خلق مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة إلى أهل الأرض، فبها يتراحمون؛ فعزة المخلوق، وقوة المخلوق، ورحمة المخلوق؛ هذه من الله، لكنها مخلوقة، عزة المخلوق من إضافة مخلوق إلى مخلوق.

فالله هو الذي وهب العزة للأنبياء والرسل والمؤمنين على قدر شأنهم، وهبهم عزة تليق بهم، وشتان بين عزة الخالق والمخلوق، فعزة الله عزة ذاتية مطلقة، وعزة المخلوقة ناقصة موهوبة، محدودة، وشتان بين عزة الخالق وعزة المخلوق؛ فعزة الخالق أزلية أبدية ذاتية، وعزة المخلوق من إضافة مخلوق إلى مخلوق، عزة الخالق في ربوبيته، فهو رب العالمين، رب السموات، ورب الأرض رب العالمين، عزة الخالق في ربوبيته، وعزة العبد في عبوديته لربه، فمن أراد العزة فليطلبها من العزيز: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾[فاطر: ١٠].

والعزيز واحد لا شريك له، والكبير واحد لا شريك له، والخالق واحد لا شريك له، فهو سبحانه الواحد الأحد، الذي لا يشاركه أحد في أسمائه، وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر/ ٢٢-٢٤].

وقال ﷺ عن ربه: «**الْعِزُّ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، مَنْ يُنَازِعْنِي عَذَّبْتُهُ**» أخرجه مسلم[1].

فالعز إزاره جل جلاله، والكبرياء رداؤه، فلا ينازعه أحد في ذلك.

فسبحان الله! ما أعظم عزته! وما أوسع رحمته! وما أعظم ملكه!: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨١].

فالله سبحانه يسمى بالعزيز؛ لأنه ورد في القرآن والسنة، ولا يسمى بالمعز ولا بالمذل؛

---

١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

لأنه لم يرد في القرآن والسنة، لكن الإعزاز صفته؛ فهو يعز من يشاء، ويذل من يشاء.

فالله ﷻ عزيز قوي عليم قادر على كل شيء، فرغ الله إلى كل مخلوق من خمسة أشياء: من رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، أو سعيد.

وفرغ الله ﷻ من أرزاق الخلائق وقسمها كميةً، ونوعيةً، ومكانًا، وزمانًا، فرغ الله من أرزاق جميع الخلق، كمية عدد رزق فلان، ونوعية، من الطعام كذا، ومن العقار كذا، من النباتات كذا وهكذا، فرغ الله من أرزاق الخلق من أربع جهات، كميةً ونوعيةً ومكانًا وزمانًا، يرزق فلان في الشهر الفلاني، في المكان الفلاني، في اليوم الفلاني؛ لأن الله ﷻ هو الرزاق العزيز، الذي يوصل كل رزق بكميته ونوعيته في مكانه وزمانه بقدرته؛ لأنه العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

والله ﷻ يريد منا أن نتصل بالعزيز لنكون أعزة في الدنيا والآخرة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون/ ٨].

الله ﷻ خلق الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وأكرمه بأنواع الكرامات، يريد له أن يكون عزيزًا: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

هو سبحانه العزيز العليم بجميع مقادير الحاجات، كميةً ونوعية، فهو العليم بمراتب الضرورات، إذا اضطر الإنسان استغاث بربه، استغاث بالعزيز، الذي يعلم بالضرورة قبل أن تقع، لكن يبتلي بها العبد؛ لينظر أين يتوجه في قضاء حاجته.

يتوجه إلى العزيز أم إلى الذليل؟ يتوجه إلى الضعيف أم إلى القوي؟ يتوجه إلى العاجز أم إلى القادر؟ الله ﷻ يبتلي ليعافي، ولينظر إلى أين يتوجه الإنسان، إلى المخلوق أم إلى الخالق؟ إلى العزيز أم إلى الذليل؟

فإن توجه إلى العزيز؛ قضى حاجته فورًا، فإبراهيم ﷺ استغاث بالله لما أرادوا أن يلقوه في النار، فالله ﷻ أعزه فورًا، وأنجاه من النار: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩ – ٧٠].

هو ضحى بالحياة؛ فوهب الله له الحياة في النار، وضحى بالبلد؛ فالله أعطاه أحسن بلد مكة، وضحى بالولد إسماعيل؛ فأحيا الله الولد، وأخرج من نسله أفضل ولد وهو سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ، وضحى بأم الولد وتركها في مكة بواد غير ذي زرع، فالله جعلها أمًّا للعرب، وجعل خطواتها نسكًا يتعبد به في الحج والعمرة إلى يوم القيامة.

فهذا هو العزيز جل جلاله، الذي يعز من توجه إليه فورًا، هو العزيز الذي خلق موسى، ثم أمر أمه أن تلقيه في البحر، ثم يلتقطه عدوه فرعون، ثم رباه فرعون عدوه، فربى الله ﷻ وليه في قصر عدوه، حتى عاد إلى مصر عزيزًا مكرمًا.

فالعزة بيده جل جلاله، هو العزيز العليم بمراتب الضرورات، يعلم بالمرأة حين تلد أو عند الولادة، فيخرج المولود من بطن أمه بقدرته: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠﴾ [عبس/ ٢٠].

ولكن لضعف اليقين جاءت الآن العمليات، لاستخراج الجنين من بطن أمه، كأن العزيز الذي خلقه في الظلمات ليس بقادر على أن يخرجه، ولكن الإنسان خلق عجولًا: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البقرة: ١٠٦].

هو سبحانه العليم بمراتب الضرورات، هو أرحم بالعبد من نفسه، هو القادر على قضاء الحاجات، ودفع الكربات، لا يشغله شأن عن شأن، ولا سؤال عن سؤال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ٥ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٦﴾ [آل عمران/ ٥-٦].

هو سبحانه العزيز العليم، القدير الذي خلق الذرات، والمجرات، والعالم العلوي والعالم السفلي، والدنيا والآخرة، وخلق الإنسان وصوره في ظلمات الأرحام من نطفة ثم جعله حيًّا سميعًا بصيرًا يأكل ويشرب، ويقوم ويقعد ويتكلم ويسكت، ويأمر وينهى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٦﴾ [آل عمران/ ٦].

تأمل في أفعال العزيز في ملكه العظيم، سماواته وأرضه، وشمسه وقمره، وجباله وبحاره، ونباتاته وأشجاره، وحيوانه وطيوره، وهواؤه ورياحه، وجنه وإنسه، والملائكة المسبحين في السموات والأرض: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[يس: ٣٧ – ٤٠].

هذه أفعال العزيز: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴿٦﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴿٧﴾ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ﴿٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴿١٠﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴿١٢﴾ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴿١٤﴾ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ﴿١٧﴾﴾[النبأ/ ٦-١٧].

هو العزيز الحكيم، هو العزيز الذي معاقد العزة بيده وحده لا شريك له، ومفاتيح أبواب الخير بيده، فلا عزة لأحد إلا إذا عزه الله العزيز.

فكن عبد العزيز: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠].

والعزة بالإيمان بالعزيز، بعبادة العزيز وحده لا شريك له، وأما الإعراض عن الله ﷻ فهو ذلة: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴿١٣٩﴾﴾[النساء/ ١٣٨-١٣٩].

ماذا حصل لعزة فرعون، وعزة قارون؟ وعزة الأمم السابقة الذين افتخروا بكثرتهم، أو بقوتهم، أو تجارتهم، أو صناعتهم، أو زراعتهم؟ أخذهم الله ﷻ بذنوبهم: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴿١٢﴾﴾[الحاقة: ٤ – ١٢].

لا إله إلا الله لا يفعل هذه الأفعال العظيمة الكبيرة إلا عزيز، في ملكه، وخلقه، وأمره، وتدبيره، وتصريفه: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾[الحج/ ٧٤].

فالحمد لله أن جعلنا عبيدًا له، ومن كان عبدًا للعزيز فهو عزيز، وكما جعل الله الشمس مصدرًا للنور، والسحب مصدرًا للمياه، والأرض مصدرًا للنبات، فكذلك العزيز

جعل العزة للخلق بيده وحده، والرحمة بيده وحده، فمن أراد الرحمة فليسأل الرحمن، ومن أراد العزة فليسأل العزيز، ويعبد العزيز وحده لا شريك له: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو العزيز الذي أعزك خلقًا، فخلق أباك آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: ٧١ - ٧٤].

هو العزيز الذي أعزك دينًا؛ فجعلك عبدًا للعزيز، الذي له العزة جميعًا، يريدك ذليلاً بين يديه، عزيزًا بين الناس، عزيزًا بين الأعداء، وما ذلت أمة الإسلام إلا بسبب خضوعها للذليل والأذلة من اليهود والنصارى الذين أذلهم الله بسبب كفرهم وظلمهم.

والخضوع للذليل ذلة، والخضوع للعزيز عزة، فالمؤمنون أعزة بسبب خضوعهم للعزيز، فإذا تركوا الدين أذلهم الله للذليل، فبنو إسرائيل لما أعرضوا عن دين الله العزيز؛ أذلهم الله بفرعون يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، وكفار مكة لما أعرضوا عن دين الله العزيز، أذلهم الله بالفرس والروم، حتى جاءهم من العزيز العليم رسول منهم، فأعزهم الله بالإسلام: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة/ ٢].

كانوا قبل الإسلام أذلة؛ لأن فيهم الجاهليات التي أذلتهم، جاهلية الكفر، جاهلية الشرك، جاهلية الظلم، جاهلية الفساد، جاهلية الجهل، ولهذا الله ﷻ أعزهم بالإسلام بأن نقلهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الجهل إلى العلم، ومن الفرقة إلى الوحدة، ومن الظلم والعدوان إلى العدل والإحسان: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠]. فلنتصل بالعزيز، لنكون أعزة في الدنيا والآخرة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

والكلام على اسم العزيز كلام عظيم جليل، وما أحوجنا إليه في هذا الزمان؛ لأننا نشعر بذلة على مستوى الأفراد والشعوب؛ لضعف الإيمان، فالإيمان ضعيف في القلوب،

وبتقويته بمعرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ يأتي الخير والفلاح والعزة.

فالإيمان له أربعة جهود: جهد على تحصيله، وجهد على حفظه، وجهد على الاستفادة منه، وجهد على نشره: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الله ﷻ هو القوي العزيز الرحيم، قوي لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء، عزيز لا يغلبه غالب، ولا يمنعه مانع، رحيم وسعت رحمته كل شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ومن عرف ربه العزيز بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ آمن به، وفوض أموره إليه، وتوكل عليه وحده لا شريك له، لماذا؟ لأنه القوي العزيز القادر على كل شيء، الملك الذي يملك كل شيء الغني الذي عنده خزائن كل شيء، الخلق كله، والأمر كله، والملك كله بيده وحده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر: ١٣].

هو الرزاق الذي جميع الأرزاق بيده، وجميع المرزوقين عبيده، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ [الشورى: ١٩].

بقوته وعزته خلق الأرزاق، وأوصلها إلى المرزوقين في كل زمان ومكان، لعالم الطير، ولعالم الحيوان، ولعالم الإنسان، ولغيرهم من المخلوقات التي لا يحصيها إلا الله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود: ٦].

والنصر كله بيد العزيز: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ [الأنفال/ ١٠].

فالنصر ينزل من السماء، كما ينزل القطر من السماء، النصر من الناصر، والرزق من الرزاق، والعلم من العليم، والعزة كلها بيد العزيز وحده.

من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا، ومن عرف أن ربه عزيز؛ خاف منه، وابتعد عن معصيته، وأقبل على طاعته، فلا منجى ولا ملجأ من الله إلا إليه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم

﴿مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

ومن عرف العزيز جل جلاله؛ أحبه وشكره لما يراه من نعمه وإحسانه، وعظمه وكبره لما يرى من كبريائه وعظمة مخلوقاته، وتوجه إليه بجميع أنواع العبادة التي يحبها ويرضاها، وما يطلبه العبد تحصيل محبوب، أو دفع مكروه، وذلك كله عنده جل جلاله، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر: ٢١].

فمن عرف ربه أحبه وعظمه وكبره، وتوجه إليه بجميع أنواع العبادة التي يحبها ويرضاها، وتوجه بالحب والتعظيم والذل لربه ﷻ، واستشعر ذلك بقلبه، وفعله بجوارحه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال/ ١ – ٤].

## التعبد لله ﷻ باسمه العزيز

من عرف ربه العزيز لجأ إليه في جميع أحواله، ولم يلتفت لأحد سواه، مهما تعدد البلاء، ومهما اشتدت البأساء وتقلبت الأحوال بين السراء والضراء، فنتوجه إلى ربنا الحي القيوم، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

ندعوه لحاجتنا إليه، وهو غني عنا، نحتاجه في تحصيل كل محبوب ودفع كل مكروه، نحتاج إلى السعادة في الدنيا، والفوز بالجنة، والنجاة من النار يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

فالحمد لله رب العالمين أننا نعبد ربًا قويًا قادرًا قاهرًا غنيًا عزيزًا جبارًا ملكًا رؤوفًا رحيمًا، ربنا ﷻ هو الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وقد دعانا لعبادته والتوجه إليه بكل عمل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

ومن آمن بالعزيز فهو عزيز، ومن كان في معية العزيز فهو عزيز؛ فالعزة في توحيد العزيز وعبادته وطاعته ومحبته واتباع أمره؛ لأنه العزيز الذي جعل العزة له ولأنبيائه والمؤمنين به: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون/ ٨].

وإذا عرفت ربك العزيز الرحيم؛ فتواضع له، وتذلل بين يديه، واعلم أنك من أفقر خلقه إليه، فبادر إلى الإكثار من ذكره وشكره وحسن عبادته والخشوع بين يديه، والخضوع والذل له: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

وإذا عرفت ربك العزيز؛ فسارع إلى طاعته، ولا تستكبر عن عبادته، ولا تعجب بنفسك وقوتك وعلمك ومالك؛ فذلك كله من فضل الله عليك، وقد ابتلاك بها أعطاك؛ لينظر أتطيعه بذلك أم تستكبر عن عبادته: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر/ ٦٠].

ومن عرف ربه القوي العزيز؛ ذل له، ولم يؤذي أحدًا من الخلق بقوله أو فعله، ولم يظلم من دونه، ولم يشتم أحدًا، ولم يسخر من أحد؛ لأنه يعلم أن القوي العزيز يراه إن تحرك، ويسمعه إن تكلم، ويعلم بها في قلبه إن سكت، ويعلم أنه مهما ملك من قوة وسلطان

ومال، فإن الله مهيمن عليه وعلى غيره، وهو ضعيف أمام قوة العزيز الجبار: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج/ ٧٤].

عزيز لا يغلبه غالب، ولا يمتنع عليه ممتنع، عزيز بيده ملكوت السموات والأرض، عزيز له العلو والشأن والرفعة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦].

هو العزيز المنيع الذي لا يغلبه غالب جل جلاله، ماذا فعل الله ﷻ القوي العزيز بمن كفر به، ولم يؤمن بما جاءت به رسله، ماذا فعل الله ﷻ بهؤلاء الأقوام من الأمم السابقة، الذين كفروا به، ولم يؤمنوا برسله جل جلاله؟ هؤلاء الذين كذبوا رسل الله ﷻ من عاد وثمود: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت/ ٣٨].

وكذا فرعون وقارون وهامان: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٣٩].

فماذا فعل الله بهم العزيز، الذي له جنود السموات والأرض؟ والباطل جندي من جنود الحق إذا ظهر قام عليه الحق، وقصمه؛ لأن العزيز معه، فهؤلاء الأقوام الذين تولاهم العزيز، لما كذبوا رسله، ماذا فعل بهم؟: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

إذًا فيجب على العبد أن يتصل بالعزيز، ولا يلتفت لأحد سواه، فكل ما سوى الله ﷻ أقل وأذل من بيت العنكبوت، ليس بيده شيء: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت/ ٤١].

فمن تعلق بغير الله مهما كان، فهو قد تعلق بأقل من بيت العنكبوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٢].

ماذا فعل الله ﷻ بالأقوام السابقة الذين كذبوا رسله وكفروا به: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ

﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ [الفجر/ ٦-١٣].

ماذا فعل العزيز بأصحاب الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾ [الفيل/ ١ - ٥].

ماذا فعل العزيز بكل ظالم: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود/ ١٠٢].

الله أكبر، ما أشد الجهل بالله ﷻ وأسمائه وصفاته، وما أخطر ترك العمل بشرعه والبعد عنه جل جلاله.

فأيها المسلم أنت عزيز إذا اتصلت بالعزيز، فتذلل رحمك الله لربك العزيز الكريم، راكعًا وساجدًا لتنال العزة في دينك ودنياك وآخرتك: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ - ١٧].

فالعزة بطاعة الله، بالسجود لله ﷻ، بكثرة ذكره، بامتثال أوامره.

قال النبي ﷺ لمن سأله عن مرافقته في الجنة: «**أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**» أخرجه مسلم[1].

فتذلل لربك العزيز، وتذلل لأولياء الله، ولأهل طاعته، واخفض جناحك للمؤمنين، وتعزز على من كفر وعاند واستكبر، وأصر على كفره: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة/ ٥٤].

وقال النبي ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ**

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٩).

أَحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ» أخرجه مسلم[1].

هو سبحانه العزيز الذي أعز من آمن به، وصدقه، وعمل بشرعه، فعليك أن تخضع لعظمته وتسجد لكبريائه، وتذل لعزته، يهبك من عزته، وتعظم في عينه، وتعظم في أعين الناس، وتنال عزته في الدنيا والآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج/ ٧٧].

وأعظم الخلق عزة من عبد العزيز، ودعا الناس إلى عبادة العزيز، والدخول في عزة العزيز: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

فنصل الذليل بالعزيز لينال العزة منه، فالداعي إلى الله قائم بهذا العمل، يدعو الذليل إلى أن يسجد للعزيز جل جلاله؛ فيعطيه من عزته، ويدخل في مجموعة المؤمنين، فيكون عزيزًا، بعزة الله ﷻ وإعزازه له؛ لأنه آمن به وأطاعه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[المنافقون: ٨].

فاعبد العزيز وحده تكن عزيزًا، واخلع من قلبك عزة المخلوق من كان وحيث كان؛ فإنه فقير عاجز ذليل ضعيف.

وأكثر من ذكر الله بلسانك تكبيرًا وتحميدًا لربك العزيز، واخلع من لسانك تعظيم المخلوق إلا ما أمرك الله بتعظيمه.

وكن في جميع أوقاتك عابدًا وراكعًا وساجدًا لربك العزيز، ولا تشغل بدنك في خدمة من سواه، إلا ما أمرك العزيز به: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام: ١٦١ – ١٦٣].

وكن بين يدي ربك العزيز خاشعًا ذاكرًا باكيًا: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾[الإسراء/ ١٠٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

لماذا؟ لأنهم عرفوا العزيز، وما يجب له، وعرفوا تقصير أنفسهم في عبادته؛ فهم يبكون أمام ربهم راكعين ساجدين: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

وبقدر معرفة العبد لربه العزيز؛ يحبه الله ويعزه ويكرمه، وهو يحب ربه ويعظمه ويطيعه، بقدر معرفة العبد لربه يحب ربه ويعظمه ويطيعه، وبقدر جهله بربه تهون على العبد معصية الله، وتثقل عليه طاعته، وبقدر معرفة العبد وطاعته لله يحبه الله، ويعظم في عين الله، ويعظم في أعين الناس: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة/ ١٥٢].

فما أعظم العلم بالله، ولن يعبد الله حقًا إلا من عرفه حقًا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وأحد أكبر أسباب العذاب النفسي والمرض النفسي، الذي يعاني منه كثير من الخلق، شيء واحد؛ هو التعلق بغير الله، وأن تجعل مع الله إلهًا آخر، فتكون في العذاب أبدًا، وفي الهم أبدًا، وفي البلاء أبدًا: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

فلا تعبد الأصنام، ولا تعبد الهوى، ولا تعبد الشهوات.

قال النبي ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ**» أخرجه البخاري(١).

فأكبر أسباب العذاب النفسي هو التعلق بغير الله، من النساء، أو الأشياء، أو القوة، أو المال، أو الدنيا، أو عبادة غير الله من الأصنام والأحجار أو غير ذلك: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء/ ٢٢].

مذمومًا: لا حامد لك، مخذولًا: لا ناصر لك، وأعظم إله معبود من دون الله، هو اتباع

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٧).

الهوى الذي يصرفك عن اتباع الهدى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص/ ٥٠].

فليحمد العبد ربه العزيز الذي من عليه بهذا الدين الحق، وبينه له، ورغبه فيه، وأثابه عليه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨ – ١٩].

ومن أعز الخلق؟ أعز الخلق هم من عرف الخالق، وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لأن الخلق كلهم في حاجة إلى علمهم، وقد جعلهم الله ﷻ أبواب رحمته وفضله وإحسانه: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٩].

فأعز الخلق هم الأنبياء والرسل؛ فلنعرف لهم فضلهم ونتبعهم فيما بلغوه عن ربهم، واتباعنا للنبي ﷺ يجب أن يكون في خمسة أمور:

في نيته، وفكره، وفي أقواله، وفي توحيده وإيمانه، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الكريمة: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فالرسل هم أبواب رحمته جل جلاله، وفضله وإحسانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

ولهذا من أطاعهم أحبه الله وغفر له، ومن أراد أن يحبه الله ﷻ، فليطع رسوله وليتبعه فيما جاء به: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران/ ٣١].

ولا تنفع المحبة بدون عمل، النصارى يحبون الله، ولكن لا تنفع المحبة إلا بالعمل، فالإيمان اعتقاد وقول وعمل: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل/ ٣٢].

والمؤمنون أعزة لماذا؟ لأنهم اتصلوا بالعزيز فأعزهم، وكلما اشتدت الحاجة إليك أيها

الإنسان فأنت عزيز، فالطبيب عزيز؛ لأنه سبق إلى ما لم يسبقه إليه غيره، والعالم عزيز، والغني عزيز، والقوي عزيز، فكلما اشتدت الحاجة إليك، وكل ما ظهرت فيك صفة من الصفات ليست عند غيرك فأنت عزيز، لأنك نادر قليل في الناس.

وكل من آمن بالله العزيز، وأطاع أمره؛ فلا يمكن أبدًا أن يكون ذليلًا بل هو عزيز: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[المنافقون: ٨].

ولا عزة للمسلم إذا طمع بما عند غيره؛ فالعزيز من استغنى عن الناس، واحتاج الناس إليه، وكلما اشتدت الحاجة إليك فأنت عزيز، لكن الكافر إذا اشتدت الحاجة إليه كان لئيمًا يطمع بما في يدك، ويتحكم بأمرك، والمؤمن إذا اشتدت الحاجة إليه كان كريمًا متواضعًا.

قال النبي ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» متفق عليه(١).

فإياك والطمع، وبمجرد الطمع تصبح ذليلًا، فمن استقام على أمر الله أعزه الله ﷻ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٢ – ١١٣].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[آل عمران/ ١٣٩].

فما من مؤمن استقام على دين الله، ثم سأل الله أي مسألة إلا أراه الله معاملةً خاصة، ليشعره بأنه عزيز عليه، غال عليه، كل من استقام على دين الله، ثم سال الله، فالله كريم لا يرد سائلاً أبدًا، فمن كان مؤمنًا، ثم سأل الله، لا بد أن يريه الله معاملةً خاصة، يشعره بأنه عزيز عليه، غال عليه، محبوب لديه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[النساء: ٦٩ – ٧٠].

ولذلك بعد كل طاعة يجد المسلم انشراحاً وأنساً؛ لأنه أطاع العزيز، فملأ قلبه بالإيمان، لأنه اتصل بالعزيز، فامتلأ قلبه بالأمن والإيمان، فكل من سأل الله لا بد أن يشعره الله

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٦)، ومسلم برقم (٢٥٨٥).

ﷻ بأنه عزيز عليه، محبوب لديه، فأحيانًا تدعو الله فيستجيب لك، وأحيانًا تدعوه فيصرف عنك السوء، وأحيانًا تدعوه فيلقي محبتك في قلوب الخلق، وأحيانًا يلين قلوب أعدائك لك، وأحيانًا تدعوه فيؤخر الإجابة، لأنه يحب أن يسمع تضرعك ودعاءك: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾[البقرة/ ١٨٦].

والله سبحانه إذا طمعت فيما عنده أحبك وعزك، والناس إذا طمعت فيما عندهم؛ كرهوك واحتقروك؛ فمن أراد العزة فلا يقف بأبواب الفقراء، وليقف بباب العزيز الغني الكريم الذي لا يُغلق أبدًا: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾[الأنعام/ ١٠٢].

وقال النبي ﷺ لابن عباس: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» أخرجه أحمد والترمذي[١].

وقال النبي ﷺ: «**تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ**» أخرجه أحمد[٢].

تعرف إلى الله ﷻ في الرخاء يعرفك في الشدة، فإذا سألت فاسأل العزيز الكريم، اسأل الغني، اسأل الذي يفرح بسؤالك، ولا تذل نفسك لغيره؛ لأنك عبد الله ولا يرضى لك أن تسأل غيره، وهو جل جلاله إذا لم تسأله يغضب عليك؛ لأنه يريد لك العزة، فلا تذل نفسك لغيره من الخلق؛ فارفع يديك للعزيز ولا تمدها للعبيد فكلما قطعت طمعك عن الناس؛ أغناك الله من فضله، وكلما مرغت وجهك ساجدًا للعزيز أعزك الله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾[الروم: ٣٠].

ومن عرف الله عرف الطريق إليه، وعرف ما يرضيه، وعرف ما يسخطه، فتعرف على

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) وهذا لفظه.

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٨٠٣).

الله، تعرف سبل رضاه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

إذا عرفت الله أطعته ولم تعصه، وإذا لم تعرفه هانت عليك معصيته فعصيته، وما عصى الله إلا جاهل، فلا تكونن من الجاهلين، ما عصى الله إلا جاهل بعظمته وبنعمه، وبأسمائه وصفاته، ما عصى الله أبدًا إلا جاهل بربه فلا تكونن من الجاهلين؛ فكن عارفًا بربك لتعبده بالحب والتعظيم والذل له: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وأعز الناس هو المؤمن لماذا؟ لأنه يعلم أن الله معه يغنيه عما سواه ويدافع عنه، ويرى أنه عبد للعزيز، لن يسلمه ولن يخذله ولن يتخلى عنه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/ ٤٠ - ٤١].

وإذا عظم القلب الرب جل جلاله؛ صغر الخلق في عينه، وإذا عظم القلب الخلق لم يتسع لتعظيم الرب، فالقلب لا يتسع إلا لعظيم واحد، إن كان هو الله جاءت عظمة الله، ثم جاءت عظمة امتثال أوامره، ثم جاء اتباع كتابه، واتباع رسوله، ثم نال العبد من ربه العظيم ثوابه العظيم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ومن عرف أن ربه عزيز؛ لم يطلب العزة إلا بطاعته، فأعز أمر الله يعزك الله، هو الذي كلما أطعته أعزك وأكرمك، وكلما عصيته أذلك وعاقبك لتعود إليه رحمةً بك، كلما عصيت الله ﷻ ابتلاك ببلاء حتى تعود إليه، فما ابتلاك إلا ليعافيك، ولا منعك إلا ليعطيك؛ يريد أن تعود إليه، وترجع إليه، وتدعوه فيكشف ضرك، وإذا كشف ضرك؛ زاد إيمانك، وقويت طاعتك: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢ - ٣].

ولكن أين عزة المؤمنين اليوم؟ الكفارة لهم الغلبة، يتحكمون في المسلمين في كل شيء، حال المسلمين اليوم، دين الله هان عليهم فهانوا على الله، ولا عزة لهم إلا إذا اتصفوا بصفات أهل الإيمان، التي اشترى الله أهلها، ووعدهم بالنصر والعزة والغلبة وهي: :﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾[التوبة/ ١١٢].

صفات أهل الإيمان:﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[الأحزاب: ٣٥].

صفات المؤمنين الذين وعدهم الله بالنصر:﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾[الحج: ٤٠ – ٤١].

لننظر كيف هبطنا في أودية الذلة، وتركنا الترقي في درجات العزة.

خرجت منا الصفات، وخرجت منا الأقوال التي يحبها الله، والأعمال التي يحبها الله.

هو سبحانه العزيز الذي جعل العبيد ملوكًا بطاعته، وجعل الملوك أذلةً بمعصيته، كما حصل ليوسف نبي الله فإن الله ﷻ أخرجه من بطن الجب إلى ظهر الأرض، ومن قعر السجن إلى قصر الملك:﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾[يوسف/ ١٠١].

لم يعبأ بذلك كله، إنما طلب من ربه أن يتوفاه على الإسلام.

أما جعل الملوك أذلة بمعصيته فكما حصل للنمرود، وكما حصل لفرعون:﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢﴾[القصص/ ٤٢].

ومن أحب أن يكون عزيزًا مكرمًا محبوبًا فليكثر من طاعة العزيز، فكلما زدت لله طاعة زادك الله عزةً وإيمانًا وكرامةً، اصبر عن الحرام، يأتيك أحسن منه من الحلال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

ومن يرد العزة كلها فليعبد الذي عنده خزائن العزة كلها: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾ [فاطر/ ١٠].

كل سعادة وعزة وكرامة في الدنيا تحصل للعبد مقرونة بطاعة الله، وكل ذلة وشقاوة وإهانة مقرونة بمعصية الله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤﴾ [النساء: ١٣ – ١٤].

فالله ﷻ يريد من الإنسان أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة، ولا عزة له إلا بأن يكون مطيعًا لربه ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور: ٥٥].

فكل عزة وسعادة وكرامة مقرونة بطاعة الله، والذي يتأمل القرآن؛ يجد أن الله أكرم المؤمنين بأنواع الكرامات في الدنيا وفي الآخرة.

ومن تتبعها وجدها، أكثر من ثلاثين كرامة قبل الموت ، وأكثر من ثلاثين كرامة بعد الموت لماذا؟ لأنك اتصلت بالعزيز، وليس عند العزيز إلا أبواب العزة يعطيك ما شاء مما يعزك في دنياك وأخراك: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٥﴾ [يونس: ٦٥].

وكل شقاوة مقرونة بالمعصية؛ فالإنسان يعذب بمعصيته في الدنيا، وكذلك في الآخرة،

فمن عصى الله أصيب بأكثر من ثلاثين مصيبة في الدنيا، ويوم القيامة كذلك، وأعلاها يوم القيامة سخط الجبار ودخول النار.

فكل طاعة مقرونة بالفوز والفلاح:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب/ ٧١].

وكل معصية مقرونة بمصيبة:﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾[النساء/ ١٢٣].

وهذه سنة الله مرئية مشاهدة، بعد كل طاعة سعادة وأمن وعزة وطمأنينة:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾[الرعد: ٢٨ – ٢٩].

بعد كل معصية ذلة وخوف وشقاء وتعب، وضيق:﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾[طه: ١٢٤ – ١٢٦].

فمن سار في طاعة الله اعزه الله، ومن سار في معصية الله أذله الله ﷻ.

ولن تخرج هذه الأمة من الذلة إلى العزة التي وعد الله المؤمنين بها إلا بالأمور التالية:

أولها: التوبة إلى الله من جميع المعاصي، نحن نعيش في الذلة لماذا؟ لأن أكثرنا ترك الدين إلى الدنيا، وكثير منا اطاع الشيطان وعصى الرحمن، فمن نسي الله نسيه، ومن نسي الله أنساه نفسه، ومن نسي الله سلط الله عليه الذليل، سلط الله عليه اليهود والنصارى، الذين:﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ٦١].

فإذا أذلك الذليل؛ فانظر إلى أي ذلة أنت فيها؟ لماذا أذلنا الله؟ لأننا خرجنا من حقائق الدين، خرجنا من الصفات التي يحبها الله، ولبسنا صفات اليهود والنصارى كما أخبر النبي ﷺ، فلا بد من التوبة إلى الله من جميع المعاصي:﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾[الحجرات/ ١١].

وقال سبحانه:﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١ ﴾ [النور: ٣١].

٢- ثم طاعة الله ورسوله، فلا نطيع إلا الله ورسوله، فيما جاء عن الله ورسوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

٣- وتحقيق التوحيد: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

٤- وحسن الظن بالله، نحسن الظن بالله ﷻ، بأنه قوي وقادر، وأنه ينصرنا بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، كما نصر أنبياءه ورسله، ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

٥- والخوف من الله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٧٥].

٦- عدم التعلق بالدنيا وشهواتها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٥-٦].

٧- حسن الاستقامة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠- ٣٢].

هذه مواعيد من رب العالمين، مواعيد على الصفات؛ فمن جاءت فيه صفات الإيمان والأعمال الصالحة أعزه الله، وهداه، وجعله خليفة في الأرض.

والأمر بأيدينا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١].

فمن أراد الانتقال من الجهل إلى العلم، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الفرقة إلى الوحدة، ومن الظلم إلى العدل، ومن الذلة إلى العزة، فليطع الله ورسوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران/ ٣٢].

ومن أعظم أسباب ذلة المسلمين اليوم؛ الإعراض عن دين الله، واتباع سنن اليهود والنصارى؛ فلا عزة إلا بالدين: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[طه/ ١٢٣ - ١٢٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[آل عمران/ ١٠٠ - ١٠١].

ومن أسباب الذل مخالفة أوامر الله، وترك الجهاد في سبيل الله.

قال ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**» أخرجه أبو داود [1].

فمن أراد العزة فليسأل العزيز، وليستعن بالعزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾[البقرة: ١٥٣].

فهذا هو طريق العزة، أن نتبع هذا الدين العظيم؛ لنكون أعزة، والمؤمن يعتز ويستعين بالله العزيز، ولا يستعين بالكفار إلا منافق، ولا يخاف منهم إلا منافق: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾[النساء/ ١٣٨ - ١٣٩].

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[المائدة: ٥٢].

فنحن نتوجه إلى الله في جميع الحوائج ونفزع إليه وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾[الذاريات: ٥٠ – ٥١].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٣٤٦٢).

وعزة الكفار اليوم هي بسبب المسلمين، بسبب المسلمين جاءت القوة وقوة السلاح، وقوة العلم، لأن المسلمين تخلوا عن الصفات التي يعزهم الله بسببها؛ فنحن سبب ظهور الكفار واليهود والنصارى؛ لأننا تخلينا عن الدين، وذلك سبب لأن ننزل من العزة إلى الذلة؛ لأننا نكره اليهود والنصارى بقلوبنا، ولكن نحب أعمالهم، نذمهم بألسنتنا، ونتصف بصفاتهم بجوارحنا وإن كنا نبغضهم في قلوبنا وهذا لا ينفع، لا بد أن يمتثل المسلم أمر ربه، ويعرض عما سواه من سنن اليهود والنصارى؛ لأن هؤلاء ضربت عليهم الذلة والمسكنة، فباتباعهم تحصل زيادة في الذلة، زيادة في العذاب، زيادة في الخوف:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾[آل عمران: ١٠٠ – ١٠١].

إن قريشاً قبل الإسلام كانت تعيش في جاهلية وهمجية وذلة، بين الفرس والروم، فلما دخلوا في الإسلام صاروا أعزة بعد تلك الذلة:﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾[آل عمران: ١٠٣].

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾[قريش/ ١ – ٤].

والمسلمون اليوم يعيشون في ذلة بين الكفار، ولن تعود عزتهم إليهم إلا إذا عادوا إلى ربهم، وتابوا من معاصيهم، وأطاعوا ربهم، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها:﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾[الحج: ٤٠ – ٤١].

ومن أراد أن يوحد الله حقًا، ويعبد الله حقًا، فليعلم أنه عبد العزيز، الذي لا مثيل له، العزيز الذي لا يغلب، عبد العزيز الذي يعز من يشاء من عباده، فهل أنت عبد العزيز؟

هل أنت عبد القوي؟ هل أنت عبد الملك؟: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾[الشعراء/ ٢١٧- ٢٢٠].

ومن استشعر أنه عبد لله بهذه الأسماء والصفات، امتلأ قلبه بحب ربه وتعظيمه، وتحميده وتمجيده؛ لأنه العزيز الحكيم، العزيز العليم، العزيز الرحيم، العزيز القوي: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[آل عمران/ ١٨].

فسبحان العزيز الحكيم الذي خلق جميع المخلوقات، العزيز الذي يدبر كل ذرة في ملكه العظيم: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[الملك/ ١- ٢].

فالحمد لله أن ربنا هو العزيز، والحمد لله أني عبد العزيز، والحمد لله أن رزقي عند الملك العزيز: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية/ ٣٦- ٣٧].

هو سبحانه العزيز الذي بيده مقاليد السموات والأرض، العزيز الذي بيده النصر العزيز الذي بيده العزة كلها، وبيده الأمر كله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الأنفال/ ٩- ١٠].

فخزائن النصر بيده؛ فلا نصر لنا على أنفسنا، ولا نصر لنا على عدونا إلا بالاستعانة بالعزيز الذي يملك خزائن العزة والذي يعز من أعز دينه، واتبع شرعه: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[الحجر: ٢١].

هو سبحانه العزيز الذي لا يرضى لأوليائه الذل أبدًا؛ لأنه العزيز الذي جميع عبيده أعزة لا يقدر أحد على إذلالهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾[الحج/ ٣٨].

انظر كيف فعل العزيز بفرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى؟! انظر ماذا فعل العزيز بقارون الذي: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴿٧٨﴾﴾[القصص/ ٧٨].

ماذا فعل العزيز بعاد؟: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ [الفجر/ ٦].
ماذا فعل العزيز بأصحاب الفيل؟: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل/ ١].

هو العزيز الذي جميع مخلوقاته خاضعة لأمره ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، ومسبحة بحمده، وشاهده بوحدانيته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ۝١٨﴾ [الحج/ ١٨].

لأنه العزيز، ولكنه لا يفعل إلا بحكمة، وقدرته المطلقة لا يقف لها شيء، ولا يمتنع عليها شيء؛ وحكمته المطلقة مقرونة بالخير المطلق، فالخير إليه والشر ليس إليه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو العزيز جل جلاله، في ملكه وسلطانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ [نوح/ ١٥- ٢٠].

فكن عبدًا للعزيز وحده ولا تخضع للذليل؛ فإنك عزيز، ولا تقبل الذل أبدًا؛ لأنك عبد العزيز، وأعز الناس بما تقدر عليه، يعزك الله، فإن لم تفعل أذلك الله، انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، ليكون عزيزًا، علم الجاهل ساعد المحتاج، أعط الفقير، ارحم المسكين: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢].

كن مفتاحاً لأبواب عزة الناس: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٥٢﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

تذلل للعزيز فأنت عبده الفقير المحتاج إليه، سله ما تريد، احمده على نعمه، واستغفره من ذنوبك، فإنه عزيز رحيم.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾
[آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[البقرة: ٢٨٦].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[آل عمران: ٨].

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك المؤمنين.

اللهم أعز من أعز دينك، واخذل من خذل دينك، يا قوي يا عزيز.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

## اســــم الله

# الجبار

## اسم الله الجبار

الله ﷻ أراد أن يُعرف فخلق هذا الكون العظيم بسمواته وأرضه وما فيهما من المخلوقات؛ ليدل على عظمة جلاله، وعظمة مُلكه وسلطانه، وأنه الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر، وبيده الملك وهو على كل شيء قدير: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢].

والله ﷻ من أسمائه الحسنى الجبار: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر: ٢٣].

فالله ﷻ هو الجبار، العالي فوق خلقه، المنزه عن كل نقصٍ وعيب، هو سبحانه الجبار على الظالمين، الجبار للمظلومين الذي ينتزع حقوقهم من الظالمين، هو الجبار الرحمن الرحيم لعباده، جبارٌ للإنسان الضعيف، جبارٌ للمرأة الضعيفة، جبارٌ لكل عاجزٍ لا يجد ظهرًا يحميه، جبارٌ يجبر الكسور في الأبدان والقلوب، ولا يجبر كسر القلوب إلا الجبار القادر على كل شيء: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥].

ومن حكمته جل جلاله؛ أن يجعل في الأمة الضعيف، والعاجز، والمحروم، والمريض، والفقير، والخائف، لماذا؟ ليظهر ويتجلى لعباده باسمه الجبار، فلا جبار يجبر الكسور والقلوب إلا الله وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام/ ١٠٢].

والله ﷻ هو الجبار الذي له ملك السموات والأرض، وهو الملك الذي له ما في السموات وما في الأرض، وهو الرزاق الذي جميع ما في الكون كله من نعمه جل جلاله: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١].

فيجب علينا أن نؤمن بالجبار جل جلاله، الذي تجبر وعلا على خلقه، الجبار على الطغاة

والظلمة والمجرمين، فأكبر ذنب يواجه به الإنسان ربه الجبار؛ أن يتكبر ويستكبر عن عبادته وطاعته، يستكبر عن عبادة ربه الذي خلقه، ويتكبر عن إتباع دينه، ويتكبر على خلقه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر/ ٦٠].

فالله ﷻ بقدر ما نعرفه بأسمائه وصفاته، تأتي محبته، ويأتي تعظيمه وتكبيره وإجلاله، والخضوع له، والانكسار بين يديه.

فالله ﷻ هو الجبار الذي بيده الملك والملكوت، وله العزة والجبروت وله المُلك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وبيده الخير كله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦].

وإذا عرفنا الجبار جل جلاله؛ فما هي أفعاله في مُلكه العظيم؟ وما هي أفعاله مع أوليائه؟ وما هي أفعاله مع أعدائه؟

الله ﷻ هو الجبار، القاهر العالي فوق خلقه، الجبار على الظالمين، الجبار للمنكسرين المفتقرين المتذللين بين يديه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ [الحشر: ٢٣].

- **إذا أردنا أن نعرف الجبار؛ فيجب أن نعرف ثلاثة أمور:**

**أولًا:** نعرف ما هي أفعاله في مُلكه العظيم من خلق وتدبير وأحكام.

**ثانيًا:** نعرف ما هي أفعاله مع أوليائه، مع أنبيائه، مع رسله، مع المؤمنين به.

**ثالثًا:** نعرف ما هي أفعاله مع أعدائه من الكفار المعاندين، والمجرمين الظالمين.

الجبار جل جلاله له أفعال عظيمة في مُلكه العظيم، فما هي أفعاله في مُلكه العظيم جل جلاله؟

هو الذي خلق السموات والأرض، وخلق ما في السموات والأرض من المخلوقات، والله ﷻ يظهر لنا كيفية خلقه في العالم العلوي والعالم السفلي؛ لنعرف الخالق مَن، الكبير مَن، القادر مَن؟ الجبار مَن؟: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ

﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢].

والله ﷻ يُظهر لنا بآياته ومخلوقاته هذا الخلق العظيم له جل جلاله، حتى نعبده ونوحده ونشكره جل جلاله؟

فمن أفعال الجبار في مُلكه العظيم ما أخبر عنه بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾[الرعد/ ٢].

ثم يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾[الرعد/ ٣].

ثم يقول: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤﴾[الرعد/ ٤].

إذا نظرنا في هذا الكون العظيم، وفي هذا الملك والملكوت: تجاوزنا المخلوق إلى الخالق، وتجاوزنا الصور إلى المصور، فننظر في عظمته وجلاله، وننظر في أمره وشرعه، ونعبد الله ﷻ بما جاء به رسوله ﷺ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾[يونس: ١٠١].

فهذه الأمور تملأ القلب إيمانًا وتوحيداً، وتدل على عظمة الله، وعظمة مُلكه وسلطانه ومخلوقاته، الله ﷻ يريد منا أن نتعرف على هذه الأمور العظيمة؛ حتى نعبد الله حق عبادته جل جلاله.

ومن أفعاله في مُلكه العظيم؟ ما أخبر به: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾[يونس: ٣١-٣٢].

ومن أفعاله في ملكه العظيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾[يونس/ ٣- ٤].

ثم يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾[يونس/ ٥].

فإذا عرفنا هذه الأمور؛ ازددنا إيمانًا واتسع القلب لطاعة الله ﷻ وعبادته جل جلاله، فالقلب لابد أن يمتلئ بهذه المعارف؛ ليأتي منه التعبد لله ﷻ بأسمائه وصفاته على ما جاء به رسوله ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

فلابد للقلب أن يعرف من هو الرب المعبود، والله ﷻ بين لنا أفعاله في مُلكه العظيم؛ فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾[النحل/ ٣- ٥].

ويقول ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾[النحل/ ١٠- ١١].

إذا عرفتم ذلك؛ فاشكروا الله على نعمه، وآمنوا به وأطيعوه واعبدوه.

ويقول ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾[النحل/ ١٢].

ويقول ﷻ: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾[النحل/ ١٣].

ويقول ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾[النحل/ ١٤].

فهذه بعض أفعاله في مُلكه العظيم: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾

﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧﴾[النبأ: ٦ – ١٧].

مَن هذه أفعاله؛ تجب طاعته؛ لأنها تدل على عظمته، وعلى كرمه، وعلى إحسانه، وعلى رحمته بخلقه؛ فيجب أن نعبده إذا عرفنا هذه الأمور: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢].

والقرآن مملوء من هذه المعارف العظيمة، التي تجر القلب للإيمان بربه ﷻ، فالنظر والتفكر في آيات الله يزيد الإيمان في القلب: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠﴾[نوح: ١٥ – ٢٠].

ويقول ﷻ: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾[ق/ ٦ – ٨].

إذا عرفتم أفعاله في مُلكه العظيم؛ فتعلمون أنه هو الخالق، الرازق، القوي، القادر، الرحمن، الرحيم، الكريم، السميع، البصير، العليم، الخبير، وإذا عرفتم ذلك أحببتموه، وإذا أحببتموه أطعتموه وعبدتموه.

فهذه المعارف يجب علينا أن نملأ القلب بها في كل يوم، ولهذا يُشرع للإنسان أن يقرأ القرآن في كل يوم؛ لأن القرآن أخبار وطلب، أخبار عن الله وأسمائه وصفته، وأخبار عن المخلوق في الدنيا والآخرة، أخبار عن المخلوق عن الإنسان،عن السموات والأرض، عن الجنة، وعن النار: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾[يونس: ١٠١].

وأما الطلب فهو طلب الفعل: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة: ٤٣].

هذا طلب فعل الصلاة والزكاة.

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[النساء/ ٣٦].

اعبدوا الله: طلب فعل، ولا تشركوا به شيئًا: طلب ترك.

فهذه المعارف تملأ القلب إيمانًا وتوحيدًا ويقينًا، ثم يأتي حب الله، وتعظيمه، وتكبيره، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾[فاطر/ ٤١].

هذا فعل الجبار في مُلكه، يُمسك السموات والأرض أن تزولا، وهو جل جلاله الذي يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، هذه قوة الجبار، ومن هذه قوته، وهذه نعمه، وهذا مُلكه وسلطانه؛ فيجب علينا عبادته، بل نتشرف بعبادته؛لأننا نحتمي بعظيم، ونلجأ إلى كبير، ونسأل الكريم:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾[يونس: ٣].

فإذا عرفناه بأسمائه وصفاته، وعرفنا مُلكه وسلطانه؛ آمنا به، ثم اشتاقت قلوبنا للعمل بشرعه والتقرب إليه باتباع رسوله ﷺ، ويقول ﷻ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾ [الغاشية/ ١٧-٢٠].

هذه أفعال الجبار جل جلاله في مُلكه؛ فيجب أن أكون عبداً للجبار، الجبار القاهر العلي الأعلى فوق خلقه، الجبار على الظالمين، والمجرمين والطغاة، الجبار للمنكسرين المتذللين بين يديه.

ومن أفعال الجبار في مُلكه: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾[الأنبياء/ ١٠٤].

وهكذا يجب علينا أن نتعرف على هذه الأمور؛ حتى يمتلئ القلب بالإيمان، وإذا امتلأ بالإيمان أطاع الرحمن جل جلاله:﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

والقرآن العظيم، مملوء بمثل هذه الأمور العظيمة، وعلينا أن نتعرف على ذلك، ونعرف اسم ربنا الجبار جل جلاله، من خلال النظر في المُلك والملكوت.

الله ﷻ هو الملك الجبار جل جلاله، ملأ الكون بنعمة وإحسانه فيجب أن نملأه بحمده

وشكره: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل/ ٥٩].

فأفعال الله ﷻ في مُلكه العظيم عظيمة، وبمعرفتها المؤمن يتأثر بذلك ويُقبل على عبادة ربه الذي خلقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

ما هي أفعال الجبار في مُلكه العظيم؟ يقول الجبار عن نفسه: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل/ ٦٠].

كم شجرة في الأرض؟ كم ثمرة في الأرض؟ مَن خلقها؟ مَن لونها؟ مَن يسرها؟ هو الله ﷻ: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل/ ٦١].

يجب أن نتعلم ذلك حتى نعظم العظيم، ونكبر الكبير، ونشكر المحسن: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل/ ٦٢- ٦٣].

الله ﷻ أفعاله في مُلكه العظيم، أفعال عظيمة وإذا عرفناها امتلأت قلوبنا بالإيمان، والتوحيد، واليقين، ثم جاءت طاعاتنا بالمحبة والتعظيم والذل له، فما أحوجنا إلى معرفة الله بأسمائه وصفاته؛ حتى تأتي الطاعات على ما يحبه الله ﷻ ويرضاه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

ويقول ﷻ عن أفعاله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم/ ١٩- ٢٠].

الله أكبر، كم خرج من هذا الرجل، وهذه المرأة؟ من آدم وزوجه هذا النسل الكبير من البشرية رجالًا ونساءً: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم/ ٢١].

ومن أفعال الجبار: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم/ ٢٢].

ومن أفعال الجبار: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الروم/ ٢٣].

ومن أفعال الجبار: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الروم/ ٢٤].

وأفعاله ﷻ كثيرة في مُلكه العظيم، والقرآن كله مملوء بهذه الأفعال العظيمة والكبيرة والكثيرة.

الله ﷻ بين أسماءه وصفاته وأفعاله في القرآن؛ حتى نعرف الكبير، نعرف المعبود، نعرف الخالق، نعرف القوي، نعرف الغني، نعرف السميع البصير، نعرف العزيز الكريم، نعرف التواب الرحيم.

فإذا عرفناه بأسمائه وصفاته؛ كبرناه وأحببناه وعبدناه، ومن هذه أفعاله، وهذه مخلوقاته، وهذه قدرته؛ هو الذي يجب أن نعبده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فهذه أفعال الجبار في مُلكه العظيم، وسلطانه الكبير جل جلاله.

وإذا عرفنا الملك العزيز الجبار القوي القهار، فيجب أن نعرف أفعاله مع أعدائه لنخافه ونهابه، ونكبره ونعظمه؛ ونتقيه ونطيعه ولا نعصيه فما هي أفعاله مع أعدائه جل جلاله؟

أفعاله مع أعدائه، ماذا فعل بمن عصاه وكفر به من الأمم السابقة، لننظر في القرآن نجد القرآن مملوءاً بهذه الأمور.

يقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟

فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر/٦- ١٤].

هذه أفعاله مع أعدائه: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ﴿٢﴾ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١ – ٥].

ويقول ﷻ: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ [الحاقة: ١ – ١٠].

هذه أفعال الجبار بأعدائه من الطغاة المستكبرين والمعاندين والمكذبين: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ﴾ [الذاريات/ ٣٨- ٣٩].

فماذا فعل الله به وبغيره؟ ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات/ ٣٩- ٤٢].

الرياح بيده، والنجوم بيده، والحر والبرد بيده، والصواعق بيده، والخسف بيده،والزلازل بيده، بيده الملك والملكوت، هو جبار يفعل ما يشاء، ولكن أفعاله على وفق الحكمة، والحكمة مقرونة بالخير المطلق، ومقرونة بالقدرة المطلقة التي ليس لها حد: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٢ –٢٣].

ماذا يقول الجبار عن أعدائه؟: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ

﴿فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ٤٨ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩﴾
[الذاريات: ٤٣ – ٤٩].
فما واجبنا بعد معرفة ذلك: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠- ٥١].
وماذا يقول الجبار عن أعدائه من الطغاة والمستكبرين؟: ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ
لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ
مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩﴾ [العنكبوت/ ٣٨- ٣٩].
فماذا فعل العزيز الجبار جل جلاله بهم؟: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ
حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ [العنكبوت/ ٤٠]؛
هذه أفعال الجبار جل جلاله.
فسبحان الجبار الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ
مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ [فاطر: ٤٤].
ويقول الجبار عن فعله بأعدائه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ
أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود/ ١٠٢].
فأفعاله جل جلاله مع أعدائه بينها الله ﷻ في سورة الشعراء، في سورة الأعراف، في سورة الإسراء، في سورة الأنبياء، في سورة طه، في سورة مريم، وفي جميع سور القرآن ذكر الله ﷻ أفعاله مع أعدائه، وأفعاله مع أوليائه، وأفعاله في مُلكه العظيم: ﴿وَنَزَّلۡنَا
عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل: ٨٩].
هذه أفعال الجبار في مُلكه العظيم، وهذه أفعال الجبار مع أعدائه، فما هي أفعال الجبار الرحمن الرحيم مع أوليائه؟.
الله ﷻ فطر الناس على التوحيد، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وزودهم بالأسماع والأبصار والعقول، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ

﴿ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان: ٢٠].

فما هي أفعال الجبار مع أوليائه المؤمنين؟﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت: ٣٠ – ٣٢].

الله عَجَلَّ من علينا ببعثة الرسول ﷺ، الذي بين لنا الحق، ويريد منا أن نتصف بالصفات التي يحبها، يريد منا أن نصل إلى أعلى درجة في الإيمان، في اليقين، في الأقوال، في الأعمال، في الأخلاق:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام/ ٨٢].

هذه أفعال الجبار مع أوليائه:﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب/ ٣٥].

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[يونس: ٦٢ – ٦٤].

هذه أفعال الجبار جل جلاله مع أوليائه، سعادة في الدنيا، وسعادة في الآخرة، فما واجبنا تجاه هذا التكريم؟﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾[الأحزاب/ ٤١ – ٤٤].

هذه أفعاله مع أوليائه:﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ

أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة/ ١٠٠].

هذه أفعال الجبار مع أوليائه:﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل/ ٩٧].

فالله ﷻ هو الجبار الذي ذكر في القرآن أفعاله في مُلكه العظيم، وذكر أفعاله مع أعدائه، وذكر أفعاله مع أوليائه، والقرآن كله بيان لهذا، وهذا، وهذا، ومعرفة ذلك كله يثمر للعبد حب الله، وتعظيمه، وتكبيره، والخوف منه، والحياء منه، وحمده وشكره، والإكثار من ذكره، وحسن عبادته:﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

هو سبحانه الجبار الذي جبر رسله وأنبياءه وأولياءه، جبر خليله إبراهيم ﷺ فأنجاه من النار، وجبر نوحًا، وهودًا، وصالحًا، وشعيبًا ولوطًا، فنصرهم، وأهلك أعدائهم، وجبر محمدًا ﷺ، لما كذبه قومه بخديجة وعمه أبي طالب، ثم جبره بالأنصار الذين نصروه، وأكرموه، وآمنوا به، ثم جبره بجبريل وملك الجبال لما ذهب إلى الطائف، ثم جبره بالإسراء إلى بيت المقدس، ثم بالمعراج إلى السماء، ثم الهجرة من مكة إلى المدينة، ثم نصره على من عاداه، ثم دخل الناس في دين الله أفواجًا كما قال سبحانه:﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾[النصر/ ١- ٣].

فهذه أفعاله في مُلكه العظيم، وهذه أفعاله مع أعدائه، وهذه أفعاله مع أوليائه، أتينا بالمختصر من ذلك، ومن أراد الاستزادة فليقرأ القرآن:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾[هود: ١].

# التعبد لله ﷻ باسمه الجبار

الله ﷻ هو الجبار، فيجب علينا أن نتعرف على الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، لنعبده كما يليق بجلاله، ففي النظر والتدبر والتفكر، تأتي قوة التعبد، تأتي قوة التوجه إلى الله، قوة الاستكانة والخشوع والخضوع بين يدي الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

والإنسان إذا نظر في الآيات الكونية، وتدبر في الآيات القرآنية، رأى بقلبه عظمة الملك الجبار، يتصرف في الملك والملكوت بالقوة والجبروت، فخشع قلبه لعظمة ربه العزيز الجبار، وتحركت جوارحه لطاعته، ونطق لسانه بالتسبيح والتكبير والحمد له في جميع أوقاته، لماذا؟ لما يرى من عظمة ربه وجلاله وكبريائه، وجميل إحسانه وإنعامه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد/ ٢].

فهذا هو القلب الذي رأى ربه يخلق ويرزق ويتصرف في مُلكه العظيم، فذكره كأنه يراه، فالله ﷻ إن تكلمت فهو سميع، وإن تحركت فهو بصير، وإن أضمرت فهو خبير، وإن أسررت فهو عليم بذات الصدور: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٣ - ١٤].

فسبحان الجبار الذي له الملك والملكوت، وله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى.

استضافنا في بطن الأم، ثم استضافنا في بطن الدنيا، ثم سوف يستضيفنا في بطن القبر، ثم يستضيفنا يوم القيامة في دار القرار، إما في الجنة أو النار، حسب العمل: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦ - ١١].

فلا إله إلا الله، كم عظمة الله؟! وكم جلاله؟! وكم جبروته! فلنعبده حق عبادته، ونذكره حق ذكره، الذي رأى ربه يخلق ويتصرف في مُلكه العظيم يعبده حق عبادته، والله يحب من ذكره، فلنذكره ليذكرنا فيمن عنده: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة/ ١٥٢].

وقال النبي ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَام إِلَى الله أَرْبَعٌ :سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ» أخرجه مسلم(١).

ومن نَور الله قلبه بالإيمان صار غذاء قلبه بواسطة لسانه، ثم صار غذاء الجميع: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة/ ٢- ٧].

وصار غذاء قلبه ولسانه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ [الصافات/ ١٨٠- ١٨٢].

وصار غذاء قلبه ولسانه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦- ٣٧].

فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، وسبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، فتذلل رحمك الله لربك الملك الجبار، وسبح بحمد ربك العظيم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾ [الواقعة: ٩٥- ٩٦].

واستغفر من كل ذنب: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر/ ٣].

لا إله إلا هو: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

واسأل ربك الجبار أن يستعمل بقية حياتك في ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يلين قلبك لعباده، ويرغبك في النصيحة لهم، فتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتحبب عباد الله إليه بذكر أسمائه، وصفاته، وإنعامه، وإحسانه، وجزيل ثوابه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

ثم تتعبد بما يحبه الله ﷻ، من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧).

﴿أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة/ ٧١].

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾[التوبة: ١١٢].

ومن أراد الله به خيرًا هداه للدعوة إليه، فأعظم الأعمال هي العبادات، وأعظم الوظائف هي الدعوة؛ لأنها جُهد على الغير ليدخل في الإسلام، فمن أراد الله به خيرًا وفقه لحسن التعبد لله، وحسن الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾[آل عمران/ ١٠٤].

واعلم وفقك الله أن الجبار الأعلى، هو الملك الحق جل جلاله، والجبار من الخلق هو الذي يجبر الناس، فيرحم ضعيفهم، ويجبر كسيرهم.

الجبار من الخلق هو الذي يُجبر الناس بخُلقه العظيم، وأمانته، وصدقه، وكريم أخلاقه، وعفته واستقامته، على أن يقتدوا به، ويتصفوا بصفاته: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[الأنعام: ٩٠].

الجبار من الخلق هو الذي يجبر الناس بحسن خُلقه، وأمانته وصدقه، وكرمه واستقامته على أن يقتدوا به: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[الأحزاب/ ٢١].

فهذا الذي تخلق بالأخلاق العالية، يجبر الناس على أن يقتدوا به، لما يروه من ظهور أحسن الصفات، وأجمل الأخلاق في هذا الإنسان.

فباطنه معمور بالتوحيد والإيمان، وظاهره معمور بالأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤﴾

[الفرقان: ٦٣ – ٦٤].

هؤلاء هم الأسوة:﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الفرقان: ٧٤].

في العبادة،في الدعوة،في الأخلاق، في الأقوال، في الأعمال،في كل شيء.

واعلم أن القلب مفتاحه الحق، والحق لا يوصل إليه إلا بالحق، فعليك بطاعة الملك الحق جل جلاله، واتباع ما أنزل من الحق، ولا تكن أسيرًا للباطل، وحب المال والجاه والدنيا والشهوات التي تصرفك عن طاعة الله، وتُشغلك بالمخلوق عن الخالق، وبالدنيا عن الآخرة، وبالأموال والأشياء عن الإيمان والأعمال، وحينذاك تندم وتحسر:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾[آل عمران/ ١٤- ١٥].

واعلم أيها المسلم أن الإنسان إذا كان محصنًا، ومتحصنًا بذكر الله ﷻ، ومحصنًا بالإيمان، من حب المال والنساء، وحب الجاه والدنيا، فهو جبار لا يستطيع أعداؤه من شياطين الإنس والجن القرب منه ولا النيل منه؛ لأن الجبار معه، يحفظه وينصره ويسعده:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل: ١٢٨].

من آمن بالجبار، توكل على الجبار، فالجبار معه، ومن كان في معية الجبار فهو جبار، لا يستطيع أحد أن يصل إليه، أو ينال منه، لأن الجبار معه:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[الحج/ ٣٨].

العزيز الجبار يدافع عن الذين آمنوا بالله، فالأمن بيده وهو الذي يدافع عن أوليائه؛ لأنهم آمنوا به وأطاعوه.

فالله ﷻ هو الجبار على الظالمين المعتدين، الجبار للمنكسرين والمستضعفين.

فاسأل ربك الجبار الرحيم الجابر لجميع خلقه بنعمه وإحسانه وعطفه، ومغفرته ورحمته، أن يجبر منك كسور الغفلة والتفريط والجهل والعلم:﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا

وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

اسأل الجبار، الرحمن الرحيم، الجابر لجميع الخلق بنعمه المادية والروحية، وإحسانه إلى الخلق كلهم، وكمال مغفرته ورحمته وعفوه، اسأله أن يجبر منك كسور الغفلة والتفريط وما أكثرها، وكسور الكبر والعجب والفخر وما أكثر ذلك، وكسور الرياء والكذب والمعاصي، وكل هذه الكسور لابد من جبرها: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

اسأل ربك الجبار أن يجبرك من هذه الكسور الكثيرة، وأن يُبدلك منها دوام ذكره، وشكره وطاعته، والصدق والإخلاص، والذل لله، والتواضع لعظمته وكبريائه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤].

اسأل الجبار وحده أن يجبر كسورك القلبية، وكسورك البدنية، وكسورك الأخلاقية: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٢- ٢٣].

والله كريم قريب مجيب، ما أمرنا بالدعاء إلا ليستجيب لنا، فمُحال أن تسأل الله ولا يُجيبك، لأنه كريم لا يرد سائلاً، ولا يخيب من دعاه، لكن إما أن تعرف الإجابة أو لا تعرفها، فهو إما خير تُعطاه، أو شرٌّ يدفع عنك، أو خير يدخر لك: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر/ ٦٠].

ولهذا مقصود الدعاء تعويد النفس على التوجه والذلة للخالق الجبار جل جلاله، تعويد النفس على توجيه الدعاء للخالق، لله ﷻ، والاستعانة به، والتوكل عليه، في كشف الكربات، ودفع الكريهات، ونيل المحبوبات: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

واعلم بأن أهل النظر في عالم الملك والملكوت هم أهل التوحيد والإيمان واليقين والتوكل، هؤلاء هم الذين ينظرون في المُلك والملكوت، فيتجاوزون المخلوقات كلها إلى الخالق، ويتجاوزون الصور إلى المصور، ويتجاوزون الأرزاق إلى الرازق، ويتجاوزون الدنيا إلى الآخرة، ويتجاوزون الأموال والأشياء والزينات إلى الإيمان والأعمال والمقاصد الكبرى من رضوان الله ودخول الجنة: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

هؤلاء هم أهل النظر في عالم الملك والملكوت، فمتى يستفيق أهل الغفلة؟: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٥ – ١٨٦].

الحمد لله الذي أعطانا البصائر والأبصار والعقول؛ حتى نتعرف على ربنا بأسمائه وصفاته، بالنظر في الآيات الكونية، وتدبر الآيات القرآنية، ثم نتقرب إليه بما يحبه ويرضاه: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

فهؤلاء أصحاب العقول استعملوا عقولهم بالنظر والتفكر والتدبر في المُلك والملكوت، فشاهدوا أن المُلك كله بيد الملك العزيز الجبار وحده لا شريك له، هو الخالق له، والآمر فيه، وهو القابض والباسط له، وهو المانع والمعطي منه، وهو الملك المتصرف فيه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

الله أكبر ما أعظم بيان الحق، من رحمة أرحم الراحمين أن بين الحق بيانًا لا يخفى معه أبدًا

إلا عن محروم، أو عن مستكبر، وإلا الحق سبحانه في ظهوره أعظم من ظهور الشمس، بل أعظم من ظهور ملايين الشموس: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣].

وبالحق الذي أنزل الله نميز الحق من الباطل، بنور الإيمان نميز الحق من الباطل، والخير من الشر، والخالق من المخلوق، هذا النور أعظم من نور الشمس بملايين المرات، ولكن لمن أراد الله هدايته، ولأولي الألباب والعقول: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فمن عرف الحق، ودينه الحق، آمن بالله وعبده وحده لا شريك له: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩﴾ [الرعد: ١٩].

فهؤلاء لما علموا ذلك لم يطلبوا شيئًا من سواه، لعلمهم الذي وقر في نفوسهم، وأضاء نوره في قلوبهم، لم يطلبوا أي شيء إلا من الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فالله ﷻ يريدك عزيزاً، فلا تخضع للذليل، لا لمثلك، ولا لمن هو دونك، لا تخضع إلا للعلي الأعلى وحده لا شريك له: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلى: ١ – ٥].

المؤمن عالٍ على المخلوقات كلها، عال على عالم الجماد،وعالم النبات،وعالم الحيوان؛ فلا يليق به أن يعبد شخصًا مثله، ولا صنمًا دونه، من حجرٍ أو شجر، إذًا فمن يعبد؟ يعبد العلي الأعلى، الملك العزيز الجبار، الذي له ملك السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، له جنود السماوات والأرض، وله مقاليد السماوات والأرض، وله ميراث السماوات والأرضوله ما في السموات وما في الأرض.

هذا الملك هو الذي يستحق أن يُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُطاع فلا يُعصى:

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾[يونس: ٣].

هو الملك الحق الذي يجب أن نكون عبيده وحده لا شريك له:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام: ١٠٢ -١٠٣].

هؤلاء هم أولوا العقول، أولوا الألباب، أولوا البصائر، فلما عرفوا الله ﷻ بآياته ومخلوقاته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده، ودينه وشرعه، ماذا طلبوا من ربهم جل جلاله؟ الذين عرفوا الله ماذا طلبوا؟ سألوا الله ﷻ أعظم ما في خزائنه وهو الهداية إلى الصراط المستقيم فقالوا:﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾[الفاتحة: ٢ – ٧].

هم طلبوا هذا السؤال العظيم، هذا السؤال الذي نكرره لأهميته في اليوم أكثر من أربعين مرة، في صلاة الفرض والنفل.

طلبوا من ربهم أن يهديهم الصراط المستقيم، وأن تفتح لهم أبواب الهداية، أبواب العلم والمعرفة، أبواب التقوى والبر والإحسان، أبواب الذكر والدعاء، أبواب الحمد والاستغفار.

هذا أعظم سؤال في القرآن، وأول سؤال في القرآن، فلا يليق بالمسلم أن يسأل إلا أعظم شيء:﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾[الفاتحة: ٦].

والله ﷻ عظيم ولا يُعطي إلا العظيم، والهداية أعظم شيء في خزائن الله، يعطيها من يعلم أنه أهل لها: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: ٢١].

فالله أكبر هؤلاء القوم الذين اصطفاهم الله واجتباهم، واختارهم، وهداهم، لما يعلمه من صفاء قلوبهم، وقوة إيمانهم وتعبدهم له جل جلاله، فالله ﷻ زادهم هداية وإيمانًا، فهؤلاء سكنوا دارًا مُلئت بالمخلوقات والفتن، ومع ذلك لم يروا مع الله سواه، ولم يشاهدوا في الكون سوى مولاهم، فتوكلوا عليه، وسألوه الهداية إليه، وجاهدوا

وصبروا على ما أصابهم من أجله، فأعطاهم مبتغاهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

هؤلاء جعلنا الله وإياكم والمسلمين منهم هؤلاء عرفوا ربهم فآمنوا به، وعرفوا دينه فعملوا به: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

- **فالمؤمن بين يدي ربه بين خمسة أمور:**

طاعات يؤديها .. ومعاصٍ يجتنبها .. ونعم يشكر الله عليها .. وذنوبٌ يستغفر الله منها ..ومصائب يصبر عليها.

فلا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله ولا يتوكل إلا على الله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢﴾ [إبراهيم/ ١٢].

والله ﷻ ما عرفنا بأسمائه وصفاته وأفعاله إلا يريد منا أن نتعبد له بهذه الأسماء الحسنى، ونتقرب بها إليه جل جلاله، فالله بينها لنا ودعانا للاتصاف بها، والتخلق بها على شاكلة العبودية، الله عزيز يريد مني أن أكون عزيزًا ولا أذل إلا له، وهو ﷻ كريم يريد مني أن أكون كريمًا، والله ﷻ عليم ويحب من يُعَلم الخلق، ويتعلم دينه: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

والله محسن يحب المحسنين، والله مؤمن يحب المؤمنين به؛ بل سماهم بالمؤمنين؛ لمحبته لهذا الاسم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والجبار من أسماء الجلال، ومن أسماء الجمال، فهو الجبار العالي على خلقه، الجبار على الظالمين والطغاة والمجرمين، هذا اسم جلال.

وهو الجبار للمنكسرين، والمستضعفين، والسائلين هذا اسم جمال، والدين كله جبرٌ

للخواطر، كله جبرٌ، فالله جل جلاله هو العزيز الجبار، الجبار على الظالمين، الجبار للمظلومين، الجبار العالي على خلقه، الواحد القهار، الذي بيده الملك والخلق والأمر: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر: ٢٣].

فمن عرف الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وعرف أسماء الجلال والجمال، وعرف كمال عظمة ربه وقوته وجبروته؛ خاف منه، وتعلق به، ولجأ إليه، وانكسر بين يديه، وتوكل عليه، وحده لا شريك له، وفعل الأسباب بجوارحه، وتوكل على الله بقلبه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن/ ١٣].

فنحن نفعل الأسباب بجوارحنا؛ لأننا في دار العمل، ودار العمل لابد فيها من العمل بالقلوب والأبدان، فنعمل لله بجوارحنا، ونتوكل على الله ﷻ بقلوبنا، ولا نعتمد على الأسباب؛ فالأسباب مخلوقة ليس بأيديها شيء، بل هي مأمورة، فالشمس مأمورة بالإنارة، والسحب مأمورة بالمطر، والأرض مأمورة بالإنبات.

فهذه المخلوقات كلها عبيد لله ﷻ، وجميع العبيد خاضعون لأمره، ومستجيبون لمشيئته، ومسرعون لإرادته، وشاهدون بوحدانيته،وساجدون لعظمته: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨].

فكما نجتهد على أبداننا بحُسن الطعام والشراب وأخذ حظنا من النوم، والاغتسال وفعل الأسباب، ليقوى البدن، فهذا أمر مطلوب، وكذلك يجب أن نجتهد على قلوبنا لتمتلئ بالإيمان، فالقلب مطلوب أن يمتلئ بالإيمان، حتى تتحرك الجوارح بالأعمال الصالحة، وينطق اللسان بالذكر والدعاء والدعوة، وتتحرك الجوارح بالطاعة والعبادة، إما صلاة أو صوم، أو زكاة أو حج، أو دعوة أو تعليم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ

﴿رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

الدنيا ظرف كبير، وأعظم ما في هذا الظرف هو الإنسان، هذا الإنسان الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، يريده في الدنيا أن يكون خليفة في الأرض.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة: ٣٠].

والخليفة لا بد أن تكون له صفات عالية يتميز بها عما سواه، فالإنسان خليفة في الأرض؛ يمتثل أوامر ربه، يفعل الأوامر، ويجتنب النواهي، ويدعو الناس إلى الملك العزيز الجبار؛ فالله يريد منا أن نكون خلفاء في الأرض، أمناء نحمل النفس على طاعة الله، وندعو الناس إلى دين الله، ليتعلقوا بالجبار؛ فيعرفوه ويكبروه ويعرفوا نعمه وإحسانه؛ فيشكروه، ويعبدوه، ويذكروه:﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[ص: ٢٦].

ويوم القيامة يريد الله لهذا الإنسان أن يكون في أعلى مقام:﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[القمر/ ٥٤– ٥٥].

فالله أكبر كم عظمة هذا الاسم العظيم، الذي من أقسامه أن يكون اسم جلال للرب ﷻ، ومن أقسامه أن يكون اسم جمال للرب ﷻ.

وأكثر الخلق لا يعرف للجبار إلا الجبروت والقهر، ولكن جبروته جل جلاله مقرونٌ بالقدرة المطلقة، فقدرته لا يحدها شيء، والقدرة المطلقة مقرونةٌ بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونةٌ بالخير المطلق:﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آل عمران: ٢٦].

فالعبد إذا عرف ربه العزيز الجبار المتكبر؛ تواضع لعظمته وجلاله ، وتصاغر لكبريائه،

وذل لجبروته، وانكسر بين يديه، وطلب العفو والمغفرة من ربه العزيز الجبار، رغبةً في أن يجبر الله كسره، ويرحم ضعفه، فمن عرف ربه العزيز الجبار؛ عرف نفسه بالذلة والصغار؛ فيتواضع لعظمة العظيم، ويتصاغر لكبرياء الكبير، ويتذلل لجبروت الملك العزيز الجبار، وينكسر بين يديه؛ لما يرى من هيبته وعظمته وجلاله، ويطلب العفو والمغفرة منه؛ رغبةً في أن يجبر الله كسره، ويرحم ضعفه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾[المؤمنون/ ١- ٢].

فمن عرف الله حقاً آمن به حقاً: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾[الزمر/ ٦٧].

الله ﷻ هو الملك العزيز الجبار المتكبر، لا إله غيره، ولا رب سواه.

وحظ العبد من اسم ربه الجبار الذل له، والتواضع لعظمته، بأن يلزم حال الافتقار للعزيز الجبار، ويلبس ثوب الاستكانة وإن عظمت منه المكانة، ويستجير بربه الجبار عند غلبة الجبابرة، فلا إله غيره ولا رب سواه: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾[الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان الجبار الرحيم الذي يجبر قلوب الضعفاء المنكسرين، ويقصم ظهور الجبابرة المستكبرين، جبار القلوب والأبدان، الذي جبر الخلق على توحيده بما أظهره من أسمائه وصفاته، وآياته ومخلوقاته: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)﴾[غافر/ ٦٥].

الله ﷻ أجبر الخلق على الإيمان به، لما يرونه من عظمته وجلاله وكبريائه، ولما يرونه من نعمه وإحسانه، ولما يرونه من آياته ومخلوقاته، ولما يرونه من عظمة أسمائه وصفاته: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦)﴾[الزمر: ٦].

هو جل جلاله الجبار، فلا مصلح لأحوال الخلق إلا هو، الجبار وحده الذي بيده مقاليد الأمور، ومن رحمته بعباده أن يبتليهم بالمصائب، ليردهم إليه، وأعظم المصائب أن يصيبك بالبلاء ثم لا تتوجه إليه في رفعه، أعظم المصائب أن يرسل الله لك رسالة إنذار بمرضٍ أو مصيبة ثم لا تتوجه إليه في رفعها وحلها، بل تتوجه إلى غيره، فالأمور كلها

بيد الله ﷻ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾[الذاريات: ٥٠ – ٥١].

فسبحان الجبار الذي بيده ملكوت كل شيء: الأمن، والخوف، والصحة، والمرض، والبسط، والقبض، والعطاء والمنع، والغنى والفقر، والعزة والذلة كلها بيد الله ﷻ، هو الذي يأتي بها، وهو الذي يُزيدها، وهو الذي يُنقصها، وهو الذي يرفعها: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾[الملك: ١].

فمن أعظم المصائب أن يصيبك بالبلاء، ثم لا تتوجه إليه في رفعه، وهو الجبار الذي ابتلاك ليعافيك؛ فتوجه إليه وحده لا شريك له: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣﴾[الأنعام/ ٤٣].

فإذا انكسرت أو أصابتك مصيبة، فافزع إلى العزيز الجبار الذي بيده مقاليد الأمور، وتوكل عليه وحده، فهو قاضي الحاجات، ومجيب الدعوات، المعطي الذي لا تنقص خزائنه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾[التغابن/ ١٣].

واعلم أن اسم الرزاق اقتضى مرزوقًا، هو الرزاق الذي خلق الأرزاق، وخلق المرزوقين، فاسمه الرزاق اقتضى مرزوقًا، واسمه التواب اقتضى تائبًا من المعصية، واسم الرحمن اقتضى مرحومًا، واسم الجبار اقتضى منكسرًا، فإذا انكسرت بين يديه، فلا جابر لكسرك إلا الجبار، إذا انكسرت بمرض أو فقر أو خوف وبلاء، فلا جابر لكسرك إلا الجبار، فاسأله فإنه قريب رحيم لطيف، قادرٌ على كل شيء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة/ ١٨٦].

واعلم أن الشيطان عند المصائب يريد أن يعذبك بغيره، ممن لا يملك كشف الضر، فيُزين لك الاعتماد على الأسباب وحدها، هو يعلم أنك إذا توجهت إلى ربك الجبار قضى حاجتك؛ فزاد إيمانك، وزاد حبك لربك، وهو لا يريد ذلك؛ لأنه عدو لك: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾[فاطر/ ٦].

ولكننا مأمورون بفعل الأسباب، بجوارحنا، والاعتماد على الله بقلوبنا: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

﴿رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ومن ضحك الشيطان على بعض الناس، أنه يأمرهم بفعل الأسباب والاعتماد عليها فقط، ولا يكون لله ذكر، فإذا انحلت المشكلة، يقول: أرأيت كيف فعل الأسباب، وكذا لو لم تحل المشكلة، فيأمر بالذهاب إلى من بيده كل شيء، إذا عجز من ليس بيده شيء، فالله أكبر كم أضل من الخلق: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢٠﴾ [سبأ/ ٢٠].

إن الشيطان ضحك على كثير من الناس، يأمرهم بفعل الأسباب والاعتماد عليها فقط، فإذا لم تحل المشكلة فيأمر بالذهاب إلى من بيده كل شيء إذا عجز من ليس بيده شيء، وهذا فهمٌ منتكس: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل/ ٦٢].

أإله مع الله يخلق ويرزق، ويعافي ويقضي الحاجات؟ لا إله معه، ولو فزعت إلى ربك الجبار الرؤوف الرحيم لقضى حاجتك بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب؛ فهو جل جلاله قاضي الحاجات.

يقضيها بدون الأسباب: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس/ ٨٢].

ويقضيها بالأسباب: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجِۢ بَهِيجٖ ٥﴾ [الحج/ ٥].

فالله ﷻ هو قاضي الحاجات كلها، ولكننا مأمورون بفعل الأسباب بجوارحنا امتثالًا لأمر الله، والتوكل على الله بقلوبنا التوكل على الله في الشفاء والأمن والعافية في كل شيء، لماذا؟ لأن الله ﷻ وكيل على جميع الخلق، هو على كل شيء وكيل، فيفعل ويقضي الحاجات بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، كما ربى موسى ﷺ في قصر فرعون، وأنجى إبراهيم ﷺ في النار: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء/ ٦٩].

وكما أنجى يونس ﷺ في بطن البحر والحوت.

فهو قاضي الحاجات بدون الأسباب، وبضد الأسباب وبالأسباب.

واعلم أنك ستقف بين يدي الجبار يوم القيامة فاتق الله الذي ستقف بين يديه، ليجازيك بما عملت من خير أو شر: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥- ٢٦].

وسترى كل ما عملته من خير أو شر: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦- ٨].

هو سبحانه الجبار، فلا تكن جبارًا ظالمًا لخلقه، وإياك أن تكون جبارًا على والديك، بل أحسن إليهم كما قال عيسى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم/ ٣٠- ٣٢].

فسبحان الملك الجبار، العلي الأعلى، الجبار القهار لما سواه، الجبار للقلوب المنكسرة، ومن لاذ به، الذي من طرح نفسه بين يديه، جبره وقضى حاجته، كم قضى الله ﷻ من حاجات المظلومين، وكم قضى من حاجات المؤمنين، وكم قضى من حاجات الأنبياء، فتوجه إليه في كل مسألة من المسائل، وفي كل مشكلة من المشاكل؛ فهو جبار يجبر قلوب المنكسرة قلوبهم، ويقضي حاجتهم، يقضي جميع الحاجات جل جلاله؛ لأنه الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق، وجميع الخلق يصمدون إليه في جميع حوائجهم؛ لأنه الملك العزيز الجبار وحده لا شريك له: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

فالله ﷻ ماذا قال عن أنبيائه لما سألوه، جميع الأدعية الواردة في القرآن كلها تجعل المسلم يتوجه إلى الله في كل سؤال، في الصغير والكبير، كما دعا الأنبياء، فكل الأنبياء دعوا الله ﷻ في كل أمر من الأمور فأجابهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فالله ﷻ سميع بصير ورحيم؛ فلابد أن أدعو الله وأنا متيقن أنه إن تكلمت سمعني، وإن تحركت أبصرني، وأنه أرحم بي من نفسي، وأنه قادرٌ على قضاء حاجتي، وأنه يحب قضاء حاجتي.

لابد استحضر هذه المعاني؛ لأن خزائن كل شيء بيده؛ خزائن الشفاء بيده، خزائن الأمن بيده، خزائن الرحمة بيده، خزائن الخوف بيده، خزائن العزة بيده، بيده ملكوت كل شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك/ ١].

فلننظر الأنبياء بماذا دعوا؟ وكيف الله ﷻ أجابهم؟ ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ [الأنبياء/ ٨٣].

لأنه جلس في المرض وقتًا طويلًا، حوالي ثمانية عشر عاماً وهو في المرض.

فماذا فعل الجبار بشأنه؟ قال: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء/ ٨٤].

ويقول ﷻ عن يونس ﷺ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء/ ٨٧].

فماذا قال الجبار عنه؟ قال: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء/ ٨٨]؛ نحن.

وماذا قال زكريا؟ ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ [الأنبياء/ ٨٩].

ماذا قال الجبار عنه؟ قال: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

وماذا قال عن مريم: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ [الأنبياء/ ٩١- ٩٢].

فالله ﷻ يريدنا في جميع الحوائج والأمور أن نتوجه إليه جل جلاله؛ لأن هو الجبار، هو

الجبار للمظلومين والمنكسرين والمحتاجين، والفقراء والمرضى والعاجزين، فمن أراد أن يجبره الجبار ويقضي حوائجه، فليستقم على أمره: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾[الطلاق/ ٣].

هو الجبار الذي دمر الطغاة والمستكبرين: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا﴾[الإسراء: ١٧].

فاخضع رحمك الله لربك العزيز الجبار، وتذلل بين يديه، وكن عبد العزيز، عبد الجبار، عبد الملك؛ يُعزك، ويجبرك، ويملكك جوارحك؛ فتطيع ربك بنعمه، وما جاء به رسوله ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر: ٦٠].

قال طاووس: رأيت زين العابدين علي بن حسين ساجدًا في حِجر الكعبة، فقلت رجل صالح لأسمعن ما يقول، فاقتربت منه فسمعته يقول: عبدك بفنائك فلا ترده، مسكين بفنائك فلا تطرحه، سائلٌ بفنائك فلا ترده، فقير بفنائك فأغنه.

قال طاووس: فرأيت الذل كل الذل للجبار بهذه الكلمات، ثم قال: والله ما دعوت الله بهذه الكلمات إلا استجاب لي.

فالله أكبر، كم اليقين في قلوب الأنبياء والمؤمنين، هؤلاء الذين لهم صلة بالله ﷻ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر/ ٩].

ومن أراد الله عزه أفاض عليه لباس الذل والافتقار للعزيز الجبار، فموسى ﷺ سقى للمرأتين في مدين، ثم قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾[القصص/ ٢٤].

والجبار قريب منه يسمعه ويراه، وفورًا جاءته النصرة: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾[القصص/ ٢٥].

فجبره الله ﷻ برجلٍ زوجه ابنته وطمأنه؛ لأنه خضع للجبار جل جلاله؛ فجبره بالأمن

والإيمان والرسالة والزواج.
هو سبحانه الجبار الفعال لما يشاء، الجبار الذي يربي أولياءه في قصور أعدائه كما ربى موسى ﷺ في قصر فرعون، الذي كان يقتل الأولاد، ويستحيي النساء.
ويشاء الجبار أن يذل فرعون، فيربي من اجتهد على قتله، ومن كان زوال حياته ومُلكه على يده في قصره: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)﴾ [القصص/ ٤ - ٦]؛ فماذا فعل الله بفرعون وجنوده: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥)﴾ [الزخرف: ٥٤ - ٥٥].
ويوسف ﷺ طفل صغير، وإخوته كادوه وظلموه ولكن الله جبر قلب يوسف فأخرجه من البئر إلى بيت العزيز، وأخرجه من السجن إلى القصر؛ ثم جمعه بأبويه وإخوته: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠)﴾ [يوسف: ١٠٠].
فنتذلل لله جل جلاله، ونتذلل لأوليائه؛ واعلم أنك عبدُالعزيز الجبار، فكن جبارًا لأهل الأرض، ادعوا ضالهم، وعلم جاهلهم، وأحسن إلى ضعيفهم، واجبر كسر الفقير، وخذ بيد العاجز: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾
[فصلت: ٣٣ - ٣٥].

ومن آمن بربه الجبار، واستقام على دينه العظيم، رضي بقضائه وقدره واستسلم لأمره، فيجبر الله فقره الذاتي بالغنى الذاتي، وذله الذاتي بعز ربه الذاتي: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)﴾ [المنافقون/ ٨].

وأكبر جريمة تؤدي إلى الكفر هي التكبر والغرور والجبروت الذي يفضي بالعبد إلى الكفر بالله العزيز الجبار، كما حصل من إبليس:﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾[البقرة/ ٣٤].

فمعرفة أسماء الله وصفاته تثمر للعبد تعظيمًا لله، وتكبيرًا له، وحبًا له، وحمدًا له، وطاعةً له، وانكسارًا بين يديه، وخوفًا منه، وطمعًا في ثوابه، وخوفًا من عقابه، ومهابةً وإجلالًا له سبحانه:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩].

وحظك من اسم ربك الجبار عند الدعاء، إذا أردت أن يرفع شأنك، ويعلو قدرك، فقل: يا جبار يا علي ارفع قدري وشأني بطاعتك وتوحيدك، وحسن عبادتك،وإذا أصابتك مصيبة فقل: يا جبار اجبرني، وإذا أذنبت ذنبًا فقل يا جبار اجبرني؛ فهو الجبار الغفار الذي يغفر الذنوب جميعًا:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٣].

وإن كنت ضعيفًا، فقل: يا جبار اجبرني، وقوني على طاعتك، وإن كنت مريضًا فقل: يا شافي اشفني، فإن كنت ضعيفًا فقل: يا جبار اجبرني، وقوني على طاعتك، وقوني على عدوي، وقوني على كل جبار في الأرض، واعلم أنه لا يجبر خواطر الخلق بما يصلحهم إلا الجبار الرحمن الرحيم وحده؛ فلا تتوجه لأحدٍ سواه فتشقى به، وتخذل من جهته: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا ٢٢ ﴾[الإسراء: ٢٢].

هو الجبار الذي بيده المُلك والملكوت، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الجبار الذي جبر قلوب أنبيائه ورسله وأوليائه، وجبر جميع الخلق؛ لأنه الجبار الذي بيده ملكوت كل شيء.

فتوجه إلى الجبار في جميع أمورك، فإن كنت مريضًا فلن يجبر خاطرك بالشفاء إلا الله، وإن كنت خائفًا فلن يجبر خاطرك بالأمن إلا الله، وإن كنت ذليلًا فلن يجبر خاطرك بالعز إلا الله، وإن كنت مذنبًا فلن يجبر خاطرك بالعفو والمغفرة إلا الله فلا تيأس:﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ

﴿ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[الزمر/ ٥٣].

هو الجبار والغفار:﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١١٠﴾[النساء/ ١١٠].

فلن يجبر كل نقص، ولن يجبر كل خاطر، ولن يسد أي حاجة إلا الله تعالى وحده لا شريك له:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢].

فجميع الأمراض النفسية كلها سببها نقص الإيمان، سببها الشرك:﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾[الشعراء/ ٢١٣].

معذبين بدنيًا، ونفسيًا، وماليًا.

ومن أراد أن يجبر الله خاطره، ويفرج كربته، فليجبر خواطر الأهل والأقارب والناس، والمحتاجين، ومن رحم الناس رحمه الله.

قال النبي ﷺ: «**ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»أخرجه الترمذي[1].

ويقول الرسول ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»متفق عليه[2].

ويقول ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي** »أخرجه الترمذي[3].

ويقول الرسول ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» متفق عليه[4].

ويقول ﷻ:﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ٣٦﴾[النساء/ ٣٦].

ومن جبر خاطر إنسان جبر الله خاطره، ومن جبر خاطر المسلم لأخيه؛ مواساته ونصرته، والإحسان إليه، والوقوف معه عند حاجته.

عن البراء بن عازب ﭬ قال: «**أَمَرَنَا بِسَبْعٍ: ، بِاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَإِجَابَةِ**

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (١٩٢٤).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥١٨٦) واللفظ له، ومسلم برقم (١٤٦٨).
(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥).
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٥).

الدَّاعِي، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ» متفق عليه(١).

هذا كله جبر للخواطر وإدخال السرور على الغير.

فاجبر خواطر الخلق ما استطعت تكون عبدًا للجبار، وتتصف بصفات الجبار على شاكلة العبودية: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢].

وإياكم والتجبر والتكبر على الخلق؛ فإن الجبارين توعدهم الله بالعذاب الأليم في النار: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝١٧﴾ [إبراهيم/ ١٥ - ١٧].

وقد احتجت الجنة والنار؛ فقالت الجنة: فِيَّ فقراء الناس وضعفاؤهم، وقالت النار: وكلت بالمتجبرين والمتكبرين، ويخرج عنق من النار فيقول: وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد.

واعلم أن العمل بمقتضى اسم الله الجبار والمتكبر أن تخضع لله، وتتذلل له، لا أن تتصف بالتجبر والقهر والاستكبار على عباد الله ﷻ.

فاسم الله الجبار اسم جلال، واسم جمال، وهو من أسماء الله الحسنى التي يجب أن تدخل في حياتنا كل يوم، ويجب أن نتذكر الجبار في كل حين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

ربنا آمنا بأسمائك وصفاتك وأفعالك، وآمنا بدينك وشرعك: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران/ ٨].

اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطأي وعمدي وكل ذلك عندي.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٠٦٦).

اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير.

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًا إلا فرجته، ولا محرومًا إلا أعطيته ولا مريضًا إلا شفيته، ولا ضالًا إلا هديته، ولا فقيرًا إلا أغنيته، ولا حيران إلا دللته، ولا كسيرًا إلا جبرته، ولا عدوًا إلا أهلكته، ولا زلة إلا سترتها برحمتك يا أرحم الراحمين، يا ذا الجلال والإكرام، يا رب العالمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا.

اللهم يا قوي يا عزيز يارب العرش المجيد، يا فعال لما تريد، أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك.

اللهم يا من بيده المُلك والملكوت، وله العزة والجبروت، أنت الواحد القهار، اصرف عنا ما نطيق وما لا نطيق، واكفنا شر كل جبار عنيد، نعوذ بعزتك من شر ما نجد ونحاذر، ونعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنا، ونسألك بعزتك التي قهرت بها كل أحد أن تقهر عنا الطغاة والجبابرة.

اللهم يا قوي، يا جبار، يا عزيز، يا قهار يامن بيده الأمر كله، يا ناصر الأنبياء والمؤمنين انصرنا على أعدائنا في كل مكان، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم يا رب العالمين.

اللهم إن أعداء المسلمين سفكوا الدماء، وأرملوا النساء، وانتهكوا الأعراض، وخربوا الديار، اللهم مزقهم كل ممزق، وانصرنا عليهم في مشارق الأرض ومغاربها يا رب العالمين.

اللهم يا جبار، يا سميع الدعاء، يا سابغ النعم، يا دافع النقم، يا مجيب دعوة المضطرين، انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك، وعبادك المؤمنين يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم يا جبار، يا من بيده الْمُلك والملكوت، يا من لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، اللهم إن أعداءنا قد طغوا وبغوا وتجبروا، اللهم انصر المؤمنين عليهم في كل مكان.

اللهم لا ترفع لأعداء الإسلام رايةً في السماء إلا أسقطها، ولا في الأرض إلا خسفت بها، ولا في البحر إلا أغرقتها.

اللهم انصر عبادك المؤمنين، وحزبك المفلحين وأولياءك المتقين، يا خير الناصرين، يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# الباب التاسع

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٣٨-٣٩- اسم الله الخالق.. الخلاق.

التعبد لله عز وجل باسمه الله الخالق.. الخلاق.

٤٠ – اسم الله البارئ.

التعبد لله عز وجل باسمه البارئ.

٤١ – اسم الله المصور.

التعبد لله عز وجل باسمه المصور.

# أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

## اســـــم الله

# الخالق.. الخلاق

# اسم الله الخالق.. الخلاق

الله ﷻ أراد أن يعرف فخلق هذا الكون العظيم؛ وجعله مظهرًا لأسمائه وصفاته، فمن تأمل وتدبر في الكائنات؛ علم أن لها خالق أوجدها، وهذا الاسم العظيم من أعظم أسماء الله التي ظهرت آثارها في الكون، ولا زالت تظهر في كل وقت وحين: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٤].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض، وأسماء الله ﷻ دالة على ذات الله ﷻ، ودالة على صفة زائدة، فالخالق يدل على اسم الله الخالق، ويدل على صفة الخلق، والرزاق يدل على صفة الرزق، والكريم يدل على صفة الكرم .. وهكذا: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨].

- **وأسماء الله ﷻ من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام:**

**الأول**: الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته.

مثل: الواحد، الأحد، الله، الإله، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، وغيرها من الأسماء.

**الثاني**: الأسماء الدالة على الملك والقدرة.

مثل: الملك، القادر، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القوي، وغيرها من الأسماء الحسنى.

**الثالث**: الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد.

مثل: الخالق، الخلاق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، البر، المقيت، المعطي وغيرها من الأسماء الحسنى.

**الرابع**: الأسماء الدالة على العلم والإحاطة.

مثل: السميع، البصير، العليم المحيط، الخبير، الرقيب، الشهيد، الحفيظ.. وغيرها من الأسماء الحسنى.

**الخامس**: الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة.

مثل: الرب، الرحمن، الرحيم، الرؤوف، اللطيف، العفو، الودود، الشكور، والغفور والغفاروغيرها من الأسماء.

**السادس**: الأسماء الدالة على الهداية، والبيان مثل: الهادي الذي يهدي من يشاء، المبين الذي بين الحق، وبين نفسه، والوكيل، والكفيل وغيرها من الأسماء الحسنى.

فهذه أقسام أسماء الله الحسنى، لا بد للقلب أن يعرفها، ولا بد للمسلم لكي يسهل عليه معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته أن يعرف هذا التقسيم.

فاسم الله الخالق من أعظم أسماء الله الحسنى التي ظهرت آثارها في الكون:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فكل مخلوق إنما وجد بأمر الخالق جل جلاله، فليس في الكون إلا اثنان: خالق ومخلوق، وملك ومملوك، ورازق ومرزوق، ورب وعبيد:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾[الزمر: ٦٢].

فالله ﷻ هو الخالق وكل ما سواه مخلوق، فالعين ترى المخلوقات والقلب يرى الخالق من وراء المخلوقات، العين ترى الصور بأحجامها وألوانها وأشكالها، والقلب يرى المصور الذي خلق السموات والأرض، وخلق الجبال والبحار والرجال والنساء، وغيرها من المخلوقات.

والمقصود من هذه المخلوقات أن نعرف الملك العظيم، ونعرف عظمة ملكه، وعظمة خلقه، وعظمة تدبيره في ملكه العظيم جل جلاله، فكما يتأثر البصر بالرؤية فيسلك الطريق المناسب؛ كذلك يتأثر القلب بالمعرفة فيسلك الطريق إلى ربه بالحب الكامل والتعظيم الكامل والذل الكامل له جل جلاله:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾[يونس: ٣].

الله ﷻ من أسمائه العظيمة اسم الله الخالق، واسم الله الخلاق؛ فالله ﷻ هو الملك الحق

الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، الخالق الذي خلق كل شيء: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٣- ٢٤].

وقد ورد اسم الله الخالق في القرآن ثمان مرات، وورد في السنة اسماً وصفةً، ومنها قوله ﷺ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**» أخرجه أحمد(١).

- **أما اسم الله الخلاق فقد ورد في القرآن مرتين:**

في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر/ ٨٦].

وفي قوله سبحانه: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس/ ٨١].

واسم الخالق جل جلاله اسم فاعل على وزن فاعل، مأخوذ من الفعل خلق، وكذلك اسم الخلاق مأخوذ من الفعل خلق، لكن الخالق اسم فاعل، والخلاق صفة مبالغة، واسم الخالق يقتضي مخلوقاً، والمخلوق أنواع مختلفة من عالم الجماد، وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الإنسان، وعالم الجن، وعالم الملائكة، وعالم الغيب، وعالم الشهادة، وعالم النجوم، عوالم مختلفة لا يحصيها إلا الذي خلقها: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠].

- **والخلق يطلق على شيئين:**

**الأول**: خلق الشيء على غير مثال سابق، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام/ ١].

يعدلون به من لا يخلق، ولا يليق بالعبد أن يعبد من لا يخلق: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٧ –١٨].

بل يعبد من خلق كل شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٠٩٥).

﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢].

فالله وحده خالق كل شيء على غير مثال سابق:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾[الأنعام: ١٠١].

فالله ﷻ يثني على نفسه، بأنه خلق السموات والأرض على غير مثال سابق.

وهذا الخلق للسموات العظيمة، ولهذه الأرض الواسعة، يدل على كمال قدرة الخالق، وعلى أنه عليم وقادر، وسميع وبصير وملك وقوي، وغني وحكيم، صفة الخلق مقرون بها عدة صفات تدل على قدرة الخالق وعظمته، ولذلك تأتي كثيراً بنون الجمع التي تدل على عظمة الخالق كما قال سبحانه:﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾[ق: ٣٨].

المعنى الثاني: الخلق يطلق على إيجاد الشيء من الشيء، كما يخلق الله ما لا يحصيه إلا هو من أنواع النبات والحيوان والإنسان وغيرها، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء/ ١].

فالله يخرج الشيء من الشيء، فالله خلق آدم، ومن ضلع من أضلاعه خلق حواء، ومن آدم وحواء الله ﷻ جعل نسل البشرية ذكورًا وإناثًا:﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨﴾[السجدة: ٦ -٨].

وهو الخالق القادر على كل شيء، له جميع أنواع الخلق.

خلق آدم بلا أب ولا أم، وخلق من آدم حواء، وخلق عيسى ﷺ من أم بلا أب، وخلقنا نحن من أم وأب في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾[الحجر/ ٨٦].

هذه أشكال القدرة تدل على عظمة الله، خلق آدم بلا أب ولا أم، وخلق حواء من أب بلا أم، من أحد أضلاع آدم ﷺ، وخلقنا نحن رجالًا ونساءً من أم وأب، وخلق عيسى ﷺ من أم بلا أب.

فالله جل جلاله هو الخلاق العليم، يخلق بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب.

يخلق بدون الأسباب: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس/ ٨٢].

ويخلق بالأسباب كما ينزل المطر على الأرض فتنبت من كل زوج بهيج: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ٧﴾ [الحج: ٥ – ٧].

ويخلق بضد الأسباب كما رزق زكريا يحيى مع كبر سن والديه: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٨٩ – ٩٠].

فهو جل جلاله فعال لما يشاء، له القدرة المطلقة، والخلق المطلق، يخلق ما يشاء، في أي وقت شاء، بأي حجم شاء، لأنه الملك الحق الذي بيده مقاليد السموات والأرض: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].

والقلوب تحتاج إلى أن تعرف الخلاق، وما هي مخلوقاته؟ وماذا يريد من مخلوقاته؟.

فمخلوقاته العظيمة في العالم العلوي والعالم السفلي، كلها شاهدة بوحدانيته، ومسبحة بحمده، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٥٠﴾ [النحل: ٤٩ – ٥٠].

فالله ﷻ خلق هذه المخلوقات؛ لتدل على عظمته وعلى عظمة أسمائه وصفاته وأفعاله.

والله ﷻ هو الخلاق، والخلاق صفة مبالغة من خلق، فهو الخلاق الذي يخلق خلقًا بعد خلق، كم خلق الله من عالم الجمادات ومن عالم النباتات! ومن عالم الحيوانات! ومن عالم الطيور! ومن عالم الجن، ومن عالم الملائكة ومن عالم الإنس! خلق خلقًا بعد خلق لا يحصيه إلا هو.

هو الخلاق الذي يخلق في اللحظة الواحدة ما لا يحصيه إلا هو من مليارات المخلوقات

في العالم العلوي والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وكذلك الخلاق يدل على كثرة المخلوقات التي يخلقها في كل آن بأنواعها وأجناسها وأشكالها، مليارات المخلوقات يخلقها الله في كل ثانية، كم كسى الله الصحراء بهذه النباتات المختلفة!

عالم النبات خلقه الله في الأرض على خلائق لا يحصيها إلا هو، تزيد على أربعين مليون صنف من أنواع النباتات، هذه الأم الحنونة، هذه الأم الكبيرة كم مواليدها من النباتات! كم من النباتات المختلفة التي أنجبتها بأمر الله، التي لا يحصيها إلا هو! ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر/ ٨٦].

هو سبحانه الخالق الخلاق، كم عدد نجوم السماء؟! كم عدد ذرات الرمال؟! كم عدد قطرات البحار الأمطار؟! كم عدد الذرات والمجرات؟! فالله ﷻ هو الخلاق الذي يخلق بالكميات ويخلق بالكيفيات.

حجماً خلق العرش العظيم، وخلق الذرة الصغيرة، وهذه المخلوقات في السماء والأرض تتكرر، ولكنها لا تتكرر إلا بأمره.

فكل ذرة في الكون تحتاج إلى ثلاثة أوامر حتى توجد، من الذرة الصغيرة والبعوضة والحشرات الصغيرة، إلى العرش والكرسي والسموات والأرض، كل مخلوق له ثلاثة أوامر من ربه، من الملك الذي له الخلق والأمر.

**الأول**: أمر بالإيجاد والخلق.

**الثاني**: أمر بالبقاء.

**الثالث**: أمر بالنفع والضر، والتحريك، والتصريف، والتبديل، والتغيير.

كل هذه المخلوقات بيد الخلاق العليم جل جلاله.

هذا الإله العظيم، والرب الكريم، والخلاق العليم، والغني والكريم، هو الذي نعبده، وهو الذي نتوجه إليه، وهو الذي نسأله، وهو الذي خلقنا، وهو الذي له الخلق والأمر، وهو الذي استضافنا في بطن الأم، واستضافنا في بطن الدنيا، وسيستضيفنا في دار القرار في الجنة أو النار، حسب العمل الصالح، أو العمل السيئ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق المخلوقات العظيمة في كل آن، بأنواعها وأجناسها، وأحجامها وألوانها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر/ ٨٦].

وهو الخلاق الذي خلق جميع المخلوقات السابقة واللاحقة، الكبيرة والصغيرة، وكلها أثر من آثار اسمه الخلاق الذي خلق كل شيء، ولا يمتنع عليه شيء أراد خلقه: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨١-٨٢].

الذي يخلق بالكميات، ويخلق بالكيفيات والأحجام، ويخلق بالأنواع والأجناس هو الخلاق الذي يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، بعد أن خلقها، ويعلم عدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار التي خلقها، ويعلم عدد ذرات الرمال، وعدد الهباءات الطائرة، ويعلم عدد الأنفاس، وعدد الأرواح، وعدد الكلمات، وعدد الخطوات، وعدد النيات والأقوال والأفعال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»، أخرجه أحمد وأبو داود(١).

فربنا أسماؤه عظيمة، وصفاته عظيمة، وملكه عظيم، وأمره عظيم،وثوابه عظيم، وعقابه عظيم.

فسبحان الخالق البارئ المصور الذي خلق كل شيء من عدم، بعلم وقدرة ومشيئة، الخلاق الذي يبدع في خلقه كيف شاء كمًا وكيفًا، وحسنًا وجمالًا: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٤٧٠٠)، وأخرجه أبو داود برقم (٢٢٧٠٥) وهذا لفظه.

هو سبحانه الخالق القدير، والملك العظيم؛ فالله له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض من المخلوقات المختلفة، وله ما بين السماوات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله مقاليد السماوات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض.

ومن هذا خلقه، وهذا ملكه، وهذه عظمته، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣].

هذه المخلوقات العظيمة الله ﷻ خلقها، ولا يزال يخلق جل جلاله؛ لأن الخلق صفة فعلية مقرونة بالمشيئة والإرادة، إذا أراد أن يخلق خلق، إذا شاء خلق، وإذا شاء لم يخلق: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨﴾ [القصص: ٦٨].

هذا الخلق العظيم الذي خلقه الله سواء رأيناه أو لم نره يعيده جل جلاله يوم القيامة، إظهاراً لقدرته يعيد ما خلق كما كان، ويخلقه خلقًا كما كان أولًا، ويخلق خلقًا جديدًا أحسن مما كان، هو يخلق ما شاء كيف يشاء بأي عدد شاء، بأي صورة شاء: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٧﴾ [الروم: ٢٧].

هو الخلاق الذي أظهر باسمه الخالق جميع المخلوقات، فالله ﷻ أظهر في الدنيا أشياء، وأخفى أشياء.

الله ﷻ أظهر المخلوقات وحجب خلقه عن نفسه، فلا يرى في الدنيا؛ لأنهم لو رأوه عيانًا لأطاعوه، ولم يخالفوا أمره، فيبطل التكليف؛ لأن الناس تخاف من العظيم ومن القوي إذا رأته عيانًا، ولكن من رحمته أنا لا نراه في الدنيا، لكن الله يكرمنا يوم القيامة بأن نراه، من رآه بقلبه في الدنيا؛ سيراه ببصره يوم القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

فالله ﷻ أظهر المخلوقات، وحجب المخلوقات عن رؤيته بحجب النور.

قال النبي ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» أخرجه مسلم[1].

وهو جل جلاله أظهر الدنيا، وأخفى الآخرة، أظهر الدنيا وأخبرنا أن هذه الدنيا ليست بدار لنا، وعلق عليها لوحات تنفر الإنسان منها، ومن التعلق بها، بل نحن نمشي على ظهرها، ونطيع من خلقها، وهي ميدان الإيمان والعبادة، والدعوة، والجهاد، والصلاة: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وأظهر سبحانه قيمة الأموال والأشياء، وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة.

وأظهر سنته، وأخفى قدرته، امتحاناً وابتلاء للعباد، أظهر سنته بأن ينزل المطر من السماء على الأرض؛ فتنتبت من كل زوج بهيج، أظهر سنته في مخلوقاته، ويولد الأولاد عن طريق النكاح الشرعي، ويتكلم اللسان؛ لأن الله ﷻ أذن له بالكلام.

فالله ﷻ أظهر سنته في مخلوقاته، وأخفى قدرته، ابتلاءه ليصل الناس من المخلوق إلى الخالق، ويتجاوزوا الصور إلى المصور: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٩٠ – ١٩١].

الأرض لا تنبت؛ لأنها مخلوقة، والمخلوق مفعول ليس بفاعل، الفعال هو الله وحده؛ ولكنها مأمورة ومطيعة، فهذه الأم، هذه الأرض تنتج بأمر الله هذه المواليد الكثيرة باستمرار: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف: ٧].

فالأرحام ثلاثة:

١) بطن الأم: رحم للأولاد والبنات.

٢) وبطن الأرض: رحم للنباتات الذكور والإناث.

٣) واللسان: رحم للكلام الحسن أو السيء.

يخرج من هذا اللسان مواليد من الكلام الطيب، أو الكلام الرديء، ولهذا لا بد أن يكون

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

كلام اللسان وفق الشرع من الوحيين: من القرآن والسنة وما يوافقهما.
فاللسان غير مسموح له أن يتكلم بالغيبة والنميمة، والقيل والقال، والسب والشتم، هذا اللسان خلق للعبادة، وظيفته الدعوة والذكر والدعاء والتعليم، والقول الحسن، كما وظيفة العين الإبصار، ووظيفة الأذن السماع، ووظيفة الرجلين المشي، كذلك الله خلق اللسان له للذكر والعبادة والدعوة.
فسبحان ربنا العظيم! على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وعلى خلقه العظيم في الملك والملكوت، وفي الدنيا والآخرة، وفي عالم الغيب وعالم الشهادة: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١١].
هو سبحانه الخالق الخلاق الذي قدر قبل الإيجاد، البارئ الذي أوجد من العدم، وأظهر ما قدره، المصور الذي يصور ويشكل كل موجود بصورة تميزه عن غيره من المخلوقات، المحسن الذي أحسن الخلق والتقدير، وأتقن الإيجاد والتنفيذ، الله ﷻ قدر وجود المخلوقات، ثم برأها بأن أظهر ما قدره، ثم صورها بكيفية، هذه سماء، وهذه أرض، وهذا جبل، وهذا بحر، وهذا إنسان، وهذا حيوان، وهذه شجرة عنب، وهذه شجرة نخيل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].
فالله ﷻ قدر المخلوقات، ثم برأها بأن أظهرها من العدم، ثم صورها وأظهرها بأشكال تميز بعضها عن بعض: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٦ – ٨].
هو الذي خلق جميع المخلوقات، وأحسن ما خلق هو الإنسان؛ لأنه خلقه بيده: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين/ ٤]. حسن الشكل والهيئة والصورة.
فسبحان من خلقه وصوره، ثم أماته وأقبره، ثم إذا شاء أنشره: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾[المؤمنون: ١٢ – ١٦].

فصفة الخلق من صفات الجلال لله عز وجل، وهي من أعظم الصفات التي ظهرت آثارها في الكون، وتظهر كل يوم في مليارات المخلوقات والصور التي نراها تتجدد في كل يوم، وهذه الصفة مشتقة من اسم الله الخالق والخلاق، فالخلق صفته، والخالق اسمه، والخلاق اسمه، وهي من الصفات الفعلية الثابتة في القرآن والسنة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾[الأعراف/ ٥٤].

وإذا عرفتم أنه الخالق فاعبدوه، إذا عرفتم أنه الكبير كبروه، إذا عرفتم أنه العظيم فعظموه، إذا عرفتم أنه الكريم فاحمدوه، إذا عرفتم أنه الغني فسألوه، إذا عرفتم أنه الغفور فاستغفروه .. وهكذا.

فهذه القلوب تحتاج إلى هذا الغذاء، لأن معرفة الخالق تملأ القلب إيمانًا وتوحيدًا، وتحرك الجوارح بالطاعات، وتصدر عن الجوارح الأعمال بالحب لله، والتعظيم له، والذل له: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد: ١٩].

- **وقد اقترن اسم الله العليم مع اسم الله الخلاق مرتين:**

في سورة الحجر: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾[الحجر/ ٨٦].

وفي يس: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨١﴾[يس/ ٨١].

وسر ذلك الاقتران والله أعلم، أن خلق الله للأشياء والمخلوقات كلها عن علم بما يخلق سبحانه، كيف يخلقه، ومتى يخلقه؟ ولأي وظيفة يخلقه؟ ويعلم سبحانه الحكمة من خلقه، فلم يخلق سبحانه شيئًا من المخلوقات عبثًا أو سدى، بل خلق كل شيء عن علم وإرادة وحكمة تشهد بجلاله، وتشهد بجماله، وتسبح بحمده، وتطيع أمره: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٩﴾ [الدخان: ٣٨ – ٣٩].

وكذلك اقترن اسم الله الخالق باسم الله الباري المصور مرةً واحدة، وسر ذلك والله أعلم أن كل مخلوق خلقه الله أو سيخلقه، يحتاج في خروجه من العدم إلى الوجود إلى تقدير وجوده في علم الله أولًا، ثم إلى بريه وهو إخراجه من العدم إلى الوجود، على وفق التقدير السابق بعلم الله، فلا يزيد ولا ينقص، كميةً أو حجمًا، ثم تصويره بالصورة التي يريدها الله له: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر/ ٢٤].

لعظمه خلقه وتصويره وقدرته، تسبح له هذه المخلوقات؛ لأن الله ﷻ فطر جميع المخلوقات على معرفة الله، فهي تسبح بحمده دائمًا: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

لأنها ترى فعل الله في مخلوقاته خلقاًوإيجادًا، وتدبيرًا وتصريفًا وتصويراً، وإحكاماً وإتقاناً: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾ [الحج: ١٨].

وكذلك اقترن اسم الله الخالق بالوكيل مرةً واحدة في قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر/ ٦٢].

وسر ذلك والله أعلم أن الله خالق كل شيء، ومدبر كل شيء، وحافظ لكل شيء بعد خلقه، وكيل عليه بعد خلقه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فكل شيء محتاج إلى الله في خلقه ووجوده، ومحتاج إلى الله في قوته، ومحتاج إلى الله في بقائه وتدبيره: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر/ ٦٢].

وإذا عرف القلب هذه الصفات عن ربه ﷻ عظمه، وكبره، وأحبه، وأطاعه، وعبده، وحمده وشكره فهو سبحانه يريد من عباده أن يعرفوه؛ حتى يعبدوه ويرضوه فهو خالق

كل شيء، القادر على كل شيء، الواحد الأحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، والذي لا يحتاج إلى أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص/ ١- ٤].

فليعبدوه إذا عرفوا كمال ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [قريش: ٣ – ٤].

هو سبحانه خالق كل شيء، وما سواه لا يخلق شيئًا، كيف يخلق وهو مخلوق؟ المخلوق لا يخلق، لكن المخلوق مُدبر، والله ﷻ يخلق بدون الأسباب، ويخلق بالأسباب، ويخلق بضد الأسباب، كما رزق مريم طعامًا بلا شجر، وابنًا بلا ذكر.

فهو جل جلاله خلاق يخلق ما يشاء كيف شاء، وهو الخلاق وحده لا شريك له، وكل ما سواه مخلوق، لا يخلق شيئًا، فكيف يعبد من دون الله؟: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [النحل: ١٧].

فكل ما سوى الله ما كان شيئًا حتى يفعل شيئًا أو يخلق شيئًا ولو كان حقيرًا، فلو تضافرت الأمة واجتمعت كلها على خلق ذباب واحد لم يستطيعوا، بل إن هذا الذباب لو سلب الأصنام شيئًا لن نستطع أن تمنعه أو تسترده منه، كانوا يختارون الأصنام ثم يطلونها بالزيت أو بالمسك أو بالزعفران، فكان الذباب يقع عليها ثم يصبغها بصبغته ثم ينطلق بها أخذ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤﴾ [الحج/ ٧٣- ٧٤].

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾؛ ضعف الطالب وهو الأصنام المعبودة التي انهزمت أمام الذباب، هذا الصنم الذي يعبده الناس ويطلبون منه الأشياء، ضعف عن أن يسترد ما أخذ الباب، وضعف المطلوب وهو الذباب الصغير الحقير، ليس بيده شيء، لا يستطيع أن يفعل شيئاً: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣﴾ [الحج/ ٧٣].

لا إله إلا الله، كم عظمة خلقه! كم عظمة ملكه! وكم عظمة تدبيره وتقديره وتصويره؟! الإنسان قد يخلق، لكن يخلق شيئا من شيء، بالعقل الذي خلقه الله، والفكر الذي خلقه

الله، والأيدي التي خلقها الله، والمادة التي خلقها الله، أما الله فيخلق من عدم، يوجد من عدم، في صورة لم يسبق إليها: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة: ١١٧].

وغاية خلق المخلوق أنه يحول الشيء إلى شيء آخر يحول الحديد إلى سيارة، ويحول التراب إلى عمارة، ويحول القطن أو الصوف إلى ملابس، ويحول البلاستيك إلى أواني وملابس وغيرها، والله هو الذي علمه: ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق: ٤ – ٥].

أما الخالق سبحانه فخلق كل شيء من لا شيء: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: ١٤].

هو سبحانه الخالق، ومن خلقه هذه الأرزاق العظيمة، كل ما نراه في الكون فهو من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، السموات، والأرض، والشمس، والقمر، والنباتات، والحيوانات وغيرها كلها من نعم الله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

وكل ما في الكون مسخر للإنسان، ليعرف الكبير فيكبره، ويعرف الغني فيسأله، ويعرف الكريم فيشكره: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

الله ﷻ كل ما في الكون من خلقه، ومظهر من آثار اسمه الخالق والخلاق، هو سبحانه الخالق الرزاق الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

لا يليق بالإنسان الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض، وجعله خليفة في الأرض، أن يعبد غير الذي خلقه ممن هو مثله من المخلوقين، أو من هو دونه من الأصنام.

ولا يليق بالأعلى وهو الإنسان أن يخضع لمثله، أو لمن هو دونه من المخلوقات، بل يعبد

ربه العلي الأعلى وحده لا شريك له؛ لأن المؤمن عالٍ بإيمانه إلى العلي الأعلى؛ فلا يليق به أن ينزل إلى الأسفل، ويعبد من هو دون الله من شجر أو حجر أو صنم: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٦].

خلقك الخالق إنسانًا لم يخلقك حيوانًا يركب عليه، ولا تراباً يبال عليه، ويداس بالأقدام، بل خلقك قائمًا سوياً، وخلقك في أحسن تقويم، وملكك هذه الأرض، وملكك جوارحك؛ لتتقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٤ – ٦].

وكان النبي ﷺ يقول في سجوده في الصلاة «**اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**»؛ أخرجه مسلم[1].

هو سبحانه الخلاق العليم، القادر على كل شيء، خلق السموات والأرض، وأبدعهما من غير أصل ولا شيء سابق، وخلق جميع المخلوقات بأمره من غير شيء: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢- ٨٣].

بيده الملك والملكوت، يفعل ما يشاء، في أي وقت شاء، خلق البحار العظيمة كخلق قطرة ماء، خلق الجبال العظيمة كخلق ذرة، خلق السموات والأرض، والعرش والكرسي، كخلق ذرة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤].

وخلق الكبير كخلق الصغير، وخلق الكثير كخلق القليل، كله عنده سواء: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان: ٢٨].

فالله ﷻ لا يمتنع عليه شيء؛ هو الخلاق الذي إذا أراد شيئًا كان، على ما يريد كيفية

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

وكمية ونوعية: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠].

فسبحان الخلاق العليم الذي له القدرة المطلقة في الخلق والإيجاد، والتدبير والتصريف، في ملكه العظيم، خلق آدم ﷺ، وخلق منه ذريته: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان/ ٥٤].

﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٦ – ٨].

فصفة الخلق من أعظم الصفات التي يدركها كل الخلق، الراعي مع غنمه في الصحراء، ومن هو في المدينة بين الكتب والعلوم المختلفة، صفة الخلق يراها ماثلةً أمامه، في عالم الجماد، في عالم النبات، في عالم الحيوان، في عالم الإنسان، في عالم الرياح، في عالم الكواكب، في عالم النجوم، في عالم البحار: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

وصفة الخلق من الصفات العظيمة؛ ولذلك صفة الخلق صادرة عن ثلاث صفات عظيمة: هي القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة المقرونة بالخير المطلق، والعلم المطلق: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

أنظر للسموات والأرض، وأنظر للجبال والبحار، وانظر للحيوانات، والنباتات؛ لتعلم أن هذه المخلوقات خالقها قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، هو الذي شاء وجودها فوجدت، وأراد وجودها فوجدت، ووجدت متكررة في كل وقت.

وله في خلقه شؤون؛ خلق الشمس للإنارة، وخلق السحب لنقل المياه، وخلق الأرض للإنبات، وخلق اللسان للكلام، وخلق الإنسان لعبادة الله؛ فله حكمة في كل ما خلق، فكل يؤدي وظيفته حسب الأمر الملكي الصادر إليه من ربه.

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾﴾ [الأعلى/ ١ – ٣].

بيده الأوامر الملكية على جميع المخلوقات، وله الأوامر الشرعية التي من علينا وأكرمنابهذه الأوامر الشرعية؛ حتى نكسب الأجور، ونرضي الخالق، ونعيش كالملائكة بمزاج سمعنا وأطعنا؛ فيجب علينا أن نعبد الرب العظيم، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلي، والأفعال الجميلة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢].

ومن أعظم صفاته أنه الخلاق، فجميع الخلائق إنما وجدت بأمره جل جلاله، أراد وجودها فوجدت، لتدل على كمال ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

وإذا كان الخالق يخلق فهل المخلوق يخلق؟.

نحن الآن ننظر في صنعة المخلوق، والمخلوق كالكمبيوتر، صنعة المخلوق كالأجهزة من الثلاجات، والغسالات، والسيارات وغيرها، هذه مخلوقات، ليس فيها حياة، ولا يمكن أن تنتج مثلها، هو الجهاز واحد، لكن الله خلق الحبة، وجعل الحبة تخرج سبعمائة حبة: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[البقرة: ٢٦١].

فهذا عطاء المخلوق، حبة جاءت بسبعمائة حبة أو أكثر؛ فكيف عطاء الخالق؟ إذا أعطى أعطى حيث لا فقر؛ ولهذا الله ﷻ يعطي على قدر شأنه؛ لأن العظيم يعطي العظيم، والحقير يعطي الحقير، ومن عطائه أنه يعطي المؤمن في الآخرة جنة عرضها السموات والأرض، بل أدنى مسلم في الجنة وما فيهم من دني، من يأخذ مثل هذه الدنيا عشر مرات: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾[ص: ٣٩].

فعطاء الله واسع، وملكه واسع، وخزائنه واسعة، والله واسع عليم.

ولهذا نكثر من التوبةوالاستغفار؛ لتقصيرنا في العلم الإلهي، وعدم معرفتنا بالمعبود، وعدم معرفتنا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ وأفعاله الحميدة؛ ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

فكلما عرفت ربك أحببته، وكلما عرفت ربك كبرته وعظمته، وعبدته وأطعته، وكلما عرفت ربك حمدته وشكرته، فبحسب المعرفة يكون الإيمان، وبقدر الإيمان يأتي حب الطاعة والعبادة، وبقدر الإيمان تتنوع الطاعات والقربات، وبقدر الطاعات يكون علو الدرجات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

ولهذا أعظم شيء بيئة الإيمان، وأن نعيش في الجو الإيماني؛ حتى يزيد إيماننا، ويكمل إيماننا،وكما نجتهد على أبداننا بالأطعمة والأشربة الطيبة، كذلك نجتهد على إيماننا بالعلوم النافعة التي تثمر أحسن العبادات: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت: ٦٩].

العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده، هذه مغذيات القلوب، التي تربط المخلوق بالخالق، وتنقل المخلوق من المخلوقات إلى خالقها، فيرى القلب الخالق يخلق ما يشاء، ويرزق من يشاء، ويدبر المخلوقات، وينفذ أوامره في ملكه.

هذه نخلة مثمرة، وهذه غير مثمرة؛ مع أنها مغروسة في أرض واحدة، وتشرب من ماء واحد، ولكن الأمر الملكي جاء إلى هذه بإخراج ثمرة، وجاء إلى هذه بإيقاف الثمرة؛ لأنها خاضعة لله ﷻ، خاضعة لمن بيده الخلق والأمر، فهي مخلوقة مدبرة، ومسخرة، تجري بأمر الله الكوني﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

فسبحان الخالق لكل شيء، الخلاق العليم بكل شيء، الذي خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق عالم الجماد، وخلق عالم النبات، وخلق عالم الحيوان، وخلق عالم الإنسان، وعالم الجن، والملائكة.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢].

والكل يشهد بوحدانية من خلقه، ويسبح بحمده، ويسرع إلى إرادته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ

﴿ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء: ٤٤].

فالله ﷻ يريد أن نتعرف عليه وعلى مخلوقاته، حتى يأتي الإيمان في قلوبنا، ونعرف أن الرب المعبود لا يحتاج إلى العبادة، لأنه الغني عن كل أحد، قبل أن نحمده، وكبير قبل أن نكبره، وسبح بحمده قبل أن نسبحه، ووحده نفسه قبل أن نوحده ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٨].

لكن أنا المحتاج؛ لأن كل مخلوق طبعه خالقه على أربع صفات، لا يخرج عنها، كل مخلوق ضعيف، فقير، عاجز، محتاج، فكل ما سوى الله محتاج إلى الله، محتاج إلى الله في كل شيء، محتاج إلى الله في سمعه وبصره والهواء الذي يتنفس منه، والطعام الذي يأكله، واللباس الذي يلبسه، والدين الذي يتبعه، نحن فقراء إلى الله:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر/ ١٥].

فالله يريد من الضعيف أن يتصل بالقوي، ويريد من الفقير أن يسأل الغني، ويريد من العاجز أن يستعين بالقادر، ويريد من المحتاج أن يدعو غير المحتاج:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس: ٣].

فالخلق صفة من صفاته جل جلاله، خلق بها السموات والأرض، والعرش، والكرسي، والبحار، والجبال، والرياح، والنيران، والحيوان، والإنس، والجن، والملائكة:﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[الروم: ٢٧].

لماذا يعيده؟ إظهارًا لقدرته، يفني الخلق كله، ثم يعيده مرة أخرى؛ لنعرف من هو القادر على إعادة الإنسان، وإعادة الكون، فهو الذي خلق الكون، وهو الذي بدأ الخلق، وهو وحده القادر على إعادته:﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾[البروج: ١٣-١٦].

كل شيء أمام الله هين:﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[يس: ٨٢-٨٣].

الله أكبر! كم خلق الله من المخلوقات؟! وكم خلق الله من الأرزاق! وكم خلق الله من النجوم؟! وكم خلق الله في عالم البحار من الأسماك؟ كم خلق الله من الحيوانات؟! كم خلق الله من الذباب.

الله ﷻ في النطفة الواحدة قادر على أن يخرج منها بعدد سكان الأرض، ولكن من رحمة الله، أنه لا يحيى من هذه الحيوانات المنوية إلا واحداً أو اثنين، ذكر أو انثى، أو ذكرين، أو أنثيين، أو ذكر و أنثى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[الشورى: ٤٩ – ٥٠].

وهذه الملايين التي هي قابلة للحياة، الله قادر على إحياء كل مخلوق، ولكن الله بقدرته يبقي منها واحداً أو اثنين، والباقي كلهم يموتون، كيف لو حيوا جميعًا؟ كيف لو بقيت هذه الذبابات أشهراً أو سنيناً.

فسبحان الحكيم وخلقه وأمره: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٤].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر! من هذا خلقه، وهذا ملكه، وهذه قدرته، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان/ ١٠ – ١١].

فلا إله إلا الله، ولا رب سواه، خلق هذا الكون العظيم بصفة من صفاته، وهي صفة الخلق، وخلق هذا الكون العظيم بحرفين من كلامه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس/ ٨٢].

فكم قوة كلامه جل جلاله؟: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[لقمان: ٢٧].

هو القوي الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، الواسع الذي هذا ملكه الواسع، فكم سعة عظمته جل جلاله، وسعة ملكه وسلطانه جل جلاله، فالعالم العلوي والعالم

السفلي ملكه، عالم الغيب ملكه، عالم الشهادة ملكه، الدنيا ملكه، الآخرة ملكه، فالله أكبر! ما أعظم خلقه! وما أعظم ملكه! وما أعظم قدرته جل جلاله!: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾ [الزمر: ٦٧].

هو الذي خلق هذا الكون العظيم بصفة من صفاته وهي صفة الخلق؛ فقد خلق سبحانه كل شيء كان، ولا زال يخلق ما شاء، كيف شاء، في أي وقت شاء: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨)﴾ [القصص/ ٦٨].

هو يخلق ما يشاء ويختار، اختار ليل، نهار، نبات، جماد، إنسان، حيوان، أبيض، أسود، ذكر أنثى، اختار من الليالي ليلة القدر، اختار من البيوت بيت الله ﷻ في مكة، اختار من الأيام من الفاضلة يوم الجمعة ويوم عرفة، اختار من الشهور رمضان، اختار من البشر الأنبياء، اختار من النفوس المؤمنة، هو جل جلاله يخلق ما يشاء ويختار؛ لأنه هو الخلاق العليم؛ فالله وحده هو الذي خلق هذا الكون العظيم، وهو الذي بدأ الخلق كله على غير مثال سابق، وسوف ينتهي الخلق إلى الخالق، وينهي الخالق هذا الكون العظيم بما فيه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ [الرحمن/ ٢٦- ٢٧].

وسوف يعيده مرةً أخرى؛ إظهارًا لقدرته، وتكميلًا لحكمته، هو سبحانه الملك القادر على كل شيء، خلق الخلائق كلها، وصور الكائنات كلها، وقدر المقادير كلها، وجعل لكل صنف من المخلوقات قدرًا، فخلق كذا، وخلق كذا، وخلق كذا، خلق منها الصغير والكبير، والأبيض والأسود، والطويل والقصير، والرطب واليابس، والسائل والجامد: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠].

فسبح بحمد ربك العظيم: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾ [الواقعة: ٧٤].

قل: سبحان الله وبحمده، نزهه عما لا يليق بجلاله من المثيل والشبيه، عما لا يليق بجلاله من صفات الخلق، عما لا يليق بجلاله من صفات النقص والعيب: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢)﴾ [الأعلى/ ١- ٢].

بدأ بأول صفة وأعظم صفة وهي الخلق: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢)﴾ [الأعلى/ ٢].

خلق الله الملائكة العظام، وهم أمم وخلائق لا يحصيها إلا الله، خلقهم الله من نور؛ ولذلك العالم العلوي كله نور؛ لأنه معمور بالملائكة؛ فالملائكة خلقوا من نور، وأعمالهم كلها نور، وأخلاقهم كلها نور؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

أما الأرض ففيها الجن والإنس، هذا مخلوق من الطين، وهذا مخلوق من النار، هذا له شهوات وهذا له شهوات، وكلهم مأمور بعبادة الله وحده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

والله ﷻ هو خالق كل شيء وحده لا شريك له، وهو سبحانه خالق العباد، وخالق أفعالهم وصفاتهم، الله خلقك وأقدرك وأعانك: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد/ ١٦].

خلقك وخلق أفعالك: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات/ ٩٦].

فالله ﷻ هو خالق كل شيء، وهو الوكيل على كل شيء، فأوامر الخلق، وأوامر التدبير والتصريف، بيد الخالق وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فلا يستطيع المطيع أن يطيع ولا العاصي أن يعصي إلا بعون الله ﷻ، هو المستعان الذي يعين كل أحد، لكن يستطيع الإنسان بما قدره الله أن يوجه العمل، إما يعمل بطاعة أو معصية، إما يعمل خير أو شر: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣ – ١٤].

فالله ﷻ خالق الناس، وخالق صفاتهم وأفعالهم، لكن الصفات والأفعال هم اختاروها هذا، اختاروا الخير أو اختاروا الشر، اختاروا الطاعات أو اختاروا المعاصي، ولكنهم لا يستطيعون أن يخلقوا شيئًا من الأعمال، لكن الله ﷻ أقدرهم فقدروا: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾[النازعات: ٣٧ – ٣٩].

فالله خالق كل شيء: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الصافات/ ٩٦].

فله سبحانه القدرة المطلقة على كل شيء خلقاً وتدبيرًا وأمرًا، والقدرة التي حصل بها خلق الإنسان، صالحة للضدين، الإيمان والكفر، والطاعات والمعاصي، والأمن والخوف، والإحسان والإساءة، والحب والبغض، وكل ذلك بيد الله وحده: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

[الإنسان: ٢٩ – ٣١].

فالمخلوق وما عمل كله خلقالله ﷻ، والله أعانه على كل عمل ، لكن عليه إذًا توجيه العمل إلى الطاعة أو المعصية، إلى الإيمان أو الكفر: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

[يوسف: ١٠٤].

ناظر رجل سني رجلاً قدرياً في مسألة من القدر، فقال القدري الذي يقول بالقدر، نحن نخلق أفعالنا، والله ﷻ لا يخلقها، نحن الذين نخلقها، فقطع القدري تفاحة من شجرة، ثم قال للسني: ألست أنا الذي فعلت هذا؟ فقال له السني: إن كنت فعلته أنت فردها إلى مكانها، فانقطع ذلك القدري، لأنه لا يستطيع ردها إلى مكانها.

فالذي يملك الإحياء هو الذي يملك الإماتة، فالله خلق الخلق، ثم يميتهم، ثم يحييهم: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[البقرة: ٢٨].

ورفع رجل قدري رجله عن الأرض وهو قائم، ثم قال لرجل من أهل السنة: أنا الذي رفعتها، فقال له: إن كانت صادقًا فارفع الأخرى معها، فبهت وانقطع.

ولهذا القدرة المطلقة هي الصالحة للضدين، أن يكون ليل أو نهار، حياة أو موت، عطاء أو منع، بدء وإعادة، فهذا الرجل القدري، الذي يقول بالقدر، وأن العبد يخلق فعله، بهت لما سمع هذا الكلام، فما يستطيع يرفع الرجلين معًا، لكن الله يستطيع أن يجعله يرفع قدميه معاً؛ لأن قدرته مطلقة، موسى ضرب البحر فخرج اثنا عشر طريقاً يبساً، وضرب الحجر لما أراد أن يستسقي لقومه؛ فخرج اثنتا عشرة عيناً؛ هذه هي القدرة المطلقة، التي

لا يملكها إلا الله الخالق القادر على كل شيء.

**الأولى**: اضرب البحر يخرج حجراً طريقاً يابساً.

**والثانية**: اضرب الحجر يخرج منه بحر من الماء، اثنتا عشرة عينًا.

فهذا الذي له القدرة المطلقة، هو الذي يستحق أن يعبد، إذا شاء ليلا كان ليلا، إذا شاء نهارا كان نهارا: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾[النور/ ٤٤].

فلله أكبر مشاهد الخلق نراها كل يوم، حتى هذا القلب يتأثر، ويعرف الخالق، ويعرف القادر، حتى يعبده وحده لا شريك له، ويعبده كأنه يراه، فلا قدرة لأحد على فعل شيء من خير أو شر، إلا أن أقدره الله عليه، وإذا كان ذلك كذلك؛ فينبغي للعبد أن ينظر في الفعل الصادر عنه؛ فإن كان خيرًا فليحمد مولاه على ما أولاه حيث خلقه أهلًا للخير وأقدره عليه.

ولو تُرك الإنسان ونفسه وهواها؛ لنفرت عن الحق إلى الباطل، ومن الخير إلى الشر، ولكن الرحمن الرحيم يردها إليه بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات القرآنية.

فلا تعجب بإيمانك، وأقوالك، وأعمالك، وصلاتك، ودعوتك، وصومك، وجميع طاعاتك؛ فإن ذلك وإن كان من كسبك فإنه من خلق ربك، وفضله الدار عليك ، وخيره الذي أفاضه عليك: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾ [النور/ ٢١].

فكل خير ونعمة من الله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل: ٥٣].

وإن كان شرًا فهو من خذلان الله لك، بسبب معصيتك، فاستغفر الله من ذنبك، وتب إليه من ذلتك: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾[النساء/ ١٢٣].

ومن استغفر ربه غفر له: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾[النساء/ ١١٠].

فكل خير من الله، وكل شر من النفس: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾[النساء: ٧٩].

فالله عز وجل أمرنا بالتعبد له جل جلاله بأسمائه الحسنى، بمعرفتها، وإحصائها، وفهم

معانيها، لماذا؟ حتى نعبد الله ﷻ بمقتضاها، فالله مؤمن يحب الإيمان وأهل الإيمان.
فالله ﷻ أمرنا لنتخلق بأحسن الصفات: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].
فسبحان الخلاق العليم، ما أعظم ملكه، وما أحسن خلقه، وما أبدع صنعه: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨﴾ [النمل/ ٨٨].
صنع الله وقدرته ظاهر في خلق البحار المملوءة بالأسماك، خلق الصحاري المملوءة بالنباتات، خلق الأجواء المملوءة بالذرات، المملوءة بالكلمات، خلق البشر، خلق السموات، خلق الأرض، خلق الملائكة: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨﴾ [النمل/ ٨٨].
وآثار اسم الله الخالق نراها ونعيشها كل يوم، بل كل لحظة، نراها في جميع الجهات، في كل زمان، وفي كل مكان، وكل إنسان يقر بفطرته أن الله هو الخالق: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٨٧﴾ [الزخرف: ٨٧].
ولكن هذه لا تكفي في الإيمان؛ لأن القلوب مفطورة على ذلك، بل لا بد أن يتبع المعرفة تعبد وطاعة المعبود؛ إذا عرفته بأسمائه وصفاته فيجب أن أطيع أمره؛ لأني آمنت به فكبرته وعظمته؛ إذًا لا بد أن أطيع أمره؛ لأني عرفت إنه لا خالق إلا هو، ولا ملك إلا هو، ولا قادر إلا هو، فكل إنسان يقر بفطرته أنه هو الخالق: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣﴾ [العنكبوت/ ٦٣].
فإذا عرفتم أن الله هو الخالق؛ فيجب أن تعبدوه؛ لأنه هو الخالق وحده لا شريك له، وأنتم بحاجة إليه في أرزاقكم، في خلقكم، في خلق أعمالكم أنتم بحاجة إليه؛ فاعبدوه؛ لأنه هو الخلاق العليم، الذي لم يخلق مرة واحدة، بل خلق مليارات المرات في الثانية الواحدة، مخلوقات بأشكال وأنواع مختلفة ومتكررة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾ [الحجر: ٨٦].
فمعرفة أن الله هو الخالق فقط لا تكفي في الإيمان، هذه معرفة عامة، لكن المعرفة المقصودة: أن تعرف الخالق فتحبه وتعظمه وتطيع أمره وتشكره، وتعبده: ﴿ذَٰلِكُمُ

﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الله وحده هو القاهر :﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾[الزمر: ٤].

هو واحد؛ إذًا هو قاهر لكل واحد، وهو قهار؛ لأنه واحد، القهار واحد،وكل ما سواه مقهور، هو القاهر الذي قهر كل قاهر ومقهور من الخلق، هو الواحد القهار الذي يملك القهر وحده، ويملك الخلق وحده، هو الواحد في الخلق، هو الواحد في التدبير، هو الواحد في الملك جل جلاله ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾[الملك/ ١].

هو سبحانه الخالق الذي أوجد كل مخلوق من العدم، الباري الذي خلق كل شيء لمهمة، فالمطر يسقي الأرض، ويسقي الحيوان، ويسقي الإنس، والأرض للإنبات، والرياح للتنفس، وهذا الفضاء العظيم، لتسبح فيه هذه المخلوقات والنجوم والكواكب، والشمس للإنارة:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾[الحشر: ٢٤].

هو المصور الذي خلق جميع صور المخلوقات بتقدير معين؛ حجمًا ولونًا وكيفية؛ فلا يتشابه اثنان من الخلق، المصور الذي صور كل شيء بصورة تميزه عن غيره.

هو سبحانه الخالق لكل شيء، الخالق الذي خلق أباك آدم ﷺ بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، وأسجد له ملائكته:﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٧٣ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤﴾[ص/ ٧١- ٧٤].

وخلقك أنت من سلالة من ماء مهين؛ حتى تعرف نفسك أنك مخلوق من ماء مهين، ومخلوق من طين، لهذا لا ينبغي لك التكبر؛ فأنت محتاج إلى الله في خلقك، ومحتاج إلى الله في قوتك، ومحتاج إلى الله في حركتك، لا بد لك من دين تمشي عليه، كما للنجوم نظام تمشي عليه، وللشمس نظام تمشي عليه، وللنبات سنة يسير عليها؛ فكذلك أنت لك شريعة من الله تسير عليها، حتى ترضي ربك، وتسعد نفسك في الدنيا والآخرة:﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ

﴿ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾[الروم: ٣٠].

فماذا يريد الخالق منك؟ لا بد أن أتعرف على مراد الله مني، وماذا أريد أنا منه؟.

فأين تسكن أنت الآن؟ ومن أي طعام تأكل؟ ومن أي هواء تتنفس؟ ومن أي لباس تلبس؟ ومن أي ماء تشرب؟ وماذا تعمل؟ هل تطيع ربك؟ أم تطيع هواك؟ هل تمشي على الوحي أم تمشي على العقل؟ هل تمشي على الهدى أم تمشي على الهوى؟:﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر: ٢٨].

نتعرف على ربنا بماذا أكرمنا الله ﷻ، وإلى أين سوف نصير؟ إن الله يريد منك أن تعبده لمصلحة نفسك، فأنت عزيز عليه، وقد هيأ لك الأرض قبل أن تخلق، هيأ السكن قبل نزول الساكن إليها، قال: هذه الدار اسكن فيها، واعمل بما جاءت به الرسل؛ الطعام موجود، والشراب موجود، والسكن موجود، واللباس موجود، والظل موجود، وكل نعمة موجودة، وكل ما في الكون في خدمتك، من عالم الجماد الذي تسير عليه، وعالم النبات الذي تأكل منه، والحيوان الذي تأكله وتركبه، وغيره ذلك من المخلوقات كلها سخرها الله ﷻ إكرامًا لك، واختارك واصطفاك، واختار لك أحسن دين، وأكرمك بأن خلقك في أحسن تقويم:﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾[الإسراء: ٧٠].

وجعلك قائمًا تمشي على رجلين، مطلق اليدين، تفعل ما تريد، جميع الحيوانات مغلقة الأصابع، أما أنت مطلق اليدين، يد بخمسة أصابع؛ وأغلب المخلوقات تمشي على أربع، وأنت تمشي قائمًا، سهل لك الحركة، لأنك خليفة في الأرض.

والحيوانات كلها مقبوضة اليدين، محكمة اليدين، لا تستطيع أن تعمل بالأيدي شيئًا، لكن أنت مطلق اليدين، يدك إن شئت دفعت بها، وإن شئت سحبت بها، وإن شئت رفعت بها، وإن شئت أدرتها يمينًا، وإن شئت أدرتها شمالًا، وإن شئت جعلتها مطرقة، وإن شئت جعلتها مغرفة تغرف بها الأشياء، وإن شئت أن تدفع بها،أو إن شئت أن تأخذ بها، وإن شئت أن تكتب بها، وإن شئت أن تذبح بها، وإن شئت أن تضرب بها، وإن شئت أن تربط بها،وهكذا منافع يديك كثيرة:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل: ٥٣].

والله جعلك مطلق اليدين؛ لتفعل ما تريد؛ فأنت مخلوق خلقًا حسنًا جميلًا ظاهراً وباطناً: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾[التين: ٤].

فلنشكر هذه النعمة التي أعطانا الله ﷻ، ونتقرب إلى الله ﷻ في استعمال هذا البدن فيما خلق له؛ لأن هذا البدن الله خلقه وهداه واشتراه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴿١١١﴾﴾[التوبة/ ١١١].

فالوقت لله، والمكان له، والبدن له، والجوارح له، فلا نستعملها في غير ما خلق الله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

وكل مخلوق كبير أو صغير، لا بد لإيجاده من ثلاث صفات عظيمة:

**أحدها**: القدرة المطلقة على إيجاد ذلك الشيء، والله وحده هو القادر جل جلاله على كل شيء: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك/ ١].

**الثانية**: الإرادة المخصصة لذلك المخلوق، لذلك المقدار المعين، بلا زيادة ولا نقص، حجمًا ولونًا، وصغرًا وكبرًا، لا بد من إرادة ومشيئةٍ للرب ليقدر بها ذلك المخلوق بلا زيادة ولا نقص: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠].

**الثالثة**: العلم المحيط بذلك القدر الخاص وذلك لأن إرادة الشيء مشروطة بالعلم به.

ثم بعد ذلك يظهر: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق: ١٢].

هو خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾؛ الأوامر الملكية تنزل بالحياة والموت، والعطاء والمنع، والتدبير والتصريف، والسحب، والرياح والأمطار والعواصف، وكل شيء لماذا؟ ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالذي هذا خلقه،وكبرتموه وعظمتموه وأحببتموه، ثم أطعتموه وعبدتموه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢].

هذا القسط من المعرفة هو الأول، تعرف الخلاق فتخشاه، وتخشع له، وتنكسر بين يديه، لعظمة خلقه لأنه الخالق الذي خلق كل شيء وأحسن خلقه جل جلاله، ثم تأتي الطاعة بعد ذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فسبحان ربنا القادر على كل شيء، الذي خلق كل شيء على قدر معين موافق للمصلحة.

فكل ذرة، وكل مخلوق، وكل حشرة، وكل كبير وصغير خلقه الله ﷻ بحكمة، يؤدي بها الوظيفة المكلف بها، ويشير إلى عظمة من خلقه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر: ٨٥].

وهذه المخلوقات الكبير منها والصغير مظهر لجلال الله وعظمته وقدرته، ومظهر لجمال الله، وأنه يخلق الشيء الحسن الجميل، وأنه ﷻ جميل له صفات الجمال الجلال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن/ ٧٨].

فكل ما تراه من المخلوقات الكبير منها والصغير، العالي والسافل؛ مظهر لجلال الله وعظمته، ومظهرٌ لجماله وإحسانه وإكرامه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦ – ٨].

فكل ما في الكون إما نعمة أو مُنعمٌ عليه، كل ما نراه في الكون إما نعمة من الله، أو منعم عليه، فأنا منعم علي بنعم لا تعد ولا تحصى، من خلقها؟ خلقها المنعم جل جلاله، خالق كل شيء من الأقوات والأرزاق، وسائر الأمكنة والأزمنة: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

فاعلموا ذلك، وتوجهوا للخالق الذي أبدع كل شيء، وخلق كل شيء.

الله ﷻ خلقنا ثم أخرجنا بصور مختلفة ذكر وأنثى، وأبيض وأسود وجبل وبحر، وشمس وقمر؛ لأنه هو الخلاق العليم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

فسبحان الخلاق العليم الذي قدر كل شيء في علمه بالمقدار النافع المطابق للمصلحة،

البارئ الذي أبدع تلك الأجسام، وأخرجها من العدم إلى الوجود، المصور الذي صور المخلوقات بأشكال تميزها عن غيرها: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

الله أكبر كم نرى عظمة الخالق في الخلق، والبرء والتصوير، في كل ثانية من الثواني.

من رحمته جل جلاله أن أظهر لنا صفة من صفاته وهي صفة الخلق؛ حتى لا نتجاوزه إلى غيره، وحتى نترقى من المخلوقات إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور جل جلاله، فنعبده بما جاء به رسوله ﷺ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

فهذه والله جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة، من دخلها في الدنيا فسيخرج منها إلى جنة الآخرة، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ومن حرمها فقد حرم الخير كله، وسيخرج من هذه الدنيا إلى سجن في جهنم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢].

فالناس في الآخرة إما في القصور الملكية بقرب ملك الملوك، وإما في السجون الجهنمية مع إبليس وفرعون وقارون وهامان، والذي يريد أن يكون بصحبة الأنبياء يعمل أعمال الأنبياء، ويتخلق بأخلاق الأنبياء، ويتبع الأنبياء؛ حتى تكون حياته مطابقة لحياة الأنبياء، وأقواله مطابقة لأقوال الأنبياء، ويتصف بالصفات الملكية، صفات ملك الملوك، ويتقرب إلى الله بما يحب: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الله كريم يحب أن تكون كريماً، والله عليم يريدك أن تكون عليماً، والله تواب يحب التوابين، والله محسن يحب المحسنين، والله شكور يحب الشكر والشاكرين.

والله ﷻ مؤمن يحبك أن تكون من المؤمنين الذين ينشرون الأمن بين الناس، ويؤمنون أنفسهم من نار جهنم، فإذا اتصفنا بهذه الصفات يحبنا الله ﷻ.

فسبحان الخالق الخلاق الذي خلق كل شيء من لا شيء، أما الإنسان فقد يخلق ويصنع الشيء من كل شيء، فإذا أراد أن يصنع طوباً، أو يصنع ثلاجة، أو يصنع سيارة؛ صنع

شيئاً من شيء، مما خلقه خالق كل شيء وشتان بين الخالق والمخلوق: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل: ١٧].

هو سبحانه خالق كل شيء؛ خلقك في أحسن تقويم، وخلق ما بعدك وما قبلك، وخلق ما فوقك وما تحتك، وخلق من على يمينك ومن على شمالك، وخلق ما أمامك وما خلفك، فالله ﷻ هو خالق كل شيء، فأينما توجهت فأنت ترى خلقه، خلقك في أحسن تقويم، ثم خلق المخلوقات من حولك، فخلق ما قبلك من المخلوقات الآباء والأمهات، وخلق ما بعدك من المخلوقات والأولاد والبنات، وخلق ما فوق الإنسان، وما تحته من العالم العلوي والعالم السفلي، وخلق من على يمينه، ومن على شماله، وخلق ما أمامه وخلق ما خلفه: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣].

الله ﷻ رب المشارق والمغارب: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [المعارج/ ٤٠].

وهو: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرحمن/ ١٧].

وهو: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [المزمل: ٩].

فالشمس تشرق من المشرق وتذهب إلى المغرب، هو رب المشرقين والمغربين: مشرق الصيف، ومشرق الشتاء، ومغرب الصيف، ومغرب الشتاء، ورب المشارق والمغارب، كل يوم تشرق الشمس وتغرب على عدد أيام السنة ثلاثمائة وستون يوماً، لها مشارق ومغارب بقدر أيام السنة.

فالذي هذا ملكه، وهذا خلقه، وهذا أمره، يجب أن نعبده وحده، هو الذي يستحق أن يعبد، وأن يكبر، وأن يعظم، وأن يحمد، وأن يطاع: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ - ١٠٣].

الله أكبر ما أعظم بيان القرآن، وما أعظم رحمة الرب بعبده، يذكره ويبين له ويتحبب إليه، ويتودد إليه بالنعم التي لا تعد ولا تحصى، لعله يتوب، لعله يرجع إلى ربه جل

جلاله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ [النحل: ١٨].
فالخالق وحده هو الذي يجب على الناس عبادته؛ لأنه الذي خلقهم، وخلق أرزاقهم وأكرمهم باتباع شرعه، وكثيراً ما يقرن الله وجوب عبادته وطاعته مع اسمه الخالق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة/ ٢١ - ٢٢].
الخالق وحده سبحانه هو الذي إذا عبدته أسعدك، ورزقك الأمن، والسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢].
لهم الأمن الصحي، والأمن الغذائي، والأمن السياسي، والأمن الاقتصادي: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ [قريش/ ١ - ٤].
فهو الخالق الذي إذا عبدته أسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة/ ٧٢].
هو الخالق الذي إذا عبدته وحده؛ نجوت من عذابه، وفزت بجنته: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].
بفضله أطعته، وبخذلانه عصيته؛ لأن الإنسان إذا أعرض أعرض الله عنه، والإنسان إذا نسي الله نسيه، وإذا زاغ عن الله يزيغ قلبه.
فالخالق وحده هو الذي يملك الصنعة وقد أعطى الخالق الأوامر بتشغيلها بما يصلحها ويصلح غيرها، فتجب طاعته، وتصديق أخباره: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر/ ١ - ٣].
فسبحان العليم بخلقه، العليم بما يصلح النفوس وينفعها، الرحيم الذي حذرها مما

يضرها ويفسدها: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة/ ٧٦].

هو السميع لأقوالكم وحاجاتكم، العليم بظواهركم وبواطنكم؛ فلا يجوز لأحد أن يعبد من لا يخلق ولا يرزق، ولا ينفع ولا يضر: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١].

فسبحان الخالق الذي هذا خلقه، وهذه قدرته، وهو الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

- **والعلوم الإلهية قسمان:**

أغذية..وأدوية.

أما الأغذية: فهي العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده.

والأدوية: هي علم المسائل التي تشفي الإنسان من الجهل.

فعلوم الإيمان تعين المسلم على معرفة ربه، وتجعل العبد يقبل بقلبه وجوارحه على ما يرضي ربه ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

أما علم المسائل، وعلم الإفتاء، فهي أدوية تعالج الإنسان وتنقله من الجهل إلى العلم، ليعمل على بصيرة، وعلى طريقة محمد ﷺ.

ولا شك أنه يجب علينا أن نتعلم الدرس الأول في كل يوم، ولهذا أمرنا الله ﷻ أن نقرأ في الصلاة الفاتحة، وما تيسر من القرآن، كله لتغذية الإيمان في القلب، لتقوية الإيمان في القلب؛ حتى يعرف المعبود، وينظر في الملك والملكوت، فيرى الخالق يخلق ما يشاء، ويفعل ما يشاء وحده لا شريك له: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ١ – ٣].

واسم الله الخالق،واسم الله الخلاق، اسمان لله ﷻ، وبهما يخلق المخلوقات العظيمة، المتكررة والمتكاثرة، والكبير منها والصغير.

فهو الخلاق الذي يخلق الكبير، كالعرش، والصغير كالذرة.

وهو الخلاق الذي يخلق المخلوقات الكثيرة، كالنجوم، والذرات، وقطرات المياه، وهو الخالق الذي خلق المخلوقات العلوية والسفلية، وخلق المخلوقات الناطقة والصامتة، وخلق المخلوقات المتحركة والساكنة.

الله ﷻ هو الخالق وحده لا شريك له، لا بد أن يتكلم اللسان؛ ليسمع القلب، ثم القلب يأمر الجوارح بالعمل، هذا الخطاب من اللسان موجه للقلوب؛ حتى تمتثل أمر الله ﷻ، الله ﷻ.

هو الخالق وحده لا شريك له، الخلاق الذي خلق جميع المخلوقات بقدرته، وصورها بإرادته، وحكمها بأمره: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢].

الله ﷻ يخلق في كل ثانية مليارات المخاليق، بصور مختلفة، وأنواع مختلفة، ووظائف مختلفة: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف/ ٥٤].

هو الخالق الذي خلق كل شيء، ولا يزال يخلق ما شاء، متى شاء كيف شاء: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨].

فاعبدوه إذا علمتم ذلك، ولا تشركوا به أحداً.

يشركون به من لا يخلق، يشركون به الناقص الضعيف، يشركون به ما لا يليق بجلاله، يشركون به ما لا يساويه في الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾[الأعراف: ١٩١ – ١٩٢].

وسبب ذلك الجهل به؛ فلا بد من العلم بالله ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[محمد/ ١٩].

يستغفر الله من التقصير في هذا العلم، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات الذين قصروا في هذا، ولو عرفوا الله لأطاعوه، ولو عرفوا نعمه لشكروه، ولو عرفوا جبروته وقدرته

لخافوا منه؛ ولو عرفوا إحسانه لأحبوه، ولو عرفوا كبرياءه لكبروه، ولو عرفوا غناه لما سألوا غيره.

فهو سبحانه الخلاق القادر على كل شيء، الذي خلق ويخلق ما لا يحصيه الله من المخلوقات والأشياء والذرات والأنفس والثمرات، والأجرام، والأفلاك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر/ ٨٦].

وهو سبحانه الخالق الذي خلق المخلوقات كلها على غير مثال سابق: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة/ ١١٧].

فسبحان من له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى.

هو جل جلاله الخالق، وصفة الخلق تستلزم القدرة، التي يخلق بها الخلق، وتستلزم العلم بكل شيء خلقه ويخلقه.

فخلق الله ﷻ يستلزم صفات كثيرة من الحياة، من السمع، والبصر، والعلم، والقوة، والقدرة: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فالله ﷻ هو الخلاق الذي خلق المخلوقات، وأمر الله متوجه من الله إلى جميع المخلوقات فوجدت، وصفة الخلق في الكون مستمرة، فصفة الخلق صفة فعلية، يخلق الله مليارات المخلوقات في كل ثانية، من أنواع الجمادوالنبات والحيوان، وغيرها من المخلوقات التي لا يحصيها إلا هو: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

وخلق سبحانه جميع المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي،تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته وتخضع لأمره؛ وتستجيب لمشيئته، وتسرع إلى إرادته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا عرفتم ذلك فآمنوا به،واعبدوه، وأطيعوه،واشكروه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه الخالق البارئ المصور، الذي خلق كل شيء وأحسن صورته، فكل مخلوق له

أمر بالخلق والإيجاد، وله أمر بالتصوير، هذا جمل، وهذه بقرة، وهذا جبل، وهذا بحر، وهذه سماء، وهذه أرض، وكل له وظيفة يؤديها، فهذه المخلوقات العظيمة مخلوقة لحكمة، خلقها من بيده ملكوت كل شيء، لا بد لي أن أعرفه: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٢﴾ [الجاثية: ٢٢].

فسبحان الخلاق العليم الذي يخلق ما يشاء بقدرته.

خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الدنيا والآخرة، وخلق عالم الغيب وعالم الشهادة، وخلق الشمس والقمر، وخلق النجوم والكواكب، وخلق الليل والنهار، وخلق الأرواح كلها، وخلق الجن والإنس، وخلق الملائكة، وخلق الهواء والرياح، وخلق الجماد والنبات والحيوان: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر: ٦٢].

ومن هذا خلقه، وهذه ملكه، وهذه صفاته، هو الذي تجب عبادته: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

هو سبحانه الخالق الذي خلق السحب، والمياه وخلق الجماد والنبات، وخلق الطير والحيوان، وخلق الجان والإنسان، وخلق السهول والجبال، لا بد أن نكرر هذا كل يوم، فما تكرر تقرر، وبالتكرار يمتلئ القلب بمعرفة الله، وتزول الشبه عنه، وتخرج منه الأمراض والشكوك، فنكرره حتى يتعود اللسان عليه، وليستقبله القلب مرةً بعد مرة، حتى يسمع القلب كلام التوحيد، ويعرف قدرة الله، وعظمة من يعبد، ليعبده وحده بالحب والتعظيم والذل له.

الله أكبر! ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠﴾ [لقمان: ١٠].

كل النباتات كريمة، حبة القمح تعطي سبعمائة حبة، حبة العنب كم تعطي من مئات الألوف من حبات العنب؟! الرمانة كم تعطي من الحب؟!.

النخلة كم تعطي من التمر؟ كم تعطي الفسائل؟ كل مخلوقات الله تنمو وتتكاثر، أما

مخلوقات ومصنوعات الإنسان فلا تنمو ولا تتكاثر: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾[لقمان: ١١].

وهو سبحانه الخلاق العليم، الذي خلق جميع المخلوقات، وأتقن صنعها، وأحسن خلقها: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾[السجدة/ ٦- ٧].

فسبحان الخالق العظيم، الخلاق العليم، الخلاق القدير، الذي خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، وجعل لكل نوع منه، وكل فرد منه، وكل ذرة منه، قدرًا في الحجم، وقدرًا في الشكل، وحكمةً في الخلق، فمنها العالي والسافل، ومن مخلوقاته الكبير والصغير، ومنها الطويل والقصير، ومنها الرطب واليابس، ومنها السائل والجامد، ومنها القوي والضعيف، ومنها الناطق والصامت، ومنها الحي والميت، ومنها الذكر والأنثى، ومنها المتحرك والساكن، ومنها العذب والمالح، ومنها الثابت والنامي، ومنها اللين والقاسي: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠﴾[القمر/ ٤٩- ٥٠].

لا يحتاج الله إلى أن يعينه أحد على الخلق، هو جل جلاله يقول للشيء كن فيكون.

بصفة واحدة من صفاته خلق هذا الكون العظيم، فانظر إلى الملك والملكوت؛ لترى الخالق يخلق، والرزاق يرزق، والرحمن يرحم، والقادر ينتقم، والمعطي يعطي، والفعال يفعل ما يشاء، فتهب الرياح بأمره، وتموج البحار بإذنه، وتنمو النباتات بإذنه، وتتكلم الألسنة بإذنه، وتسمع الآذان بإذنه؛ هو الذي يملك السمع والأبصار: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾[يونس: ٣١ –٣٢].

فسبحان الخالق العظيم الذي أحكم وأحسن خلق ما خلق، فلا يستطيع الخلق كلهم أن يخلقوا مثله، فضلًا عن أن يخلقوا أحسن منه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾[الأنعام: ١٠١].

عليم بما كان، وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، والخلق كلهم لو

اجتمعوا ما استطاعوا أن يخلقوا ذبابًا أحقر شيء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾[الحج/ ٧٣- ٧٤].

فاعبدوا القوي العزيز، ودعوا الضعيف الذليل: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الزمر: ٦٥ –٦٦].

والله سبحانه هو الرب الخالق، الذي خلق المخلوقات كلها، وتفرد بالملك والخلق وحده، هو الخالق القادر الذي يدبر وحده أمر الممالك والخلائق، في السماء والأرض، وفي الدنيا والآخرة، وفي عالم الغيب وعالم الشهادة، وأجرى عليهم أحكامه الكونية، وأحكامه الدينية، وأحكامه الجزائية وحده لا شريك له: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك: ١].

وهو سبحانه الخلاق العليم الذي يعلم كل مخلوق في ملكه، ويسوق إليه رزقه، ويراه ويسمعه وهو يتناوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[العنكبوت/ ٦٠].

فسبحان الله،موسى ﷺ فتح الله على سمعه، فقيل له: اضرب هذا الحجر؛ فضربه فانكسر كسرتين، ثم قيل له اضرب إحدى الكسرتين فضربها؛ فانكسرت وإذا فيها في داخلها حشرة صغيرة يسيل لعابها، فسمع موسى تسبيحها وهي تقول: سبحان من يعلم مكاني، ويسمع كلامي، ويذكرني ولا ينساني؛ لأن موسى لما أراد أن يذهب إلى فرعون خاف على نفسه وأهله ، فالله ﷻ أراه ذلك حتى يطمئنه: أن الله ﷻ يحفظهم، كما يحفظك فهو يحفظ ما وراءك.

فسبحان السميع العليم بكل مخلوق وبكل ذرة في ملكه؛ فهو الرزاق الذي يسوق الأرزاق إلى الخلائق ويرى جميع المخلوقات وهي تتناول أرزقها: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[العنكبوت/ ٦٠].

وهو سبحانه الخلاق القدير الذي لا يعجزه شيء، الذي خلق جميع الخلق عنده كخلق

ذرة، يستوي عنده الصغير والكبير في الخلق، بل الخلق كله أمامه صغير؛ لأن هو الكبير المتعال جل جلاله، فهو الخلاق القدير الذي لا يعجزه شيء، الذي خلق جميع الخلق ويبعثهم بعد موتهم، في لمحة واحدة كخلقه نفسًا واحدة: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان/ ٢٨].

فلا إله إلا الله، سبحان الخلاق القوي القاهر، العظيم الذي خلق كل عظيم في ملكه العظيم، خلقه عظيم في حجمه، عظيم في شكله، عظيم في كبره، عظيم في صغره.

هذه البعوضة الصغيرة لها مائة عين، وثلاثة قلوب، وست سكاكين في خرطومها، وثمانية وأربعون سنًا، وهي تشم من تريد على مسافة طويلاً.

فعظمته جل جلاله في خلق الصغير، وفي خلق الكبير، في خلق الجامد، وفي خلق السائل، في خلق العالي وفي خلق السافل، في خلق الناطق، وفي خلق الصامت، فلا إله إلا الله كم عظمته! وكم عظمة خلقه! وكم كثرة مخلوقاته جل جلاله! ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر/ ٨٦].

فسبحان الخلاق القوي القاهر، العظيم الذي خلق كل عظيم في ملكه العظيم، البصير الذي يرى كل شيء في ملكه العظيم، كبيرًا أو صغيرًا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المؤمنون/ ١٧ - ١٩].

وسبحانه الخالق لكل شيء، البارئ لكل شيء، المصور لكل شيء، المبدع لكل شيء.

هو سبحانه الخلاق، عظيم الخلق، كثير الخلق، حسن الخلق، كبير الخلق، خلق السموات والأرض، وخلق المجرات والجبال، وخلق الليل والنهار، وخلق كل شيء؛ فتبارك الله أحسن الخالقين: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فسبحان القادر على كثرة الخلق عددًا كالنجوم والذرات، والهباءات، وقطرات الأمطار، وورق الأشجار، وذرات الرمال، والأنفاس، والكلمات.

وسبحان القادر على عظمة الخلق نوعًا، كالعرش العظيم، والكرسي الكريم، والسموات السبع الطباق الشداد، والأرضين السبع، وما فيهن، وما عليهن، وما بينهن من المخلوقات التي لا يحصيها إلا هو: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٣ – ٢٤].

هو الخالق الذي قدر خلق كل شيء، البارئ الذي أوجد كل شيء من العدم، المصور الذي أعطى الصورة الحسنة لكل مخلوق، فهذا جبل، وهذا حيوان، وهذا إنسان، وهذا رجل، وهذه امرأة، وهذا ماء، وهذه شمس، وهذا قمر، هو الذي أعطى الصورة الحسنة لكل مخلوق، المبدع الذي خلق كل شيء على غير مثال سابق: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾[البقرة: ١١٧].

أما الإنسان فقد يخلق الشيء من الأشياء الموجودة، ويسمى خالقًا مجازًا، فالله هو الخالق الأعلى، والإنسان هو الخالق الأدنى، لكن فرق بين خلق الخالق، وخلق المخلوق، فالله خلق المخلوق، وخلق فعله وصفاته، والناس بفطرتهم يعلمون أن خالق الكون وما فيه هو الله وحده، وكذلك إبليس، ولكنهم لا يعرفون عن الله العظيم ما يجعلهم يعبدونه ويطيعونه، فلا بد من زيادة العلم، ولا بد من سقي الفطرة التي فطر الله الناس عليها بطلب العلم، والتعرف على الله من خلال الآيات الكونية، والآيات القرآنية، فسقي الفطرة بالنظر في الملك والملكوت؛ حتى يزيد الإيمان الفطري بالإيمان الكسبي، فيمتلئ القلب بالإيمان؛ فيتحرك الإنسان بجوارحه ولسانه بطاعة الله ﷻ، وعبادته بالحب والتعظيم والذل له: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

فالإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، إذا حمل العبد على طاعة الله؛ فهذا الإيمان الذي يريده الله، وهو كاف للفوز بالجنة والنجاة من النار.

أما إذا كان الإيمان بحجم لا يكفي لحمل الإنسان على طاعة الله، فذلك هو الخسران المبين، كإيمان إبليس والكفار: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥﴾[لقمان/ ٢٥].
إذا عرفتم أن الله هو الخالق؛ فيجب أن تعبدوه وحده جل جلاله.
فلا بد للمؤمن من تقوية الإيمان بالنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية، ومجاهدة النفس على فعل الأوامر، ليسارع العبد إلى أنواع الطاعات، ويكف عن المعاصي والشهوات المحرمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء/ ١٣٦].
يجب أن تتعرفوا على أركان الإيمان الستة، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ليزيد الإيمان، وتقوى الأعمال، فالله ﷻ يريدنا أن نترقى إلى أعلى درجة في الإيمان، وهي الإيمان المطلوب؛ فالإيمان ثلاثة أقسام:
إيمان موجود، وإيمان مفقود، وإيمان مطلوب.
فنجتهد على الإيمان الموجود؛ لنحصل الإيمان المفقود؛ لنرقى إلى درجة الإيمان المطلوب، الذي تحصل به مواعيد الله العظيمة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾[فصلت: ٣٠ – ٣٢].
النظر والتدبر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾[يونس: ١٠١].
واعلم أن معرفة أسماء الله الحسنى شيء، وفهمها شيء آخر، والتعبد لله بموجبها شيء فوق ذلك.
أن يعيشها الإنسان، ويتصف بها، شيء آخر فوق ذلك ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].
إذا علمت أن الله عليم، فاعلم أنه يعلم كل شيء، وتخلق بهذه الصفة، فتعلم وعلم الناس: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ

عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ۝٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

وإذا كنت تعلم أن الله قوي، فكن قويًا في توحيدك، في إيمانك، في عبادتك، في أعمالك، فالله ﷻ يحب الأقوياء في دينه: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة/ ٦٣].

وإذا عرفت أن الله سميع فلا تسمعه إلا ما يحب، وإذا عرفت أن الله بصير فلا تفعل إلا ما يحب.

وإذا عرفت أن الله كريم، فيجب أن تفهم أن كل هذا الكون من عطائه، السموات، والأرض، وما فيهما من جميع المخلوقات من كرمه، فكن كريمًا بوقتك فاجعله لله، كريما بأقوالك قل للناس قولًا حسنًا، كريمًا بمالك، كريمًا بأخلاقك.

وإذا عرفت أن الله رحمن؛ فاعلم أن رحمته وسعت كل شيء، وتخلق بهذا الاسم وارحم الناس.

قال النبي ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**» أخرجه أحمد والترمذي [1].

وهكذا نتعبد لله ﷻ بمعرفةأسمائه، وفهمها،والتخلق بها على شاكلة العبودية.

وهو سبحانه الخلاق العليم بكل شيء على التمام والكمال وحده لا شريك له، خلق وصور، وأبدع وأحسن الخلق في جميع المخلوقات: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٨٦﴾ [الحجر: ٨٦].

والإنسان يخلق ويطور، اخترع الهاتف، اخترع السيارة، اخترع الطائرة والسفينة، وكل سنة يطور، ويطور، ويطور.

أما الله ﷻ فيخلق خلقًا عظيمًا على غير مثال سابق، على كمال الحسن والتمام والكمال؛ لأنه الخلاق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٦٤٩٤)، و أخرجه الترمذي برقم (١٩٢٤).

فهو الخلاق العليم، خلق ما نبصر، وما لا نبصر، خلق ما نراه وما لا نراه، خلق عالم الغيب وعالم الشهادة، خلق الدنيا والآخرة: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩﴾ [الحاقة/ ٣٨- ٣٩].

فما أظهره الله ﷻ لنا ذرة فيما لم يظهره لنا، عالم الغيب لا نعلمه، الجنة والنار ما وصلنا إليهما حتى نعرفهما، لكن جاءنا عنهما بعض الأخبار الصادقة من ربنا ﷻ فنؤمن به، فالمستور عنا أكثر من المكشوف، ولكن الله كشف لنا ما يؤهلنا للإيمان به، ويرغبنا في عبادته، ويحرك قلوبنا والسنتنا وجوارحنا، هو سبحانه الخلاق الذي يخلق ما يشاء، ويفعل ما يريد، خلق سبحانه خلقًا في البر لا يعلم بهم أهل البحر.

الأسماك في البحر لا تعلم عن الإنسان شيئًا، الأسماك عالم كبير، ونحن لا نعلم عنهم إلا من دخل في البحر رأى هَذِهِ الأمة الَّتِي تعمل، وتطلب الرزق، وتتحرك، وتسبح بحمد ربها: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾[الجمعة: ١].

فهو سبحانه هو الخلاق الذي له القدرة المطلقة في الخلق، خلق الجو، والبر، والبحر.

خلق سبحانه خلقًا في البر لا يعلم بهم أهل البحر، وخلق في البحر خلقًا لا يعلم بهم أهل البر، وخلق في السماء خلقًا لا يعلم بهم أهل الأرض: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾[لقمان: ١١].

وخلق الله في الأرض خلقًا لا يعلم بهم أهل السماء، وخلق في الجو بين السماء والأرض خلقًا لا يعلم بهم أهل السماء والأرض، وخلق في السماء والأرض خلقًا لا يعلم بهم أهل الجو؛ لأنه الخلاق العليم، فيجب أن نعبده وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فما أسفه عقول من أشرك مع الله غيره في العبادة: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾[الأعراف: ١٩١ – ١٩٢].

فكل من لا يخلق لا يستحق أن يعبد: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾ [النحل/ ١٧].

وصفة الخلق من الصفات العظيمة التي نراها كل يوم، ولكن لكثرتها ينصرف الإنسان

عنها، ولاإلفه لها لا يلتفت إليها، لكن لو كسفت الشمس التفت إليها، ولو رجت الأرض التفت إليها: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦ – ٨].

والله أمرنا أن ننظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية؛ لأن هذا النظر يثمر الإيمان بالله، وعبادة الله وحده، ويولد الخوف من الله، والتعظيم لله، والحب لله.

فلا إله إلا الله كم عظمته وجلاله وجماله، وكم عظمة ملكه وسلطانه! وكم عظمة نعمه وإحسانه، وكم عظمة مخلوقاته!.

خلق جل جلاله من الملائكة، والجن، والإنس، والجماد، والنبات، والحيوان أممًا وقبائل وشعوبًا لا يعلمها، ولا يحصيها، ولا يحيط بها إلا من أحاط بكل شيء علمًا، فلا إله إلا الله كم عظمة مخلوقاته! ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩].

والكل خلق الله، والكل ملك الله، والكل عبدلله، والكل جندلله، والكل يشهد بوحدانية الله، والكل يسبح بحمده، والكل يخضع لأمره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

فاعرف أيها العبد اللبيب نفسك، وتعرف على أسماء ربك وصفاته، وتعرف على أسماء وصفات من تعبد؛ حتى تأتي العبادة منك بالحب الكامل، والتعظيم الكامل والذل الكامل لله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

فربك يخلق ما يشاء، وربك ينعم بنعم لا تعد ولا تحصى، وربك يمسك السماء أن تقع على الأرض؛ فلا بد أن ترجوه، ولا بد أن تخافه، ولا بد أن تحبه، ثم تنصب قدميك تعبدًا لله باستحضار صفة الخلق، فالصلاة لها جسد وهو القيام والركوع والسجود، ولها روح وهو تعظيم الله، والانكسار بين يديه، والبكاء والخشوع والتضرع: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ

﴿ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ ﴾[المؤمنون: ١ – ٢].

فاعرف أيها العبد نفسك، حتى تعرف ربك، وتعرف على أسماء وصفات من تعبد قبل أن تعبد، واعلم من تناجي؟ وماذا تقول؟ وماذا تعمل؟ وماذا تبني؟ وماذا تهدم؟ وماذا تربح؟ وماذا تخسر؟ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ ﴾ [الحشر: ١٨ – ٢٠].

والله ﷻ فعال لما يشاء، لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء، يخلق ما يشاء، ويختار ما يشاء، أحيانًا يخلق ويرزق بالأسباب، كما يخلق النبات بأسبابه، والحيوان بأسبابه، والآدمي بأسبابه: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨ ﴾[الطارق/ ٥ – ٨].

وأحيانًا يخلق ويرزق بلا أسباب، كما رزق مريم ابنًا بلا ذكر، وطعامًا بلا شجر: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ ﴾[يس/ ٨٢].

وأحيانًا يظهر قدرته بضد الأسباب، كما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ﷺ: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١ ﴾ [الأنبياء/ ٦٩ – ٧١].

وأحيانًا ينجي بأسباب الهلاك، كما أنجى موسى من البحر وأهلك فيه فرعون، بأمر واحد، وبحر واحد، في وقت واحد: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨ ﴾ [الشعراء: ٦١ – ٦٨].

فالله ﷻ أظهر قدرته في هذا وأخفى قدرته في ذلك، الله ﷻ يظهر قدرته في بعض مخلوقاته، ويخفي قدرته في بعضها؛ ليعلم عباده أنه القادر على كل شيء، ليعبدوه وحده لا شريك له، ولا يتعلقوا بأحد سواه: ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧ - ١٨].

وأحياناً يهلك بأسباب النجاة كما أهلك فرعون مع ملكه، وخسف بقارون مع كثرة أمواله.

وخلق الله ﷻ هذا الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها تشريفًا له على غيره، ليكون في الدنيا خليفة، ويوم القيامة جليسه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤ - ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق هذا الإنسان من تراب، ثم جعل نسل هذا الإنسان من ماء مهين؛ ثم أخرجه من بطن أمه مختلف الألوان، والأطوال، والأشكال، والأحجام، والألسن، والصفات، كم أظهر الله قدرته في خلق هذا الإنسان ظاهرًا وباطنًا.

خلق الله ﷻ هذا الإنسان، وأظهر قدرته في خلق الإنسان، فأخرجه من هذا الماء المهين، الذي فيه هذه القطرة بعدد البشرية، ولكن لا يحيا منهم إلا واحداً أو اثنين: ﴿ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٦ -٨].

فهذا الإنسان خلقه الله بأشكال وأحجام وصفات مختلفة:

منهم الرحيم والشديد، والعربي والعجمي، والبصير والأعمى، والسميع والأصم، والناطق والأبكم، والأبيض والأسود، والطويل والقصير، والذكي والغبي، والعاقل والمجنون.

ومنهم كريم وبخيل، وحسن وأحسن، ومؤمن وكافر، ومحسن وظالم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس/ ٣٦].

يعني فاعبدوه جل جلاله وأطيعوه فتبارك الله أحسن الخالقين، الذي أظهر قدرته في خلق هذا الإنسان من نطفة من ماء مهين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤].

فالبذر والغرس في أرحام الأرض، كنطفة الذكور في أرحام الإناث، هذه الأرض أم تنبت ولها رحم، تستقبل النباتات في بطنها ثم تخرجهم أشجارًا مختلفة، ونباتات مختلفة، فلا إله إلا الله كم عظمة خلقه!

فإذا نزل الأمر من الخلاق العليم؛ حسب التقدير السابق لكون كل شيء أراده الله، استجاب وأطاع ذلك المخلوق لأمر الخالق وظهر، شكلًا، ونوعًا، وعددًا، من نبات، وحيوان، وإنسان.

قال سبحانه في خلق الإنسان ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى/ ٤٩ – ٥٠].

وقال سبحانه في خلق الحيوان: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: ٤٥].

وقال سبحانه في خلق النبات: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل/ ١٠ – ١١].

وقال سبحانه في خلق الجماد وهو أوسع المخلوقات: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالمؤمن يجدد إيمانه في كل لحظة، على المؤمن كما يجدد لباسه، أن يجدد إيمانه في كل يوم، كلما ازدت بالله علمًا، ازدت إيمانًا، وازدت عملًا وازدت أخلاقًا وتعبدًا، فنشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمد عبده ورسوله" في الصلاة، كل ذلك فيه تجديد الإيمان،

والشهادة لله بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة، وتقديم التحية لمن خلقك، ورزقك، وهداك، والصلاة والسلام على من كان سببًا في وصولك إلى ربك، وما يرضي ربك: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾[هود: ١١٤].

هو سبحانه الخالق القادر على كل شيء، الخالق الذي خلق الخلق كله، ثم يعيده كله، لأنه على كل شيء قدير، خلق الخلق كله، ثم يعيده كله كما كان، إظهارًا لقدرته جل جلاله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾[الروم/ ٢٧].

هو العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه. هذا ربي وربك لا إله إلا هو الخلاق العليم، فاعبده ولا تلتفت لما سواه: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾[مريم/ ٦٥].

فسبحان الملك الحي القيوم الذي حكم على كل نفس بالموت، وقضى على كل مصنع بالخراب، مصنع النبات، مصنع الإنجاب، وقهر كل متحرك بالسكون، كل شيء سوف يسكن، وحكم على كل موجود بالفناء: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾[الرحمن/ ٢٦- ٢٧].

والله خلقنا للبقاء لا للفناء، ولكن حكم علينا بالموت والفناء، إظهاراً وتمييزًا للحي القيوم الذي لا يموت، من الحي الذي يموت، ولإتمام حكمته في البدء والإعادة والثواب والعقاب ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤﴾[يونس/ ٤].

فالمطيع مجازى بالحسنات، والكافر مجازى بعمله، فدار الآخرة دار الجزاء والحساب والثواب والعقاب،فلا إله إلا الله، ما أجهلنا بربنا، وما اجهلنا بأسمائه وصفاته، فسبحان من خلق الإنسان، ثم حكم عليه بالموت؛ ليمتاز الخالق الباقي من المخلوق الفاني، ثم يعيده بعد الموت، ليبقى في حياةٍ لا يفنى بعدها أبدًا: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٠﴾[التغابن: ٩ – ١٠].

ينادى أهل الجنة: أما آن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وتشبوا فلا تهرموا أبدًا، وتنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وتحيوا فلا تموتوا أبدًا.

الله ﷻ يوم القيامة يعطيك من صفاته فتكون أبديًا، طعامك أبدي، نعيمك أبدي، صحتك أبدية، حياتك أبدية.

وقد جعل الله الخلاق العليم لكل مخلوق بداية ونهاية، ليدل بذلك على حدوثه ونقصه، وليمتاز المخلوق الذي له بداية ونهاية، عن الخالق الذي ليس له بداية ولا نهاية ولا أول ولا آخر: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾[الحديد/ ٣].

فالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات الشرعية، هما أعظم مصادر الإيمان، وهما بابان عظيمان: نظر في الآيات الكونية مخلوقاته وأفعاله، ونظر في الآيات الشرعية شرعه وآياته في كتابه العزيز جل جلاله: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾[يونس: ١٠١].

فانظر إلى قدرة الخلاق العليم في البدء والإعادة، مليارات المليارات من النباتات التي تتكرر في الصحاري، في كل عام، وفي كل وقت بالمليارات، أمر بالخلق، وأمر بالشكل، وأمر بالثمرة، وحجم الثمرة.

انظر إلى قدرة الخلاق العليم في البدء والإعادة؛ لتعلم أن بعد هذه الحياة موت، ثم بعد الموت بعث، ثم بعد البعث حساب، ثم بعد الحساب ثواب أو عقاب: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ [العنكبوت/ ١٩ – ٢٠].

فمن نظر في عالم البحار، في عالم الفضاء، في عالم النبات؛ علم أن الله ﷻ يتودد إلى عباده بأن يعرفوا أنه الخالق، يتودد إليهم بنعمه؛ ليشكروه ويعبدوه ويطيعوه، ثم بعد الحساب يساق المؤمنون إلى الجنة، ويساق الكفار إلى النار: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم/ ١٤- ١٦].

فسبحان الله عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته، سبحان الخالق القادر على كل شيء، الذي خلق فأبدع، وصور فأحسن، وصنع فأتقن، وقدر فهدى، وحكم فعدل، ولطف وأحسن الإحسان كله: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾﴾ [السجدة/ ٦- ٧].

هو سبحانه الخالق البديع الذي بدأ كل شيء أولًا؛ فلم يسبقه فاعل إلى فعل مثله، الخالق الذي خلق كل شيء على غير مثال سابق، الخالق البديع الأول قبل كل شيء، الخالق الذي أبدع أول كل شيء، وصور أول كل شيء، وأحسن صورة أول كل شيء: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠١].

هو سبحانه الخالق البديع الأول قبل كل شيء، هو الأول قبل كل شيء، الخالق الذي أبدع أول كل شيء من المخلوقات، أبدع خلق السماء، والأرض، والنبات، والجماد والحيوان وغيرهم، وصور أول كل شيء، وأحسن صورة أول كل شيء: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣].

هو البديع في ذاته فلا يشبهه شيء من خلقه، هو الخالق الذي ليس كمثله شيء في الخلق، ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

هو القادر الذي ليس كمثله شيء في القدرة، العليم الذي ليس كمثله شيء في العلم، الحي الذي ليس كمثله شيء في الحياة؛ فحياة الله ﷻ لا أول لها ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، لكن حياة الإنسان موهوبة، الحي أحياه، والله ﷻ وهبه الحياة، ويسلبها منه إذا أراد منه أن يموت، ليظهر الحي القيوم الذي لا يموت أبدًا، من الحي الذي يموت ويفنى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

هو البديع في أفعاله، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

واعلم أن حفظ أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى لا يكفي، فلا بد من فهمها، وحفظها، وفهم معانيها، والتعبد لله بها، وحظ كل مؤمن من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، أن يكون مسلمًا مؤمنًا، كريمًا رحيمًا، عفوًا حليمًا، لطيفًا ودودًا، يعني يوجد هذه الأفعال، يظهر الأخلاق الحسنة، وينشر الأخلاق الحسنة، ويكرم الناس، ويعلم الناس، ويتصف بصفات الخالق، لكن على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

أما حظه من اسم الله البديع، فهو أن يظهر كل سنة، ويسبق إلى كل طاعة، ولا يبتدع شيئًا لم يرد به الشرع، في العقيدة، والعبادة، والدعوة، والسلوك، وغير ذلك: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/ ٧].

فالبديع جل جلاله خلق الإنسان فردًا لا شبيه له، وأعطاه حرية الاختيار والإرادة، وأذن له أن يجتهد ويبدع فيما لم يرد فيه نص: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء/ ٥٩].

الله ﷻ هو الملك البديع الذي خلق كل شيء، وأذن للإنسان أن يبدع أشياء في مجال عالم الجماد، ومجال عالم النبات والحيوان بالتصنيع والتهجين والزراعة وغيرها، ومنع وحذر الإنسان أن يبتدع في الدين شيئًا لم يرد به الشرع: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٤٤].

هو سبحانه البديع، الحق الذي له الجمال كله، الذي زين السموات والأرض، الذي أضاءهن بنوره العظيم، وأمسكهن بقدرته القاهرة: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج/ ٦٥].

فالله أكبر، ما أعظم خلقه في ملكه العظيم، انظر إلى عجيب إبداع الخالق العظيم، وجميل صنعه وإتقانه في خلق السموات والأرض، وما بينهما، وما فوقهما من العرش العظيم، والكرسي الكريم، وما بين السماء والأرض من الرياح والسحب والنجوم والأفلاك،

والشمس، والقمر: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾[الزمر: ٦٢ – ٦٣].

انظر كيف سخر الملك القادر على كل شيء أمر المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، وصرف تلك المخلوقات بينهما بمشيئته النافذة في طلوعها وغروبها، وخنوسها وكنوسها، واجتماعها وافتراقها: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾[يس/ ٣٧-٤٠].

فسبحان الخالق العظيم الذي أبدع رؤوس العالم، من الملائكة الذين يملؤون السموات السبع، والجن والإنس، الذين يملؤون الأرض، وأنواع الجماد والنبات والحيوان؛ هو الخالق العظيم الذي أبدع رؤوس العالم، هو الخلاق العليم، الذي خلق رؤوس العالم، والمخلوقات العظيمة في العالم، من العرش والكرسي، والسماوات والأرض، والملائكة، والجن، والإنس، والروح، وأنواع الجماد والنبات، والحيوان: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾

[الأنعام: ١٠١ – ١٠٢].

وإن أردت رحمك الله متين العلم الذي يملأ القلوب بالإيمان فانظر رحمك الله إلى مسألة عظيمة، إلى مسألة كبيرة، إلى عجيب خلق الله لهذا المعرض العظيم، والمصنع البديع، وكيف ملأه الخلاق العليم بعجائب المخلوقات: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾[يونس/ ١٠١].

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١﴾[ق: ٦ – ١١].

﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ

بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥ – ٧].

فالكون كتاب مفتوح للتدبر، والقرآن كتاب مفتوح لمن شاء، فهذا من متين العلم الذي دعا الله ﷻ إليه، بالنظر والتدبر في الآيات الكونية؛ والآيات القرآنية.

فسبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

وإنما يعجب بظاهر الدنيا من لا يرى نزهة الملكوت، وأعظم من نزهة الملكوت رؤية الذي خلقه، وأبدعه وصوره: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

الله ﷻ أعطانا أسماعاً وأبصاراً وعقولاً فكيف نستعملها في معرفة الله، وكيف نستعمل الجوارح في طاعة الله وعبادته: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

أما من لم يستعمل ذلك فقد خسر دنياه وأخراه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

من خلق هذا الكون العظيم، ومن ملأه بالمخلوقات الكبيرة والصغيرة، ومن يحفظه ويدبره؟.

وعن أي علم كان هذا الملكوت العظيم، وعن أي قدرة أظهر الخلاق العليم هذه المخلوقات، وعن أي قوة قهر ما قهر القهار جل جلاله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

فسبحان الخالق، الذي خلق الخلائق كلها، ودبر الأمور كلها، وأخرج الكون من العدم بقدرته، وأنار الكون بنوره، وملأه بآثار رحمته، وجزيل نعمه؛ حتى ذلت العقول لعظمته، وتصاغرت لكبريائه، وخشعت لجبروته، وقنتت لعزته، وسجدت لجلاله، وسارعت إلى طاعته وعبادته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

الله ﷻ أمرنا بأن نتعرف على أسمائه وصفاته وأفعاله فقال ﷻ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٠].

فمن نظر في ملك الله العظيم، وفي ملكوته الكبير، عرف أن أسماء الله ﷻ ظاهرة في هذه المخلوقات العظيمة، فمن رأى السموات والأرض والجبال والأشجار، والأنهار والبحار، والنبات والحيوان، علم أن لها خالقاً، وأن هذا الخالق قادر، وأنه سميع، وأنه بصير، وأنه عليم، وأنه حي، وأنه قيوم، ومن رأى النعم ذكر المنعم، ومن رأى العطاء ذكر المعطي سبحانه، ومن رأى الأرزاق ذكر الرازق سبحانه.

وهكذا الكون كله مظهر لأسماء الله وصفاته وأفعاله، وبهذه الصفة صفة الخلق، أظهر الله جميع أسمائه وصفاته لخلقه، كما أظهرها لهم في القرآن.

ولهذا أمرنا الله بالنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية، لتعرف الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فالله ﷻ هو خالق هذا الكون وخلقه بهذه الصورة على ما يريد جل جلاله.

فالله وحده هو الخالق، وكل ما سواه مخلوق: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

ففي الكون اثنان: خالق ومخلوق، وملك وعبيد، ورب ومربوب.

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق كل شيء، خلق الإنسان من تراب، وخلق الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار.

هو سبحانه الخالق، الذي خلق الخلائق كلها، هو الذي خلق الأول من المخلوقات

كلها، وهو الذي خلق الآخر من المخلوقات كلها: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾[ق/ ١٥].

فهو سبحانه الخلاق الذي يخلق ما يشاء، في أي وقت شاء، والحمد لله الذي عرفنا بأسمائه وصفاته، بصفات كماله وجلاله وجماله، حتى نعبده بالحب والتعظيم والذل له: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٤].

والفرق بين خلق الله وخلق المخلوقين، أن الله يخلق من العدم، والإنسان يخلق شيئًا من شيءٍ موجود، وما خلقه الله ينمو ويكبر، وخلق المخلوق لا ينمو ولا يكبر، والله إذا أراد أن يخلق شيئًا قال له: كن فيكون، أما المخلوق فيجهد نفسه بالتفكير، والتصوير، والتجميع والتحريك، وقد يقدر وقد لا يقدر، والإنسان يشكل الأزهار، ويصنع الحيوانات، ولكنه لا يستطيع أن يهب لها الحياة، والله يخلق ما يشاء من النباتات والحيوانات كيف شاء، ويهب لها الحياة، أما الإنسان فهو يصنع بالعقل الذي خلقه الله، ومن المادة التي خلقها الله، وخلق الله كله لحكمة، أما الإنسان فيخلق بلا حكمة ولا علم في كثير من الأحيان: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[المؤمنون/ ١٤].

لا يستطيع الخلق كلهم أن يخلقوا كما خلق الله، ولو اجتمعوا؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، وَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**» متفق عليه(٢).

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ ، وَيُقَالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**» متفق عليه(٣).

وقد توعد الله ﷻ كل من أراد أن يغير ما خلق الله بالعذاب الأليم.

كما قال إبليس لربه فيما حكى الله عنه: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ

---

(١) متفق عليه/ أخرجه مسلم برقم (٢١١١)، والبخاري برقم (٥٩٥٣)، واللفظ له.
(٢) متفق عليه/ أخرجه مسلم برقم (٢١٠٩)، والبخاري برقم (٥٩٥٠)، واللفظ له.
(٣) متفق عليه/ أخرجه مسلم برقم (٢١٠٧)، والبخاري برقم (٥٩٥١)، واللفظ له.

ءاذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ﴿١١٩﴾ ﴾[النساء/ ١١٩].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ**» متفق عليه(١).

فسبحان الخالق الذي خلق كل شيء، وأتقن وصنع كل شيء: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون ﴿٨٨﴾ ﴾[النمل/ ٨٨].

هو سبحانه الخلاق الذي خلق جميع المخلوقات كما يشاء صورةً، وشكلًا، وحجمًا.

ولماذا خلق الله الخلق؟ خلقهم ليشهدوا بوحدانيته، ويسبحوا بحمده، وليكونوا مظهرًا لأسمائه وصفاته، وجلاله وجماله، وخلق الإنس والجن لعبادته وطاعته، لكن العبادة اختيارية، أما عبادة المخلوقات فهي تسخيرية: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴿٥٦﴾ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴿٥٧﴾ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

وقال سبحانه: ﴿ تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء: ٤٤].

خلق سبحانه جميع المخلوقات؛ ليظهر كمال قدرته، وكمال علمه، وكمال رحمته.

والخلق هو التقدير المستقيم، فالله لكمال علمه وقدرته قدر مقادير الخلائق كلها، وكتبها قبل أن يظهرها: ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴿٤٩﴾ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠].

وقال النبي ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» أخرجه مسلم(٢).

فالله ﷻ قدر خلق المخلوقات في علمه أولًا، ثم كتبها في اللوح المحفوظ، كتب في اللوح المحفوظ كل ما سيكون من المخلوقات، والأحوال، والأشياء إلى يوم القيامة، ثم شاء أن يظهر ما كتب؛ فقال لكل شيء كتبه: كن؛ فكان وظهر مطابقًا لما في اللوح المحفوظ،

---

(١) متفق عليه/ أخرجه مسلم برقم (٢١٢٥)، والبخاري برقم (٤٨٨٦)، واللفظ له.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

وأظهرها من العدم.

فهذه مراتب القدر: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧٠﴾ [الحج/ ٧٠].

الله سبحانه له القدرة المطلقة، يخلق بلا أسباب، إظهارًا لقدرته: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس/ ٨٢].

ويخلق بالأسباب إظهارًا لحكمته: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج/ ٥ - ٧].

يخلق بالأسباب إظهارًا لحكمته جل جلاله، وأنه يضع الشيء في موضعه، خلق هذه المخلوقات بالأسباب إظهارًا لحكمته لماذا؟ ليكون ذلك سبيلًا للاقتداء بحكمه الشرعي، في النكاح، وفي الأكل، والشرب، وفي العبادات والمعاملات: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ۝٧﴾ [الكهف/ ٧].

ويخلق سبحانه بضد الأسباب كما خلق يحيى ﷺ مع كبر والديه.

فكل ذرة في الكون لا بد أن تمر بمراتب القدر الأربعة:

تقديرها في علم الله، ثم كتابتها، ثم مشيئة الله لتنفيذ ظهورها، ثم خلقها وإظهارها.

## التعبد لله ﷻ باسمه الخالق.. الخلاق

اسم الله الخالق أعظم الأسماء ظهورًا في الكون والقرآن، وبهذا الاسم تظهر أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، فكل ما نراه في الكون هو مظهر من آثار أسمائه وصفاته في هذه المخلوقات العظيمة، فكيف نتعبد لله باسمه الخالق جل جلاله؟ من عرف الله بأسمائه وصفاته، وآياته ومخلوقاته العظيمة؛ عظمه وكبره، وحمده وشكره؛ لما يراه من آياته العظيمة، ومخلوقاته العجيبة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢].

ومن نظر في هذا الكون العظيم؛ رأى بقلبه وبصره وبصيرته الخالق جل جلاله، يخلق ما يشاء، والرازق يرزق من يشاء، ورأى الرحمن يرحم من يشاء، والقادر يفعل ما يشاء، والغفار يغفر لمن يشاء، والواهب يهب ما يشاء، والعزيز يعز من يشاء، ويذل من يشاء، فهو الذي تفرد وحده بالخلق والإيجاد والتصوير، والأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨].

من عرف أن ربه الخالق وحده لا شريك له، وحده وأفرده بالعبادة، ولم يلتفت لأحد سواه، ولهذا أنكر الله على المشركين الذين يوقنون بأنه الخالق وحده، ثم يعبدون معه من لا يخلق: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾[الأعراف/ ١٩١].

ومن عرف أن ربه الخالق وحده لا شريك له، أحبه وذل له؛ لأنه الذي خلقنا وخلق كل شيء، خلقنا وأنعم علينا بنعم لا تعد ولا تحصى؛ فالطعام منه، والهواء منه، والمشروبات منه، وكل نعمة منه، أنعم علينا بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد بالأقوات في كل يوم، ونعمة الهداية للصراط المستقيم، ونعم داخل الإنسان من السمع والبصر والعقل، ونعم خارج الإنسان مما خلقه الله وسخره للإنسان: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل: ٥٣].

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل/ ٧٨].

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ

﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١ - ٣٢].

ومن عرف الله سبحانه باسمه الخالق شكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى؛ لأنه يراها في كل وقت، يرى الخالق خلق النعم وبثها في هذا الكون، فحيثما سرت الهواء موجود، والماء موجود، والطعام موجود، من عرف الله باسمه الخالق؛ شكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأطاعه واستحيى منه أن يعصيه بنعمه التي خلقها: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦ - ٣٧].

ومن عرف الله باسمه الخالق قبل دينه، وعمل بشرعه، وحكم به، وتحاكم الله، لأنه الشرع الذي رضيه الخالق لعباده دينًا، فلا أحسن منه، ولا أحكم منه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة/ ٣].

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

ويجب على العبد المؤمن أن ينظر في ملكوت السموات والأرض، ويتدبر ويتفكر فيما خلق الله ليزيد إيمانه، وتحسن عبادته: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠ - ١٩١].

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

فكلما ننظر في الكون يزيد الإيمان، وكلما يزيد الإيمان تزيد الأعمال، وتحسن الأخلاق، وكلما تزيد الأعمال، وتحسن الأخلاق يأتي رضا الله، وكلما جاء رضا الله أصلح الله أحوال العبد في الدنيا، ثم سعد هذا الإنسان عند الموت، ثم زادت سعادته في القبر، ثم

بلغت كمالها في الجنة، فالنظر والتدبر في الآيات الكونية سبيل الإيمان: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية/ ١٧ - ٢٠].

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فاستعن بالله، وتوكل عليه وحده، والجأ إليه وحده، وعذ به وحده من شر ما خلق، واستجر بكلماته من شر خلقه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق/ ١ - ٥].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس/ ١ - ٦].

وقال النبي ﷺ: «**من نزل منزلاً فقال أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، لَمْ يضرَّه شَيْءٌ حتَّى يرْتَحِل مِنْ منزِلِهِ ذلكَ**» أخرجه مسلم(١).

ومن عرف الخالق الذي خلق جميع المخلوقات؛ خاف منه لكمال ذاته وأسمائه وصفاته، وعظمة جلاله، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٩ - ٥٠]؛ لأنهم عرفوا الله، فخافوا منه، واستجابوا لأمره.

والمؤمن يعتقد جازمًا أن ما قدره الله من الخلق والأمر كائن لا محالة؛ فيؤمن بالله، ويفعل الأسباب التي أمره الله بها.

وحظ العبد من اسم الله الخالق، أن يجتهد على نفسه بالاستقامة، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة، والمسارعة إلى الخيرات؛ فيعمل في كل يوم أعمالاً جديدة من العبادة، والذكر، وتلاوة القرآن، وأنواع الإحسان ويجتهد على غيره بالدعوة إلى الهدى، وتعليم الجاهل، والإحسان إلى الخلق: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٨).

وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

وإذا عرفت الخالق فيجب بعد هذه المعرفة أن تكبره وتعظمه لعظمة ذاته، وعظمة مخلوقاته، وأن تحبه وتحمده، لجميل إحسانه وأن تطيعه وتعبده، لماذا؟ لأن له الخلق كله والأمر كله، والملك كله، وجميع النعم منه:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢].

وإذا عرفت الخالق فهل عرفت ماذا يريد منك الخالق؟ وماذا تريد من الخالق؟ وهل أنت عبد الخالق؟.

يجب أن تكون عبد الخالق، ويجب أن تكون عبد الرحمن، ويجب أن تكون عبد الرزاق، ويجب أن تكون عبد السميع، حتى تعرف أن الله ﷻ يسمعك، وأنك يجب أن تسمع منه، وتعمل بما سمعت:﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر: ١٧ - ١٨].

فهذه الأسباب الحسنى تذكرك بربك، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فأنت عبد السميع، عبد البصير، عبد الكريم، عبد القوي، عبد الخالق.

إذا عرفت الخالق فهل عرفت ماذا يريد منك الخالق؟ وماذا تريد أنت من الخالق؟ إنه يريد منك أن تعلو وتسموا بالإيمان بالله وعبادته وحده لا شريك له، لتفوز برضوانه والجنة:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة/ ٢١- ٢٢].

فاجعل حياتك كلها في العمل بما يحبه ويرضاه:﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام/ ١٦٢- ١٦٣].

فإذا رضيته في الدنيا رضي عنك وأرضاك يوم تلقاه:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ

﴿وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

كم ملأنا البيوت بأنواع الأواني والفرش! وملأنا الجيوب بالأموال! كيف نملأ قلوبنا بالإيمان؟، ونملأ أوقاتنا بالأعمال الصالحة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

حتى يمتلئ قلبي بالإيمان،ارتفع عن الرتبة الحيوانية، وعن الرتبة السبعية، وعن الرتبة الإبليسية؛ لأرتقي للدرجة الملكية، التي مزاجها سمعنا وأطعنا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فالمؤمن إذا آمن بالأعلى؛ ارتقى إلى العلو، إلى الفردوس، وإذا تشبه بالأدنى نزل في أسفل سافلين، فصار مع السفليين من الكفار والشياطين والسباع والحيوانات.

فلا بد من التعبد لله باسم الخالق جل جلاله، أنت عبد الخالق الذي هذا خلقه، فكم يظهر منك في هذه الحياة الدنيا من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة، والأدعية والأذكار، وأنواع الإحسان: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

أنت عبد الرزاق، انظر إلى الأرزاق واشكر الرازق، أنت عبد الملك ، فاملك نفسك واقهرها على طاعة الله، واجتناب معصية الله.

هو جل جلاله الخالق وأنت المخلوق، هو الرازق وأنت المرزوق، هو الملك وأنت العبد، هو الغني وأنت الفقير: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

أنت عبد الخالق، وأنتِ أمة الخالق،ويريدك الخالق أن تكون في الدنيا خليفة في الأرض، هيأ لك السكن في الأرض قبل أن تخلق، وهيأ لك الطعام والشراب قبل أن توجد،

وأكرمك بكرامات كثيرة؛ لأنه يريدك خليفة في الأرض، تعبد ربك، وتدعو الناس إلى عبادته: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

لقد أحسن الله خلقك، وأطلق جوارحك، لتعبد بها ربك.

فجميع أيدي المخلوقات ليس لها أصابع تعمل بها، أما أنت فالله حرر يديك، تنفق بها، وتصنع بها، وتسبح بها، وأكرمك وجعلك تمشي قائمًا على رجلين، وما سواك يمشي على أربع، أو على اثنتين من المخلوقات، وحرر يديك وأطلقها لتفعل بها ما تشاء، وتبدع ما تشاء، وأعطاك السمع؛ لتسمع به ما تؤمر به، وتسمع أحسن شيء وهو القرآن، وأعطاك العين؛ لترى بها الآيات الكونية، والآيات القرآنية.

فانظر بها في ملكوت السموات والأرض، وانظر فيها بالآيات القرآنية، وأعطاك العقل الذي تعرف به الخالق، وتعبده بما يليق بجلاله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

فلا إله إلا الله، ما أعظم ملكه! وما أعظم أسماءه وصفاته! وسبحانه وتعالى عما يشركون: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فسبحان من خلق الإنسان في أحسن تقويم، وخلق الإنسان من أصغر شيء، من نطفة، وخلق الطائر الكبير من بيضة، وخلق الأجسام الكبيرة من الذرات الصغيرة، وخلق البحار من القطرات، وخلق الأشجار من حبة، وخلق النبات من بذرة: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٦ – ٨].

فيا عبد الخالق أعبد الذي خلقك من ماء مهين، واشكر من أنعم عليك بأنواع النعم والعطايا: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ

ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٥٨ – ٦٢].

﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٨ – ٧٤].

فحيثما سرت، في أي مكان أو زمان، يمين أو شمال، أمام أو خلف، تنظر إلى أعلى، أو تنظر إلى أسفل، فثم مخلوقات الله، خلقها الله تسبح بحمده؛ وتشهد بوحدانيته فكن مثلها في الكرم، وفي الإنتاج، وفي التسبيح والتقديس: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فلا إله إلا الله ما أعظم خلقه، فاعبد من هذا خلقه، ومن هذه قدرته، ومن هذه أرزاقه، ومن هذا صنعه، ومن هذا ملكه: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/ ٦٥].

هو الخالق الذي أكرمك على جميع المخلوقات: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فسبحان من أكرمك بالماء الذي خلقه لتشربه، والطعام الذي خلقه لتأكله، والهواء الذي خلقه لتتنفس منه، والأرض التي تسكنها، والمناظر التي تسرك، والشمس التي ترى بنورها الأشياء، والبر الذي تسير فيه، والجو الذي تطير فيه.

فلا إله إلا الله: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: ٢٠].

وسبحان من أكرمك بالعين التي تبصر بها، والأذن التي تسمع بها، واليد التي تعمل بها، والرجل التي تمشي بها، والعقل الذي تعقل به: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ

﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الملك: ٢٣].

خلق الله كل شيء يعبد ربه ولا يفهم إلا نفسه، كل المخلوقات والجمادات لا تفهم إلا نفسها، وخلقك لتفهم كل شيء ، لتعرف الخالق، والمخلوق، وتعرف الرازق والمرزوق، وتفهم كل شيء، لتصل إلى خالق كل شيء، فتذكره وتشكره وتعبده: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[يونس/ ١٠١].

فتفكر أيها الخليقة البشرية فإن الله قد أعطاك السمع والبصر والعقل، لتعرف الخالق من المخلوق، والصور من المصور، وتطيع الملك الحق، وتعصي نفسك وهواك وشيطانك؛ فتفكر أيها الخليفة في الأرض، في ملك الله العظيم، وفي عظمة أسمائه وصفاته؛ فأنت خليفة في الأرض، وتفكر في بديع آياته ومخلوقاته، واستغفر لذنبك، وتب إلى ربك، واعبده بما يليق بجلاله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

فهذا التعبد لله بأسمائه الحسنى، هو ثمرة هذه المعارف الإلهية، فالخالق سبحانه خلق جميع المخلوقات لماذا؟ ليظهر لعباده كمال قدرته، وسعة علمه، فإذا عرف الناس العظيم حقًا، والكريم حقًا، والقاهر حقًا، أحبوه حقًا، وعبدوه حقًا، وخافوا منه حقًا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق: ١٢].

وإذا كان الله ﷻ هو الخالق وحده لا شريك له، فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم/ ٤٠].

ولهذا حمد الله نفسه على كمال قدرته على الخلق، وعاب على من انصرف عنه إلى غيره، وعدل به سواه، فقال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾[الأنعام/ ١].

فحمد الله ﷻ نفسه على أنه خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، فهذه

المعرفة تجعل الإنسان يوحد ربه، ويكفر بما سواه، فنحمد الله ﷻ على نعمة التوحيد والإيمان، ونعوذ به من كفر الكافرين، وشرك المشركين، وضلال الضالين، فتعالى الله عما يشركون: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف/ ١٩١- ١٩٢].

فالتدبر والنظر في الكون يثمر للعبد كمال التوحيد والإيمان، وكمال التعظيم والحب والحمد لله رب العالمين: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١١].

ومن نور الله بصيرته بالإيمان؛ لم ير في الكون إلا اثنان: ملك وعبيد، وخالق ومخاليق، وغني وفقراء، وقوي وضعفاء، ومصور وصور، وعزيز وأذلاء: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

فمن أراد أن يعرف أن ربه هو الخالق وحده لا شريك له؛ فعليه أن يمعن النظر في آيات ربه الكونية في السماء والأرض، لتلوح له دلائل قدرة الخلاق العليم، وحكمته في صنع هذه المخلوقات، وحكمته في خلق السماء المرفوعة، والأرض المفروشة، وأصناف النبات، وأنواع الحيوان، وأقسام الجماد، وعجائب خلق الإنسان: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾
[العنكبوت: ١٩ – ٢٠].

فما أعظم النظر والتدبر في الملك والملكوت! وهذا النظر والتفكر من أعظم دلائل التوحيد والإيمان، وأفضل أنواع العبادة: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦- ٨].

واعلم أن الملك الحي القيوم الذي يُنزل كل لحظة أوامر الخلق والإيجاد، وأوامر التصريف والتدبير، وأوامر النفع والضر، هو الإله الحق الذي أنزل أوامره الشرعية على عباده إكرامًا لهم، وإحسانًا إليهم، وتشريفًا لهم، وعنايةً بهم؛ ليكونوا في الدنيا خلفاء

الأرض بحسن عبادة الله، وتنفيذ أوامره، وليصلوا إليه بعد الموت بأحسن صورة وأحسن عمل، وأحسن خلق؛ فيجزيهم يوم القيامة بالجنة والرضوان بحسنهم وإحسانهم: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس/ ٢٦].

ويجعلهم ربهم يوم القيامة بالقرب منه، كما تقربوا إليه في الدنيا بطاعته؛ يكونوا يوم القيامة قربه في مقعد صدق: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤ - ٥٥].

فسبح بحمد ربك العظيم، الخلاق العليم، واستعن بربك القدير على ذكره وشكره وحسن عبادته، ولا تدعي القدرة بنفسك على أعمالك، ولا تجحد ما أنعم الله به عليك، ولا تنكر ما أسداه إليك من الخير، ولا ما صرفه عنك من الشر، وقل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٢ - ٧].

واعبد ربك بما ورد في شرعه، وأحسن عبادته، وإياك أن تبتدع شيئًا يقطعك عنه، ويكون عليك إثمه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠].

وأظهر كل سنة، وسابق إلى كل فضيلة، وسارع إلى كل مكرمة وبادر إلى كل طاعة.

قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِها بعْدَهُ كُتِبَ له مِثْلُ أَجْر من عَمِلَ بِهَا، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإسلام سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وزر من عَمِلَ بِهَا، ولا يَنْقُصُ من أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**» أخرجه مسلم(١).

ورابط وفقك الله لما يحبه ويرضاه، واصبر، وصابر، واصطبر لعبادة ربك العظيم؛ فعن قريب يرجعك إليه، ويجزيك بأحسن ما عملت، ويقدمك على أكرم ما قدمت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٧).

فالله ﷻ بيده خلق المخلوقات، وأنت أعطاك الله ﷻ الأعمال والأقوال والأخلاق، فتقرب إلى ربك بعد معرفته بما يحبه ويرضاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

وسارع إلى كل فضيلة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

واقنت لربك الأعلى، واسجد له، وسبحه ليلًا طويلًا، فهو أحق من عُبد، وأحق من شكر، وأرحم من ملك، وأكرم من أعطى، وأعظم من خلق: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

وكن قائمًا بين يدي ربك بالعبادة في كل وقت: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر/ ٩].

وكن قائمًا بين يدي خلقه بالدعوة إلى الله: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف/ ١٠٨].

وكن قائمًا بين يدي الخلق بالإحسان: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة/ ١٩٥]. ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة/ ٨٣].

ولا تجعل ما أنعم الله به عليك من النعم حجةً عليك، يقطعك عن ربك، ويشغلك عن عبادته؛ بل استعن به على ما يحبه الله ويرضاه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة/ ١٧٢].

تقربوا إلى ربكم باستعمال ما أنعم به عليكم في مرضاته؛ لتكونوا يوم القيامة في مقعد صدق عند مليك مقتدر؛ ولتروا الأنبياء آدم ونوحاً، وإبراهيم، وموسى وعيسى ومحمداً عليهم الصلاة والسلام، وغيرهم من الأنبياء والصديقين والصالحين يوم القيامة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱخۡرُجُواْ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء/ ٦٩ - ٧٠].

واعبد ربك الخلاق العليم الذي خلق الخلائق، وقدر المقادير، وأحسن الخلق، وأحكم الصنع، فلا رب لك سواه، ولا إله لك غيره، فأطعه واعبده، تفوز بجنته ورضوانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

ومن أراد أن يعبد الله حقًا فليعرفه حقًا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس/ ٣].

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك؛ أنت الملك الحق القوي القدير، الخلاق العليم، الغفور الشكور، لا إله إلا أنت، ولا رب لنا سواك، فاغفر لنا وارحمنا برحمتك يا عزيز يا غفور، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، يا من خلقنا في أحسن تقويم، أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأحسن أقوالنا وأعمالنا وأخلاقنا، وارزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك يا ذا الجلال والإكرام.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، يا أرحم الراحمين.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠- ١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

## إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# اســــم الله

# البارىء

# اسم الله البارىء

الله عز وجل هو الباريء الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٤].

فمعرفته ﷻ أعظم غذاء القلوب، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته هو أعظم أبواب التوحيد، وأول أبواب التوحيد، وأوسع أبواب التوحيد، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وحده بذلك:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

فمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتعبد له بموجب تلك المعرفة، أعظم أعمال القلوب، فكما أن القلوب لها غذاء، فكذلك الأبدان لها غذاء، والعقول لها غذاء، فأعظم غذاء القلوب هو معرفة الله بأسمائه وصفاته:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨].

وهذا الغذاء يثمر للعبد تحقيق التوحيد الخالص، وتخليص القلب من كل شائبة شركية أو بدعية، ويطهر النفس من كل دنس ومعصية، ويحرك القلب والجوارح لعبادة الله بما يحبه ويرضاه:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

ولاشك أن مقصود جميع العبادات: أقوالًا، وأفعالًا، وأذكارًا وأدعية، وجميع الأوامر، أن يأتي في قلب المؤمن اليقين على الله وأسمائه، وصفاته وأفعاله، فيعبد الله كأنه يراه.

اليقين على الله أنه موجود، وعلى أسمائه وصفاته وأفعاله، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، فإذا جاء اليقين على الله، آمنت به، وتوكلت عليه، ولم ألتفت لأحد سواه،وإذا جاء اليقين على الله وأسمائه وصفاته؛ جاء اليقين على قوله

وقول رسوله ﷺ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

إذا عرفت أن الله هو الملك الذي له الأوامر الملكية القدرية، فله كذلك الأوامر الشرعية الإلهية، ومنه النعم التي لا تعد ولا تحصى، آمنت به، وكبرته، وأحببته، وعبدته: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

إذا عرفت الله؛ عرفت أن كلامه وكتابه حكيم، وأنه عظيم، وأنه لا يأمر إلا بكل خير، ولا ينهى إلا عن كل شر.

فإذا جاء اليقين على الله ﷻ وأسمائه وصفاته، جاء اليقين على قوله وقول رسوله ﷺ، ثم جاء اليقين على وعده ووعيده، والوعد والوعيد مترتب على فعل الأوامر، واجتناب النواهي: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء: ١٣ – ١٤].

فإذا جاء اليقين على الله، جاء اليقين على أوامره، ثم جاء اليقين على وعده ووعيده، ثم جاءت من العبد العبادة التي يريدها الله ويحبها، بالحب الكامل لله، والتعظيم له، والذل له، والرجاء له، والخوف منه جل جلاله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وإذا جاء اليقين بأركانه الثلاثة هذه عظم العبد ربه؛ لأنه عرف عظمة أسمائه وصفاته، وعظمة ملكه وسلطانه، وأحبه لما يرى من الإنعام والإحسان والإكرام، وذل له؛ لأنه عرف أنه هو الصغير، وربه هو الكبير، وأنه هو الفقير، وأن ربه هو الغني، وأنه هو العبد وأن ربه هو الملك، وأنه هو العاجز، وأن ربه هو القادر: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

فمن عرف ربه حقاً أقبلت نفسه على الطاعات، ونفرت من المعاصي، أقبلت على الطاعات؛ لأنها تعلم أنها تطيع الملك العظيم القادر، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وبيده ملكوت كل شيء.

ونفرت من المعاصي؛ لأنها تعرف أن ربها عزيزٌ، قويٌ، قادرٌ، قهار، جبار، سميع، بصير، لا يخفى عليه شيء، ولا يمتنع عليه شيء.

فسبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة.

فالنفس تخاف وتنفر من معصيته؛ لما ترى من عظمته، ولما تعلم من شدة عذابه لمن عصاه:﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠].

وتسارع إلى فعل الخيرات لأنها عرفت الله بأسمائه الحسنى، صفاته العلى، وعرفت أسماء الجمال، وعرفت أسماء الجلال، فآمنت به، وأذعنت لطاعته؛ فهي تحبه، وتعظمه، وتخاف منه، وتخاف من عقابه، وترجوا ثوابه:﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٥ – ١٧].

لهذا لابد من الاهتمام بأعمال القلوب؛ حتى يدخل الإيمان في القلب، وإذا جاء الإيمان جاء كل شيء، ومن أعظم أعمال القلوب معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، لهذا نحن ندرس هذه الأسماء الحسنى؛ لنتعبد الله ﷻ بها، ونتخلق بها، ونتصف بها على شاكلة العبودية، فالله يريد لنا الكمال، وقد خلق الله الإنسان ظلومًا جهولًا، ويئوساً وقنوطا، وكنوداً، وضعيفا، فالله ﷻ يريد أن يرقيه، ويحسن صنعته؛ بالإيمان والأعمال الصالحة حتى يكون في أعلى مقام؛ لأن الله يريده في الدنيا خليفة في الأرض، ويريده يوم القيامة في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر.

فالله ﷻ بين في كتابه أسماءه الحسنى، وبينها في كونه العظيم، جعل أسماء الله الحسنى مودعة في المخلوقات، فأنت إذا رأيت السموات العظيمة، والنجوم المنتشرة، والشمس المضيئة، والقمر الساري، والأرض الممدودة، والجبال الراسية، والعيون المتفجرة،

والأنهار الجارية، والبحار الزاخرة، والنبات المختلفة، والأشجار المثمرة إذا رأيت هذه الأمور؛ عرفت أن لهذا الخلق خالق، ولهذا المُلك مالك، ولهذه الأرزاق رازق؛ وهو الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٤].

فحينئذ ستحبه، وتتعلق به، وتستفيد من خزائنه؛ لأن الإنسان فطرة يلجأ للقوي؛ ليستفيد من قوته، ويلجأ للغني؛ ليستفيد من غناه، ولا أقوى من الله، ولا أغنى من الله، ولا أكبر من الله، ولا أعظم من الله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ امتلأ قلبه بالإيمان، وتحركت جوارحه بالأعمال الصالحة، فكما أنه إذا جاء الماء دبت الحياة في كل شيء، فكذلك إذا جاء الإيمان جاءت الأعمال الصالحة من كل شيء.

فنحن نريد أن نجتهد وننظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية؛ حتى يأتي الإيمان في قلوبنا، فإذا جاء الإيمان جاء مع الإيمان كل شيء، من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية، وعشنا بفكر الأنبياء، وجهد الأنبياء، وأقوال الأنبياء، وأعمال الأنبياء، وأخلاق الأنبياء: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب: ٢١].

الله ﷻ من علينا ببعثة النبي ﷺ، وبين لنا طريقة حياته، فحياة النبي ﷺ محفوظة.

أحسن حياة حياةالنبي ﷺ، أحسن حياة، وأيسر حياة، وأفضل حياة، وأجمل حياة، وأطهر حياة هي حياة الأنبياء، وأفضل حياة الأنبياء حياة النبي ﷺ، فقد فرق الله ﷻ الأخلاق العالية في جميع الأنبياء، ثم جمعها في سيد الأنبياء، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠].

فكما يجتهد أهل الدنيا على الحديد، ويُخرجون منه أنواع الصناعات، ويجتهدون على الذهب والفضة، ليخرجوا منها أنواع النقود والحلي، كذلك نحن نجتهد على الإنسان ليكون مؤمناً تقياً صالحاً.

قال النبي ﷺ: «**النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا**» أخرجه مسلم(1).

فنجتهد على هذه المعادن، ونبحث عنها، ونستخرجها؛ حتى نربيها، فينفع الله ﷻ بها أنفسها والعالم: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ** ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

هذه الطاقات مدفونة في البشر، لكن أين هم؟ ومن هم؟ لابد من الجهد على الناس، كما أنه لابد من الجهد على التراب حتى نستخرج منه الحديد، ونستخرج منه المنافع، ونستخرج منه الذهب، ونستخرج منه البترول.

فالجهد على البشر أعظم من الجهد على الكائنات الأخرى، الكائنات الأخرى فيها منافع، لكن لابد من جهد عليها حتى نستفيد منها كالحديد وغيره.

كذلك البشر لابد من الجهد عليهم بالدعوة، حتى نستخرج من هؤلاء من أراد الله هدايته، ثم يخرج أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان، علي، خالد بن الوليد، زيد بن ثابت، معاذ بن جبل، ابن عباس، ابن عمر، أبو حنيفة، الشافعي، مالك، أحمد وغيرهم من أئمة السلف.

فلابد من الجهد على البشر، حتى نرقيهم في العلم؛ ليكونوا في الصف الأول الذي يحبه الله ﷻ: ﴿**كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

والباعث لهذا الجهد العظيم هو معرفة الله، ومحبة أن يُطاع في الكون كله، ولا يُعصى أبدًا، وأن يعظم وحده، ويكبر وحده، وأن يحب وحده، وأن يطاع ويطاع رسوله ﷺ.

حب المؤمن لهذا الشيء يحركه للعمل لينقل النور إلى الأماكن المظلمة، ويحمل الإنسان بالإسلام، ويحرك جوارحه بطاعة الله ﷻ.

هذا فكر الأنبياء، فكر الأنبياء أن يدلوا المخلوق على الخالق، ويدلوا العبيد على الملك، فيعرفونهم بأسمائه وصفاته حتى يؤمنوا به ويعبدوه وحده: ﴿**قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٣٨).

فمن أسماء الله ﷻ الخالق، البارئ، المصور: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

فالله ﷻ هو الخالق البارئ المصور، كيف نعرف الله ﷻ بهذا الاسم العظيم؟ وأنه هو البارئ الذي برأ هذه المخلوقات؟ ففي قلب الإنسان أماكن واسعة لمعرفة الرب ﷻ بأسمائه وصفاته، ونتيجة لهذه المعرفة تتحرك الجوارح بالطاعة والألسنة بالذكر والدعاء: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

هو سبحانه الخالق البارئ وحده لا شريك له، خلق جميع المخلوقات، وبرأ جميع الجمادات والنباتات والحيوانات، والنسمات، والهيئات، والحركات، وأظهرها كما قدرها وعلمها: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].

فكل شيء مكتوب، من المخلوقات، وأعمال المخلوقات، الله خلق الشمس وخلق حركاتها إلى أن تقوم الساعة، وخلق الأرض، وعلم ما سيكون منها، وما سيخرج من جوفها، وخلق كذلك آدم وعلم ما سيخرج من صلبه، وهكذا الله ﷻ هو الذي خلق المخلوقات، وبراها، وأوجدها من عدم، وأوجدها لحكمة.

وهو سبحانه الخالق البارئ، الذي برأ الخلق، وأوجدهم على غير مثال سابق: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة: ١١٧].

هو الذي أحسن كل شيء خلقه، فظهر في أجمل صورة، وأحسن شكل: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة/ ٦ – ٧].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق جميع المخلوقات بخلق متقن: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل: ٨٨].

فهو البارئ الذي برأها من العدم إلى الوجود، على أحسن صورة، وأتقن صنع.

مصنوعات البشر، في كل يوم نضيف إليها، السيارة مرت بمراحل، الطائرة مرت بمراحل، الأجهزة الكهربائية مرت بمراحل، لكن الله ﷻ يخلق الإنسان والمخلوقات

على التمام والكمال، في أحسن صورة، شكلًا ووظيفةً؛ لأنه الخلاق الذي خلق من عدم، والذي خلق على غير مثال سابق، والذي خلق كل شيء لحكمة، فالشمس للإنارة، والأرض للإنبات، والأذن للسمع، واللسان للكلام؛ وهكذا.

فالله سبحانه الخالق البارئ الذي خلق الخلق في العالم العلوي والعالم السفلي بريئًا من التفاوت والتناقض، سليمًا من التباين والخلل؛ فظهر كما أراد خلقًا حسنًا سويًا، ليس فيه اختلاف ولا تناقض، ولا نقص ولا عيب، بريئًا من كل خلل: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك/ ١- ٤].

الله ﷻ يأمرنا أن ننظر في صنعه وخلقه، سواءً في المخلوقات العظيمة كالسموات والأرض، أو فيما دونها من الحشرات والذرات الصغيرة: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

- **الله ﷻ جعل لكل ذرة في مُلكه ثلاثة أوامر:**

أمرٌ بالإيجاد .. وأمرٌ بالبقاء .. وأمرٌ بالنفع والضر، والتحريك والتسكين: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

هو جل جلاله عظيم، وملكه عظيم، ودينه عظيم، وأوامره عظيمة، وثوابه عظيم، وعقابه عظيم، فهو سبحانه الذي خلق جميع المخلوقات بريئة من التفاوت، والتناقض، سليمةً من التباين والخلل، وإنما تفسد الأشياء بسبب تصرفات الناس، وبسبب اعتداء الناس: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم/ ٤١].

فإذا صار هناك خلل في الاستقامة، ونقص في الدين، يظهر الفساد في البر والبحر؛ لأن شؤم المعصية يعم النباتات والحيوانات وسائر المخلوقات: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾[هود: ١١٢ – ١١٣].

فكل الكون مطيع لربه إلا الإنسان، أحيانًا يطيع، وأحيانًا يعصي، فإذا أطاع انسجم مع المخلوقات الأخرى، وسبح بحمد ربه مع الذين يسبحون لربهم: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾[الجمعة/ ١].

كل الخلائق تسبح بحمده، والإنسان إذا أطاع الله وسبح بحمده، شارك غيره من المخلوقات في التسبيح: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾[الأعلى/ ١ – ٣].

فسبح مع المسبحين الذين يسبحونه وينزهونه عن النقائص والعيوب، والشبيه والمثيل: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[الإسراء/ ٤٣ – ٤٤].

فسبحان الخالق البارئ المصور، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا، الخالق البارئ الذي قدر كل شيءٍ قبل وقوعه من الخير والشر، والعافية والبلاء، والنعم والمصائب، والخوف والأمن: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾[الحديد/ ٢٢].

من قبل أن نوجدها بعد العدم، أو نوجدها من العدم، فالله ﷻ كتب كل شيء.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ ما خَلَقَ الله القَلَمَ. فقال له: اكْتُبْ، فقال: ربِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قال: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيءٍ حَتَّى تَقُوم السَّاعَةُ**» أخرجه الترمذي وأبو داود[1].

الله ﷻ هو خالق الكون العظيم، وخالق كل شيء فيه، من الحركات والسكنات، والمخلوقات الكبرى في العالم العلوي والعالم السفلي، والمخلوقات الصغرى.

كل شيء خلقه الله بقدر؛ بقدر في جنسه، ونوعه، وشكله، وحجمه، وبقدر في كميته، ونوعيته، ووظيفته، فكل شيء خلقه لحكمة؛ لأنه حكيم في أحكامه القدرية، وحكيمٌ في أوامره الشرعية: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۢ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠﴾[القمر: ٤٩ – ٥٠].

وكل شيء مكتوب في ديوان اللوح المحفوظ: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٣١٩)، وأبو داود برقم (٤٧٠٠) وهذا لفظه.

﴿صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾[القمر: ٥٢ – ٥٣].

وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة، العالم بالظواهر والبواطن، الشافي من كل داء، المبرئ من كل سوء، هو جل جلاله عالم الغيب والشهادة؛ يعلم ما في العالم العلوي والعالم السفلي، ويعلم ما في الدنيا وما في الآخرة، ويعلم ما هو غائب عنا وما هو مشهود لنا، هو العالم بالظواهر والبواطن، فكل شيءٍ مكشوفٌ لله ﷻ، ظاهر الإنسان وباطنه: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك: ١٣ – ١٤].

هو الشافي من كل داء؛ لأنه واحد لا شريك له في أسمائه وصفاته، هو الملك، وهو القادر، وهو الغني، وهو الكريم، وهو العفو، وهو الرحمن، وهو اللطيف، لا شافي إلا هو جل جلاله، ولكن نحن مأمورون بفعل الأسباب؛ لأننا في دار الأسباب، وفعلنا للأسباب امتثالًا لأمره لا اعتمادًا على الأسباب، فنفعل الأسباب كأنه لا يعمل إلا هي، ونتوكل على الله كأن الأسباب لم توجد، وليست بشيء: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾[المائدة: ٢٣].

فمن تعظيم الله فعل الأسباب التي أمر بها شرعًا، فنعظم الله بامتثال أمره، ونفعل الأسباب التي جعلها الله أسبابًا لإقامة الدنيا، وأسبابًا لدخول الجنة.

فربنا عظيم وهو مالك الملك، وبيده كل شيء، ولا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾[الشعراء: ٧٥ – ٨٢].

وهو سبحانه الخالق البارئ المصور، الذي جعل الذوات محمولة في الأجسام، إذا أخرج الإنسان النطفة، هذه الذات محمولة في الأجسام، مخزونة في الأصلاب، خلقها الله جميعًا في صلب آدم ﷺ، جميع ذرات البشرية، كلهم في صلب آدم، فأخرجهم الله ﷻ من صلب آدم، وخلقهم وبرأهم جل جلاله، ثم أشهدهم على أنفسهم كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ

رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣].

قالوا ذلك قبل أن ينزلوا إلى الأرض، وقبل أن يروا الأشياء والأسباب.

فكل واحد منا الآن قد شهد هذه الشهادة بذرة منه، فهذه الذرات تتنقل من صلب إلى صلب.

فسبحان الله ما أعظم خلقه وتدبيره في ملكه العظيم، وما أعظم خلق هذا الإنسان: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٤].

فكل ذرة منا هي كانت حيةً لما أخذ الله ﷻ الشهادة على بني آدم، أُخرجنا من صلب آدم ذرات، وشهدنا بشهادة التوحيد، فأقررنا لله بأنه هو الرب الواحد الأحد، ولا يؤدي الشهادة ألا حي يعلم ما يقول.

فلا نقول مثلًا: الشمس تضيء، والأرض تُنبت، أو اللسان هو الذي تكلم، لا؛ الله هو الواحد الأحد، الذي خلق كل شيء، وهو الذي له الخلق والأمر، فقبل أن نرى فعل المخلوقات شهدنا بشهادة التوحيد:﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ﴾[الأعراف: ١٧٢].

فلما أُنزل الله آدم وزوجه إلى الأرض، هناك بدأوا يرون الأسباب تفعل، واُبتلوا بالشهوات الحيوانية، مع الأوامر الملكية الشرعية، وبدأنا نقول الدواء يشفي، والماء يروي، والطعام يُشبع، والشمس تنور، والأرض تُنبت، وهذا نوع من الشرك.

والإيمان أن تخترق المخلوقات إلى الخالق، فترى الخالق يفعل في مخلوقاته ما يشاء، وترى الصور وتخترقها إلى المصور، وأنه هو الذي صورها بشكل يميز بعضها عن بعض: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فهذا هو الإيمان أن ترى ربك بأسمائه وصفاته يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فهو سبحانه الذي خلق المخلوقات كلها، الذي جعل الذوات محمولةً في الأجسام، فنحن من قبل في أصلاب آبائنا، وآباؤنا في أصلاب آبائهم، وهكذا إلى عهد آدم، هذه الذرات والذوات التي شهدت بالوحدانية لله، وأقرت بالربوبية، قد شهدت ذلك المشهد العظيم، فهي حية في ذلك الوقت، وهي حية إلى يومنا هذا، ثم بعد ذلك إذا خرجت ورُكبت في الجسم تموت، وإذا ماتت سوف تبعث: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾[الحج: ٦٦].

فجميع البشرية شهدوا هذه الشهادة لله بالوحدانية؛ ولذلك الله ﷻ يقول: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾[الغاشية/ ٢١].

ذكر الناس بالعهد الأول، الذي أقروا لله فيه حينذاك بالربوبية، فما بالهم لما نزلوا إلى الأرض، ورأوا الأشياء تفعل نسبوا الفعل لها من دون الله؟ بل جميع المخاليق عبيد لله، السحب من عبيد الله يأمرها الله فتمطر، والشمس من عبيد الله يأمرها فتنور، والأرض من عبيد الله يأمرها فتُنبت، واللسان من عبيد الله يأمره فيتكلم.

وهكذا كل الخلق مخاليق عبيد لله؛ فليس بأيديهم شيء، الخلق والأمر كله للواحد الخالق البارئ وحده لا شريك له، فخلقنا جميعًا في صلب آدم ﷺ،وسوى هذه الذوات بقدرته وخلقها حينذاك مبرأةً من العناء والشرك في العهد الأول، وبرأها على الإسلام: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الروم: ٣٠].

فسبحان من فطرها على الإقرار له بالوحدانية قبل خروجها من عالم الغيب، فهي قانتة لبارئها مسلمة لخالقها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾[الأعراف: ١٧٢].

الذرية كلها بقدر طرف الإبهام، كل البشرية لو وضعوا فيه لوسعهم، من عظمة خلق الله ﷻ في خلق الصغير، وهذا الصغير يكون كبير، كما أن النواة التي تخلق منها النخلة ، أو شجرة التفاح أو الليمون، هذه حبة صغيرة، ننظر كيف علو هذه الشجرة وعظمتها! والنخلة كذلك.

هذه الذوات الله ﷻ ينقلها من صلب إلى صلب ومن رحم إلى رحم، حتى تأتي هذه

القرون المتوالية، حتى إذا تم أمر الله، وبلغ أهل الجنة عددهم، وأهل النار عددهم، وبلغ الكتاب أجله أقام الله القيامة: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤].

فهذا النظر والتدبر، يجعل الإنسان يقبل على عبادة ربه بالمحبة والتعظيم والذل له، فأنت قد شهدت هذه الشهادة، ونحن جميعًا قد حضرنا هذه الشهادة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

لستم غافلين؛ قد شهدتم هذه الشهادة أمام ربكم: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٣].

ما دمتم أقررتم بأن الرب الذي يربيكم هو الله ﷻ فيجب أن تطيعوه وتعبدوه وحده لا شريك له.

فكما أن الإنسان يتنعم بعطاء الربوبية خلقًا وقوتًا؛ يجب عليه كذلك أن يخضع لأوامر الألوهية بالتكليف بالأمر والنهي، خاصةً أن هذا الأمر والنهي، وهذا التكليف من الملك العظيم، لمصلحة المخلوق الصغير، هو لمصلحتنا نحن والله غني عنه، لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات/ ١٧].

والغني لا يحتاج إلى الفقير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

الله خلقنا في أحسن تقويم، وجعلنا خلفاء الأرض، وأمدنا بالأقوات، وهدانا سبل رضاه جل جلاله، وأعاننا على ذلك، وحببه إلينا، فكم نعم الله ﷻ علينا لا تُعد ولا تُحصى، فيجب أن نعبد هذا المنعم الغني، ونحن الذين نربح عليه: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦].

فهذه هي التجارة الرابحة مع الملك الذي يضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧].

فسبحان الخالق البارئ المصور، الذي قدر المخلوقات والأشياء على مقتضى حكمته؛ فخلق الأرض للسكن،والإنبات، وخلق الشمس للإنارة، وخلق الجن والإنس لعبادته، وخلق كل شيء يسبح بحمده، ويشهد بوحدانيته، هو ملك عظيم يخلق ما يشاء، فعالٌ لما يريد، الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره، وأنا عبده، وليس عند العبد إلا امتثال أوامر سيده:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥].

هو جل جلاله الخالق الذي قدر المخلوقات والأشياء على مقتضى حكمته، الخالق البارئ الموجد لها بعد العدم، المصور لها كيف شاء، الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، على الصورة التي يريد، وعلى الشكل الذي يريد، في الوقت الذي يريد، ويُظهره في الوقت الذي يريد، بالحجم الذي يريد:﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[القصص/ ٦٨].

فالله ﷻ أمرنا أن نكون في هذا المقام العالي، أن نؤمن بالله ﷻ، ونؤمن أن بيده ملكوت كل شيء، ونسعد في الدنيا والآخرة؛ لأننا نلجأ ونتوجه ونتوكل على رب عظيم:﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٩].

الله يريدنا أن نكون خير لبرية، لا شر البرية، فالله ﷻ يقول:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾[البينة: ٦].

لماذا؟، لأنهم كفروا بالله، الذي ظهوره أعظم ظهور، فالله ﷻ هو الحق، وكل ما سواه باطل، فالذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين كفروا بما فطروا عليه، كل مخلوق مفطور على التوحيد:﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم: ٣٠].

أما المؤمنون فبقوا على الفطرة لأنهم خير البرية:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾[البينة: ٧].

ثم نسقي هذه الفطرة، ليزيد الإيمان بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات القرآنية، فيزيد الإيمان، فهذه الفطرة فطر الله ﷻ الناس عليها.

ثم مَن الله علينا بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، وإعطاءالسمع والبصر والعقل، حتى

ننظر ونتدبر في الملك والملكوت، فذاك إيمان فطري، وهذا إيمان كسبي نجتهد عليه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت: ٦٩].

فالكفار كفروا بالله جحدوا الرب بالكلية، قالوا: لا خالق، والمشركون تنقصوه وقالوا: إن الله له شريك في الأسماء والصفات، والمُلك، والتدبير، والعبادة، فالشرك تنقص لرب العالمين، الله ﷻ لا يحتاج إلى أحد، ولا يشرك في حكمه أحدا، ولكن المشركين جعلوا معه شريكًا، وهذا من التنقص لله ﷻ، فهؤلاء في الدنيا في العذاب والشقاء، ويوم القيامة في نار جهنم ؛ لماذا؟ لأنهم شر البرية، كل الخلائق تسبح بحمد ربها، كل الخلائق أطاعت ربها إلا من ضل من بني آدم: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤ ﴾[الإسراء: ٤٤].

فكل يسبح ربه إلا هذا الإنسان، الذي أعرض عن ربه وكفر به، أو أشرك معه غيره من صنمٍ وحجر.

والمشركون في مكة كان في قلوبهم أن الله ﷻ هو خالق كل شيء، وبيده كل شيء: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥ ﴾[لقمان: ٢٥].

ولكنهم في قلوبهم خوف، فعبدوا الأصنام، لتشفع لهم عند الله: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[الزمر: ٢ – ٣].

والشيطان سول وزين للناس أن يعبدوا الأصنام؛ لأن الأصنام لا تعلم بمن يعبدها، وليس عندها تكليف ولا أمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب، لو ما عبدوها ما عملت شيئا، ولو عبدوها ما علمت شيئا، ولأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، لكن الشيطان زين لهم عبادة الأصنام؛ لأن الأصنام ليس عندها تكاليف، بل هي مخلوقة، والإنسان إما أن يعبد الله أو يعبد عبد الله، من شجر أو حجر أو صنم، لأنه مطبوع على الافتقار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾[فاطر: ١٥].

فكل ما سوى الله عبد له، فإما أن تعبد الله الذي عرفته بأسمائه وصفاته، أو تعبد عبد لله، وعبد لله لا يدري عن عبادتك، كالأصنام والأحجار والأموات، فالشيطان يريد من

الناس أن يعبدوا غير الله؛ لأن غير الله ليس عنده منهج يسير الناس عليه:﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۝٥٠﴾[القصص/ ٥٠].

وفي الحقيقة أن الكفار يعبدون الشيطان بواسطة الأصنام:﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ۝٦٢﴾[يس: ٦٠ - ٦٢].

فالهوى مشروع الشيطان، والهدى شريعة الرحمن جل وعلا؛ فمن لم يكن في طريق الهدى، فقد هوى إلى الباطل، وهوى به الباطل إلى الشرك، وإلى نار جهنم:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة: ٦].

فهم على الفطرة، لكن كفروا، زين لهم الشيطان عبادة الأصنام، قال الله ﷻ: «**خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، فجاءَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**» أخرجه مسلم[1].

- **فالدين ركنان:**

**الأول:** عبادة الحق بما جاء عن الرسول ﷺ.

**الثاني:** الإحسان إلى الخلق بما جاء عن رسوله ﷺ:﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾[النساء: ٣٦].

هؤلاء الذين آمنوا، وأتبعوا الإيمان بالعمل الصالح، هم خير البرية، التي برأها الله، والله ﷻ يريد أن نكون من خير البرية، ولهذا أنزل القرآن، وأرسل الرسل، وبين الشرائع والأحكام، وبين أنه غفور رحيم، وبين أنه لطيفٌ بعباده، وهيأ لهم أسباب المعاش، ليتفرغوا لعبادة ربهم، فعالم الجماد في خدمتهم، وعالم النبات في خدمتهم، وعالم الحيوان في خدمتهم، والله سخر لهم ما في السموات وما في الأرض؛ ليعرفوا أن الذي خلقهم رحيمٌ، لطيفٌ، كريمٌ، ودود:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٥).

بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

فسخر لهم الهواء يتنفسون منه، والماء يشربون منه، والطعام يأكلون منه، والأرض يسكنون فيها.

وهكذا الإنسان بالنظر والتدبر يمتلئ قلبه إيمانًا، وإذا امتلأ القلب إيمانًا حرك الجوارح بجميع أنواع الطاعات الواجبات والمستحبات، وأداء الحقوق، ونفع الناس، ونفع النفس بالعبادة، ونفع الغير بالدعوة والتعليم والإحسان إلى الخلق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧ – ٨].

هؤلاء خير البرية، هم كانوا على الصراط المستقيم في الدنيا؛ فهم يوم القيامة أسرع الناس سيرًا على الصراط المستقيم، بحسب الإيمان تكون سرعة المسير يوم القيامة على الصراط، وبحسب السير على نور القرآن، يكون النور هناك يوم القيامة: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١٢].

فمن كان في النور في الدنيا كان في النور يوم القيامة، ومن عاش في الدنيا،في ظلمة الجهل، ظلمة الشرك، ظلمة المعاصي، ظلمة البدع، من عاش في الدنيا في الظلام عاش يوم القيامة في الظلمات: ﴿صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام/ ٣٩].

ولكن لابد لذلك من سبب، فالله يهدي من أقبل عليه، وينسى من نسيه، ويُزيغ من زاغ عن دينه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف: ٥].

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧٢].

فالله ﷻ لطيف بعباده، رءوف بالعباد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

ولكن الإنسان قد يُعرض عن ربه ولا يقبل عليه، فالله ﷻ يتركه وما تولى، ويوم القيامة سوف يحاسبه: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥- ٢٦].

والهداية أحب إلى الله من الضلالة، ولكن كان من حكمته جل جلاله أن يخلق خلقاً

مسخرين على الطاعة والتسبيح، كالملائكة، وخلق مخيرون بين الإيمان والكفر، جميع الخلائق خُيرت أن تتحمل الأمانة، فاختارت أن تكون مسخرة، إلا الإنسان لما عُرضت عليه الأمانة، بأن يُجعل له اختيار في أن يطيع أو يعصي، يؤمن أو يكفر، يكون من أهل الإسلام أو من أهل الكفر، لما أعطي هذه الأمانة تحملها: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾﴾[الأحزاب: ٧٢ – ٧٣].

لماذا هذه الأمانة؟ لأن الله أراد أن يجعل من خلقه من يأتي إليه اختيارًا، وهو قادر ألا يأتي إليه، وهو الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[الإنسان: ٣]

جميع الخلائق جاءت إلى الله، مطيعة لله، مسبحة بحمده، إلا الإنس والجن، فالله ﷻ خلقهم مخيرين، فمن جاء إليه اختيارًا، أحب إليه ممن يأتي إليه إجبارًا وقسرًا، فجميع الملائكة مطيعون لله، لا يعرفون المعاصي أبدًا؛ لأن الأوامر تأتيهم من جهة واحدة، ليس عندهم شهوات تشغلهم عن عبادة ربهم: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء/ ٢٠].

أما نحن فنحن لما خلقنا الله ﷻ وتحملنا الأمانة، فالله ﷻ جعل ابتلاء في مقابل الأوامر الملكية الشرعية؛ الشهوات الحيوانية، فالنفس لها محبوبات، والروح لها محبوبات، وجعل بجنب العقل الوحي، فمن قدم الوحي على العقل فاز، ومن قدم العقل على الوحي خسر، ورُكب هذا الإنسان من نفس وروح، هذه لها غذاء، وهذه لها غذاء، وبعث الله الأنبياء والرسل؛ ليقووا الروح على عبادة الله، والتذكير بالله ﷻ؛ لتقود هذا الجسد إلى أنواع الطاعات والخيرات والأعمال التي يحبها الله: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[الشمس: ٧ – ١٠].

فإذا تُرك الإنسان بلا مذكر صار ضحية للشيطان، وللنفس، والنفس أمارة بالسوء، النفس تريد تكميل محبوباتها في الدنيا، تكميل المطعومات والمشروبات، والملبوسات والمركوبات والمنكوحات، هذه شهوات النفس، النفس الحيوانية مقابلة للروح الملكية، فالخالق الباري خلق الإنسان له ظاهر وباطن، وجعل فيه ملكات، جعل فيه ملكة

العقل، ملكة الفكر، ملكة الذكاء، ملكه الحفظ.
وخلق القلب وجعل فيه الحب والبغض، والأمن والخوف، والإيمان والكفر، جعل القلب قابلاً لهذا وهذا: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].
وكذلك خلق الله طاقات في بدن الإنسان، طاقة بدنية، وطاقة حسية، وطاقة ذوقية، وطاقة سمية، وطاقة بصرية، جعل فيه طاقات مختلفة؛ فهذا الإنسان خلقه ظاهرًا وباطنًا فيه عجب: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات/ ٢١].
فالله يريد أن نكون من خير البرية باتباع ما جاء عن الله ورسوله، هؤلاء خير البرية الذين يريدهمالله ﷻ؛ هم الذين جاءوا إلى الله اختيارًا، وهم قادرون أن لا يأتوا، قادرون أن يعصوا.
هؤلاء الذين جاءوا إليه اختيارًا، وهم قادرون أن لا يأتوا إليه، ولا يؤمنوا به: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٨].
هؤلاء مقابل ما تحملوا في الدنيا من المشاق، والصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصي الله، والصبر على أقدار الله، والصبر على الجهاد في سبيل الله، والصبر على الدعوة، هؤلاء الذين اجتهدوا وعملوا في الدنيا بهذه الأبدان لله: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البينة/ ٨].
هذه الجنة: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد/ ٣٥].
هذه الجنة هي دار السلام، ليس فيها أي مرض، وأي خوف، وأي جوع، وأي عطش: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام: ١٢٧].
خالدين فيها بصفات الكمال، يناديهم مناد بقوله: «**أما آن لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَتَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وتَنْعَمُوا فَلَا تبْأَسُوا أَبَدًا، وتَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا**» أخرجه مسلم[1].
لماذا هذه الأبدية؟ لأنهم في دنياهم في نيتهم أن يطيعوا الله أبدًا، ولو أعطوا عمر نوح أو أكثر، فالله أعطاهم مقابل هذه النية العظيمة خلودًا في الجنة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٧).

والعاصي والكافر في نيته أن يعصي الله أبدًا ما بقي ولو أعطي عمر نوح أو أكثر، فالله خلده في النار بحسب نيته: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣ – ١٤].

ورضي الله عنهم؛ لأنهم أرضوه بالتوحيد والإيمان، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية، واتبعوا كتابه، واتبعوا نبيه، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

فهنيئاً للسابق واللاحق من المؤمنين: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

الله ذكرهم بصفاتهم: السابقون الأولون من المهاجرين الذين تركوا كل شيء من أجل الدين، والأنصار الذين بذلوا كل شيء من أجل الدين، والذين اتبعوهم بإحسان، فجاء الأمر الثالث، وهو رضوان الله عليهم، ورضاهم عنه.

جنة المعرفة التي فيها الأنس والسكينة والطمأنينة في الدنيا، وجنة الآخرة التي سوف يقدم عليها المؤمن بعد الموت: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن/ ٤٦].

فأسعد الناس هو الذي آمن بالله وأتقاه، وكل القلوب متوحشة، وكل النفوس متباعدة متباغضة متحاسدة إلا المؤمن فقلبه مطمئن بذكر الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٨– ٢٩].

هذه النفس المطمئنة يقال لها يوم القيامة: يا أيتها النفس المطمئنة بالإيمان بالله والأعمال الصالحة، ارجعي إلى ربك راضية عن الله؛ مرضية تجدين هناك كل ما تريدين: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ – ٣٠].

وهناك تجد ما وعدك الله به من أنواع النعيم واللذات والمسرات في جنات النعيم، والله راض عنك.

والمسلم سيرجع إلى ربه بالتوحيد، والإيمان، والأعمال الصالحة، كل هذه الأعمال ترافق المسلم يوم القيامة،ليزداد سروره، فنسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه.

ودروسنا هذه وأمثالها مما فيه تذكير بالله وأسمائه وصفاته، ومعرفة جلاله وجماله، من أعظم أنواع العبادة؛ لأن الإنسان لو عبد الله مائة سنة وما في قلبه تعظيم الله، ولا عنده معرفة بمن يعبد، فهذا الله ﷻ يقول عنه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾[الماعون/ ٤ – ٥].

أما المؤمن الذي في قلبه تعظيم الله، قبل أن يتعبد له، فهذا يدخل في العبادة بالحب لله، والتعظيم لله، والذل له:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

توجل قلوبهم هيبةً لله، وخوفًا منه، وحبًا له، وإجلالًا له؛ لأنهم عرفوا ربهم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فآمنوا به وسجدوا لعظمته.

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى والأفعال الحميدة:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه: ٨].

واسم الله الباري ورد في القرآن مرةً واحدة في قوله سبحانه:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

وورد مرتين مقيد ومضافًا، كما قال سبحانه في سورة البقرة:﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة/ ٥٤].

واسم الله الخالق والبارئ والمصور، كل واحد منها يُطلق على الآخر، ولكن إذا أُفرد

الواحد منهما عن الآخر، فلكل واحد معناه، فالبارئ هو الخالق الذي أوجد المخلوقات كلها من العدم، وأبدعها على غير مثال سابق.

هو سبحانه البارئ السالم المنزه المبرأ من كل عيبٍ ونقص، المنزه عن الشبيه والمثيل وعن صفات المخلوقين: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

هو سبحانه البارئ الذي برأ الخليقة كلها وأوجدها من العدم، وخلق الخلق بريئًا من العيب والنقص والتفاوت، وميز بعضه عن بعض بالأشكال والألوان والأحجام، فالله أكبر كم أنواع المخلوقات، وكم صفاتها! وكم ألوانها! وكم أحجامها!: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو الباري الذي خلق المخلوقات صالحةً للغاية التي يريدها منها جل جلاله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠].

كل شيءٍ له قدر في كميته، وكيفيته، ونوعيته، وحياته، وموته، فالله ﷻ خلق جميع المخلوقات وبرأها لوظيفة تؤديها في هذا الكون، فالله ﷻ هو الخالق الذي خلق كل شيء، وقدره في علمه، الباري الذي أوجده من العدم؛ فالله ﷻ قدره في علمه، وبرأه وأظهره للوجود، بالصورة التي يريد.

المحسن الذي أحسن الخلق والتقدير، وأتقن الخلق والتنفيذ، وقدر كل شيء لوظيفة يؤديها، فخلقه كله حسن: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة/ ٦–٧].

فهو المحسن الذي أحسن الخلق والتقدير، وأحسن الهيئة والصورة، وأحسن إلى خلقه بصنوف النعم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

وآتاكم من كل ما سألتموه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

والباري اسمه سبحانه، والصفة المشتقة منه الإبراء صفة فعل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى

ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد/ ٢٢].

وصفات الفعل تتعلق بالمشيئة، إن شاء الله فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالخلق والزرق والتصوير والبرء، فهو يخلق إذا شاء، ما شاء، بأي حجم شاء، في أي وقت شاء، في أي مكان شاء: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

- **والبرء له معنيان:**

**الأول:** الخلق والإيجاد من العدم، فالله وحده هو الذي خلق الخلق، وبرأهم من العدم إلى الوجود؛ فجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، وعالم الغيب، وعالم الشهادة، وفي الدنيا والآخرة الذي برأها وخلقها وأوجدها من العدم هو الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

**الثاني:** البراءة من العيب والنقص، فالله سبحانه هو البارئ البريء من كل نقص وعيب، وآفة ومكروه، في ذاته،وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، المنزه عن المثيل، والشبيه، والشريك، وعن الصاحبة والولد: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

وأفعاله ومخلوقاته في منتهى الحكمة والحسن والإتقان: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل/ ٨٨].

واسم الباري جل جلاله يدل على صفة الذات، إذا كان فعلًا لازمًا، أي: البارئ السالم المنزه عن كل نقص وعيب، البريء عن الشبيه والمثيل، الموصوف بصفات الكمال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وهذه تنبيه لنا أن نوحده، وأن نعبده، وأن نتعلق به، وأن نسأله، وأن نطيعه وأن نمتثل أمره؛ لأن له الأسماء الحسنى.

وإذا عرفت أسماءه وصفاته على وجه التمام؛ امتلأ القلب بالإيمان، وجاءت العبادة بالمحبة والتواضع والانكسار بين يدي الله ﷻ، وجاء حب الطاعات، والنُفرة من المعاصي: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ

زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

هو الله البارئ من كل نقص وعيب، البريء عن الشبيه والمثيل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١ – ٤].

هو البارئ الموصوف بصفات الكمال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

ويدل كذلك على صفة الإبراء إذا كان فعلًا متُعديًا، أي: الباري الذي أوجد المخلوقات، وصور الأجناس، وقدر الأحداث، وأبرأ المظلوم مما أُتهم به، كما برأ موسى ﷺ مما قال فيه بنو إسرائيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب: ٦٩].

فسبحان من خلق كل شيء على صفة يحقق بها الحكمة من وجوده.

هو سبحانه الذي خلق كل شيء لحكمة، خلق كل شيء لحكمة يؤديها، ويؤدي الشهادة لله بالوحدانية، فكل شيء في الكون، من صغيرٍ وكبير، من عالٍ وسافل، جميع المخلوقات شاهدة بوحدانية الله، ومسبحة بحمده، وخاضعةٌ لمشيئته، ومسرعةٌ إلى إرادته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

جميع المخلوقات، كل دابة في الأرض، كل مخلوق، كل كبير، كل صغير بيد الله ﷻ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

فهو الذي خلق هذا الخلق العظيم، وهو الذي يملك هذا الملك العظيم، وهو الذي له الخلق والأمر في مُلكه العظيم: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ

مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

فالملك لكمال ذاته وأسمائه وصفاته يستحق أن يعبد، فكيف إذا وعد بالجنة في الآخرة لمن آمن به وأطاعه، ووعد بالأمن والهداية والخلافة في الأرض لمن أطاعه، هذا فضل على فضل؛ لأن عبادة العظيم معناها طاعته، فأنا أطيعه لكمال ذاته وجلاله وجماله، أطيعه؛ لأنه كريم يريد لي كل خير، ويصرف عني كل شر، وأكرمني بأنواع الكرامات: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

الحمد لله رب العالمين أعطاني خيرًا، ومنع عني شرًا، الحمد لله رب العالمين أنعم علي، وعلى غيري، الحمد لله رب العالمين استضافني في بطن الأم وخلقني وصورني في أحسن تقويم، ثم أنزلني إلى بطن الدنيا وأعطاني الإيمان والأعمال الصالحة: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فأكمل محبوبات ربك من الإيمان والطاعات في الدنيا؛ يكمل لك محبوباتك يوم القيامة في الجنة، حيث لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ويستضيفك في بطن القبر، فالقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، ويستضيفك في يوم القيامة إما في القصور الملكية أو في السجون الجهنمية: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٤-٧٦].

- **فالناس خارجون من الدنيا إلى دارين:**

إما ذاهبون للقصور الملكية في جنة عرضها السموات والأرض، وهم المؤمنون.

أو ذاهبون إلى سجن من سجون جهنم، وهم الكافرون.

فالذي عرف ربه بصفات الجلال والجمال، يخاف مقام ربه؛ فيقف بين يديه محباً له، خائفاً من عقابه، راجياً لثوابه: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

فمن خاف مقام ربه استقام في عبادته: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن/ ٤٦].

فإذا دخل أهل الجنة الجنة، ورثوا منازل الكافرين فيها، وإذا دخل أهل النار النار، ورثوا منازل المؤمنين فيها.

كما قال سبحانه عن المؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١٠-١١].

وحقًا أن من عرف الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله وملكه وسلطانه، ودينه وشرعه، وتعبد لله بذلك، أنه في جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة، فهذا العبد هو الذي يخاف الله، فتراه بين يديه عابدًا، وبين يدي خلقه داعيًا ومعلمًا ومحسنًا، لا يرجو إلا الله، ولا يخاف إلا من الله، ولا يحب إلا الله المحبة التي تستلزم العبودية، فهو دائمًا في جميع أوقاته عنده غيرة على أوقاته وعلى بدنه أن يضيع بغير منفعة: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١- ١٦٣].

فمن سلم قلبه وجوارحه لربه في الدنيا طاعةً بفعل الأوامر، واجتناب النواهي؛ سلم الله له يوم القيامة القصور الملكية التي فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧].

والعلم قبل العمل، والعلم بالله وأسمائه وصفاته أول العلوم وأزكاها وأعلاها وأشرفها، وعليه مدار جميع الأعمال؛ فهو أساس، والمباني تقوم فوقه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

فمن عرف الله حقًا عبده حقًا، فهذا العبد الذي عرف الله حقًا، إن أُبتلي صبر، وإن أذنب استغفر، وإن أنعم الله عليه شكر، هذا العبد يمشي في النور، مجلسه نور، وكلامه نور، وأقواله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، وكل حياته نور: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾[الزمر: ٢٢].

الله ﷻ هو الخالق البارئ المصور الذي له الأسماء الحسنى، هو الخالق لكل شيء، وكل ما سواه مخلوقٌ له، وكل ما سواه عبد له.

فسبحان الخالق البارئ المصور، الذي خلق كل شيء على صفة يحقق فيها الحكمة من وجوده، فكل مخلوق له وظيفة، إلى جانب عبادة الله ﷻ.

كل مخلوق خُلق لعبادة الله فهو يسبح بحمده تسخيرًا، ويؤدي وظيفته في هذا الكون، فكم نعم الله على هذا الإنسان الذي قبل الأمانة، فكل ما في الكون من النعم والمخلوقات كلها خلقت من أجل هذا الإنسان؛ ليتفرغ لعبادة ربه: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾[لقمان: ٢٠].

فكل ما سوى الله نعمة، والمخلوقات إما نعمة أو منعمٌ عليه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾[النحل: ١٨].

هو سبحانه البارئ الذي خلق بحرًا من الماء تعيش فيه مليارات الأسماك، وخلق بحرًا من الهواء يسبح فيه ما شاء الله من المخلوقات والذرات الطائرة في هذا الفضاء، وخلق بحرًا من النور، وخلق من كل شيءٍ زوجين اثنين: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢].

هو سبحانه الخالق البارئ الذي خلق المخلوقات على نحو يحقق سلامة وجودها، والغاية من خلقها؛ فخلق كل شيء وجعله في قرار مكين يحفظه ليؤدي وظيفته.

فالعين التي خلقها الله للإنسان والحيوان، العين خلقها الله للرؤية؛ لنرى بها الأشياء، فالعين للرؤية، ومكانها الذي يحقق لها السلامة في المحجر الذي تسكن فيه.

والدماغ مكان العلوم في الجمجمة، محفوظ في هذا العظم المستدير، والنخاع الشوكي في العمود الفقري الذي يحفظ توازن الإنسان، والقلب في القفص الصدري، خلقه الله ﷻ.

قال ﷺ: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**» متفق عليه(١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) واللفظ له، ومسلم برقم (١٥٩٩).

هذا القلب موضوعٌ في مكان يحقق سلامة وجوده، ويؤدي الوظيفة في هذا المكان، والرحم موضوع في مكان الحوض؛ ليسلم الجنين في بطن أمه، ومعامل كريات الدم الحمراء في نقي العظام، في المخ الذي في داخل العظام، هذه الملايين التي تخلق في كل ثانية، موجودة في نقي العظام.

وكذا اللسان موضوعٌ في الفم، وعليه سوران عظيمان، سور من العظام وهو الأسنان، وصور من اللحم وهو الشفتين:﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[النمل/ ٨٨].

خلق الحبة، وخلق فيها الأشجار الطويلة العظيمة، هذه الحبة الصغيرة فيها مخلوقات عجيبة.

خلق سبحانه الجبال وجعلها رحماً للمعادن: الذهب، الفضة، الحديد، المنجنيز، الألمونيوم، النحاس، الرصاص، وغيرها:﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾[لقمان: ١١].

فالله ﷻ خلق المخلوقات وجعلها في أماكن يحقق لها سلامة وجودها، والغاية من خلقها.

فالمعادن مودعات في خزائن الله، وضعها الله ﷻ في هذه الجبال، وفي الجبال أكثر من مائة معدن، منها: الحديد، ومنها النحاس، والذهب والفضة، وغيرها من المعادن المختلفة، من الذي خلقها؟ ولأي شيء خلقها؟ خلقها الله، لأنه ملك يخلق ما يشاء وهذه المخلوقات تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته:﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾[الجمعة: ١].

فالملك العظيم تسبح له مخلوقاته العظيمة الكثيرة، الصغيرة والكبيرة، من العرش العظيم، إلى الكرسي الكريم، إلى السموات السبع،والأراضين السبع، ومن فيهن من المخلوقات المختلفة، والذرات:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء: ٤٤].

فالنظر والتدبر والتفكر في الأنفس والآفاق، يجعل الإنسان يقف ذليلًا أمام عظمة الخالق وكبريائه، وعظمة ملكه وسلطانه، كلما نظر الإنسان في الكون ازداد إيمانه، وكلما

ازداد إيمانه، ازدادت أعماله الصالحة.

فالنظر والتفكر في الآيات الكونية، والنظر والتفكر والتدبر في الآيات القرآنية هما سبيلا المعرفة الإيمانية: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾[يونس: ١٠١].

أمرٌ بالنظر، ليس نظر نزهة وتفرج، بل نظر اعتبار وتفكر وتدبر: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾[ق: ٦ –٨].

أيها الناس من عاش مات، ومن مات فات، وكلما هو آت آت، إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، آيات محكمات، ومطر ونبات، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وليل داج، وسماء ذات أبراج،أيها الناس مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون؟! أرضوا فأقاموا، أم تُركوا فناموا.

فالنظر والتدبر هو سبيل الإيمان، يجعل الإنسان يصل من المخلوقات إلى الخالق؛ فيعبده بما شرعه على لسان رسوله ﷺ،ويجعله يتجاوز الدنيا إلى الآخرة، يجعله يتجاوز الأموال والأشياء وقضاء الأوقات في الاستكثار منها، إلى الاستكثار من الإيمان والأعمال الصالحة، فيزيد إيمانه في كل يوم، وتزيد أعماله في كل يوم، وتتحسن أعماله في كل يوم؛ والله يحب المحسنين: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾[يونس: ٢٦].

فإحسان العمل مطلوب، وتوجيه العبادة إلى الواحد الأحد من أعظم الإحسان، وعبادة الله كأنك تراه من أعظم الإحسان.

الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإذا رأيته ببصيرتك لم تعصه، فإن لم تستطع هذه الدرجة فعلى الأقل اعلم أنه يراك.

**فالإحسان في عبادة الله درجتان:**

**الأولى:**اعبده بالرغبة؛ فتراه بقلبك وبصيرتك رباً خالقاً ورازقا، وغنياً وكريما، وغفوراً ورحيماً، وعفواً وحليماً، ولطيفاً ومحسناً، وهذه أكمل الدرجتين.

**الثانية:**أعبده بالخوف، فتراه ملكاً عظيماً، قاهراً جبار، قوياً عزيزاً، وهذه دون الأولى.

- **والعبد بين يدي ربه له خمس حالات:**

**الأولى:** طاعات يؤديها.

**الثانية:** معاصي يتجنبها.

**الثالثة:** نعم يشكر الله عليها.

**الرابعة:** ابتلاءات يصبر عليها.

**الخامسة:** ذنوبٌ يستغفر الله منها، وكل هذه عبادة بين العبد وربه.

فيجد العبد اللذة إذا امتثل أوامر الكبير؛ لأن الله هو الكبير جل جلاله، وأمره كبير، فأنا لابد أن أطيعه، لأن طاعتي له ثمرتها راجعة إلي؛ فالله يرضى عني، ويجعلني أسعد الناس في الدنيا، ويوم القيامة أكون بالقرب منه في مقعد صدق عند مليك مقتدر: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧١].

ومعاصي أجتنبها، استحي من ربي إن أسكن في ملكه، وآكل من نعمه، وأعصيه بنعمه.

فالعبد حقًا، يفعل الطاعات، ويجتنب المعاصي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر: ٧].

ونعم يشكر الله عليها: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].

وكذلك ابتلاءات يصبر عليها، فالإنسان في هذه الدنيا مبتلى، إما مبتلى بالعافية والصحة والمال، حتى ينظر الله ﷻ ماذا يفعل بهذه النعم، أو مبتلى بالفقر والجوع والمرض، هل يصبر على ما أصابه.

فالناس في ابتلاء، إما غنيٌ يُبتلى بالشكر، أو فقير يبتلى بالصبر، وكلاهما على خير: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥﴾ [إبراهيم: ٥].

فالله سبحانه هو الخالق العظيم الذي خلق الإنسان، وخلق فيه هذه الآيات العجيبة.

فسبحان من خلق الإنسان، وخلق فيه هذه الأعضاء والجوارح والعجائب، والوظائف الظاهرة والباطنة: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ

﴿رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الذاريات/ ٢٠ - ٢٢].

فالرزق في السماء، ولكنه يقسم على الناس في الأرض، ولو كان في الأرض؛ لتقاتل الناس عليه.

النظر والتفكر والتدبر في الأنفس والآفاق، يجعل الإنسان يقف بين يدي ربه معظمًا له، مكبرًا له، حامدًا له محبًا له: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[فصلت: ٥٣].

- **والعبد بين يدي خلق الله له ستة أوامر:**

الإحسان إلى خلق الله، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم شرع الله، والنصيحة للمسلمين: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران: ١٠٤].

فإذ أدى العبد ما بينه وبين ربه، وأدى ما بينه وبين خلقه، فقد استكمل الإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

- **والفرق بين الخالق والبارئ والمصور:**

**أن الخالق:** خلق كل شيءٍ على غير مثال سابق، وخلق كل شيء من لا شيء.

**أما البارئ:** فهو الذي برأ كل مخلوق، وميزه عن غيره؛ ليؤدي وظيفةً من بين خلقه؛ فالأرض للإنبات، والشمس للإنارة، واللسان للكلام، والماء للشرب، والنار للإحراق..وهكذا: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٤].

فتدبر خلق الله، بعض أجرامه ملتهب كالشمس، التي درجة الحرارة في داخلها أكثر من عشرين مليون درجة، وفي خارجها أكثر من ستة آلاف درجة، ويخرج اللهب منها ويمتد لمسافة نصف مليون كيلو متر تقريباً: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾[الحجر: ٨٦].

فتدبر في هذا الكون العظيم ترى الآيات العجيبة؛ فبعض الأجرام ملتهب، وبعضها منطفئ، وبعض المخلوقات ساكنة، وبعضها متحركة؛ فالجبال ساكنة، والرياح متحركة،

والأنهار جارية، والبحار متلاطمة، وبعض المخلوقات حارة كالشمس، وبعضها بارد كالقمر، وبعضها جامد كالتراب، وبعضها سائل كالمياه، وبعضها رطبة، وبعضها يابسة، وبعضها ناطق، وبعضها صامت، وبعضها ذكور وبعضها إناث: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١١].

فالله عَجَّلَ خالق كل شيء، فهو عَجَّلَ الواحد القهار الذي يخلق ما يشاء حجمًا ولونًا وشكلًا ووظيفة، ولهذا استحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فكل من عبد غير الله فهو جاهل وسفيه: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر/ ٦٤- ٦٦].

اعبد الخالق، اعبد الملك، الذي له ملك السموات والأرض، وملك الرياح، وملك الجبال، وملك الأرزاق، وبيده الملك والملكوت، اعبد القوي الذي يُمسك السماء بقوته، أعبد الخالق الذي خلق كل شيء بقدرته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

اعبد الكريم الذي أرزاق جميع الخلق من عنده جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

هو الخالق البارئ الذي خلق العالم العلوي، والعالم السفلي، وخلق عالم الغيب، وعالم الشهادة، وخلق الدنيا والآخرة، وخلقك وخلق صفاتك: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

من جعل الأرض قرارًا؟ وثبت عليها كل شيء؟ وكلما علا الإنسان؛ انعدمت الجاذبية، وكلما هبط زادت الجاذبية: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل: ٦١].

وكذلك البحار مساحتها ثلاثة أرباع الأرض تقريباً، وذلك ليكون سطح الماء أوسع فيتبخر منه الماء إلى الأرض اليابسة ويُسقيها، فمن خلق هذا وهذا؟ هو الذي خلق كل شيء جل جلاله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: ١٤].

من خلق الرياح وسيرها في الكون؟: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: ٥٧].

- **الرياح خلق عظيم من خلق الله وهي ثمان:**

أربع في البر .. وأربع في البحر.

من خلق هذه الرياح؟ من سخر للسحب هذه الرياح؟.

- **سخر الله للسحب ثمان رياح:**

رياح تثيره، ورياح تسيره .. ورياح تقله .. ورياح تجمعه .. ورياح تسوقه .. ورياح تؤلف بينه .. ورياح تلقحه .. ورياح تفرقه إذا نزل على الأرض: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الروم: ٤٨].

فأوسع باب وأيسره نعرف به الواحد الأحد، هو باب النظر والتدبر والتفكر: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية/ ١٧- ٢١].

فمن هذا خلقه، ومن هذا ملكه، ومن هذه قدرته، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

# التعبد لله ﷻ باسمه البارئ

الله ﷻ خلق هذا الإنسان، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، لأنه يريد أن يرفعه إلى أعلى الدرجات؛ ليتحلى بالصفات والأخلاق العالية، يعلو عن الحيوان، بالصفات الملكية التي يحبها الله ﷻ، يأتي إلى ربه بمزاج سمعنا وأطعنا؛ فيسمع لكلامه، ويطيع أمره في الدنيا؛ ليسعد يوم القيامة بالقرب منه، ورضوان الله عنه:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[البينة: ٧ – ٨].

فاعلم أيها العبد المسلم أنك خلق من الخلق الذي يوحد ربه ويسبح بحمده في كل حين، فوحد ربك مع الموحدين، وسبح بحمده مع المسبحين:﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾[الجمعة/ ١].

فسبح باسم ربك العظيم، وسبح اسم ربك الأعلى:﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾[النصر/ ٣].

إذا عرفت ربك الخالق البارئ المصور؛ فحقق ذلك بالتوبة النصوح من كل منهي عنه، وابتعد عن كل منهي عنه، وارجع نفسك إلى بارئها بفعل كل مأمور به، وإيثار كل محبوب عنده، بفعل الطاعات، واجتناب المعاصي، وتقديم مراد الرب منك على مراد النفس، قدم مراد الرب وهو تقديم محبوبات الرب من الطاعات من الواجبات والمستحبات، على مراد النفس من الشهوات:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾[التحريم/ ٨].

قدم مراد الله على مراد النفس:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ

﴿مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾[آل عمران: ١٤ – ١٥].

وانظر في كل لحظة إلى ربك يخلق ويبرأ المخلوقات ويوجدها من عدم، كم يخلق كل يوم من مليارات النباتات في هذه الصحاري الواسعة، كم مليارات المخلوقات التي يبرأها الله ﷻ في البحار، كم مليارات المخلوقات الطائرة في الفضاء، كم مليارات المخلوقات التي تدب على وجه الأرض.

انظر وتدبر فكلما نظرت وتدبرت ازداد إيمانك، وكلما زاد علمك بربك زاد إيمانك به؛ وزاد خوفك منه، وزاد حبك له، وزاد تعظيمك له، وحسنت عبادتك له:﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر: ٢٨].

وذكر نفسك كل يوم بأخذ ربك الميثاق عليها عند أول خلقها؛ فقد شهدت هذا المشهد العظيم، وأقررت لربك مع من أقر بالإيمان:﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ﴾[الأعراف: ١٧٢].

فذكر نفسك بأخذ ربك الميثاق عليها عند أول خلقها، وما أعطته من العهود في بدء أمرها، وذكرها بنعماء بارئها عليها، فالله خلقها، وخلق جميع المخلوقات، وسخرها لها:﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾[لقمان: ٢٠].

وذكرها بنعماء ربها عليها، كيف سواها في أحسن تقويم، وفطرها على الدين القيم، وذكرها بالملك الغفور الرحيم؛ لعلها تؤوب إلى ربها، وتسير إلى ما فيه رشدها:﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤٠﴾[المائدة/ ٣٩- ٤٠].

وليكن لك في كل يوم ذكر جديد، ودعاء جديد، وتسبيح جديد، وإحسان جديد،

وعمل صالح جديد، وتوبة جديدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١ - ٤٣].

وكن بريئاً سليماً من الأقوال السيئة، والأعمال السيئة، والأخلاق السيئة، وتجمل بأحسن الأقوال والأعمال، والأخلاق والآداب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

واعلم رحمك الله؛ أن سبيل فلاح النفس في الإسلام يكون بترك هواها، والأخذ بها إلى مراد بارئها وحملها على المسارعة إلى فعل الخيرات طوعًا وكرهًا حتى يصير ذلك منها عادةً لها: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد/ ٢١].

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٤].

وكن من خير البرية، واعمل بأعمال خير البرية، ابتداءً بالأنبياء والرسل، خاصةً سيدهم محمد ﷺ، فمن عمل بأعمال خير البرية؛ جمعه الله ﷻ بخير البرية يوم القيامة، وهم المؤمنون في الجنة، وبخير البرية وهم الأنبياء والرسل، وبرب البرية وهو الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤ - ٥٥].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وحينئذ يستقيم لك أمر نفسك، فتحييا بمراد بارئها، ويموت مرادها، ومن فعل ذلك أعانه الله وتاب عليه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام/ ٥٤].

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: ٤٣].

﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

والحمد لله رب العالمين، على ما أنعم علينا بنعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، ونسأله المزيد من فضله جل جلاله.

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ملء السماء وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، على نعمك التي لا تُعد ولا تُحصى، هديتنا للإسلام وجعلتنا من خير أمةً أخرجت للناس.

والحمد لله الأول قبل كل شيء، الآخر بعد كل شيء، الظاهر فوق كل شيء، الباطن دون كل شيء، الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، الآخر بلا آخر يكون بعده.

الحمد لله الذي خلق الخلق بقدرته ابتداءً على غير مثال سابق، وجعلهم في قبضته أحياءً وأمواتًا، وجعل لكل روح منهم قوتًا معلومًا، ورزقًا مقسومًا، ثم ضرب له في الحياة أجلًا محدودًا، ونصب له أمدًا معلومًا، يخطوا إليه بأيام عمره، حتى إذا بلغ أقصى أثره، واستوعب حساب عمره، قبضه الله إليه ثم ساقه إلى ما ندبه إليه من عظيم ثوابه أو شديد عقابه، عدلًا منه وإحسانًا: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم/ ٣١].

والحمد لله الذي عرفنا بنفسه وأسمائه وصفاته وآلائه، وفتح لنا أبواب العلم بربوبيته،

وألوهيته، وأعاننا على ذكره وشكره وحُسن عبادته، وهدانا إلى الإخلاص له بتوحيده، وعصمنا من الإلحاد والشك في أمره.

والحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخلق، فخلقنا في أحسن تقويم، وأجرى علينا طيبات الرزق، وسخر لنا ما في السموات وما في الأرض، فكل المخلوقات منقادة لنا بقدرته، وصائرة إلى طاعتنا بعزته.

والحمد لله الذي أغلق عنا باب الحاجة إلا إليه، وركب فينا أعضاء البسط والقبض، وخلق فينا جوارح الأعمال، وغذانا بطيبات الرزق، ثم أمرنا ونهانا ليختبر طاعتنا، وابتلانا بالسراء والضراء ليختبر صبرنا وشكرنا، ثم خالفنا أمره وركبنا متون زجره، فلم يعاجلنا بالعقوبة بل أكرمنا بواسع رحمته، وشملنا بحلمه وعفوه، وانتظر توبتنا ورجعتنا إليه برأفته.

والحمد لله الذي فتح لنا أبواب فضله، وفتح لنا أبواب رحمته، وفتح لنا أبواب جنته، والحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام، وأرسل إلينا سيد الأنام، ووضع عنا ما لا طاقة لنا به، ولم يكلف أنفسنا إلا وسعها، والحمد لله بكل ما حمده به خلقه، وأقرب ملائكته إليه، وأكرم خليقته عليه، وأرضى حامديه لديه، حمدًا يفضل سائر الحمد.

والحمد لله الذي مَن علينا ببعثة محمدٍ ﷺ دون الأمم الماضية، فأدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

والحمد لله الذي خلق السموات والأرض وأمسكهما بقدرته، ورفع السماء بقوته، وأدحى الأرض بمشيئته، وملأ الكون برحمته ونعمه.

والحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته، وميز بينهما بقدرته، وجعل لكل واحدٍ منهما حدًا محدودًا، وأمدًا ممدودًا، ونفعًا معلومًا.

والحمد لله عدد ما خلق في الأرض والسماء، وعدد ما علا في الهواء، وعدد ما كَن تحت الثراء، ليس لنا من الأمر إلا ما قضيت، ولا من الخير إلا ما أعطيت.

اللهم يا كريم يا رحمن ارحم وجوهًا خرت لعظمتك ساجدة، وألسنةً نطقت بتوحيدك وذكرك، ولهجت بحمدك وشكرك، وقلوبًا ذلت لعز ربوبيتك وألوهيتك خاشعة، وعقولًا تصاغرت لكبريائك خائفة، وعيونًا من خشيتك باكية، وجوارحًا سعت إلى أماكن عبادتك طائعة، يا واسع الرحمة، يا سريع الرضا.

اللهم إنا نسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، وبقوتك التي قهرت بها كل شيء، وبعزتك التي لا يقوم لها شيء، وبعظمتك التي ذل لها كل شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء، أن تنصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

## إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# اسـم الله

# المصور

# اسم الله المصور

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

والإنسان الله ﷻ خلقه في أحسن تقويم، وأعطاه هذا اللسان.

- **وهذا اللسان عبوديته في أمرين:**

**الأول**: الكلام عن الله بالدعوة إلى الله.

**الثاني**: الكلام معه بذكره ودعائه وعبادته.

فالكلام معه هو العبادة، نقول: سبحان الله، والحمد لله، اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى.

أما الكلام عنه: فهو أن نتكلم عنه بأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده؛ ليزيد الإيمان في القلب فنقول: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص/ ١- ٤].

ونقول: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢- ٢٤].

فعبودية اللسان في الكلام مع الله، والكلام عنه، الكلام معه هو العبادة، والكلام عنه هو الدعوة: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

والله سبحانه أراد أن يُعرف؛ فخلق هذا الكون العظيم، وجعله مكانًا لأوامره الملكية، وأوامره الشرعية، وأوامره الجزائية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا علمتم أن الله عليمٌ بكل شيء، قادر على كل شيء، محيط بكل شيء، غني عن كل

أحد، قادر على كل أحد، قاهر لكل أحد،آمنتم به، وعبدتموه وحده لا شريك له.

هو الملك وحده لا شريك له، له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله ما بين السماوات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض؛ وله مقاليد السماوات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض.

والكل خلقه، والكل عبيده يسبح بحمده:﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾[التغابن/ ١].

والملك الذي هذا ملكه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له:﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣)﴾[فاطر: ١٣].

فالله سبحانه عرفنا بأسمائه وصفاته؛ لأنه بمعرفة هذه الأسماء والصفات يكون حُسن العبادة لله، وقوة التعبد لله ﷻ، وحضور القلب؛ بين يدي الله:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)﴾[محمد: ١٩].

- **وأسماء الله ﷻ من حيث معانيها تنقسم إلى أربعة أقسام:**

**الأول:** الأسماء الدالة على صفة ذاتية للرب جل جلاله.

والصفة الذاتية: هي كل صفة لا تنفك عن الله أبدًا، ولا تعلق لها بالمشيئة، ومن هذه الأسماء: الحي، القيوم، السميع، البصير، العليم، الخبير، القوي، العزيز، العلي، الكبير، فهذه الأسماء وأمثالها صفات ذاتية للرب لا تنفك عنه أبدًا:﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)﴾[غافر: ٦٥].

**الثاني:** الأسماء الدالة على صفة فعلية للرب جل جلاله.

والصفة الفعلية: هي كل صفة تتعلق بالمشيئة؛ إن شاء الله فعلها، وإن شاء لم يفعلها، ومن هذه الأسماء: الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، التواب، العفو، الغفور، الرحيم، وأمثالها، فهذه صفات فعلية، إن شاء الله فعلها، وإن شاء لم يفعلها؛ فهو يخلق ما يشاء، في أي وقتٍ شاء، لأي مخلوقٍ شاء، ويصور ما شاء،في أي وقت شاء.

فالخالق سبحانه يخلق إذا شاء، ويُكرم إذا شاء، ويرزق من يشاء، ويتوب على من يشاء، ويرحم من يشاء، ويغفر لمن يشاء:﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ

﴿يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٤﴾[الفتح/ ١٤].
فهذه الصفات الفعلية يفعلها الله إذا شاء، ولا يفعلها إذا شاء.
أما الصفات الذاتية، والأسماء الذاتية؛ فهي أسماء لازمة لا تنفك عن الله ﷻ، كالسميع، والبصير، و العليم، والخبير وأمثالها.
**الثالث:** الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب جل جلاله.
ومن هذه الأسماء: القدوس، والسلام، السبوح،وأمثالها؛ فهو سبحانه الملك السلام من كل نقص، وعيب، وآفة، القدوس السبوح المنزه عن جميع النقائص والعيوب، المنزه عن كل ما ينافي صفات كماله وجماله، المنزه عن الضد والند والكفء والمثيل: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى/ ١١].
**الرابع:** الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة حسنى للرب ﷻ.
ومن هذه الأسماء العظيمة: اسم الله العظيم، الحميد، المجيد، الملك، الصمد، وأمثالها من الأسماء الحسنى؛ فالعظيم من له كمال العظمة في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ومُلكه، وسلطانه، والحميد يدل على كثرة حمده، وكثرة الحامدين له، وكثرة ما يُحمد عليه.
والمجيد يدل على عظمة صفاته وكثرتها وسعتها، وعلى عظمة مُلكه وسلطانه وتفرده بالجلال والجمال والكمال، والمجد والسؤدد والشرف، فهو جل جلاله ملك عظيم، فلا بد من معرفة الملك الذي نعبد، ونعرف أسماءه وصفاته ؛حتى نعبده بموجب هذه الأسماء والصفات:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف: ١٨٠].

- **وقد خلق الله في كل إنسان ثلاث أواني:**

**الأولى:** آنية المعلومات.
**الثانية:** آنية الإيمانيات.
**الثالثة:** آنية المطعومات والمشروبات.
فآنية المطعومات والمشروبات هي المعدة التي نشترك فيها مع الحيوانات، يشترك فيها

الإنسان مع الحيوان، فالله ﷻ جعل الأكل والشرب سبباً لبقاء الحياة في الإنسان والحيوان.

وآنية المعلومات وهي العقول التي يشترك فيها المسلم والكافر، كلٌ يتعلم أنواع العلوم من علوم التجارة، والصناعة، والزراعة، وعلوم الدين المختلفة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[الإسراء: ٨٥].

وآنية الإيمانيات هي القلوب، وهذا الإناء يُملأ بالإيمانيات، والإيمانيات هي أركان الإيمان الستة، تملأ القلب إيمانًا فيعرف العبد ربه، ثم يكبره ويعظمه، ويعرف نعمه وإحسانه، ثم يحبه ويشكره.

وهذه المعارف تملأ القلب إيمانًا، والقلب يحرك الجوارح بالطاعة، ويزين الإنسان بالأخلاق العالية، فإذا هو يتصف بالصفات التي يحبها الله من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

وبهذه المعارف العظيمة يترقى الإنسان إلى أن يكون قوله كقول الأنبياء، وأعماله كأعمال الأنبياء، وأخلاقه كأخلاق الأنبياء: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب: ٢١].

فهذه المعارف القلبية هي أهم شيء في الحياة، أهم شيء يميز الإنسان عن غيره من الكفار والحيوانات والبهائم؛ هو الإيمانيات التي تربطه بالمؤمن الذي خلقه، فيعرف ربه فيأنس به، ويستوحش من غيره، يعرف ربه بأسمائه وصفاته فيتعلق به، ولا يلتفت لأحد سواه، يعرف ربه جل جلاله بأسمائه وصفاته، فيعبده وحده لا شريك له؛ لأنه قاضي الحاجات، ومجيب الدعوات، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء، القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢].

هذا هو الرب الذي نعبد، وإذا عرفنا أحببناه، وعظمناه، وتوجهنا إليه بقلوبنا، وحركنا

جوارحنا بطاعته، وأشغلنا ألسنتنا بذكره وشكره ودعائه جل جلاله.

والله ﷻ هو الخالق البارئ المصور، الله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه أولًا، ثم نعبده بموجب هذه المعرفة، ونعبده تعظيمًا لجلاله وجماله،لأنه أهل أن يحمد، وأن يعبد، وهو كريم يعطي من آمن به وأطاعه الأمن والطمأنينة في الدنيا، وفي الآخرة يعطيه الجنة، ويرضى عنه ويُكرمه:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل: ٩٧].

الله سبحانه هو الخالق البارئ المصور، الذي صور جميع المخلوقات، والقلب آنية الإيمان، لابد أن يسمع القلب كلام الإيمان عن طريق الأذن، فالمتكلم يتكلم بلسانه، وهو أول ما يخاطب قلبه، فاللسان يقول للقلب: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فنحن نخاطب القلوب؛ لتعرف أن الله أكبر، وأنه الخالق، وأنه الرازق، وأنه القادر، وأنه الهادي، وأنه الغفور، وأنه الرحيم؛حتى تتعلق القلوب بالله وحده لا شريك له:﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧].

وعبادتنا لله ﷻ قوتها، ودوامها، وحلاوتها تكون بعد المعرفة التامة لله بأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨].

- **فمغذيات القلوب التي تملأ القلب بالإيمان هي:**

أن نعرف الله .. ونعرف أسماءه .. وصفاته .. وأفعاله ..وخزائنه .. ووعده .. ووعيده .. ونعرف ملائكته .. وكتبه .. ورسله .. واليوم الآخر .. والقدر خيره وشره:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء: ١٣٦].

بهذه الأمور العظيمة يمتلئ القلب إيمانًا فيزداد حبه لله، وتعظيمه لله، وتكبيره لله ﷻ، وذكره لله، وطاعته لله، وعبادته لله، واستغفاره لله:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

فالله سبحانه بين لنا أسماءه وصفاته؛ ؛حتى نتعلق به وحده، ونعرف أنه واحدٌ في ذاته، واحدٌ في أسمائه، واحدٌ في صفاته، واحدٌ في أفعاله:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١- ٤].

هو الواحد الأحد، هو الرزاق الذي ليس كمثله أحدٌ في الرزق، هو المصور الذي ليس كمثله أحدٌ في التصوير:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

فهو سبحانه الخالق البارئ المصور، الذي صور جميع المخلوقات والموجودات كيف شاء، وصور كل صورة على غير مثالٍ سابق، بل على الصورة التي يريد، والصفة التي يختار:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾[الأنعام/ ١٠١].

هو سبحانه المصور الذي صور خلقه بأشكال وهيئات توافق تقديره، وعلمه، ورحمته، وحكمته، وتناسب مصالح الخلق ومنافعهم:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر/ ٢٤].

فسبحان الرب الخالق الذي قدر كل شيء قبل إيجاده، على مقتضى حكمته البالغة، البارئ الذي أبرأ ما قدره فأوجده من العدم، المصور الذي شكل كل موجود على الصورة التي أوجده عليها؛ لتميزه على غيره؛ فهذه شمس، وهذا قمر، وهذه سماء، وهذه أرض، وهذا جبل، وهذا بحر، وهذا إنسان، وهذا حيوان؛ خلقه وقدره، ثم أظهره من العدم إلى الوجود بالبرء، ثم صوره بالصورة التي تدل على حُسن المصور، وتميز هذه الصورة عن الصورة الأخرى من المخلوقات:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾[آل عمران: ٦].

واسم الله المصور نطق به القرآن اسمًا:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٤].

وتكرر في القرآن فعلًا:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾[الأعراف/ ١١].

والمصور من أسماء الأفعال المتعلقة بمشيئة الله، إن شاء صور وإن شاء لم يصور، إن شاء

خلق وإن شاء لم يخلق، إن شاء رزق وإن شاء لم يرزق.

فالله ﷻ في أقل من ثانية يصور مليارات الصور من المخلوقات، بأمره الملكي: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢].

ينزل المطر على الأرض؛ فتُنبت من كل زوج بهيج مليارات من صور النباتات المختلفة اللون والحجم والطول والقصر: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥ – ٧].

وهو سبحانه القادر الحكيم الذي صور خلقه على صور مختلفة؛ وصورهم فأحسن صورهم وأتقن صنعهم: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل/ ٨٨].

هو سبحانه المصور الذي صور جميع المخلوقات بأنواع الصور الجليلة والجميلة، الظاهرة والخفية، الحسية والمعنوية، الكبيرة والصغيرة، فلا إله إلا الله الخالق الذي قدر كل شيء بعلمه وحكمته، البارئ الذي أظهر كل موجود من العدم، المصور الذي شكل كل موجود بصورة تميزه عن غيره، وتدل على كمال قدرة من خلقه وصوره: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

فالله سبحانه يقدر الأشياء في علمه أولًا، ثم يُخرج مقدوره من العدم إلى الوجود، ثم يصوره بصورة تميزه عن غيره، بيانًا لقدرته ﷻ وتمييزًا لهذه المخلوقات بعضها عن بعض.

فسبحان المصور الذي صور كل صورة، وأبدع كل موجود، بصور عظيمة مختلفة، لا يُحصيها إلا الله، ولا يعلم عددها إلا الله، لا يشبه بعضها بعضًا.

في عالم الجماد صور مختلفة متنوعة متكررة، وفي عالم النبات صورٌ مختلفة متنوعة متكررة، وفي عالم الحيوان صور مختلفة متنوعة متكررة، وفي عالم الإنس صور مختلفة متنوعة متكررة، وفي عالم الملائكة مثل ذلك، وفي عالم الجن مثل ذلك: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

﴿بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾[التغابن/ ٣].

فما أعظم خلقه وتصويره لمخلوقاته: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر: ٢٧ – ٢٨].

والله سبحانه وزع الحظوظ على الناس، فالجمال حظ، وحُسن الصورة حظ، والجاه حظ، والذكاء حظ، والغنى حظ، هذه كلها نعم الله ﷻ أعطاها للبشر، وكل هذه الحظوظ امتحانٌ وابتلاء في الدنيا، لينظر الله ﷻ من يستعملها في طاعته، ومن يستعملها في معصيته، ومن يشكر الله عليها، ومن يجحدها ويكفرها.

وسوف يكون الحساب والجزاء يوم القيامة على استعمال هذه الحظوظ في طاعة الله أو معصيته: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾[العنكبوت/ ٢ – ٣].

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾[الأنبياء/ ٣٥].

والحظوظ يوزعها الله في الدنيا توزيع ابتلاء، ثم يوزعها يوم القيامة توزيع جزاء: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١﴾[الإسراء/ ٢١].

فهذه النعم التي منَّ الله ﷻ علينا بها، وهذه الصور، وهذه الحظوظ كلها امتحان وابتلاء من ربنا ﷻ، أعطانا الله ﷻ إياها لنستعملها في طاعته؛ فمن صرفها في طاعته، أكرمه الله ﷻ بحُسن الصورة يوم القيامة، وحُسن الصور في جنات النعيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وزاد حُسنه وجمال صورته يوم القيامة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾[يونس: ٢٦].

ومن استعملها في معصية الله، زاد قبحه في الدنيا، وساء عذابه يوم القيامة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾[يونس: ٢٧].

والله سبحانه هو الخالق البارئ المصور الذي خلق آدم ﷺ على صورته؛ فالله سميع

وأعطى آدم السمع، والله بصير وأعطى آدم البصر، والله قوي وأعطى آدم القوة، والله عليم وعلم آدم من علمه.

قال ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**» متفق عليه[1].

فلله أسماء وصفات تليق بجلاله، وللإنسان أسماء وصفات تليق به على شاكلة العبودية، فالله قوي ولا بداية ولا نهاية، ولا أول ولا آخر لقوته، وعنده خزائن القوة.

فهو قوي؛ هو الذي أعطاني صفة القوة، وقوتي محدودة وقوة الله مطلقة، قوتي نعمة من نعم الله ﷻ، وقوة الله صفة ذاتية له، فله القوة جميعًا، وله العزة جميعًا، وله الكبرياء في السموات والأرض: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

فالله ﷻ خلق آدم بيده، وأعطاه من الصفات التي تليق به على شاكلة العبودية، وأعطاه من الأسماء والصفات، ورغبه فيها، وهي الأسماء والصفات التي يحبها جل جلاله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].

فنتصف بالصفات التي يحبها الله، فالله يحب المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات، الله يحب التوابين، يحب المحسنين، ولكرامة الإنسان على ربه وهبه من صفاته ، وتجلى بها عليه، فالله يريد ويشاء ويختار، وقد وهب الله الإنسان من ذلك على ما يليق به، فالإنسان يريد ويشاء ويختار: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير/ ٢٨-٢٩].

والله يحب ويُبغض، ويعطي ويمنع، ويكرم ويهين، ويبسط ويقبض، وقد وهب الإنسان من ذلك على ما يليق به، والله فرد لا مثيل له، وقد جعل الإنسان فردًا لا شبيه له من المخلوقات، والله بديع وجعل الإنسان يبدع في الأشياء على ما يليق به، ولكن على شاكلة العبودية، والله مصور وأقدرك على التصوير على ما يليق بك، فإذا صنعت شيئًا فاصنعه بصورة حسنة، وصنعة متقنة، فإحسان الصنعة من الدين؛ فإن الله يحب العبد إذا عمل عملًا أن يتقنه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦١٢).

- **والصور نوعان:**

**أحدهما:** محسوس مشاهد يدركه الخاصة والعامة، ويدركه الإنسان وكثير من الحيوان كصورة الشمس والقمر، والسماء والأرض، والإنسان والحيوان، والماء والشجر.

**الثاني:** معقول يدركه الخاصة دون العامة كالصور والحظوظ التي اختص بها الإنسان من العقل والذكاء، والأخلاق، ونحوها من الصفات.

والله سبحانه هو المصور الذي صور جميع المخلوقات بأنواع الصور الظاهرة والباطنة والحسية والعقلية؛ فلكل مخلوق صورته، ولكل صنعته، ولكل شكله، ولكل حجمه، ولكل وزنه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر/ ٦٢].

فالله أكبر! ما أعظم الله! وما أعظم خلقه! وما أعظم تدبيره! وما أعظم تصويره! فسبحان الخالق البارئ المصور الذي أبدع صور المخلوقات وزينها بحكمته، وأعطى كل مخلوق صورته، على مقتضى مشيئته وحكمه.

والله سبحانه كما صور الأبدان فتعددت وتنوعت؛ كذلك نوع الأخلاق فتعددت وتنوعت صور الأخلاق في الإنسان والحيوان، وأعظم تكريم للإنسان من ربه، أنه خلقه على صورته، أسماء وصفات؛ ليستخلفه في الأرض.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا**» متفق عليه[1].

فالله خلق آدم وصوره، وجعل له سمعًا وبصرًا، وعلمًا وحُكمًا، وخلافةً وملكًا، وغير ذلك من الأوصاف المشتركة التي يصح إطلاقها على الخالق والمخلوق، ولكلٍ ما يليق به، فالله له سمع، والإنسان له سمع، وسمع الإنسان مخلوق محدود، لكن سمع الله ﷻ ذاتي ومطلق، وسمعنا نعلمه، لكن سمع الله لا نعلم كيفيته، لكن نثبته لله، فكما لا نعلم كيفية ذاته جل جلاله، كذلك لا نعلم كيفية صفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

هو السميع الذي ليس كمثله أحدٌ في السمع، هو البصير الذي ليس كمثله شيءٌ في البصر، وهكذا نقول في جميع الأسماء والصفات.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦١٢).

والله له صورة، وآدم له صورة، فصورة الحق سبحانه لا يعلمها إلا هو، أما صورة آدم فنعلمها؛ وهكذا في بقية الأسماء والصفات: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص/ ١- ٤].

والله جل جلاله هو الخالق القادر على كل شيء، وصور خلقه على صور مختلفة، وهيئات متباينة، من الكبر والصغر، والطول والقصر، والحُسن والقبح، والرطوبة واليبوسة، والذكورة والأنوثة، والحرارة والبرودة، ذلك لأنه هو الخالق البارئ المصور؛ فهو يستحق من أجل ذلك العبادة والطاعة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢- ١٠٣].

وخلق الله وتصويره عظيم محكم، فلا يستطيع مخلوق أن يخلق أو يصور مثله، فضلًا أن يخلق أفضل منه: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١﴾ [لقمان/ ١١].

فكل ما تراه في الكون: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝٨٨﴾ [النمل/ ٨٨].

فما دام هو الخالق وحده؛ فيجب أن نعبده وحده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

أحوالنا بيده، أمورنا بيده، حياتنا بيده، قوتنا بيده، عزنا بيده؛ فلا بد أن نعبده وحده، وعبادة الله هي طاعته فيما أمر ونهى، العبادة بمعناها العام هي طاعة العابد لمعبوده فيما أمر به أو نهى عنه مع الحب الكامل، والتعظيم الكامل والذل الكامل له ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣].

فالله سبحانه يريد منا أن نتعرف على أسمائه وصفاته كي نعبده بمقتضى هذه الأسماء والصفات، عبادة إنسان يشاهد ربه.

فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، أعبده كأنك تراه خالقًا حيًا، قيومًا رزاقًا، ملكًا قويًا، قادرًا قاهرًا، لطيفًا رحيمًا، غفورًا توبًا، شهيدا حكيمًا؛ سميعاً بصيرا تعبد الله كأنك تراه، فأنت تحتاج إليه في قوتك، وفي حياتك، وفي رزقك،

وفي هدايتك، فتقف بين يديه مكبرًا له، حامدًا له، سائلًا له، مستغفرًا له، وفي النهاية تقدم له التحية فتقول في أعظم اتصال بينك وبينه في الصلاة: "التحيات لله والصلوات والطيبات.

فالله ﷻ يريد منا أن تتغذى قلوبنا بمعرفته، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

والأصل الدعوة إلى الله، أن نعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، فنكبره ونعظمه، ثم نستجيب لأمره، ونعرف وعده ووعيده؛ حتى يكون هذا محركاً لنا للطاعات، وزاجر لنا عن المعاصي: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

الله ﷻ هو الخالق البارئ المصور، الذي خلق الخلق وصورهم على صور مختلفة، وهيئات مختلفة من الحسن والجمال، والشكل واللون، والطول والقصر: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[غافر/ ٦٤].

الإنسان له بصر يدرك به المحسوسات، وله بصيرة يعرف بها خالق هذه المخلوقات، فالبصيرة ترى المصور، والبصر يرى الصور، والصور وسيلة لمعرفة المصور، فالخلق يدل على الخالق، والصور تدل على المصور، والمؤمن يتجاوز المخلوقات إلى الخالق، ويتجاوز الصور إلى المصور؛ فيكبره ويعظمه، ويحبه ويحمده، ويتعرف على ما يحبه ويرضاه حتى يعمل به، ويتعرف على ما يُسخطه ويغضبه؛ فيجتنبه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

فكل مخلوق خلقه الله وميزه بصورة خاصة، تميزه عن غيره من المخلوقات، فالله قادر على خلق الخلائق بصور وألوان وأشكال مختلفة، وقد فعل جل جلاله، فالبشرية الآن أكثر من سبعة آلاف مليون، كل واحد لا يشبه الآخر؛ كل واحد له طبعة خاصة، وصورة خاصة، ورائحة خاصة، وصوت خاص، ولون خاص: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

وكذا في عالم النبات، النباتات أكثر من أربعين مليون صنف، وكل صنف تحته أجناس

وأمم وقبائل، ولكل نبتة من أربعين مليونًا صورة خاصة، وطبعة خاصة، وشكل خاص، وحجم خاص، وثمرة خاصة: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ٥﴾[الحج: ٥].

وكذلك في عالم الجماد وفي عالم الحيوان، مليارات المخلوقات، حيوانات في البر، وحيوانات في الجو، وحيوانات في البحر، ولكل حيوان، ولكل طير، ولكل سمكة، شكل خاص، وصورة خاصة، وحجم خاص: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر: ٢٧ - ٢٨].

فسبحان الخلاق العليم،الذي يخلق ويصور ويحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويبسط ويقبض، ويعز ويذل: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢].

هو الخالق البارئ المصور، يختار الصورة التي يريد، للمخلوق الذي يريد، بالحجم الذي يريد.

هو الله الخالق البارئ المصور جل جلاله، فكل مخلوق ميزه القادر الحكيم بصورة خاصة تميزه عن غيره من المخلوقات، فلكل مخلوق من المخلوقات طبعة خاصة، وصورة مستقلة: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٠٦﴾[البقرة/ ١٠٦].

هو سبحانه المصور الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن؛ فيكون على الصورة التي يختار، والشكل الذي يريد، والحجم الذي يشاء، في أحسن صورة، وأتقن صنع: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ٧﴾[السجدة/ ٦ - ٧].

فلا إله إلا الله، وسبحان الخالق البارئ المصور، الذي خلق السموات والأرض وما فيها وما عليها، وما فوقها، وما تحتها؛ وما بينها فأحسن خلقها، وخلق الإنسان في أحسن صورة، وأكمل هيئة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التغابن/ ٢ - ٣].

وسبحان المصور الذي خلق الأشياء، ثم صورها على شكل تتميز به عن غيرها من تقدير، وتخطيط، وحجم، ولون، وتركيب، من أجل ذلك يستحق ربنا ﷻ أن نكبره، وأن نمجده، وأن نحمده، وأن نشكره، وأن نمتثل أوامره، ونجتنب نواهيه، لذاته وجلاله وجماله، وإنعامه وإحسانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة/ ١٦٤].

فالعقل طاقة جبارة في الإنسان، والذكاء طاقة جبارة في الإنسان، والحب طاقة جبارة في الإنسان، والقوة طاقة جبارة في الإنسان، فيجب استعمال هذه الطاقات في معرفة الحق، والعمل بالحق، والدعوة إلى الحق، والصبر على إبلاغ هذا الحق: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١ - ٣].

عمل المسلم هو العمل بالدين، والدعوة إلى الدين، وتعليم الدين هذا هو عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فالأنبياء أعطوا الدعوة والدعاء، الدعوة والعبادة، ونحن خير أمة أُخرجت للناس، وظيفتنا وظيفة نبينا ﷺ، انتقلت منه إلينا، فلا نبي بعد النبي ﷺ، وهذه الأمة قائمة على عمل الدعوة، الدعوة إلى أي شيء؟ الدعوة إلى الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فالدعوة أصلها الدعوة إلى الله، أن نعرفه أولًا ثم نمتثل أوامره، ونمجد الله، نعظم الله؛ ونكبر الله، ونحمد الله، فالله يحب أن يسمع الكلام منا، ولذا قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾

[الإخلاص: ١ – ٤].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ

﴿إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فعبودية اللسان في الكلام عن الله، أو في الكلام معه، الكلام عنه بالدعوة إليه، وتعليم شرعه، والكلام معه بعبادته جل جلاله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

فالله سبحانه هو رب العالمين، وأحسن الخالقين، خلق كل شيء، وأبدع خلقه، وأحسن صورته، قدره أولًا، ثم أظهره ثانيًا، ثم أحسن صورته ثالثًا؛ فالله ﷻ أظهر الحسن على جميع مخلوقاته، فجميع مخلوقات الله حُسنى، وحسنة، ليس فيها قبيح، إنما هي درجات في الحسن، فحسن وأحسن، وجميل وأجمل: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾ [السجدة: ٦ – ٧].

ومن أعظم ما خلق الله العرش، والكرسي، والسموات، والأرض، ومن أعظم ما خلق الله في الأرض هذا الإنسان: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [غافر/ ٥٧].

وقد خلق الله هذا الإنسان في أحسن تقويم، ولذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات/ ٢١].

فمن أعجب ما خلق الله في الأرض هذا الإنسان؛ فقد خلقه الله ﷻ من بين المخلوقات بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وخلقه على صورته، وأحسن صورته، وأحسن تقويمه، وأقسم على ذلك فقال: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦﴾ [التين: ٤ – ٦].

فالله ﷻ خلق الإنسان في أحسن صورة، وأحسن تقويم، وأحسن فطرة؛ فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالبشر كالمعادن، الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، المعادن التي اجتهدنا عليها أخرجنا منها آلاف الصناعات، مثل الحديد، ومثل الذهب والفضة، وغيرها، كذلك هذا الإنسان إذا اجتهدنا عليه؛ جاءت فيه الصفات التي يحبها الله ﷻ من الإيمان والتوحيد، والصدق، والصبر، والكرم، والعفو والإحسان، وهكذا، فبالجهد

على البشر ينتج: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].

فلا إله إلا الله! ما أعظم أسماءه وصفاته، وما أعظم خلقه وتصويره.

فسبحان الخالق البارئ المصور، الذي يصور النبات والحيوان والإنسان في ظلمات الأرض والأرحام كيف يشاء، في أي وقت شاء في أي صورة شاء: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾ [آل عمران/ ٦].

الله ﷻ يصور هذه المخلوقات في الظلمات، النباتات تصور في ظلام الأرض، والحيوان والإنسان في بطون الأمهات.

- **فالأرحام ثلاثة:**

**الأول:** أكبر الأرحام؛ هو رحم الأم الكبرى، الأرض هي أكبر أرحام المخلوقات، أولادها جميع النباتات؛ حتى البشر خلق منها؛ فالأم في بطنها أكثر من أربعين مولوداً، تلدهم بأمر الله، إذا نزل الماء من السماء إلى الأرض؛ أنبتت من كل زوج بهيج بأمر الله ﷻ: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ [الحج: ٥].

**الثاني:** الإنسان يخلقه الله في بطن أمه في ظلمات الرحم، وكذلك الحيوانات يخلقها الله في بطون الأرحام.

**الثالث:** الكلام يخلقه الله في اللسان، فالألسنة أرحام الكلام: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢﴾ [الروم: ٢٢].

فسبحان من يخلق في الظلمات، ويصور في الظلمات، ثم يُخرج هذه الصور في أحسن صورة وأتقن صنع: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨﴾ [النمل/ ٨٨].

فلا إله إلا الله خالق كل شيء، المصور الذي يصور مخلوقاته كيف يشاء، ويحسن صورها كيف شاء، ويبدع صورها كيف شاء، ويفاوت بينها في الخلق والتصوير والحسن، عالم

الغيب والشهادة، البصير بالصغير والكبير، السميع بالسر والجهر، المصور لكل صورة في العالم العلوي، والعالم السفلي، الكريم بكل نعمة، العليم بكل ذرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ [الحديد/ ٤- ٥].

فهذا هو الخالق جل جلاله، وهذا هو المصور جل جلاله، وهذا هو الملك جل جلاله، ومَن هذه قدرته، وهذا مُلكه، وهذا خلقه، وهذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذه مخلوقاته أهلٌ أن يعظم، وأهلٌ أن يكبر، وأهل أن يحب ويعبد، وأهلٌ أن يحمد ويشكر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦- ٨].

الله يغار عليك، يريد أن تكون موحدًا مؤمنًا تقيًا؛ لتفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة، يغار عليك من الشيطان أن يأخذ سمعك، وبصرك، وعقلك، ويتصرف في مالك وحياتك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فسبحان الله ما أعظم خلقه، وما أعظم الصور التي صورها، لو ننظر إلى صورة واحدة منها وهي أنت أيها الإنسان، فقد كنت معدومًا فأوجدك الله، أوجدك بأحسن صورة، فانظر رحمك الله إلى ربك الخالق البارئ المصور، كيف خلقك في أحسن تقويم: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإنسان/ ٢٨].

كيف خلقك في أحسن تقويم، فقد خلق الله الإنسان من تراب، ثم من نطفة، ثم ركب أعضاءه بعضها فوق بعض، وقسم جل جلاله تلك القطرة السائلة، وصورها بقدرته كيف يشاء في الظلمات، فجعل المصور بعض هذه النطفة لحمًا وبعضها عظمًا، وبعضها شحمًا، وبعضها مخًا، وبعضها عصبًا، وبعضها شعرًا، وبعضها عروقًا، وبعضها جلدًا، وبعضها ظفرً، وبعضها أذناً، وبعضها عيناً، وبعضها أنفًا، وبعضها فمًا، وبعضها سنًا، وبعضها يدًا، وبعضها رجلًا، فلا إله إلا الله! كم لله من عظمة في خلق هذا الإنسان من تلك النطفة!.

ثم خلق المصور داخل الإنسان ما لا يحصيه إلا هو، من المصانع والأجهزة، كالجهاز

الهضمي، والجهاز العصبي، ومصانع التصفية، والهضم، والتحلية، والتكرير، والدفع والجذب، والتهوية، والحركة، كالقلب، والكبد، والمعدة، والعينين، والأذنين، والرئتين، والكليتين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون/ ١٣- ١٤].

فلا إله إلا الله! كم عظمة هذا الاسم العظيم، عظمة اسمه المصور، كم يملأ القلب إيمانًا، وكم يرى الإنسان من الصور المبثوثة في ملكوت السموات والأرض: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

فسبحان الله ما أتقن صنعه، وما أحسن تصويره: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦- ٨].

وخص الخالق المصور كل عضو من أعضاء الإنسان بوظيفة يؤديها، ومكان يخالف مجاوره، وجعل الكل يتعاون مع بعض في خدمة الإنسان، ويسبح بحمد ربه الرحمن.

فللعين وظيفة، وللأذن وظيفة، وللسان وظيفة، وللكبد وظيفة، وللأيدي وظيفة، وللأرجل وظيفة، وللكبد وظيفة، وللمعدة ذرةٍ في الإنسان وظيفة تؤديها، وتسبح بحمد ربها، وتشهد بوحدانيته وجلاله وجماله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤].

ثم أعد الخالق البارئ المصور تلك القطرة المصورة لمعاني صفات المخلوق، وأسمائه، وأخلاقه من عقلٍ، وعلمٍ، وقدرة، هذه النعم الباطنية، أعطى الله للإنسان العقل والعلم، والقدرة والإرادة، والكرم والحلم، والعقل والفهم، والصبر والصدق، وغيرها من الصفات المحمودة، والتي جبل الله الإنسان على حبها، ولكن الشيطان يريد أن يصرفه عنها: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: ٢٣].

- **فللإنسان مصرفان:**

مصرف للطاعة .. ومصرف للمعصية.

فالأنبياء قاموا على مصرف الطاعات أقوالًا، وأعمالًا، وأخلاقًا، والشياطين قاموا على مصرف المعاصي أقوالًا، وأعمالًا، وأخلاقًا: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان/ ١ - ٣].

فالله أعطانا أحسن شيء وهو السمع، فلنسمع به أحسن شيء وهو القرآن، والسنة، وهذا الدين الحق، ونسمع عن أسماء ربنا وأسمائه وصفاته، وأعطانا اللسان نتكلم به بأحسن شيء، وهو الثناء على ربنا ﷻ، والدعوة إلى دينه، وذكره وشكره.

والله ﷻ أعطانا البصر لنبصر به أحسن شيء، ننظر في الآيات الكونية وننظر في الآيات الشرعية؛ فالإنسان لله، وأعضاؤه لله، فلا يجوز له أن يتصرف فيها في غير ما أراد الله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٦].

فتبارك الله رب العالمين، وتبارك الله أحسن الخالقين، وتبارك الله خير الرازقين: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٢].

فالله يريد من هذا الإنسان أن يأخذ أحسن دين، ويعمل بأحسن عمل، ويقول أحسن قول، لينال يوم القيامة أحسن مقام: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الدخان/ ٥١ - ٥٢].

فما أعظم المؤمن عند ربه في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤ - ٥٥].

فلا إله إلا الله كم كرم لله ﷻ، وكم نعمه على هذا الإنسان، وخلق الله لهذا الإنسان الذي كرمه، أنواع الجماد والنبات والحيوان المسخر لمائدة الطعام والشراب، فهي مفتوحة الأبواب له، في البر والبحر والجو، يأكل منها حيث شاء، إلا ما يضره؛ فقد فطره الله على البعد عنه، وحذره منه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة/ ١٦٨].

فالله ﷻ هو الذي أوجد الإنسان من عدم، ولما خلقه أمده بالقوت الذي جعله سببًا لبقاء حياته، وأتقن الله خلق هذا الإنسان، وهيأ له مائدة الطعام والشراب حيثما صار،

فحيثما كان فالهواء موجود، ونور الشمس موجود، والطعام والنبات والحيوان موجود، وبعد أن أتم الله خلق الإنسان؛ وهيأ له مائدة الطعام والشراب؛ أنعم الله عليه بنعمة أعظم منها تصله بخالقه، وتصله بدنياه وأخراه، فما هي؟

هي الدين الحق الذي أنزله على رسوله، وأتمه وأكمله لسيد الخلق ﷺ وأمته: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة/ ٣].

فمن أسلم واستسلم لربه في الدنيا؛ سلم الله له يوم القيامة المُلك العظيم: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ٢٠ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢﴾[الإنسان: ٢٠ – ٢٢].

من سلم قلبه وجوارحه لربه جل جلاله في الدنيا، أطلق الله له جوارحه يوم القيامة فيما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾[فصلت: ٣٠ – ٣٢].

وثبت حياته وأحواله على أحسن حال حيث يُنادى أهل الجنة: «**أما آن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وتحيوا فلا تموتوا أبدًا، وتنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وتخلدوا فلا تموتوا أبدًا**» أخرجه مسلم (١).

فهذه جنة المعرفة التي من دخلها في الدنيا؛ أدخله الله جنة الآخرة يوم القيامة، جنة المعرفة أن أعرف الرب المعبود بأسمائه وصفاته، وأعرف نعمه وإحسانه، وأعرف مُلكه وسلطانه، وأعرف نعمه وشرائعه، وأعرف ثوابه وعقابه، وأكون بين يديه مكبرًا له، حامدًا له، مستغفرًا من ذنبي، مطيعًا لأمره مجتنبًا لنهيه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق: ١٢].

هذا هو العبد المطيع لربه، هذا هو العبد الذي يحبه الله ﷻ، هذا هو العبد الذي اشتراه الله ﷻ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٧).

[التوبة/ ١١١].

ما هي صفات هؤلاء الذين اشتراهم الله؟

هم الذين يملكون الصفات العالية، الله لا يشتري إلا السلع الغالية، ويعطي الشيء الغالي على العمل الغالي، للشخص الغالي.

مَن هم الذين اشتراهم الله؟ هم من اتصفوا بعشر صفات: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].

نسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعلنا وجميع المسلمين والمسلمات من هؤلاء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

فهناك السعادة، وهناك الحياة الأبدية، فدار السلام لمن دخل في دار الإسلام: ﴿۞لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

فلله الحمد والشكر على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، وله الحمد والشكر على جزيل نعمه وإحسانه، وله الحمد والشكر على دينه وشرعه، وله الحمد والشكر على فضله ورحمته: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة/ ٢- ٧].

واعلم رحمك الله أن صورة آدم ﷺ وذريته، هي التي تحقق فيها معاني التصوير ظاهرًا وباطنًا، وظهر فيها الكمال والجلال والجمال؛ لأنه اجتمع فيها التقدير والتصوير والحسن والجمال، والتفضيل والتكريم، والخلود بعد الموت: ﴿۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فتبارك الله رب العالمين، وأحسن الخالقين، أظهر الإسلام أحسن دين، في أحسن صورة، وخلق آدم أحسن مخلوق، خلقه الله بيده، وجعله وذريته خلفاء الأرض: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة/ ٣٠].

فمن آمن ازدادت صورته حُسنًا وجمالًا، في الظاهر والباطن: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة/ ١٣٨].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢ - ٢٣].

فمن نور قلبه بالتوحيد والإيمان والتقوى؛ نور الله صورته جمالًا ونورًا في الدنيا والآخرة: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١٢].

ومن كفر ازدادت صورته قبحًا وسفلًا في الظاهر والباطن: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين/ ٤ - ٦].

فتصور صور الخلق يوم القيامة وتبيض وتسود، وتُثاب النفوس وتُعاقب حسب إيمانهم وكفرهم وأعمالهم: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٦ - ١٠٧].

فسبحان الكريم الذي أكرم بني آدم بحُسن الخلق، وحُسن الخلق، وحُسن الصورة، وحُسن الرزق، وحُسن الدين، وحسن العمل، وحُسن الثواب: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف/ ٢٦].

فالخلق والإيجاد والرزق هو عطاء الربوبية، والهداية وعبادة الله وتوحيده والإيمان به، هو عطاء الألوهية، فذاك عطاء ربوبيته وهذا عطاء ألوهيته، وعطاء ألوهيته تشريفٌ لهذا العبد الذي خلقه الله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

بأن يعبد ربًا واحدًا، ومن لم يعبد واحد، فلن يتركه الشيطان حتى يعبد ما سوى الله ﷻ، والإنسان إما عابد لله، أو عابد لعبد الله، وعبادة الواحد تغنيك عن عبادة كل أحد: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤].

ويجب على الإنسان أن يعرف أن خلق وتصوير الخالق المصور لا غاية له، ولا منتهى له؛ فالخلاق العليم جل جلاله يخلق ويصور في كل آن ما لا يعلمه ولا يُحصيه إلا هو من المخلوقات والصور في السماء والأرض، وفي الدنيا والآخرة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

فالكل خلقه، والكل عبيده، والكل يشهد بتوحيده، والكل يسبح بحمده، والكل خاضع لمشيئته، والكل مسرع لإرادته؛ لأنه الملك الحق والرب الحق، والإله الحق، الذي له ما في السموات وما في الأرض: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان ربنا العزيز الكبير، الخلاق العليم، القوي القادر على كل شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فليحرص كل مسلم ومسلمة على معرفة ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة ثوابه وعقابه، والعمل بموجب ذلك قاصدًا وجه ربه الكريم؛ ليكون من الفائزين: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة/ ٥].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

الله ﷻ يريد منا معرفة هذا الاسم العظيم؛ لنعرف كمال عظمته وجلاله وجماله في تصوير المخلوقات المختلفة في العالم العلوي، والعالم السفلي.

فالله وحده هو المصور الذي صور المخلوقات كلها بشتى أنواع الصور التي تتكرر في كل ثانية، فلكل مخلوق صورة تخصه وتميزه عن غيره، في ذاته وصفته، ولونه وشكله، وذلك كله دال على جلال الله وجماله: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

فالتصوير كله من المصور وحده جل جلاله، وذلك يقتضي أن لا يتشبه الإنسان بما انفرد الله به من الخلق والتصوير.

قال ﷺ: «إِن أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» متفق عليه[1].

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، خلق جميع المخلوقات وأظهرها من العدم، وصورها كما شاء على مقتضى الحكمة، إظهارًا لجلاله وجماله، وإحسانًا إلى خلقه، وتحقيقًا لمصالحهم، وإظهارًا لقدرته، وجميل إحسانه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦- ٣٧].

ومن عرف ذلك وحد ربه وكبره وأحبه ومجده، وحمده وشكره، وأفرده بالعبادة وحده دون سواه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

فلا يجوز للإنسان أن يشرك مع الله غيره إذا عرفه بأسمائه وصفاته: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾ [الأعراف: ١٩١ – ١٩٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٠٩).

# التعبد لله ﷻ باسمه المصور

من عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، أحبه غاية الحب، وذل له غاية الذل؛ لأنه الذي خلقنا وصورنا، وأنعم علينا بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية؛ فهذه نعم عظيمة ولهذا الله ﷻ يجب أن يُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُطاع فلا يُعصى، وبقدر هذه المعرفة تكون قوة العبادة، وبقوة العبادة تأتي قوة اليقين، وإذا جاءت قوة اليقين، فالله ﷻ يستجيب الدعاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة: ١٨٦].

فمن عرف ذلك زاد إيمانه بربه، وحبه له، وتعظيمه له، وقبول شرائعه، والحكم به، والعمل به وعدم الرضا بغيره؛ لأنه الشرع الكامل الصادر عن الحكيم العليم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾﴾[المائدة/ ٣].

فاللهم كما حسنت خَلقنا فأحسن خُلقنا، وجمل ظواهرنا وبواطننا بما تحبه وترضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق.

اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين يا ذا الجلال والإكرام.

والله سبحانه صور الخلق، وأحسن صورهم، والإنسان يجب عليه أني يتقرب إلى ربه، بحُسن اللباس، وحُسن الكلام، وحسن الأعمال، وحُسن الصفات.

والله جميل يحب الجمال، فيجب أن نتعرف على الجميل، وعلى المصور، وعلى القادر، يحب الجمال، يحب التعبد له، بالأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية، ويحب معالي الأمور، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

فكن حسن الصورة، حسن المعاملة، حسن الجوار، حسن الذكر، حسن الأقوال، حسن الأعمال، حسن الأخلاق: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ

فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب: ٣٥].

فجمال الأحكام والآداب والسنن على المسلم والمسلمة، أجمل من الأزهار والأوراق والثمار على الأشجار.

والتصوير لذوات الأرواح من الكبائر، فالله ﷻ لعن المصورين، وتوعدهم بالعذاب الأليم.

- **وفي التصوير آفتان عظيمتان:**

**الأولى:** أن في تصوير ذوات الأرواح مضاهاةً لخلق الله.

قال ﷺ: «**قال الله ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً**» متفق عليه(١).

**الثانية:** أن التصوير ذريعة للشرك وقد حصل ذلك في قوم نوح لما صوروا صالحيهم ليذكروهم، ثم بعد ذلك عبدوهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾[نوح/ ٢٣- ٢٤].

فالتصوير كله للمصور، الذي يصور خلقه كيف شاء، في أي وقت شاء؛ وجمال الظاهر والباطن مطلوبٌ من المسلم، لكن الأصل جمال الباطن.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» أخرجه مسلم(٢).

فجمل صورتك أيها المسلم بالصفات التي يحبها الله من الإيمان والتقوى، والصدق والصبر، والذكر والشكر، والإحسان بالقول والفعل، والركوع والسجود، والخضوع والخشوع: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥٥٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١١١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[التوبة/ ١١٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١- ٤٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج/ ٧٧].

فالله ﷻ ملأ الدنيا بمحبوباته هو، وهي جميع أنواع الطاعات، والواجبات والمستحبات، وملأها بمحبوبتك أنت من المطاعم والمشارب، والملابس والمراكب، والمساكن والمناكح، كل ذلك امتحان للعباد:﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣].

وملأ الآخرة بمحبوباتك أنت؛ ففي الجنة مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر:﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧].

وفوق ذلك رؤية الله، وسماع كلامه:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢- ٢٣].

فمن جمل نفسه في الدنيا بالإيمان والتقوى؛ جمله الله يوم القيامة بأحسن صورة.

كن أحسن الناس صورة؛ فكما أحسن الله صورتك خلقًا؛ فجمل صورتك بالإيمان والتقوى والصفات التي يحبها الله:﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[الشمس/ ٧- ١٠].

واشكر من خلقك ورزقك وهداك:﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الحجرات: ٧ – ٨].

فالحمد لله على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى.

وإذا أحسنت صورتك أمام ربك، وأمام خلقه بالقول الحسن، والعمل الصالح، والخُلق الطيب، فاجتهد على تحسين صور الناس الظاهرة والباطنة بالإيمان والتقوى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣].

هذه صبغة الله، فكيف ننقل هذه الصورة الحسنة لتكون صورة لكل إنسان على وجه الأرض؟: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم: ٥٢].

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف/ ١٠٨].

فالله ﷻ هو المصور وحده لا شريك له، وحرم على عباده أن يصوروا الصور لذوات الأرواح، لما فيها من مضاهاة خلق الله، ولهذا قال الرسول ﷺ: «**إن أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**» متفق عليه[1].

- **والمصورون ثلاثة أقسام:**

**الأول:** من صور الصورة لتعبد؛ وهذا صانع الأصنام، فهذا كافر، وهو أشدهم عذابًا.

**الثاني:** من صور الصورة قصد مضاهاة خلق الله، واعتقد ذلك، فهذا كافر، له من أشد العذاب ما للكفار، ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره.

**الثالث:** من لم يقصد بالصورة العبادة، ولا المضاهاة، وهذا فاسق، وصاحب ذنب كبير لكنه لا يكفر.

والتصوير سبب في عبادة الأصنام كما حصل في قوم نوح، وسبب لفساد الأخلاق كما في زماننا هذا، فالتصوير للنساء، والتصوير للمغنيين والمغنيات والعاهرات، هو الذي نقل العري، والفساد في العالم؛ فهو أفسد الأخلاق في زماننا، وأفسد التوحيد في الأمم السابقة، وما عُبد غير الله ﷻ إلا بسبب التصوير.

---

[1] متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٠٩).

فلنجتنب التصوير، ونعلم أنه ذنب عظيم، وقد ورد في تحريم التصوير أكثر من ثلاثين حديثًا، كلها صحت عن النبي ﷺ.

فلنجتنب تصور ذوات الأرواح، ولا نتعدى حدود الله، وندع التصوير للمصور جل جلاله، ونكتفي بالصور التي صورها الرب، التي تذكر بالرب، الذي صور السموات والأرض، والجبال والبحار، والشمس والقمر، وصور الإنسان والحيوان، وغير ذلك من المخلوقات: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي يصور جميع الصور في العالم العلوي والعالم السفلي، والتصوير من صفات الأفعال؛ فهو سبحانه يصور أعدادًا لا يُحصيها إلا هو، لا تُعجزه أعداد يصورها، ولا صور يخترعها، ولا أشكال يبتدعها؛ لا إله إلا هو؛ فاعبده واملأ وقتك بما يحبه ويرضاه من أنواع الطاعات، واملأ وقتك وقلبك ولسانك بحمده كما ملأ لك الكون بنعمه الظاهرة والباطنة: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه/ ١٣٠ - ١٣١].

فسبحان الخالق البارئ المصور، الذي خلق صور البشر كلهم من نفس واحدة، وخلق زوجها.

فلا يشترك اثنان قط في صورة واحدة؛ فليكن هذا الخلق والتصوير واعظًا لك، وموجبًا لطاعة مولاك وتقواه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء/ ١].

فهل ترى أيها المسلم، وأيتها المسلمة، هل ترى في الكون إلا الخالق والمخلوقات والمصور والمصورات، والملك والمملوكات، والآمر والمأمورات، والقاهر والمقهورات.

إذا عرفت ذلك؛ فاعبده، وتوكل عليه، يُسعدك ويرضيك في دنياك وأخراك: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس/ ٣].

واعلم أن ربك وحده لا شريك له هو المتفرد بالخلق والتصوير، والتقدير والتدبير، وإنما كلف عبده الإنسان باستصلاح صفات نفسه، وإحالتها إلى ما يحبه ويرضاه، من التوحيد والإيمان والإسلام والإحسان، والتقوى ومحاسن الأقوال، والأعمال والأخلاق، فاهرع رحمنا الله وإياك إلى الخالق البارئ المصور، الهادي إلى ما يحبه ويرضاه، وقف ببابه متذللًا بين يديه، واسأله أن يوفقك ويهديك إلى الصراط المستقيم، وسُبل مرضاته، متوسلًا إليه بتوحيده قائلًا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٢ - ٧].

والزم باب العبودية والطاعة لله، ولا يغرنك الشيطان، فتعمل بمعصيته، أو تعمل بما يرضيه تارة، وما يُسخطه تارة، فتندم وتحسر: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٨٥].

وأكثر من الحمد والشكر لربك رب العالمين، الذي خلق فسوى، وصور فأحسن، وأنعم فأكرم، السابق إلى عباده بأنواع الإحسان، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

واعمل بشرع ربك، وادعُ إلى سبيل ربك، واصبر على ما أصابك، لعلك تُفلح وتنجو من الخسار: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١ - ٣].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

[آل عمران: ٥٣].

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران: ٨].

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وجميع سخطك.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت غير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك، ويسر لنا سبل معرفتك، وارزقنا صدق توحيدك، وحُسن عبادتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات إنك سميعٌ قريبٌ مجيب الدعوات.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# الباب العاشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٤٢ – اسم الله الغني.

التعبد لله عز وجل باسمه الله الغني.

٤٣–٤٤ – اسم الله الرزاق.. الرازق.

التعبد لله عز وجل باسمه الرزاق.. الرازق.

٤٥–٤٦ – اسم الله الكريم.. الأكرم.

التعبد لله عز وجل باسمه الكريم.. الأكرم.

٤٧ – اسم الله الحميد.

التعبد لله عز وجل باسمه الله الحميد.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

## إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# اســـــم الله

# الغني

# اسم الله الغني

الله جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

اسم الله ﷻ الغني من أسمائه الحسنى جل جلاله، والله ﷻ خلق هذا الإنسان، وخلق فيه طاقات وملكات وقدرات وأمرنا أن نستعمل هذه الطاقات والملكات والقدرات في معرفته، في التعبد له، ودعوة الناس إليه: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل/ ٧٨].

فطريق التوحيد الأعظم هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

- **هذه سبع مسائل عظيمة:**

معرفة الله .. ومعرفة أسمائه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعده .. ووعيده.

هذه المعارف إذا جاءت في القلب مع أركان الإيمان، امتلأ القلب إيمانًا، فنطق اللسان بالذكر والحمد لربه، والتعظيم له، وتحركت الجوارح بطاعة الله، وجاءت العبادات تشتهيها النفوس، فتؤديها إلى ربها بالحب له، لما تراه من إنعامه وإحسانه، وكمال أسمائه وصفاته، وعزة جلاله وجماله جل جلاله، فتؤدي العبادة بالحب لربها، والتعظيم له، والذل له لما تعلمه من عظمة أسمائه وصفاته، وشهود الكبرياء له، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

فهذه المعرفة هي غذاء القلوب، وإذا تغذت القلوب بالإيمان، انقادت الألسنة والجوارح

لطاعته وذكره، والتسليم لأمره، والتوكل عليه، والوقوف ببابه، وسؤاله، والاستغناء به عما سواه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فالله ﷻ له صفات الجلال، وله صفات الجمال، فمن صفاته جلاله أنه القوي، القادر، القاهر، الواحد، الأحد، الصمد، العزيز الجبار وغيرها.

ومن صفات جماله أنه الرحمن، الرحيم، الحليم، العفو، الغفور، الرزاق، الكريم، الغني، اللطيف.

فلابد من معرفة صفات جلاله، وصفات جماله.

والناس كذلك رجالًا ونساءً، إما أن تظهر فيهم صفات الجلال، أو صفات الجمال، أو هما معاً.

كل واحد من البشر إما أن تظهر عليه صفات الجمال، أو تظهر عليه صفات الجلال والهيبة، نسأل الله ﷻ أن يرزقنا من هذه وهذه، من صفات الجلال وصفات الجمال.

فصفات الجمال لله تولد في القلب حب الله، وصفات الجلال تولد في القلب الهيبة والتعظيم والذل للكبير المتعال جل جلاله.

هذا القلب يحتاج إلى وجبات إيمانية، تملأه إيمانًا وتوحيدًا، ورغبةً في الطاعات، ونفورًا من المعاصي، وأعظم المعارف هو معرفة لا إله إلا الله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

واعلم أن الله غنيٌ حميد، لابد أن نعرف أن الله غني عما سواه، حميد على جميل إحسانه، هو المحمود في العالم العلوي والعالم السفلي جل جلاله.

هو الحميد الذي يحمده أهل السماء وأهل الأرض، لجلاله وجماله.

فالله ﷻ هو الغني الحق الذي استغنى عن الخلق كلهم، بعظمة ملكه، وجلال كبريائه، وعز سلطانه، وكمال قدرته، وعظمة خزائنه: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان/ ٢٦].

الله ﷻ ملك عظيم، له ملك عظيم، وملكه العظيم يدل على كمال غناه، ونحن من مماليكه وعبيده، فكل ما سوى الله عبد لله، كان معدومًا فأوجده الله، وحين أوجده فهو في ملكه، وحياته وموته بيده.

والله ﷻ من على الإنسان وجعله مختارًا أن يؤمن أو يكفر، أو يطيع أو يعصي، وأنعم عليه بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وزوده بالسمع والبصر والعقل؛ ليتلقى الوحي من ربه؛ ويعرف الخير من الشر، والحق من الباطل: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف/ ٢٩].

فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها، والله غني عنه وعن عمله: ﴿وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت: ٦].

فالله غني، ومظاهر غناه ممدودة في الكون؛ كل ما نراه من المخلوقات ملكه جل جلاله، فالله ﷻ غني بملكه العظيم.

الله ﷻ له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات وما في الأرض، وله غيب السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض،وله جنود السموات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض.

كل العوالم له، عالم الجماد بأنواعه، من جماد من سماء من أرض، ومن ماء، ومن بحار، ومن معادن، ومن ذرات: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٦﴾ [لقمان: ٢٦].

كل هذه الجمادات ملكه، وتحت تدبيره وتصرفه.

وعالم النبات بصنوفه التي أحصى منها الخلق الآن ما يزيد على أربعين مليون من العائلة النباتية.

هذا كله ملكه، وكل عائلة قبائل، وشعوب، وأفراد وأسر، النخل عائلة، التفاح عائلة العنب عائلة، القمح عائلة.

هذه الخلائق كلها ملكه، مودعة في خزائنه: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر/ ٢١].

وعالم الحيوان في البر والجو والبحر ملكه، جميع عالم الحيوان ملكه، وعالم الإنسان ملكه،

يعيش على وجه الأرض الآن أكثر من سبعة مليارات من البشر، كلهم يسكنون في ملكه، ويأكلون من رزقه.

هو الغني الذي لا تنقص خزائنه أبدًا، لأن المحدود إذا أخذ من المحدود ينقص، أما المحدود إذا أُخذ من غير المحدود فلا ينقص أبدًا، سبحانه هو الغني له ما في السموات والأرض جل جلاله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ [ص/ ٥٤].

فالله ﷻ هو الغني الكريم، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٨].

لابد أن نعرف هذا؛ حتى يتأثر القلب، وإذا تأثر القلب تأثرت الجوارح، فصار الإنسان مستسلمًا لربه الغني، ومتوكلًا عليه، ومفتقرًا بين يديه.

وهو سبحانه الغني الكريم الذي له خزائن السموات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، وخزائن عالم الغيب وعالم الشهادة، وعنده خزائن كل شيء، وله كل شيء، له ما في السموات وما في الأرض: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ۝١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠].

فكل شيء يسبح بحمده، ويشهد بوحدانيته، ويخضع لقهره: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾ [الزمر: ٤].

هو الغني الذي لا بداية لغناه، ولا نهاية، ولا أول ولا آخر، والغنى صفة ذاتية له، فهو الغني والغني هو الذي لا تنقص خزائنه أبدًا مع كثرة الإنفاق، لأن من تنقص خزائنه فقير إلى ما نقص؛ حتى يعيده مرة أخرى، لكن الله ﷻ لا تنقص خزائنه أبدًا، فهذه السموات والأرض، وما فيهن من المخلوقات، كل هذا من خزائنه جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: ١٥].

هو سبحانه الغني الذي بيده كل شيء، وله كل شيء: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر/ ٢١].

هو سبحانه الغني الذي يقول للشيء كن فيكون، والخلائق كلها بيده، فهو سبحانه الغني، وكل ما سواه فقير، الغني عن كل ما سواه، الغني الذي لا حاجة له إلى أحد أصلًا، بل الخلق كلهم فقراء إليه، وإلى فضله وإحسانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[فاطر/ ١٥].

فسبحان الغني الذي لا يعجزه ما يريد:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠ ﴾[القمر: ٤٩ – ٥٠].

وهو سبحانه الغني الكريم، الذي أغنى جميع الخلق من فضله، فكما أنه لا خالق غيره، فكذلك لا رازق غيره، ولا رب غيره، ولا إله غيره ولهذا استحق العبادة، لجلاله وجماله، وكمال أسماءه وصفاته وإنعامه وإحسانه:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

فأنا لا أعبد فقيراً، ولا أعبد ضعيفاً ولا أعبد جاهلاً، ولا أعبد عاجزاً، إنما أعبد رب السموات والأرض، ملك السموات والأرض، الغني الحميد، العزيز القادر، الغني الكريم جل جلاله:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾[يونس: ٣].

فالله ﷻ يريد لي الكمال؛ لأنه أمرني أن أتصل به، ومن كان في معية العزيز فهو عزيز، ومن كان في معية القوي فهو قوي، ومن كان في معية الغني فهو غني، استغنى بفضل الله ونعمته ودينه عن كل ما سوى الله ﷻ:﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[غافر: ٦٥].

فهو سبحانه الغني الكريم، المحسن الذي يجود على خلقه بصنوف النعم في كل ثانية، فعالم الحيوان، وعالم النبات، وعالم الجن، وعالم الإنس، ومن في البر والبحر، كلهم قاعدون على موائد نعمه، وكلهم يأكلوا من رزقه، وكلهم يسكنون في ملكه:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾ [هود: ٦].

فسبحان الصمد، الذي تصمد إليه الخلائق كلها في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي البر والجو والبحر، تصمد إليه في قضاء حوائجها؛ فيشفيها من مرضها، ويرزقها من فضله، ويُغنيها بعد فقرها؛ لأنه الحي القيوم الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله:﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ ﴾[الإخلاص: ١ – ٤].

فالله وحده هو الخالق الذي خلق الخلق وحده لا شريك له، بحرفين من كلامه خلق

الخلق: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[يس/ ٨٢- ٨٣].

خلق الكثير كخلق القليل عنده سواء: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨﴾[لقمان: ٢٨].

بيده ملكوت كل شيء، إذا شاء ليلاً كان ليلاً، إذا شاء نهار، كان نهار، إذا شاء بردا كان بردا، إذا شاء حرا كان حراً، إذا شاء أمناً كان الأمن، إذا شاء أن يكون الخوف، كان الخوف، إذا شاء ذكراً كان ذكراً، إذا شاء أنثى كان أنثى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨﴾[القصص: ٦٨].

هو الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكل ما سواه فقير إليه، فقير إليه في وجوده، وفي حركته وسكونه، وفي طعامه وشرابه، وفي حياته وموته: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾[فاطر/ ١٥].

وهو سبحانه الخالق الذي خلق الخلق وحده لا شريك له، وهو الغني الذي يرزقهم وحده لا شريك له، فيجب عليهم أن يؤمنوا به، وأن يعبدوه وحده لا شريك له، لماذا؟ لأنه الخالق الذي خلقهم، وهو الرزاق الذي يسوق إليهم أرزاقهم، سوق الأرزاق إلى هذه العوالم الكثيرة يحتاج إلى قوة، وإلى قدرة، وإلى علم، وإلى سمع، وإلى بصر: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾[الذاريات: ٥٦ –٥٨].

فسبحان القوي المتين، الغني الكريم الذي يسوق الأرزاق لجميع الخلائق في كل لحظة، بل كل إنسان، كل مخلوق، كل كائن من عالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان، وعالم الجن وغيرهم كلهم تساق إليهم أرزاقهم كميةً ونوعيةً، ومكانًا وزمانًا، وكل هذه الأرزاق من خزائن الغني، فكيف بغيب السموات؟ وكيف ما عند الله ﷻ؟!: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾[الزمر: ٦٧].

الله ﷻ له كل شيء، ولا يعجزه شيء، فهو الغني الذي يستحق أن يعبد وحده، وأن يشكر فلا يكفر، فاعرف ربك بأسمائه وصفاته، حتى تعبد الله بالحب والتعظيم والذل

له، وتكون الطاعات له شهوات: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

فيجب علينا بعد المعرفة أن نعبد الرب الذي خلق ورزق، الرب الغني، الرب الذي له صفات الجلال والجمال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

يجب أن نعرف الله بأسمائه وصفاته؛ حتى لا نجعل له أنداد في أسمائه وصفاته وأفعاله، ولا نعبد مع الله غيره، بل نعبده وحده لا شريك له؛ لأنه هو الخالق الذي خلقنا، وخلق أرزاقنا، وخلق الخلق كله جل جلاله: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو جل جلاله الوحد الأحد، الذي خلق كل أحد، الغني الكريم الذي قسم الأرزاق على كل أحد، وذكر الكل ولم ينسى أحداً، وهو الملك الغني الذي أنعم على الخلائق بنعمه التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

ظلوم لنفسه، وظلوم لغيره، كفار بنعم الله، أعطاني الله السمع والبصر والعقل ماذا عملت بهذا؟ أعطاني الوقت ماذا عملت به؟ أنعم علي بنعم من الطيبات ماذا عملت بها؟ وماذا عملت بعد الانتفاع بها؟ أنعم علي وأنعم على غيري، أعطاني خيرًا، وصرف عني شرًا، فهل حمدته وشكرته، هل آمنت به وعبدته: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨ – ٢٩].

هو جل جلاله الملك الغني الذي أنعم على الخلائق بنعمه المختلفة، القوي الذي يسوقها إليهم في البر والجو والبحر في كل آن، لأنه له خزائن السموات والأرض.

فسبحان الغني الذي يملك كل شيء، وعنده خزائن كل شيء، خزائن الرحمة والقوة والعزة بيده، خزائن المخلوقات والأشياء والذرات بيده، خزائن الحبوب والثمار والمياه

بيده، خزائن الجماد والنبات والحيوان بيده، خزائن الأسماع والأبصار والعقول بيده، خزائن الحروف والكلمات والأرقام والأنفاس بيده: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١)﴾[الحجر/ ٢١].

هو الغني سبحانه عن كل ما سواه، الغني عن جميع خلقه، المسلم والكافر، والبر والفاجر، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والعبيد والملوك: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٨)﴾[إبراهيم/ ٨].

فالله غني حميد جل جلاله، غني عن العالمين، فقد كان الله، ولم يكن شيء قبله، كان الله ولم يكن معه شيء، وكان عرشه على الماء، ثم خلق الخلائق، فالله ﷻ أول ما خلق الله القلم أمره بكتابة كل شيء، كما قال النبي ﷺ: «**أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ ما هو كَائنٌ إلى أن تقومَ الساعَةُ**»أخرجه أبو داود[1].

فجرى في تلك الساعة ما قدر الله من المخلوقات من عالم الجماد، والنبات، والحيوان، والأرزاق، والآجال وغير ذلك.

فالله ﷻ يعلم ما كان وما يكون وما سيكون؛ لأنه عالم الغيب والشهادة، وعلمه مطلق، فهو غني بذاته وأسمائه وصفاته، وملكه وسلطانه، لا يحتاج إلى أحد، بل كل أحد محتاج إليه، فسبحان الملك العظيم الغني الكريم عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[يونس: ٦٨].

هو الغني الحميد الذي لا يعامل أحدًا معاملة إلا ويستحق عليها الحمد، سواءً كان فيما يحب أو فيما يكره، فما يقضيه الله ﷻ كله خير: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢)﴾[لقمان/ ١٢].

فالذي يَشكر يشكر لنفسه، والله غني قبل أن يخلقنا، وإذا أعطانا فهو غني، فالله ﷻ لا تنقص خزائنه، فهو الغني بذاته، الغني الذي وهب الغنى لكل غني، الغني الكريم الذي يعطي عباده من نعمه كل آن، من يطيعه ومن يعصيه، الغني الذي أغنى بعض عباده عن بعض، وأحوج بعضهم إلى بعض، هو الغني الذي قسم الغنى على عباده بالعدل، وما من غني في الوجود إلا وهو من جناب الغني ممدود: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٧٠٠).

﴿قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الزخرف: ٣٢].

كل غني غناه من ربه الذي وهبه الغنى؛ لأن الغنى لا يأتي إلا من غني، من خزائن الغني، والله ﷻ ابتلى عباده إما بالغنى وإما بالفقر؛ ليظهر عبودية الشكر عند بعضهم، وعبودية الصبر عند البعض الآخر:﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فنؤمن بالقضاء والقدر، ونعلم أن الله ﷻ حكيم يضع الشيء في موضعه، ويعلم أن عبده هذا لا تصلح له إلا الحال التي هو عليها، من غنًى أو فقر، أو صحة أو مرض، ولكل عبوديته ولكل أجره وثوابه، لكن لابد من الإيمان والعمل الصالح:﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل/ ٩٧].

الله يعطينا الصلاة على أكمل وجه، الصوم، الدعوة، التعليم، بر الوالدين، يعطينا على الناقص الأجر الكمال؛ لأنه عظيم لا يعطي إلا العظيم؛ فيكتب لنا العمل الناقص كاملًا، ويعطينا على قدر هذا الكمال من فضله أجرًا عظيمًا:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[النساء: ٤٠].

فالحمد لله رب العالمين أن أعطانا الأسماع والقلوب والأبصار؛ لنعرف ربنا بأسمائه وصفاته، ونستأنس به، ونتلذذ بعبادته، ونذكره كثيرًا، ونحمده كثيرًا:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[الأحزاب/ ٤١- ٤٣].

فالله ﷻ يتودد إلينا بنعمه، ويعرفنا بأسمائه وصفاته؛ حتى نتوجه إليه وحده، لا نلتفت إلى أحد سواه، فالله عزيز يريدنا أن نكون أعزة لا نذهب إلى ذليل مثلنا، أو دوننا من أحجار وأصنام، أو فوقنا من الكواكب، فلنذهب إليه وحده ولا نذل أنفسنا إلا للعزيز، لأن المؤمن عزيز لا يذل نفسه إلا للعزيز، لا يذل نفسه لذليل مثله، أو فوقه، أو تحته من المعبودات الأخرى:﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ

﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الزمر: ٦٤-٦٦].

واعلم أن شأن الخالق أنه غني عن كل ما سواه، وشأن مخلوقاته أنهم جميعًا فقراء إليه، في خلقهم، وإمدادهم، وحياتهم، وبقائهم وموتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر/ ١٥].

غني عن كل ما سواه، ومن سأل ربه الكريم أعطاه وأكرمه وأعزه، ومن سأل عبيده أذلوه وأهانوه وحقروه؛ فسل ربك الغني الكريم الذي يملك كل شيء: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾[لقمان/ ٢٦].

فاسألوه؛ لأنه الغني الحميد الذي يعطي من أطاعه ومن عصاه؛ لأن خزائن النعم عنده: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر: ٦٠].

ومن استغنى بالله أغناه وكفاه، ومن أخذ من الدنيا ما شاء، أخذ بقدره همًّا وغمًّا وعناءً: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[التوبة/ ٥٥].

ومن استغنى بالله عما في أيدي الناس أغناه الله، وأرضى عنه الناس، والله يغار على عبده أن يسأل غيره، فاسأل الغني يغنيك من فضله.

قال النبي ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ بما هو كائنٌ إلى يومَ القيامَةُ**» أخرجه الترمذي (١).

ومن احتاج إلى مخلوق، كان أسيره، ومن استغنى عنه كان نظيره، ومن أحسن إليه كان أميره، هذه ثلاث مسائل عظيمة، إذا احتجت إلى أحد من الناس في حاجة كنت أسيره؛ لأنه ملكك بما أعطاك، ومن استغنى عن المخلوق كان نظيره.

فأنا إذا احتجت أسأل ربي: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[يوسف/ ٨٦].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

حوائجي أطلبها من ربي الصمد جل جلاله، الذي له كل شيء، وعنده خزائن كل شيء، ومن أحسن إليه كان أميره؛ إذا أحسنت إلى أحد، كنت أميره بهذا العطاء الذي أعطيته.

الله سبحانه هو الغني الذي أغنى جميع الخلق غناءً مطلقًا، فكلهم ينعمون بما أعطاهم الغني من الأرزاق، من الصحة والعافية، والطعام والشراب، وغير ذلك، وأغنى خواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من الإيمان، ومعرفة جلاله وجماله، ومعرفة آلائه وإحسانه: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾[الجمعة/ ٤].

فهو سبحانه الغني بذاته، والعبد فقير إليه بذاته، والعبد محتاج إلى ربه في جميع أحواله، لا غنى له عن ربه الغني أبداً.

في أبداننا أجهزة عظيمة، جهاز الدورة الدموية، والجهاز التنفسي، والجهاز العصبي، والجهاز الهضمي، وأجهزة كثيرة تعمل بهذا البدن، الغني هو الذي وهبها، والغني هو الذي يصرفها ويدبرها: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾

[يونس: ٣١ – ٣٢].

فاللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعلة أوجدت تلك الحاجة، نحن فقراء بالذات إلى الله الغني الذي يملك الحاجات، وجميع الحاجات مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره، فسل ربك ما شئت، فالله لا يعطيك إلا ما ينفعك في دنياك وأخراك.

أما الإنسان فهو يسأل ما يقدر عليه، لكن إذا أردت أن تسأل فاسأل أعظم شيء، ما هو أعظم شيء؟ أعظم شيء طلب الهداية: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾[الفاتحة/ ٦ – ٧].

فلا إله إلا الله كم عظمة غناه، وكم عظمة ملكه وسلطانه! العالم العلوي والعالم السفلي، كله عبد فقير مملوك لربه الملك العزيز الجبار، ذو العظمة والملكوت والجلال والكبرياء: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾[لقمان: ٢٦].

العرش له، والكرسي له، والعرش محيط بالكرسي، والكرسي محيط بالسموات،

السموات محيطة بالأرض، والله محيط بكل محيط، له ملك السموات والأرض، العرش له، والكرسي له، والسموات له، والأرض له، وما في السموات له، وما في الأرض له، وعالم الغيب له، وعالم الشهادة له، والدنيا له، والآخرة له؛ وله كل شيء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

هو ملك عظيم جل جلاله، فإذا هلك العظيم، ومن عليك، وعرفك بأسمائه وصفاته، وأرسل إليك الرسل، وأنزل الكتب؛ فقد قامت الحجة عليك فاحمد الله على هذه النعمة: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١- ١٦٣].

فسبحان من له الملك كله من جميع الوجوه.

ملك السموات، ملك الأرض، ملك الجبال، ملك البحار، ملك الحبوب، ملك المعادن، ملك الأموال، ملك الأنفس، ملك الملائكة، ملك الجن، ملك الإنس، ملك عالم النبات، ملك عالم الجماد، كل هذه ملكه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

لا إله إلا أنت: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٧].

كم من الخلائق التي يرزقها الله ﷻ؟! كم في عالم البحار من مخلوقات، كم يدب على وجه الأرض من مخلوقات؟! كل الخلائق تأكل من نعمه، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة، وفقر العالم كله إلى الغني سبحانه، فقر ذاتي لا يعلل، كل مخلوق فقير إلى خالقه.

- **كل مخلوق من الخلائق مطبوع على أربع صفات:**

فقير .. ضعيف .. عاجز .. محتاج.

محتاج إلى الخالق يخلقه، وإلى قوي يخلقه بهذه الصورة،وهو عاجز عن إدارة نفسه، وبقاء حياته، فكل مخلوق مطبوع على أربع صفات، تجعله يقف بباب الغني، باب القوي، بباب القادر، ويشهد لربه الغني بالغنى، ولنفسه بالفقر، ولا يملك إلا أن يسبح بحمده، مع المسبحين: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا

تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء/ ٤٤].

فيا حسرةً على العباد! ما أجهلهم بربهم: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾﴾[الجاثية: ٦].

هذا بيان القرآن أعظم بيان، والكون المنظور أعظم مكان، نتعرف من خلالهما على ربنا بأسمائه وصفاته، فمتى نعرف، وإذا عرفنا فيجب أن نعمل وأن نكبر الكبير، ونعظم العظيم، ونشكر المنعم جل جلاله؛ لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾

[محمد: ١٩].

فكل ما سوى الله ﷻ فقير إليه في خلقه وإيجاده، وفي بقائه، وفي حياته، وفي تدبيره وفي إمداده: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾﴾[هود/ ٦].

لا إله إلا الله، كم عظمة علمه! وكم عظمة قدرته، وكم عظمة غناه! ومن فضل الله ﷻ علينا أن جعلنا فقراء إليه حتى نقف ببابه في كل حين: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾﴾[الذاريات: ٥٠ – ٥١].

- **وفقر جميع المخلوقات إلى ربها نوعان:**

**الأول:** فقر إلى ربوبيته؛ وهو فقر المخلوقات بأسرها إلى خالقها؛ فكل الخلائق فقيرة إلى ربها في خلقها، وبقائها، وحفظها، ورزقها، وتدبيرها: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر/ ٦٢].

هو خلق الشمس، وهو الوكيل عليها، يعطيها الإنارة والحرارة ويجريها في السماء من المشرق إلى المغرب، فهي سامعة مطيعة؛ ولذلك هي محبوبة، لأن عندها مزاج السمع والطاعة له، فكل مطيع لربه محبوب، والسحب مطيعة تؤدي وظيفتها في إنزال الغيث في كل مكان من العالم؛ فهي محبوبة، لأنها سمعت وأطاعت لربها، ونحن متى نكون فائزين محبوبين لربنا ولخلقه؟ إذا أطعنا الله ﷻ، وخرجت منا المنافع لأنفسنا ولغيرنا: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾[العصر/ ١– ٣].

فالله يمسك السماوات والأرض أن تزولا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾﴾[فاطر: ٤١].

لو رفع الله عنها أمر البقاء، لخرت السماء على الأرض، لو رفع الله أمر البقاء عن الكون؛ لذهب وفني ولا نعلم أين ذهب، ولكن الله يبقيه بقدرته: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾[الحج: ٦٥].

**الثاني:** فقر المخلوقات إلى ألوهيته وعبوديته، وهو فقر أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، وهذا هو الفقر النافع، ولبه الافتقار إلى الله في كل حال.

هذا الفقر المطلوب، أن أقف بين يدي ربي منكسرًا بين يديه، مكبرًا له، حامدًا له، معظمًا له، أقف بين يديه، أظهر فقري أمام الغني، وأظهر ضعفي أمام القوي، وأظهر عجزي أمام القادر جل جلاله، وأتكلم مع السميع الذي يسمعني، ومع البصير الذي يراني، وأشكو إليه حالي، وأسأله قضاء حوائجي.

وأقف بين يديه في كل حين، ذاكرًا له، ومكبرًا له، وحامدًا له؛ لأن الوقت له، والمكان له، والإنسان له، فإذا اخترت ما يحبه ويرضاه أسعدني في الدنيا والآخرة، هذا الفقر إلى ألوهيته وعبوديته، فخلقنا ورزقنا من عطاء ربوبيته، وعبادتنا له وحده لا شريك له، من عطاء ألوهيته، ومن تشريف ألوهيته لنا، بأن جعلنا نعبد واحداً حتى لا نذل لغيره من الخلائق، بل جعلنا عبيد له بالاختيار، فنحن نأتي إليه اختيارًا، وكل ما سوى الإنس والجن أتوا إليه اضطراراً، فاختاروا أن يكونوا مسخرين، وهذا هو الفقر النافع، ولبه دوام الافتقار إلى الله ﷻ في كل حال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر: ١٥].

هذا من فضل ربي، ليس بيدي شيء، لا أعتمد على قوتي، ولا على علمي، ولا على مالي، ولا على ملكي: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾﴾[ص: ٧٦].

وفرعونية كما قال فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[النازعات/ ٢٤].

وعندي قارونية: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾[القصص: ٧٨].

بل كل شيء من فضل الله ومنه علينا، فنحن فقراء إليه، ونفع عطاء الربوبية، وعطاء الألوهية، عائد على العبد الفقير، والله غني عن الخلق، وما يعملون، هو الغني قبل أن

يخلق الخلق، وبعد أن أعطاهم: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت/ ٦].

ولماذا نعبده؟ لنفوز بثوابه، ولنكبر الكبير، ونعظم العظيم الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، جل جلاله.

فهو أهل أن يعبد، فمن حقه أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فسبحان الغني لذاته عن كل ما سواه، الغني الذي لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، الغني الكريم المحسن إلى عباده بكل خير، الرحيم بهم مع كثرة معاصيهم، لكمال غناه وكرمه وكمال رحمته وإحسانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

وقال النبي ﷺ فيما رواه عن الله تبارك وتعالى: «**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، لَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.**

**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ اجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَا سَأَلَ، لَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا إِلا كَمَا يَنْقُصُ الْبَحْرُ يُغْمَسُ فِيهِ الْمِخْيَطُ غَمْسَةً وَاحِدَةً.**

**يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْفَظُهَا عَلَيْكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ**» أخرجه مسلم(١).

هو سبحانه الكريم الذي دل خلقه عليه، وأرشدهم إلى سؤاله، وفتح لهم أبواب خزائنه العظيمة، وأعطاهم وأغناهم وهو الغني عنهم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٦- ٥٨].

فاعبدوه واسألوه ووحدوه وتوجهوا إليه وحده، فنحن الآن في دار الإيمان والعمل، وغدًا نكون في دار الثواب والعقاب، فهذه الدنيا محدودة المكان والزمان، لا تليق بالمؤمن

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

الذي وحد ربه، فالله لا يرضى للمؤمن إلا أن يعيش في القصور الملكية بعد أن يمتثل الأوامر الإلهية في الدنيا، ثم يسكنه يوم القيامة القصور الملكية:﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر/ ٥٥].

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم وجميع المسلمين والمسلمات من هؤلاء، والله ﷻ هو الصمد الذي جميع الخلائق تصمد إليه في جميع حوائجها.

ومن قصد إلى الله تعالى، ثم رجع عند حوائجه إلى غير الله، ابتلاه الله بالحاجة إلى الخلق، ثم نزع الرحمة من قلوب الخلق عليه، فتراه بينهم مذمومًا مخذولًا، لماذا؟ ليعود إليه:﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾[الإسراء: ٢٢].

فالله ﷻ من فضله علينا أننا إذا توجهنا إليه في الصلاة، ثم رجعنا عند الحوائج إلى غيره؛ يبتلينا بالحاجة إلى الخلق، حتى تظهر منة الخلق علينا، ثم نعود إليه، بعد أن عرفنا عجز غيره وفقره:﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٣].

ومن صدق في افتقاره إلى الله ﷻ، وشهد قدرته وغناه؛ ورجع إليه بحسن العرفان، أغناه الله عما سواه، ورزقه من حيث لا يحتسب، وأعطاه من حيث لا يرقب:﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق/ ٢ - ٣].

فسبحان الغني الحميد الذي كل غنى ونعمة في العالم من فضله وإحسانه، كل غنى ونعمة ظاهرة و باطنة، وكل طاعة فمن فضله وإحسانه، وكل شر وسوء فمن فعل العبد:﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ [النساء: ٧٩].

الله ﷻ بين الخير من الشر، فكل الخير من فضل الله عليك، وكل الشر من فعل العبد، وسوء اختياره.

هو جل جلاله الغني الحميد، الذي أغنى عبده المؤمن بمعرفة ربه بأسمائه وصفاته، وأغناه بمعرفة دينه، فصار له حكمة بالغة، وسداد في الأقوال وصواب في الأفعال، وحسن في الأخلاق، وهذا هو الغنى الحقيقي المحمود المطلوب:﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[يونس/ ٥٨].

والله ﷻ غني كريم، يغني عامة الخلق بالمال، والجاه، والعافية، والأولاد، وغيرها من النعم،ونعمه عظيمة على كل من أطاعه وعصاه، على كل من آمن به، وكفر به، هذه النعم العامة كلها من رب العالمين:﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان: ٢٠].

الله غفور يتوب على عبده الذي عصاه مهما كانت ذنوبه، رحيم بعباده؛ ولهذا أنزل المطر ماءًا عذبًا، ونور لنا الكون بهذه الشمس، وأسكننا في الأرض التي تنبت من كل زوج بهيج، فهو غفور لمن تاب وأناب، لمن عصى الله، لأنه رحيم بعباده:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾[الحج/ ٦٥].

ومن الناس من يغنيه الله ﷻ بتصفية الأحوال، هؤلاء هم خواص الخلق، الذين اجتباهم وهداهم، وأغناهم عما سواهم:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾[لقمان/ ٥].

- **فأنواع العطاء من ربنا الغني قسمان:**

عطاء مادي وعطاء معنوي.

فالله ﷻ أغنى أولياءه بكمال الإيمان والتقوى، وأغناهم بأحسن الأقوال، الإيمان غنى، والصدق غنى، والكرم غنى، والعلم غنى، والإسلام غنى، والحكمة غنى:﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح/ ١- ٤].

والهداية غنى، والرعاية غنى:﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[الضحى/ ٦- ٨].

وجدك عريانًا فكساك، وجائعًا فأطعمك وسقاك، وخائفًا فآمنك:﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾[قريش/ ١- ٤].

فما أعظم عطاء الغني لعباده:﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن

﴿لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص/ ٥٧].

- **وأعظم أسباب المعاصي:**

هو الجهل بالله وأسمائه وصفاته، فلا يعصي الله إلا جاهل، جاهل بربه، وبأسمائه وصفاته، وجاهل بملكه وسلطانه|، وجاهل بدينه وشرعه، وجاهل بوعده ووعيده: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾[الأنعام/ ٣٥].

ولا يكفر بالله ويعصيه إلا سفيه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾[البقرة: ١٣٠].

ومن عرف ربه الغني استغنى به عمن سواه، وافتقر إليه في جميع أحواله.

وكلما افتقر العبد إلى ربه زاده غنى، وكلما تذلل إليه زاده عزًا وثوابًا وكلما توجه إلى الخلق زاده ذلًا، واستهانوا به، وذلك من فضل الله عليه، ليعود إلى ربه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾[الزمر/ ٦].

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾[الزمر: ٧].

فسبحان الغني الرحيم الحليم الذي لا يعاجل عباده بالعقوبة، وهو القادر: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[الأنعام/ ١٣٣].

هو الغني ذو الرحمة، وخزائن غناه ممدودة برحمته إلى خلقه، لأنه هو الرحمن الرحيم.

وأعلم أن أغنى الأغنياء هو من عرف ربه بأسمائه وصفاته، وسارع إلى مرضاته بأنواع الطاعات، وأنفق في سبيل الله على عباده مما أعطاه ربه، وأعطى مما أعطاه ربه من نعمه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فالله ﷻ خلق الإنسان في هذه الدنيا، وملأ الدنيا بمحبوباته هو جل جلاله، وملأ الجنة

بمحبوباتنا نحن، محبوبات الرب: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة/ ١١٢].

وملأ الآخرة بمحبوباتنا نحن المؤمنين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

الله ﷻ يريد من عبده أن يكون في أعلى مقام في الدنيا، بأن يكون خليفة، يكون خليفة يطيع من استخلفه، وينفذ أوامره على نفسه بالعبادة، وعلى غيره بالدعوة: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص/ ٢٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

فلا يليق بالإنسان أن ينزل من رتبة الخلافة إلى رتبة البهائم والحيوانات، والسباع والشياطين، فيضر نفسه ويضر غيره، بل يجب عليه أن يجلس على كرسي الخلافة، فيتلقى الأوامر ممن استخلفه، وينفذها على نفسه، وينفذها على غيره، هذه وظيفتنا، ووظيفتنا تشريف لنا؛ ولذلك الإسلام شرفنا، وحاجتنا، ومسؤليتنا، الإسلام شرفنا، يرفعنا من الرتبة الحيوانية، والرتبة السبعية، والرتبة الإبليسية، إلى درجة عالية، درجة الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة: ١١].

والمؤمن من امتلأ قلبه بالإيمان الكامل الحقيقي: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة/ ٢٨٥].

فارجعنا إليك على أحسن حال، بالتوحيد الكامل، والعمل الكامل، والأقوال الحسنة، والأخلاق العالية؛ هذا مراد الله ﷻ منا.

واسم الله الغني ورد في القرآن ثمانية عشر مرة، وورد في السنة في حديث عائشة ان النبي

ﷺ قال: «**اللهم أَنْتَ اللهُ لاَ إِله إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ الْغَنِيُّ، وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قوَّةً وَبلاَغاً إِلَى حِينٍ**»أخرجه أبو داود[1].

والله سبحانه هو الغني الذي له كل شيء، ولا يحتاج إلى أحد في أي شيء، وكل أحد محتاج إليه في كل شيء.

سبحانه هو الغني، الذي غناه صفة ذاتية له، فصفة الغنى لا تنفك عنه أبدًا، وغناه لا أول له ولا آخر، ولا بداية له ولا نهاية، قدرته لا أول لها ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، إنما المخلوق الذي غناه له أول وآخر، وله بداية وله نهاية، أما الله ﷻ فأسمائه وصفاته لا بداية لها ولا نهاية، ولا أول ولا آخر، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد:﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥].

هو الغني الذي استغنى بماله من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والملك العظيم، عن الخلق كله، وكل ما سواه من المخلوقات فقير إليه فقرًا ذاتيًا، من الذرة الصغيرة، إلى العرش العظيم.

الله ﷻ أعظم مخلوقاته العرش، والله ﷻ لا يحتاج إلى العرش، بل العرش محتاج إليه، في خلقه وبقائه، الله ﷻ لا يحتاج إلى أحد، فالعرش أعظم المخلوقات محتاج إلى الرب في خلقه وبقائه، والله غني عن كل ما سواه:﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾[لقمان/ ٢٦].

لابد أن يتكلم اللسان ويخاطب الإنسان قلبه، حتى يعرف أن الله هو الغني الحميد، فيتوجه إليه في سؤاله، ولا يتوجه لغيره:﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ١ – ٤].

وقد اقترن اسم الله الحميد مع اسمه الغني عشر مرات، كما قال سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر/ ١٥].

وذلك والله أعلمإشارة إلى كمال غناه عن عباده، وأنه ليس به حاجة لأحد من خلقه، ومع ذلك فهو الغني الحميد الذي يحمد من شكره وأطاعه وعبده، مع أنه هو الذي خلقه، وهو الذي مكنه من الطاعة، وهداه إليها، ويجازي المحسن بأفضل جزاء،

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١١٧٣).

وطاعات العباد وثوابها كلها من جوده وإحسانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات/ ٩٦].
واقترن اسم الله الحليم مع اسمه الغني مرةً واحدة في القرآن، كما قال سبحانه: ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۝٢٦٣﴾ [البقرة/ ٢٦٣].
وسر ذلك والله أعلم أن الله غني عن الناس وصدقاتهم، وهم المحتاجون لثواب الصدقات، فلا يمن أحد على غيره بصدقة، لأنها من الغني سبحانه.
والله أعطاك لتعطي، وثواب الصدقة عائد على من تصدق بها، ومع هذا فالله غني حليم لم يعاجل المان بالعقوبة، بل أمهله لسعة حلمه، ليتوب إلى ربه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾ [النساء: ٢٧ – ٢٨].
والله سبحانه مع غناه التام من كل وجه، فهو موصوف بصفات الكمال من كل وجه، موصوف بالحلم على من عصاه، مع عطائه الواسع للبر والفاجر، والمؤمن والكافر.
فلا يمن المسلم الذي أعطاهالله بصدقته، مع قلة ما يعطي، لا يمن على الناس، هذا من فضل الله ﷻ، وليقل: هذا من فضل ربي، وإذا أعطاك الله فليراك معطيًا، وإذا أغناك الله فأكرم الناس بما أعطاك الله من مال أو علم أو خلق أو جاه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾
[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].
أما اسم الله الكريم، فاقترن باسم الله الغني في القرآن كذلك مرةً واحدة، في قوله سبحانه: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾ [النمل/ ٤٠].
وذلك والله أعلم إشارة إلى أن الله غني عن كل ما سواه، كريم على من أطاعه وعصاه؛ لأنه لا يريد لعباده إلا كل خير، ومن كفر فضل الله عليه، ولم يشكر إحسانه إليه، فعبد غير الله، فإن الله غني عن شكره، وهو كريم في إمهاله ورزقه لمن عصاه؛ لعل تتابع إحسانه إليه يرده إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].
فسبحان الغني بذاته وأسمائه وصفاته، وملكه وسلطانه، عن كل أحد، الغني الذي كل

موجود سواه محتاج إليه في كل أحواله، في إيجاده، وإمداده، في جلب ما ينفعه، في دفع ما يضره، في أمور دينه ودنياه، محتاج إلى إنعام وإحسان الغني الحميد، وإلى هدى الغني الحميد: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

ومن هداه الله سبل رضاه فليشكر ربه على ما أعطاه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [الحجرات/ ١٧].

فالذي يتصل بالمؤمن سبحانه يجد الأمن، الذي يتصل بالقوي قوي، الذي في معية الكبير كبير، الذي في معية الصغير صغير، والذي في معية الغني غني، لأنه يقف بين يديه، يطيع أمره، ويجتنب نهيه، ويستغفر من ذنبه، ويصبر على بلائه، وينتظر عطاءه.

هو سبحانه الغني الذي لا تنقص خزائنه مثقال ذرة مع كثرة الإنفاق، الغني الذي لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، ولو كفر به كل العالمين: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران/ ٩٧].

هو الغني عن كل ما سواه: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ٨﴾ [إبراهيم/ ٨].

ربنا محمود على عظمة أسمائه وصفاته، محمود على عظمة ملكه وسلطانه، محمود على عظمة نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى.

هو سبحانه الغني الحميد الذي أحسن ويحسن إلى عباده بصنوف النعم والإحسان، في جميع الأماكن والأزمان والأحوال، يحسن إليهم، ويتودد إليهم، ليعبدوه وحده، ويطيعوه وحده، يعطيهم ويتودد إليهم بالنعم لا لجلب منفعة إليه، ولا لدفع مضرة عنه.

بل لأن رحمته وسعت كل شيء وعطاؤه رحمة منه وإحسان إلى خلقه: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾ [الأنعام/ ١٣٣].

هو سبحانه الغني عن كل ما سواه، الغني الذي كمل بنعوته وأوصافه وأفعاله الجميلة، المغني لجميع مخلوقاته، المنزه عن كل ما ينافي غناه من النقائص والعيوب، والصاحبة الولد، والشريك والمثيل والمعين: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ

﴿وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾[الإخلاص/ ١- ٤].

هو الغني المحمود على كمال ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾[الإسراء/ ١١١].

إذا عرف القلب ربه بأسمائه وصفاته، كم تكون عبوديته! كم يكون حاضراً في جميع الميادين عبادةً، ودعوةً، وتعليمًا، وإحسانًا إلى الخلق، فهو يتنقل في الطاعات يريد مرضاة ربه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾[فاطر: ٢٩ – ٣٠].

هو سبحانه الغني الذي له كل شيء، ويحتاج إليه كل أحد في كل شيء: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾[لقمان/ ٢٦].

وهو الغني عن كل أحد في ألوهيته، فالله ﷻ لا يحتاج إلى عباده أن يعبدوه، بل نحن نحتاج إلى عبادة الله، والعبادة هي طاعة العابد لمعبوده فيما أمر به، وفيما نهى عنه، مع الحب والتعظيم والذل له: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥].

فأنا المحتاج لعبادته، لأني أربح عليه، هو الذي خلقني وهداني، وبين لي الدين الحق الذي يوصلني إليه، ويوصلني إلى الجنة؛ فله المنة والفضل علي، فعطاء ربوبيته بخلقه ورزقه وإمداده بالأقوات، وعطاء ألوهيته أن عرفني بالصراط المستقيم الموصل إلى رضوانه والجنة، وهداني إليه.

هو الغني عن كل أحد بألوهيته: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾[العنكبوت/ ٦].

ويقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «**أنا أغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» أخرجه مسلم[1].

وهو سبحانه الغني الذي أغنى جميع الخلائق من فضله؛ فكلهم يسكنون في ملكه، وينعمون بنعمه التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

﴿فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل: ٥٣].
نعمة السمع والبصر والعقل، نعمة الطعام والشراب، نعمة الأمن والعافية، نعمة الهداية، من نعم الله ﷻ.

وهو سبحانه الغني، الذي أغنى خواص خلقه بما فاض عليهم وعلى قلوبهم من العلوم والمعارف الربانية، والحقائق الإيمانية؛ فتراهم بين يديه عبادًا وبين يدي خلقه دعاةً إلى الله: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[الزمر/ ٩].

ومن صفات الأنبياء والرسل وأتباعهم، أنهم يبلغون رسالات الله؛ ويخشون ربهم ويعبدونه جل جلاله: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾[التوبة: ٧١].

لأني أحب أن يعبد الله، أغار على الناس أن يطيعوا الشيطان، أغار على الناس أريد أن يدخلوا الجنة، أغار على الناس خوفًا من عذاب جهنم، فالداعي في قلبه الغيرة على الناس، وبقلبه التعظيم للرب؛ فهو يحب لكل أحد أن يعظم ربه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه، الكريم الذي لا أكرم منه: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾[يوسف: ١٠٨].

فالمسلم يغار على نفسه، ويغار على غيره،إذا عرف ربه يريد أن يعرف الناس؛ ولهذا الكلام إذا خرج من القلب وصل إلى القلب، وكلام الداعي إما داء وإما دواء، فإن خرج من القلب فهو دواء يأتي بعده الشفاء؛ لأن الله ﷻ جعل الدعوة وسيلة للهداية، سبباً للهداية، والله قادر أن يهدي الناس جميعاً بأمر واحد، كما نور لهم الكون بكوكب واحد: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾[الأنعام/ ١٤٩].

- **ولكن الله مَن علينا بثلاثة أمور:**

أعطانا الكفار محل دعوتنا..وأعطانا الجاهل محل تعليمنا..وأعطانا الفقير محل صدقاتنا.

وابتلانا بالسفهاء محل حلمنا، وابتلانا بالظلمة محل صبرنا: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ

﴿ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[العنكبوت: ٢ -٣].

فالله ﷻ فتح لنا هذه الأبواب، والله ﷻ قادر أن يهدي الناس، لكن من فضل الله ﷻ علينا أن أعطانا وظيفة الأنبياء والرسل وهي العبادة، والدعوة، والتعليم، والإحسان إلى الخلق، هذه هي دورة أصول الدين الإسلامي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١١٠﴾[آل عمران: ١١٠].

الله ﷻ إذاأغنانا، فلابد أن نُغني الناس، الله أعطانا فرصة حتى نكسب الأجور.

اللهﷻ احتفى بهذا الإنسان، وخلقه بيده؛ لأنه يريده خليفة في الأرض، ولا يليق بالخليفة أن ينزل إلى رتبة من دون الخليفة، وقد توجه الله بهذا التاج: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾[البقرة: ٣٠].

هو سبحانه الغني الذي من علينا بالنعم الظاهرة والباطنة، فأغنى قلوب المؤمنين بالعلوم والمعارف الربانية، والحقائق الإيمانية، فأغناهم به عمن سواه، فتعلقت قلوبهم به وحده، ولم يلتفتوا لأحد سواه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾ [الجمعة/ ٤].

فليسعد المؤمن بما أعطاه ربه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾[يونس/ ٥٨].

الأنبياء أُعطوا الإيمان والأعمال، وكذلك هذه الأمة، أما الأموال والأسباب فالله ﷻ يعطيها من يحب ومن لا يحب، وإذا أعطانا الله من المال والنعم؛ فهو قد ابتلانا بعبودية الشكر: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧﴾[إبراهيم: ٧].

وإذا ابتلانا بالفقر والمصائب فهو يريد منا أن نحقق له عبودية الصبر: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾[البقرة: ١٥٥ -١٥٧].

الله ﷻ غني يريد من العبد أن يكون غنياً، ومن كمال غناه جل جلاله أنه قادر على تنفيذ

مراداته في جميع مخلوقاته، خلق البحر ماءً سائلًا، وخلق الأرض ترابًا جامدًا، وخلق الجبال، وخلق الحيوانات، وخلق النباتات، وخلق الشمس، وخلق القمر، هو الغني،ومن كمال غناه أنه قادر على تنفيذ مراداته في جميع مخلوقاته، خلقًا وتدبيرًا ورزقًا، في كل مكان، وفي كل زمان وفي كل حال:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف: ٥٤].

الغني واحد، والرزاق واحد، عنده خزائن كل شيء، ويعلم بكل حال، وبكل أحد، ويملك كل شيء:﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨].

فهذا الرب الغني الكريم، النفوس مضطرة إلى عبادته، وسؤاله، والاستفادة من خزائنه.

بكمال المعرفة بالله،تأتي قوة العبادة والأنس بالعبادة، والوحشة من الانصراف إلى غير الله.

الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، بسم الله الرحمن الرحيم نقولها على ما سنفعل، والحمد لله على ما فعل الله لنا من الخلق والرزق والهداية، والسمع والبصر والعقل، وغير ذلك من النعم، فالله ﷻ من كمال غناه أنه قادر على تنفيذ ما يريد في جميع المخلوقات كلها خلقًا وتدبيرًا؛ لأن له الخلق والأمر:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس: ٣١ - ٣٢].

هو الذي يملك السمع والأبصار، وهو الذي يخرج من حبة ميتة مليارات المخلوقات من النباتات، ويخرج من بيضة واحدة مليارات المخلوقات من الدجاج والبيض.

ويدبر الأمر في العالم العلوي والعالم السفلي، أوامر التصريف والتدبير، أوامر التحريك والتسكين، أوامر النفع والضر، من الذي يدبر الأمر؟ ليل ونهار؟ وحر وبرد؟ وحرارة وبرودة؟ وأمطار ورياح، من يدبر الأمر؟ من يصرف الرياح؟ من الذي يثير السحاب؟ من الذي يسير السحاب؟ من يدبر الأمر؟ الله وحده لا شريك له:﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ

ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣٢].
فإذا عرفنا الله بأسمائه وصفاته توجهنا إليه بالعبادة، وأكثرنا من الاستغفار، خاصة بعد العبادات الكبار، بعد الصلاة، بعد الصوم، بعد الحج، استغفر الله من التقصير في العبادة، وبقدر نقص المعرفة ينقص الإيمان ثم تنقص الأعمال، وبقدر المعرفة يقوى الإيمان ثم تقوى الأعمال، وقوة الأعمال في أمرين: أن تكون خالصة لله ﷻ، وأن تكون على سنة النبي ﷺ، هذه المقبولة: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة/ ٢٧].
فسبحان الغني عن كل ما سواه! الذي جعل عباده فقراء إليه، من رحمته جعلنا فقراء إليه في كل شيء؛ حتى نقف ببابه، ولا نقف بباب غيره؛ وحتى لا نستغني بالنعمة عن المنعم: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق/ ٦ - ٧].
كم ممن اغتر بماله وجاهه وقدرته، إبليس قال: أنا خير منه؛ لأنه افتخر بجنسه وبطاعته وعبادته لربه: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص: ٧٦].
وفرعون أطغاه ملكه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ [النازعات: ٢٤ – ٢٥].
فأنا، ولي، وعندي، وبيدي، الأربع لله وحده: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].
وقال سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].
وقال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].
ومن كمال الغني العظيم جل جلاله، وكمال غناه وحبه لعباده، أنه يأمرهم بدعائه وسؤاله في كل وقت؛ لأنه الغني وحده، ومن كمال غناه أنه يأمر عباده بدعائه وسؤاله في كل وقت، ويعدهم بإجابة دعائهم، ويؤتيهم من فضله ما سألوه وما لم يسألوه، لأن العطاء أحب إليه من المنع: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر/ ٦٠].
ويتودد إلى عباده ليتقربوا إليه ويسألوه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ

دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة/ ١٨٦].
فالله ﷻ أظهر أسماءه الحسنى في كتابه العظيم، وأظهر آياته الكونية، وجعلها مظهرًا لأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة،فالخلق يدل على الخالق، والرزق يدل على الرازق، والحكمة تدل على الحكيم، وأنار الرحمة تدل على الرحمن، والقوة في خلق السموات والأرض، وخلق الجبال والبحار تدل على القوي، وغير ذلك من الأسماء الحسنى التي تدل على جلال وجماله:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٤].
فهذه الأسماء الحسنى، والصفات العلى، مغذية للقلوب بالتوحيد والإيمان الذي يحرك البدن للعمل الصالح، والقول الحسن، والخلق الحسن، فالله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه، بقوله:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].
فهذه المعرفة هي أم المعارف، وأول المعارف، وأكبر المعارف، أن نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده، والقرآن كله يتكلم عن هذه المسائل العظيمة

**فالعلوم تنقسم إلى قسمين:**

العلوم العالية .. والعلوم السافلة.

**العلوم العالية:** هي العلم الإلهي، وأعظمه معرفة الله، ومعرفة دينه وشرعه، والعمل بموجب ذلك:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق: ١٢].

**أما العلوم الأخرى:** فهي العلوم السافلة التي هي أدنى؛ ومنها ما هو مباح، ومنها ما هو محرم، فالمباح علم الطب، والهندسة، والزراعة، والتجارة وغيرها، فهذه علوم مباحة، لما فيها من المنافع.

وأما العلوم المحرمة كتعلم السحر والكهانة، لما فيها من ادعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وحده.

فالله ﷻ خلق الإنسان وعلمه أمور دينه، وأمور معاشه، لكن المؤمن يعمل في حياته على أنه عبد يتلقى الأوامر من ملك الملوك الذي خلقه وسواه، وأسكنه في الأرض، وأطعمه

من رزقه، فهو يأتمر بأمره:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

ولهذا فجميع عباداتنا، وجميع أعمالنا، وأنفاسنا وحركاتنا، كلها عبادة، لأن الله ﷻ أمرنا بامتثال أوامره في كل حال، فالنوم له أكثر من ستين سنة ، نوم الإنسان هذا عبادة، وعند الأكل أكثر من خمسين سنة إذا فعلها المسلم يكون في عبادة، وهكذا لله أوامر عند الزواج، وأوامر عند السفر، وأوامر عند طلب العلم، وأوامر عند الوضوء، وأوامر في الصلاة، هذه الأوامر هي العلم الإلهي، فيتعبد المسلم لربه بهذا العلم، فهو في دائرة العبودية في كل أحواله وأموره:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

كل ما سوى الهادي ضال، ومن ضل تاه عن الطريق، ولم يصل إلى المقصد، فالهادي يهدي من يشاء من خلقه إليه وإلى دينه؛ لأنه يعلم أن هذا الإنسان صالح لدخول الجنة، وصالح لعبادة الله ﷻ:﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج: ٥٤].

والله ﷻ أقام الحجة وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأعطى العقول والأسماع والأبصار، فهيأ جميع الأسباب للهداية، ولكن الناس كالأرض، منها ما يقبل الماء فينبت من كل زوج بهيج، ومنها ما لا يقبل، كالحجارة، والأرض السبخة:﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ٥٨].

والله خلق هذا وهذا؛ ليبين عظمته في خلق المتضادات، والله ﷻ عليم بما كان وما يكون وما سيكون،والله ﷻ لا يجبر أحداً على المعصية، ولا يأمر بالفحشاء والمنكر أبدًا؛ بل يأمر بالعدل والإحسان:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل: ٩٠].

فنحن نعبد ربًا غنيًا، عنده عطاء الربوبية من الخلق، والأقوات، والأرزاق، ومنه عطاء الألوهية وهو الأمر الشرعي الإلهي، الذي يربطنا بالواحد الأحد، ويربطنا بالملائكة المقربين، ويربطنا بإخواننا المؤمنين، ويربطنا بالجن المؤمنين، هذا أعظم رابط، رابطة

الإيمان، ورابطة التوحيد: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

الله ﷻ هو الغني الذي تفضل علينا بهذا وهذا، الله ﷻ يريد لنا في الدنيا أحسن شيء وهو هذا الدين: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

ويريد لنا يوم القيامة أعظم مقام: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

ووعد المؤمنين بالفردوس في الجنة بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧ - ١٠٨].

فالله لا يرضى لعبده المؤمن الذي استغنى بالله، وقبل من ربه هذا الخير، وشكره عليه وعمل به، لا يرضى له أن يكون سكنه، يوم القيامة إلا في الفردوس الأعلى، وسقف الفردوس الأعلى عرش الرحمن والله فوق العرش: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه/ ٥].

وما تحت العرش هو جنة المؤمن.

قال النبي ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ ، وسقفه عَرْشُ الرَّحْمَنِ**» أخرجه البخاري(١).

وعرش الرحمن أعلى شيء، وأوسع شيء، وأنور شيء، ولذلك الله ﷻ جعل هذا المخلوق أعظم المخلوقات.

- **وأعظم صفات العرش العظيم:**

أعلى شيء، وأوسع شيء: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وأنور شيء، والنور جل جلاله قد استوى عليه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٣).

كذلك الله يريد للعبد أن يتصف بصفات العرش، الأولى أن يكون أعلى شيء: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

أنتم الأعلون، لأنكم اتصلتم بالعلي الأعلى، واتخذتم منهجًا تسيرون عليه من العلي الأعلى، وامتثلتم أمر العلي الأعلى، فيوم القيامة تخلدون في أعلى عليين، في الفردوس الأعلى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧ – ١٠٨].

**الثانية:** أن يتسع قلبه لجميع أنواع العبادات؛ فإذا امتلأ القلب بالإيمان؛ اتسع لجميع أنواع الطاعات، وانشرح الصدر لجميع الواجبات والمستحبات والسنن، فيكون أوسع شيء، والله خلق الدنيا وملأها بمحبوباته هو، من أنواع العبادات: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

ومحبوبات رب العالمين هي أوامره الشرعية، فالله خلق الدنيا وملأها بمحبوباته هو من أجلك أنت، حتى تأخذ من هذه المحبوبات ما تتقرب به إلى ربك، فيضاعف لك أجره يوم القيامة، ويوصلك إلى الجنة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

فالله ﷻ يريد من العبد أن يتسع صدره للتوحيد والإيمان، يتسع صدره للطاعات والعبادات، والأقوال الحسنة، والأخلاق العالية؛ فيكون أوسع شيء: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].

**الثالثة:** من الصفات التي يريدها الله ﷻ للعبد؛ أن يكون قلبه أنور شيء؛ فالقلب الذي فيه الشرك والكفر مظلم؛ ولذا يتخبط في الظلمات والشبه والشكوك.

أما القلب المملوء بالإيمان، فقد تنور بما يحبه الله من التوحيد بالإيمان والأعمال الصالحة.

فنور العين لا يكفي بل لابد من النور الإلهي الذي نجتهد عليه حتى نتحصل

عليه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢]؛ فإذا تطابق قلب المؤمن مع صفات العرش العظيم صار سكن هذا المؤمن الفردوس: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].

والله سبحانه يريد أن نترقى بالصفات؛ حتى نكون في هذه الدرجة العالية، صفاتنا تطابق صفات العرش علوًا، واتساعًا، ونورًا: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

فسبحان الملك الغني الذي جميع الخلائق عبيده، وجميع الكائنات ملكه.

والكل في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي عالم الغيب، وعالم الشهادة، الكل يسبح بحمده، ويشهد بوحدانيته، ويخضع لقهره، ويستجيب لمشيئته، ويسرع إلى إرادته: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان: ٢٦].

هذه الكلمات العظيمة القلب يقبلها؛ لأنها حق، والحق إذا سكن في القلب؛ امتلأ نورًا وإيمانًا سبحانه هو الغني الكريم الذي يستحق أن يعبد، وأن يشكر، وأن يطاع، وأن يذكر فلا ينسى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٣- ٤٤].

هو سبحانه الغني الذي لا تنقص خزائنه أبدًا مع كثرة الإنفاق ليلًا ونهارًا، مكانًا وزمانًا، لأنه الملك الذي له خزائن كل شيء، له ما في السموات وما في الأرض، وله ملك السموات والأرض؛ وله خزائن السموات والأرض، وله مقاليد السماوات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله ملك الدنيا والآخرة، وله عالم الغيب والشهادة: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

الله ﷻ غني، وخزائنه ملئ بكل شيء، وخزائن كل شيء عنده.

خزائن السموات، خزائن الأرض، خزائن النجوم، خزائن النباتات، خزائن الحيوانات،

خزائن الذهب، خزائن الكلام، خزائن الرحمة، خزائن العلم.

خزائن كل شيء عند الله ﷻ، وخزائنه لا تحتاج إلى المواد، بل هو بديع السموات والأرض: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة: ١١٧].

له الخلق كله، وله الملك كله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

فسبحانه إحسانه وجوده وإنعامه على خلقه مدرار، متواصل في جميع الأوقات والأماكن، ويده الكريمة سحاء الليل والنهار بالعطاء.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ يَمِينَ الله مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ**» أخرجه البخاري[1].

هو الغني هو الذي لا تنقص خزائنه أبدًا، فإن نقصت مثقال ذرة، أو فلساً فهو فقير؛ لأنه محتاج في غناه إلى هذا الفلس، والله غني لا تنقص خزائنه أبدًا.

فالمحدود إذا أخذ من المحدود نقص، أخذ مائة من مائة ألف ريال تنقص، والمحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبدًا: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص/ ٥٤].

والله غني بذاته عن جميع مخلوقاته، الوهاب من رزقه لكل واحد، فهو الذي وهب السمع، والبصر، والعقل، والطعام، الشراب، والسكن، وسحر الليل والنهار، وكل شيء، هو الله الغني بملكه، غني بعلمه، غني بفضله فالله غني عن العالمين، فلا إله إلا الله الواحد الأحد، الغني الكريم، الذي لو يجتمع أهل السموات والأرض.

وأول الخلق وآخرهم وقاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطاهم ما سألوه؛ ما نقص من ملكه شيئا.

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**» أخرجه مسلم[2].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤١٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

إذا المخيط أدخل في البحر ماذا يحمل معه من الماء؟.

فلو اجتمع الأوائل والأواخر، والإنس والجن، وجميع المخلوقات، ثم سألوا كلهم، ثم جمعت أسئلتهم هذه كلها، وجعلت في سؤال واحد ثم سألت المخلوقات كلها وطلبت من ربها هذا السؤال العظيم، ما نقص مما عند الله شيئًا، ولا مثقال ذرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧﴾ [لقمان/ ٢٧].

الله ﷻ غني بأسمائه وصفاته وأفعاله، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل اللأعلى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

- **هو الغني وكل ما سواه فقير إليه من كل وجه:**

في إيجاده .. وبقائه .. ونفعه وضره.. وحركته وسكونه .. وقوته وضعفه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥].

- **واسم الله الغني يشتمل على صفتين لله ﷻ:**

**الأولى:** صفة ذات؛ لا تنفك عن الله أبداً كما قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

فالله غني والغني صفة ذاتية له؛ فالغني لا يكون فقير أبدًا، فهو الغني الذي غناه مطلق، وغناه لا أول له ولا آخر، ولابداية ولا نهاية؛ إما الإنسان فغناه حادث، وغناه موهوب وغناه محدود، أما الله ﷻ فالغنى صفة ذاتية له، فهو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إلى غناه.

**الثانية:** صفة فعل؛ كما قال سبحانه: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ [التوبة/ ٢٨].

لأنه الغني الذي يغني عباده من فضله، وصفة الفعل تتُعدى إلى الخلق، فالله عليم يعلم الخلق، رزاق يرزق الخلق، غني يغني من شاء من عباده: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[التوبة/ ٢٨].

هو سبحانه الغني الذي يملك كل شيء، وعنده خزائن كل شيء، الذي يغني عباده بما شاء من صنوف النعم الظاهرة والباطنة، فيعافي الإنسان في بدنه، ويهديه إلى دينه، ويهبه المال، ويرزقه العيال، ويدر عليه الأقوات، والهواء الذي يتنفس منه، والطعام الذي يأكل منه، والماء الذي يشربه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم/ ٣٤].

فسبحان الغني الذي لا إله غيره، ولا إله نحبه ونتودد إليه ونعبده إلا الله وحده.

هو الغني الذي لا إله غيره، ولا رب لنا سواه، له الملك كله، وله الخزائن كلها، يتصرف في الملك كله، ويعطي من يشاء ما شاء من فضله ورزقه لعالم الحيوان، وعالم الإنسان، وعالم الجن، وعالم الملائكة، وغير ذلك من المخلوقات: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾[يونس: ٣١ – ٣٢].

أما الغني من الخلق بماله ومنصبه فغناه غالبًا يطغيه عليهم: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾[العلق/ ٦ – ٧].

أما الغني الحميد سبحانه فإنه مع كونه غنياً عن الخلق كلهم فهو رحيم بهم، لطيف بحالهم، محسن إليهم، مع كثرة معاصيهم، وقلة طاعاتهم.

الله أكبر! كم من الخلق من الكفار، والمشركين، والسحرة، والدجالين، والفجار، والفساق، كم الله ﷿ ينعم عليهم بالعطاء والعافية والهواء ونور الشمس والقمر، والطعام الذي يأكلونه، والشراب الذي يشربونه، كل هذا من عطاء الربوبية؛ لأنه ليس هناك باب نأخذ منه هذه الأرزاق إلا باب واحد، باب الواحد الأحد الغني عن كل أحد، المعطي لكل أحد: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾[الحج: ٦٤].

ولا يقول على الله غير الحق إلا من لم يعرفه بأسمائه وصفاته، فالجاهل هو الذي يقول على الله غير الحق، ولهذا لابد أن يسأل: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل/ ٤٣].

والعالم لابد أن يعلم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة/ ١٥٩- ١٦٠].

تابوا من بعد ما ظلموا، وبينوا ما كتموا، وأصلحوا ما أفسدوا.

فواجب على الجاهل أن يتعلم، وواجب على المعلم أن يعلم، فهذان أمران مطلوبان؛ فإذا تعلم الجاهل، وعلم العالم، ارتفع الجهل، وسارت الأمة إلى ربها على هدى وبصيرة وارتفعت عن درجة الحيوانات، وعن درجة السباع، وعن درجة الشياطين، إلى درجة الملائكة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

اغفر لنا عن تقصيرنا، وعدم قدر الله ﷻ حق قدره: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٥].

فلا يقول على الله ﷻ غير الحق إلا جاهل بربه، وجاهل بأسمائه وصفاته، وجاهل بدينه وشرعه.

ولهذا لابد من تغذية القلوب بالإيمانيات، وتغذية العقول بالعلميات، كما تغذى الأجسام بالماديات والطعام والشراب، والله واهب هذا وهذا: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

فمن عرف ربه آمن به وأحبه وأطاعه، ومن جهله قال عليه غير الحق كاليهود: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران/ ١٨١].

والنصارى الذين قالوا على الله غير الحق: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٣ – ٧٤].

لكن المؤمن الذي عرف ربه يخشاه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

ويتوكل عليه ويعبده: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فمعرفة الله هي سبيل عبادته، ومحبته، وتعظيمه وتكبيره.

فسبحان الغني الحميد الذي لا يعامل عباده إلا معاملةً يحمد عليها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

- **فكل ما يقضيه لعباده مبني على أربعة أمور:**

الرحمة .. والعدل .. والحكمة .. والإحسان.

لأن الله جميل، ولا يفعل بعباده إلا ما هو جميل، سواءً كان هذا الشيء محبوبًا تحبه النفس، أو مكروهًا تكرهه النفس، ففي قدر المكروه خير كثير، والله يعلم وأنتم لا تعلمون: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء/ ١٩].

فكل معاملة من الله ﷻ لعباده كلها خير، وحكمة، ورحمة، وعدل، وإحسان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

- **والناس على درجتين:**

**الأولى**: أن يستعملهم الله في مقام الشكر، فيوصل النعم إليهم بقوته؛ لعل النعمة تحرك قلوبهم لذكره وحمده وتمجيده، وتحرك جوارحهم لطاعته وعبادته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

[البقرة: ١٧٢].

**الثانية**: أن يبتليهم بالابتلاءات لعل هذا البلاء يردهم إليه، يصبرون مع شدة البلاء، فينالوا أجر الصابرين: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

والله ﷻ ابتلى أيوب ﷺ سبعة عشر عامًا في البلاء؟ والعلاج تحت قدميه، لكن الله يريد منه أن يتحصل على صفة الصبر التي يريد: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص/ ٤٤].

فلما جاءت هذه الصفة قيل له: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴿٤٣﴾﴾ [ص/ ٤٢ - ٤٣].

هذا من رحمة الله ﷻ بعباده، فهو يريدهم في مقام الشكر، وفي مقام الصبر: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم: ٥].

- **والناس في هاتين الدرجتين:**

إما غني شاكر .. أو مبتلىً صابر.

والله عزيز حكيم ما منع إلا ليعطي، وما ابتلى إلا ليعافي، وما قبض إلا ليبسط، فاصبر: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

فالمؤمنون حقاً يصبرون، ثم يرضون بما قدر الله ﷻ، وفوق ذلك يحمدون الله على هذا الابتلاء؛ لأن الابتلاءات في باطنها خيرات كثيرة، تجعل الإنسان يذهب إلى جميع الجهات فيجدها مغلقة، ويبقى باب العلي الأعلى مفتوحاً؛ فيركع لربه ساجدًا في حضيض الأرض، ليتجه دعاءه إلى العلي الأعلى، والله يسمع دعاءه حين ينزل إلى السماء الدنيا تكريماً لعباده في ثلث الليل الآخر من كل ليلة فيقول: «**هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟**» متفق عليه[1].

هو يسمع لو لم ينزل إلى السماء الدنيا، ولكن تودداً لعباده وإكرامًا لهم ينزل كما يليق بجلاله، ويخبر عباده بأنه ينزل، يسألوه ويدعوه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٩٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة: ١٨٦].

هو جل جلاله الغني الذي يغني عباده بما شاء من فضله، يعطينا من عطاء الربوبية، ويعطينا من عطاء الألوهية، فالحمد لله أن خلقنا في أحسن تقويم، وجعلنا من المسلمين، وأمدنا بالأقوات، وهدانا إلى الصراط مستقيم: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

هو سبحانه الغني الذي يغني عباده بما شاء من فضله، ويغني بعضهم عن بعض، لكن يحوج الجميع إليه سبحانه؛ فكلنا فقراء إليه، من الملك إلى أدنى إنسان في الخليقة، فكلهم فقراء إلى الله في الطعام، والشراب، والهواء، والعافية، وإدارة هذا البدن، نحن فقراء إلى الله في كل شيء، فإذا أعطانا العقل فهو قادر أن يسلبه فنكون مجانين، وأعطانا البصر وهو قادر أن يسلبه فنكون عمياً، وأعطانا السمع وهو قادر أن يسلبه ويجعل الإنسان أصم؛ فنعم الله لا تُعد ولا تُحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[النحل: ١٨].

الله ﷻ هوالغني الذي يغني عباده بما شاء من فضله، ويغني بعضهم عن بعض، ويرزق بعضهم من بعض: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾[الإسراء/ ١٨ – ٢١].

الله أكبر! كم درجات المؤمن والمؤمنة يوم القيامة، وكم جناتهم؟ وكم سعة تلك الجنات؟ يدخل الجنة له مثل هذه الدنيا عشر مرات، بسماواتها السبع، وأراضيها السبع، هذا أصغر قصر لأدنى مسلم في الجنة: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[الحديد: ٢١].

فالله ﷻ واسع، وغني، وكريم، وقادر لا يعجزه شيء، خلق البحر كخلق القطرة، خلق الجبل كخلق الذرة: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ [يس/ ٨٢- ٨٣].

فسبحان من هذه نعمه، وهذه قدرته: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨﴾ [لقمان: ٢٨].

هو سبحانه الغني الذي كل غنى منه جل جلاله، والله ﷻ أحوج بعضنا إلى بعض؛ وأحوج الجميع إليه وحده لا شريك له: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

فالله ﷻ أحوج الإنسان إلى أعضائه، وأحوج الإنسان إلى أخيه الإنسان، ليعينه، وأحوجه إلى المخلوقات من الهواء والطعام والشراب، ليشعر بفقره وعجزه وأحوج جميع الخلائق إليه في وجودها، وفي بقائها نفعها وضرها: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ٦٨].

فالقلب لابد أن يعرف العظيم، ويعرف الغني، ويعرف الكبير؛ ويعرف القادر، ويعرف الكريم حتى يتوجه إليه، ولا يقف بباب الفقير.

هو سبحانه الغني الكريم الذي قسم الأرزاق على جميع العباد: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف/ ٣٢].

فسبحان الغني الذي لا يحتاج إلى أحد، الغني الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٦- ٥٨].

والرزاق لابد أن يكون عنده خزائن يرزق منها الخلق، فالله ﷻ ملأ خزائنه بجميع ما يحتاجه خلقه.

هو الله الغني ذو الفضل العظيم، كل ما في خزائن الغني الله لا يحتاجه، وإنما العباد يحتاجون إلى ذلك،والله ملك كريم، والملك لابد أن يكون له عطاء لعباده، ولابد أن يكون له إكرام لمن أطاعه، وله عقوبة لمن عصاه في الدنيا والآخرة:﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾[طه: ٧٤ – ٧٥].

فهذا الرب الذي نعبد له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة.

فسبحان الملك الغني الذي أفاض الخير على عباده في كل مكان وزمان، ورزقه لكل أحد موجود، وفضله على كل أحد مشهود:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣].

بقدر إيمانك، بقدر طاعتك، بقدر عطائك، بقدر إحسانك، ستنال ما يرضيك: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾[الضحى: ٥].

هو سبحانه الغني الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هداه، هو الغني الذي أعطاك السمع والبصر، وأعطاك الأيدي والأقدام، وأعطاك العقل والذكاء، والتفكر والتصور، هو سبحانه الغني الذي أغناك بمعرفته وعبادته عما سواه، هو الغني الذي أغناك عن عبادة غيره:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات/ ١٧].

فالله سبحانه يغني من يشاء أحيانًا بالعلم أو المال أو الجاه أو القوة، وهذا عطاء الربوبيةويعطي من يشاء الإيمان والهداية والقرب منه، والسداد في الأقوال والصواب في الأفعال، محاسن الأخلاق، وهذا عطاء الألوهية:﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد/ ٢١].

- **وعطاء الله ﷻ على قسمين:**

**الأول:** من الناس من يغنيه الغني الحميد بكثرة الأموال، فتجد عنده الأموال والقصور، والمزارع والمصانع، وهذا عطاؤه لجميع الأمة المسلم والكافر، والبر والفاجر:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣].

**الثاني**: ومن الناس من يغنيه الله ﷻ بتصفية الأحوال فلا يعطيهم من الدنيا ما يشغلهم عن عبادته، والدعوة إليه، والجهاد في سبيله.

فالله ﷻ يحمي عبده المؤمن من التوسع في الدنيا، إنما يعطيه ما يحتاج ليظل بباب العبودية مفتقرًا منكسرًا بين يد ربه.

وهذا أعظم باب يدخل منه الإنسان على ربه، باب الافتقار إلى الله ﷻ، باب الافتقار إلى الغني الذي عنده خزائن كل شيء: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

فسبحان من كل أسمائه حسنى، وكل صفاته عليا، وكل أفعاله جميلة وحكيمة، وكل ما في الكون من نعمه فمن خزائنه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل/ ٥٣].

هو سبحانه الغني الذي لا شريك له، ولا مثيل له، ولا عدل له، ولا كفو له: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس/ ٦٨].

فكم في السموات والأرض من الخيرات والبركات! فلا إله إلا الله، وسبحان الله العلي العظيم الغني الكريم الذي لا يحتاج إلى أحد، فهو الغني قبل أن يخلق الخلق، وبعد أن خلق الخلق، الذي استغنى عن جميع الخلق لعظمة ملكه، وعظمة خزائنه، وعز سلطانه، وكمال قدرته، وجميع خلقه فقراء إلى فضله وإحسانه وإنعامه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥].

يعطي من أطاعه وعصاه، لأن باب العطاء بيدواحد جمع العطاءات في هذا الكون بيده وحده، عطاء النباتات بأمر الله، عطاء الأرزاق بأمر الله، والله ﷻ يعطي العباد من فضله ونعمه من أطاع ومن عصا، هذا عطاء الربوبية، لعل من كفر تذكره النعمة بالمنعم؛ فيعود إلى ربه، وإلى فطرة الله التي فطر الناس عليها: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

هو سبحانه الغني عن جميع الخلق من جميع الوجوه، والخلق كلهم فقراء إليه من جميع الوجوه، فلا يتحرك ساكن، ولا يسكن متحرك إلا بإذن الله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ

بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦].

والله سبحانه هو الغني، وليس كمثله شيء في أسمائه وصفاته وأفعاله.

هو الغني الذي لا أول ولا آخر ولا بداية ولا نهاية لغناه، والإنسان غني؛ لأن الله أغناه بفضله، فخلقه أولًا، وأمده بالأقوات ثانيًا، وبالأموال ثالثًا وهكذا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: ٦٠].

فالإنسان غني؛ لأن الله أغناه بفضله وجوده وإحسانه، وغنى الله مطلق غير مقيد ولا محدود، وغنى المخلوق حادث محدود موهوب، فقد يكون الإنسان غنيًا بالمنصب، يكون ملكاًورئيساً، أو رئيس دائرة، غنيًا بالمنصب، لكنه فقير إلى المال، إلى الزوجة، إلى الولد، إلى العافية، إلى الأمن، لكن الله هو الغني الواحد الأحد في غناه، ليس كمثله أحد في غناه: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

هو الغني الذي صمدت إليه جميع المخلوقات في حوائجها: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١ - ٤].

وغنى الله دائم ذاتي، وصف ذاتي له لا ينفك عنه أبدًا، أما الإنسان فغناه يسبقه فقر، ويتبع غناه فقر، غنى الإنسان، كان قبل فقيراً، ثم أغناه الله، وبعد غناه يكون فقيراً، ويتبع غناه فقر: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

فلا إله إلا الله الغني الذي له الكمال المطلق في كل شيء، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، هو الغني الذي لا يحتاج إلى العرش وحملته، ولا يحتاج إلى الكرسي وعظمته: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦].

إذا عرفنا الملك، وعرفنا الغني، وعرفنا القادر، وعرفنا الكريم، والحليم والرحيم، فلماذا لا نعبده؟ لماذا لا نتوكل عليه؟ لماذا لا نسأله؟ لماذا لا نوحده؟ لماذا تلهينا الشهوات الحيوانية عن الأوامر الشرعية؟ لابد من لزوم الجو الإيماني؛ حتى يزداد الإيمان، وإذا زاد الإيمان؛ امتلأ القلب بالإيمان، ثم تحرك اللسان بالذكر والتمجيد لربه، وسؤاله واستغفاره، وتحركت الجوارح بطاعته: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

الجو الإيماني غير الجو العلمي، وغير الجو الصناعي، وغير الجو الزراعي، وغير جو الشهوات، فالأجواء الغافلة كثيرة، وكلها مذمومة إلا الجو الإيماني، الذي يذكر فيه الله، ويعظم الله، وتذكر فيه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده، فالجو الإيماني يذكر بالله، وينشط القلب لعبادة الله، ثم تظهر الآثار على سائر المدن، على الأذن فتسمع ما يحب الله، على اللسان فيتكلم بما يحب الله، على العين فترى ما يحب الله، على القدم فتمشي إلى ما يحب الله ﷻ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

فالله أكبر كم جنة المعرفة وصل إليها من هداهم الله ووفقهم، هذه الجنة تحتاج إلى بكاء، وإلى دعاء، وإلى افتقار: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

هو الغني وحده، وأخبرنا أنه غني عن الخلائق كلها، لم يخلق الخلق ليستكثر بهم من القلة، ولا يستأنس بهم من الوحشة، ولا ليتقوى بهم من ضعف، ولا ليستغني بهم من حاجة، ولا لينصروه من ضعف، وإنما خلقهم إظهارًا لقدرته في خلق المخلوقات المختلفة، ودلائل على وحدانيته، وخلقهم ليذكروه ويعبدوه، ويتذللوا للملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ولا يتوجهوا إلى غيره من المخلوقات الأخرى.

فالإنسان خُلق مفطورًا على الافتقار، فإما أن يكون عبدًا لله، أو عبدًا لعبد الله من المخلوقات، فكل ما سوى الله عبيد لله، تعبد الله ﷻ، وتسبح بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

ونفوس الكفار إن لم تستجب لله بألسنتها، فذراتها تسبح بحمد ربها.

فالله ﷻ خلق هذه المخلوقات، ليذكروه، ويعبدوه، وينالوا ثوابه، وهو الغني عن جميع عباداتهم، وأذكارهم، وصدقاتهم: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت/ ٦].

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

وجهد الإنسان بأنواعه، الجهاد بالنفس .. والجهاد بالمال .. والجهاد باللسان، نفعه عائد عليه، والله غني عنه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢﴾ [لقمان: ١٢].

فهو سبحانه الغني الكريم الوهاب الذي يعطي من شاء من خلقه بسؤال، وبدون سؤال، ولكن أعظم الأبواب لعطاء الغني باب الإيمان والتقوى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

# التعبد لله ﷻ باسمه الغني

الله سبحانه هو الغني، وأخبرنا أنه الغني، وجميع ما في الكون من فضله ومن عطائه، لأنه الغني، وخزائنه ملأى، فهو الغني الحق عن كل ما سواه من الخلق.

وخزائن الغني مملوءة بكل شيء، وجميع المخلوقات مفتقرة بل مضطرة إليه في خلقها وبقائها، وإمدادها وسائر أحوالها:﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦ ﴾[لقمان: ٢٦].

فالله غني عن جميع العالمين، والغني هو الذي يخلق ما يشاء، ويأمر بما يشاء، ويعطي ما يشاء، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة.

والله ﷻ يحب أسماءه وصفاته، ويحب ظهور آثارها فيمن اصطفاه من خلقه؛ فالله كريم يحب أن تظهر صفة الكرم في خلقه، الله عفو يحب العفو وأهل العفو، والله مؤمن يحب المؤمنين، والله تواب يحب التوابين:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾[الأعراف: ١٨٠].

الله ﷻ يحب ظهور أسمائه وصفاته فيمن اصطفاه من خلقه، ولكن على شاكلة العبودية، ومن أجل هذا بين الله ﷻ في كتابه أسماءه الحسنى، وأظهرها في آياته ومخلوقاته، لماذا؟ لندعو الله بها، ونعبده بمقتضاها، فنقول: يا غني أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، يا عليم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، يا رحمان ارحمنا، يا غفار اغفر لنا .. وهكذا:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف/ ١٨٠].

هو جل جلاله الغني الذي يحب ظهور آثار هذه الأسماء في خلقه، فإذا أغناك الغني جل جلاله من فضله فاستغن بالغني عما سواه، ولا تلتفت لأحد سواه، وقف ببابه مع الفقراء المحتاجين المتواضعين، ولا تقف بباب غيره من الفقراء العاجزين، فالغريق لا ينقذ الغريق:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

فتوجهوا إليه بالنعم الظاهرة والباطنة، وسلوه من فضله فخزائن كل شيء بيده: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وإذا سألت فاسأل الله وحده، وإذا استعنت فاستعن بالله وحده، فهو الغني الذي صمد لجميع حوائج الخلق، كلهم، وجميع الخلائق تصمد إليه في جميع حوائجها، وأنت عبده فلا تذل نفسك بسؤال غيره من العبيد مما لا يقدر عليه إلا هو: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١ - ٤].

وقال النبي ﷺ لابن عباس: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**» أخرجه أحمد والترمذي[1].

وإذا أغناك الغني من فضله، وأعطاك من رزقه، من النعم الظاهرة والباطنة، وجاد عليك بإحسانه، فاشكره على ما أولاك من نعم، واحمده على ما خصك به من التكريم، واستعمل ذلك كله فيما يحبه ويرضاه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥].

واعلم أن الغني سبحانه إذا أعطاك مالاً فانفقه فيما يحبه ويرضاه، على نفسك، وعلى غيرك، وتقرب به إليه يضاعف لك أجره، ويخلف عليك أحسن منه: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [التغابن: ١٧ – ١٨].

وإذا علمك العليم جل جلاله من علمه؛ فاعمل به، وتقرب به إليه، وعلمه عباده تكن ربانياً: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) وهذا لفظه، وأحمد برقم (٢٦٦٩).

لِي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾
[آل عمران/ ٧٩].

فالغني ينفق من ماله، والعالم الذي أعطاه الله العلم لا يجوز له أن يكتم هذا العلم، بل يعمل به، ويعلمه غيره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

ومن علم الناس ازداد علمه، وكثر خيره، وزادت حسناته: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقدم الله التعليم على العلم؛ لأن التعليم هو المعلم للإنسان، تعليم الناس هو الذي يكشف حقيقة الإنسان، وأنه لا يعلم كل شيء، لأن الناس يسألونه ولا يستطيع الإجابة فيتعلم، فتعليم الناس هو الطريق الأعظم لمعرفة العلم؛ لأنه لا يكشف الإنسان إلا إذا وقف أمام الناس وسألوه فلم يجب، ليعلم أنه ليس بكل شيء عليم؛ إنما العليم بكل شيء هو الله، فليتوجه إلى العليم ليعلمه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه/ ١١٤].

فسبحان من خزائن العلم عنده وحده: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

أوتينا من العلم قليلاً من عالم الشهادة، ولكن أكثر عالم الشهادة لا نعلمه، وعالم الغيب لا نعلمه، فالله ﷻ هو العليم الذي أحاط بكل شيء علماً.

فالله ﷻ غني، ويريد من عبده المسلم، ومن أمته المسلمة، أن يكونوا أغنياء بهذا الدين، وأن يستغنوا بالله عمن سواه، وأن يغنوا الخلق بالأموال، بالخلق الحسن، بالعلم النافع، بفتح أبواب الخير: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فادع الناس إلى ربهم، وعرفهم بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ليعظموه ويكبروه، وعرفهم بنعمه وإحسانه؛ ليحبوه ويشكروه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ

ﭐلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[النحل: ١٢٥].

وتاج هذه الأمة هو الدعوة إلى الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت/ ٣٣].

فالداعي إلى الله أجره عظيم، وكل من يعلم الناس أجره عظيم، وكل من يتعلم العلم أجره عظيم.

قال ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**» أخرجه مسلم(١).

فأجر الداعي إلى الله عظيم، لا يستطيع أحد أن يدفعه، لو جمعنا ما في السموات والأرض من الذهب والفضة وكل شيء، لا يساوي أجر دعوة إنسان إلى الإسلام.

فأجر الدعوة لا أحد يقدر على المكافأة عليه إلا الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾[الشعراء: ١٦٤].

فكل شيء يمكن دفع أجرته إلا أجر الدعوة إلى الله، تعليم شرع الله، والإحسان إلى الخلق، كل ذلك لعظمته لا يقدر عليه إلا الله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾[سبأ: ٤٧].

هو القادر الغني الذي يعطيني الأجر آمن الناس أو لم يؤمنوا، اهتدوا أو لم يهتدوا.

فأنفق مما آتاك الله من العلم، وحرك لسانك بذكره وشكره، واستعمله بالدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[النحل/ ١٢٥].

فعبودية اللسان إما بالكلام مع الله بالعبادة أو الكلام عنه بالدعوة فكلام اللسان مع ربه بالعبادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢].

وكلامه عن ربه بالدعوة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

- **وظيفة المسلم بين يدي ربه خمسة أمور:**

طاعات يؤديها .. معاصي يجتنبها .. ذنوب يستغفر الله منها .. نعم يشكر الله عليها .. ابتلاءات يصبر عليها.

وإذا جبلك الله على الخلق الحسن، وأعطاك من مكارم الأخلاق؛ فاشكره على هذه النعمة وتعبد له بذلك، فاتق الله حيثما كنت؛ لأنه أهل التقوى وأهل المغفرة، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

واصبر لحكم ربك، وأحسن إلى العباد، واصبر على الأذى ابتغاء مرضاة الله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

من أجل الله ﷻ، اصبر على ما أصابك، وصل من قطعك، واعطِ من حرمك، واعفُ عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك؛ تكن غنيًا.

افعل ذلك كله ابتغاء مرضاة الله، يقلب الله عدوك صديقًا، ومبغضك محبًا، ويهدي بسببك ضال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٣ – ٣٦].

الشيطان يريدك أن تشتغل بالشهوات العاجلة عن الكرامات الآجلة يوم القيامة.

فإذا نزغك الشيطان فاستعذ بالله من الشيطان، يحفظك من شره وكيده ومكره.

فسبحان الملك الغني الذي له كل شيء، فهو الغني بذاته، والغنى وصف ذاتيٌ له، وكل ما سواه من الخلائق مفتقر إليه.

فالخلق كله له، والملك كله له، والأمر في العالم العلوي والعالم السفلي والدنيا والآخرة، وعالم الغيب والشهادة كله له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

ومن عرف ربه بالغنى المطلق أفرده بالعبادة؛ لأن الفقير إذا عرف الغني قصده ولم يتوجه إلى غيره.

والله من رحمته أن أفقرنا إليه؛ حتى نوحده ولا نلجأ لاحد سواه من الفقراء، فمن عرف ربه بالغنى المطلق؛ أفرده بالعبادة، ووقف ببابه يسأله من فضله، ويستغفره من ذنبه، ويشكره على إحسانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فربك الغني أهلٌ أن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى.

ومن عرف كمال غنى العزيز الرحيم؛ افتقر إليه في جميع أموره فالفقر صفة لازمة لكل مخلوق كما قال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص/ ٢٤].

فالفقر صفة ملازمة للعبد، وعبد الغني سبحانه استغنى بربه عن كل ما سواه.

فالمؤمن غني النفس، زاهد بما في أيدي الناس، راض بما قسم له ربه، كما قال ﷺ: «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**» أخرجه البخاري[1].

فالله سبحانه هو الغني الذي أغنى عباده، وأكرمهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ودعاهم للإنفاق في وجوه الخير والإحسان.

فالله أعطاهم، لينفقوا في وجوه الخير والبر والإحسان، والاستكثار من الطاعات، فإنفاق الجوارح في الطاعات، وإنفاق اليد في الأموال، وإنفاق اللسان، بالذكر والدعاء والدعوة والتعليم: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧].

فالله الغني أعطانا بأمره من فضله، وفتح لنا وجوه الإنفاق، ودعانا للإنفاق في وجوه الخير والبر والإحسان والاستكثار من الطاعات والقربات، ووعدنا على ذلك الأجور

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٤٦).

العظيمة: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [التغابن/ ١٧].

يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

فمن أراد العزة فليعبد العزيز، وليكن عبداً للعزيز، ومن أراد الأمن؛ فليتصل بالمؤمن، وليكن عبداً للمؤمن الذي يملك الأمن، الأمن السياسي، الأمن الاقتصادي، الأمن الغذائي، الأمن الصحي، من أراد الأمن فليتصل بالمؤمن، ليستفيد من نعم المنعم بالعطاء الجزيل، ومن أراد الغنى فليسأل الغني، ليكون غنياً بربه وبدينه عمن سواه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

ولا غنى لأحد عن بركة الغنى، لا غنى لأحد من الخلق عن عطاء الربوبية ولا عن عطاء الألوهية، ولا غنى لأحد عن عطاء الغني، وإحسانه إلى عباده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥].

والدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب، فليسأل الإنسان ربه من فضله ما يعينه على طاعته، ولا حرج في ذلك، كما قال النبي ﷺ: «**بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى، قَالَ بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ**» أخرجه البخاري(١).

والغني على الإطلاق هو ربك الواحد الأحد لا شريك له، وأما غنى العبد فمن فضله وإحسانه، وأفضل الغنى الذي يعطاه العبد هو معرفة الغني ﷻ، والعمل بدينه جل جلاله، فعطاء الله ﷻ للأبدان لكل الخلق، وعطاء القلوب لخواص الخلق: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

وهذا أعظم الغنى، غنى القلب، غنى النفس.

قال ﷺ: «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**» أخرجه البخاري(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٩١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٤٤٦).

والفرح بهذا الغني هو الأصل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

ومن كان الله الغنى في قلبه فقد أغناه عن كل ما سواه، ولقد امتن الله ﷻ على رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر/ ٨٧].

وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣١ - ١٣٢].

ومن منعه الله من الصالحين، من الأشياء والأموال الدنيوية، فقد أعطاه في الدنيا الأعمال الزكية، وادخر له في الجنة النفائس الأخروية من دخول الجنة، ورؤية الرب ﷻ، فنرى من الصالحين من هو فقير، فالله ﷻ ابعد الدنيا من بين يديه؛ حتى يمشي إلى الله ﷻ بجميع أعضائه، ويبذل جميع طاقاته، ليجاهد في الله حق جهاده: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨].

من منعه الله من الصالحين من الأموال في الدنيا، فقد أعطاه في الدنيا الأعمال الزكية، وادخر له في الجنة النفائس الأخروية، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠- ٣٢].

فمن افتقر إلى الله بقلبه حقًا، وسأله العز الباقي،والنعيم المقيم؛ أغنى نفسه الفقيرة بعلومه المنيرة، واستعاد ما فقد، واستفاد وأفاد، وصلح وأصلح، واستقام وأقام، وأنفق مما لا يخاف عليه النفاد، فهذا هو الغنى حقاً، أن يعطيك الله الدين، والدعوة إلى الدين،

وتعليم الدين، ونشر الدين: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

هو الغنى الذي يُغنيك بفضله عمن سواه، وهذا هو عطاء الألوهية، فإذا أغناك الغني في الدنيا بهذه الأعمال الصالحة، فسوف تبني قصور الجنة، ومن حرم هذا الغنى فإنما يبني سجون الجحيم: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٧٣﴾ [آل عمران: ٧٣].

فالله ﷻ إذا أغناك بالدين، فأنت غني عن كل ما سوى الله ﷻ، فهذا هو الغنى المطلوب، وهذا الغنى يجب أن نغني به الناس؛ حتى يتوجهوا إلى الغني، ولا يلتفتوا إلى الفقراء؛ فهذا هو الغنى الأعظم في الدنيا والآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ [الصف: ١٠ – ١٣].

كما قال الله ﷻ: ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الصف/ ١٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾ [الصف/ ١٠].

فهذه التجارة هي التي أمرنا أن نتاجر مع الله ﷻ بها، هذه التجارة الرابحة.

ففي القرآن تجارتان: تجارة رابحة، وتجارة خاسرة، تجارة رابحة للمؤمنين كما سبق.

وتجارة خاسرة للكافرين: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ۝١٦﴾ [البقرة/ ١٦].

فالمؤمن بين يدي ربه قانت، بين يدي ربه عابدًا ذاكراً خاشعاً، يكسب الحسنات، ويعظم العظيم، ويحمد المنعم: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩].

وبين يدي خلقه داعيًا و معلمًا و محسنًا، وكل هذه تجارة مع الله ﷻ، ولها أرباح عظيمة، وقصور واسعة رضوان الله، ورؤيته، والقرب منه، وسماع كلامه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

فمن عرف هذا الغنى لم يلتفت لما سواه، ومن حرم هذا الغنى، فلو نال جميع ملك الدنيا فهو فقير: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[التوبة/ ٥٥].

فلا إله إلا الله كم عظمة الله! وكم تودد الله لعباده بنعمه! وكم رحمة الله التي وسعت كل شيء! يا حسرةً على العباد ماذا علموا! وماذا جهلوا! وماذا قدموا لأنفسهم!.

فسبحان الغني الذي لا حد لغناه، فالجنة الحقيقية في الدنيا هي معرفته وعبادته بنور هذه المعرفة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس: ٣].

فاللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، اللهم أغننا بالعلم، وزينا بالحلم، وأكرمنا بالتقوى، وجملنا بالعافية، يا من هو الإله ولا معبود لنا سواه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه: ٨].

شأن الرب الغني أنه لا يحتاج إلى أحد، وشأن العبد أنه يحتاج إلى غيره في كل شيء، ومن استغنى بالله أغناه، ومن أحسن إلى غيره كان أميره، ومن احتاج إلى غيره كان أسيره، ومن استغنى عنه كان نظيره.

ومن احتاج إلى ربه فهو عزيز، ومن احتاج إلى الخلق فهو ذليل لهم، بقدر ما تسأل الخلق بقدر ما تجمع من الذلة، فاسأل ربك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة: ١٨٦].

سئل الحسن البصري رحمه الله، بما نلت هذا المقام؟ فقال: باستغنائي عن سؤال الناس، وحاجتهم إلى علمي.

فكلما استغنى المؤمن عن الناس أعزه الله، وكلما استغنى عن الناس أحبوه، وكلما استغنى بربه اطمأن قلبه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

فهذه المعارف تولد في القلب الإيمان المطلوب الذي يريده الله، فالمؤمن إذا عرف ربه استغنى بربه عمن سواه، المؤمن غني لا يشتهي ما لا يجد، لأن هذا عطاء الله له في هذا

الوقت، ولا يكثر إذا وجد، فازهد فيما عند الناس يحبك الناس، وارغب فيما عند الله يحبك الله، والمؤمن قانع بما أتاه الله من الدنيا، مجتهد مسابق مسارع لكل ما أراد الله من الأعمال، والأقوال، والأخلاق التي يحبها، ومن أخذ من الدنيا مالًا أخذ بقدره همًا وغمًا، فيكفي الإنسان من الدنيا ما يكفيه لإقامة دينه: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[العنكبوت: ٦٤].

وقال النبي ﷺ: «**اللهمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**» متفق عليه(١).

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحذافيرها**» أخرجه الترمذي(٢).

ومن اعترف بقلبه بفقره إلى ربه أغناه من فضله، وبارك له في رزقه: ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾**﴾[الطلاق/ ٢ - ٣].

فالغنى الحقيقي أن تعرف الحق وتصل إليه، وتأنس به، وتفتقر إليه: ﴿**إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾**﴾[السجدة: ١٥ – ١٧]. فالمؤمن يظهر الفاقة والمسكنة لربه الغني، لأنه فقير إلى ربه، فكلما افتقرت إلى ربك زادك غنى، وكل ما تواضعت له زادك رفعة، وكل ما ذللت له زادك عزة.

واستغن بربك الغني الذي لا ينسى أحدًا، وكن بما عند الله أوثق بما في يدك، فما في الغيب أقرب مما في الجيب.

وإذا أغناك الله بالأموال؛ فأغنِ من حولك مما وهبك الله ﷻ من الأولاد والأقارب: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[البقرة/ ٢٦١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٠)، و مسلم برقم (١٠٥٥) واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٦).

ولكن الغني جل جلاله جعل للغنى أسباباً، وأمرنا بفعلها، ومن ذلك التفرغ للعبادة إذا حان وقتها وكثرة الاستغفار: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)﴾ [نوح/ ١٠ - ١٢].

ومن ذلك إظهار الفاقة لله ﷻ، والمتابعة بين الحج والعمرة.

قال النبي ﷺ: «**تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ**» أخرجه الترمذي(١).

ومن أسباب الغنى تقوى الله ﷻ في كل حال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)﴾ [الأعراف/ ٩٦].

ومن ذلك الزواج: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢)﴾ [النور/ ٣٢].

ومن ذلك التوكل على الله وحده: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)﴾ [التوبة: ٢٨].

ومن ذلك الاستغناء بالله وعدم سؤال الناس: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣)﴾ [التغابن/ ١٣].

ومن ذلك صلة الرحم كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» متفق عليه(٢).

ومن ذلك إخراج الصدقات، والزكوات، والإحسان إلى الخلق: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾ [البقرة: ٢٦١].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٨١٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

فهذا الإنفاق الله ﷻ يشكره لعبده ويخلفه عليه، فأنفق ينفق الله عليك في الدنيا والآخرة وذكر النبي ﷺ أنه في كل ليلة ملكان ينزلان ويدعوان بقولهما: اللهم اعط كل منفق خلفًا، وأعط كل ممسك تلفًا.

ومن ذلك الدعاء: الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، ويقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من داع فأستجيب له، فهذه هي أهم أسباب الغنى، وأسباب الغنى مذكورة في القرآن والسنة بالتفصيل، ولكن ما هي أسباب الفقر؟ من أعظم ذلك المعصية، فالعبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه:﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾** ﴾[الأعراف: ٩٦].

ومن ذلك سؤال الناس، فالذي يسأل الناس ولا يسأل الله ﷻ، فالله ﷻ يغضب عليه.

قال ﷺ:«**ثلاثة أقسم عليهن.. ما نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ** » أخرجه الترمذي[1].

ومن أسباب الفقر التعامل بالربا:﴿ **يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ** ﴾[البقرة/ ٢٧٦].

ومن أسباب الفقر الكذب في البيع والشراء، كما قال النبي ﷺ:«**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فإن بينا وصدقا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**» متفق عليه[2].

ومن أسباب الفقر كثرة الحلف في البيع.

قال النبي ﷺ : «**الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**» متفق عليه[3].

ومن أسباب الفقر منع الزكاة.

قال النبي ﷺ:«**وَمَا مَنَعَ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا**»أخرجه ابن ماجة[4].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٢٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٩) واللفظ له، ومسلم برقم (١٥٣٢).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٨٧)، ومسلم برقم (٦١٠٦) واللفظ له.

(٤) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم (٤٠١٩).

ومن أسباب الفقر القنوط، وضعف اليقين: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾ [الحجر: ٥٦].

فهذا التعبد لله ﷻ باسمه الغني جل جلاله.

فإن أعطاك الغني جل جلاله، بدنًا قويًا، وقلبًا شجاعًا، وعلمًا نافعًا، ومالًا وافرًا، وخلقًا فاضلًا؛ فاستعمل ذلك في طاعة من خلقك، واحمده على هذه النعم، واستعملها في عبادة ربك الذي خلقك وأغناك، واجتباك وهداك، بفعل كل محبوب إليه، وترك كل مكروه لديه، ليرضى الله عنك ويرفع درجاتك، ويغفر ذنوبك، ويزيد حسناتك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٣﴾ [الصف: ١٠ – ١٣].

وأنفق من كل ما أعطاك الله من الخير في مرضاته؛ يحبك الله، ويرضى عنك، ويخلف عليك خيرًا منه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سبأ/ ٣٩].

واعلم أن الذي أعطاك هو الذي أمرك أن تعطي عباده، لتنال بذلك الأجر، فأنفق من أحسن ما أعطاك الله، تنال أحسن منه برًا وأجرًا وثوابًا: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٩٢﴾ [آل عمران/ ٩٢].

وبادر إلى الإنفاق قبل أن يحال بينك وبينه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾

[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

أنفق من وقتك، من علمك، من مالك، من خلقك، أنفق على كل محتاج، يرضى الله عنك ويرضيك: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٧﴾ [الحديد: ٧].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٥﴾ [الأحقاف/ ١٥].

﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥﴾[الشعراء/ ٨٣- ٨٥].

﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾[نوح/ ٢٨].

اللهم اغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي.

واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر.

اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، والفوز بالجنة والنجاة من النار، يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

### إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

## اســـم الله

# الرزاق.. الرازق

## اسم الله الرزاق.. الرازق

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [ طه: ٨ ].

ومن فضل الله ﷻ علينا أن بين لنا في القرآن أسماء الله ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده، وبين لنا في الآيات الكونية، عظمة الخلق التي تدل على أن خالق هذا الكون عظيم وكبير ، وعليم حكيم ، وسميع وبصير ، وقوي وغني وملك كريم : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ الحشر: ٢٤ ].

فالله أخفى أسماءه وصفاته في الآيات الكونية في مخلوقاته، وأظهرها في كتابه، ومن علينا بمعرفتها ، حتى نعرف من نعبد؟، ومن نكبر ؟، ومن نحب ؟، من نشكر؟، من نسأل؟، من ندعو ؟ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ [ البقرة: ٢٤٣ ].

فالمعرفة أعظم شيء، أعظم شيء أن يعرف الإنسان ربه .

العلم علمان: علم إلهي ، وعلم إنساني، والعلم الإلهي الذي جاء به محمد ﷺ في مكة النبي الأمي، للأمة الأمية، هو الذي ابتلع العلم الإنساني عند فارس والروم .

وهذا العلم يسعد به الإنسان في الدنيا والآخرة، وهو أول علم: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد/ ١٩].

فأعرف المعبود قبل التعبد له؛ فهذا العلم يزكي القلوب ، ويسعد النفوس، وينقل الإنسان من معرفة المخلوق إلى معرفة الخالق ، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، ومن الاهتمام بالتوسع في الأموال والأشياء والشهوات، إلى التوسع والمسارعة إلى الخيرات والطاعات والقربات : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾

[ الطلاق: ١٢ ] .

فمعرفة الله ﷻ هي أعظم المعارف وهي أصل العبادات كلها ، وأساس خشية الله ﷻ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [ محمد: ١٩ ] .

وبحسب هذه المعرفة تكون قوة المحبة، وقوة التعبد ، وقوة التكبير ، وقوة التعظيم لربنا ﷻ، وبحسب هذه المعرفة ، وبحسب هذا التعبد؛ تكون محبة الله لعبده ، وعنايته به، وإكرامه ، وسوق الأرزاق إليه، واسم الله الرزاق من أسماء الله الحسنى التي ظهرت آثارها في الكون و تظهر آثارها في الكون في كل ثانية؛ في عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الإنسان : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [ يونس: ٣١ – ٣٢ ] .

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته أفضل العلوم وأزكاها ، وهو أول علم واجب : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [ محمد: ١٩ ] .

وفضل معرفة الله على معرفة خلقه كفضل الله على خلقه، وفضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ غافر: ٦٥ ] .

فمن أراد أن يكلم الله فليدخل في الصلاة، ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن، والقرآن أخبار وأوامر .

أخبار عن الخالق وأسمائه وصفاته، وأفعاله ، وأخبار عن المخلوق في الدنيا والآخرة، خلق السماء والأرض وخلق الجنة والنار، وغير ذلك : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [ النحل: ٨٩ ] .

وأخبار القرآن أحسن الأخبار ، وهي ثلاثة أقسام :

أخبار الماضي.. وأخبار الحاضر.. وأخبار المستقبل .

فأخبار الماضي للتثبيت : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى

هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [ هود: ١٢٠ ] .

وأخبار الحاضر للتطبيق : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [ الحشر: ٧ ] .

وأخبار المستقبل للترغيب والترهيب : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [ النساء: ١٣ – ١٤ ] .

وعلينا تصديق أخبار القرآن ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ الزمر: ٢٣ ] .

فيجب علينا أولاً أن نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته، معرفةً تحملنا على محبته وحده ، وتعظيمه ، وتكبيره ، وطاعته وعبادته ، لجلاله وجماله ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وعظمة نعمه وإحسانه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [ الطلاق: ١٢ ] .

- **والعلم الشرعي ثلاثة أقسام:**

علم بالله.. وعلم بخلق الله.. وعلم بأوامر الله.

- **والعلم بأوامر الله ثلاثة أقسام:**

علم بأمره الكوني الجاري في هذا الكون، بالخلق والإيجاد ، والتصريف والتدبير: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام/ ١٠٢].

في كل ثانية مليارات الأوامر الملكية الكونية تجري في الكون بالخلق والإيجاد، والتصريف والتدبير، والتحريك والتسكين : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ الأعراف: ٥٤ ] .

لا بد أن نتعرف على أوامر الله الكونية في هذا الكون، أرأيتم لو غابت الشمس هذا اليوم كيف تكون الحياة؟ يكون الكون أشد ظلام من السواد، ولكن بأمره الكوني حرك الشمس، لأنه هو الذي يجريها في العالم: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ فصلت: ٣٧ ].

فالعلم بأمره الكوني يولد قوة الإيمان، وقوة التعظيم، وقوة المحبة لله ﷻ، وقوة الخشية له.

**الثاني**: علم بأمره الشرعي: لا بد أعرف أوامر الله الشرعية التكليفية، افعل كذا، ولا تفعل كذا، فالطاعات كلها أغذية نافعة ، والمنهيات كلها سموم مهلكة ، والإنسان ممنوع أن يتناول السموم، أو يمد يده إلى ما هو محرم، من سرقة أو زنا أو غش وغير ذلك من الكبائر والمحرمات .

**الثالث**: علم بأمره الجزائي على كل عمل يعمله الإنسان : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ طه: ٧٤ – ٧٥ ] .

- **فأوامر الله ثلاثة أقسام:**

**الأول**: علم بأمر الله الكوني: وهو ما في هذا الكون من الآيات والمخلوقات.

**الثاني**: علم بأمره الشرعي: وهو ما ورد في القرآن والسنة من الأوامر والنواهي .

**الثالث**: علم بأمره الجزائي: وهو وعده ووعيده ، بدخول الجنة لمن أطاعه، ودخول النار لمن عصاه، والعلم بالله ، وبأمره الشرعي ، فرض عين على كل مسلم ومسلمة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [ محمد: ١٩ ].

أول فرض هو أن تعرف الله قبل أن تعرف أنواع العبادة، تعرف المعبود المستحق للعبادة، وتعرف من أنت حتى تعلم أنك ضعيف فقير عاجز محتاج، كنت معدومًا فأوجدك الله، ولما أوجدك فأنت في ملكه ومملوك له، حياتك وموتك بيد الله، إذا شاء الله أبقاك ، وإذا شاء أماتك، وإذا شاء أغناك .

- **وآيات الله في الكون ثلاثة أنواع:**

آيات كونية كانت ، وهي خلقه الموجود الآن مثل، خلق السماء، خلق الأرض، خلق النجوم، خلق الشمس، خلق القمر، خلق الأرض، خلق الجبال، خلق البحار، خلق الإنس، خلق الجن، خلق الملائكة : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ [ الزمر: ٦٢ ] .

وآيات تكوينية: أفعاله الكونية في ملكه في كل وقت، ففي كل يوم هو يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويبسط ويقبض، ويعطي ويمنع، هذه أفعاله، ففي كل ثانية ينزل من الله مليارات الأوامر التكوينية بالإحياء والإماتة ، والعزة والذلة ، والشفاء والمرض، والأمن والخوف .

فربنا عظيم له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢ ﴾ [ يونس: ٣١ – ٣٢ ] .

وآيات قرآنية: كلامه؛ وكلامه: أخبار وأوامر، أخبار نصدقها، وأوامر نمتثلها : ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥ ﴾ [الأنعام: ١١٥ ] .

فالتدبر والتفكر في هذه الآيات يزيد الإيمان، وبقدر التفكر والتدبر تأتي قوة المحبة لله وقوة التعظيم له: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾ [آل عمران/ ١٩٠ - ١٩١].

فكثرة الذكر تولد كثرة التفكر، وكثرة التفكر تولد كثرة الذكر؛ فمن عرف أن الله هو العظيم، الذي له ملك كل شيء وبيده كل شيء، رجاه ، وخاف منه ، وأحبه ، وحمده وشكره ، وكبره وعظمه ، واستحيا من معصيته : ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ ﴾ [ ق: ٦ – ٨ ] .

فهذه القلوب لها أغذية، ومن لم يأخذ هذه الأغذية الإيمانية؛ فلا بد أن يأخذ أغذيةً مسمومة، وهي الأغذية التي يصرفها الشيطان مجانًا للإنسان، ليجلسه في مجالس الغفلات والشهوات ، والتوسع في المباحات؛ حتى يصرفه عن الآخرة إلى الدنيا ومن الخالق إلى المخلوق ، ومن الأعمال الصالحة إلى الإهتمام بالأموال والأشياء : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠ – ٦٢] .

فلا بد للإنسان أن يترقى في معرفته، يترقى عما دونه من الحيوانات التي ليس عندها إلا تقلب في الشهوات، من مأكولات ومشروبات، والرتبة السبُعية التي طبيعتها الافتراس، القوي منها يأكل الضعيف، والرتبة الإبليسية التي شأنها الفساد والإفساد ، ويترقى ويصعد إلى مرتبة الملائكة الذين مزاجهم سمعنا وأطعنا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة/ ٢٨٥].

غفرانك على التقصير الكبير في معرفة الله، والتقصير في التعبد له، والتقصير في أن العبادة لا تليق به، والتقصير في الدعوة إلى الله ، والتقصير في الإحسان إلى خلق الله : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣ ] .

فلا بد أن أستغفر الله؛ لأن عبادتي لا تليق بالعلي العظيم، ولكنه كريم، يقبل العمل القليل، ويعطي عليه الأجر الكبير؛ لأنه بالناس رؤوف رحيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [ البقرة: ٢٤٣ ] .

فالله ﷻ من كمال رحمته بعباده، أن عرفهم بأسمائه وصفاته، وأسماء الله وصفاته مذكورة في القرآن، والله ﷻ بينها في القرآن، والكون كله يشير إليها .

فهذا الخلق العظيم يدل على أن الله ﷻ واحد، لا يستشير أحداً في الخلق، وأنه قادر على خلق العظيم والكبير والصغير، وأنه غني عنده خزائن كل شيء، وأنه حكيم يضع الشيء في موضعه، وخبير يخلق جل جلاله ما يشاء بحكمته، خلق الماء والتراب، خلق الليل والنهار، وخلق العالم العلوي والعالم السفلي، فالله ﷻ أمرنا بمعرفته؛ فمعرفة الله ﷻ هي التي تولد العبادة التي يريدها الله، والتي هي قائمة على ثلاثة أمور:

حب كامل لله.. وتعظيم له.. وذل له جل جلاله.
فأنا أعبد الله لذاته وجلاله وجماله، وأعبده طمعًا في ثوابه ، وخوفًا من عقابه، لأني أعيش في ملكه، وأرى آياته ومخلوقاته في كل لحظة، وكلها مسخرة لي، فربنا جل جلاله عظيم، بين لنا أسماءه وصفاته، لنعبده بالحب والتعظيم والذل له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .
فإذا عرفته أقبلت على عبادته، واشتغل اللسان بذكره، وتحركت جوارحي بطاعته، هذا أمر عظيم، ومنة كريمة أن من الله ﷻ علينا بمعرفته لنحبه ونعظمه ونعبده ، ونحن في عبادة من أعظم العبادات بل هي أعظم العبادات، لأنا نتعلم الدين، لنعمل بالدين ، وننشر الدين : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [ آل عمران: ٧٩ ].
فالله ﷻ من أسمائه العظيمة الرزاق الذي يرزق به كل أحد : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات/ ٥٦- ٥٨].
وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾[الجمعة/ ١١].
فالله ﷻ هو الرزاق الذي خلق الأرزاق كلها في السماء والأرض، وهو جل جلاله ملك مالك لجميع الأرزاق، ومعطيها وموصلها إلى خلقه، الرزاق الذي يصرفها ويقسمها بين خلقه في كل وقت، حسب علمه وحكمته وإرادته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات/ ٥٨].
هو الرزاق الذي خلق الأرزاق، وعنده خزائن الأرزاق، وهو قوي يوصل الأرزاق إلى المرزوقين، وعليم يعلم من يحتاج إلى هذه الأرزاق، ومتين خزائنه لا تنقص أبدًا .
أما المخلوق فخزائنه تنقص مع الإنفاق .
فهو سبحانه الرازق الرزاق، وواسع الرزق، كثير الأرزاق المادية والمعنوية، الذي يملك جميع خزائن الأرزاق، الذي وسع جميع الخلق رزقه، ورحمته، وأنواع إحسانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[الحجر/ ٢١].

هو غني يملك كل شيء ورزاق ينفق من هذه الخزائن على مخلوقاته في العالم العلوي، والعالم السفلي، في السماء، وفي الأرض، وفي البر، وفي البحر.

فهو سبحانه الرزاق الصمد المتكفل بأرزاق الخلائق كلها، القائم على كل نفس خلقاً، وإيجاداً، وتدبيرًا، ورزقًا، القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، الرزاق لكل مخلوق رزقًا بعد رزق.

فالله أكبر! أرزاق متوالية، رزق بعد رزق، رزق مادي، ورزق روحي وهو الإيمان، رزق من المال والطعام والشراب، ورزق من العلم، والحكمة، ورزق من الأخلاق: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

هو الرازق لكل مخلوق رزقًا بعد رزق، المكثر منه لعباده، كم من الأرزاق التي تصرف للعباد كل يوم، من خلقها؟ ومن أوصلها؟ ومن الذي يكررها كل وقت؟ أمر الرزق بيده؛ فهو لا يحتاج إلى مواد حتى يخلق الأرزاق: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣].

بحرفين من كلامه خلق السماوات السبع الشداد، وخلق الأراضين السبع، وخلق الجبال، والسهول، وخلق البحار والأنهار، وخلق الجنة والنار، ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠].

هو الذي خلق جميع أرزاق العباد، ولا يقطع عنهم الرزق أبداً، المتفرد بالزرق والإنعام وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

هذا الهواء رزق من فضل الله يتنفس منه الإنسان والحيوان والنبات، كل يوم يأخذ الإنسان من هذا الرزق ثلاثمائة وستين متراً مكعباً هواء، هذا من فضل الله الذي ملأ هذا الفضاء العظيم بين السماء والأرض: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

هو الرزاق الكريم الرحيم الذي يعطي من يطيعه، ومن يعصيه، والكريم من الناس إذا سُئل أعطى، وإذا عاهد وفى، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى؛ فكيف بكرم الأنبياء والرسل، وكيف بكرم رب السموات والأرض: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ

جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [ الزمر: ٦٧ ].

هو الغني وكل ما سواه فقير إليه، الله أخبرنا أنه الرزاق؛ حتى لا نذل أنفسنا لغيره، فنتوجه إليه؛ لأن خزائن كل شيء بيده: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾[فاطر/ ٣].

مصانع تنتج التمور، أو تنتج التفاح، أو تنتج القمح، أو تنتج الهواء، أو تنتج الماء ، هذه المصانع : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [ النمل: ٨٨ ].

وكل مصنوع من أجلك، وكل ما تراه من نعمة فهو من أجلك أيها الإنسان: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان/ ٢٠].

هذا الملك الكريم الذي غمر خلقه بأنواع نعمه وأرزاقه يجب عليهم أن يعبدوه ، ويشكروه ور يكفروه : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ النحل: ٧٢ ].

الله جل جلاله أعطانا هذا العقل الجبار، الذي يعرف أن وراء الخلق خالق، ووراء الصور مصور، ووراء الأرزاق رزاق، وتعرف عليه ونتعرف به على ما يأمرنا به، وما ينهانا عنه، ونتعرف عليه ليخبرنا ما هي قصة حياتنا؟ وكيف نعيش، وما المطلوب منا، وما مرادنا منه، وما مراده منا : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [ محمد: ١٩ ] .

فالقرآن فيه علم الأولين والآخرين، فيه تبيان كل شيء، فمن قرأ القرآن فقد عرف كل شيء، ومن لم يقرأ القرآن فلم يعرف شيئاً : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [ النحل: ٨٩ ] .

ومن أعظم النعم ، ومن أعظم الأرزاق ، أن من الله ﷻ علينا بنعمة الإسلام، فنسلم قلوبنا وجوارحنا لربنا السلام ، ومن أسلم قلبه وجوارحه لله في الدنيا ، رضي عنه السلام ، وأدخله الجنة دار السلام: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟

يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[الأنعام/ ١٢٧].

فهو سبحانه الرزاق، الذي يرزق جميع مخلوقاته ، ولا ينسى أحداً ، ولا يمكن أن الله يخلق الخلق ولا يرزقهم : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾ [ هود: ٦ ].

الواحد منا لو كانت عنده مائة رأس من الغنم لا يمكن يغلق عليها الباب فيتركها تموت، هذه جناية كبيرة .

والله ﷻ لا يمكن أن يخلق الخلق، ويتركهم بلا أرزاق، بل ساق إليهم الأرزاق المادية بعطاء الربوبية، وساق إليهم الأرزاق الروحية بأن أرسل إليهم الرسل ، وأنزل الكتب، وأعطى العقول والأسماع والأبصار التي تعقل عنه وتستقبل الوحي ، وتعمل بِهِ : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ الملك: ٢٣ ] .

فالمؤمن عزيز؛ لأنه اتصل بالعزيز، وملك ، لأنه ملك جوارحه وسخرها في طاعة الله، وقوي؛ لأنه اتصل بالقوي، وكبير؛ لأنه عرف الكبير، وعرف أن ما سوى الله كله صغير.

فالذي يتصل بالكبير ، ويعمل مع الكبير هو كبير، والله يحب من عباده أن يتصفوا بالصفات التي يحبها من العلم والرحمة، ورزق الخلق ، والإحسان إليهم ، والعفو والإيمان، فالله يحب المؤمنين، ويحب التوابين ، ويحب المحسنين : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [ الأعراف: ١٨٠].

فالله ﷻ يحب ظهور صفاته على شكل نعم في الخلق؛ فهو كريم يحب الكرم والكريم، ورزاق يحب الإنفاق، فاليد العليا خير من اليد السفلى ، فالله ﷻ كريم ورزاق يحب من عباده أن يتصفوا بهذه الصفات .

هو سبحانه الرزاق الذي يرزق جميع مخلوقاته، ويوصل إليهم أنواع الأرزاق، في كل مكان وفي كل زمان بلا كلفة ولا مشقة، السميع للسائلين، العليم بالمحتاجين، الذي يعطي السائل وغير السائل، والصامت والناطق، والغافل والذاكر، والمطيع والعاصي، لأن رحمته وسعت كل شيء، ورزقه من رحمته : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [ العنكبوت: ٦٠ ] .

هو وحده السميع للسائلين ، العليم بالمحتاجين ، وهو سبحانه الرزاق الذي قسم الأرزاق بين خلقه، وساقها إليهم بقدرته، إيصال الأرزاق أمر عظيم ، وعجيب ، وكبير، خلق الأرزاق آية، وإيصالها إلى الخلق آية عظيمة، ومعرفة المرزوقين ، وحاجاتهم من الرزق المادي والمعنوي الله تكفل به .

هو الصمد الذي تصمد إليه جميع الخلائق بحوائجها، وهو قاضي الحاجات : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [ الذاريات: ٥٨ ] .

فجميع الحاجات في العالم العلوي والعالم السفلي ، وجميع حوائج الخلق، وجميع الحاجات كلها في خزائنه، جميع حوائج الناس والخلائق كلها عنده : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [ الحجر: ٢١ ] .

هو قاضي الحاجات، وجميع الحاجات مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، الهواء لا يمتنع عليه، الطعام لا يمتنع عليه أن يوصله لمن شاء، بأي قدر شاء، في أي وقت شاء، لأي مخلوق شاء : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ الحشر: ٢٣ ] .

فهو سبحانه الرزاق الذي قسم جميع الأرزاق بين خلقه، كمية ونوعية ، ومكاناً وزماناً ، وساقها إليهم بقوته ورحمته فلا ترى أحداً إلا يأكل من رزقه، ويسكن في ملكه، وينعم بفضله: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف/ ٣٢].

فالمؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي، والناطق والصامت، والغني والفقير، والإنسان والحيوان، الكل قعود على موائد نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [ الإسراء: ٢٠ ] .

فسبحان الملك الكريم الرزاق، الذي يرزق الخلائق جميعًا في كل زمان ومكان مهما كثر عددهم، وتنوعت أجناسهم، واختلفت حاجاتهم: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ

فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس/ ٣١- ٣٢].

فسبحان ربنا العظيم الغني ، الرزاق الكريم، الرؤوف الرحيم بعباده .

وسبحان من قسم الأرزاق بين خلقه في كل زمان ومكان، كميةً ونوعية .

هذا طير السماء يأكل من رزقه، وهذا وحش الأرض يأكل من رزقه، وهذا حيوان البحر يأكل من رزقه، وهذا حيوان البر يأكل من رزقه ، وهذا الإنسان يأكل من رزقه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾[هود/ ٦].

فالأرزاق كلها في السماء، ولكن التسليم في الأرض :﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الذاريات/ ٢١].

هذه آيات ثلاث عظيمة، الرزق في السماء ليس في الأرض، إنما مكان التسليم في الأرض؛ لأن الزرق من عطاء الربوبية؛ والله ﷻ ساوى بين خلقه في عطاء الربوبية، ساوى بين خلقه في العطاءات، ولكن المجموع العام أن عطاء الربوبية واحد لجميع خلقه، لأن الله قسم الأرزاق على خلقه على حد سواء ، عطاء الربوبية شامل للمؤمن والكافر، فالرزق في السماء مكتوب ومقدر لا يزيد ولا ينقص، لكنه يزيد ويتبارك بالإيمان والتقوى كما قال ﷻ:﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف/ ٩٦].

فالأرزاق كلها في السماء، ولو كانت الأرزاق في الأرض لتقاتلنا عليها، فجميع الأرزاق في السماء، وكلها مقدرة لكنها مخفية وراء الأسباب، ونحن أمرنا بفعل الأسباب لا لجلب الرزق فقط ، إنما لامتثال أمر الله في طلب الرزق، لامتثال أمر الله عند النوم، لامتثال أمر الله عند الأكل، لامتثال أمر الله عند الخوف فلله أوامر تمتثل في كل حال.

فالله يحب أن نتمثل أوامره ونتحصل على الرزق، له أوامر في الكسب والمعاش، باب البيع والشراء، وباب المعاملات أكثر من ثلاثين باباً من الأبواب كلها في طلب الرزق، هذه أوامر يجب أن تمتثل كما يمتثل أمر الله في الوضوء والصلاة والصيام والحج، فالأرزاق في السماء لا تزيد ولا تنقص قد كتبها الله ﷻ:﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا

تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الذاريات/ ٢٢].
وليست بجد الإنسان وكسبه ، الإنسان قد ينام في بيته ، ويدخل عليه رزقه بدون سبب ، لا يعلم الإنسان أن هذا البيت الذي يسكنه سوف يمر عليه طريق واسع وبيته قيمته مائة ألف ريال مثلًا، ما يدري إلَّا وقد ثمن هذا البيت بعشرة ملايين .
فالأرزاق كلها في السماء وقتها ومقدارها ونوعها وصاحبها ومكانها ، كل ذلك مقدر لكل مخلوق : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦] .
فالرزق في السماء، والرزاق أمرنا أن نبتغي عنده الرزق وحده؛ لأنه الرزاق، يرزق بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب، ولكننا مأمورون بفعل الأسباب، ولكن الأسباب لا تعمل بنفسها، بل لا بد أن نفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله في طلب الرزق بقلوبنا؛ لأنه الرزاق، فنلقي الحب في الأرض ، فنتوجه إلى خالق الحب أن ينبته: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾[الواقعة/ ٦٣- ٦٥].
فالأرزاق بيد الله ﷻ، يعطيها للسائل للعامل وغير العامل، في اليمن أسرة من الأسر رجالها يعملون في دول الخليج لطلب الرزق، فالله ﷻ جعل هذه الأسباب، في ظاهرها طلب الرزق، وفي باطنها أن الإنسان يأخذ اللقاحات من غيره، إما عالم يعلم غيره ، أو جاهل يتعلم من غيره .
فهذه الأسرة رجالها انتشروا في دول الخليج يطلبون الرزق، وتركوا النساء، ومعهن أخ لهم ، لكن هذا الأخ رجل ضعيف مسكين ، ولكنه محافظ على الصلاة، جلس عند النساء وعند الأولاد ففي يوم من الأيام وهو يعمل في جبل، يكسر الحجارة ليبنوا مسجدًا، فأخذ يكسر مع الرجال من أهل قريته، وهو يكسر خرج له حجر أخضر، وفي باطن هذا الحجر جوهرة عظيمة نفيسة لها إشعاع، ففرح بها وذهب بها إلى بيته.
ثم جاء أخوه من إحدى دول الخليج ورآها، فذهب بها إلى أهل الذهب، فأعطوه بها مائة ألف ريال يمني، فجاء بها إلى السعودية وطلبت منه بمليون ريال سعودي، فلم ينشرح صدره لبيعها، وذهب بها إلى أوروبا وهناك باعها بمليون يورو، تعادل ستة

ملايين ريال سعودي فأخذ هذا المال، وجاء إلى بلده، وجاء إخوته، واستقروا في بلدهم. فهذا الرجل البسيط، كيف الله ﷻ جعل رزق هذه الأسرة على يده ، وأصبحوا الآن من التجار ورجال الأعمال، بسبب هذا الرجل الذي لا يفقه من أمور الدنيا شيئاً.

الله ساق له الرزق؛ ليعلمنا أنه الرزاق وحده ، وليس بالطاقة، وقوة العمل ، والعضلات، والأبدان تأتي الأرزاق، إنما الأرزاق تأتي من الرازق، والشفاء يأتي من الشافي، والعلم يأتي من العليم، فكل شيء بيده ، وكل شيء له، وهو الوهاب الذي يهب عباده ما يصلحهم .

فهو سبحانه الرزاق الذي رزق الأبدان الأطعمة والأشربة، ورزق القلوب العلم والمعرفة .

هو الرزاق الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، خص الأغنياء بوجود الرزق، وخص فقراء المؤمنين بشهود الرزاق، فإذا أخذ من الفقير بعض الرزق المادي، عوضه بالتجلي والأنس به جل جلاله: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر/ ٩].

والله حكيم عليم إذا أغرق الغني بالنعيم المادي حرمه من نعيم القرب، ولذلك الله يعطي على وفق الحكمة، ويعطي ما يصلح العباد: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الإسراء/ ٣٠].

فهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا؛ لأن الخلق خلقه ، ويعلم ما يصلحهم ، وما تزكو به نفوسهم : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [ الذاريات: ٥٦ – ٥٨ ] .

ومعرفة هذا الاسم من أهم المهمات؛ لأنها تتصل بحياتنا في كل لحظة، ونرى آثار رزقه في هذا الكون العظيم في كل زمان ومكان فلنذكر ربنا الذي خلقنا ، وخلق أرزاقنا ، وأوصلها إلينا ، وأجزل لنا العطاء ، ونحرك اللسان بالثناء والتمجيد والتكبير لربنا العظيم : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[البقرة/ ١٥٢].

ومن أراد أن يذكره الله، فليذكر ربه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى .

واسم الله الرزاق ورد في القرآن مرةً واحدة في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات/ ٥٨].

أما اسم الله الرازق فقد ورد في القرآن خمس مرات ، لكنه مقيد بصيغة التفضيل كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[سبأ/ ٣٩].

واسم الله الرزاق صيغة مبالغة، مأخوذ من الفعل رزق يرزق فهو رزاق ورازق" للدلالة على كثرة الأرزاق ، وكثرة الأنواع ، وكثرة المرزوقين .

الرزاق صيغة مبالغة للدلالة على كثرة الأرزاق ، فكم عدد الأرزاق التي خلقها الله ﷻ من الأرزاق المادية والروحية؟!

أنواع مختلفة ، وعوائل مختلفة ، من الأرزاق، من الأطعمة والأشربة والألبسة، ومن الأخلاق والأعمال الصالحة، فالرزاق صيغة مبالغة للدلالة على كثرة الأرزاق، وكثرة الأنواع ، وكثرة المرزوقين : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

خلق الأرزاق كلها ، وخلق الأنواع كلها، وخلق المرزوقين كلهم: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء/ ٧٠].

أفلا يشكرون هذه النعمة، وهذا العطاء الكريم من الرب الزراق الكريم جل جلاله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢].

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل؛ فعظمة الله ﷻ وكبرياؤه، وعظمة ملكه وسلطانه، لا تخفى على أحد، ولكن الناس إما جاهل ، وإما مستكبر، وإما عاقل .

فالجاهل يُعلم والمستكبر يجاهد حتى إما أن يخضع لدين الله، أو يُحكم بأمر الله ولو بقى على كفره ، لأن الدين كله يجب أن يكون لله وحده : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[البقرة: ١٩٣] .

فسبحانه الملك لا إله غيره ، ولا رب سواه ، هو الغني الرزاق الذي يرزق الخلق أجمعين، الرزاق الذي تكفل بجميع أرزاق جميع أهل السموات والأرض، في كل حين: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾[النحل/ ٥٣].

خزائن الأموال، خزائن الطعام، خزائن الشراب، خزائن الذهب، خزائن الحبوب، خزائن التمور، خزائن الحديد، خزائن النحاس، خزائن العقول، خزائن الذكاء، خزائن التفكر، خزائن العيون، خزائن الأسماع، خزائن الأبصار، خزائن الأبدان، خزائن الشموس خزائن الأقمار، خزائن النجوم، خزائن العزة، خزائن الذلة ، كلها بيد الله وحده لا شريك له :﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾ [الحجر/ ٢١].

فالله أكبر ، هو المستحق للعباد لذاته، هو المستحق للعبادة وحده والعبادة هي التأله والتعبد لمن له صفات الكمال والجلال والجمال : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾ [ يونس: ٣ ].

والرزاق من أسماء الجمال فهو رزاق كريم ، فنعبده لجلاله ، ونعبده لجماله، ونعبده لعظيم نعمه وإحسانه إلى خلقه : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [ غافر: ٦٥ ] .

هو الرزاق الذي وسع رزقه جميع الخلق، المؤمن والكافر، والإنسان والحيوان، والملائكة والجان، يسوق جل جلاله أرزاقه إلى الضعيف الذي لا حيلة له، كما يسوق رزقه إلى القوي ذي المرة السوي، هذا يفعل الأسباب ويرزق ، وهذا قاعد في بيته يأتيه الرزق من حيث لا يدري، بهبة ، أو وصية أو ميراث او هدية أو غير ذلك:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨ ﴾[الذاريات/ ٥٨].

هو جل جلاله الرازق الرزاق الذي تكفل بأرزاق وأقوات الأبدان والقلوب؛ فجميع مخلوقاته تنعم بهذه الأرزاق، فرزق بعد رزق، ومرزوق بعد مرزوق، وأرزاق كثيرة متنوعة في كل حين:﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾[إبراهيم/ ٣٤].

لم توصله النعم للمنعم، ولم توصله صفات الجلال ليخاف من العظيم الذي خلق السموات والأرض، وخلق النار وخلق البحار، ولم توصله صفات الجمال لربه ، ليشكر من خلقه ورزقه وهداه .

هو سبحانه الرزاق الذي أفاض على عباده جميع أنواع الأرزاق المادية والروحية، ولهذا خمس سور من القرآن كلها افتتحت بالحمد :

سورة الفاتحة : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [ الفاتحة: ٢ – ٥ ] .

وسورة فاطر : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[فاطر/ ١].

وسورة الأنعام : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾[الأنعام/ ١].

وسورة الكهف : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾[الكهف/ ١].

وسورة سبأ : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ [ سبأ: ١ ] .

فنحمد الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، على غذاء الأبدان ، وغذاء القلوب .

سبحانه أرزاقه متوالية، وأرزاقه منوعة ، وأرزاقه كثيرة ، على كل مخلوق من عبيده .

هو سبحانه الرزاق الذي قدر مقادير الخلائق وأرزاقهم، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وتكفل وحده بإيصال الأرزاق إلى أهلها ، في كل زمان ومكان: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٦٣﴾[الزمر/ ٦٢ – ٦٣].

وقال النبي ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» أخرجه مسلم(١).

هو عليم بما كان ، وما يكون ، وما سيكون، هذه قدرته، قدرته أن خلق ، ويخلق ، وسيخلق، ما شاء ، كما شاء .

فسبحان الملك الرحيم بعباده، الرزاق الذي جميع الأرزاق منه، الرزاق الذي أفاض على

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣)

عباده من الأرزاق ما لم يجعل لأبدانهم وقلوبهم قوامًا إلا به : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [ الذاريات: ٥٨ ] .

فهو خلقنا جل جلاله ورزقنا وهو الذي يميتنا، ينقلنا من دار إلى دار، وهناك الأرزاق مفتوحة، حيث لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [ السجدة: ١٧ ] .

فالله أكبر ما أعظم جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الأخرة، فمن عرف الخالق جل جلاله بأسمائه وصفاته استأنس به ، وعبده وحده لا شريك له ، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢].

والله ﷻ رزاق ويرزق، فالرزاق صفة ذاتية له جل جلاله، وصفة فعلية له جل جلاله .

هو سبحانه الزراق، والرزق من صفات الله الفعلية، وهي كثيرة في القرآن كما قال سبحانه: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾[النحل/ ١١٤].

ويقول ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾[النور/ ٣٨].

واسم الله الرزاق اقترن مع اسم الله القوي والمتين مرةً واحدة في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات/ ٥٨].

وسر ذلك والله أعلم أن في اقتران القوي والمتين كمال مع كمال، هو قوي ومتين جل جلاله، غني لا حد لغناه، قوي لا حد لقوته، فالقوة صفة جلال، والمتين صفة جلال، فهو كمال إلى كمال، فاقتران القوي بالمتين كمال آخر في القوة والقدرة .

ومن آثار قوته وقدرته سبحانه أن خلق جميع الأرزاق، وتكفل بإيصالها إلى كل مخلوق بقوته وقدرته، في كل زمان ومكان، وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله القادر على كل شيء : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص/ ١ - ٤].

فهو وحده ا لقادر على إيصال هذه المخلوقات أرزاقها وأقواتها، في البر، والجو، والبحر، في السماء وفي الأرض، وفي الدنيا والآخرة .

والله ﷻ أخبرنا أنه الذي خلق السموات السبع ، وما فيها من المخلوقات ، والأرضين

كذلك؛ لنعرف أنه قادر على كل شيء، وعلمه محيط بكل شيء، وكرمه ورحمته وسع كل شيء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك عرفتم ربكم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، آمنتم به، وعبدتموه، واحببتموه، وكبرتموه، فهو مالك الملك، بيده كل شيء، والأرزاق كلها بيده، وكل شيء خزائنه عنده جل جلاله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

والقلوب تستأنس بمثل هذا الكلام عن ربنا ﷻ، فتنبت الذكر والشكر، والتمجيد والتحميد، والتسبيح والتقديس لربنا ﷻ، وتنبت الأعمال الصالحة، والأقوال الحسنة والأخلاق العالية، هذه القلوب تزكوا بالإيمانيات، كما أن الأبدان تصح بالمطعومات والمشروبات، والعقول تكبر بوجود المعلومات، حتى الحيوان المعلم أفضل من الحيوان غير المعلم، الكلب المعلم له قيمة، والكلب الجاهل لا قيمة له وبقدر العلم يكون حب الله وتعظيمه وخشيته: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

فسبحان مالك الملك الذي له الملك كله: له ملك الهواء، ملك الشمس، ملك القمر، ملك السموات، ملك الأرض، ملك الجن، ملك الملائكة، ملك الإنس، بيده الملك كله، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦ - ٢٧].

سبحانه وتعالى هذه أملاكه، وهذه أرزاقه، وهذه نعمه وهذه أسماؤه، وهذه صفاته؛ فهو أهل أن يحمد، وأهل أن يعبد، وأهل أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

فالحمد لله رب العالمين أن رزقنا الكلام عنه، ورزقنا السماع عنه، وأذن لنا في الكلام عنه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾[الجاثية/ ٣٦- ٣٧].

هو عزيز قبل أن يخلقنا، وخالق قبل أن يخلقنا، وواحد قبل أن نوحده، وكبير قبل أن نكبره، ولكننا نكبره ونحمده ، لنسمع قلوبنا أنه ليس في الكون كبير إلا واحد : ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾

[ الإسراء: ١١١ ].

وإذا عرفت الكبير لا تقف بباب الصغير أبداً ، تقول: الله هو الرزاق، إذًا لا تقف بباب المخلوق؛ لأن الرزاق يسوق لك الرزق، لكن افعل الأسباب التي ترضيه من الإيمان والأعمال الصالحة ، وافعل الأسباب التي أمرك بها، تناول الدواء ، واعمل بجوارحك لكسب رزقك، ورزقك وشفاؤك بيد الرزاق جل جلاله، ولكنه مخفي وراء الأسباب : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [ الطلاق: ٢ – ٣ ] .

ولماذا تُخفي المطالب وراء الأسباب؟ لأن الله ﷻ يريد أن تمتثل أوامره عند الكسب، وأوامره عند الأكل، وأوامره عند المرض، وأوامره عند النكاح، وأوامره عند السفر، وأوامره عند النوم، وهكذا الله يحب أن تمتثل أوامره في كل حال ، لأن إصلاح أحوالنا مقرون بفعلها : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [ الحشر: ٧ ] .

فسبحان ربنا الرزاق القادر على كل شيء، القائم على كل نفس، الذي قسم الأرزاق على جميع الخلق، وأوصلها إلى كل أحد ، الرزاق الذي أوصل الأرزاق إلى كل أحد ولم ينسى أحدًا من الخلق : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤﴾[مريم/ ٦٤].

فواجب المسلم أن يأكل الطيبات ويعمل صالحًا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾[البقرة/ ١٧٢].

فاشكر المنعم، لا تجلس على النعمة كما يجلس الحيوان، ونتفكر بأنواعها وأشكالها، ولا نذكر الذي خلقها ، كيف ساقها إلينا، وكيف جعل معدة الإنسان قابلة لها : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾

[ الأنعام: ١٠٢ ] .

هذه أموالنا ندخلها في صناديق وفي الخزائن وتبقى كما هي، لكن هذه الفواكه، وهذه النباتات ، وهذه الحيوانات تكبر وتزيد وتتكاثر .

وهذه أنواع البر والخبز والحبوب نأكلها، فالله يؤلف بين الحار والبارد ، والحامض والحلو ، والرطب واليابس، واللحم والبر، يؤلف بينها ، ثم تخرج بقدرة الله ﷻ دماً صافياً .

ومن هذا الدم تأتي السكريات التي تجري ، لتغذي جسم هذا الإنسان .

الله الذي خلق الأرزاق ، وساق الأرزاق، هو الذي جعل الجسم قابلاً لهذا الطعام وتحويله إلى مادة غذائية نافعة .

هو الذي خلق القلوب ، وجعلها قابلة للإيمان؛ فتستقبل الوحي ، وتنبت من كل خلق كريم من الإيمان ، والتقوى ، والصدق ، والإحسان ، والخلق العالي ، والقول الحسن ، والعمل الصالح هو جل جلاله .

هذه القلوب لا بد من فتحها، وفتحها بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات القرآنية : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ محمد: ٢٤ ] .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ ق: ٦ – ٨ ] .

فسبحان الرزاق الذي خلق جميع الأرزاق، الذي يعطي كل مخلوق رزقه وقوته ، على ما حدده وقدره ، مكانًا وزمانًا، كمًا وكيفًا، فلا يزيد ولا ينقص : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [ هود: ٦ ] .

وسبحان الرزاق الذي قسم الأرزاق بين جميع مخلوقاته : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [ الزخرف: ٣٢ ] .

فالأرزاق مقسومة ، والأنفاس معدودة ، والخطوات محدودة ، والآجال مكتوبة . هذا ما جرى به القلم من الآجال والأرزاق والأحوال : ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [ النبأ: ٢٩ ] .

فسبحان ربنا العظيم الذي هذا خلقه ، وهذه نعمه ، وهذا ملكه وسلطانه .
والله سبحانه جميع الخلائق تنعم برزقه؛ لأنه الرزاق الذي يرزق العباد ما يصلحهم وينفعهم في الدنيا والآخرة، وما من مرزوق في العالم العلوي والعالم السفلين إلا وهو ساكن في ملك الله ﷻ، متمتع برزقه ، مغمور بكرمه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٨].
هو سبحانه الرازق الكريم الذي يرزق بالأسباب، ويرزق بدون الأسباب، ويرزق بضد الأسباب .
فرزق الله لعباده بالأسباب كما جعل الماء سبباً في نبات الزروع، والنكاح سبباً في الإنجاب: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢﴾ [عبس/ ٢٤- ٣٢].
وقال سبحانه : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق/ ٥- ٧].
الله ﷻ يرزق بالأسباب، لنتمثل أوامره في فعل الأسباب والله يحب أن يطاع، وله أوامر كثيرة على خلقه ، ومن ضمن هذه الأوامر طلب الرزق، فطلب الرزق له أسباب، فنفعل الأسباب بجوارحنا ، ونتوكل على الله بقلوبنا : ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة: ٢٣ ].
ويرزق سبحانه بدون الأسباب كما رزق مريم طعامًا وثمرًا بلا شجر، ورزقها ابنًا بلا ذكر: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾ [آل عمران/ ٣٧].
والله عظيم لا يعطي إلا العظيم، والحقير لا يعطي إلا الحقير القليل، لكن الله عظيم ، ولا يليق بجلاله إلا أن يعطي العظيم، ولكنه عليم حكيم بما يصلح عباده : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝٣٠﴾ [الإسراء: ٣٠ ].
لعلمه بعباده وما يصلحهم، وأما العطاء يوم القيامة لأوليائه فهو عظيم لا يتصوره أحد: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة/ ١٧].

فلا بد في الدنيا من الإيمان والعمل ، حتى يوم القيامة يصل الإنسان لهذا الرزق العظيم، وهو رزق دائم لا ينقطع ولا ينفد أبدًا في جنات النعيم ؛ لأن الذي ينفد هو المحدود، والمحدود هو الذي عند المخلوق، لأن الله ﷻ أعطاه فهو ينفق منه لمصلحته، لكن عطاء الله ﷻ لا ينقص أبدًا، لأن خزائن الله لا تنقص أبدًا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص/ ٥٤].

العقل لا بد أن يعقل هذه المسائل العظيمة، والقلب لا بد أن يفقه هذه المسائل المتينة، هذه مسائل كبيرة من العلم الإلهي ، الكلام عن العظيم لا بد أن يكون عظيماً ، والكلام عن الكبير لابد أن يكون كبيراً .

الله ﷻ أمرنا أن نتكلم عنه، وأن نثني عليه، وأن نمجده، وأن نكبره ، حتى نعبده؛ لأنه يجب أن يعبد بأحسن عبادة، وأحسن ذكر ، وأحسن صلاة، وأحسن دعاء؛ فدلنا على ما يرضيه؛ وهدانا لما يحبه ، لأنه يريد لنا المقام العالي في الجنة، وأنه نفوز بالقصور الملكية بعد العمل بالأعمال الصالحة في هذه الدنيا التي من الله ﷻ علينا بوجودنا بها ، لنكسب الإيمان والأعمال الصالحة : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤ ] .

ويرزق سبحانه بضد الأسباب، لأنه فعال لما يشاء، يقول للشيء: كن فيكون : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣ ] .

فهو يرزق بالأسباب، ويرزق بدون الأسباب، ويرزق بضد الأسباب كما سقى موسى ﷺ وقومه الماء من حجر يابس: ﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾[البقرة/ ٦٠].

- **وفي خروج الماء من الحجر خمس معجزات:**

أن الحجر ينفتح بالماء بضربة العصا .. وكمية الماء.. ونوعية الماء.. وأنه ينفتح وقت

الحاجة إذا ضرب.. ويغلق كذلك .

فسبحان الله العظيم الذي أخرج هذه العيون العظيمة من هذا الحجر اليابس .

فهو جل جلاله يرزق بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب؛ لأن قدرته مطلقة، والأسباب مخلوقة، والأسباب مفعولة، هي بأمر الله ﷻ تعمل .

والله جعل للدنيا أسبابًا ، وللآخرة أسبابًا، فأسباب الآخرة: الإيمان والأعمال الصالحة، وأسباب الدنيا لأننا مأمورون بالكسب ، حتى نتمثل أوامر الله في الكسب:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الجمعة/ ١٠].

- **ورزق الله ﷻ لعباده نوعان:**

**الأول**: رزق له سبب؛ كما جعل الله الزراعة والتجارة والصناعة ونحوها أسبابًا وطرقًا يرزق بها عموم الخلق، هذه أسباب يرزق بها أهل التجارة والصناعة وغيرهم، أسباب يرزق بها عموم الخلق؛ فالله ﷻ هو الذي خلقنا في هذه الدنيا، وجعل لنا فيها معايش : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ الحجر: ١٩ – ٢٠ ].

فهذه أسباب عامة، للرزق يرزق بها عموم الخلق : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [ الجمعة: ١٠ ] .

**الثانيًا**: رزق يرزقه الله عبده بلا سبب منه، كأن يسوق له رزقًا سماويًا من حيث لا يحتسب، أو يسوق له رزقًا بدون جهد منه، بهدية ، أو عطية ، أو ميراث، أو هبة.. ونحو ذلك : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [ الطلاق: ٢ – ٣ ] .

الله أكبر ! ما أعظم قدرة الله ﷻ في خلق الأرزاق ، وفي إيصالها إلى مستحقيها ، فالله جعل لنا في هذه الدنيا معايش، فلنتمثل أمر الله في هذه المعايش ، ونطلب الرزق الحلال .

ومن أعظم نعم الله ﷻ علينا أن عرفنا بأسمائه وصفاته، لتحيا القلوب بذكره، وتتحرك الألسنة بتكبيره وحمده ، وتتحرك الجوارح بعبادته : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن

﴿يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [ آل عمران: ٧٣ – ٧٤ ] .

والله ﷻ ما أخبرنا باسمه الرزاق إلا لنسأل الرزق من الرزاق ، ونرزق غيرنا مما أعطانا الله من العلم ، ومن الأخلاق العالية، ومن الأموال التي رزقنا الله منها، فالله يريد أن يرانا نرزق ونعلم ، ونكرم ونرحم، ونعطي ونحسن ، يريد أن يرى صفاته في مخلوقاته : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [ الأعراف: ١٨٠ ].

فالله أمرنا أن نطلب المعاش ، ونحصل الرزق بالسير في الأرض، والمشي في مناكبها والتعبد لله بذلك : ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾﴾ [ الحجر: ١٩ – ٢١ ] .

فواكه الصيف، فواكه الشتاء، الحبوب والثمار ، الزروع والخضار ، هذا ينبت في شهر كذا، وهذا ينبت في فصل كذا : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [ الأنعام: ١٠٢ ] .

الله ﷻ يخبرنا بهذه الأمور، بهذه المسائل العظيمة، حتى نخلص له العبادة ، ونتوجه إليه وحده ونحن أعزة ، فيجب أن نتصل بالعزيز، ولا نذل أنفسنا للفقير الضعيف المحتاج من الخلق : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾﴾ [ الذاريات: ٥٠ – ٥١ ] .

فلا إله إلا الله ، كم جهلنا بأسماء ربنا وصفاته وأفعاله ، وخزائنه ، ودينه وشرعه ، وملكه وسلطانه، ووعده ووعيده ، ولكن الله ﷻ رؤوف رحيم هدانا إِلَى هَذِهِ المجالس الإيمانية؛ لنعرف عنه ما يجب له من التوحيد والإيمان؛ وحسن العبادة فهو جل جلاله الرحمن الرحيم بعباده، الذي قسم أرزاقهم من كل شيء بالسوية، وفضل بعضهم على بعض في الرزق، لكمال علمه بما يصلحهم : ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِ ﴿٧١﴾﴾ [ النحل: ٧١ ] .

فلننظر إذا أردنا أن نبني عمارة من العمارات ، كم يرزق من الناس بسبب بناء هذه العمارة؟ هذه العمارة لرجل غني مكونة من عشرة أدوار، كم يعمل فيها من السباكين ، والمليسين، والكهربائيين، والمبلطين، والدهانين، والحراس، وأهل الحديد، وأهل الفرش، يدخل فيها أرزاق كثيرة تساق إلى الناس بواسطة إنشاء هذه العمارة، ليتخذ بعضنا بعضًا سخريًا: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [ الزخرف: ٣٢ ] .

هذا عطاء الربوبية ، لنعيش فيه في الدنيا ، ونعرف العظيم فنعظمه ، ونعرف الكريم فنشكره، وعطاء الألوهية أن تكون في الدنيا خليفه ، وفي الآخرة جليسة : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [ القمر: ٥٤-٥٥ ] .

فسبحان الرزاق الذي قسم الأرزاق بحكمته بين العباد : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[النحل/ ٧١].

هذه سورة النعم سورة النحل، من قرا سورة النحل عرف عظمة نعم الله ﷻ ، وعظمة خلقه .

وكل ما سوى الله إما نعمة وإما منعم عليه ، وكل ما نراه في الكون إما نعمة وإما منعم عليه ، المطر نعمة، الهواء نعمة، الأرض نعمة، اللسان نعمة، الأذن نعمة، الصدق نعمة، الإيمان نعمة، الإحسان نعمة الرحمة نعمة:﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[النحل/ ١٨].

فمن وهبها لنا كرمًا منه فيجب علينا أن نفتح معه علاقة، فنكبره ونثني عليه ، ونحمده ونشكره على نعمه ، لأنه هو العظيم الذي خلق كل شيء، والكريم الذي أعطى كل شيء، هذا هو أصل العبادة التي يحبها الله .

معنى العبادة طاعة المعبود في كل ما أمر به ، ونهى عنه، مع كمال الحب المقرون بالتعظيم والتذلل لله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [ الملك: ١٢ ] .

وهو سبحانه في عطائه ورزقه هو الحكيم العليم الخبير بما يصلح عباده ، فلو أعطى الناس فوق حاجتهم ، لحملهم ذلك على البغي والعدوان والطغيان من بعضهم على بعض أشرًا وبطراً : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾[العلق/ ٦ – ٧].

وفرعون طغى وتجبر؛ لأن الله ﷻ منَّ عليه بالملك والمال والغنى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ ﴾[القصص/ ٤].

ولو أفقرهم جميعًا لأهلك بعضهم بعضًا، وسفك بعضهم دماء بعض؛ فالإنسان يريد أن يأكل ويشرب ويلبس، فإذا لم يجد ذلك فلا بد أن يفتك القوي بالضعيف فسبحان الله الحكيم الخبير بما يصلح عباده : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝٣٠ ﴾ [الإسراء: ٣٠] .

فيعطي كل واحد من خلقه ما يصلحه ، وما يكفه عن الفساد والبغي في الأرض؛ لأنه أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته ، ورزقه وفضله : ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٧ ﴾[الشورى/ ٢٧].

يبسط على هذا ليبتليه هل يشكر أو لا يشكر، ويقدر على ذلك ويفقره ، لينظر هل يصبر أو لا يصبر؟ لكنهم في عطاء الألوهية سواء، الله ﷻ جعل الدين الكامل لجميع الناس، أعطاهم العقول والأسماع والأبصار، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وبهذا يتفاضلون: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣ ﴾[الحجرات/ ١٣].

فالإنسان الكريم هو من بذل جميع الطاقات التي فيه لنفع نفسه بالتعبد ، ونفع غيره بالدعوة، والتعليم ، والإحسان إلى الخلق .

فسبحان ربنا العظيم الخبير ببواطن الأمور ، البصير بظواهرها، الرزاق الذي يرزق الأجنة في بطون الأمهات، كم جنين في بطون الأمهات، والزرع في قرار الأرض، والسباع في مهامه القفار، والطيور في جو السماء ، والأسماك في قعر البحار: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا

﴿تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢- ١٠٣].

فالحمد لله أننا لا ندركه بأبصارنا ، لو لرأيناه عيانًا بأبصارنا ما عصيناه أبدًا، ثم بهذا يبطل التكليف، ولكنه من علينا بأن حجبنا عن رؤيته في الدنيا ، وفتح لنا باب الرؤية يوم القيامة ، فمن رآه ببصيرته في الدنيا، يراه ببصره يوم القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة/ ٢٢- ٢٣].

فالمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر .

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم وجميع المسلمين والمسلمات، ممن يرون ربهم يوم القيامة في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الحمد لله الذي أكرمنا بمعرفة أسمائه وصفاته ، فإذا ذكرنا الرزاق ذكرنا المرزوقين وذكرنا أنواع الأرزاق ، فجاءت في قلوبنا محبته، لأنه أنعم علينا ، وأنعم على غيرنا، وأعطانا خيرًا ، وصرف عنا شرًا؛ فله الحمد كثيرًا كما ينعم كثيرًا وكما يرزق كثيرًا : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [ الفاتحة: ٢ – ٥ ] .

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾[ق/ ٩- ١١].

هو الذي خلق ويسر وأوصل رزق كل حي، وهداه لتحصيل معاشه .

هو الخلاق الرزاق الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، خلق الإنسان في بطن أمه، وخلق الطير في جوف البيضة، وخلق هذه النباتات بأصلاب الأشجار والزروع، فكم من المواليد النباتية يخلقها في كل يوم؟ مليارات النباتات ، مليارات الثمرات، مليارات الحبوب .

الذي خلقها من هو؟ الذي نوعها من هو؟ الذي يسوقها لأهلها من هو؟: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾[الحجر/ ٨٦].

ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الرب الذي يستحق العبادة والطاعة : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[النحل/ ١٧ - ١٨].

غفور لكم على ما صدر منكم من التقصير والمعاصي، رحيم بكم حيث يوالي عليكم نعمه، كي تذكروه وتؤثر فيكم النعمة لعلكم تهتدون إليه .

وتعبدونه وحده لا شريك له ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [ يونس: ٣ ] .

- **وخص الله المؤمنين برزق خاص وهو نوعان:**

**الأول**: غذاء قلوبهم بالتوحيد والإيمان، والعلم النافع، والعمل الصالح: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[يونس/ ٥٨].

هذا العطاء من ربنا ﷻ، خصنا بالتوحيد والإيمان ، وجعلنا من المسلمين، وهدانا إليه بفضله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد/ ٢١].

**الثاني**: رزق أبدان المؤمنين بالرزق الحلال، فالإنسان إما أن يأخذ رزقه بحلال أو حرام، الله خص أولياءه بأن جعل رزق أبدانهم رزقًا حلالًا ، حتى يستجاب دعاءهم؛ فيغني الله ﷻ عبده المؤمن بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه، وهذا الرزق وسيلة ومعين للمقصود الأعظم وهو التوحيد والإيمان وعبادة الله ﷻ ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة/ ١٧٢].

وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٥١].

فإذا رزق الله العبد الإيمان ، والعمل الصالح ، والرزق الحلال؛ فقد تمت أموره ، واستقامت أحواله الدينية والدنيوية والبدنية: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد/ ٢١].

فسبحان الكريم الذي أكرم عباده بالنعم المادية والروحية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة/ ٣].

اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، اللهم إنا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا .

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أنت أعلم به منا ، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى يا أرحم الرحمين، يا ذا الجلال والإكرام: ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠- ١٨٢].

فالله سبحانه هو الرزاق الذي خلق الأرزاق، ويسر وصولها لكل حي، وهدى كل مخلوق إلى معاشه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى/ ١-٣].

وهو الرزاق الذي هدى من عباده من شاء للتوحيد والإيمان والعمل الصالح .

فهذا فضل من ربنا ﷻ، يعلم من يزكو به، فيفتح قلبه لذلك، ويجعله من القابلين له: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة/ ٤].

فهو عليم بمن يصلح للهداية ، ومن لا يصلح لها، عليم بمن يصلح لدار كرامته ، ومن لا يصلح لها ، لكنه خلق الإنسان ، وجعله مختارًا يختار ما يشاء من الإيمان أوالكفر ، والطاعة أوالمعصية، والله ﷻ رحيم بالعباد، رغبهم في الطاعات ، ووعدهم عليها الجنة، وحذرهم من المعاصي، وتوعدهم إذا كفروا النار: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ [ الإنسان: ٢٩ ].

وهو كذلك عليم بما كان وما يكون وما سيكون، وعلمه لا يعني إجباره للناس على الهدى أو على الضلالة، إنما هو رغب في الطاعات والإيمان، وحذر من المعاصي والكفر: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [ الحج: ٧٠ ].

فأعظم أرزاق الدنيا الإيمان، والعمل الصالح، والرزق المادي الحلال، وهذا كله من فضل الله ورحمته، ثم يكمل الرزاق الرزق للمؤمنين بجنات النعيم على الدوام، بلا عد ولا حد ولا قيد ولا حسبان: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [غافر/ ٤٠].

فهناك العطاء مطلق، والعمر مطلق، والنعيم مطلق: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢].

اللهم ارزقنا ما تصلح به قلوبنا من الإيمان والعلم والهدى والعمل الصالح، وارزقنا ما تصلح به أبداننا من الرزق الحلال الهني الطيب، وارزقنا حسن القناعة بما أعطيتنا؛ حتى لا نطلب ما منعتنا، ولا نحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت.

والله سبحانه رزاق يرزق جميع الخلق من فضله؛ المؤمن والكافر، والإنسان والحيوان، فالمؤمن يستعين بما قسمه الله له من رزق على طاعة مولاه، والكافر يتمتع به في الدنيا، وله النار يوم القيامة؛ لأنه لم يشكر الرزاق الذي خلقه ورزقه.

فعطاء الربوبية لجميع الخلق، وكذلك عطاء الألوهية لجميع الخلق: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢].

فعطاء الربوبية لجميع الخلق: فالله ﷻ هو الذي خلق الخلق، وتكفل بأرزاقهم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

فعطاء الكافر متعة يتمتع بها قليلاً، ثم يلقى وراءه الجحيم يوم القيامة.

لماذا ؟ ، لأنه لم يشكر المنعم، ولم يعرف المنعم، ولم يؤمن بالمنعم ﷻ، واستمتع بنعمه، وكفر به ﷻ؛ فهذا جزاؤه أن يشقى في الدنيا، وفي الآخرة له عذاب النار وبئس المصير: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾ [البقرة: ٣٨-٣٩].

والله ﷻ قد قطع الأرزاق ، وقسمها لجميع المخلوقات، فكل نَفْس سوف تأخذ رزقها بلا زيادة ولا نقص لا محالة :

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ**» أخرجه ابن ماجة وابن حبان[1].

فنفعل الأسباب في طلب الرزق؛ لأننا في دار الأسباب، ومن آمن بالرزاق سعى في طلب رزقه كما أمره الرزاق، وسعى في طلبه كما سعت هاجر بين الصفا والمروة لطلب القوت والرزق؛ فرزقها الله بعد بذل الجهد والسعي بماء زمزم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [الملك/ ١٥].

وقال : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة: ١٠].

فلله أوامر تمتثل عند الوضوء، وأوامر تمتثل عند الصلاة، وأوامر تمتثل عند الصوم، وأوامر تمتثل عن البيع والشراء، وأوامر تمتثل عند الكسب، وأوامر تمتثل عند النكاح، وأوامر تمتثل عند السفر، وأوامر عند الصحة، وأوامر عند المرض، وأوامر عند الخوف : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فالمؤمن في جميع أحواله عابد لله ، لأن العبادة هي طاعة المعبود ﷻ بما أمر به ، ونهى عنه، فالذي خلق الخلق واحد، والذي يرزقهم واحد، والذي يستحق العبادة التي هي الطاعة لله ﷻ في جميع ما أمر به هو واحد، والله لا يأمر إلا بما هو خير، وما أغلق بابًا من أبواب الخير إلا وفتح أضعافه من أبواب الخير، فالله هو الفتاح الذي بيده الخير وهو على كل شيء قدير : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦].

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم (٢١٤٤)، وأخرجه وابن حبان برقم (٣٢٣٩) وهذا لفظه.

وأعظم أنواع الرزق هو العلم بالله، وعبادته بموجب ذلك ولهذا امتن الله على رسوله ﷺ بقوله : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [ النساء: ١١٣ ] .

فمن عرف ربه عرف كل شيء، ومن جهل ربه لم يعرف أي شيء .

فالعلم الإنساني بالنسبة للعلم الإلهي كالذرة بالنسبة إلى الجبل .

العلم الإلهي هو العلم بالله وأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده، ودينه وشرعه، هذا أعظم واجب .

ولهذا أرسل الله ﷻ به رسله؛ لأن الخلق محتاجون إلى ذلك .

فلنتبع الطاعة بالطاعة، والإحسان بالإحسان؛ ليعطينا الله ﷻ كل يوم من رزقه وفضله: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يوسف/ ٢٢].

أما الملك والمال فيعطيه الله ﷻ من يحب من أوليائه ، ومن لا يحب من أعدائه .

فأعطى الله لمن يحب من أوليائه الملك لسليمان، والمال لعثمان، وأعطاه من لا يحب من أعدائه: فأعطى الملك لفرعون، وأعطى المال لقارون ، لكنه لا يعطي الدين إلا من يحب.

فرزق الإنسان سوف يصل إليه في وقته المقدر كميةً ونوعيةً ومكانًا وزمانًا، والرزق الذي كتبه الله ﷻ لك يعرف عنوانك، وأنت لا تعرف عنوانه، فرزقك سوف يصل إليك في وقته المقدر.

هذا عهد الله لخلقه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود/ ٦].

فالأرزاق قد قُسِمت، وسوف تصل إلى المخلوقات جميعًا؛ لأن الله قوي يوصل هذه الأرزاق إلى المرزوقين، وعليم يعلم بأماكنهم، ويعلم بحوائجهم، فرزقك مقطوع من كل نوع، وسوف يصلك كميةً ونوعيةً، ومكانًا وزمانًا، فلا تستعجل فتطلبه بأسباب الحرام، فهذه الثمرة من هذه النخلة، وهذه التفاحة من تلك الشجرة، وهذه الخبزة من ذلك البر، وهذه اللحمة من ذلك الحيوان ، وهذه السيارة من ذلك الحديد، وهذا

الحليب من تلك البقرة .

هذه أرزاق مقسومة بين العباد، وسوف تصل إلى كل أحد قُسِمت له، لكن فلانًا قد يشتريها بماله، وقد يأكلها عند صديقه، وقد تصله هديةً، وقد يسرقها، وقد يأخذها بالتسول، وذلك كله باختياره هو، والمقسوم له سوف يصل إليه : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾ [ هود: ٦ ] .

وما أخذه الإنسان من الأرزاق بالطرق المحرمة فسوف يسأل عنه ويعاقب عليه:﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦ ﴾[الغاشية/ ٢٥-٢٦].

وسوف يسأل عن الرزق الحلال: هل استعمله في طاعة الله؟ أو في شهوات النفس من دون عمل؟ ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣ ﴾[الحجر/ ٩٢-٩٣].

وقال النبي ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ**» أخرجه الترمذي (١).

وكل إنسان سوف يُسأل : ماذا أجبتم المرسلين؟ وماذا كنتم تعملون؟

والله كريم رزق الأبدان بالأطعمة والأشربة، ورزق القلوب بالعلم والمعرفة، والعلم والمعرفة أشرف الرزقين، كما قال سبحانه عن موسى ﷺ:﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤ ﴾[القصص/ ١٤].

وقال سبحانه : ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ ﴾ [ الزخرف: ٣٢ ] .

وقال سبحانه : ﴿ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١ ﴾[طه/ ١٣١].

فهو سبحانه الملك الحي القيوم، الغني الرزاق الذي لا ينسى أحدًا .

هو الرزاق الذي غذى نفوس الأبدان بتوفيقه جل جلاله، وحلى قلوب الأخيار بتصديقه، فلا لذة عندهم إلا بحسن مناجاته، وذكره، وحمده، وسؤاله:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٧).

ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾[الأنفال/ ٢-٤].

وقال سبحانه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾[الحجرات/ ١٥].

الله ﷻ أعطانا لنعطي، أعطانا لنستعين بما أعطانا على طاعته، وأمرنا بطلب الرزق ، لنمتثل أوامر الله في الرزق، لكن هذا العمل لا دخل له بحصول الرزق؛ الرزق فقط من الرزاق، فهو ﷻ يعطي بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب .

أما طلب الكسب والمعاش فنحن مأمورون به شرعًا ؛ لنمتثل أوامر الله في الكسب، ولأننا في دار الأسباب، ولا بد للإنسان أن يكتسب في هذه الحياة الدنيا .

وطلب الرزق مشروع بنصوص القرآن والسنة؛ لأن الأموال والأرزاق إذا كانت بيد المسلم نفع الله بها الأمة، ونفع بها النفوس؛ من كفالة الأيتام، وبناء المساجد والمستشفيات، والإنفاق على الفقراء، وعلاج المرضى، ونشر العلم، وإعانة طلاب العلم، فاليد العليا خير من اليد السفلى، وفي كل خير، فمجالات التعبد أوسع عند الغني أكثر من الفقير، ولهذا أمرنا بطلب الكسب الحلال؛ حتى ننفع أنفسنا، وننفع غيرنا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣٢﴾[الأعراف/ ٣٢].

فامتثال أمر الله في طلب الرزق كامتثال أمر الله في الصلاة والوضوء والحج وغيرها، هذه عبادة ، وهذه عبادة ، والكل من دين الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة: ٩-١٠] .

لكن ينبغي للمسلم ألا تشغله أمواله وأولاده عن طاعة مولاه، وعبادة من رزقه وهداه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ

ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون/ ١١].

الله ﷻ أمرنا بما يصلح ديننا ، ودنيانا ، وأخرانا، وامتثال أمر الله في هذه الأمور الثلاثة عبادة لله ﷻ : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤ ] .

والناس جميعًا خلق الله، وقد تكفل بأرزاقهم، ووعدهم بذلك، والله لا يخلف الميعاد : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾﴾ [ هود: ٦ ].

ولكن إنما يحرم الإنسان من الرزق بسبب معاصيه : ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [ الأعراف: ٩٦ ] .

والله سبحانه قسم الأرزاق المادية ، وقسم الأرزاق الروحية ، بين خلقه، وهم في عطاء الربوبية سواء، لكنهم متفاوتون في أنواع العطاء : ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [ الزخرف: ٣٢ ] .

فهذا غني، وهذا فقير، وهذا رزقه في التجارة، وهذا رزقه في الصناعة، وهذا رزقه في الزراعة، وهذا رزقه في الطب، وهذا رزقه في الهندسة، وهذا رزقه في البناء، وهذا رزقه في المصانع، وهكذا عطاء الربوبية للجميع .

ونوع الله ﷻ الأرزاق، ونوع المرزوقين في جميع الحاجات: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ﴾، فأنا أحتاج إلى ما عند أخي من طب، أو من مال، أو من سيارات، أو من مزروعات،... وهكذا ، وهو يحتاج إلى ما عندي من أطعمة أو ملابس ونحو ذلك.

والخلق جميعًا في عطاء الألوهية سواء؛ لكنهم مختلفون في القبول والإعراض، والإيمان

والكفر.

والله ﷻ بعث الأنبياء والرسل ، ليدعوا الناس جميعًا، إلى عطاء الألوهية الذي هو الدين:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل/ ٣٦].

هذا عطاء الألوهية؛ من الله علينا بالدين الكامل ، بفعل الأوامر ، واجتناب النواهي؛ لنسير على صراط مستقيم : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [ الأنعام: ١٥٣ ].

والرزق هو كل ما ينتفع به؛ فالمال رزق ينتفع به، والطعام رزق ينتفع به، واللباس رزق ينتفع به، والبيت رزق ينتفع به، والزوجة رزق ينتفع به، والأولاد رزق ينتفع به، والزوج رزق ينتفع به، والعلم رزق ينتفع به، والإيمان رزق ينتفع به، والأخلاق رزق ينتفع به، والأعمال الصالحة رزق ينتفع به، كل ذلك من نعم الله الواسعة على عباده: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [ إبراهيم: ٣٤ ].

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [ النحل: ٥٣ ].

وقال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [ غافر: ٦٤ ].

هو سبحانه الرزاق في الدنيا والآخرة، وهو رزاق قبل أن يرزقنا، وقبل أن يخلق الأرزاق، وقبل أن يخلق المرزوقين، فهو رزاق، والرزاق صفة ذاتية له، وصفة فعلية، فهو يرزق ويعطي ولا تنقص خزائنه أبدًا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [ الذاريات: ٥٨ ] .

ومن عرف الرزاق لم يبالِ بما فاته من الأرزاق؛ لأنه يعلم أن رزقه سيأتيه في وقته ومكانه كاملًا:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي

كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾[هود/ ٦].

هذه عقيدة المسلم؛ يعلم أن رزقه سوف يأتيه في مكانه وزمانه ، وكميته ونوعيته، فلا يبالي بما فاته من الأرزاق؛ لأنه يعلم أن رزقه سيأتيه ، ولن يأخذه غيره ، لكن عليه أن يتفرغ لعبادة مولاه، ويقوم بعبادته ، وامتثال أوامره، غنيًّا كان أو فقيرًا، فما كتب له من الرزق الذي يصلحه سوف يأتيه، أما الرزق الكامل فهو يوم القيامة : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [ الذاريات: ٥٦ – ٥٨ ] .

والله سبحانه يبارك في الأرزاق مع الإيمان والتقوى، فيجعل كسبها حلالًا، وإنفاقها في أمور البر والإحسان، وتنزل فيها البركة، وتتكاثر كميةً، وتتنوع أصنافًا، وتتكرر أوقاتاً .

وكذا العبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه؛ إنذارًا له ليتوب إلى ربه، فالبركة تكريم، والحرمان تأديب وتهذيب، البركة تكريم من الله لمن آمن وعمل صالحًا، والحرمان تأديب وتهذيب: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [ الأعراف: ٩٦ ].

فالعطاء من ربنا ﷻ يبارك فيه للمؤمنين؛ لأنهم يذكرون اسم الله عليه، ويتقربون إليه بطاعته، وينفقونه فيما يحبه الله ويرضاه ، ويستعينون به على عبادة الله ، فيبارك لهم في أرزاقهم، والحرمان تأديب وتهذيب، ولكن لئلا يتعلق الإنسان بالنعمة دون المنعِم، وبالعطاء دون المعطي؛ الله ﷻ يبتليه حتى يتوجه إلى من ساق إليه هذا الخير، ويعود إلى ربه:( وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٖ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٖ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة/ ١٥٥ – ١٥٧].

الله ﷻ بهذا الابتلاء يفتح للإنسان أبواب الهداية، فيتوجه إلى ربه، ويرى الكبير يفعل ما يشاء ، ويرى المحسن يحسن، ويرى الرزاق يرزق، ويرى القوي يبطش، ويرى الرحمن يرحم، ويرى التواب يتوب، ويرى العفو يعفو ﷻ : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ

ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣] .

- **فرزق الله لعباده نوعان:**

رزق الأبدان بالأطعمة والأشربة والأموال، وغيرها من أنواع الأرزاق المادية.

ورزق القلوب بالتوحيد والإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية.

- **وكذلك الفقر نوعان:**

**فقر الأبدان وهو ثلاثة أنواع:**

**الأول:** فقر القدر: وهو ما اختاره الله لعبده، فالله يعلم أن فلانًا لا يصلح له الغنى، فيعطيه بقدر حاجته، ولا يهمله، ولو أعطاه الغِنَى فالله يعلم أنه سوف يطغى .

ولذلك فقر القدر هو ما اختاره الله لعبده، واختيار الله أحسن من اختيار العبد.

**الثاني:** فقر الكسل: وهو أن يكسل الإنسان عن طلب الرزق ، وهذا مذموم .

**الثالث:** فقر الإنفاق: فالله ﷻ أعطى الإنسان مالاً لينفق في أنواع الطاعات، ينفق في سبيل الله ينفق، على الأيتام والفقراء والمساكين، كما فعل أبو بكر بماله ، حين خرج بكل ماله في سبيل الله، فقال له النبي ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ**» أخرجه أبي داود والنسائي [1].

فالأول قدر الله لعبده بمرض أو عذر يقعده عن الكسب، أو غير ذلك من الأسباب .

فهذا معذور، ولله حكمة في ذلك.

أما فقر الكسل فصاحبه مذموم، فلا بد أن يطلب المعاش ، ويكسب الرزق، ويمتثل أوامر الله ﷻ في طلب الرزق: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولًا فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾**﴾ [الملك/ ١٥].

أما فقر الإنفاق في سبيل الله فهو أحسن شيء، وهو ممدوح، والله ﷻ يضاعف لصاحبه الأجر والثواب؛ ﴿**مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾**﴾ [البقرة/ ٢٦١].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٦٧٨)، وأخرجه النسائي برقم (٩١٦٦) وهذا لفظه.

• **والناس يأخذون أرزاقهم من ستة أبواب:**

**الباب الأول**: باب الإيمان والتقوى، فهذا أشرف الأبواب، وأحسن الأبواب، وهو الذي أعطاه الله ﷻ الأنبياء والرسل والمؤمنين:﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾[الطلاق/ ٢ – ٣].

وقال سبحانه : ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

**الباب الثاني**: باب الدعاء والاستغفار : ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢﴾ [نوح/ ١٠ – ١٢].

**الباب الثالث**: باب العمل والكسب في البيع والشراء والتجارة والصناعة والزراعة وغيرها .

ونحن مأمورون بذلك كما أُمرنا بالصلاة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة: ٩ – ١٠].

فأداء الصلاة عبادة ، وطلب الرزق الحلال عبادة ، ولكل واحد منهما وقته .

فالأرزاق بيد الرزاق وحده ، ونحن نفعل الأسباب لامتثال أوامر الله في كسب المعاش ، لأنه يجب أن نمتثل أمره في كل حال .

**الباب الرابع**: باب الصدقات ، والزكاة ، والهبات ، والوصايا ، والمواريث ، والهدايا ، والعطايا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

فالله يسوق الأرزاق للإنسان من خلال هذه الأبواب بلا جهد منه .

**الباب الخامس**: باب الغش، والربا، والسرقات، والسحر، وبيع المحرمات، وغيرها من المكاسب المحرمة بالكذب والاحتيال.

**الباب السادس**: باب سؤال الناس تكثراً، وهذا أخس الأبواب .

قال النبي ﷺ : «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا؛ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا، فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**» أخرجه مسلم[1].

فهذا أخس الأبواب ، لأنك بالسؤال تشكو الخالق إلى المخلوق، ولو سألت الله ، وشكوت أمرك إلى الله؛ لأعطاك ما سألت : ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾** ﴾ [ الأنبياء: ٨٣ – ٨٤ ] .

الحمد لله رب العالمين أن عرفنا في كتابه بأسمائه وصفاته، وأخبرنا أن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى؛ حتى نقبل على عبادة ملك غني كريم ، رحيم رزاق ، عفو غفور ، شكور لطيف : ﴿ **ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾** ﴾ [ الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣ ] .

﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾** ﴾ [ الأعراف: ١٨٠ ] .

فسبحان من هذه أسماؤه وصفاته ، وهذه أفعاله في ملكه .

فالرزق يدل على الرزاق، والخلق يدل على الخلاق، والصور تدل على المصور، والنعم تدل على المنعم، والإحكام يدل على الحكيم ، والرحمة تدل على الرحيم .

ولهذا ظهور الحق أبْيَن من كل بين، أبين من الشمس في رابعة النهار، ولكن للقلوب بصائر، وللعيون أبصار، فمن استعان ببصره ترقى في بصيرته، فرأى الملك يفعل في ملكه ما يشاء: ﴿ **هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ**

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٠٤١).

ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

اصطفى الملك من مماليكه هذا الإنسان، فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه ، وأمره بشرعه؛ لأنه يريد له أن يكون في الدنيا خليفةً، وفي الآخرة جليسه .

فسبحانه ما أكرمه! ، وما أعظم رزقه! ، وما أوسع علمه ورحمته! ففضل الله على خلقه عظيم، ونعمه وأرزاقه واسعة لا تخطر على قلب بشر : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠ ].

وأنواع نعمه وأرزاقه وأعدادها لا يمكن عدها ولا إحصاؤها: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

فلا بد من الجهد على هذا الإنسان؛ حتى يعرف من هو الرب الرزاق؟ من هو الغني الكريم؟ من هو الرب الرحمن الرحيم؟ من هو الرب القادر القاهر ، من هو الرب العزيز الجبار ؟.

فإذا عرف ربه بأسمائه وصفاته آمن به ، وعظمه وكبره ، وأحبه وشكره ، وأطاعه وعبده: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [ محمد: ١٩ ].

وخزائن الغني سبحانه مملوءة بجميع الأرزاق، ويعطي منها جميع الخلائق في كل مكان وزمان، ومع هذا العطاء العظيم المتواصل المدرار لا تنقص مثقال ذرة؛ لأن المحدود ينقص، والرزق المحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبدًا: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص/ ٥٤].

﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٦].

والغني الذي لا تنقص خزائنه أبدًا، فإذا نقصت مثقال ذرة فهو فقير لا يستحق العبادة، لكن خزائن الغني لا تنقص أبدًا : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٦٨﴾ ﴾ [ يونس: ٦٨ ].

فسبحان الغني الكريم الذي يملك كل شيء، ويقول للشيء كن فيكون، لو سأله جميع الخلائق بأوسع سؤال فأعطاهم، لم ينقص ذلك مما عنده مثقال ذرة: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص/ ٥٤].

وقال النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أَنَّهُ قال: «**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا .**

**يَا عِبَادِي،لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**» أخرجه مسلم(١).

هذا الملك العظيم الذي يجب أن نعبده بالحب الكامل ، والتعظيم الكامل ، والذل الكامل، ونتشرف أننا عبيده ومماليكه؛ فنذكره في كل مجلس، ونذكره في صلاتنا، ونذكره في أوقاتنا كثيرًا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [ الأحزاب: ٤١ – ٤٣ ] .

فإذا ذكرتموه بأسمائه وصفاته أطعتموه ولم تعصوه؛ ووحدتموه ولم تشركوا به شيئاً .

والله خلق الدنيا لنستعين بها على طاعة الله ﷻ، وكل ما أعانك من الدنيا عَلَى الدين فهو من الدين، وكل ما أعانك على الدنيا فهو من الدنيا .

فالله خلق الدنيا لنا، ولكن نحن خُلِقنا للآخرة، فالدنيا زينة، والمقصد الآخرة، الثياب زينة، لكن المقصد ستر العورة، لبس الثوب زينة،أبيض وأسود وأصفر وأحمر، لكن

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

المقصد ستر العورة، والحفظ من الحر أو البرد، هكذا الدنيا زينة، والمقصد الآخرة : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [ العنكبوت: ٦٤ ] .

فالله ﷻ من فضله علينا أن عرفنا باسمه الرزاق، واسمه الرزاق .

فسبحان مالك الأرزاق الَّذي تكفل بأرزاق جميع الخلق، العليم بأحوال خلقه وما يصلحهم، يبسط الرزق عَلَى من يشاء، ويقدره عَلَى من يشاء، وله في ذَلِكَ حكمة بالغة:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٠].

فالله حكيم عليم، يضع رزقه عند من يشكره، ويعطي عباده عطاءً واسعًا، ويعطي بعض عباده عطاءً أقل؛ لأنه أعلم بمن يشكر ومن يكفر، فهو يعلم أن الناس منهم من لا تصلح حاله إلا بالغنى، ومنهم من لا تصلح حاله إلا بالفقر، ولا يعلم ذلك إلا الله وحده لا شريك له:﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[الشورى/ ٢٧].

ثم إن الله يريد من عبده إذا أُعطي خيرًا أن يشتغل بوظيفة الشكر ، وبعبادة الشكر، وإن لم يُعطَ صار فقيرًا يعمل بعبودية الصبر : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ [ إبراهيم: ٥ ] .

- **ولأهل الدين صفتان:**

إما شاكر .. وإما صابر .

ونحن مُبتلَون بذلك، فكثرة الرزق في الدنيا لا تدل بذاتها على محبة الله للعبد ، ورضاه عنه، فالله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن يحب، ومن أعطاه الله الدنيا والدين فهو مبتلى : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ/ ٣٧].

فالذين عندهم أموال وأولاد يتسع أجرهم وثوابهم بكثرة الإنفاق، وكثرة المسبحين

والعابدين والذاكرين من أولادهم.
والإيمان والتقوى من أعظم الأسباب للحصول على الأرزاق النافعة، والكفر والفجور سبب عظيم لنقص الأرزاق ومحق البركة، كما قال سبحانه:﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الأعراف/ ٩٦].
والأرزاق تزيد بالشكر والطاعة، وتنقص بالكفر والمعاصي:( وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[إبراهيم/ ٧].
والله سبحانه هُوَ المنعم عَلَى عباده بجميع أنواع الأرزاق المادية والروحية، وأعظم رزق يرزقه الله عبده وأحسنه وأفضله ، وأكمله وأكرمه ، وأعلاه وأدومه ، هو التوحيد والإيمان، والجنة ورضوان الرب جل جلاله:(وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾[الطلاق/ ١١].
ولا بد للمسلم أن يعرف أن المخلوقات كلها مختزنة في الأرزاق، والأرزاق كلها مختزنة في خزائن السماوات والأرض، فالأرزاق لها خزائن، خرج من خزائن الأرزاق هذه المخلوقات العظيمة التي نراها، هذه، السماوات والأرض وما فيهما من المخلوقات كلها مختزنة في الأرزاق، والأرزاق كلها مختزنة في خزائن السماوات والأرض، وخزائن السماوات والأرض كلها ذرة من خزائن الملك الغني الحميد جل جلاله:﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾[لقمان/ ٢٦].
والله سبحانه كَمَا أخرج البرايا من مستقرها إلى مستودعها في القبور، حَتَّى ظهرت من الأرحام جيلًا بَعْدَ جيل، فالله أخرج البرايا من بطن إلى بطن، فكم يخرج من الأرض من المواليد والأرزاق!وكم يخرج من الأرحام من الذكور والإناث!.
هو سبحانه أخرج الأرزاق والأعمال كل لحظة في الوقت الذي قدره:﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾[القمر/ ٤٩-٥٢].
كل شيء مكتوب، كل شيء مكشوف لله؛ الماضي والحاضر والمستقبل:﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ

﴿وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ٥٣﴾[القمر/ ٥٣].

مسجل ومكتوب قدرًا أنك سوف تعمله، ومكتوب تنفيذًا إذا عملته، وسوف تحاسب عليه إذا عملته، ولكن هذا العلم علم انكشاف لا علم إجبار، فالله يعلم كل شيء، وأعطى الخيار لعبده أن يختار ما يشاء: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧﴾ [التكوير: ٢٧].

فسبحان الملك العظيم الذي يملك جميع خزائن الأرزاق، الغني الذي لا أحد أغنى منه، وكل غِنًى منه، الكريم الذي لا أحد أكرم منه، الرحمن الذي لا أحد أرحم منه، والرزاق الذي كل رزق في العالم العلوي والسفلي من رزقه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو الرزاق الذي يرزق كل مرزوق في مكانه وزمانه، في الوقت الذي يريد، بالقدر الذي يريد، بالنوع الذي يريد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

هو الكريم الذي أعطى جميع الخلق من رزقه، الرزاق الذي يرزق جميع الناس من مسلم وكافر: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

لهواء مسخر، المطر مسخر، الأرض المنبتة مسخرة، الشمس التي تنير مسخرة، وهكذا كل شيء مسخر للإنسان: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ [الجاثية: ١٣].

هُوَ الملك العظيم الَّذِي له الخلق كله، وله الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله،الَّذِي تفرد بالوحدانية، وتفرد بالخلق والرزق،وتوحد بالإحياء والإماتة،واختص بالأسماء الحسنى والصفات العلى، الذي ليس له شريك ولا مثيل:﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠﴾[الروم/ ٤٠].

هو الملك الغني القادر على كل شيء، الذي يملك خزائن كل شيء، فلنعبده لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة نعمه وإحسانه، بيده كل شيء، وعنده خزائن كل شيء؛ خزائن المخلوقات، خزائن الأرزاق، خزائن النعم، خزائن الأموال، خزائن المياه،

خزائن الحبوب، خزائن العلم، خزائن القوة، خزائن الرحمة، خزائن العذاب، خزائن النور، خزائن الظلام، خزائن الإيمان، خزائن الأخلاق، خزائن التصريف والتدبير، خزائن كل شيء في قبضته ، وتحت تصرفه: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر/ ٢١].

فسبحانه ما أعظمه! وما أعظم ملكه وسلطانه! وما أوسع أرزاقه ورحمته ومغفرته! وما أعظم حلمه على من عصاه! .

فسبحان من خلق الخلق كله، وبيده الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، وعنده خزائن الرزق كله : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [ يونس: ٣ ] .

هو سبحانه الملك الحق، الغني عن كل ما سواه ، الرازق لكل مخلوق : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[يونس/ ٣١].

ومن هذه عظمته، وهذه أسماؤه وصفاته، وهذه نعمه؛ أفلا نعبده ، ونكبره ، ونحمده وحده لا شريك له؟: ﴿ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس/ ٣٢].

وإذا كان الله ﷻ هُوَ الرزاق للعباد وحده؛ فهو المستحق للعبادة منهم وحده لا شريك له: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ البقرة: ٢١ – ٢٢ ] .

ويجب علينا أن نعلم أن الرزق هو الحلال لا غير، والحرام اسمه المتاع، فالمؤمن يستعين بالرزق الحلال على طاعة مولاه، ويشكر ربه عليه، ثم يصير إلى الجنة .

والكافر يتمتع بهذا المتاع والشهوات في الدنيا، ثم يصير إلى جهنم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [ البقرة: ١٢٦ ] .

فجميع الأرزاق خلقًا وتقسيمًا تنزل من السماء من رب الأرض والسماء، ثم توزع على

أهل الأرض بالعدل كما أراد الله: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات/ ٢٢].
فالقضاء في السماء، والتسليم في الأرض.
والرزاق سبحانه غني كريم، وخزائنه مملوءة بأصناف الأرزاق، ويجب أن نسأله ولا نسأل غيره، وهو يصرفها بين عباده بحكمته كما يشاء.
فالله سبحانه أظهر سننه، وأخفى قدرته في سننه؛ امتحانًا وابتلاءً للعباد، وتنبيهًا لبريته، واظهارًا لقدرته: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ [الحج/ ٥-٧].
فسبحان ربنا الملك الحق الذي يملك خزائن الأرزاق، ويملك مجاري الأرزاق على مدى الدهور والقرون، ويقسمها على كل مخلوق كميةً ونوعيةً ومكانًا وزمانًا، وسع برزقه كل أحد، ولم ينس أحدًا: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف/ ٣٢].
هذا الاسم العظيم الرزاق كم في التعبد لله به من الأجور العظيمة! وكم في معرفته من زيادة الإيمان! ونحن الآن عرفنا الله ﷻ، وعرفنا شيئًا عَنْ اسمه الرزاق ، فكيف نتعبد لله ﷻ بهذا الاسم العظيم؟.

# التعبد لله ﷻ باسمه الرزاق.. الرازق

لابد للعبد من معرفة ربه بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله، ومعرفة خزائنه، ومعرفه دينه وشرعه ، ومعرفة وعده ووعيده ، ليعبد ربه حقاً كما عرفه حقاً :

- **وتتحقق العبودية الكاملة لله** ﷻ بثلاث مسائل :

**الأولى:** إزالة العقائد الفاسدة من القلب، وتطهير القلب من الشرك والكفر والنفاق والرياء والحسد، وغير ذلك من الأشياء النجسة والسيئة : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [ الشمس: ٧ – ١٠ ] .

**الثانية:** تزكية القلب بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة خزائنه ، ومعرفة وعده ووعيده : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [ محمد: ١٩ ] .

**الثالثة:** الاشتغال بعبادة الله ، بعد التخلية والتحلية تأتي التزكية باشتغال العبد بعبادة الله وحده، فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله ظهر الخشوع والتواضع على جوارحه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [ الأعلى: ١٤ – ١٥ ] .

فلا بد من هذه الأمور الثلاثة ، تخليه ، ثم تحلية ، ثم تزكية.

هذه المعارف العظيمة عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله تولد حسن التعبد لله ﷻ .

والتعبد المطلوب هو التعبد لله بالحب والتعظيم والذل له جل جلاله، فالمؤمن إذا علم أن ربه هو الرزاق الرازق وحده لا شريك له؛ اطمأن قلبه بما قسم له ربه، فلا يخاف ضيق العيش، ولا قلة ذات اليد، فإن رزقه آتيه لا محالة، ولا ينقص منه مثقال ذرة، فالرزق يطلب العبد كما يطلبه أجله : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [ هود: ٦ ] .

فخزائن الأرزاق عند الله ، وأبواب الرزق مفتوحة في كل زمان ومكان .

فالإنسان إذا عرف الرزاق؛ فعليه أن يكسب الرزق الذي يرزق منه النَّاس؛ لأننا في دار الأسباب، فالمطلوب فعل الأسباب، والله ﷻ جعل للرزق مفاتيح، ليست مفاتيح

الرزق واحدة، بل هي كثيرة.
ومفاتيح الرزق الحلال التي يُستنزَل بها الرزق من الرزاق جل جلاله كثيرة، من هذه المفاتيح.
الأول: الاستغفار والتوبة إلى الله ﷻ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح/ ١٠- ١٢].
وكما قال هود ﷺ في القرآن: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود/ ٥٢].
الثاني: التبكير في طلب الرزق:
قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**» أخرجه أبو داود والترمذي(١).
الثالث: الدعاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].
الرابع: تقوى الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].
فنفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا؛ لأننا نعلم أن مخرج الرزق من الرزاق وحده: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].
الخامس: اجتناب المعاصي: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم/ ٤١].
فالمعاصي اجتنابها سبب لحصول الرزق.
السادس: التوكل على الله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].
وقال النبي ﷺ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو**

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٣٤٢)، وأخرجه الترمذي برقم (١٢١٢) وهذا لفظه.

**خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا** » أخرجه الترمذي وابن ماجه[1].

السابع : حفظ الأوقات بأنواع العبادة: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور/ ٣٦-٣٨].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [ الجمعة: ٩ – ١٠ ] .

الثامن : المتابعة بين الحج والعمرة :

قال النبي ﷺ: «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ**» أخرجه الترمذي والنسائي[2].

التاسع : الإنفاق في سبيل الله: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ/ ٣٩].

وقال النبي ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**» أخرجه مسلم[3].

العاشر : الإنفاق على طلبة العلم :

قال أنس بن مالك ﷺ: كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ، فكان أحدهما يأتي إلى النبي ﷺ، والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ، فقال: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**» أخرجه الترمذي[4].

الحادي عشر : صلة الرحم، كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ**

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٤)، وأخرجه ابن ماجة برقم (٤١٦٤) وهذا لفظه.
(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٨١٠)، وأخرجه النسائي برقم (٣٥٩٧) وهذا لفظه.
(٣) أخرجه مسلم برقم (٩٩٣).
(٤) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٥).

فِي أَثَرِهِ؛ **فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» متفق عليه(1).

الثاني عشر: إكرام الضعفاء والفقراء والمساكين، والإحسان إليهم:

قال مصعب بن سعد قال: رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلًا على من دونه، فقال النبي ﷺ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟**» أخرجه البخاري(2).

وفي لفظ: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بدعائهم وصلاتهم، وإخلاصهم**» أخرجه الترمذي والنسائي(3).

الثالث عشر: الهجرة في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله، ونشر دين الله: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء/ ١٠٠].

الرابع عشر: صدق البيان في البيع والشراء، وجميع المعاملات:

قال النبي ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**» متفق عليه(4).

فهذه أهم مفاتيح الرزق، وأبواب الرزق مفتوحة لكل أحد.

فإذا رزقك الله من فضله، وخيره، وإحسانه، ونعمه؛ فارزق منه الناس، تنال به عظيم الأجر، ويأتيك الخلف من الله بأعظم منه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ/ ٣٩].

أيها العبد الفقير اسأل الرزاق أن يرزقك ما ينفعك في دينك ودنياك وأخراك.

وأعظم شيء تطلبه من ربك الرزاق الكريم سؤال الهداية، فأعظم سؤال يُسأل هو سؤال الهداية، نسأل الله الهداية في الدنيا، والجنة والرضوان في الآخرة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ١-٧].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٧)، والبخاري برقم (٢٠٦٧)، واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٩٦).
(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (١٧٩٧)، وأخرجه النسائي برقم (٣١٧٨) وهذا لفظه.
(٤) متفق عليه/ أخرجه مسلم برقم (١٥٣٢)، والبخاري برقم (٢٠٧٩)، واللفظ له.

فهذا أعظم سؤال يسأله المؤمن ربه ، ولهذا فإن هذا الدعاء فرض في كل صلاة .
فاللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توفيت .
اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلًا .
اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وارزقنا علمًا نافعًا، فمن عرف ربه الرزاق، ورأى نعمه وأرزاقه التي لا تعد ولا تحصى؛ أحبه، وأطاعه، وأفرده بالعبادة؛ لأن الله هو الذي خلق الخلق، وخلق أرزاقهم جميعًا، وأوصلها إليهم، فهو المستحق للعبادة؛ لأنه الخالق الرازق المنعم بكل نعمة، وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [ الذاريات: ٥٨ ] .
وكل ما سوى الله ليس بيده شيء : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[النحل/ ٧٣].
والله سبحانه كريم، يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا لمن يحب، وهذا هو أعظم أنواع الرزق:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات/ ١٧].
فمن عرف ربه حقًّا تعلق به وحده لا شريك له؛ لأنه المتفرد برزق الخلائق وحده، لكن على هذا العبد فعل الأسباب المشروعة لطلب الرزق، وعدم الاعتماد عليها، لأن كل شيء بيد الله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾[فاطر/ ٣].
والمؤمن الحق يطلب الرزق من ربه بالأسباب المشروعة، ويجتنب جميع الأسباب المحرمة في طلب الرزق، ولا يخاف من المخلوق في قطع الرزق عندما يساومه على رزقه في ترك الحق ، أو فعل الباطل؛ لأنه يعلم ويتيقن أن رزقه بيد الرزاق الذي يسمعه ويراه، والذي خلقه وحده، والذي عنده خزائن الأرزاق وحده : ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾[المنافقون/ ٧].
وإذا علم المؤمن أن الأرزاق كلها بيد الله وحده، وما في يد العبد من رزق فهو من ربه

وحده؛ إذا عرف ذلك ابتعد عن الشح والبخل، وسارع إلى البذل والجود؛ بالإنفاق مما رزقه الله من علم، أو مال، أو جاه، أو تعبد، أو دعوة، أو تعليم، أو إحسان للخلق :

﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة/ ١ – ٣].

فهم ينفقون مالًا، ينفقون علمًا، ينفقون دعوةً، ينفقون من عطاء الله ﷻ لهم : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤ ] .

والله سبحانه قد أعطى الإنسان بصرًا يبصر به الأرزاق، وبصيرةً يبصر بها الرزاق، فليحرص كل مؤمن ومؤمنة أن يجعل أكبر همه في السعي لنيل الرزق الأعظم، والفضل الأكبر، والمقام الأسمى، وهو رضوان الله وجنته، في العمل بشرعه ودينه في حياته؛ لينال الرضوان والجنة بعد مماته: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٥٨﴾ [الحج/ ٥٨].

والجنة والرضوان أعظم الرزق وأكرمه وأدومه: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ١١﴾ [الطلاق/ ١١].

والله ﷻ أعطانا هذا الرزق في الدنيا، وهذه النعمة الكبيرة، وهذا الدين : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ [ المائدة: ٣ ] .

وأعطانا رزقًا آخر، وهو الجنة والرضوان حين نلقاه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [ التوبة: ٧٢ ] .

فسل ربك الرزاق من غذاء الأجساد والأبدان، وغذاء القلوب والأرواح، فيد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، يعطي ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة .

وكان النبي ﷺ إذا أسلم الرجل علمه الصلاة، ثم أمره بأن يدعو بهؤلاء الكلمات في صلاته قبل أن يتعلم القرآن يأمره بهذه الكلمات الخمس: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي**» أخرجه مسلم(1).

وفي رواية: «**قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي ، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ**» أخرجه مسلم(2).

فليتفكر العبد في نفسه، ولينظر إلى هذه الأرزاق، وينظر الرازق كيف ساقها إليه من فضله ، من عطاء مادي لجسده، ومن هداية وتوحيد وإيمان لقلبه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [ النحل: ٥٣ ] .

فخذ رزقك من أبواب الحلال، واحذر أن تأخذه من أبواب الحرام، فمن أخذه من أبواب الحرام، شقي به، ولم يُستجَبْ دعاؤه إذا دعا ربه: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [التوبة/ ٨٥].

وقال النبي ﷺ : «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ، يَا رَبُّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**» أخرجه مسلم(3).

ومن أسباب حصول الرزق: الصلاة والمداومة عليها، وحث الأهل عليها: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه/ ١٣٢].

والله سبحانه تعالى هو الغني الكريم الرزاق ، فاسأله جميع حوائجك الصغيرة والكبيرة، فهو الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق، والخلق جميعًا يصمدون إليه في حوائجهم، فاسأله الرغيف وما دونه، وأسأله الهداية، وأسأله الفردوس والرضوان: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٨].

واعلم أنك لا تأخذ من الرزق إلا ما قُدِّر لك، فكن مطمئنًا؛ فإنك تأخذ من خزائن الملك التي لا تدخلها اللصوص ، ولا تأكلها السوس: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٧).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٧).
(٣) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعۡلُومٍ ٢١﴾[الحجر/ ٢١].

فأنت تسأل غنيًّا كريمًا، خزائنه ملأى، وتيقن أن رزقك سيصل إليك، فلا تُذِلَّ نفسك لغيرك من الناس، ورزقك سيصل إليك قطعًا، في موعده قطعًا، لأن معه عنوانك، فاطلبه من الكريم بالسر، يصلك بالعزة من ربك مباشرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

سل الغني إذا قمت في صلاتك ليلًا أو نهارًا، سله بينك وبينه فقط، لا تعرض حوائجك على الناس، بل اطلبه من الرب الكريم السميع البصير في السر، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

فإن أظهرت حاجتك لمؤمن وسألته؛ فسوف يرسل الله لك من يقضيها من المؤمنين، لكن بواسطة إنسان.

إذا شكوت الحال إلى غير الله من الكفار، فقد يقضيها الله لك على يد كافر تذل له، ويمتهنك، فلا تَشْكُو حالك إلا لربك الغني، الرزاق، الكريم، السميع لجميع الأصوات، العليم بجميع الأحوال، القادر على جميع الأشياء: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾[يوسف/ ٨٦].

وارفع حاجتك إلى ربك سراً: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾[الأعراف/ ٥٥].

فمن أراد أن يشكو حاله فليَشْكُ حاله إلى ربه سرًّا؛ لأنه قاضي الحاجات، ولا يَشْكُ الله إلى خلقه؛ بل يحسن الظن بربه، ولا يذل نفسه لغيره: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾[الشعراء/ ٢١٣].

فتوجه إلى ربك، وأسأله العافية، وأسأله الرزق، وأسأله الهداية، فالأرزاق حاجات، لكن الهداية مقصد: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾[الذاريات/ ٥٠-٥١].

والله ﷻ قد يضيق عليك رزقك المادي والروحي؛ وذلك لذنب فعلته لتتوب منه، فإذا تبت إليه أعطاك ما يغنيك ، وأكرمك بما يسعدك في الدنيا والآخرة :

توبةً جديدةً، وإيمانًا جديدًا، وطاعةً جديدةً، وحبًّا جديدًا، وحياءً جديداً ، وتعظيما جديدًا لربك .

وقد يمنعك رزقًا؛ لأنه يعلم أن صلاحك بذلك، لأنه يحب أن يسمع دعاءك ، وحلاوة مناجاتك .

وقد تكون لك منزلة لا تبلغها إلا بالصبر على أحوالك: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [ الإسراء: ٣٠ ] .

فهو الحكيم العليم الذي يضع الشيء في موضعه، فارضَ بما قسم لك الرزاق من مال، أو جاه، أو علم، أو خلق، أو أم، أو أب، أو لون، أو جنس، أو حال، أو طول، أو قصر، أو زوجة، أو ولد، ونحو ذلك من عطاءات ربك الكريم، فمن رضي بما قسم الله له فهو أغنى الناس .

وأما ما أمرك الله به من امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، في العبادات والمعاملات والمعاشرات والأخلاق؛ فسارع إليه، وسابق فيه، وكن الأول في كل طاعة وقربة فرضها ونفلها : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [ آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤ ] .

فكن الأول في كل فريضة وفضيلة : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴿٧٨﴾ ﴾ الحج: ٧٨.

واعلم أنك مستخلف في كل ما أعطاك الله، وهو أمانة لديك ، فأحسن الإنفاق فيما يحبه الله ويرضاه : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ ﴾ [الحديد/ ٧].

فيدك على مالك يد أمانة ، لا يد ملك، فاتق الله في كسبك وإنفاقك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر/ ١٨].

واحمد الله على نعمه التي ساقها إليك من كل بلد : ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [ القصص: ٥٧ ] .

وإذا أكلت من هذه الأرزاق فاحمد الله على هذه النعم، لتحصل على رضوان الله، إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [ البقرة: ١٧٢ ] .

فسبحان الله! يخلق، ثم يرزق، ثم يرضى، فما أعظم تودده إلى عباده!: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فهذه المسائل العظيمة في اسم الله الرزاق علينا أن نتفقه فيها ونعرفها، وعلينا أن نتعبد لله ﷻ بها؛ حتى يظهر أثر اسم الرزاق جل جلاله في حياتنا، فخالق المخلوقات ، وقاسم الأرزاق جل جلاله تكفل بكل شيء، وكل رزق مقدر ونافذ من الله إلى صاحبه لا يخطيه رزقه إلى غيره أبدًا، كما لا يخطيه أجله، ولن يموت أحد من الخلق حتى يستكمل أجله ، ويأكل رزقه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [ الذاريات: ٥٨ ] .

أصل التوحيد ، وذروة اليقين أن تعلم أن الله رب العالمين هو الرازق وحده لا شريك له، وأن جميع الأعمال وجميع الأسباب من التكسب والعمل، وجميع المخلوقات في السموات والأرض من جماد ونبات وحيوان -إنما هي ظروف وأوعية أودعها الله ربُّها العطايا الأرزاق، تسلمها لمن شاء من خلقه بإذنه، وعلمه، وأمره : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [ الحجر: ٢١ ] .

فهذه الخزائن ظروف تحمل الأرزاق، وتسلمها لمن أُمرت بتسليمه إياه من الرزاق، لأن الله وحده هو الرزاق ، لا رازق غيره : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٨].

فلنشكر الرزاق الذي ساق إلينا الأرزاق، ويسر لنا الانتفاع بها ، باستعمالها في طاعته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [ المؤمنون: ٥١ ] .

ومن سعى في طلب الرزق فلينظر بقلبه إلى الرزاق الذي يقسم الأرزاق جل جلاله، لا إلى القسمة؛ لترضى بالقسم، وترضى بالمقسوم، مع السعي بالجسم في الكسب، ننظر إلى الرزاق الذي يقسم الأرزاق، حتى نرضى بالقسم، ونقنع بالمقسوم، مع السعي بالجسم: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[الجمعة/ ١٠].

ننظر إلى من يقسم الأرزاق، وإذا جاءنا الرزق نرضى بما قسمه الله، ومع هذا نتيقن أن ما أصابنا من الرزق لم يكن ليخطئنا، وما زوي عنا فلن نقبضه أبدًا، ولو وقف معنا جميع الخلق: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾[فاطر/ ٢].

فلا بد أن نفقه هذه المسائل، ونعتقدها بالقلب؛ حتى نطمئن على أرزاقنا، ونتفرغ لعبادة ربنا، العاقل لا يشغله ما رزقه الله من الدنيا وإن كثر عن الغاية التي خلقه الله من أجلها، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى عباده: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾[الجمعة/ ١١].

فاجعل ما رزقك الله من الرزق المادي سببًا معينًا على رضاه وتقواه، تكن من السعداء في الدنيا والآخرة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾[الأعلى/ ١٤- ١٧].

وعلى المسلم ألَّا يخرج في طلب التكسب إلى نية التكاثر، وسبيل التفاخر؛ فيدفعه ذلك إلى الحرص على طلب الكسب من أبواب الحرام، أو تسخط الأقدار إذا لم تكن لك على ما تريد، فإن طلب الرزق عبادة، والأمر مفروغ منه، فلا تخالف مَن أمرك بالكسب الحلال، وقسم لك الرزق بالميزان.

ولتكن قلة الشيء عندك آثر من كثرته، فقليل يغني، أحسن من كثير يلهي ويطغي: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾[العلق/ ٦- ٧].

واعلم أنه ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت

فأمضيت، وما سوى ذلك فليس لك، فأنفق ينفق الرزاق عليك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون/ ٩- ١١].

فلننفق مما أعطانا الله من الأموال، ومن العلم، ومن الدعوة، ومن الأخلاق، وكما أن العلم من العليم؛ فالرزق كذلك من الرزاق وحده لا شريك له: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر/ ٣].

فالله ﷻ قسم الأرزاق، وهو أعلم بعباده، فخص الفقراء بعطاء قليل من الرزق، وخص الأغنياء برزق كثير من عطائه ليظهر كمال غناه وقدرته وحكمته، ويُظهر عبودية العطاء من هذا الغني، وعبودية الصبر من هذا الفقير .

فالخبير العليم بعباده قسم الأرزاق بينهم بالعدل، فخص الأغنياء بوجود الأرزاق، وجعلهم آنية للحمد والشكر، والإنفاق والإحسان إلى الخلق .

وخص الفقراء بوجود الرزاق، وجعلهم آنية للصبر على الابتلاء وأرزاق الأغنياء، فكم ينالون من الصبر! ولهذا الصنف أجره على حمده وإنفاقه، وهم الأغنياء، ولهذا أجره على بلائه وصبره، وهم الفقراء، والله رب هذا وهذا: ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء/ ٣٠].

وقال النبي ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الـمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» أخرجه مسلم(١).

فَسَلْ ربك جميع أمورك، وأنزل به فاقتك، واشْكُ إليه مصيبتك، فبيده كل شيء، وليس

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

بيد أحد سواه شيء، بل الخلق والأمر والملك كله لله وحده لا شريك له، فاعبده وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝١٧﴾ [العنكبوت/ ١٧].

واعلم أن الملك العظيم يعطي العظيم؛ فاطلب من ربك العظيم كل عظيم في الدنيا والآخرة، وليكن سؤالك رحمك الله على قدر المسئول جل جلاله؛ لا على قدر حاجتك؛ فربك جزيل العطايا والمواهب في الدنيا والآخرة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾ [فاطر: ١٣].

وأعظم سؤال في الدنيا هو سؤال الهداية: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة/ ٦].

وأعظم إكرام من الله في الآخرة رؤية الرب، ورضوانه، وسؤال الفردوس: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

فالله جل جلاله هو الملك الحي القيوم الرزاق الكريم، أمرنا بسؤاله، وطلب منا أن نسأله، وطلب منا أن نتصف بصفة الرزق: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال/ ٣].

فطلب الحوائج من الله عز، وطلبها من غير الله ذل، وهو سبحانه أحق مَن تذلَّل له العبد.

ومن عرف الله لم يسأل غيره، ومن عرف الغني لم يقف بباب الفقير، ومن عرف الكبير استغنى به عن الصغير: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فسبحان الذي يملك الأرزاق كلها، ويقسمها بين خلقه! فيرزق الأجساد الطعام والشراب بألوانه وأشكاله، ويرزق القلوب بأنواع المعارف والعلوم، وصفات الإيمان واليقين.

ومن استغنى بالله أغناه عما سواه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

والمؤمن يسعد في كل عبادة وطاعة، ويكسب أجرًا عظيمًا، وينال ثوابًا كريمًا من ربه ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٩].

فالكريم يوالي نعمه ويزيدها على عبده بقدر طاعته وإيمانه، والله ﷻ عرفنا باسمه الكريم، واسمه الرزاق، واسمه الغني، واسمه الرحمن الرحيم، لندعوه ونسأله .

خلق سبحانه الكون وملأه لعباده بأنواع الأرزاق التي تراها الأبصار والبصائر، وسخر لهم الآيات والنعم التي تذكرهم بربهم، وتقربهم إليه، ويَسَّر لهم أنواع الطاعات التي تسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧ ] .

فسبحان الملك الحق الذي خلق جميع الخلق ، ليجود عليم بإحسانه، ويعود عليهم بإنعامه أولًا، ثم ليعرفهم بذاته وأسمائه وصفاته، ثم ليأمرهم وينهاهم بحق الربوبية؛ ليؤدوا له حق العبودية بالمحبة والتعظيم والذل له جل جلاله؛ ليتبين الملك حقًّا من العبد حقًّا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وبعد المعرفة يكون العمل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧ ] .

واعلم أن الله جل جلاله يرزقك من فضله لتشكره ، وترزُق منه كل محتاج إليه بما تقدر عليه من علم ومال وخلق وجاه، وغير ذلك مما أعطاك الغني الكريم من فضله، فتُذَكِّر الغافل ، وتعلم الجاهل، وتهدي الضال، وتطعم الجائع، وتواسي المحتاج، وترحم الصغير، وتوقر الكبير، وتحلم على السفيه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران/ ٩٢].

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

[آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل/ ١٩].

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك، اللهم إنا نسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم .

اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا، وعملًا متقبلًا، ورزقًا واسعًا يا رب العالمين .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك .

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

## إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# اســـــم الله

# الكريم.. الأكرم

# اسم الله الكريم.. الأكرم

الله ﷻ أمرنا أن نعرفه، ونعلم من هو الإله والرب الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى؛ والأفعال الحميدة، لأنه يريد منا أن نعبده ونطيعه، بكمال الحب، وكمال التعظيم، وكمال الذل له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

والله يحب أسماءه وصفاته، ويحب من عباده أن يتصفوا بها على شاكلة العبودية.

فالله ﷻ كريم، يحب الكريم، والكريم قريب من الله، وقريب من الناس، ومحبوب عند الله، ومحبوب عند الناس.

والله شكور يحب الشكر والشاكرين، والله ﷻ محسن يحب الإحسان والمحسنين، والله مؤمن يحب المؤمنين، فيريد منا أن نتعرف على أسمائه وصفاته؛ لنعبده ﷻ بمقتضى هذه المعرفة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

فمعرفة الأسماء والصفات في باب التوحيد بمنزلة الرأس من الجسد، ومنزلة القلب من البدن، لا يستقيم التوحيد إلا بعد معرفة المعبود، ثم معرفة أوامره ونواهيه، ثم التقرب إليه بذلك بالحب والتعظيم والذل له ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

فالله سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة.

ومن أسمائه الحسنى الكريم والأكرم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

وقال سبحانه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾ [العلق/ ١-٥].

فالله ﷻ هو الكريم الذي لا أكرم منه، الكريم الواسع الذي عم بعطائه وإحسانه جميع خلقه؛ المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي والإنسان والحيوان، فكل من في السموات والأرض عبيده، والله يمدهم من أرزاقه، ويعطيهم من خزائنه: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء/ ٢٠-٢١].

فهو سبحانه الكريم الكثير الخير، دائم الفضل والإحسان في الدنيا والآخرة.

الكريم الذي يسهل خيره، ويقرب تناول ما عنده، القريب لمن دعاه، المجيب لمن سأله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فكم يجيب الله ﷻ من السائلين! وكم يغيث من المستغيثين! وكم يُفرِّج من كُرب المكروبين! فهو كريم، وغني، ورزاق، وكريم، وحي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، يسمع أصوات الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي فيجيب دعاءهم.

وهو سبحانه الكريم الذي له قدر عظيم، فله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الواحد الأحد، الغني عن كل أحد، المحيط بكل أحد، العظيم الذي لا يحيط به أحد: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

هو الكريم الذي له الملك كله، وله الحمد كله، وهو على كل شيء قدير، له الحمد على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، وكل ما في ملكه من كرمه ﷻ، فله ملك السموات والأرض، وله عالم الغيب وعالم الشهادة، وله ملك الدنيا وملك الآخرة.

هو ﷻ كريم، وله قدر عظيم، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

هو الكريم الذي عنده خزائن كل شيء، وله خزائن السموات والأرض، الكريم ﷻ الذي يعطي، ولا تنقضي خزائنه، ولا تنقص أبدًا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص/ ٥٤].

فيعطي سبحانه ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة؛ لأنه لو نقص من مُلكه أو من رزقه شيء لاحتاج إليه، والله غني عن الحاجة، الفقراء والعبيد هم المحتاجون إلى الخلق

والإيجاد والإطعام، وغير ذلك من صنوف النعم من ربنا ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

وهو سبحانه أكرم الأكرمين، لا يوازيه كريم، ولا يعادله نظير، الكريم الذي كل ما في الكون من كرمه، الكريم الذي وهب الإنسان الكريم ما يتكرم به: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فهو سبحانه الكريم بذاته، وكرمه لا أول له ولا آخر، هو الكريم الذي يعطي ويكرم من يشاء في كل مكان وزمان، الكريم الذي يعطي بلا سؤال ولا عتاب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر: ٦١].

هو الحي بجميع صفات الكمال، فهو حي بالسمع، والبصر، والقوة، والقهر، والكبرياء، والعظمة، والعزة، والرحمة، والرزق.

هو الحي بجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، حي بجميع صفات الكمال، فهو الحي القادر القاهر الرازق اللطيف الحليم الغني الرزاق الكريم السميع البصير: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

كنتم أمواتًا فأحياكم، ثم رزقكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم جل جلاله، فهو ﷻ الحي، بيده الحياة والأحياء، وبيده الأرزاق، وهو كريم غني، وكريم قوي، وكريم مع قوته وغناه فهو يتكرم بما شاء من الأرزاق، فضله عظيم لا حد له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر: ٦١].

وهوسبحانه الغني الكريم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

هو سبحانه الكريم الذي قدر فعفى، وعاهد فوفَّى، وسُئل فأعطى، ولايبالي كم أعطى، ولمن أعطى؛ لعظيم قدرته، وعظيم ملكه وسلطانه،وكمال كرمه وغناه، وسعةرحمته وعلمه جل جلاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ

﴿ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

فالواجب على العباد معرفته أولاً، ثم عبادته بموجب هذه المعرفة ثانياً: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وإذا عرفت الآمر سهل عليك تطبيق الأوامر، فالدين تصديق الأخبار، وتطبيق الأحكام، والإيمان تصديق وتطبيق، تصديق الأخبار، وأعظم الأخبار: الأخبار عن الله بأسمائه وصفاته ﷻ.

والله ملأ كتابه بأسمائه وصفاته؛ لنعرفه، ونوحده، ونعبده، ونتوكل عليه، ولا نلتفت لأحد سواه.

**وقد ورد اسم الله الكريم في القرآن مرتين:**

**الأولى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ [الانفطار/ ٦].

**الثانية:** ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل/ ٤٠].

**أما اسم الله الأكرم فقد ورد في القرآن مرة واحدة:** ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ٣ – ٥].

وهو سبحانه الكريم الجامع لكل ما يحمد عليه من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والإنعام والإحسان والإكرام، والملك العظيم، والسلطان الكبير: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

والكريم يطلق على الحسن، والشيء النفيس، والشيء العظيم، والشيء الواسع، والشيء الجميل، ويطلق على الغني والجواد الجامع للمحاسن والفضائل، والمنعم على غيره بجزيل العطاء وإجابة الدعاء، وهذا على وجه الكمال لا يكون إلا لله وحده.

فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، وهو واحد لا شريك له، وهو العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وملكه وسلطانه.

وهو الواسع الذي كل شيء ملكه، وواسع الفضل، وواسع العطاء، وواسع الكرم، وواسع الإكرام، وواسع الإنعام.

هو الجميل في ذاته، وهو الغني عن كل ما سواه، الجامع للمحاسن والفضائل، المنعم على غيره بكل نعمة، الذي يجيب الدعاء، ويكشف البلاء.

وهذا على وجه الكمال لا يكون إلا لله وحده، فالله هو الكريم الأعلى، وخلق من خلقه من يريد له أن يكون كريمًا، يستفيد الكرم ممن أكرمه، ويتكرم على غيره بتعليم غيره، ودعوة غيره، والإحسان إلى غيره: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

فسبحان الملك الكريم الأكرم الذي قدر فعفا مع كثرة من يعصيه، وسئل فأعطى، وعاهد فوفى، ولا يبالي كم أعطى؟ ولمن أعطى؟ فجميع الخلائق قاعدون على موائد نعمه، متنعمون بفضله، الملك ملكه، والمكان مكانه، والزمان زمانه، وكل شيء منه جل جلاله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل: ٥٣].

هو سبحانه الكريم الأكرم، والأكرم كالأكبر صيغة تفضيل، فلان أكرم من فلان، وفلان أكبر من فلان، ولكنها في باب أسماء الله تدل على قوة الكرم، وعظمة الكرم، فالأكرم يدل على قوة الكرم؛ لأنه هو أكرم الأكرمين.

وكل كرم في العالم من كرمه وإكرامه، وكل مكرمة في الكون فالكريم هو الذي تكرم بها، فهي هنا ليست صيغة تفضيل، الأكرم يدل على قوة الكرم وعظمته، وتكرار الإكرام للخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾[العلق: ١ – ٥].

فالله ﷻ كريم ليس كمثله شيء، ولا يقاس به شيء: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى/ ١١].

هو الكريم الذي ليس كمثله شيء في الكرم، وهو السميع البصير الذي يسمع جميع المخلوقات في آن واحد، ويبصر جميع المخلوقات في آن واحد، من يطيعه ومن يعصيه، فيشكر لهذا المؤمن، ويمهل العاصي؛ لأنه حليم كريم، يريد لعبده أن يكون في جنته لا في ناره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠﴾[يونس: ٦٠].

هوسبحانه الكريم المتوحد بالجلال، فله صفات الجلال كلها، والمتوحد بصفات الجمال

والكبرياء والعظمة، والأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو جل جلاله الكريم الأكرم الذي وصف نفسه بالكرم، ووصف عرشه بالكرم، فقال سبحانه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ١١٦﴾ [المؤمنون/ ١١٦].

ووصف كتابه بالكرم فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ [الواقعة: ٧٧ – ٧٩].

ووصف رسله بالكرم فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٤٠﴾ [الحاقة/ ٤٠].

ووصف أولياءه بالكرم فقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات/ ١٣].

وملأ الأرض بأنواع كرمه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ٧﴾ [الشعراء/ ٧].

كم خلق الله الكريم سبحانه في الأرض من النباتات! فالأرض هي الأم الكبرى، وأولادها مجموع النباتات والأشجار التي على ظهرها، فكل أم تلد مواليدها، وهؤلاء المواليد كرماء، كل حبة قمح أو ذرة أو فول أو عدس، كل نخلة، كل شجرة للتفاح، للعنب، للتين، للزيتون تخرج ثمارًا كثيرة، وتكون كريمة بما فيها من النوى الذي يوضع في الأرض فينبت مرة أخرى ويتكاثر: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٩٩﴾ [الأنعام: ٩٩].

كم أنبت الله من زوج كريم على ظهر هذه الأرض! وملائكته كلهم كرام: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ١٢﴾ [الانفطار: ١٠ – ١٢].

هو جل جلاله الكريم الأكرم الذي يعطي بسؤال وبلا سؤال، ويعطي إذا سئل، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء؛ لأنه عظيم، والعظيم لا يعطي إلا العظيم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس: ٣].

هو الكريم الذي عم بإحسانه جميع الورى، فكل ما في الكون من كرمه، وكل ما سواه من الخلائق دال على كمال قدرته وعلمه، وكمال رحمته وإحسانه، وكمال غناه وكرمه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم الكريم، وإذا عرفتم القوي، وإذا عرفتم العليم؛ فاعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٍ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو سبحانه الأكرم وحده لا شريك له، كثير الخير، فكل خير في السموات والأرض بأنواعه المختلفة، وبتكراره في كل وقت، من فضله وإحسانه.

هو الأكرم وحده لا شريك له كثير الخير، دائم الإحسان، الكريم الذي أنعم علينا بنعم كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، في ذواتنا، ومن حولنا: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

هو جل جلاله عالي الشأن، والمجد والحمد كله له سبحانه، لا إله غيره، ولا رب سواه، فكل ما سواه نعمة أو منعم عليه، نعمة من الكريم الذي يعطي لا لعوض؛ إنما هو كريم بذاته، وكريم بأفعاله، والعطاء أحب إليه من المنع: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

الله ﷻ عرفنا بأسمائه وصفاته؛ حتى نحبه، وحتى نعظمه، وحتى نتوجه إليه بالعبادة، ونطيعه وحده لا شريك له؛ لأننا لا نجد أحدًا سواه عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٍ فَٱعۡبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ولهذا مجد الله نفسه، وحمد نفسه في القرآن فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ

ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾[الأنعام: ١].

مجد الله نفسه في القرآن؛ حتى نعرفه جل جلاله؛ حتى نثني عليه،حتى نحبه لما نراه من كرمه ونعمه وإحسانه فالخير كله بيده، والنعم كلها منه، والخلق والأمر له، والملك له: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك/ ١].

هو سبحانه الكريم الأكرم في ذاته وصفاتهوأفعاله، له علو الشأن في كرمه وإكرامه، فلا إنعام يرقى إلى إنعامه، ولا كرم يسمو إلى كرمه، فالكريم من البشر يكرم، ولكن يريد العوض من حمد أو ثناء أو انتفاع، لكن الكريم سبحانه يكرم لذاته؛ لأن الكرم صفة ذاتية له لا تنفك عنه، وتتُعدى إلى خلقه، فيكرم من أطاعه، ويهين من عصاه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[الحج: ١٨].

فلا كرم يسمو إلى كرمه، الهواء من كرمه، الطعام والشراب من كرمه، هذا النور الذي نمشي به من كرمه، الأرض من كرمه، العقل من كرمه، السمع من كرمه، الطمأنينة من كرمه، فلا كرم يسمو إلى كرمه، ولا عطاء يوازي عطاءه.

له وحده الملك والخلق والأمر: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف/ ٥٤].

فسبحان الكريم الأكرم المحسن بما لا يجب عليه، الكريم الذي يصفح عن التقصير في كل حق وجب له، الغفور لكل ذنب تاب إليه العبد منه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء/ ١١٠].

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[النساء/ ٢٨].

فسبحان ربي الكريم الذي يجود على جميع خلقه بأنواع الإحسان والإنعام، وأنواع الخير والعطاء، الكريم الذي عم بجوده الأوائل والأواخر، والمؤمن والكافر، والناطق والصامت.

هو الكريم الرحيم الذي تعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته، وملكه وسلطانه، الذي تحبب إلى خلقه بنعمه وآلائه، الكريم الواسع الذي عم بجوده وكرمه جميع الكائنات، وملأ جميع العالم العلوي والعالم السفلي بأنواع كرمه وفضله، وجوده ونعمه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥].

فسبحانه من كريم لا تُعد نعمه ولا تُحصى! ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم/ ٣٤].

فالكرم صفة ذاتية لله، وصفة فعلية للرب سبحانه، فالكرم والإكرام لا ينفك عنه أبدًا جل جلاله، فكرمه لا أول له ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، وهو كريم يكرم خلقه بأنواع الكرامات لقلوبهم وأبدانهم، ومن كرمه هذا العطاء من الطعام والشراب، ومن كرمه هذا الدين العظيم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[المائدة/ ٣].

فهو سبحانه الكريم الذي أكرم الخلائق بأنواع الكرامات، وصنوف الإحسان.

فهو الكريم الذي يكرم ويعطي في كل آن من أنواع البر والإحسان للقلوب والأبدان، والإنسان والحيوان، والملك والجان، وجميع الخلائق يتنعمون بنعمه، ويسألونه المزيد من فضله؛ لأنه الصمد الذي يُصمَد إليه في جميع الحوائج، الصمد الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، فهو الغني، وهو الكريم، وهو الرزاق، وهو الملك، وهو القادر، وهو العليم، فيسأله العباد جميع حاجاتهم في كل وقت، ويعطي ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرحمن/ ٢٩].

والكريم لا يرد سائلًا أبدًا، وما من أحد سأل الله إلا وأجابه، إما يجيبه ويعطيه سؤله في الدنيا، وإما يدخره له في الآخرة، وإما يصرف عنه بلاءً سيصيبه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة: ١٨٦].

فالله كريم لا يرد سائلًا أبدًا، وما دعانا للسؤال إلاليجيبنا، ومقصود الدعاء ليس فقط قضاء الحاجة؛ إنما مقصود الدعاء أن نتوجه إلى الله دائمًا في جميع أمورنا، نتوجه إليه وحده، ولا نذل أنفسنا للإنسان، للئيم، للبخيل، للصغير؛ بل نكرم أنفسنا بسؤال الكريم الذي عنده خزائن الكرم، والذي يحب أن يكرم، فهو يكرم جميع الخلق، ولا ينسى أحدًا: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾[فاطر: ١٣].

وهو جل جلاله الأكرم الموصوف بجميع المحامد، المنزه عن جميع العيوب والنقائص، الذي يصدر عنه جميع أنواع الإكرام والإنعام على خلقه، آناء الليل وآناء النهار.

هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، كم يسأله وكم يستغفره من أهل الكربات والحاجات! وهو يقضي جميع الحوائج للإنسان والحيوان، وكل من يسأله في البر والجو والبحر، والعالم العلوي والعالم السفلي.

الله أكبر، ما أعظم ملكه وسلطانه!، الله أكبر ما أعظم أسماءه وصفاته!، الله أكبر ما أعظم سعة عطائه ورحمته وفضله وإحسانه! هو الكريم الذي يعطي الخلائق ليلًا ونهارًا على مر الدهور والأعوام، في كل زمان ومكان؛ لأنه الملك الرحيم الكريم الذي يحب الإكرام والإحسان: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾[يونس: ٣١ – ٣٢].

فاسم الرب إذا وضع على شيء حلت فيه البركة، وضع اسمه على السماء فاستقلت، وعلى الأرض فاستقرت، وعلى الماء فسال، وعلى التراب فجمد، وعلى العين فأبصرت، وعلى اللسان فتكلم، وعلى الأذن فسمعت، وعلى اليد فتحركت، وعلى القدم فمشت: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾[الرحمن/ ٧٨].

فله صفات الجلال، وله صفات الجمال، ومن صفات الجمال: الإكرام لمن أطاعه ومن عصاه؛ لأن الخلق خلقه، والملك ملكه، وهو جل جلاله كريم لا يرجو على عطائه أحدًا، بل هو الكريم بذاته جل جلاله، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل/ ٥٣].

هو الكريم الذي يدفع النقم، ويسبغ النعم، ويرفع الدرجات، ويغفر الذنوب، ويكفر السيئات، كل نعمة منه، فلنذكره ولنعبده ونطيعه؛ لأن حوائجنا بيده، والعزة تكون لنا إذا اتصلنا بالعزيز، فمن اتصل بالعزيز فهو عزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر/ ٣].

هو الذي يرزقنا، والرزق نوع أو صفحة من صفحات كرمه جل جلاله، وأنواع كرمه لا تُعد ولا تُحصى، فكل ما في الكون من كرمه، وأنواع كرمه لخلقه لا حد لها ولا عد.

فهو الكريم الذي أنعم بكل نعمة، هو الكريم الذي يضاعف الحسنات، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، إلى وآتيناه من لدنا أجرًا كريمًا، وأجرًا كبيرًا، وأجراً وعظيما: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧].

فهو جل جلاله الكريم الذي إذا أَعطى أعطى؛ لأنه عظيم، والعظيم لا يعطي إلا العظيم، يعطي على قدر شأنه، لا على قدر سؤال العبد، فهو يعطي فوق ما يطلب العبد؛ لأنه عليم بحاجات العبد، لكنه يحب أن يسأل، يحب أن يسمع صوت عبده في طلب الشفاء والرزق والعلم والهداية، يحب أن يسمع أصوات عباده، متضرعين منكسرين بين يديه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

والله قادر أن يهدي الناس جميعًا، وأن يرزق الناس جميعًا، كما أعطاهم نور الشمس جميعًا؛ قادر أن يرزقهم جميعًا، لكنه يحب أن يسمع أصوات عبيده من الحيوان والطير، والناس والملائكة، يحب أن يسمع ذكر هؤلاء بالتسبيح، والتقديس، والتعظيم، والسؤال، والاستغفار؛ لأنه ملك أهل أن يعبد، ملك عظيم له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

فهذه جنة المعرفة التي هي موجودة بيننا في الدنيا، ونسأل الله ﷻ كما جمعنا في هذه الجنة التي نتعرف فيها على ربنا أن يجمعنا في جنة الآخرة يوم القيامة، وأن نرى الكريم الذي رأينا أنواع كرمه في هذه الدنيا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

وأن يجمعنا كذلك بنبيه ﷺ، وأن يجمعنا في جنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فهو جل جلاله كريم، وأمرنا أن نتعرف على الكريم، فننظر في الكون؛ حتى نعرف الكريم من؟ الخالق من؟ الرازق من؟ العظيم من؟ القوي من؟

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾[ق: ٦ – ٨].

السموات بشمسها وقمرها ونجومها وما فيها كلها من كرمه: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[يونس/ ١٠١].

والارض وما فيها كلها من كرمه: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[عبس: ٢٤ – ٣٢].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾[النبأ: ٦ – ١٧].

هذا فعله في الدنيا، فكيف فعله يوم القيامة؟ إذا رأيت الجنة التي عرضها السموات والأرض، ولأدنى مسلم في الجنة وما فيهم دنيء مثل هذه الدنيا عشر مرات، كيف بك إذا رأيته، ورأيت أنبياءه ورسله، ورأيت النعيم المقيم؟: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾[المائدة: ٩].

ومن لم يعرف الله في الدنيا لم يره في الآخرة، فمن لم يره في الدنيا ببصيرته لن يراه يوم القيامة ببصره: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾
[المطففين: ١٥ – ١٦].

فهو سبحانه كريم، ويريدنا أن نتعرف عليه، ونعرف مظاهر كرمه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان: ٢٠].

هو الكريم الذي أنعم بكل نعمة، الذي يضاعف الحسنات، ويكفر السيئات، ويغفر

الذنوب ويفرج الكروب، ويغني الفقراء، ويشفي المرضى، ويهدي الضال، ويعلم الجاهل، ويؤمِّن الخائف، الله أكبر ما أعظم كرمه!، وكل خلقه يسبح بحمده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فسبحانه ما أعظمه! وما أكرمه! وما أحلمه على من عصاه! ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

حليمًا على هذا الإنسان الذي يشتغل بالنعمة عن المنعم، ويغفل عن ربه، ويشتغل بالشهوات، ويُعرِض عن الأوامر، هو حليم يمهله لعله يتوب، فإذا تاب إليه قبله وأكرمه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ٢٥﴾ [الشورى: ٢٥].

والكرم صفة عظيمة، وصفة نرى آثارها في الكون، وهي مشتقة من اسم الله الكريم واسمه الأكرم، والكريم هو الذي يكرم عباده بكل خير: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فالكرم والإكرام والتكريم بيده وحده لا شريك له، فمن أكرمه الله فهو الكريم، ومن أهانه الله فلا مُكرِم له، مهما كان عنده من العلم، ومن المال، ومن القوة.

فمن أكرمه الله بالإيمان والتقوى فهو الكريم المكرم، ومن أهانه الله فلا مكرم له، والله يعلم من يستحق الإكرام ممن لا يستحق الإكرام، فيهدي لنوره من يشاء، ويضل من يشاء: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾ [الحج/ ١٨].

المُلك مُلكه، والخلق خلقه، والأمر بيده، وهو يفعل ما يشاء، ولكنه كريم، ورحيم، ولطيف، هو الكريم الأكرم الذي جميع أنواع ثوابه كريم: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ١٨﴾ [الحديد/ ١٨].

فكل ثوابه كريم، لا يعطي على قدر العمل؛ إنما يعطي على قدر عظمته، وعلى قدر

كرمه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال/ ٢-٤].

فجزاؤه كريم جل جلاله، ومن كرمه أعطى هذا العطاء العظيم في الجنة، فالجنة قصور، ملأها الله ﷻ بأنواع الخيرات، وأنواع المحاسن، وأنواع النعم، في نعيم أبدي وصحة أبدية: ﴿۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾[الأنعام/ ١٢٧].

وهو الكريم الأكرم الذي يكرم عباده بأنواع الكرامات؛ ليصلوا إليه مكرَّمين، ثم يصلوا إلى دار كرامته،والمؤمن التقي يصل إلى ربه الكريم يوم القيامة مباشرةً: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾[مريم/ ٨٥].

ثم يدخلهم الجنة إكرامًا لهم، فهو أكرمهم، ومَنَّ عليهم بنعمة الهداية، بعد نعمة العطاء من الطعام والشراب، والنعم المادية المحسوسة؛ أنعم عليهم؛ ليصلوا مكرَّمين إلى دار كرامته: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾[النساء/ ٣١].

كلُّ أحد يعرف قصره في الجنة، ليس في الجنة بيوت؛ بل قصور ملكية لمن سلم قلبه وجوارحه للملك جل جلاله في الدنيا، فالله يوم القيامة يدخله في القصور الملكية؛ لأنه لا يرضى لعبده إلا أن يعيش في القصور الملكية، في النعيم الأبدي، والحياة الأبدية: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٥٠﴾[الحج/ ٥٠].

فرزقه كريم، وثوابه كريم، وأصحاب الجنة هم في أعظم نعم الكرم والتكريم، والإكرام والكرامات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾[المعارج/ ٣٥].

هو جل جلاله الكريم الأكرم الذي جميع ملائكته كريم: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾[الانفطار/ ١٠-١٢].

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾[التكوير: ١٩-٢٠].

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾[الأنبياء/ ٢٦].

فالملائكة الله ﷻ خلقهم من نور، وأكرمهم بطاعته، فهم مجبولون على الطاعة: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[التحريم/ ٦].

يقومون بالتسبيح والتقديس والتكبير لله ﷻ، ولا يعرفون المعاصي أبدًا، وهم ينفذون الأوامر في كل حين: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾ [النازعات:٥].
ينفذون الأوامر بأمر الله ﷻ،فملك الموت يقبض الخلائق، وميكائيل يكيل القطر، وإسرافيل ينفخ في الصور، وجبرائيل يرسله الله ﷻ بالعذاب على الأمم، ويرسله بالوحي على الرسل.
فهم كرماء بالتسبيح، والله أكرمهم بالمقام الأعلى، وقد ملأ الله السماء كلها بالملائكة، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم، أو راكع، أو ساجد لله ﷻ، جبلهم في كل آن بالتسبيح والتقديس: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].
هو جل جلاله الكريم الذي دعانا لمعرفته، الكريم الذي أكرم بني آدم بأحسن الكرامات، وأعظم الكرامات، وأعلى الكرامات: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة/ ٣].
خَلْقُنا من كرمه، وقُوتُنا من كرمه، وهدايتنا من كرمه، فهو الهادي الكريم الواهب لكل كرامة جل جلاله.
هو سبحانه الكريم الذي أكرمنا بالدين، وأمرنا بكل كريم من الأقوال الكريمة، والأعمال الكريمة، والأخلاق الكريمة، وبعث نبيه ﷺ ليتمم في الأمة مكارم الأخلاق، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» أخرجه أحمد والبيهقي[1].
وفي رواية للبيهقي: « **مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»
فالله يريد من عبده أن يتصف بصفاته على شاكلة العبودية، ويأخذ هذه الصفات على أنها نعمة من الله، فإذا أكرمك الكريم فكن كريمًا بأقوالك، كبر الكبير، وعظم العظيم، واحمد المنعم،والكريم سبحانه يريد من الإنسان أن يتكرم، أولًا يُكرم نفسه بالإيمان والتوحيد، ويتكرم على غيره وعلى نفسه بحسن الاستقامة، والقيام بالدعوة، فهو كريم يريد من عبده أن يكون كريمًا في أقواله، وأعماله، وأخلاقه، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩) و البيهقي برقم (٢٠٥٧٢).

صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣].
الانسان آلة للأعمال فإذا خرجت منه الدعوة ودعا الناس إلى الله؛ كبروا ربهم، وشكروه؛ ليكرمهم يوم القيامة بجنة عرضها السموات والأرض:﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران/ ٧٩].
يُعلِّم من دخل في الإسلام، يعلمه كيف يتوضأ، كيف يصلي، كيف يصوم، كيف يقسم الميراث، كيف يقيم الحدود:﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾﴾[الجمعة: ٢].
هو سبحانه الكريم الذي بره وخيره وإحسانه إلى جميع خلقه مدرارآناء الليل وآناء النهار، في كل زمان ومكان.
هو الكريم الذي له جميع المحاسن والمحامد، والجلال والجمال:﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨].
وإذا عرفت الكريم فاعبده، وكن عبدًا للكريم، واسأل الكريم، وقف بباب الكريم، ولا تقف بباب اللئيم، كن دائمًا بين يدي الكريم عابدًا له، ممجدًا له، حامداً له، سائلًا له، مستغفرًا له، داعيًا إليه، معلمًا لشرعه:﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].
هو سبحانه أكرم الأكرمين، وكل كرم وكرامة في العالم فمن كرمه وإحسانه.
كل ما سوى الله من كَرَم وكريم،فكله من كرمه وإحسانه:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل: ٥٣].
عمَّ بإكرامه المؤمنين والكافرين، والمحسنين والمسيئين، فشكر للمحسن إحسانه، ووالى نعمه على من عصاه؛ ليذكره بنعمه، لعله يتوب إليه.
الله ﷻ عم بإحسانه الجميع؛ لأن عطاء الربوبية للجميع، الماء، النور، الهواء، الأرض، الأرزاق، الصحة، العافية، عطاء الربوبية فيه وحده لجميع الخلق؛ لأنه لا إله غيره ولا رب سواه، وعطاء الألوهية تكريم وتشريف لهذا الإنسان، أن يعرف الرب الذي أنعم عليه بالنعم، هو الذي أطعمه وسقاه وهداه؛وسوف يستدعيه لدار أخرى خالدًا فيها أبدًا، فيها حياة بلا موت، ونعيم بلا بؤس، وغنًى بلا فقر، وعافية بلا بلاء:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

فنحمد الله أن عرفنا بأسمائه وصفاته؛ حتى نعبده، لأن الإنسان خُلِق ليبقى، وما سواه سيفنى، إلا ما استثناه الله ﷻ كالعرش والكرسي، والجنة والنار وغير ذلك، فالله ﷻ خلق الإنسان ليبقى، ولكنه يمر بمراحل، في بطن الأم، ثم يأتي إلى بطن الدنيا، ثم إلى بطن القبر، ثم يأتي إلى الدار الآخرة، وهناك حياة بلا موت، أهل السعادة في دار السعادة، وأهل الشقاوة في دار الشقاوة: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الروم: ١٤ – ١٦].

فالله يريدنا أن نكون في هذه الحياة نتصف بالصفات التي يحب؛ لأننا يوم القيامة سنقدُم عليه بالصفات، بالإيمان والأعمال: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾ [الحج: ٥٠ – ٥١].

فالكفار فيساقون إلى نار جهنم فورًا، وليس لهم موازين، لا يمرون على الصراط، هؤلاء إلى جهنم فورًا، أما المؤمن هوالذي توزن أعماله، ولهذا المؤمن يحشر إلى ربه مباشرةً: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم: ٨٥ – ٨٦].

هذا الرب العظيم الذي تعطشنا لرؤيته، والقرب منه، وسماع كلامه، يسلم عليك يوم القيامة: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾[يس/ ٥٨].

والملائكة جميعا يسلمون عليك؛ جبريل وميكائيل وإسرافيل: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الرعد: ٢٣ – ٢٤].

والسلام والتسليم في الجنة دائم بين المؤمنين: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾[الواقعة/ ٢٥-٢٦].

وأنت عند ربك في دار السلام والأمان: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧)﴾ [الأنعام: ١٢٧].

هذه النعم العظيمة، وهذا العطاء الكبير، لا يأتي إلا من رب كريم، الله ﷻ كريم بكل شيء، وبكل خير، وبيده الخير، والشر ليس إليه؛ الشر من فعل الإنسان، ولكن الله قدره، وكتبه، وشاءه؛ فظهر، ولكن الله لا يحبه؛ لأن الشر يجلب الشر للإنسان، والعقوبة من الله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣)﴾ [النساء/ ١٢٣].

هو سبحانه الشكور الذي يشكر للمحسن إحسانه، والإحسان منه في الأصل، ووالى نعمه على من عصاه؛ ليذكره بنعمه، لعله يتوب إليه، يمهله لعله يتوب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣)﴾ [البقرة: ٢٤٣].

ومن إكرامه الذي لا منتهى له إفضاله وإنعامه وإحسانه إلى من يكفر بنعمه، ويعبد غيره، ويجعل هذه النعم وسيلةً يتوصل بها إلى معاصيه، أعطاه ربه اللسان فعصى الله به، وأعطاه البصر فابصر به ما حرم الله، وأعطاه السمع فسمع به ما حرم الله، وأعطاه اليد فسفك بها الدماء، ولكن الله حليم على عباده، يريد لهم الخير، ويريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)﴾ [البقرة: ١٨٥].

ورحمته سبحانه سبقت غضبه، والعفو أحب إليه من الانتقام؛ لأنه بالناس رءوف رحيم.

فسبحان ذي الملك والملكوت، والعزة والجبروت، والكبرياء والعظمة! له الملك كله، وبيده الخير كله، ومنه الفضل كله، وأنواع إكرامه وإحسانه إلى خلقه لا تُحصى، وهي سابغة منه على خلقه في الدنيا والآخرة، فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾ [الأنعام: ١٠٢ - ١٠٣].

هو سبحانه الكريم الذي أعلم الخلق بأسمائه وصفاته، بما ذكره في كتابه؛ ليعرفوه، ليوحدوه، ليكبروه، ليحبوه، ليعبدوه، ويسألوه.

هو الغني الكريم الذي يرزقهم ويعافيهم، الذي تكفل بقضاء حاجاتهم، فهو قاضي

جميع الحاجات، وجميع حاجات العباد بيده، وجميع الحاجات مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره، وهو مع أوليائه، ينصرهم، ويستجيب دعاءهم، فمن دعا الله باليقين أجاب الله دعاءه.

نوح ﷺ دعاه لأنه كريم قام بالدعوة إلى الله، وبدنه مشغول بطاعة الله وعبادة الله، فدعا الله ﷻ؛ فاستجاب دعاءه فورًا: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٠ – ١٤].

وأجاب أيوب ﷺ حين دعاه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣ – ٨٤].

ويونس ﷺ دعاه فأجابه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧ – ٨٨].

وزكريا ﷺ دعا ربه فأجابه: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩ – ٩٠].

فسبحان الكريم الذي بيده مفاتيح كل شيء: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].

هو سبحانه الكريم الذي يحب أن يُسأل، ولا يرضى أن يُسأل غيره؛ فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، لأنه صمد، ولا يريد من عبيده أن يذلوا أنفسهم لغيره: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

والله كريم ما دعانا لسؤاله إلا ليجيبنا، لكن قبل السؤال يكون الثناء: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ

ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة/ ٢-٦].
ما تعريفه؟ ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بنعمة الهداية ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ الذين عرفوا الحق وتركوه ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين عرفوه وضلوا عنه.
وهذا أعظم سؤال في القرآن الكريم.
فنعمة الهداية من أعظم النعم، وهي عطاء الكريم، هذا عطاء الألوهية، والنعم المادية عطاء الربوبية، فننظر حين التعبد إلى عظمة الربوبية، ونتصاغر لكبرياء الرب ﷻ، وننظر لذلة العبودية، ننظر إلى عظمة الرب، وذلة العبد.
لابد أن نتصور في قلوبنا عظمة الرب العظيم، الملك، الغني، الكريم، الرحمن، الرحيم، وننظر إلى ذلة العبودية، فأنا ضعيف، فقير، عاجز ومحتاج، كنت معدومًا فأوجدني الله، ولما أوجدني أطعمني وسقاني، ومنَّ عليَّ بنعمة الهداية، وأعطاني الجوارح التي أطيعه بها، وضاعف لي العمل: وقبله مني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥].
ويستضيفني يوم القيامة في جنة عرضها السموات والأرض: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].
فسبحان من فتح للناس باب العمل: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت/ ٦].
هو سبحانه الكريم الذي أكرم خلقه بعبادته وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس: ٣].
ولهذا لابد أن تكون العبادة حقيقيةً، ولا تكون حقيقيةً إلا إذا جاء الخضوع والخشوع، خضوع بالجوارح، وخشوع بالقلوب: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون/ ١-٢].
ومن عرف الله حقاً عبده حقاً: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا

﴿كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾[السجدة: ١٥ -١٧].
قف بين يدي الكريم، العظيم، السميع، البصير، القوي، القادر، القاهر، معترفاً بذنوبك وتقصيرك وعجزك.
أقف بين يدي ربي خائفاً منكسراً، معترفاً أني كثير الذنوب في سمعي، وفي بصري، وفي لساني، ما قمت بأداء الواجبات، ولا انتهيت عن المنهيَّات، قصرت في أعمالي، وأنسب النعم إلى نفسي، وإذا جاءني ابتلاءات شكوت الخالق إلى المخلوق.
فلابد للمسلم أن يعرف الحق ويعمل به، ويعرف الباطل ويجتنبه، ويعرف الحق لذاته، ويعمل به، ويدعو الناس إليه، ويعرف الباطل ويحذره، ويحذر الناس منه.
فمن دخل جنة المعرفة أدخله الله جنة الآخرة، فجنة المعرفة في الدنيا هي معرفة الله، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة وعده ووعيده؛والعمل بموجب ذلك، حتى أقف ببابه، ولا أقف بباب أحد سواه، فإذا عرفت العظيم عظمته، وعظمت أوامره، وعظمت كتابه، فنلت ثوابه العظيم جل جلاله:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد: ١٩].
الله سبحانه أراد منا أن نعرف أسماءه وصفاته، لكي نعبده بكمال الحب والتعظيم والذل له.
قال النبي ﷺ:«**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» متفق عليه(١).
التعرف على أسماء الله وصفاته من أعظم العبادات،وهو أصل العبادات بالتعرف على ذلك يمتلئ القلب بالإيمان،وملء القلب بالإيمان عبادة، وتقوى الله عبادة، والتوكل على الله عبادة،ومحبة الله عبادة، لكن لابد من عمل القلب، وعمل الجوارح معاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾[الكهف: ١٠٧ -١٠٨].
هذا وعد من الله ﷻ،أن من آمن وعمل صالحًا فله الجنة، بل أعلى الجنة؛ جنات الفردوس التي سقفها عرش الرحمن، فالله لا يرضى لعبده المؤمن أن يكون أدنى بل

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

يريده الأعلى، والله هو العلي الأعلى، الرحمن الذي على العرش استوى، وجنة المؤمن سقفها عرش الرحمن.

أكرم مخلوق تحت العرش هو هذا المؤمن الذي آمن وعمل صالحًا؛ لأنه اتصف بصفات الكريم، بصفات الرحمن الرحيم، بصفة العفو، بصفة الإحسان، بصفة الرزاق، فهو سبحانه الكريم الرحيم الحليم الذي يتودد إلى عباده بأنواع كرمه؛ ليؤمنوا به، وينالوا منه أعليالكرامات، وينادي عبيده من البشر فيقول:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

هو الكريم الذي يرزق المطيع والعاصي، إن خالفت أمر الله فلم تؤمن، لم تصلِّ، لم تطع الله؛ فالله إن قصرت في أداء فريضته لن يمنع عنك الرزق، وتبقى في هذه الحياة، ويوم القيامة تنال الجزاء، لكن عطاء الربوبية مستمر من الله، وعام لجميع الخلق المؤمن والكافر، الهواء للجميع، الماء للجميع، الطعام للجميع، فهو جل جلاله رحيم بعبده ولو كفر به، فهو يوالي نعمه لعلها تذكره به فيؤمن بالله الذي له الأسماء الحسنى:﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤].

فكم عم الكريم بكرمه وإحسانه من آمن به وكفر به، ومن أطاعه ومن عصاه، فهل الكريم منع من كفر به وعصاه نواله وإنعامه؟ لا:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢) ﴾[محمد: ١٢].

هو سبحانه الحليم،وحلمه وسع كل شيء، ورحمته وسعت كل شيء، وعلمه وسع كل شيء، ورزقه وسع كل شيء، فسبحانه ما أعظمه وما أكرمه!﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ

أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

فهو يغفر جميع الذنوب إلا الشرك لمن مات عليه؛ لأن الشرك أكبر جريمة، وأكبر جناية، وفروعه هذه الذنوب والمعاصي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

فمن أكرم الناس؟،أكرم الناس هم المؤمنون، وأكرم المؤمنين هم الأنبياء والرسل الذين عرفوا الله، وعبدوه بموجب هذه المعرفة، وأكرم الخلق كلهم سيد الأولين والآخرين، الذي كان أحسن الناس خَلقًا وخُلقًا، وكان خلقه القرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤].

النبي ﷺ كان أجود الناس، وأكرم الناس، وأعلم الناس، وأعبد الناس، وأخشى الناس، وأتقى الناس لربه ﷻ،وأشد الناس حياء من ربه، وأحسنهم تواضعاً: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

ونهى عن إطرائه، ولما سُئل عن الكريم؛ تواضع وقال: «**الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ: يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ**» أخرجه البخاري[1].

فيوسف هو النبي الجميل، جميل بطاعته، وصدقه، وإخلاصه لربه، وحسنه وجماله، قالت فيه النساء: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف/ ٣١].

فجميع الملائكة كرماء، بالطاعة، وبالنوع،وبالعبادة، وبالتسبيح، والتكبير، والتعظيم لربهم ﷻ، ومع ذلك يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، وما أطعناك حق طاعتك، وما ذكرناك حق ذكرك، فيوسف ﷺ لما أخلص لله؛ فأخلصه الله من كل ما سوى الله، لما أخلص لله ﷻ في عبادته، وتوحيده، وإيمانه، وتقواه؛ أخلصه الله أو خلصه الله من كل ما سوى الله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف/ ٢٤].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٨).

فمن أخلص لله في عبادته؛ أخلصه الله أو خلصه الله من كل ما سواه، فلا يشتغل بالنعمة عن المنعم، ولا بالدنيا عن الآخرة، ولا بالأموال والأشياء عن الإيمان والأعمال الصالحة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

والكرم صفة، والكريم ليس ضد البخيل، الكريم ضد اللئيم، والعطاء ضد البخل، والكريم من البشر يشبه الربيع الذي فيه الثمرات التي يحبها الناس، والربيع يحبه الناس، وكذلك الكريم من البشر يحبه الناس؛ لأنه يعطيهم مما أعطاه الله، من مال، أو علم، أو منافع، والربيع تحب أن تراه في كل وقت، وكذلك الكريم من البشر تحب أن تجلس معه في كل وقت؛ لتستفيد من ماله، ومن علمه، من جاهه، من خيره، وتكره أن تفارقه؛ لأنك في جلوسك معه ترى الجميل، وترى الكريم الذي تأخذ منه الأشياء الجميلة، والمنافع والمكارم، فتحب أن تراه في كل وقت، وتكره أن تفارقه كالربيع.

وإذا غبت عنه اشتقت إليه؛ لما ترى من أنواع إكرامه وإحسانه إليك، فهذا الكريم من البشر، هذا هو الربيع بأزهاره، وثماره، وجماله، وهذا الإنسان الكريم بماله، بعلمه، بخُلُقه، لا تحب أن تفارقه، وتشتاق إليه إذا غبت عنه، فكيف بالكريم ﷺ؟!لو رأيته لرأيت أحسن الناس وجهًا، وجهه كالقمر وكالشمس في الإنارة، فكيف إذا مَنَّ الله ﷻ عليك بتلاوة كتابه الكريم؟: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ – ٧٩].

القرآن كله أخبار صادقة، وأحكام عادلة، فكيف إذا رأيت الكريم، وعبدت الكريم الذي هو الكريم حقًّا، وله الكرم المطلق، الذي أنزل كتبه الكريمة، وأرسل رسله الكرام، وخلق الملائكة الكرام؟ كل ذلك إكرامًا لعباده: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

فما أعظم حرمان من حرم نفسه من عطاء الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦ – ٨].

أغرك حلمه؟ أم غرتك نعمه؟الله ﷻ دعاك إلى هذه الدنيا، وأمرك بالعمل، ونحن قادمون إليه بما عملنا من الشيء الجميل، أو الشيء القبيح:﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[الغاشية/ ٢٥-٢٦].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[الزلزلة: ٦ -٨].

خلق العباد لرحمته، وإكرامه، وإنعامه، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، فيشركون بالله، ويعصون الله، ويشتغلون بالنعم عن المنعم، ويزداد طغيانهم، كلما أنعم الله عليهم ليتوبوا ويذكروا المنعم هم يزيدون في الطغيان، فمن هداه الله فهو المهتدي، ومن أضله فهو الضال،فكن مع الكريم لتنجو:﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر/ ١-٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[الحجرات: ١٣].

فالمؤمن يعلو على غيره من الكفار والحيوانات بإيمانه وتقواه، وأخلاقه الكريمة.

فالإنسان إن لم يكن على الصراط المستقيم؛ فلابد أن ينزل إلى أسفل سافلين:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾[التين: ٤ -٨].

فإذا كان الدين أظهر شيء، والخالق جل جلاله أبين شيء، ونحن لم نعرفه، ولم نتعامل معه، ولم نعمل بدينه، ولم نكن عبيده، فكيف نكون؟﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[طه/ ١٢٤-١٢٦].

والمنازل يوم القيامة حسب الأعمال:﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾[الحج: ٥٦ -٥٧].

فأعظم النعم نعمة الهداية، أعظم نعمة أن تعرف الله، أول علم يجب أن نتعلمه هو معرفة الله:﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ

﴿مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾[محمد: ١٩].

فالمؤمن حقًّا، والكريم حقًّا، من أكرم نفسه بحملها على طاعة الله ورسوله، وصرفها عن معصية الله ورسوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾[الشمس/ ٧-١٠].

وقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾[الأعلى/ ١٤-١٥].

هذه أخبار صادقة، لابد أن نأخذها باليقين، نسمعها باليقين، ونعمل بها باليقين: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب/ ٧١].

فنحمل النفس على طاعة الله ﷻ،وهذا هو الكريم الذي عرف الله وأطاعه واتقاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾[الحجرات/ ١٣].

المؤمن كريم بأقواله، بأعماله، بأخلاقه، كريم على نفسه بالإيمان، كريم على غيره بالدعوة والإحسان، هذا هو الكريم الذي تخرج منه المنافع.

أما اللئيم فلا يخرج منه شيء حسن ونافع، فهو مبغوض من الرب، ومبغوض من الخلق، ولا أقبح من الكفر، ولا أنجس من الشرك، ولا أصر من هاتين النقيصتين الشرك والكفر، وكذا الكبر والنفاق، وغير ذلك من شعب الكفر والشرك: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤﴾

[البقرة: ٣٤].

والله سبحانه كريم، ما أوجدنا إلا ليرحمنا ويكرمنا ويسعدنا في الدنيا والآخرة، ومن ظن غير ذلك فبجهله قد ظن ظن السوء، وظن السوء مذموم: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[آل عمران/ ١٥٤].

الله هو الرحمن الرحيم ما خلق العباد إلا ليرحمهم، ويعافيهم، ويرزقهم، ويكرمهم، ويسعدهم في الدنيا والآخرة، خلق الناس لرحمته فقط، ولكن الناس يخرجون من الطاعة إلى المعصية، ومن التوحيد إلى الشرك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٤﴾[يونس/ ٤٤].

عطاء الربوبية يَنعَم به الكافر والمشرك، والذي يصنع الخمر، ويقترف الجرائم والزنا

والفساد،فكم يكون حجم نعمه على من أطاعه في الدنيا والآخرة؟!:﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾[البقرة: ٢٥].

الله ما خلق الخلق أبدًا إلا ليكرمهم، ويرحمهم، ويسعدهم بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فإذا خالفوه فالله من كرمه أن يبتليهم ليعافيهم، ويردهم إليه:﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨﴾[الأعراف: ١٦٨].

فالله الرحمن الرحيم وسعت رحمته كل شيء، والأصل الرحمة، رحمة الخلق جميعاً:﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾[غافر: ٧].

هذه نصوص القرآن لابد أن نأخذها باليقين، ونتعبد الله بها باليقين؛ لننال الثواب من الله عليها حقًّا، كما أخبر الله ﷻ في كتابه، وكما أخبر رسوله ﷺ:﴿قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾[النساء: ١٧٤ – ١٧٥].

علينا أن نكرم أنفسنا بطاعة الله ورسوله، ونكرم أهلنا وأولادنا بما يرضاه الله الكريم الذي خلقهم؛ فنربي أولادنا على القرآن والسنة، وعلى إكرام أزواجهم وأولادهم، ونربي بناتنا على إكرام أزواجهن؛ لينعم الجميع بكرامات الكريم، ويشيع الإكرام والكرم في بيوت الناس:﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾[الأعراف/ ٩٦].

والوقت جندي من جنود الله، فمن آمن بالله؛ وفقه الله لطاعته، ومن أحب الله ملأ وقته بما يحبه الله ويرضاه، ووفقه للعمل الصالح الذي يرضيه جل جلاله.

والله الكريم سبحانه يعطي بركة الوقت لمن يحب، وعمل بما يحب، وينزع بركة الوقت ممن لا يحب، ويعمل بما لا يحب:﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾[التوبة/ ٧١].

يملأ وقت المؤمن والمؤمنة بما يحبه الله ويرضاه من الأعمال القلبية، والأعمال البدنية، الأعمال الخاصة بالنفس، والأعمال المتُعدية للغير من الدعوة، والإحسان إلى الخلق: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

ومن عرف الله ملأ وقته بهذه الخيرات والبركات: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

فإذا أطعت ربك الكريم؛ طوّع لك الوقت، وملأه بالخيرات، وبارك لك فيه، وأجزل لك الأجر والمثوبة عليه، وإذا عصيت ربك؛ نزع الله البركة من وقتك: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

وقال سبحانه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

والله ﷻ من فضله وكرمه وإحسانه إلى عباده أن عرفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه، في كونه المنظور، وفي كتابه المسطور؛ ليعبدوا الله بموجب هذه الأسماء والصفات: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والله ﷻ غني عن العباد، وعن عبادتهم، وهو الكريم بكل نعمة، فهو سبحانه كريم، وكل مخلوقاته كريمة، فالتراب كريم، إذا وضع عليه الماء أنبت من كل زوج بهيج، والماء يسقي الأنعام والحيوانات والإنس، والتراب كريم بالخصوبة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [الشعراء: ٧ – ٨].

والأرض كريمة تنبت مليارات النباتات في كل ثانية، في كل مكان، وفي كل زمان، الجماد كريم، والتراب كريم بالخصوبة والمعادن، والنبات كريم بكثرة الثمرات، والحيوان كريم بالتكاثر والنتاج، والمؤمن كريم بالتقوى، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة؛ فهذه المخلوقات كلها كريمة:﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾[لقمان: ١١].

فخلقه كله كريم، كله يثمر وينتج، وفيه منافع كثيرة:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة: ١٠٠].

اتصفوا بصفة الهجرة والنصرة، وضحوا بأوقاتهم وأموالهم وأنفسهم، وبذلوا ما يحبون من الأموال والأشياء؛ حتى قام دين الله ﷻ.

هذا هو الكريم الذي يتقي الله فيفعل الأوامر، ويجتنب النواهي، ويمشي حيث احتاج الدين يمينًا وشمالًا وشرقًا وغربًا، كالشمس التي تنور العالم.

والمؤمن غِرٌّ كريم؛ لأنه صادق صريح في قلبه، حسن الظن بربه، وحسن الظن بالخلق، فالأصل سلامة الصدور لقلوب الناس، أما المنافق فهو خِبٌّ لئيم، يكذب ويخادع ويمكر بالعباد.

فهو سبحانه الكريم الذي تكرم بكل شيء، السموات والأرض من كرمه، الشمس والقمر والنجوم من كرمه، الماء والهواء والنور من كرمه، الطعام والشراب واللباس من كرمه، الطاعات والحسنات من كرمه، العافية والصحة من كرمه، الدين كله من كرمه وإحسانه، الجنة دار كرامته، والنار دار عقوبته، والأمن والعافية من كرمه جل جلاله؛ لأنه الكريم، فكل كرم في العالم من كرمه:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣].

فكل كرم يعيش فيه الخلق فمن كرمه جل جلاله؛ لأنه الكريم الذي وهب الكرم لكل كريم يتكرم، هذا يتكرم بماله، وهذا بعلمه، وهذا بقوته «**يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ**

هَدَيْتُهُ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ» أخرجه مسلم[1].

فهو جل جلاله الكريم الذي أكرم خلقه بأنواع الكرامات لأبدانهم وقلوبهم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

دفع البلاء كرم منه، تكفير السيئات كرم منه، مغفرة الذنوب كرم منه، كل ذلك من كرمه جل جلاله، فهو عظيم وكريم، يعطي على الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلى الأجور الكبيرة التي ليس لها حد، فمن عمل مع الله بغير حساب؛ أخذ أجره بغير حساب: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر/ ١٠].

ولكن لابد أن يتقيد بقيود الشريعة، فالوضوء له حدود، والصلاة لها حدود، والزكاة لها حدود، والصيام له حدود... وهكذا: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

فالمؤمن يكثر من النوافل، يتبع الفرائض بالنوافل؛ فيقوم بالآداب أولًا، وبالسنن ثانيًا، وبالفرائض، ويكون عمله خالصًا لوجه الله ﷻ، ومن ثم يحصل له اليقين.

وزبدة اليقين حسن الظن بالكريم جل جلاله، أنه يعطي عطاء ليس له حد، ويغفر الذنوب جميعًا جل جلاله، إلا الشرك لمن مات عليه؛ لأنه كريم: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

مضاعفة الحسنات من كرمه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥].

والله ﷻ كريم؛ والكريم هو الذي يعطي قبل أن يسأل، والسخي هو الذي يعطي بعد السؤال، الكرم أعلى من السخاء، فالكرم مجمع الخيرات والبركات، واللؤم هو مجمع

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

الشرور والنقائص.
والله سبحانه هو الكريم الذي وهب الإنسان الفقير ما يتكرم به، فهو الذي أعطانا لنعطي.
هو سبحانه الكريم بذاته، وأسمائه، وصفاته وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].
الله عرفنا بأنه الكريم؛ حتى نقف بباب الكريم، ولا نقف بباب اللئيم، ونغلق باب المخلوق الناقص، العاجز، الفقير، المحتاج، فمِنْ شرف العبد أن يعبد الكريم، ويحب الكريم، ويسأل الكريم، ويتصف بالكرم الذي يحبه الله: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠﴾ [النمل/ ٤٠].
والله سبحانه هو خالق كل شيء، خلق الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له، وهذا من كرمه: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].
وهذه هي العبادة الخاصة الاختيارية، أما العبادة العامة فكل الخلائق عبيده، خاضعون لأمره: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم/ ٩٣].
ولكن ليس كلهم عباده إلا من استجاب له: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٦٤].
فعباد الله هم الذين قبلوا أوامره الشرعية، فقبلوا الدين، وآمنوا بالله وأطاعوه؛ فيجب على جميع الخلق كما تنعموا بعطاء الربوبية من الخلق والزرق والأقوات؛ أن يأخذوا عطاء الألوهية؛ ليكسبوا الدنيا والآخرة، فيمتثلوا أوامره ويطيعوه في الدنيا؛ ليسعدوا في الدنيا والآخرة ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب/ ٧١].
فالكريم سبحانه يحب أن يسعد هذا الإنسان في الدنيا والآخرة؛ ولهذا من عليه بعطاء الربوبية، وبعطاء الألوهية الذي هو الدين: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ

ﭐلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٤ – ٦٥].

وأحوال الناس في العبادة تختلف بحسب ما أعطاهم الكريم من فضله وإحسانه، فالله ﷻ أعطانا جميعًا نعمًا لا تُعد ولا تُحصى، والمجموع العام لكل إنسان من النعم المادية يساوي الآخر؛ فعطاء الربوبية للجميع، فهذا عنده مال، وهذا فيه عافية، وهذا رزق أولاداً، فالمجموع العام من عطاء الربوبية الله ﷻ أعطى الخلق ما يصلحهم على حد سواء.

فأحوال المسلمين في العبادة فتختلف بحسب ما أعطاهم الكريم من فضله وإحسانه؛ فالله أعطانا العطاءات الكبيرة؛ حتى نعبد الله بموجب هذه العطاءات.

فإذا كنت عالمًا فعبادتك بعد أداء الفرائض، تعليم الناس دينهم، وإن كنت غنيًّا فعبادتك الأولى بعد أداء الفرائض، الإنفاق في سبيل الله، فيما يحبه الله ويرضاه؛ من مواساة الفقراء والمحتاجين، والبذل لإعلاء كلمة الله، والإحسان إلى الناس:﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾**﴾[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

وإن كنت زوجاً فعبادتك الأولى حُسن رعاية حقوق الزوجة، وحسن تربية الأولاد.

وإن كنت قويًّا فعبادتك الأولى إحقاق الحق، وإنصاف المظلوم.

وإن كنت طبيبًا فعبادتك الأولى علاج الناس، والرفق بهم، وتهيئة أجسامهم لفعل الطاعات، فالطبيب إذا نوى هذه النية فالكريم سبحانه يعطيه على قدر نيته، وهكذا في جميع العطاءات التي أعطاها الله ﷻ ووزعها على عباده، فهذه تسمى عبادة الهوية، الله أعطاني مالًا، أعطاني قوةً، أعطاني علمًا، كنت رجلًا، كنت امرأةً، كنت ابنًا، وهكذا، هذه تسمى عبادة الهوية والنعمة التي أكرمك الله بها.

وهناك عبادة أخرى اسمها عبادة الظرف والحال، إذا جاء عندك ضيف، فعبادتك الأولى بعد أداء الفرائض إكرام هذا الضيف، والعناية به، فالضيف إذا دخل دخل برزقه، ورحل بذنوب أهل البيت؛ فتكرم الضيف طاعة لله ورسوله.

قال النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**» متفق عليه[1].

وإن كنت ابنًا أو بنتًا وعندك أب مريض، فعبادتك الأولى رعايته والقيام عليه.

وإن كنت عارفًا بالبلاد والطرق، ورأيت ضالًا؛ فعبادتك الأولى هدايته إلى ما يهدف الوصول إليه، فهذه تسمى عبادة الظرف والحال الذي يحل بالإنسان.

وهكذا إذا كانت هناك مجاعة؛ فعبادتنا الأولى إطعام الفقراء والمساكين.

وإذا انتشرت البدع فعبادتنا الأولى أن نقيم السنة لتزول البدعة.

وهناك عبادة أخرى تسمى عبادة الوقت، فلكل وقت عبادة؛ فصيام رمضان له وقت، والفرائض لها أوقات، ووقت السحر للتهجد وتلاوة القرآن، والنهار وقت الكسب والعمل، والدعوة، وللأكل والنوم والمعاشرة أوقات معلومة نتعبد لله بها: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء/ ١٠٣].

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة: ١٠].

وذكر الله له كل الأوقات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢].

والدعوة إلى الله لها كل الأوقات: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

- **فالمؤمن يتعرف على هذه الأنواع من العبادات ويقوم بها:**

**الأولى:** عبادة الهوية؛ إذا أعطاك الله من النعمةفالله يريدك أن تستعمل هذه النعمة في نفع نفسك، ونفع الناس.

**الثانية:** عبادة الظرف والحال؛ حينما يحل أي أمر بالمسلمين، فعبادة الظرف أن تقوم على المرضى، وتكرم الضيوف، وتهتم بوالديك، وهكذا.

**الثالثة:** عبادة الوقت؛ فالله ﷻ قسم الأعمال على الأوقات، فالأوقات إناء للأعمال، المكان إناء للأشياء، والأرض مكان للجبال والبحار والنبات وغيرها، والزمان مكان للأعمال، فلكل وقت عمل، يجب أن نتعرف على هذا العمل وكيف نقوم به في وقته:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٣٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٧).

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

- **وهذه الأصول الكبرى في الدين:**

**أولًا:** أن نتعلم كل يوم، ليزيد إيماننا وتوحيدنا، وتأتي طاعاتنا وعباداتنا على السنة، ونعبد الله بكمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ﴾ [فاطر: ٢٨].

**ثانيًا:** أن نتعبد لله بموجب هذه المعرفة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

**ثالثًا:** أن نتخلق بالأخلاق الإسلامية التي يحبها الله، فالله يحب أسماءه وصفاته، ويحب من تخلق بها من عباده: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فنتعلم الدين؛ حتى نعبد الله على بصيرة، ونعلم الدين؛ حتى ينتشر العلم في العالم؛ فيُعبد الله بما شرع رسول الله ﷺ: ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) ﴾ [آل عمران: ٧٩].

ثم هذا الخير العظيم ننقله للناس عن طريق الدعوة إلى الله، فيدخل أهل المشرق والمغرب في الدين بسبب الدعوة إلى الله.

فالله كريم، والرسول كريم، والمؤمن يجب أن يكون كريمًا، ينفع نفسه بالاستقامة وطاعة ربه، وينفع غيره بالدعوة والنصح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الخلق.

لأن للتعبد بين يدي الله وقتاً، ولكسب المعاش وقتاً، وللإحسان إلى الخلق وقت.

فالله ﷻ كريم، ومن كرمه جل جلاله أن أعطانا العقول التي تعقل، والأذان التي تسمع، والأبصار التي تبصر: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) ﴾ [النحل: ٧٨].

فسبحان الكريم الذي أكرم الإنسان الذي حمل الأمانة، بأحسن الكرامات، فسخر له ما في السموات وما في الأرض، وأرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وزوده بالعقل،

وضاعف له الأجر، واستخلفه في الأرض، وفضله على غيره من خلقه:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ٧٠﴾[الإسراء/ ٧٠].

وهذا إكرام من الله الكريم له؛ لأنه قبل حمل الأمانة، فالإنسان هو المخلوق الأول رتبةً؛ لأنه قبل حمل الأمانة:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾[الأحزاب/ ٧٢].

فهذا الإنسان الذي حمل الأمانة؛ الله ﷻ سخر له ما في السموات وما في الأرض:﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾[لقمان: ٢٠].

هذا التكريم، لتعرفوا الخالق من المخلوق، والرازق من المرزوق، وتعرفوا الرب الكريم الرحيم فتعبدون الله ﷻ بموجب هذه المعرفة:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

والإنسان هو المخلوق المكرم من ربه بأنواع الكرامات.

فقد خلقه الله بيده، وخلقه الله ﷻ في أحسن تقويم، وأمده بالسمع والبصر والعقل، وأمده بنعمة البيان: النطق، والإشارة، والكتابة، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض.

وهو المخلوق المكلف الذي خُير بين أن يؤمن أو يكفر، أو يطيع أو يعصي.

هو المخلوق المكلف بالعبادة الاختيارية:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات/ ٥٦].

والعبادة هي طاعة المعبود فيما أمر به، وفيما نهي عنه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقٗا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢].

فاعبدوا ربكم الذي ترون مظاهر كرمه في الكون، ولا تتوجهوا إلى غيره في سؤال حاجاتكم.
فسبحان الكريم الأكرم، الذي يعطي من سأل ومن لم يسأل، الكريم الذي لا ينقطع عطاؤه أبدًا، ولا تنفد خزائنه أبدًا، ولا ينقص ملكه أبدًا، الكريم الذي يعطي ما شاء لمن شاء من الخلائق، بأي قدر شاء، في أي وقت شاء، في أي مكان شاء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٨].
هو رزاق وقوي، يوصل النعمة والأرزاق إلى أهلها في البر والجو والبحر، في العالم العلوي، والعالم السفلي.
هو سبحانه الكريم الذي يجازي المؤمنين بفضله، ويجازي الكافرين بعدله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النساء/ ٤٠].
﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠].
والله سبحانه خلق الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم، فلا يمكن للإنسان أن يعبد الله إلا إذا عرف الله، فمعرفة المعبود قبل عبادته، لابد أن نعرف من نطيع، من نعبد؛ قبل أن نتعرف على أنواع العبادة، وكيف نقوم بهذه العبادة: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد: ١٩].
فالله سبحانه خلق الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم، وأمره أن يتعلم عن طريق القراءة علمه أن يتكلم بلسانه، ويكتب بيده، ويشير بيده أو برأسه، هذه أنواع البيان.
فالله سبحانه خلق الإنسان، وعلمه ما لم يكن يعلم؛ لأنه العليم الذي وهب العلم لكل عالم، وعلمه ما لم يكن يعلم، وأمره أن يتعلم عن طريق القراءة؛ والقراءة أوسع أبواب العلم، قراءة في القرآن المسطور بالقراءة والتدبر، وقراءة في الكون المنظور الذي هو هذا الملك والملكوت العظيم الذي يولد الإيمان في القلب: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق/ ١-٨].

• **والقراءة أربعة أنواع:**

**الأول:** قراءة البحث والإيمان، اقرأ أيها الإنسان من أجل أن تؤمن بربك العظيم، وتعرف نفسك، وتعرف ربك بأسمائه وصفاته، اقرأ كتاب ربك: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢﴾ [العلق: ١ – ٢].

خلق الله كل شيء، خلق العالم العلوي والعالم السفلي، وعالم الغيب، وعالم الشهادة، وعالم الدنيا وعالم الآخرة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العلق/ ١].

وأول ما تقرأ اقرأ نفسك: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢﴾ [العلق/ ٢].

كان الإنسان نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم صار عالمًا، وصار كبيرًا، وصار قوياً وصار كريماً، أول ما يقرأ الإنسان نفسه، فيعرف أنه ضعيف، فقير، عاجز، محتاج، جاهل: هذه قراءة البحث والإيمان، اقرأ عن ربك العظيم وعن أسمائه وصفاته وأفعاله؛ لتعرف الملك حقًّا، الكبير حقًّا، العظيم حقًّا، الكريم حقًّا، العفو حقًّا، الرحمن حقًّا: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠١ – ١٠٣].

هذه أفعاله الكبرى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ [ق: ٦ – ٨].

**الثانية:** قراءة الشكر والعرفان، اقرأ في هذا الكون، وانظر للنعم، وانظر للأرزاق من خلقها؟ ومن يسر وصولها إليك؟: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤﴾ [العلق/ ٤].

اقرأ لترى أن ربك الكريم أنعم عليك بنعمة الإيجاد، وأنعم عليك بنعمة الإمداد بالأقوات، وأنعم عليك بنعمة الهدى والرشاد، ربك الأكرم تكرم عليك بكل نعمة، خلقك في أحسن تقويم، وأمدك بالأقوات المختلفة، وأمدك بزاد القلوب وهو الإيمان والتوحيد، وقبلك أن تكون عبدًا له، واقفًا بين يديه، تسأله الحاجات، وتستغفر من الذنوب، وتشكر النعم التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان: ٢٠].

**الثالثة:** قراءة التسليم والإذعان، فما كل ما يقرأه الإنسان يفهمه، فلا يفهمك ما لم تفهم ولا يعلمك ما لا تعلم إلا الله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾[النساء: ١١٣].

فالإنسان جاهل لا يعرف إلا القليل: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء: ٨٥].

ولهذا أُمرنا بالازدياد من طلب العلم: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾[طه: ١١٤].

فنقرأ قراءة التسليم والإذعان؛ لنسكت ونستسلم، ونقبل ما جاء من الوحي من الكلام عن الله وأسمائه وصفاته، والكلام عن أمور الغيب، عن الملائكة، عن الجنة، عن النار، عما يجري في عرصات القيامة، أَكِلُ ما لا أعلمه إلى علام الغيوب، فأتلقى الوحي من السماء، فما لم أعلم يعلمني إياه العليم، العليم هو الذي يعلم الغيب والشهادة، ويعلمني ما لم أكن أعلم؛ فكل شيءٍ عجز العقل عن إدراكه علمنا الله به من أمور الغيب، فأخبرنا عما يجري في عرصات القيامة، وعن الجنة، وعن النار، وعن الملائكة، وعن كل شيء من الأمور الغيبية: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ﴾[السجدة: ٦ – ٧].

فقراءة البحث والإيمان؛ ليزيد الإيمان، وقراءة الشكر والعرفان؛ لأعرف المنعم فأشكره وأعبده وحده، وقراءة بالتسليم والإذعان؛ وهو أن ما أعجز عنه آخذه عن طريق الوحي.

هذه القراءات كلها محمودة، وكلها مطلوبة شرعًا، وكلها تملأ القلب بالإيمان: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ ﴾[العلق: ١ – ٥].

**الرابعة:** قراءة العدوان والطغيان، ولذلك جاء بعدها: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾[العلق/ ٦-٨].

فكل قراءة لما يفسد البشرية، ويدمر أخلاقها، ويدمر الحياة والأحياء، وذلك بصنع القنابل الذرية والفسفورية، والغازات السامة، وإشاعة الفحشاء، والعري، والفساد ، وأكل أموال الناس بالباطل، كل ذلك من الظلم والعدوان والطغيان، كل من قرأه، وعمل به، ونفذه، فهذا كله محرم؛ لأنه من العدوان والطغيان، بالعلم الذي يهلك الحرث والنسل، وهذه قراءة الكفار الذين يأكل القوي منهم الضعيف، ويستعبد كبارهم صغارهم بالقوة، وهذا ما هو حاصل الآن:﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾[الروم: ٧].

فنترك هذه القراءة؛ قراءة العدوان والطغيان، فلا نتعلم كيف نطغى، وكيف نفسد في الأرض، بل نتعلم ونبحث في كتاب ربنا وسنة نبيه ﷺ، ونعرف النعم لنشكر المنعم، ونُقِرُّ أننا لا نعرف كل شيء، فما لا نعلمه نسأل الذي خلقنا أن يعلِّمنا ويكشف لنا عنه.

هو جل جلاله عالم الغيب والشهادة، كشف الماضي القديم الذي ما عشناه، فأخبرنا عن أحوال الأنبياء والرسل مع أممهم، وكشف لنا عن المستقبل وما سيجري فيه، وما بعد الموت، وما يجري بعد الموت:﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾[الحج: ٥٦ – ٥٧].

فسبحان ربنا الكريم الذي عم بعطائه وإحسانه جميع خلقه، وأمهل بكرمه المكذب له، ووالى عليه نعمه، ولم يقطع عنه فضله؛ لعله يتوب إليه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[البقرة/ ١٤٣].

هو سبحانه الكريم الأكرم الحق الجامع للمحاسن والمحامد، الذي له قدر عظيم وسلطان كبير، كثير الخير والعطاء، والمنعم بكل نعمة، الكريم الذي لا يرد من سأله، ولا يخيب من رجاه، الكريم الذي يعطي من خزائنه لما لا يحصى من الخلائق:﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرحمن/ ٢٩].

هو جل جلاله الكريم الذي لا أكرم منه، حسن الأسماء، علي الصفات، محمود الفعال، كريم الهبات، جزيل العطايا:﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨].

فسبحان ربنا الكريم، الذي يعفو عن المذنبين، ويتوب على المخطئين، ويحسن إلى

المحسنين، ويكرم المطيعين، ويغفر للمسيئين، ويعفو عن الظالمين: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣].

فسبحان الكريم الرحيم الذي يضاعف الحسنات؛ فلا يرضى بالعطاء القليل، ويغفر السيئات؛ لأن المغفرة أحب إليه من الانتقام؛ لعظمة كرمه ورحمته بعباده، ويدفع البليات، ويرفع الدرجات: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلى، الكريم الذي استوى على عرشه بصفة الرحمة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه/ ٥].

هو عزيز كريم ينفس كل كرب، ويزيل كل هم، ويشفي كل مريض، ويجيب كل سائل، ويهلك كل عدو، ويرحم كل مخلوق، ويجود بكل خير، ويدفع كل شر: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

والله سبحانه هو الكريم الذي اصطفى رسله من عباده، وأكرم رسوله محمداً ﷺ بالوحي والنبوة، وعظيم الصفات، وعلو النسب، والمقام المحمود يوم القيامة، فهو ﷺ أكرم الرسل، وأتقاهم، وسيدهم، وأقربهم، وآثرهم عنده.

وأكرم هذه الأمة ببعثته ﷺ إليها: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة/ ١٢٨].

هو سبحانه الكريم الأكرم الذي وهب المؤمن الإيمان، فالإيمان من كرمه، والعمل الصالح من كرمه، والأخلاق الحسنة من كرمه؛ فالله خلق الإنسان وخلق صفاته، لكن الإنسان له حق الاختيار بين الصفات الحسنة، والصفات السيئة، بين الإيمان والكفر، بين الطاعات والمعاصي: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٤﴾ [يوسف: ١٠٤].

هو سبحانه الكريم الذي وهب المؤمن الإيمان، وحببه إليه، وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والمعاصي، وعمر قلبه بالإيمان؛ فأسرع في طاعة ربه بقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ [الحجرات: ٧ – ٨].

يعلم من يشكر النعمة ممن لا يشكر النعمة، يعلم من هم أهل للكرامة، ومن هم أهل للإهانة، بعلمه السابق، وهو سبحانه الكريم الذي مَنَّ على جميع المخلوقات كلها بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية، ونعمة الإسعاد.

هو سبحانه الذي أنعم علينا بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية للصراط المستقيم؛ فكل أحد ينعم بفضله، ويأخذ من خزائن كرمه، ويستطعم من موائد نعمه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

ومن أعظم نيل أسباب كرمه تقواه جل جلاله، فالأكرم عنده سبحانه هو الأتقى من عباده، فاتق الله رحمك الله في السر والعلانية، والقول والعمل؛ تكن من المكرمين في الدنيا والآخرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/ ١٣].

فالله سبحانه كريم حليم، حسن التجاوز عن خلقه، مع كثرة أذى الخلق له، وإسرافهم في معصيته، وكم أحسن إلى من كفر به وكذبه، وكذب رسله وكتبه، وظلم عباده؛ لأنه الكريم الرحمن الذي أمهل من عصاه، وأنعم عليه فلم يقطع عنه رزقه، ولا هواءه، ولا عافيته، هو الكريم الذي أمهل من عصاه وأنعم عليه؛ لعله يتوب ويرجع إليه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٣ – ٧٤].

من هذه المقالة العظيمة: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة/ ٧٣-٧٤].

يرغبهم في التوبة بعد هذه المقالة العظيمة؛ لأنه كريم رحمن جل جلاله.

وقال النبي ﷺ: «**لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ ﷻ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**» متفق عليه(١).

وأظهر من هذا كرمًا أن الكريم سبحانه ما عادى إبليس، ولعنه وطرده، وتبرأ منه إلا من أجل آدم ﷺ وذريته حين أبى السجود لآدم، واستكبر عليه، واحتقره؛ لأن إبليس يريد

---

(١) متفق عليه، أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٤) واللفظ له، والبخاري برقم (٦٠٩٩).

هذا السجود أن يكون له؛ لأنه من العَبَّاد، فأبى السجود لآدم واستكبر، فالله ﷻ لعنه وطرده: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾[ص: ٧٥-٧٨].

ثم أعلم سبحانه آدم وزوجه وذريتهما بعداوته ليحذروه ويتخذوه عدوًا بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾[فاطر/ ٦].

فجميع أوامر الملك جل جلاله كلها كريمة؛ لأنها تأتي بالحسنات والدرجات العلى، وتأتي بمغفرة السيئات، وتأتي بعبادة الحق، فكل خلقه كريم، وكل أوامره كريمة، فسبحان الكريم الرحيم اللطيف بعباده، الكريم الذي يتحبب إليهم بالنعم، ويبالغ في تحذيرهم من عدوهم حفظًا لهم، وهو عن ذلك كله غني، لا افتقار به لأحد، سوى فضل جوده، وعظيم كرمه، وجزيل إحسانه: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾[مريم/ ٦٥].

في الرحمة؟ في القوة؟ في الرزق؟ في الملك والسلطان؟ في الدين والشرع؟ في الأسماء الحسنى والصفات العلى؟ ليس له سمي.

فسبحانه ما أغناه وما أكرمه وما أحلمه! ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦٤﴾[الحج/ ٦٤].

هو سبحانه الجبار على الطغاة والظلمة، الجبار للمنكسرة قلوبهم بين يديه.

آلى الجبار على نفسه أن من اتبع الشيطان من الخلق ولم يتب، ليعادينه وليدخلنه معه في نار جهنم في دار لعنته وعذابه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥﴾ [ص/ ٨٢-٨٥].

ومن عادى الشيطان منهم، وتبرأ منه، وآمن بربه العظيم واتقاه رضي الله عنه، وأدخله دار كرامته: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة: ٧٢].

وسوف يجازي الله كل إنسان بحسب عمله: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧﴾ [الحج/ ٥٦-٥٧].

ومن نظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية؛ رأى أن سبل كرم ربنا ﷻ واسعة، وطرق إحسانه إلى خلقه لا حد لها أبدًا، وخزائن جوده لا نهاية لها: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس/ ٦٨].

هو سبحانه الذي يجزي على الحسنة بعشر أمثالها وأكثر، ويجزي على السيئة بمثلها: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وجعل الكريم سبحانه عقاب السيئة بمثلها، أو يغفرها، أو يمحوها، ويبدلها بحسنات، ثم يضاعفها، ويفرح بتوبة المذنبين، وكثرة السائلين؛ لكمال غناه وكرمه ورحمته: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

فسبحانه ما أعظم كرمه! وما أوسع رحمته! وما أحلمه على من عصاه!

وكل شيء يأتي عليه العد والإحصاء من أعمالنا يمكن عده، إلا أسماء الله وصفاته، وكلماته، ومخلوقاته، وأرزاقه، ومقدراته؛ فلا تُعد ولا تُحصى أبدًا.

فله الحمد أبدًا: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

يمكن أن أعد أموالي، تجارتي، كل ما أملك، يمكن عده، لكن أسماء الله وصفاته وأفعاله وخزائنه ومخلوقاته لا يمكن عدها؛ لأن العظيم خلق هذه المخلوقات العظيمة لتسبح بحمده، وكلما خلق سبحانه شيئاً زاد ملكه، وزاد المسبحون له، وزاد الحامدون له، وزاد العابدون له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والكرم هو فعل جميل لا لغرض، إنما أفعله تجملًا؛ لا حاجة فمن وهب المال لجلب نفع، أو دفع ضر، أو خلاص من ذنب؛ فليس بكريم، والمؤمن كريم يعمل الأعمال الصالحة

ابتغاء مرضاة الله، لا لمدح ولا ثناء، ولا ذكر ولا مكافأة: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء/ ١١٤].

والكريم من الناس من صدرت عنه المحاسن الكبيرة ابتغاء مرضاة الله، كمن ينفق ماله في سبيل الله، وينفق أوقاته في طاعة الله، وينفق عمره في الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/ ١٣].

هو سبحانه الأكرم الذي كل خير منه، الأكرم الذي صدرت عنه كل نعمة؛ فهو أكرم الأكرمين، وخير الرازقين، وخير الفاتحين، وأرحم الراحمين.

هو الكريم الذي خلقك في أحسن تقويم، وأمدك بنعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، وأكرمك بالسمع والبصر والعقل، وهداك للإيمان به، وخلق لك من جنسك امرأةً هديةً لك، وآواك في بيت، وأطعمك ألوان الطعام والشراب، ورزقك المال والولد، ومتعك بالصحة والأمن والعافية؛ فاعرفه، واذكره كثيرًا، وتدبر في آياته الكونية والشرعية؛ لتعبده بالحب والتعظيم له، والذل له واشكره على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ - ٥].

كلما قرأت في هذا الكون عرفت الكريم المحسن إلى عباده، فعبادتي له أن أشكره على النعم، وأن أعمل بما أمر، وأكبره في كل حين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

فالكرم صفة عظيمة للرب، يتقلب في مقتضاها المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، والناطق والصامت، وينعم بها جميع الخلق: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

والإكرام من الله سبحانه وتعالى خاص بعباده وأوليائه المؤمنين؛ فهو لا يكرم بالكرامة

الخاصة وهي الإيمان، والعمل الصالح، ورضوانه، والجنة، إلا من يحبه ويرضاه: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾[الأعراف: ١٥٦ – ١٥٧].

والله علم من بعض الناس صلاحيته للإيمان؛ فهداه للإيمان، وعلم من فلان أنه لا يؤمن فلم يهده؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، ولكنه جل جلاله كريم أقام الحجة، فأعطى الأسماع والأبصار والعقول، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، فقامت الحجة على الناس، منهم من قبل هذا الدين، ومنهم من لم يقبله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾[النحل: ٣٦].

فيا أيها الإنسان، ما ظهر لك في هذه الدنيا مما يشبه الإكرام للكافر والعاصي؛ فلأن الله ﷻ كريم، لا خالق ولا رازق إلا هو، وجميع خلقه قاعدون على موائد نعمه، ولعلهم يتوبون إذا رأوا كرمه وإحسانه: ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) ﴾[الزخرف/ ٣٣-٣٥].

ومن أصر من هؤلاء الناس على كفره ومعصيته؛ فما يأخذه من هذا النعيم ليس بإكرام، بل هو استدراج ومكر بهم؛ جزاءً على أعمالهم الفاسدة، ليأخذهم على أوفر ما جنوه: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨) ﴾[آل عمران/ ١٧٨].

ومن عميت بصيرته فلن ينفعه بصره: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥) ﴾[التوبة/ ٥٥].

فسبحان الكريم الذي دعانا للتعرف على آلائه ونعمه وأنواع إكرامه؛ لنعبده بالحب والتعظيم والذل له.

هو الكريم الذي خلق المخلوقات، وخلق الأرزاق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن

ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾[الروم: ٤٠].

هو الكريم الذي خلق الناس، وعافاهم، وأطعمهم، وكساهم، ودعاهم إلى ما يسعدهم في دنياهم وأخراهم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان الغني الكريم الذي كل الكون عطاء من عطاياه، هو الكريم الذي أقام الحجة على الخلق، وتفضل عليهم بكل نعمة، وتفضل على المؤمنين، وحبب إليهم الإيمان، وتفضل على العلماء بأن علمهم من علمه، وتفضل على الأغنياء برزقه، وتفضل على الفقراء بأن منعهم ما يشغلهم عنه، وتفضل على المرضى بالعافية، وتفضل على الضال بالهداية، وتفضل بالهداية والتقوى على من آمن به: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[الحديد/ ٢١].

فسبحان الكريم الحق الذي كل رسله إلى عباده كريم، وكل كتبه كريم، وكتابه القرآن أعظمها وأحسنها وأكرمها: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾[الواقعة/ ٧٧-٨٠].

فهو قرآن كريم، فيه الهدى والبيان، والعلم والحكمة، والتوحيد والإيمان، والفضائل والبشائر، والسنن والآداب، والثواب والعقاب، وكل خير ونور، يهدي إلى الحق، وإلى طريق مستقيم، كما قالت الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾[الجن/ ١-٢].

فسبحانه الملك الحق المتفرد بالعطاء والمنع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وسع عطاؤه وإحسانه في الدنيا الخلق كلهم، أما يوم القيامة فعطاؤه الذي لا يخطر بالبال خاص بالمؤمنين به: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف/ ٣٢].

فسبحان الكريم الذي عم بعطائه وإحسانه جميع المخلوقات، وملأ كونه العظيم بفضله وكرمه، ونعمه المتنوعة، فلا يخلو مخلوق من إحسانه أبدًا في كل زمان ومكان على مر الدهور والعصور، لأنه أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، وأرحم الراحمين.

هو الكريم الذي كتب على نفسه الرحمة، وأفاض على خلقه النعمة: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام/ ٥٤].

سبقت رحمته غضبه، وسبق حلمه عقوبته، وسبق عفوه مؤاخذته: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

هو الكريم، الفضل كله بيده، والخير كله منه، والملك كله في قبضته، والخزائن كلها له، أحب شيءٍ إليه البر والعطاء، والرحمة والإحسان: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

وأحب شيء إليه أن يرحم عباده، ويجود عليهم بما عنده، ويوسعهم فضله، ويضاعف أجورهم: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

هو الكريم الذي يتعرف إلى عباده بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ويتحبب إليهم بنعمه وإحسانه؛ ليعرفوه، ويسألوه، ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وحبه جل جلاله للجود والعطاء والإحسان فوق ما يخطر ببال الخلق، والإحسان أحب إليه من العدل، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة أحب إليه من العقوبة.

والله سبحانه هو الملك الذي بيده الملك، الغني الذي عنده الخزائن كلها، الكريم الذي أنعم على عباده بجميع النعم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

بيده ملك السموات والأرض، ملك الأرزاق، ملك العلوم، ملك الأمن: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

فسبحان العزيز الكريم الذي كل خير ورحمة وإحسان منه جل جلاله، فهو الكريم الذي ابتدأ خلقه بالنعم من غير استحقاق، خلقنا ورزقنا، وهدانا وأعاننا، وضاعف لنا الأجر؛ فيجب علينا الإكثار من ذكره وحسن عبادته، وكما ملأ الكون بنعمه؛ التي لا حد لها، فلنملؤه نحن بحمده وذكره وتسبيحه وتمجيده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾[الأحزاب/ ٤١-٤٤].

هو الكريم الرحيم الذي يعطي الجزيل، ويستر العيوب، ويغفر الذنوب، ويعفو عن السيئات، وينسي العبد معاصيه، وينسي الناس أعمالهم: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء/ ١١٠].

هو جل جلاله الكريم الأكرم الذي لا تتخطاه الآمال، إذا أعطى أسعد، وإذا أولى فضلًا أجزله، ثم ستره، ثم بارك فيه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾[الرحمن/ ٧٨].

هو سبحانه الكريم الذي أحسن إلى عباده بكل خير، كثير النوال والعطاء، دائم المعروف والإحسان، ذو الطول والإنعام: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾[غافر/ ٣].

هو الكريم الذي يعطي من غير منة، ولا يحوج عبده إلى وسيلة، هو العزيز الكريم الذي يعطي ما لا يحصى من النعم، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى، وإذا رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى؛ لأنه الغني الكريم القادر على كل شيء: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر/ ٦٧].

هو الكريم الذي يعطي على العمل القليل الثواب الكبير، بل أعطى عباده الدنيا كلها من هواء ونور، وطعام وشراب، وحلي ولباس، ومسكن ومركب وأرزاق: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[البقرة/ ٢٩].

هو الكريم الولي الحميد، الذي يحمي من لاذ به، هو الكريم الحميد الذي لا يَضيع من لاذ به، ولا يسلم من التجأ إليه، ولا يخيب من رجاه، ولا يرد من دعاه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة/ ١٨٦].

فأكثر أيها المسلم وأيتها المسلمة، من ذكره وحمده، والثناء عليه، فليس أحب إليه من مدحه والثناء عليه؛ ولذا حمد نفسه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[الفاتحة/ ٢-٥].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾[الأنعام: ١].

فالله ﷻ يثني على نفسه بهذه الصفات العظيمة، ويأمرنا بالإكثار من ذكره وتسبيحه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[الأعراف: ٢٠٥].

فالله سبحانه كريم، وهو أعلم بأسمائه وصفاته من خلقه، فلهذا أثنى على نفسه.

وقال النبي ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ**» أخرجه مسلم(١).

فهو سبحانه الرَب العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وكل صفة من صفاته تولد إيمانًا جديدًا، وحبًّا جديدًا، وتعظيمًا جديداً، وحياء جديداً، وعبادةً جديدةً، وطاعةً جديدةً، وتوبةً جديدةً: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

فإذا عرفنا هذه الأسماء وهذه الصفات؛ ازداد إيماننا، وامتلأت قلوبنا بالإيمان، ثم تحركت ألسنتنا بحمده، وشكره، واستغفاره، والدعوة إليه، وجوارحنا تحركت بعبادته، والركوع والسجود له: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٦٠).

رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

فكل صفة تزيد الإيمان في قلب المؤمن، وتحرك لسانه وجوارحه في عبادة الله.

هو سبحانه الكريم الذي يبسط الرزق لمن يعلم أن حاله تصلح بالغنى، الحكيم الذي يقبض الرزق عمن يعلم أن حاله لا تصلح إلا بالفقر:﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾﴾[الإسراء/ ٣٠].

فالبسط كله عن الكريم صادر، والمنع كله إلى الحكيم راجع، والعطاء كله بسط، والمنع كله قبض، والكل صادر من الحكيم العليم البصير بعباده، يبسط لمن يشاء من عباده ما شاء من الرزق، والعلم، والإيمان، والعمل، والخير، والخُلُق، ويقبض عمن شاء من عباده ذلك، وهو العليم بمن يستحق هذا وهذا:﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك/ ١٤].

فسبحان الكريم الذي يبسط ويقبض برحمته الواسعة، وحكمته الشاملة، وقدرته النافذة.

هو الحكيم الخبير الذي يبسط لمن يشاء من عباده في ماله، أو علمه، أو عمره، أو حياته، أو خُلُقه، أو عافيته، ويقبض عمَّن شاء ذلك:﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾[البقرة/ ٢٤٥].

والقبض والبسط كله بيد الله وحده لا شريك له:﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾[فاطر: ٢].

ولا يمنع أن يكون القبض والبسط والعطاء والمنع لأسباب من الناس، متى قاموا بها حصل لهم ما قدر الله لهم، فالأسباب في الدنيا محل حكمته وسنته الجارية:﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[فاطر/ ٤٣].

وقال النبي ﷺ:«**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» متفق عليه[1].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

فللدنيا أسباب، وللآخرة أسباب، لكن الله ﷻ هو القادر على كل شيء؛ يعطي بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، ويمنع بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب؛ فهو فعال لما يشاء:﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البقرة: ١٠٦].

فالإيمان بالله، وتقوى الله ﷻ من أعظم الكرامات، ومن أعظم أسباب بسط الرزق:﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٩٦﴾[الأعراف/ ٩٦].

فالعطاء كله بسط، والمنع كله قبض، وكل ذلك بيد الله الذي يقبض ويبسط وحده لا شريك له، ويحيي ويميت وحده لا شريك له، وقد يقبض الله عن عبده في الدنيا المحبوبات التي تشغله عن ربه؛ ليبسط له في الآخرة كل ما يحبه ويرضاه.

وقد يبسط الله لمن أعرض عنه في الدنيا ما يحب؛ ليعذبه به في الدنيا، ويقبض عنه ما يحب في الآخرة:﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ٥٥﴾[التوبة/ ٥٥].

واعلم رحمك الله أن البسط والقبض يدخل في جميع التدابير الربانية الملكية لربنا الكريم، وهذه فائدة عزيزة، إذا عرفها الإنسان انحلت عنه جميع العقد، ووكل رزقه إلى الرزاق، واشتغل بما طُلِب منه من الإيمان والعمل الصالح.

والبسط والقبض من ربنا الكريم يدخل في جميع التدابير الربانية على الخلائق.

فالغنى بسط، والفقر قبض، والنعيم بسط، والبؤس قبض، والحياة بسط، والموت قبض، والأمن بسط، والخوف قبض، والخصب بسط، والجدب قبض، والصحة بسط، والمرض قبض، والعزة بسط، والذلة قبض، وهكذا كل صفة تقابل الأخرى.

والقوة بسط، والضعف قبض، والفرح بسط، والحزن قبض، والرضا بسط، والغضب قبض، والإيمان بسط، والكفر قبض، والتوحيد بسط، والشرك قبض، والطاعات بسط، والمعاصي قبض، وهكذا:﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ٢٦﴾[الرعد/ ٢٦].

فسبحان العليم الكريم الذي علم الإنسان ما لم يعلم، هو الحكيم العليم الذي جعل أنواع الخير كلها بسطًا، وأنواع الشر كلها قبضًا، ليذكر العبد ربه الذي يقلب الأحوال ،ويدبر الأمور، وبيده ملك الدنيا والآخرة، ويستيقظ من غفلته، ويشكر ربه، ويصبر على بلائه، ويتوب إليه:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأنبياء/ ٣٥].

فالحياة كلها تقلب، الحياة بسط وقبض، وغنى وفقر، وأمن وخوف، وعافية ومرض، الله ﷻ يقلب الأحوال، ويدبر الأمور؛ ليستيقظ الإنسان، ويعرف أن الذي يملك هذا هو الذي يملك تغييره، هو الذي جاء بالغنى، وهو الذي يسلبه، هو الذي جاء بالعافية، وهو الذي يأتي بعدها بالمرض، فيتوجه إلى ربه ﷻ:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

فالله ﷻ حكيم عليم، الملك ملكه، والخلق خلقه، وهو رب العالمين.

هو الحكيم الذي يربي الأجسام بالطعام والشراب، وهو الذي يربي النفوس بتقليبها من حال إلى حال، من بسط إلى قبض، ومن أمن إلى خوف، ومن عافية إلى مرض.

فسبحان الخالق المالك لزمام كل شيء، يقبض ويبسط كيف شاء، وهو الحكيم العليم: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾[فاطر: ١٣].

يبسط العقل للإنسان فيفهم، ويقبضه فلا يفهم شيئًا، ويبسط القلب فيتسع، ويقبضه فيضيق، ويبسط الصدر فينشرح، ويقبضه فلا يتسع لشيء:﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[الأنعام/ ١٢٥].

وحظ المسلم من هذا الاسم الكريم أن يقبض ويبسط؛ حتى في الدعوة إلى الله، فيذكِّر الناس بالله وقدرته، ورحمته وعفوه، وإحسانه وإكرامه، وكذلك يذكرهم بعذابه وعقوبته وناره لمن عصاه:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ

﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾[الحشر/ ٢٢-٢٣].

وقال سبحانه:﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾[الحجر: ٤٩ – ٥٠].

فمن أعظم البسط الهداية للدين الحق، وأعظم القبض الضلالة عن الدين الحق:﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾[الأنعام/ ١٢٥].

والقبض حق الله منك، والبسط حظك من الله الكريم، كلما قبض الله عنك، كلما جاءك الابتلاء فاعلم أنه قبض لتعود إليه، فيعيد عليك النعمة، فتشكره وتتوب إليه، فالقبض حق الله منك؛ لأنك خالفت أمره، وهو يريد أن يربيك، لتعود إليه، والبسط حظك منه، فكلما أطعته زاد عليك النعمة، أصح بدنك وعافاك:﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾[نوح/ ١٠-١٢].

فهذا العلم الخاص علم البسط والقبض، هذا هو التوحيد لرب العالمين جل جلاله في مفعولاته، وفي مقدراته، وتقديراته في الخلق، القبض حق الله منك، رحمةً منه ابتلاك؛ ليَرُدَّك إليه، لتتوب إليه، والبسط حظك منه، فإذا أعطاك النعمة فاشكر الله على النعمة، وكل الطيبات، واعمل صالحًا، فهذه الدنيا دار مفر لا دار مقر:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾[البقرة/ ١٧٢].

فسبحان الكريم الذي بسط لعباده المؤمنين كل خير، وقبض عنهم كل شر، وجعل ما أصابهم من الشر نعيمًا في صورة عذاب، يصفي توحيدهم، ويرفع درجاتهم، ويمحو سيئاتهم:﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾[البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

فسبحان الكريم الذي أنعم على المؤمنين والكفار، وجعل ما أنعم به على الكفار

والعصاة في الدنيا مكرًا بهم، واستدراجًا لهم؛ لحرمان شاءه لهم في الآخرة: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٧٨﴾ [آل عمران/ ١٧٨].

بدل الاستكبار يعذبون بالعذاب المهين، فلما هانوا على ربهم بإعراضهم عنه، ونسيانهم له ولدينه؛ عاجلهم وأشغلهم بعذاب في صورة نعيم؛ جزاءً على عملهم السيئ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٥﴾ [الأنعام: ٤٤ – ٤٥].

فسبحان الملك الجبار الذي بيده مقاليد الأمور كلها، لا قابض لما بسط، ولا باسط لما قبض، وهو الحكيم الخبير، إذا بسط الكريم بسط؛ حتى لا فاقة أبدًا؛ وإذا قبض قبض، حتى لا فاقة أبدًا، هو الكريم، وعطاؤه كريم، وهو عظيم وعطاؤه عظيم، يقبض على الإنسان جميع أموره: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران/ ٢٦].

فسبحان الكريم الأكرم، ذي الطول والإنعام على جميع الخلق، الذي ينعم بالجزيل من الأرزاق، ويعفو عن الكثير من السيئات: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ [غافر/ ٣].

هو الغني الكريم الذي يداه بالإنعام والإحسان إلى عباده مبسوطة، ينعم بجزيل النعم، ويدفع شر النقم، ويعطي من يطيعه ومن يعصيه، ويرحم من أحسن وأساء، بره لا يُنسى أبدًا، ذو الطول والإنعام والإحسان وحده لا شريك له: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

هو سبحانه ذو الجلال والإكرام، المستحق أن يهاب لعظمة سلطانه، ويُثنَى عليه بما يليق بعلو شأنه، وجميل إحسانه، الذي له الحمد كله من جميع خلقه، ولا إكرام ولا كرامة ولا مكرمة إلا وهي صادرة منه سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ [الرحمن/ ٧٨].

فسبحان ذي الجلال والإكرام، والعظمة والكبرياء، الحي الذي لا يموت، وكل ما سواه يموت: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن/ ٢٧].

ذو الجلال في ذاته، ذو الجلال في أسمائه، ذو الجلال في صفاته، ذو الجلال في أفعاله، ذو الجلال في إكرامه، فائض منه على خلقه.

فالإكرام صفة عظيمة فائضة منه جل جلاله على خلقه، فلا جلال ولا كمال إلا وهو له، ولا إكرام ولا إحسان إلا وهو فائض منه على خلقه.

فسبحانه الملك الحق الذي جميع أسمائه وصفاته وأفعاله دالة على جلاله وجماله وكماله، وكل أفعاله تجاه خلقه إكرام ظاهر جلي، أو باطن خفي، إكرام إيجابي بالنعم الظاهرة، وإكرام سلبي بالنعم الباطنة التي هي المصائب: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

**الظاهرة**: هي النعم الحسية الظاهرة، **والباطنة**: هي المصائب.

فمن تدبر وتأمل في حياته، وتدبر في المخلوقات، وتدبر في هذا الكون العظيم؛ يرى نعم الله الظاهرة والباطنة على عباده سابغةً، فما أعظم نعم الله على الإنسان! وما أحسن إكرامه له! وما أعظم رحمته به! أعطاه ربه جل جلاله عقلًا يدرك به الأشياء، وعينًا ينظر بها إلى الأشياء، وأذنًا يسمع بها الأصوات، وجهة الصوت، ونوع الصوت: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

وأعطاه يدًا يأكل ويشرب بها، ويأخذ ويعطي بها، ويسلم ويكتسب بها، ويكتب بها، ويقرب ويبعد بها، وأعطاه الكريم أنفًا يشم به الأشياء، ولسانًا يتكلم به، وأسنانًا يطحن بها الطعام، ورجلين يمشي بهما، كل ذلك وغيره إكرام منه ذو الجلال والإكرام: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فسبحان ربنا العزيز الكريم الأكرم الذي جعل الهيبة لكل من آمن به وأطاعه، وجعل الذلة لكل من كفر به وعصاه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾[المجادلة/ ٢١].

فالرزق إكرام منه، والصحة إكرام منه، والعلم إكرام من الله، والجاه والشرف إكرام من الله، والزوجة والأولاد إكرام منه، والزوج والولد إكرام منه، وكل خير ونعمة إكرام منه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل/ ٥٣].

فإذا تمتع الإنسان بهذه النعم؛ فليشكر ربه الذي أنعم عليه بها، فإذا تمتعت أيها الإنسان بهيبة ومكانة؛ فاعلم أن الله هو الذي رفع لك ذكرك، فتواضع له: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾[الشرح/ ١-٤].

وإن أفقدك العزيز الكريم هيبتك، وجاء أحقر الناس فتطاول عليك؛ فإنما يريد العزيز أن يعلمك أن الجلال والهيبة منه، لا بسبب مالك وجاهك وقوتك وعلمك: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾[التغابن/ ١٣].

وكلما أعطاك الله ﷻ من إكرامه وإنعامه، وأكرمت الناس بذلك؛ فاعلم أن الله أكرمك به فأكرمت به.

هو الكريم الذي أعطاك فأعطيت، وأغناك فأغنيت، وعلَّمك فعلَّمت، منه وحده النعم السابغة الظاهرة والباطنة؛ لأنه وحده ذو الجلال والإكرام: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾[النساء/ ١١٣].

وإذا علمت أن الله وحده ذو الجلال والإكرام؛ فيجب أن تجله وتشكره.

وإذا علمت أنه وحده ذو الإكرام، فيجب أن تحبه، وتكرم عباده، وتعظمه، وتجل كتابه، ورسوله، وعباده، وبيوته، وشعائره، وأوامره: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾[الزمر: ٦٧].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨].

وأسماء الله ﷻ كلها توقيفية ثابتة في القرآن والسنة، ودورنا في هذا الشرح هو الجمع والإحصاء لما ورد في القرآن والسنة، ثم حفظ هذه الأسماء، ودعاء الله ﷻ بها دعاء ثناء ودعاء طلب، كما قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف/ ١٨٠].

فنحفظ الاسم ونفهم معناه ودلالته على كمال الله ﷻ،ونتعبد لله بذلك على شاكلة العبودية؛ فالله ﷻ مَنَّ علينا بأن خلقنا في أحسن تقويم، وعرفنا بآياته ومخلوقاته، وبأسمائه وصفاته، ثم دعانا للتخلق بذلك.

## التعبد لله ﷻ باسمه الكريم.. الأكرم

الله تبارك وتعالى هو الكريم الحق من جميع الوجوه، هو الكريم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وإحسانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

ولكمال ذاته وأسمائه وصفاته؛ هو أهل أن يُعبد، وأن يحمد ويشكر، وأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويعبد ولا يعبد أحد سواه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ومقتضى معرفة العبد بهذا الاسم الكريم، وباسمه الأكرم؛ أن يكون كريمًا في جميع أموره وأحواله مع ربه ﷻ، ومع نفسه، ومع الناس، وبذلك يحصل العبد على مرضاة ربه، ويظفر بمحبته؛ فالله ﷻ كريم يحب معالي الأخلاق، وكريم الفعال، ويحب المتصفين بها والدعاة إليها، وبذلك أنزل كتبه، وأرسل رسله.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» أخرجه أحمد (١).

لذلك أنزل كتبه، وأرسل رسله، وشرع دينه؛ ليُعبد الواحد الأحد، ويُشكر الواحد الأحد، ويطاع الواحد الأحد جل جلاله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦].

والتعبد لله ﷻ بمعاني أسمائه وصفاته مقصود الرب من خلقه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

- **والدين كله مجموع في أمرين:**

عبادة الحق جل جلاله .. والإحسان إلى الخلق: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩).

وفي هذا وهذا الأجر عائد على العبد لا على الرب؛ لأن الله ﷻ هو رب العالمين، الغني الذي لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان: ٢٦].

والله سبحانه كريم يحب كل كريم، وشكور يحب كل شاكر، وعفو يحب كل عفو، ومؤمن يحب كل مؤمن، ومحسن يحب كل محسن، وسلام يحب كل مسلم، ورزاق يحب كل رازق اتصف بصفاته جل جلاله على شاكلة العبودية، وهو تواب يحب كل تائب: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فمقصود الرب من خلقه التحلي بمكارم الأخلاق، وذلك بالإيمان والتوحيد، وصرف العبادة لمستحقها، ودعوة الناس إلى عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

والتحلي بمكارم الأخلاق أثقل شيء على النفس، وهي أثقل شيء في الميزان يوم القيامة؛ ولهذا مدح الله ﷻ رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤].

وبحسن الخلق يدرك المؤمن درجة الصائم القائم.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**» أخرجه أبو داود(١).

فمقصودنا من التعبد باسم الله الكريم أن نتصف بهذا الاسم، فعليك أيها العبد بطاعة الله ورسوله، ولزوم السنة، فما أكرم أحد نفسه بمثل طاعة الكريم الحق سبحانه وتعالى، ولن يُهينها بمثل معصيته: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣ – ١٤].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٨).

وعليك بأداء الفرائض، واجتناب المناهي، بوجه طلق سمح، وقلب متذلل منكسر بين يدي ربه الرحمن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك/ ١٢].

والمسلم إذا علم أن ربه هو الكريم؛ فعليه أن يتوجه إليه بكمال الإيمان، وكمال التقوى وكمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ، وأن يكرم كتابه باتباع ما جاء فيه، ويكرم أنبياءه ورسله باتباعهم، وحسن الاقتداء بهم في إيمانهم وتوحيدهم وأخلاقهم ودعوتهم، ويكرم أوامر ربه وشعائره بالفرح بها، وحسن أدائها، ويكرم نعمه بوضعها في موضعها اللائق، وشكر الله المنعم بها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات/ ١٣].

فالمسلم بقلبه ولسانه وجوارحه يطيع ربه، ويحسن إلى خلقه، هذا هو الكريم، أن تخرج المنافع مني لنفسي ولغيري، وأن أوجه هذه الأعمال إلى ربي على طريقة رسوله ﷺ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر: ٧].

والكرم فعل ما ينبغي لا لغرض إلا ابتغاء مرضاة الله: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢﴾ [الإنسان: ٩ – ١٢].

فكن كريماً محسناً تؤدي إلى كل ذي حق حقه، بطيب نفس، وسعة صدر، وإن قدرت أن تزيد فزد يزدك الله من فضله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾ [البقرة/ ٢٧٤].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم: ٧].

ذكر لي أحد الإخوة أن هناك رجلاً من التجار عنده مال مبارك، فأعطى لله ﷻ عشرة بالمائة من ماله سوى الزكاة وبدأ ينفق، وكان له مسجد، وهذا المسجد هو يصلي فيه، ثم

بدأت تزداد الناس للصلاة معه، وسؤاله من هذه المنافع والفضائل التي يضعها الله ﷻ عند بعض خلقه، من علم أو مال أو غيره، هذه المنافع إن شكروها زادت.

وإن لم يشكروها نقلها إلى غيرهم، فهذا الرجل بدأ يستلم الأوراق من الناس، ويسدد للناس الديون التي عليهم، ويبني البيوت للفقراء والمساكين، ويساعد في بناء المستشفيات، وغير ذلك من أبواب البر المختلفة، وبدأ الناس يكثرون؛ حتى صار المسجد ثلاثة صفوف، ثم هو ينفق من هنا والله يزيد أمواله من هناك.

فزاد ماله وزاد إنفاقه، فكثرت الأموال، فاستشار من حوله وقال: لعلنا نقلب المسألة؛ نعطي تسعين بالمائة نفرقها على الخلق ابتغاء وجه الله، ويكفينا عشرة بالمائة، وعمل بهذه الطريقة، فكلما يعطي الله ﷻ يعطيه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].

فالكريم جل جلاله إذا أعطى أعطى، وإذا منع منع، هو يعطي لينظر من يعطي ابتغاء وجهه، فهذا فضل الله.

قال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسُلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها**» متفق عليه(١).

وإذا كان لك أيها المسلم على غيرك حق يتعذر عليك أخذ جميعه فلا تستقصه، وأبق للتكرم موضعًا، فما استقصى كريم قط، ومن أكرم بخير أكرمه الله، وغفر له ذنوبه: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور/ ٢٢].

المؤمن كريم، ينفق على نفسه، وينفق على دينه، وينفق على غيره، فكن كريمًا، وإياك والشح والبخل، والحرص والطمع، وجميع مساوئ الأخلاق، بل كن مؤثرًا لمرضاة ربك، مقدمًا لمحبوبات ربك على ما تحب نفسك: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر/ ٩].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٨١٥).

فأنفق ينفق الله ﷻ عليك، واجتنب البخل فيما أعطاك الله من نعمة، فلا داء أدوأ من البخل، ولا شر أشر منه، فإن أعطاك الكريم علمًا فتكرم به، وعلم غيرك، وإن أعطاك مالًا فأنفقه على المحتاجين، وإن أعطاك قوةً فساعد بها الضعفاء: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٨٠].

وعامل الناس بمثل ما عاملك الله الكريم به؛ حيث لم يكلفك جل جلاله إلا بعض وسعك، ثم رد نفع ذلك عليك، وعطاؤه لك كثير، وضاعف لك الأجر، فأجره كبير، وأجره كريم، وأجره عظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠].

فتخلق بأخلاق الكريم، وكن كريمًا على نفسك، وعلى غيرك.

واحمد الكريم الذي خصك بالتوحيد والإيمان، وأعانك على ذكره وشكره وحسن عبادته، وعافاك في الدنيا من السجود للصنم، وقطع عنك ما يحول بينك وبينه؛ حتى لا يشغلك به عنه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة/ ٥٤].

وسبح بحمد ربك الكريم الحكيم الذي يعسر على عباده ما يشغلهم عنه، وييسر لهم ما يعينهم على طاعته، وما يغنيهم عن سواه، ويفتح على جميع خلقه ما يسعدهم ويصلح أحوالهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

فهو الكريم الذي يستر على العصاة وهم المجاهرون، هو الكريم الذي يحسن إليهم وهم المسيئون، هو الكريم الذي يعفو عنهم وهم الظالمون، ويصبر على أذاهم وهم المعتدون: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

يفعل الكريم جل جلاله هذا الكرم وهذا الإكرام على مدى الدهور والقرون مع خلقه كلهم، المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، مع جلاله وكبريائه، وعظمة سلطانه، وغناه

عن خلقه؛ لأنه الكريم الرؤوف الرحيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

هو الكريم الذي يرسل نعمه المادية، ونعمه الروحية، على الخلق كلهم في كل آن: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فهو جل جلاله غني عن العالمين، وخيره إلى الخلق مدرار ومستمر، جميع الأرزاق يسوقها الله ﷻ للخلق كلهم، سواء المؤمن والكافر؛ لأن عطاء الربوبية للجميع.

أما عطاء الألوهية فينعم به ويسعد به من آمن بالله، فعطاء الربوبية من الخلق والإيجاد والأقوات تكريم، وعطاء الألوهية تكريم وتشريف: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والله ﷻ دعانا إلى الائتمام به في حسن معاملة أكرم من خَلَقه وهو الإنسان.

دعانا لإكرام هذا الإنسان، والعناية به، والاحتفاء به وإكرامه؛ حتى نُعَرِّفه على ربه ليكبره، ونعرفه بنعمه ليشكره: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت/ ٣٣- ٣٦].

ولكي تكون كريمًا بأخلاقك صل رحمك الله من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، فهذه أصول الأخلاق العظيمة، ومنها تتفجر الأخلاق الكريمة الأخرى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

من أجل أن يعرف الناس ربهم، من أجل دعوة الناس إلى ربهم يتنازل الإنسان عن حقوقه، ويفي بحقوق غيره، فأحسن إلى من أساء إليك، وكف لسانك عن الأذى والخنا

والمكروه والفحشاء، وعود نفسك السخاء:﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف: ١٩٩].

وعود يدك العطاء، وعود لسانك الذكر والشكر والحمد والثناء لربك الكريم، وعود لسانك الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله ﷻ، وصن نفسك عن شر الأمور.

هذا هو التعبد لله باسمه الكريم، أن تعمل الفضائل، وتجتنب الرذائل، أن تتحلى بالأخلاق الكريمة التي تخرج المنافع من بدنك، ومن قلبك لنفسك وللناس:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل: ٩٠].

وصن نفسك عن شين الأمور، وتنزه عن اللؤم والغرور، وسائر الصفات الذميمة، وترفع عن الدقة والاستقصاء في الأمور، فما استقصى كريم قط، واصفح عن المعتدين، واعف عن الجاني؛ يَعْفُ الله ﷻ عنك:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران: ١٥٩].

وأحسِن للمسيئين، وتجاوزْ عن المذنبين، واشمل بمعروفك من استطعت من الخلق، من إنسان أو حيوان، مسلم أو كافر، أحسن إلى الناس جميعًا، واعلم أن إساءتك إلى مجوسي أو عابد صنم أو ملحد أو مشرك كإساءتك لمسلم؛ لأن هذا عَرَف الدين من خلال إساءتك أنه عدوان وظلم وجور، فأبعدته بسوء أخلاقك عن الدين بهذه الإساءة، ولهذا الله ﷻ يقول:﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[الممتحنة/ ٨].

فعليك بحسن الأدب مع ربك بتوحيده والإيمان به، وحسن تقواه.

وحسن الأدب مع نفسك بحملها على الطاعات، وزجرها عنالمعاصي.

وحسن الأدب مع أهلك بحملهم على طاعة الله، والعناية بهم، والإنفاق عليهم.

وحسن الأدب مع جيرانك وأقاربك، تعاهدهم بالمال والنصيحة، وانشر فضائلهم، واستر معايبهم، واقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وتغافل عن زلاتهم، وأَقِلْ

عثراتهم، ولا تطالبهم بكل حقك عندهم؛ وتذكر أنك لم تؤدِّ الحق الكامل لربك: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء/ ٣٦].

وبهذه الأخلاق العالية والأقوال الحسنة ينبسطون إليك، وتملك زمامهم بيديك، ويأسر حبك قلوبهم، ويرضى الله عنك، ويفتحون لك قلوبهم، ويقبلون كلامك؛ فتؤثر فيهم، ويكونوا في صحيفتك: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

فما أعظم حسن الخلق! وما أعظم حلم الكريم جل جلاله على خلقه! وما أسوأ أدبهم مع ربهم! فهم يعصونه بنعمه مع عظيم سلطانه، وجزيل إنعامه، ودوام مشاهدته لهم.

وهم يشركون به، وهو يتودد إليهم، ويدعوهم إلى التوبة: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[المائدة: ٧٣ – ٧٤].

فسبحان الكريم الذي يتودد بنعمه إلى خلقه؛ حتى يعرفوه، ويحبوه ويعبدوه، لما يرون من عظيم عطائه، وجزيل إحسانه، وعظمة جلاله وكبريائه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

فسبحان من حلمه وكرمه وعفوه ورحمته وإحسانه مبسوط لجميع خلقه؛ حتى أخرجهم ذلك إلى عصيانه جهارًا؛ وذلك لكمال حلمه، وقلة مطالبته إياهم بكل حقه، وكثرة صفحه عن زلاتهم، ودوام ستره لمخازيهم، وعظيم صبره على أذاهم، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ حليم يمهلهم ليتوبوا: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾[فاطر/ ٤٥].

فمن أراد أن يجتمع بالكريم، فليتعرف على الكريم جل جلاله، ومظاهر كرمه في ملكه، ويكون عبدًا للكريم، عبدًا للرحمن، عبدًا للعزيز، ليكون عزيزًا، وليكون كريمًا لابد أن يستشعر الإنسان أنه عبد للكريم، وعبد الكريم لابد أن يكون كريمًا، وأعظم الكرم هو الاتصاف بالصفات التي يحبها الله من التوحيد والإيمان والتقوى، وسائر الصفات التي اتصف الله ﷻ بها، ودعانا للاتصاف بها:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٠].

ومن أعظم الكرم أن تعبد ربك كأنك تراه، تعبده بقلبك وجوارحك، تعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا مقام الإحسان، وإياك أن تجعله أهون الناظرين إليك، فتستتر من سواه، وتبارزه بالمعاصي كأنك لا تراه ولا يراك؛ فاتق الله ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٧- ٢٢٠].

وقدم رحمك الله مراد ربك منك على مرادك منه، فهو يريد أن تكون عزيزًا، تكون كريمًا، تكون من المحسنين، من المؤمنين، من المتقين.

قدم مراد ربك منك، على مرادك منه؛ لأنه يريدك له، فكن عبدًا للمؤمن، عبدًا للقوي، عبدًا للكريم، عبدًا للغني، وأكمل محبوباته في الدنيا؛ يكمل لك محبوباتك في الآخرة، وكن من خواصه وأوليائه تَنَلْ رحمته ورضوانه، وتنعم بكرمه في الدنيا والآخرة:﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة/ ١٠٠].

أنعم الله عليك بأنواع التكريم فكن كريمًا؛ فالمؤمن كريم بوقته، كريم بماله، كريم بعلمه، كريم بنفسه، فإذا أكرمك الله فكن كريمًا؛ فالكريم حقًا من اتصف بالصفات التي يحبها الله، الكريم حقًّا من إذا ابتُلي صبر؛ لأن الله ﷻ يريد أن يكرمه بالصبر، فالصبر جوهرة عظيمة، فإذا أراد الله ﷻ أن يستخرج منك هذه الصفة، ويصفك بها؛ ابتلاك ببلية؛ حتى تظهر عبودية الصبر في حياتك:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ

وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة/ ١٥٥ - ١٥٧].

والحلم جوهرة عظيمة، وإذا أراد الله ﷻ أن يستخرج منك صفة الحلم؛ لتكون حليمًا، إذا أراد منك أن تكون حليمًا ابتلاك بسفيه يؤذيك، ويخطئ في حقك، ويسيء إليك؛ ليستخرج منك هذه الجوهرة وهي الحلم، فلا تنظر إلى سفه السفهاء عليك، ولكن انظر إلى جمال المبتلي ماذا يريد منك؟ يريد منك ألَّا تقابل السفه بالسفه، بل تقابله بالحلم والعفو والصفح: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤ – ٣٥].

وإذا أراد الله ﷻ أن يستخرج منك عبودية الشكر؛ أعطاك نعمة، وأمدك بالخيرات والأقوات؛ فزاد مالك، أو زاد علمك، فإذا أراد أن يستخرج منك عبودية الشكر أعطاك؛ لأنه لا شكر إلا بعد رؤية النعمة، نعم على نفسي، ونعم على غيري، ونعم في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، ونعم يوم القيامة، ونعم في الدنيا؛ فنعم الله لا تُعد ولا تُحصى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

فإذا أراد الله أن يستخرج منك عبودية الشكر؛ أعطاك علمًا، أو أعطاك مالًا، أو أعطاك أولاداً أو أعطاك عافيةً؛ لينظر هل تشكر أم تكفر، فالعبد في مقامين إما أن تكون من الشاكرين، أو تكون من الصابرين، شاكرين على النعم، أو صابرين على البلايا.

فالمؤمن من إذا ابتُلي صبر، وإذا أُعطي شكر، وإذا أذنب استغفر، الكريم من العبيد من خشي الله في السر والعلانية، وعدل في الغضب والرضا، واقتصد في الفقر والغنى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

الكريم حقًّا من العبيد من إذا سُئل أعطى، وإذا عاهد وفَّى، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى، هذا هو الكريم من العبيد، لأنه كلما ينفق؛ الله يخلف عليه النفقة: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

الكريم حقًّا من العبيد من وصل من قطعه، وأعطى من حرمه، وعفا عمن ظلمه، وأحسن إلى من أساء إليه، الكريم حقًّا من العبيد من اتقى الله ففعل ما أمره الله، واجتنب ما نهى الله عنه: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات/ ١٣].

الكريم حقًّا دائم العبودية والذكر لربه ﷻ؛ فصمته ذكر، ونطقه ذكر لربه، ونظره عبرة، فهل أنت أيها المسلم كريم؟ وهل أنت عبد للكريم؟ وهل تحب مكارم الأخلاق؟

الكريم من العبيد من إذا هجرتَه وصلك، وإذا مرضت عادك، وإذا استعنته أعانك، وإذا سلمت عليه أجابك، وإذا غبت عنه سأل عنك، وإذا مت شهد جنازتك.

الكريم من العبيد حقًّا من إذا سألته لام نفسه، لماذا تركته ونسيته حتى لجأ إلى سؤالي، لماذا لم أسأل عنه قبل أن يسألني، هذا هو الكريم الذي تخرج منه منافع؛ ولهذا أكرم الناس هم الأنبياء؛ لأنهم تخرج منهم كرامات للناس ومنافع للناس: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

فالله كريم، وكتاب الله كريم، وملائكته كرام، وأنبياؤه ورسله كرام، وأنا يجب أن أتصف بصفات الكريم على شاكلة العبودية؛ فأكرم نفسي بطاعة الله، واجتناب معصية الله ﷻ.

والمؤمن أكرم الناس تعبداً للكريم الذي خلق أباهم بيده، واحتفي بهم، وأكرمهم، وأحسن إليهم لعلهم يهتدون إلى ربهم ويعودون إليه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾

[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

فالكريم من أسماء الله الحسنى العظيمة، التي يجب علينا أن نتخلق بها؛ لنكون بأعلى درجات الكرم، ومن أراد الكرامة فليتكرم في الدنيا: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢﴾ [البقرة: ٢٦٢].

الكريم من البشر يتغافل ولا يغفل، واللئيم يدقق في العيوب، ويستوفي جميع الحقوق؛ فلا يتنازل عن شيء من ماله، وأي زلة يذكرها، ينشر القبائح ويستر الفضائل.

فاللهم إنا نعوذ بك من جار السوء؛ إن رأى خيرًا كتمه، وإن رأى شرًا أذاعه، ونعوذ بك من إمام سوء؛ إن أحسنت لم يقبل، وإن أسأت لم يغفر.

فالله ﷻ هو الكريم الذي أكرم بكل نعمة، الكريم الذي يستر العيوب، ويغفر الذنوب، ويضاعف الأجور، فيجب أن نتصف بهذه الصفات، نستر عيوب الناس، ونغفر الذنوب، ونضاعف الأجر لمن عمل لدينا.

هو الكريم الذي يعطي على العمل اليسير الأجر الجزيل، فالإنسان يعمل في عمر قصير، ويُعطى جنة عظيمة مخلدًا فيها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧ – ٨].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا**» أخرجه مسلم(١).

فالله ﷻ ملك الملوك، الغني عن كل ما سواه، يرضى عنك بأكلة واحدة أو شربة واحدة تحمد الله عليها، والكلمة الطيبة صدقة، والاستغفار لله يسقط جميع الذنوب: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

هذا من كرمه جل جلاله، فالاستغفار يسقط جميع الذنوب فيما بينك وبين ربك، البشر لا يسقطون ديونك عنك، لكن الله ﷻ اسمه الغفار، واسمه الغفور، فهو غافر الذنب جل جلاله، والمغفرة أحب إليه من الانتقام والمؤاخذة: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

والقوي الكريم،الغني عن كل ما سواه؛ يدعوك لتطيعه لتفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة، والنفع عائد عليك، مع أنه قادر على إجبارك لو أراد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤).

﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

تودد إليك بأن هذا العمل نفعه عائد عليك، والله قادر أن يجبر الناس على ما أراد كما أجبرهم على هذا الخلق، وهذا اللون، وهذا النوع من ذكر وأنثى، وطويل وقصير، وأبيض وأسود: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ [الشعراء/ ٤].

لكنه كريم، فالأمر من الأوامر الشرعية من كرمه، والتعليم من كرمه؛ والأجر من كرمه، حتى نقبل على العمل، فنؤديه لله بكمال الحب والتعظيم والذل لله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

- **فهذه ثلاثة أمور:**

الأوامر الشرعية والكونية من كرمه، حتى نعرفه ونعبده.

والتعليم للأوامر من كرمه؛ حتى نقبل على الطاعة، ونحذر المعصية.

والأجور من كرمه؛ لأننا عبيده لا نستحق عليه شيئًا؛ لأننا مماليكه.

والعبد لا يستحق على سيده شيئًا؛ لأنه ملكه، لكن من كرمه أنه بين لك الحق، ويسره لك، وحببه لك، وأعانك على عمله، ثم ضاعف لك أجره؛ لأنه كريم.

أما المخلوق فلا يسمى كريمًا؛ حتى يكرِم، لكن الله كريم قبل أن يخلق من يكرم، هو واحد قبل أن نوحده، وكبير قبل أن نقول: الله أكبر، وحميد قبل أن نحمده، وقبل أن يخلق الحامدين له وغفور قبل أن يخلق المستغفرين له: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨].

فما أعظم نعم الله على عباده: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ۝٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

واعلم أنك لن تصل إلى الله إلا إذا تخلقت بكمال موهوب من الله.

فالله هو الكريم الوهاب، الذي وهب العلم، وهب الكرم، وهب الرزق، وهب الرحمة، فتخلق بكمال الموهوب من الله، فأنت كريم إذ اتصلت بالكريم، ومن كان في معية العزيز فهو عزيز، ومن كان في معية الملك فهو ملك، ومن كان في معية الكريم فهو كريم.

ولا يكون في معية الكريم إلا كريم، أما اللئيم فالكريم لا يحبه جل جلاله، فإذا اتصلت بالكريم فأنت كريم.، فلابد للمسلم أن يتعرف على الكريم، ويتصل بالكريم، ويتخلق بأخلاق الكريم، لكن على شاكلة العبودية:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف: ١٨٠].

والكريم والأكرم على الإطلاق هو الله ﷻ، أما العبد فهو كريم إذا أكرم بما أكرمه الله به من مال، أو علم، أو جاه، أو قوةٍ، أو أي نعمة من النعم، فهو لا يكرم إلا إذا أكرمه الكريم الأعلى جل جلاله:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل: ٥٣].

والكرم اسم جامع لكل ما يُحْمَد من الأقوال والأعمال والأخلاق، فالكريم على الإطلاق واحد لا شريك له، فهو الكريم سبحانه، وكل ما سواه من كرمه، وكل كرم من الناس فهو من فضل الله الكريم وحده لا شريك له.

هو الأول في الكرم، الآخر في الكرم، العظيم في عطائه، الكبير في ذاته، العليم بكل ذرة، الحفيظ لكل كلمة، البصير بكل شيء، المحسن بكل شيء:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢].

هو الكريم الذي كل خير ورزق منه جل جلاله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾[آل عمران/ ٣٧].

فهو جل جلاله الكريم الأكرم، البر الرحيم بعباده، الذي لا ينفد ولا ينقطع عطاؤه وإحسانه إلى خلقه، الذي يعفو عن الذنوب، ويستر العيوب، ويضاعف الأجور.

فهو العظيم الذي لا يعطي إلا العظيم، يعطي المؤمن جنة عرضها السموات والأرض، بل يعطيه عشرةً أمثال هذه الدنيا؛ لأنه كريم، والعطاء أحب إليه من المنع.

والمسلم إذا عرف ربه بالكرم والجود، والإحسان والإنعام؛ أحبه وحمده، وأطاعه بقلبه ولسانه وجوارحه، وفَعَل ما يحبه ويرضاه، واجتنب ما يسخطه ويكرهه، وبادر بالتوبة مما لا يرضيه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

ومَنْ أحبَّ الله أحب كل من آمن بالله، وأحب كتبه، ورسله، وملائكته، ودينه، وعمل بكل ما يحبه الله ويرضاه.

ومن عرف الله بصفة الكرم والإحسان والإنعام؛ استحيا منه، وسارع إلى ما يرضيه،وانكسر بين يديه، وملأ أوقاته بحمده وشكره على إكرامه له، وستره عليه، ومغفرته لذنوبه، فمع كثرة الذنوب من جميع الخلق لم يمنع الله عطاءه وكرمه عنهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

هذا الهواء لعموم الناس، نور الشمس لعموم الناس، الأرض تعطي النباتات لعموم الناس، الحيوانات تتناسل لعموم الناس، فيأكلون من لحومها، ويشربون من ألبانها، هذا عطاء الربوبية، وليس له إلا باب واحد؛ باب الله ﷻ؛ فهو الذي خلق جميع المخلوقات، وسخرها لنا: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

هو الكريم الذي منه جميع النعم، فما سوى الله إما نعمة، أو منعَم عليه، كل ما سوى الله نعمة، كل ما سوى الله من خلق السموات والأرض، والهواء والجبال، والبحار والأنهار، والنباتات والجمادات، والحيوانات، وكل المخلوقات، كلها من نعم الله ﷻ، ومنعَم عليه وهو هذا الإنسان الذي يتنعم بهذه النعم، لعلها تذكِّره بربه؛ ليشكره على هذه النعم: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

فإذا عرفتم ذلك فاعبدوه جل جلاله، لأنه هو المستحق للعبادة، فالعبد إذا عرف ربه الكريم، ورأى مظاهر كرمه في هذا الكون، وتقلب في نعمه، يراها تصل إليه وإلى غيره؛ فيتعلق بالله وحده، ويتوكل عليه، ويفوض أموره إليه، ويسأل حاجاته منه؛ لأن الله ﷻ

عزيز يغار على عبده أن يسأل غيره، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فالخلائق كلها ليس بأيديهم شيء، الأمر كله لله، الأمر من قبل ومن بعد لله:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف: ٥٤].

فحوائج الخلق بيد واحد، المفتاح بيد واحد؛ فلا نتوجه إلا إليه، والله خلق الأحوال؛ لينظر أين نتوجه في الأحوال؟ في حال الفقر، أو المرض أو الخوف، أين نتوجه؟ إلى المخلوق أم إلى الخالق؟ فإن توجهنا إلى الخالقفالله يقضي الحاجة مباشرةً، كما دعا يونس ﷺ في بطن الحوت، فالله ﷻ استجاب له ونجاه من الغم:﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنبياء: ٨٧ – ٨٨].

ودعا نوح ﷺفالله ﷻ أنزل من السماء ماءً، وفجر من الأرض عيونًا.

ودعا أيوب ﷺ فكشف الله عنه الضر، فالله يأتي بالأحوال؛ لينظر أين يتوجه العبد في حال الأحوال المكروهة؟ هل يتوجه إلى الحال؟ إلى المخلوقات؟ أم ينظر إلى جمال المبتلي، وأنه يريد أن يستخرج مني عبودية الصبر، فكن الأول في الصبر، الأول في الحلم، الأول في الكرم.

الله هو الأول، فعلي أن أكون الأول، في الصف الأول، في الأقوال الحسنة، في الأعمال الصالحة، في الأخلاق العالية:﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[الزمر: ١١ – ١٢].

الله ﷻ كما خلق الإنسان في أحسن تقويم، يريد منه أن يأتي بأحسن عمل، وأحسن قول، وأحسن عبادة، وأحسن خلق:﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[يونس: ٢٦].

فمن عرف الكريم استحيا منه أن يعصيه في ملكه، وهو قاعد على موائد نعمه.

من عرف الكريم تعلق به وحده، وتوكل عليه وحده، وتوجه إليه في جميع حاجاته.

إن كان مريضًا يسأل الشافي أن يشفيه، وإن كان فقيراً يسأل الغني أن يغنيه، وإن كان ضعيفًا يسأل القوي أن يقويه؛ لأن عنده خزائن القوة؛ لأنه الكريم الذي لا نهاية لكرمه، فيطمع العبد في كرمه ورحمته، ولا يلتفت لأحد سواه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

والمكرَم هو من آمن بالله، واتصل بالكريم، ووقف بباب الكريم، يستغفره، ويكبره، ويسأله، ويحمده، ويدعو الناس إليه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وعطاء المال والبنون والأولاد، هذا ليس دليلًا على الرضا: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء/ ١٨- ٢٠].

مذمومًا: لا حامد لك، مخذولًا: لا ناصر لك.

فالله سبحانه كريم، يحب الكريم، يحب المحسنين، يحب الشاكرين، يحب أهل الكرم من عباده؛ فكن كريمًا بأخلاقك، وخالق الناس بخلق حسن: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

وكن كريمًا بوقتك، اجعله في طاعة الله، والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحتاج: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء/ ١١٤].

وكن كريمًا بعلمك؛ فعلم الجاهل، وذكر الغافل: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

واجعل كل وقتك في عبادة الله، والدعوة إلى الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

كن كريمًا صابرًا على ما يصيبك في سبيل الله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وجزاء الصبر لله لا حد له: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

صِلْ من قطعك، وأعط من حرمك، واعْفُ عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، من أجل أن يأتي الدين في حياة الناس.

﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٤].

والمؤمن كريم بأقواله وأعماله وأخلاقه وأمواله؛ لأنه شكور يشكر النعمة بالانتفاع بها، وينفع الناس بها، ويشكر الله عليها: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن/ ١٧].

فالمؤمن خصه الله ﷻ بأنواع الإكرام والكرامات، فهو دائم الإكرام لنفسه ولغيره: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى/ ١٤ - ١٥].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

والله سبحانه هو الكريم، ما قبض إلا ليبسط، وما منع إلا ليعطي، وما ابتلى إلا ليعافي فإن كنت جاهلًا بهذا فاسأل الكريم أن يعلمك: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه/ ١١٤].

وإن كنت فقيرًا فاسأل الكريم الغني أن يُغنيك ويرزقك من فضله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

وتوسل إلى ربك بحسن الاستقامة:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦].

هو سبحانه الحي بكامل الصفات: صفة الكرم، صفة العفو، صفة الإحسان، صفة الرزق، صفة القوة، صفة الحلم ، والله يمدح نفسه بأنه الحي، وحي بكامل الصفات: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

وإن كنت ضالًّا فاسأل الكريم الهداية، «**يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**»أخرجه مسلم(١).

اسأل ربك الكريم الهداية في كل وقت، في كل صلاة:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٧].

اسأل الله يفتح لك أبواب الهداية، فهو كريم يحب أن تكون في أعلى مقام، وفي أعلى عمل، وفي أعظم القصور يوم القيامة:﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر: ٥٤ – ٥٥].

وإن كنت مذنبًا فاسأل العفو الغفور أن يغفر لك:﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف/ ٢٣].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠].

وإن كنت مريضًا؛ فاسأل الكريم الشافي أن يشفيك:﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٨٠].

والله ما جاء لك بالمرض إلا ليستخرج منك عبودية الصبر، ويريد منك أن تتوجه إليه في قضاء حاجتك، فقضاء الحاجات بيد الله ﷻ قد تكفل بها:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠].

فالإجابة حاصلة من الكريم قطعًا، لكن الله ﷻ يريد أن نتعود على سؤاله في جميع الأحوال، ولا نذل أنفسنا لغيره من مخلوق مثلنا، أو مخلوق دوننا من أحجار وأصنام، فالكريم يغار على عبده أن يسأل اللئيم، أو يسأل البخيل، أو يسأل الفقير.

بل اسأل الغني الكريم القوي القادر،الذي أوصل إليك رزقه في بطن أمك، وفي بطن الدنيا، وفي البر، والجو، والبحر؛ لأنه سبحانه الكريم الذي خيره مدرار على جميع المخلوقات، الكريم الذي يعطيك كل خير، ويصرف عنك كل شر: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤].

هذه أسماء ربنا وصفاته؛ إذا عرفناها توجهنا إليه، ولم نلتفت إلى أحد سواه، الله عزيز يريد مني أن أكون عزيزًا، والله قوي يريد مني أن أكون قويًّا، والله رحمان يريد مني أن أكون رحيماً،والله كريم يريدني أن أكون كريمًا، والله مؤمن يريدني أن أكون مؤمنًا، فالأمور كلها بيد الواحد الأحد؛ فالملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره، جادَ بكرمه على كل أحد، ولم ينس أحدًا: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٧– ١٨].

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[فاطر/ ٢].

هو الواحد الأحد، القادر على كل أحد، الغني عن كل أحد: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة: ١٦٣].

وإذا كان النبات كريمًا، والحيوان كريمًا، فأنت يجب أن تكون كريمًا؛ فتعبد الكريم بما يليق بجلاله، وتدعو الناس إلى الكريم لينالوا كرامته، وينعموا بفضله وإحسانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾[النحل: ١٢٥].

فتدعو الناس إلى الكريم لينالوا من كرمه، وينعموا بفضله في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠- ٣٢].

فيا عبد الكريم، ويا أمة الكريم، لقد أكرمكم الله الكريم بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية، فلنكن جميعًا كالملائكة في الطاعة والعبادة، ولنكن كالشمس تجري في الكون بالنور والإنارة، وكالسحب تمر بكل البلاد وتسقي الأنعام والعباد، وكالأرض إذا نزل عليها بأمر الله ماء السماء؛ أنبتت من كل زوج بهيج، وأنبتت من كل زوج كريم: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾[آل عمران/ ١١٠].

﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾[آل عمران/ ٧٩].

﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾[الحج: ٥ –٧].

فالحمد لله رب العالمين أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وأكرمنا بأنواع الكرامات التي أعلاها، الهداية لهذا الدين، ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة: ٣].

الله ﷻ هو الكريم الأكرم، أجود من سئل، وأكرم من أعطى، وأحب شيء إليه أن يرجى ويؤمل، ويسأل، ويدعى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)﴾ [غافر/ ٦٠].

هو جل جلاله الكريم الأكرم، الذي خلق الخلق، وسخَّر لهم ما في السموات والأرض، ثم أكرمهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وشرع لهم الدين، وأذن لهم في مناجاته وسؤاله في أي وقت أرادوا: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧)﴾ [الحجرات: ١٧].

والله ﷻ كريم، حي، قيوم، لا ينام، ولا يمل؛ ولا يغفل، ولا ينسى.

الله ﷻ سميع بصير لجميع مخلوقاته، ومَنَّ علينا بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وهدايتنا إلى الصراط المستقيم.

فالحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ملء السماء، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، والحمد لله حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

والكريم سبحانه من كرمه أن شرع لعباده التوبة من الذنوب؛ ليتوب عليهم، وأمرهم بالاستغفار ليغفر لهم، ورغبهم في الرحمة ليرحمهم: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)﴾ [البقرة: ١٦٣].

ورغَّبهم في السؤال ليعطيهم، ورغبهم في الاستغفار ليغفر لهم: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤)﴾ [الأنعام/ ٥٤].

فسبحان الكريم الأكرم الذي شرع لعباده من الطاعات ما يمحو به الذنوب، ويرفع به الدرجات، ويزيد به الحسنات، من الأدعية والأذكار، والوضوء والصلاة، والصدقة والزكاة، والصيام والحج، وصلة الأرحام، وغيرها من القربات والطاعات الموصلة إلى روضات الجنات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ

زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢- ٤].

فبادر رحمك الله إلى فعل ما يحبه الكريم ويرضاه؛ تسعد في الدنيا والآخرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

واعلم نور الله قلبك بحسن معرفته، واستعمَل جوارحك في حسن عبادته؛ أن الكريم الحق منه التوفيق والعطاء أولًا وآخرًا، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم، الـمُلك ملكه والخلق خلقه، والأمر أمره، وعباده وخلقه هم محل إحسانه ورحمته، فالعبيد كلهم له، والمال كله له، والدين كله منه والثواب كله منه، وكل ما في الكون من نعمه وحده: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

وكل نعمة، وكل فضل، وكل إحسان، يدل على الكريم الأكرم سبحانه، ويتطلب منا الشكر والحمد والثناء؛ باستعمال النعمة في موضعها، وشكر الله عليها، والاستعانة بها على طاعة الله.

هو الكريم جل جلاله في العالم العلوي والعالم السفلي، الكريم في الدنيا والآخرة، هو الكريم جل جلاله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وهو الأول في الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

ومَنْ هذا شأنه، وهذا إحسانه، وهذا كرمه؛ كيف لا يحبه العبد؟ وكيف لا يستحيي منه جل جلاله؟ وكيف لا يخاف منه؟ وكيف يقبل أن يصرف شيئًا من أنواع العبادة إلى غيره؟ وكيف يستأنس بغيره ويعرض منه؟ وكيف يتعلق بغيره ويبتُعد عنه؟ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج/ ٤٦].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن

دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف/ ٤- ٦].

فالحق واضح وأبيَن من كل بيِّن: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج/ ٤٦].

ومن يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم هداةً مهتدين، فاللهم اهدنا، واهدِ بنا، واجعلنا سببًا لمن اهتدى.

واعلم أن الكريم قد أكرمك بالإيمان والتوحيد؛ فاعبده مخلصًا له الدين، وما أكرمك إلا لعلمه أنك أهل للكرامة؛ أهل للكرامة في الدنيا بالتوحيد، والإيمان، والعطاء من الأرزاق، وأهل لأن تكون يوم القيامة: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾ [القمر/ ٥٥].

الكريم أكرمك بالإيمان والتوحيد؛ فاعبده مخلصًا له الدين، والعبادة هي طاعة العابد لمعبوده فيما أمر به، مقرونةً بالخشوع والتذلل له، والتعظيم له جل جلاله.

فاحمد ربك الكريم الذي أكرمك بالتوحيد والإيمان، وحبَّب إليك الطاعة، فاعبده مخلصًا له الدين؛ واملأ جميع أوقاتك بذكره وحمده، كما ملأ الكون لك بفضله ونعمه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر/ ٩٨- ٩٩].

ولا يشغلك أحد من خلقه عنه ، فكن في الليل مع الكريم، احمده واسأله، وفي النهار أكرم خلقه، وعلمهم الدين، وادعهم إليه، وأحسن إليهم، وكن في الليل مع الغني؛ اسأله من فضله، وفي النهار أنفق على عباده مما أعطاك الله من مال وعلم وخلق وخير: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

أحد الإخوة من كبار النصارى درس في الفاتيكان ست سنوات، ومعه ست شهادات، وتعلم النصرانية، وأخذ رتبة عالية في النصرانية، وسبحان الله! لما أراد له الهداية ساقه ليعمل في إحدى دول الخليج، ولعلها في بلاد الحرمين، فجاء إلى هذه البلاد، وتنصر على يديه اثنان لا أدري ما جنسيتهما، ولكنه ظل يبحث عن الحق، وينشر الدين الذي جاء به.

وقال: نحن في دين النصرانية على ضلال، يقول: نحن نعبد الصليب، ولما رأى المنارة فوقها الهلال، قال: والمسلمون يعبدون الهلال، إنما نحن نعبد الصليب، وهم يعبدون الهلال، فلم يطمئن لهذا ولا هذا، ولكنه نظر للإغراء المادي والعطاء الجزيل للكنيسة، وهو يقوم بعمله بالتنصير، ولما أراد الله ﷻ هدايته، بحث عن ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، يقول: فما وجدته إلا في بلدة المجمعة، فلما وجدته فتحت الكتاب وقرأت: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة/ ١ – ٢].

هذا كلام رب العالمين كلام عظيم، ذلك الكتاب ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة/ ١].

هذه الحروف المكون منها القرآن: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة/ ٢].

من أول يوم هو حق: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة/ ٢].

صفاتهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة/ ٣– ٥].

يقول: فتأثرت من هذا، فقرأت آيات كثيرة من سورة البقرة، ثم قرأت في آل عمران، ثم قرأت في سورة مريم، وعلمت الحق في عيسى عليه السلام، يقول: فانشرح صدري للإسلام فأسلمت والحمد لله، كان اسمه دي لويس، فسمى نفسه محمد شريف.

والله ﷻ بفضله ومَنِّه أعطاه الهداية، وأسلم على يديه ما لا يقل عن عشرين ألف من النصارى من دول مختلفة، وفي أوقات مختلفة، وفي مجلس واحد -وهذا شيء رأيته أنا أسلم على يديه من كبار القساوسة ممن لهم مقام كبير في دين النصارى؛ حتى أنه أسلم على يديه شخص نصراني كان يعلق الصليب، وجاء بأكثر من مائة شخص نصراني

وجمعهم في مكان، وتكلم معهم، وكنت حاضراً في ذلك المجلس، فتكلم هو عن النصرانية.

ثم تكلم عن الإسلام، وفي ذلك المجلس أسلم تقريبًا نصف الحضور، حوالي خمسة وخمسون شخصاً، ومن النساء أسلم كذلك مجموعة.

فالله ﷻهوالذي حركه، الذي هداه هو الذي يسير الكواكب في الكون، هو الذي يسير الخلق بحسب علمه، من أراد الله به خيرًا؛ سيره في أعمال الأنبياء والرسل:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[يونس: ٢٢].

وكنت معه في السفر في روسيا، فقال لنا: تجولت في هذه البلاد، وأفسدت وأضللت الناس، ونقلتهم من الشيوعية إلى النصرانية، والآن أريد أن أدعوهم إلى الله، والحمد لله دعا إلى الله، وجاء بمجموعة وأسلمت على يديه، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فهو الكريم جل جلاله الذي يفرح بتوبة عبده، وكل الصحابة كانوا في الجاهلية يعبدون الأصنام إلا القليل من الحنفاء، وكانوا شر القرون، فصاروا بفضل الله خير القرون، فصاروا الصف الأول، واقتدى الناس بهم، وهم قدوة الناس إلى يوم القيامة، وهذا من عطاء الكريم جل جلاله:﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة: ١٠٠].

فكن في الليل مع الغني الكريم؛ اسأله من فضله، في النهار أنفق على عباده مما أعطاك الله من مال وعلم وخير، فليس الوقت لك، الوقت لله، والعمر لله، والسمع لله، والبصر لله: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام/ ١٦١- ١٦٣].

فمن سلم قلبه وجوارحه وأوقاته لله في الدنيا؛ سلمه الله يوم القيامة القصور الملكية مع الخلود والنعيم الدائم:﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[البقرة: ١١٢].

وكن في الليل مع العفو الحليم، اسأله أن يغفر لك، وأن يعفو عنك، ويحلم عليك، ويحلم على الأمة، وفي النهار اعفُ عمن ظلمك من الناس، وأحسن إلى من أساء إليك، واحلم على من أغاظك، فتجرَّع هذه المرارات واصبر على ذلك؛ ابتغاء مرضاة الله ﷻ.

ففي الليل تناجي رب الخلق: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩].

وفي النهار تحسن إلى الخلق: ﴿ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ ﴾[المزمل/ ٧].

والسبَّاح لابد أن يحرك يديه ورجليه وإلا غرق في الماء، رزقك الله لسانًا يتحرك بين الناس بالأخلاق العالية، بالأقوال الحسنة، بالفضائل، بإكرام الناس، بتأليف قلوبهم؛ حتى يقبلوا الدين الذي تحمله، فكن في النهار تعفو عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، واحلم على من أغاظك: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٤].

واعلم أن الكريم أعطاك من نعمه، وخصك بهدايته، وحبب إليك عبادته، فاجتهد على ذرية آدم ﷺ ليتوبوا إلى ربهم، ويهتدوا إلى خالقهم، وتفوز أنت بالهدى وجزيل الأجر، بالدعوة إلى الله، وتعليم أحكام دينه، وإنفاق الأوقات والأموال في سبيله

- **فالدنيا مجلسان:**

مجلس للرحمن .. ومجلس للشيطان.

فالناس إما في مجلس ملكي .. أو في مجلس حيواني .. أو في مجلس إبليسي.

فأحسن المجالس وأعلى المجالس هي المجالس الإيمانية التي يتعرف المسلم فيها على ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويتحلى بالأخلاق التي يحبها الله، ويذكر محاسن الدين بين الكفار الذين فيهم القبائح، فيعودوا يحملون المحاسن محسنين مؤمنين بربنا ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت/ ٣٣].

والدعوة إلى الله تكليف وتشريف، وتخفيف: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل/ ١٢٥].

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً». أخرجه البخاري(١).

«بَلِّغُوا»: تكليف، «عَنِّي»: تشريف؛ لأنك نائب النبي ﷺ في أمته، «وَلَوْ آيَةً» تخفيف.

فمن رحمة الله ﷻ بنا أن جعل كل واحد منا يدعو إلى الله بما معه من القرآن، وأقله آية، فلنحرص على معالي الأخلاق وجميلها، ونتصف بالصفات التي يحبها الله.

ويحذر من التعرض لسخط الرب بفعل ما يغضبه وارتكاب ما حرمه، فمن فعل ذلك وأقبل على المعاصي والمنكرات والفواحش؛ فقد استدعى من الكريم الرحيم خلاف ما هو موصوف به من البر والجود والإحسان، وعرَّض نفسه لسخط ربه وعقوبته، وأن يُصَيِّر سخطه موضع رضاه جل جلاله، وانتقامه وعقوبته موضع كرمه وعطائه ومثوبته، فالعاصي بمعصيته يجعل الله ﷻ يصير سخطه موضع رضاه: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥﴾ [الزخرف: ٥٥].

والله يحب المؤمنين، ويحب المتقين، ويحب المحسنين، لكن العاصي بمعصيته يجعل الله ﷻ ينتقم، ويرد الظالم عن أشياء تهلك الحرث والنسل: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم/ ٤١].

فالله ﷻ يستعمل من صفاته خلاف ما هو موصوف به؛ بسبب هذا العاصي، وهذا الفاجر، وهذا الكافر: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة/ ٧٨].

جاءتهم اللعنة بسبب المعصية والاعتداء: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

﴿مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة/ ٧٩- ٨٠].

فمن عصى ربه الكريم؛ فقد استدعى بمعصيته وفجوره من أفعال ربه ما سواه أحب إليه منه، وهو الجود والإحسان والبر: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الأعراف/ ٩٦].

وإذا بسط الله لك في مالك أو علمك أو جاهك أو أخلاقك؛ فأنفق مما آتاك الله من فضله، وأحسن إلى عباده كما أحسن الله إليك، وأنفق ينفق عليك: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾[الحديد/ ٧].

واشكر من بسط لك نعمه، وقبض عنك نقمه، بلزوم طاعته، ودوام ذكره وشكره وحسن عبادته، وامتثال أوامره، واجتناب نهيه؛ تسعد في الدنيا والآخرة: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[آل عمران/ ١٣٢- ١٣٣].

ومن ضيق الله ﷻ عليه في ماله، أو علمه، أو خلقه، أو جاهه؛ فليلجأ إلى الكريم وحده، وليطلب منه مدده وعونه وفضله، فلا باسط لما قبض، ولا قابض لما بسط، فهو ما منع إلا ليعطي، ولا قبض إلا ليبسط، ولكن يريد من عبده أن يسأله.

- **فإذا أكرمه فكشف عنه ضره، وأعطاه النعمة؛ فاز هذا العبد بسبع كرامات:**

توبة جديدة .. وإيمان جديد ..وحياء جديد من ربه .. وحمد جديد لربه ..وحب جديد لربه .. وتعظيم جديد لربه .. وطاعات جديدة لربه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[البقرة: ٢١٦].

وكذلك إذا كشف عنه الضر، سأل ربه أن يشفيه من المرض، فشفاه الله ﷻ؛ فحين ذلك يحصل له سبع كرامات: توبة جديدة، وإيمان جديد، وتعظيم جديد لله ﷻ، وحمد جديد لله، وحياء جديد من الله، وحب جديد للكريم جل جلاله، وطاعات جديدة خلاف ما سبق.

والنعم والبلاء هذه فائدتها أنها تعطي للمسلم هذه الكرامات، ولكن الناس تنظر إلى النعمة، وينشغلون بها أكثر، ويستغنون بها عن المنعم، أو البلاء، فيجتهدون في رفع البلاء ولا ينظرون إلى جمال المبتلي، فهو ما ابتلاك إلا ليربيك، ويرقيك إلى درجة عالية، فالبلايا تكفِّر الذنوب، وترفع الدرجات: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

فنسأل الله ﷻ أن يمن علينا بجنة المعرفة، معرفة الله بأسمائه وصفاته، ومعرفة ملكه وسلطانه، ومعرفة نعمه وإحسانه، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة وعده ووعيده، هذه جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة.

من أعظم ثمراتها: رضوان الله ﷻ، ورؤية الرب ودخول الجنة، فهذه جنة المعرفة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)﴾[الرعد: ٢٨ – ٢٩].

والمسلم يكره الموت؛ لأنه سيخرج من هذه الجنة؛ جنة المعرفة، وجنة التعبد لله، وجنة حب الله ﷻ، وجنة معرفة أحوال الأنبياء، والسير على هدي الأنبياء، نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم ذلك.

فنشكر الله ﷻ في حال البسط، ونرضى بالقضاء، واجتناب الضجر حال القبض، والحذر من مفارقة الأدب مع الله في حال البسط، بالإدلال والمنة: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥)﴾[سبأ/ ٣٥].

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)﴾[الانفطار/ ٦– ٨].

غرك حلمه، غرتك نعمه، فلا تغرنك هذه، واشتغل بأداء أوامر المنعم عن النعمة، واستعن بالنعمة على طاعة المنعم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)﴾[البقرة/ ١٧٢].

فالله ﷻ منه كل نعمة، والله غني عنك، وعن غيرك، وعن جميع العالمين: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت/ ٦].

فمن عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾ [الإسراء/ ٧].

فاجتهد في طاعة ربك، وارْضَ بما قسم الله لك، ولا تمن وتنبسط في حال البسط، ولا تشكُهُ في حال القبض؛ لعلك تنجو: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون/ ٦٠- ٦١].

فكل فضل وتوفيق منه جل جلاله، وكل معصية وذنب فهو من الإنسان: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۝٧٩﴾ [النساء/ ٧٩].

فسارع إلى الخيرات، ولا تطلب من الدنيا ما زواه الله عنك، وصرفك عنه برحمته: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦].

واعلم أن ربك ذو الجلال والإكرام وحده لا شريك له، هو القوي القادر القاهر، وهو الكريم الأكرم، هو ذو الجلال والإكرام وحده لا شريك له، واسأله باسمه الأعظم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب، فإذا حلت بك مصيبة، أو نزلت بك بلية ومُلِمَّة، أو أصابتك نكبة؛ فالجأ إلى ذي الجلال والإكرام؛ فهو قادر قوي قاهر، وكريم حليم رحيم، الجأ إلى ذي الجلال والإكرام؛ فإنه لا يقدر على رفعها عنك إلا هو: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل/ ٦٢].

فسبحان من جلاله قهر كل شيء، وجماله فتح باب القبول والوصال، وجلاله وجماله ظهر في كل شيء من مخلوقاته: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٨].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٤٧﴾

[آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت.

اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم يا كريم، افتح لنا أبواب رحمتك، واهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين، اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

## إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# اســـــم الله

# الحميد

# اسم الله الحميد

الله ﷻ هو الحميد، واسم الحميد من أسماء الله الحسنى الجامعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥].

- **وأسماء الله الحسنى من حيث معانيها تنقسم إلى أربعة أقسام:**

**الأول**: الأسماء الدالة على صفات ذاتية للرب جل جلال، والصفة الذاتية هي كل صفة لا تنفك عن الذات، ولا تعلق لها بالمشيئة؛ ومن هذه الأسماء: الحي، القيوم، السميع، البصير، العليم، الخبير؛ فهذه أسماء لا تنفك عن ذات الله، ولا تعلق لها بالمشيئة؛ فالله قوي أبدًا، عزيز أبدًا، عليم أبدًا، سميع أبدًا.

**الثاني**: الأسماء الدالة على صفة فعلية للرب ﷻ، والصفة الفعلية هي كل صفة تتعلق بالمشيئة، إن شاء الله فعلها، وإن شاء لم يفعلها، ومن هذه الأسماء:

الخالق، الرازق، التواب، العفو، الغفور، الرحيم، وغيرها من الأسماء، فالخالق جل جلاله يخلق إذا شاء، ويكرم إذا شاء، ويرزق إذا شاء، ويتوب على من يشاء، ويرحم من يشاء، ويغفر لمن يشاء.

**الثالث**: الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب عما لا يليق بجلاله، ومن هذه الأسماء: القدوس، السلام، السبوح، وأمثالها، فهو سبحانه سلام من كل نقص وعيب وآفة، قدوس سبوح، منزه عن جميع النقائص والعيوب: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ [الحشر: ٢٣].

**الرابع**: الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة حسنى للرب جل جلاله.

ومن هذه الأسماء: اسم الله العظيم، واسم الله الحميد، واسم الله المجيد، الملك، الصمد؛ وأمثالها من الأسماء العظيمة الجامعة.

فالعظيم جل جلاله مَنْ له كمال العظمة في ذاته وأسمائه وصفاته؛ فهو عظيم في ذاته وأسمائه وصفاته، وعظيم في ملكه وسلطانه، وعظيم في أقداره وفي أفعاله جل جلاله،

وعظيم بما أنزل من هذا القرآن العظيم، ومَنَّ علينا بهذا الدين العظيم.

والحميد يدل على كثرة حمده، وكثرة الحامدين له، وكثرة ما يُحْمَد عليه.

فاسم الله الحميد من الأسماء الجامعة لعدة أوصاف، يدل على كثرة حمده، فكلٌّ يحمده، هو حمد نفسه، والملائكة يحمدونه، ويسبحون بحمده، والخلائق كلها تحمده، وتسبح بحمده: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

ويدل كذلك على كثرة الحامدين له، وكثرة ما يُحمد عليه من النعم التي لا تعد ولا تحصى، الله عَزَّ وَجَلَّ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجليلة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

وعبودية هذا اللسان مرتبطة بالقلب؛ فما في القلب ينطق به اللسان، وأحيانًا ينطق اللسان بما ليس في القلب كالمنافقين.

- **وعبودية اللسان في أمرين:**

أن تتكلم مع الله .. وأن تتكلم عنه.

فالكلام معه هو العبادة، رب اغفر لي وارحمني: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

فتتكلم معه، تكبره، وتعظمه، وتسأله، وتستغفره، وتحمده.

والكلام عنه هو الدعوة فتقول: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٢- ٢٣].

وتقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص/ ١- ٣].

وقد ورد اسم الله الحميد في القرآن سبع عشرة مرة: ﴿۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

فهو سبحانه الحميد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والملك والسلطان، وله من أسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محمودًا؛ وإن لم يحمده أحد؛

فهو الحميد الذي حمد نفسه قبل أن يحمده أحد، هو الحميد المحمود عند خلقه؛ لما أَوْلاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله، وعمهم بإحسانه، الذي يحمده خلقه في كل زمان ومكان، الذي له الحمد كله في كل حال، له الحمد على نعمة السراء والضراء، وعلى كل نعمة: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

هو سبحانه الحميد الذي أسماؤه أحسن الأسماء، وصفاته أحسن الصفات، وأفعاله أجمل الأفعال، فهي دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يُحمَد عليها؛ فكل ما نراه في الكون من نعم الله، ومن بره وإحسانه إلى خلقه.

أفعاله جل جلاله دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها؛ لموافقتها الحكمة والعدل، فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف.

وأما العدل فهو أن يجازي العبد على السيئة بالسيئة: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

فهو المحمود على كل ما في الكون من خلقه وأمره وتدبيره: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

واسم الله الحميد الصفة المشتقة منه هي صفة الحمد، وهي من صفات الله الذاتية.

فهو محمود أبدًا قبل أن يخلق الخلق، وقبل أن يحمده حامد.

والله ﷻ قد حمد نفسه قبل أن يحمده حامد، وافتتح خمس سور من سور القرآن بحمده؛ فقال في سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤].

وفي سورة الفاتحة أكثر من ألف ألف مسألة، ومن تأملها بنفسه استخرجها، فكل نعمة تقتضي حمدًا، كل نفس من الأنفاس التي يتنفسها الإنسان تقتضي حمداً، الإنسان يتنفس في اليوم أكثر من أربعة وعشرين ألف نفس، على كل نفس على العبد أن يحمد الله على هذه النعمة، فالنعم في داخل الإنسان، في خلقه وتصويره، والنعم خارج الإنسان من الهواء والطعام والشراب، كل هذه النعم تقتضي حمد الله ﷻ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

﴿وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٣٧﴾
[الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

وكذلك افتتح الله سورة الأنعام بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ١﴾ [الأنعام/ ١].

هذا حمد على نعم الله المادية التي لا تعد ولا تحصى.

وكذلك الله ﷻ افتتح سورة الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ١﴾ [الكهف/ ١].

فهذا حمد على النعم المعنوية.

وكذلك الله ﷻ افتتح سورة سبأ بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١﴾ [سبأ/ ١].

وكذلك الله ﷻ افتتح سورة فاطر بالحمد؛ فقال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ [فاطر/ ١].

فسورة الأنعام تتكلم عن النعم المادية، وسورة فاطر تتكلم عن النعم المادية، وكذلك سورة سبأ، وسورة الكهف تتكلم على النعم الروحية، وسورة الفاتحة تتكلم عن النعم المادية والروحية معاً.

فالحمد صفة لله ﷻ، هو حمد نفسه قبل أن يحمده حامد من خلقه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة/ ٢].

جمعت بين النعم المادية، والنعم الروحية، هو الذي يربينا بنعمه المادية، نعمة الخلق والإيجاد، ونعمة الأقوات؛ وكذلك يربينا بنعمه الروحية، وهي: نعمة إنزال الكتب، وإرسال الرسل.

والصفة المشتقة من اسم الله الحميد هي صفة الحمد، وهي من صفات الله الذاتية، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر/ ١].

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ**

مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» أخرجه البخاري(1).

فالله ﷻ له الحمد أبدًا؛ لأنه منعم أبدًا، النعم في الدنيا والآخرة، منه وحده.

فله الحمد في الأولى والآخرة على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وعلى أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥].

فالله سبحانه محمود على صفات الجلال والكبرياء، ومحمود على صفات الجمال والإكرام؛ ولهذا اقترن اسم الله الحميد بالمجيد؛ لأنه سبحانه ذو الجلال والإكرام: ﴿ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾ [هود/ ٧٣].

فهو جل جلاله الجميل الذي له الجمال التام من جميع الوجوه، جمال الذات، فله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وجمال الأسماء والصفات، وجمال الأفعال؛ فكل أفعاله جميلة يحمد عليها، وكل صفاته جميلة يحمد عليها: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾ [طه: ٨].

فهو سبحانه الحميد ذو الأسماء الحميدة، والصفات الحميدة، والأفعال الحميدة، ولجلاله وجماله، وإنعامه وإحسانه يستحق وحده الحمد والمحامد الكاملة بأسرها على الإطلاق: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧ ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

والحمد لله هو أوسع الصفات، وأعَمُّ المدائح، والطرق إلى العلم به في غاية الكثرة؛ لأن كل نعمة لا بد أن تقرن بحمد الله؛ فالسماوات، والأرض، والجبال، والبحار، والنباتات، والحيوانات، والملائكة؛ وجميع المخلوقات هذه كلها من نعم الله ﷻ، خلقها شاهدةً بوحدانيته، ومسبحةً بحمده، ومستجيبةً لمشيئته، ومسرعةً إلى إرادته، وخاضعةً لأمره؛ لأنه الملك الواحد القهار، القاهر لكل قاهر: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فالله سبحانه ملأ الكون بنعمه، وكل نعمة مستوجبة لحمده: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٥).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان/ ٢٦].
هو الحميد الذي ملأ الكون بنعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].
﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].
وإذا عرفنا ذلك؛ شكرنا المنعم وحمدناه وكبرناه وعظمناه؛ لجلاله وجماله وكبريائه، ولعظمة إحسانه الذي لا يعد ولا يحصى.
فكل ما في الكون من النعم مستوجب لحمد الله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١].
هو الحميد الذي يحمده خلقه في العالم العلوي، والعالم السفلي، في الدنيا والآخرة، مَن في عالم الغيب، ومَن في عالم الشهادة.
فاسم الله الحميد اسم هو فعيل بمعنى مفعول، أي محمود، ويأتي حميد بمعنى فاعل أي: حامد؛ فهو سبحانه محمود وحامد، هو محمود من خلقه، وحامد لنفسه، وخلقه يحمدونه.
فهو سبحانه الحميد الذي يحمد ويثني على نفسه، وأسمائه وصفاته، وأفعاله؛ لكماله وجلاله وجماله.
فهو يحمد نفسه جل جلاله، ويثني على نفسه، وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ لأنه أهل أن يحمد لعظيم جلاله وجماله، ولكماله، فهو سبحانه أهل الثناء والمجد، والحمد الخالص؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٥].
وقدس ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله عن النقائص والعيوب، وهو سبحانه الحميد الحامد لكل من يستحق الحمد، هو حميد حامد لكل من يستحق الحمد من عباده؛ لإيمانهم به، وطاعتهم له، وحمدهم له.

هو سبحانه المحمود من عباده؛ بحمدهم له، وحسن الثناء عليه؛ لما يرونه من جلاله وكبريائه وعظيم نعمه وإحسانه.

ونحمد الله ﷻ أن أنزل علينا هذه الآية العظيمة التي جمعت جميع المحامد: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة/ ٢].

فالحمد لله: جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر، الحمد: مبتدأ، ولله: خبر؛ انتهى الكلام، الحمد شيء، هذا الشيء لا يُصرف إلا لله وحده، لما أقول: هذه الدار لمن؟ هذه السيارة لمن؟، يقال لفلان، فكأن الحمد لا يصرف إلا لمن يستحق الحمد، ومن يستحق الحمد؟ الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

فسبحان الحميد الذي له جميع المحامد والمدائح، الذي حمد نفسه، وحمده غيره؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

هو سبحانه الحميد الذي حمد نفسه على وحدانيته، وعلى ربوبيته، وعلى ألوهيته.

فالحمد لله تدل على التوحيد، وتدل على الشكر، ففيها توحيد، وفيها عبادة بتوجيه الحمد للرب.

فهو سبحانه الحميد الذي حمد نفسه على وحدانيته قبل أن يخلق الخلق، وقبل أن يخلق الحامدين له، وقبل أن يعلم الحامد كيف يحمد؛ فهو المحمود جل جلاله، وهو الكبير قبل أن نكبره، وقبل أن يخلق من يكبره، وقبل أن يخلق من مخلوقاته الكبير؛ كالعرش والكرسي، والسماوات والأرض، وغيرها: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

فهو سبحانه الحميد الذي حمد نفسه على وحدانيته، وعلى نعمه وإحسانه، وعلى دينه وشرعه، وحمد نفسه على ربوبيته وعلى ألوهيته؛ فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة/ ٢- ٤].
والله ﷻ عزيز، والعزة صفة كمال لله ﷻ، وهو الحميد، والحمد صفة كمال أخرى، واقتران العزة بالحمد صفة كمال ثالثة لله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩﴾ [البروج: ٨ -٩].
فله سبحانه الحمد على عزته، وله الحمد على إعزازه لأوليائه، ونصره لجنده، وإهلاكه لأعدائه؛ فالله يحمد على عزته، وعلى جلاله وجماله.
وهو سبحانه محمود على عزته؛ لأنها جارية على سنن الرحمة والحكمة والعدل والإحسان، فهو عزيز لا يُغلب، وهو عزيز منيع، عزيز لا يغلبه أحد، هو الغالب لكل غالب.
لكن عزته جارية على سنن الرحمة، والحكمة، والعدل، والإحسان، كم من عزيز ظالم! كم من عزيز فاجر! لكن الله عزيز، عزته مقرونة بالحمد؛ فهي عزة حمد؛ لأنها منزهة عن كل العيوب والنقائص والظلم؛ ولهذا استحق سبحانه أن يحمد على عزته.
هو سبحانه العزيز الحميد الذي عزته تجري على سنن الرحمة والحكمة والعدل والإحسان، فكل من آمن به جل جلاله، وتمسك بصراطه المستقيم، كانت له العزة؛ لأن الذي يتصل بالعزيز فهو عزيز، والذي يتصل بالملك فهو ملك، والذي يتصل بالمؤمن هو آمن، والذي يتصل بالحميد فهو محمود؛ لأنه اتصل بالحميد، واستفاد من الحميد الصفات والأقوال والأخلاق الحميدة.
فكل إنسان آمن بالله، وتمسك بصراطه المستقيم لا شك تكون له العزة، ويكون له من العزة والحمد بقدر تمسكه بهذا الصراط المستقيم؛ فهو عزيز لا يغلب، ولا يقدر أحد على إضلاله؛ فله الرفعة والعزة في الدنيا والآخرة: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٦﴾ [سبأ/ ٦].
فالله سبحانه هو الحميد، وهو الغني، وهو القوي، وله من الأسماء الحسنى، والصفات العلى ما يستوجب حمده.
وكذا الغنى صفة كمال لله، والحمد صفة كمال أخرى، واقترانهما معًا صفة كمال ثالثة، كما

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان/ ١٢].

فالله سبحانه حمد نفسه، وحمده خلقه على غناه من جميع الوجوه؛ فهو الغني، وكل ما سواه فقير إليه في إيجاده وبقائه ونفعه وضره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

فالله سبحانه هو الغني بذاته وأسمائه وصفاته عن كل ما سواه، الغني الذي يغني غيره من خلقه بما يشاء، وهذا أقصى الكمال وأعلاه.

فالله سبحانه غني عن كل أحد، يحتاج إليه كل أحد، حميد قبل أن يحمده أحد، لا يضره الإعراض عن حمده وشكره، ولا ينفعه التقرب إليه بحمده وشكره؛ بل المنتفع هو الإنسان؛ الله هو الغني الذي لا يحتاج إلى أحد، الحميد بذاته قبل أن يحمده حامد، وله جميع المحامد، وإن كفره جميع الخلائق؛ لأنه الغني عن جميع الخلائق: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان/ ٢٦].

وإذا عرفنا أنه الغني؛ فلنقف ببابه، ولا نقف بباب الفقير، وإذا عرفنا أنه الحميد؛ فللنظر لماذا نحمده؟، نحمده لجلاله وجماله وكبريائه، وعظمته، وجبروته، ونحمده على إحسانه وإنعامه؛ فهو محمود في العالم العلوي، والعالم السفلي، وجميع مخلوقاته عظيمة، والعظيم خلق كل عظيم، من صغير وكبير، والجميع يسبح بحمده، والجميع واقف بباب عبوديته، والجميع من خلقه في العالم العلوي والعالم السفلي متذلل لعظمته، متصاغر لكبريائه، مسبح بحمده، شاهد بوحدانيته: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٣ – ٤٤].

والله سبحانه حكيم، والحكمة صفة كمال لله، والحمد كذلك صفة كمال أخرى، واقتران الحميد بالحكيم صفة كمال ثالثة.

واسم الله الحميد من الصفات الجامعة لصفات كثيرة، فالحميد يقتضي اسم الحي، اسم السميع، اسم البصير، اسم الخالق، اسم الرازق، اسم الكريم، اسم الرؤوف، اسم القوي، اسم القادر، نحن نحمده لعظمته، ونحمده لإحسانه.

فالحميد اسم جامع، فإذا جُمع معه اسم آخر جامع فهذا كمال آخر، فالحكمة صفة كمال لله ﷻ، والحمد صفة كمال أخرى؛ واقتران الحميد بالحكيم صفة كمال ثالثة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت/ ٤١ - ٤٢].

فالله سبحانه حكيم ذو حكمة، وذو حُكم نافذ على ما يريد فأفعاله كلها في منتهى الحكمة، والرحمة والعدل، والإحسان والجمال والجلال، كل أفعاله، في منتهى الحكمة، فله الحكم في السماوات والأرض، وله الحكم في الدنيا والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون؛ فهو حكيم ذو حكمة، وذو حكم؛ فالحكم كله لله، وهو الحكيم في أحكامه: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨].

له حكم عالم الدنيا وعالم الآخرة، حكم العالم العلوي والعالم السفلي، وحكم عالم الغيب وعالم الشهادة.

وجميع أحكامه الكونية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية كلها في منتهى الحكمة، وربنا جل جلاله حكيم متصف بالحكم العام، النافذ على كل ما سواه، لا مانع له، ولا مدافع: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

والله سبحانه حكيم ذو حكمة، الحكم كله له: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ٥٧].

فهو سبحانه حكيم ذو حُكم، وذو حكمة؛ وهذا أقصى الكمال وأعلاه، وكم من الناس حاكم لكن لا حكمة له! لا بصيرة له! وكم من الناس حكيم لكن لا حكم له!، أما الرب سبحانه فهو حاكم له الحكم في السماوات والأرض، وحكيم كل أحكامه في منتهى الحكمة، يضع الشيء في موضعه، وهو المحمود على كل ذلك.

فالحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ملء السماء، وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

فهو سبحانه حكيم حاكم على غيره، وحكيم في أفعاله، وقدم سبحانه في هذه الآية ذِكْر

الحكيم على الحميد؛ لأن الحمد مفرَّع على الحكمة.

فالله سبحانه استحق الحمد كله على نعوت جلاله وجماله، وكمال حكمته في خلقه وأمره.

والله سبحانه محمود على ولايته؛ لأنها ولاية كمال ورحمة، وإحسان إلى الخلق؛ ولهذا قرن الله ﷻ بين الولاية والحمد بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى/ ٢٨].

هو الولي الذي ولايته ولاية رحمة ولطف، وإحسان وإكرام، وحلم وعفو، فهو سبحانه الحكيم الحميد الذي يحمد على حكمه، وعلى إحسانه إلى خلقه، وعلى غناه، وعلى حكمته، وعلى أسمائه وصفاته، ويحمد كذلك على ولايته جل جلاله؛ فهو الولي الحميد الذي أنزل كتبه، وأحسن إلى خلقه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فيحمد الحميد على حسن ولايته، فهو الولي الحميد الذي أنزل كتبه، وأرسل رسله؛ لتحقيق المصالح والمنافع الدنيوية والشرعية والأخروية، ودفع المضار والمفاسد، وهو المحمود من عباده على هذا وهذا: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص/ ٧٠].

فهو جل جلاله محمود على حسن ولايته لخلقه، وحكمه لهم بأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية، فهو المحمود على هذا وعلى هذا: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فالله سبحانه أمرنا أن نتعرف على أسمائه وصفاته؛ حتى نعبده بالحب والتعظيم والذل له، ونعرف أنه أحق من عُبد وأحق من شُكر، ونتعرف على نعمه وعلى إحسانه إلى خلقه فاعلم أنه لا إله إلا الله؛ ثم بعد ذلك استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وإذا عرفنا الله بأسمائه وصفاته وأفعاله فيجب أن نملأ الكون بحمده وشكره، كما ملأ لنا الكون بنعمه وإحسانه إلى خلقه؛ ففي كل يوم نستيقظ على عظيم نعم الله ﷻ، رُوح

عادَت، ونِعم زادت، وصبح أطل، وأمن أظل، وعافية في البدن، وعين تبصر، وأذن تسمع، ولسان يتكلم، وقلب يعلم، وعقل حاضر، ورجل تمشي، ويد تتحرك، فماذا نقول؟

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل: ٥٩].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر/ ١].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾﴾ [الكهف/ ١].

فنحمد الله ﷻ على هذه النعم العظيمة التي لا تعد ولا تحصى.

هو سبحانه الغني الحميد الذي حمد نفسه، وأثنى على ذاته؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، لا بد للقلب أن يتذكر هذه الأمور؛ ليكون الحمد بالقلب واللسان والجوارح.

الحمد لله كيف تطبيقها؟ أن ينطق اللسان بالحمد، والقلب يعرف المنعم وأنواع النعم؛ والجوارح تتحرك بأنواع العبادات حتى يكون الحمد لله كاملاً.

وهو سبحانه الحميد الذي يستحق أن يحمد لذاته وأسمائه وصفاته؛ فله الحمد في السماوات والأرض، وهو سبحانه الحميد الذي يستحق الحمد كله؛ لأنه الكريم الرحيم الذي يخلق ويرزق، والحميد الذي يعفو ويغفر، والكريم الذي يكرم ويحسن، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

هو سبحانه الولي الحميد المحمود على جميع أقواله وأفعاله، وعلى دينه وشرعه، وعلى قضائه وقدره، وعلى ثوابه وعقابه، وعلى فضله وإحسانه، وعلى ملكه وسلطانه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

فنحمده لكبريائه، ونحمده لأنه ربنا الذي أنعم علينا بنعم لا تعد ولا تحصى، وخلق هذا الكون العظيم، لنعرفه ونحبه ونحمده، ونعبده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وهو سبحانه الحميد الذي يستحق الحمد كله بجميل فعاله، المحمود عند خلقه بما

أَوْلاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله، المحمود بكل لسان، المحمود على كل حال، من جميع مخلوقاته: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه القوي المتين، الذي يحمده خلقه على عظمته وجلاله وكبريائه، وقوة ملكه وسلطانه، وجزيل إنعامه وإحسانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر: ١٣].

هو الحي، والحي صفة جامعة لجميع الصفات، حي بجميع صفات الكمال، هو الحي بالقوة، بالسمع، بالبصر، بالحكمة، بالرحمة، بالكرم: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

وهو الغني الحميد، غني عن جميع طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، لكن احمدوه لتنالوا فضله في الدنيا والآخرة: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

هو سبحانه الحميد الذي لا يفعل أبدًا إلا ما يحمد عليه، الحميد الذي يحمد على السراء والضراء، ويحمد في حالة الشدة والرخاء، ويحمد في حال العافية والبلاء: ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٦].

يحمده خلقه على المحبوب والمكروه، على العطاء والمنع، على البسط والقبض، ونعمة الله في القبض والمنع أعظم من النعمة في العطاء؛ لأن النعمة تشغل العبد عن المنعم، وأما المنع فهو يجعل العبد يقف بباب العبودية مفتقرًا إلى ربه، منكسرًا بين يديه، يسأله من فضله، ويسأله رضاه، ويستغفر من ذنبه.

هو سبحانه الحميد الذي جمع جميع المحامد، المستحق وحده للحمد على الإطلاق، وله الحمد في كل حال، في كل زمان ومكان، وكل خلقه يسبح بحمده: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [التغابن/ ١].

فلله الحمد كثيرًا كما ينعم كثيرًا، ويعطي كثيرًا، ويعفو كثيرًا، حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر/ ٣].

له الحمد بالإسلام، وله الحمد بالقرآن، وله الحمد على العطاء، وله الحمد على دفع

البلاء: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر/ ٩٨- ٩٩].

فالحمد هو العبادة، فالدين نصفان: حمد وصبر، حمد على النعم الظاهرة والباطنة، وصبر على البلاء.

هو الولي الحميد الذي والى بين نعمه، فنعمة بعد نعمة، ومنة بعد منة، هو الولي الحميد الذي والى بين نعمه ومننه، وتابع بين غفرانه وإحسانه، وأنعم على جميع الخلائق بنعم لا تعد ولا تحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾ [النحل/ ١٨].

وموجب النعمة الحمد، النعمة تقتضي الحمد لله، الله ﷻ أنعم علينا، ويوالي النعم علينا في كل يوم، والعافية والأمن والأرزاق تتوالى علينا في كل يوم، بل في كل لحظة.

فلله الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السماوات، وملء الارض، وملء ما بينهما، وملء ما شاء من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

له الحمد جل جلاله على كماله، وله الحمد على جلاله، وله الحمد على جماله، وله الحمد على آلائه وإحسانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام/ ١].

له الحمد على نعمة الخلق، خلق هذه السماوات السبع الشداد، وخلق هذه الأرضين السبع، وملأهما بالمخلوقات من عالم الجماد بأنواعه، وعالم الحيوان بأنواعه وعالم النبات بأنواعه، وعالم الإنسان بأنواعه، وعالم الجن بأنواعه، وعالم الملائكة بأنواعه؛ فله الحمد؛ لأنه رب العالمين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٢ – ٥].

وليس الحمد أن نقول فقط: الحمد لله رب العالمين؛ بل لا بد للقلب أن يعرف المنعم، ويوجه الحمد لمن يستحق الحمد، ويحرك الجوارح لعبادة الحميد جل جلاله، عبادة ربه

الحميد الذي أنعم عليه بهذه النعم: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ/ ١٣].

فسبحان الملك الحق الذي له الحمد كله! فهو المحمود سبحانه على ما خلقه، المحمود على ما أمر به، وعلى ما نهى عنه، وعلى ما أخبر به، وعلى ما وعد به: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ٢﴾ [الكهف/ ١ - ٢].

وهو المحمود جل جلاله على طاعات العباد ومعاصيهم، وعلى إيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على خلقه الأبرار والفجار، والملائكة والشياطين، وهو المحمود على خلقه الرسل وأعدائهم، وهو المحمود على عدله في أعدائه، كما هو المحمود على فضله وإنعامه على أوليائه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨﴾ [الشورى/ ٢٨].

والله ﷻ أعظم من حمد نفسه، وهو المحمود لذاته، ولو لم يقُمْ بحمده أحد من البشر، وهو المحمود قبل أن يخلق البشر؛ لأنه أهل أن يحمد ويعبد، وأن يُحب لذاته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله وإحسانه؛ فله الحمد جل جلاله، وعلى مجده وعظمته، وله الحمد على عظمة ملكه، وعظمة كبريائه وجبروته، فالعرش والكرسي، والسماوات والأرض، ومن فيهن مخلوقاتٌ لا تساوي ذرة من ملكه جل جلاله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك: ١].

فالله ملك، وهذه من مخلوقاته، وهي بالنسبة إليه.. ونعوذ بالله من أن نشبه أو نقيس المخلوق إلى خالقه، لكن الكرسي المحيط بالسماوات والأرض وما فيهن كالخردلة في ملك الله ﷻ؛ لأنه الكبير العظيم، الكبير الذي لا أول لكبريائه ولا نهاية: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو الكبير الذي لا أكبر منه، وكل ما سواه صغير، وهو الحميد، وكل ما سواه حامد له، خاضع لأمره: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾ [الحج: ٦٢].

الله ﷻ هو الحميد الذي إذا ذكرته ذكرك، وإذا شكرته حمدك، وإذا أطعته أثابك، وإذا

أثنيت عليه في الأرض أثنى عليك في السماء: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ؛ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا**» متفق عليه (١).

والحمد أعم من الشكر؛ فالمسلم يحمد ربه على كماله وجلاله وجماله، ويشكره لعظيم نعمه وإحسانه.

والله سبحانه هو الحميد الذي افتتح كتابه العظيم بالحمد؛ فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة/ ٢].

وآخر دعاء أهل الجنة: ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [يونس: ١٠].

وهذا يدل على أهمية الحمد، وعظمة الحمد، وقوة العبودية في الحمد لله ﷻ.

فجميع الطاعات كلها حمد لله ﷻ، واجتناب المعاصي كله حمد لله ﷻ.

ورسوله ﷺ افتتح خطبه بالحمد، فقال: «**إِنَّ الْحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ**» أخرجه مسلم (٢).

والصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، مشتملة على حمد الله في أولها ووسطها وآخرها؛ فالبداية في دعاء الاستفتاح: سبحانك اللهم وبحمدك، والفاتحة تقرأ في أول الصلاة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة/ ٢].

وفي الركوع: سبحان ربي العظيم وبحمده، وبعد الرفع من الركوع: سمع الله لمن حمده، ثم بعدها يقول المسلم: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا... إلى آخر الدعاء.

وفي السجود يقول الإنسان: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، وقبل السلام: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٨٦٨).

فالله ﷻ له الحمد في الأولى وفي الآخرة، وأهل الجنة آخر دعواهم: الحمد لله رب العالمين: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر/ ٧٤].

ومن نعيم أهل الجنة: كثرة الحمد لربهم، فهذه النعمة نعمة التحميد والتقديس والتسبيح لله ﷻ من فضل الله علينا أنها معنا في الدنيا والآخرة، فأهل الجنة من نعيمهم كثرة الحمد لربهم: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس/ ١٠].

وفي ختام حساب الله للخلائق يوم القيامة، وفصل الله بين العباد؛ يحمد الله نفسه على عدله وإحسانه، وتحمده الملائكة، ويحمده جميع الخلائق: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر/ ٧٥].

ورضوان الله ﷻ أعظم نعمة على العبد، يحصل بأسهل شيء، بالحمد لله رب العالمين.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا**» أخرجه مسلم (١).

فالله ﷻ جعل هذه العبودية العظيمة له جل جلاله، وعبادة الملائكة وكافة المخلوقات كلها في العالم العلوي والعالم السفلي هي التسبيح، والتحميد، والتقديس للحميد سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

والملائكة يسبحون بحمد ربهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

وحمد الله ﷻ لعباده أن يشكرهم، ويثني عليهم، ويجزيهم بأعمالهم الأجور العظيمة، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، إلى: ﴿لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ [النساء: ٦٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤).

فالله ﷻ من حمده لعباده أن يشكرهم، ويثني عليهم في الملأ الأعلى، ويجزيهم بأعمالهم الأجور العظيمة، ويجعل لهم محبة في قلوب الخلق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم/ ٩٦].

ويتولاهم الله بحفظه وعنايته؛ ويذكرهم في نفسه، ويذكرهم بالجميل في الملأ الأعلى، فمِنْ حَمْد الله ﷻ لأوليائه أنه أحبَّهم، وجعل في قلوب الخلق محبتهم، ويستجيب دعاءهم، ويقضي حاجتهم، ويرفع ذكرهم، ويعلي درجاتهم: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة: ١١].

فسبحان الحميد الذي يحمده عباده من جميع مخلوقاته، ويحمد من عباده كل قول حسن، وكل عمل صالح، وكل خلق حسن، ويجزي على ذلك الثواب العظيم جل جلاله.

الله ﷻ هو الحميد الذي يحمده أهل السماوات والأرض جل جلاله، وعم نواله.

فبيده جل جلاله الـمُلك والملكوت، وله العزة والجبروت، وله الحمد في الأولى والآخرة، فهو الحميد بكل فعل من أفعال خلقه التي توافق شرعه، والتي تكون خالصةً لوجهه، ويجزي على ذلك الثواب العظيم، والأجر الجزيل: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

وهذه الصفات الله ﷻ يحبها، ويحب من يتصف بها، ويعطي على ذلك الأجر العظيم.

وهذه الصفات من حب الله لها، وحبه أهلها أنه اشترى أهلها، واستعملهم في طاعته، من هؤلاء؟، هم من اتصفوا بعشر صفات: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١١٢].

هؤلاء أهل الصفات الذين اشتراهم الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة/ ١١١].

هذه صفاتهم، وهذا جزاؤهم، والله يحمدهم على هذه الصفات، ومن حمده لهم أن قبلهم

في هذه الدنيا عبادًا له، وحبب إليهم الإيمان، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وأعانهم على طاعته، وضاعف لهم الأجر؛ فكل هذا من حمد الله ﷻ للعبد.

فالله سبحانه هو الحميد الذي له الحمد كله من جميع الوجوه، الحميد الذي لا أحمد منه لنفسه، فأحق من حمد الله هو الله ﷻ، أثنى على نفسه بأن له الحمد كله فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤].

فله الحمد كله من جميع الوجوه، الحميد الذي لا أحمد منه لنفسه، الحميد الذي كل حمد من الخلق من فضله؛ فهو الذي خلق الحامد له، وخلق النعمة التي يحمد عليها؛ فهو الحميد الذي كل حمد من الخلق من فضله، الحميد الذي وهب الحمد لكل حامد بحمد ربه: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤].

فهو الحميد الذي كل حمد من الخلق من فضله، فلولا فضل الله ما حمدته ولا عرفته؛ فله الحمد لأنه الحميد الذي كل حمد من الخلق من فضله، الحميد الذي وهب الحمد لكل حامد فسبح بحمده ربه، هو الحميد الذي أسر قلوب الخلق، وذرات الكون، بما أظهر لهم من أسمائه وصفاته، وجلاله وجماله، ونعمه وإحسانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

هو الحميد الذي أسر قلوب الخلق كلهم، وذرات الكون كلها، بما أظهر لهم من أسمائه وصفاته، ونعمه وإحسانه؛ فسبحوا جميعًا بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان الغني الحميد، الكثير الحمد لعباده المؤمنين به ، الكثير الحمد لجلاله وجماله، وأسمائه وصفاته، المحمود من جميع خلقه على كماله، وجميل إحسانه.

هو سبحانه الحميد الذي استوجب الحمد واستحقه؛ لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وسعة فضله، وعظيم إحسانه: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج/ ٦٤].

هو الحميد الذي خلقنا، وأمدنا بالنعم، وهدانا إليه، وأحسن إلينا كل الإحسان في الحياة

وبعد الموت، من علينا بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية، فماذا نقول؟
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة/ ٢- ٧].

هو الحميد المجيد الذي مدح نفسه، وحمد نفسه، وأثنى على نفسه؛ ليعرفنا بذاته وأسمائه وصفاته، كي نصل إليه، ونقبل على طاعته، ونحذر معصيته، ونعظمه كما يليق بجلاله، ونطمع في عفوه ومغفرته، وعطائه وإحسانه؛ فهو ربنا الحميد الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

هو الحميد الذي هدانا للإسلام، ووفَّقنا لفعل الخيرات، وأعاننا على أدائها، وحمدنا على فعلها، وأثابنا عليها: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [الحجرات/ ١٧].

هو الحميد الذي هداك إليه، ووفقك للطاعات، وحمدك عليها، ومحا عنك السيئات، ولم يحبط عملك، بل عفا عن سيئاتك، وغفر ذنوبك؛ لأنه الغفور الرحيم جل جلاله، محى عنك السيئات، ولم يخجلك بذكرها وكشفها،بل يبدلها بحسنات، ثم يضاعفها لك، ثم أنساك سيئاتك؛ لتقبل عليه، وتتوب إليه، وتقف منكسرًا بين يديه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾ [الفرقان/ ٦٨- ٧٠].

وإذا عرف العبد ذلك؛ أعطى مما أعطاه الله، ومما أقدره عليه، ومما شرعه له، ومما حسنه له من طيبات الأقوال والأعمال والأخلاق، فالله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

والله يحمد الإنسان على ما يعمله من الصالحات والطيبات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ [البقرة/ ٢٦٧].

فعطاء الماء إنفاق، والذكر إنفاق، والدعاء إنفاق، والدعوة إنفاق، والأمر بالمعروف إنفاق، وتعليم شرع الله إنفاق، والحلم إنفاق، والصدق إنفاق، والإحسان إنفاق، ننفق مما أعطانا الله ﷻ من الأشياء الظاهرة والباطنة، من الأشياء التي خارج الإنسان؛ كالأموال والأشياء، وما يملكه الإنسان من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة؛ يحرك لسانه بذكر الله، وجوارحه بطاعة الله، وقلبه بالحياء من ربه، والخوف منه، والحب له، والتعظيم له: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

فالرب جل جلاله هو الحميد الذي يستحق الحمد من جميع مخلوقاته، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته، وعظمة كرمه وإحسانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وأقرب الطرق، وأعظمها، وأشملها، وأسهلها، وأيسرها ندرك به معنى اسم الله الحميد، يحصل لنا عن طريق معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ لاجتماع ما تفرق في العالم بمعانيه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

فلكي نعرف اسم الله الحميد نتعرف على أسماء الله الحسنى.

فمثلًا من أسماء الله: الرب، فنعرف أن جميع المخلوقات كلها من خلقه، وهو ربها، فنحمده على هذا الخلق العظيم.

ومن أسماء الله: الخالق، وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة، وفي عالم الغيب وعالم الشهادة، الله هو الذي خلقها: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣].

فنحمده على عظمة الخلق؛ خلق الكبير والصغير، والطويل والقصير، والأبيض والأسود، والسائل والجامد، والعالي والسافل.

نحمده على عظمة الخلق والإبداع: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

ومن أسماء الله الرزاق، فإذا عرفنا الأرزاق حمدنا الرزاق.

فالنظر في أسماء الله وصفاته يعرفنا بأهمية الحمد للرب ﷻ؛ لأن الله ﷻ جعل الكون مظهرًا لأسماء الله وصفاته وأفعاله، فالنعم تدلنا على المنعم، والأرزاق تدلنا على الرزاق، والخلائق تدلنا على الخالق، والكرم في مخلوقاته؛ فالنبات كريم يعطي من هذه الثمار، والشمس كريمة تعطي النور والحرارة، وكل كريم يدلنا على الكريم، فنتشبه بالكريم، ونعطي ونتكرم بالأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

ومن أسماء الله الرحمن، ننظر في الكون ما مظاهر الرحمة؟ فالشمس ليست قريبةً فتحرقنا، ولا بعيدةً فنتجمد، والشمس تنير العالم، ننظر لهذا الهواء الذي لا يتحكم به لا ملك، ولا رئيس، ولا دولة، ولا أحد، موجود في كل مكان، وفي كل زمان.

وننظر لنعمة اللسان، كيف هذا اللسان يتكلم؟! فهذه نعم نعرف بها الخالق، ونحمده على هذه النعم: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا عرفت أنه لا إله إلا الله؛ عرفت أن كل نعمة منه، وكل خلق له، وكل ملك له، وكل شيء في الكون له؛ فنستغفر الله من التقصير في نقص الإيمان، ونقص الأعمال، ونقص الأخلاق: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

فمن أعظم النعم، وأجل الكرامات أن كان لنا إله حق حي قيوم، أسماؤه كلها حسنى،

وصفاته كلها عليا، إله عظيم، ورب كريم، ورب حميد، تحيرت الألباب في أدنى العلم بمعرفته، وخشعت العقول والقلوب لعز جلاله، وخضعت الخلائق لعظمة شأنه جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

خَلَق الله ﷻ أكبر شيء من مخلوقاته وهو العرش العظيم، العرش الكريم، الذي استوى عليه برحمته، وخلق أصغر شيء وهو الذرة، وخلق بين هذا وهذا مخلوقات عظيمة لا يقدر عليها إلا هو، ولا يعلمها إلا هو، ولا يحصيها إلا هو، ولا يدبرها إلا هو؛ فله الحمد والشكر على خلق هذا وهذا: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾ [لقمان: ١١].

مفاتيح السماوات والأرض بيده، فتح السماء بالماء، وفتح الأرض بالنبات: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٦٣].

وله الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا أن كان لنا رباً وإلهاً واحداً لا شريك له، ولا مثل له: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

ليس له شريك في ملكه، وليس له شريك في العبادة، وليس له من يحجبه عن داعيه وسائليه، فله الحمد أن جعل الملك والخلق والأمر كله له، وإلا لحصل فساد عظيم.

هو الرب الذي بيده ملكوت السماوات والأرض: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء/ ١٩ - ٢٣].

والحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا لا حد له، ولا منتهى لمداه؛ أن جعلنا عبيدًا لرب عظيم وإله حي قيوم، واحد لا شريك له، لم يجعلنا عبيدًا مملوكين لشركاء متشاكسين، لا

ندري من نرضي منهم، ولا نقدر على تحمل أوامرهم: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر/ ٢٩].

ومن مِنَن ربنا العظام، ونعمه الجسام، التي يستحق عليها الحمد والشكر، أن كان ربنا عزيزًا لا يُرام، منيعًا لا يضام، أحد صمد، لا يحتاج إلى أحد، ولم يكن له كفوًا أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١- ٤].

لا يعجزه شيء، ولا يغلبه شيء، ولا يقوم له شيء، مالك الملك والملكوت، ورب العزة والجبروت، فسبح بحمده وكبره بكرةً وأصيلاً: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١١].

الحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٨].

وأعظم العبودية شكر المنعم على ما أنعم به من غذاء القلوب والأبدان، ومن إيجاد المنافع، ودفع المضار، والحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

- **والحمد لله رب العالمين تقتضي أربعة أمور:**

الحامد.. والمحمود.. والمحمود عليه.. والمحمود به.

**الأول:** الحامد؛ والحامد هو الله ﷻ، فلم يَحمَد الله إلا من عرفه جل جلاله، والله ﷻ هو أحمد الحامدين، هو الواحد الذي شهد لنفسه بالوحدانية، وهو الحميد الذي حمد نفسه قبل أن يخلق الخلق، وقبل أن يخلق ما يحمد عليه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

فالحامد هو الله ﷻ الذي حمد نفسه على ما له من صفات الجلال والجمال والكمال.

وكذا الحامد هو العبد الذي يحمد ربه الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ومنه النعم والإحسان.

الثاني: محمود من هو المحمود، المحمود على جلاله وجماله هو الله ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤].

فنحن نحمد رباً واحدًا؛ لأن كل النعم من واحد، سواء كانت نعم مباشرة كضوء الشمس، وهذا الهواء الذي نتنعم به، أو هذا البدن الذي خلقه الله ﷻ في أحسن تقويم، نعم متصلة ونعم منفصلة، أو كانت نعماً جاءتنا بالأسباب على شكل هدية، أو على شكل رزق، فالله ﷻ هو المنعم بما يأتيني مباشرة، وبما يأتيني من غيري الذي سخره الله ﷻ لأن يوصل لي هذا الرزق، فالحمد لله رب العالمين: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

الثالث: محموداً عليه نحمد الله لماذا؟ نحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ونحمده على كماله، وعظمة جلاله وملكه وسلطانه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١].

الرابع: محموداً به، بماذا نحمد الله ﷻ؟ الله ﷻ اختار لنا، وأنزل علينا، هذه اللفظة الجامعة العظيمة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة/ ٢].

لماذا الحمد لله؟ لأنه رب العالمين، ولأنه الرحمن الرحيم، ولأنه مالك يوم الدين.

فهو الحميد الذي حمد نفسه، وهو الحميد الذي يستحق الحمد، وهو المحمود من خلقه على نعمه وإحسانه، وعلى ما أنعم به علينا من نعمة غذاء القلوب، وغذاء الأبدان.

فالله ﷻ جمع في فاتحة الكتاب الدين كله، ولهذا الله ﷻ نص عليها؛ حتى نعلم عظمتها: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر/ ٨٧].

فالمحمود به هو هذه اللفظة التي اختارها الله ﷻ لنا، الحمد لله رب العالمين.

فما هي صفات الحميد الذي نحمده؟ وما هي أفعاله في ملكه؟ وما هي أفعاله القدرية؟ وما هو دينه الذي أنزله علينا حتى نحمده عليه؟: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ

﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

فالله ﷻ بين في كتابه الذي يستحق أن يحمد، بين لنا صفات من نحمد؛ فنحن نحمد العظيم العلي الكبير، ونحمد ونمدح ونشكر الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، ولا أحد أحق بالحمد من الله، بل الحمد كله وحمد الحامدين كله من حمد الله ﷻ، كله نعمة من الله، أن أعطانا النعم، وعرفنا به حتى نحمده: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٨ – ٩٩].

فالله ﷻ في القرآن بين لنا ما يحمد عليه، ولأي شيء استحق الحمد، كما في سورة الرعد، وفي سورة النحل، وفي سورة إبراهيم، الله بين لنا ما يحمد عليه، وبين من يجب أن تعبدوا؟ من يجب أن تحبوا؟ من توحدون؟ من تسألون؟ فقال عن نفسه أنه أنزل الكتاب: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [الرعد/ ١].

أحبُّه لقوته، وعظمة خلقه، ثم استوى على العرش، فهو العلي الأعلى، والإنسان يتصل بالأعلى لا بالأدنى، ويتصل بمن له الكمال، لا بمن فيه صفات النقص؛ ليستفيد من كماله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد/ ٢].

الشمس والقمر تجري بأمر الله، ففيهما نور، وهذا نور من نور الله، والإنسان لا يستطيع أن يرى الشمس يباشرها بالنظر وهي مخلوقة، فكيف برؤية الله ﷻ الذي هو نور السماوات والأرض؟!: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

وقال النبي ﷺ لعائشة، لما قالت: هل رأيت ربك؟ قال: «**نُورٌ، أَنَّى أَرَاهُ؟! حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» أخرجه مسلم[1].

فأنا أحمده جل جلاله على هذه الصفات العظيمة، الشمس تجري بأمره، القمر يجري بأمره، النجوم تنير بأمره، الأرض تنبت بأمره، السماوات باقية بأمره، الأرض باقية بأمره، الملك كله باق بأمره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

﴿بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

فمن بيده الخلق والإيجاد والتصريف والتدبير؟ هو الذي يستحق الحمد، خاصةً أن أفعاله كلها جميلة، بيده الخير كله، ولهذا لا بد من معرفة المحمود قبل حمده، ومعرفة النعمة قبل الحمد؛ حتى نعرف من نحمد؟ وعلى أي شيء نحمد؟ ولماذا نحمد؟:

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

هو سبحانه الحميد الذي له الأوامر الكونية، وله الأوامر الشرعية، وله الأوامر الجزائية.

له الأوامر الملكية القدرية في الكون خلقًا وتدبيرًا وتصريفا.

وله الأوامر الشرعية الموجهة للعقلاء من الإنس والجن والملائكة.

وله الأوامر الجزائية يوم القيامة، وهي الوعد والوعيد.

﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ لماذا؟ ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾ [الرعد/ ٢].

وإذا أيقنتم عرفتم من يستحق الحمد؛ فحمدتموه بالقلب والجوارح واللسان، فالحمد لله رب العالمين، ليس هذا هو الحمد، هذه صيغة الحمد، الحمد أن أعرف من أحمد، ما هي أسماؤه وصفاته؟ وما هي أفعاله في ملكه؟ وما هي نعمه التي لا تعد ولا تحصى؟ ثم أحرك هذا البدن إلى أن ألقى الله بالحمد والشكر على نعم الله عز وجل.

فالدين كله مجموع في الحمد، ولهذا ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ توحيد، وإيمان، وشكر، وعبادة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾ [الرعد/ ٣].

فيعرفون المنعم من المنعم عليه، ويعرفون مقدار النعمة، وكم وصل إليه من النعم، وكم وصل إلى غيرهم من النعم، وكم في خزائن الله من نعم: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾؛ قطع متجاورات: هذه جبال، وهذه سهول، وهذه معادن، وهذه بيضاء، وهذه سوداء، وهذه حمراء، وهذه صفراء، وهذا بر، وهذا بحر.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ﴾؛ العائلة النباتية عرف منها الآن أكثر من أربعين مليوناً من النباتات: ﴿وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ

وَٰحِدٖ ﴾، كما أن القلوب ينزل عليها وحي واحد، من رب واحد : ﴿وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤﴾[الرعد/ ٤].

فهذه المعارف تجعل الإنسان يعرف من يحمد، فإذا عرف من يستحق الحمد؛ توجه إليه بالحمد قلبًا وقالبًا : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [ فاطر: ٢٨ ] .

خلق سبحانه بحراً من الهواء بين السماء والأرض، وبحراً من الماء وهي السحب التي بين السماء والأرض، وبحر من الماء وهو هذا البحر؛ بحر الهواء ينقل الأصوات ، ويعيش فيه النبات والحيوان والإنسان ، وبحر الماء يعيش فيه ما خلق الله من هذه الأسماك والنباتات المختلفة، وهذا البحر العظيم من المياه العذبة، فنحمد الله ﷻ على هذه النعم العظيمة : ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾[الرعد/ ١٢- ١٣] .

فهذه أفعاله في ملكه : ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾[الرعد/ ١٧].

الله أكبر! كم من المياه والقطرات التي تنزل من السماء! فنحمد المنعم بها، لو شاء لجعل لها نارًا أو حجارةً، ولو شاء لمنعها؛ فعلى كل نعمة لا بد أن نحمد المنعم الذي أنعم بها علينا من غير استحقاق منا، ولكنه الحميد الكريم الرزاق الذي أنعم بكل نعمة؛ فلنحمد الله على هذه النعم التي أعطانا إياها وإن لم نسأله : ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾ [ لقمان: ٢٦ ] .

الله أكبر! هذه المياه التي تنزل من السماء إلى أين تذهب؟ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ﴾؛ فاحمدوا الله على هذه النعمة:﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٢- ٣٤].

ظلوم بكفره وجهله ومعصيته، كفار للنعم .

فالله أعطانا النعم لنتعرف بها على المنعم، ثم نعبد المنعم بما أرسل به رسوله، وأنزله في كتابه، ولهذا قال إبراهيم بعد هذه الآيات: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٩] .

حتى نحمد الله ﷻ لا بد أن نعرف ما نحمده عليه؛ من النعم المادية والدينية : ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾؛ هذه نعمة العطاء الروحي، نعمة الدين الذي أنزله على القلوب؛ فهو ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل/ ٢].

وحدوني وأطيعوني، وافعلوا ما آمر به ، واجتنبوا ما أنهى عنه، لماذا؟ لأنه الرب الخلاق الذي أنعمت علينا بالنعم المادية والروحية .

فالله ﷻ بين صفته في سورة النحل التي تسمى سورة النعم، فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾ [النحل/ ٣].

خلق هذين الظرفين الكبيرين، السماوات ظرف للملائكة، والأرض ظرف للبشر، والحيوان، والنبات، والمعادن، والجن، وغير ذلك من المخلوقات: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ ليدل الخلق على الخالق .

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ، وجعلها مظهرًا لأسمائه وصفاته؛ حتى لا تتعلق القلوب بأحد سواه، ونعبده وحده لا شريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [ الأنعام: ١٠٢ ] .

هو وحده ، لم يكن له شريك في خلق هذه المخلوقات، خلق الظرف، وملأ الظرف بأنواع المخلوقات، فكم في داخل الظرفين من المخلوقات؟ ودائمًا الذي في داخل الظرف أعظم من الظرف، فأعظم من في الظرف السفلي هم الناس، وأعظم الناس هم المؤمنون، وأعظم المؤمنين هم الأنبياء، وأفضل الأنبياء هم أولو العزم، وأفضل أولي العزم الخليلان، وأفضل الخليلين محمد ﷺ، الذي كان أحسن الناس خَلْقًا وخُلُقًا، وكان خلقه القرآن ، والذي زكاه ربه بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤].

- **وقد أمرنا الله بالاقتداء به، والاهتداء بسيرته، فقال جل جلاله :** ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [ الأحزاب: ٢١ ] .

ثم بعد ذلك ذكر الإنسان الذي يسكن في هذا الظرف، والمطلوب منه أن يحمد الله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ [النحل/ ٤].

خلق الإنسان من نطفة وهذا أوله؛ حتى يعرف نعمة الله ﷻ عليه، خلقه من نطفة، ثم سواه رجلًا، ثم هداه إليه، ثم أمده بالأقوات المادية والروحية، وأنعم عليه، فإذا هو خصيم مبين، يعبد غير الله، ويتعلق بغير الله، ويجادل في الله.

ثم ذكر ما خلق لهذا الإنسان: ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾ [النحل/ ٥-٦].

ثم قال بعد ذلك عن عالم النبات: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل/ ١٠-١١].

يتفكرون في أفعال الخالق، ويشكرونه على نعمه؛ فالعائلة النباتية أكثر من أربعين مليون نوع، هذه المخلوقات خلقت لنا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة/ ٢٩].

ونحن خلقنا للآخرة؛ فعلينا أن نملأ الكون بحمده كما ملأ لنا الكون بنعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل/ ١٢].

فيعرفون من يستحق العبادة، ويعرفون المنعم من خلال رؤية آثار أسمائه وصفاته في ملكه وسلطانه: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النحل/ ١٣].

أكثر من مليون نوع من الخلائق في هذا البحر المظلم الكبير يأكلون ويشربون من فضل الله، سخرها الله لكم، لتشكروه وتعبدوه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النحل: ١٤-١٥].

هذه الجبال العظيمة الشاهقة في العلو، والبحار العميقة في السفل، هو الذي خلق هذا

وهذا، هذا فوق الأرض يمتد مسافات طويلة علواً، وهذا أسفل الأرض، والبحر يمتد إلى حوالي اثنى عشر كيلو متر تحت الأرض ماءً، وجبال الهيمالايا ترتفع فوق سطح الأرض ثلاثين ألف قدم .

فهذه المخلوقات العظيمة آيات وعبر حتى نعرف من يستحق العبادة، ومن يستحق الشكر، ومن يستحق الطاعة.

كم من الأنهار تجري بأمر الله ﷻ! ، لتسقى البلاد والعباد ، فالبحار راكدة ، والأنهار جارية : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [ لقمان: ١١ ] .

وحينما يقلب الإنسان بصره فلا يملك إلا أن يكبر الكبير، ويعظم العظيم، ويحمد الكريم، ويستغفر الغفور، ويفعل الطاعات، ويجتنب المعاصي، ويحدث توبة في كل لحظة: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[النحل/ ١٧ – ١٨].

فالله ﷻ يوم القيامة يعطى المسلم صحيفة سيئاته وصحيفة حسناته ، ويقول: هذه سيئاتك قد غفرناها لك، وهذه حسناتك قد ضاعفناها لك .

ولهذا آخر شيء في يوم القيامة حمد الله على العدل والإحسان : ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[يونس/ ١٠].

لأن الخلائق ترى عدله، وترى فضله، والمؤمن له ، سيئات تغفر، وحسنات تضاعف : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [ الزمر: ٧٤ ] .

فسبحان الحميد الذي حمد نفسه قبل أن يخلق الخلق ، وقبل أن يحمده الخلق جل جلاله، ولهذا الذكر المضاعف علينا أن نقوله دائماً: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

فالحمد لله رب العالمين: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الروم/ ١٧ – ١٨].

لماذا الحمد له؟ لأنه ملأ الكون بما يذكر به، وبنعمه، وكرمه، وإحسانه، وقوته، وقدرته،

ولطفه وحلمه، الكون كله مظهر لأسماء الله وصفاته وأفعاله : ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الروم/ ١٨].

له الحمد عليَّ في خاصة نفسي، أعطاني خيرًا، وصرف عني شرًّا، وأحسن إلي ، وأحسن إلى غيري، واستضافني في بطن الأم، واستضافني في بطن الدنيا، وهو الذي يستضيفني في القبر في روضة من رياض الجنة إن أطعته، أو في حفرة من حفر النار إن عصيته .

ويوم القيامة يستضيفني في دار الضيافة دار السلام التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[يونس/ ١٠] .

الحمد لله رب العالمين أن أحسن إلى أوليائه، وظهر عدله في أعدائه.

الملك الحق جل جلاله يظهر من أسمائه وصفاته وأفعاله في ملكه ما يحمد عليه، وما يكبر عليه، وهذه هي العبادة، العبادة أن أكبِّر الكبير، وأحمد الكريم ، في كل وقت ، في كل مكان : ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[ الروم: ١٨ – ١٩].

هذه أفعاله، فالحمد لله رب العالمين، كنا أمواتًا فأوجدنا الله ﷻ .

هذه الأرض القاحلة المملوءة من الغبار، ينزل عليها المطر فتنبت من كل زوج بهيج، تذكرةً للإنسان بأن الوحي إذا نزل على القلوب أنبت المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، وأنبت الصادقين والصادقات : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[ الأحزاب: ٣٥ ] .

وأنبت: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[ التوبة: ١١٢ ] .

فأنتم تبعثون بصفاتكم التي كنتم عليها في الدنيا؛ فمن عاش على شيء مات عليه، ومن

مات على شيء بُعث عليه: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٥ - ١٦].

والآن موجود من ذرية آدم أكثر من سبعة آلاف مليون من البشر رجالاً ونساء.

هؤلاء لا بد من التفكر لهم؛ ليحمدوا الله ﷻ، ويعرفوا الحميد الكبير العظيم الرزاق، وأن يتصلوا به، فلا بد من دعوة الناس، وسقي الفطرة بالدعوة إلى الله؛ حتى تحيا الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ثم دلهم على ما يتقربون به إليه بما جاء به محمد ﷺ: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الروم/ ٢٠ - ٢٢].

فسبحان الله ما أعظم خلقه، وما أعظم ملكه، وما أعظم قدرته.

وأول ما يعرف الإنسان هذه المعارف الإلهية العظيمة؛ يكبر الكبير، ويحمد الكريم: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فهو واحد قبل أن نوحده، ومحمود قبل أن نحمده، وكريم قبل أن نرى آثار كرمه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الروم/ ٢٣].

لو ضرب في الإنسان عرق، أو تألم في ذرة من جسمه؛ لما استطاع أن يتعبد لربه، ولا استطاع أن ينام، ولكن نعم الله عليه لا تعد ولا تحصى، وليس في نعم الله قليل، نعم الله كلها كبيرة، وجميع مخلوقاته كبيرة، سواء كبر حجمها؛ كالعرش والكرسي، والسماوات والأرض، أو كان خلقها صغيرًا؛ مثل الذرة والبعوضة.

هذه البعوضة الصغيرة الضعيفة التي نراها؛ الله ﷻ جعل لها حكمة، وفي خلقها إظهار لقدرة الله، هذه البعوضة خلقها الله لها مائة عين، ولها ثلاثة قلوب، ولها ثمانية وأربعون سنًّا، ولها في خرطومها ست سكاكين، وهي تشم رائحة الإنسان الذي تريد أن تمتص دمه من مسافة بعيدة.

فالله أظهر قدرته في خلقه العظيم؛ كالعرش والكرسي، والسماوات والأرض، والجبال والبحار، وفي خلق الصغير كالذرة والبعوضة والنملة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٦] .

ولكل شيء حكمة من الحكيم، والله أظهر قدرته في خلق الكبير والصغير؛ فلنحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

ونعم الله ﷻ تختلف بالنسبة لنا، النعم المادية نعم عظيمة، أن خلقنا الله، وأمدنا بالأقوات من الطعام والشراب .

وفضله علينا في نعمة الهداية أعظم وأعظم، فهذه النعمة للأجساد، وهذه النعمة للقلوب، فنحن نسير بالقلوب إلى علام الغيوب، هذا الجسد سيارة، الذي يقوده هو القلب، يقوده إلى ربه ﷻ بماذا؟ بالدين الحق؛ ولهذا من سار على الصراط المستقيم في الدنيا سار على الصراط يوم القيامة : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

فلله الحمد والشكر على هذه النعمة ، ونعمة المعرفة أن أعرف الرب الذي يستحق الحمد، الرب الكبير الذي يستحق التكبير، الرب العظيم الذي يستحق التوحيد، الرب الواحد الأحد الذي خلق كل أحد، الغني عن كل أحد ، والذي يحتاج إليه كل أحد : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

ومن آيات الحميد جل جلاله:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الروم/ ٢٢].

ومن آياته كذلك:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الروم/ ٢٤].

استعمل هذا العقل، العقل ناقص بدون الوحي، العقل قد يدرك المحسوسات ؛ لكن ليس له صلة بعالم الغيب، ولا يعرف الغيب، لكنه يستقبل علم الغيب من الله ﷻ ، من الوحي المنزل، فيسير بالوحي إلى ربه ﷻ:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الروم: ٢٥] .

هي باقية بأمره، لو رفع عنها أمر البقاء لزالت .

إذًا يجب تكبيره، يجب تعظيمه، ويجب إجلاله، ويجب حمده وشكره، والثناء عليه وتمجيده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

أظهر عظمته وقدرته بخلق المخلوقات، وبخلق النعم، وبالإحسان إلى الخلق: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٧].

فإذا عرفت الكبير والعظيم، وعرفت الكريم والرزاق والغني؛ فيجب أن أتصل به، وأرجع إليه، وأتوب إليه، وأتوكل عليه، وأنفذ أوامره على نفسي، وعلى خلقه.

أنفذ الأوامر المتعلقة بالنفس من العبادة ، والذكر ، والدعاء ، وقراءة القرآن، والتطوعات من أنواع العبادات، وأنفذها على غيري بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلقه، وهذا مع ما فيه في الظاهر من المشقة؛ إلا أنه هو أصل السعادة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨].

الأرض لا تطمئن إلا إذا نزل عليها الماء؛ فتنبت من كل زوج بهيج، تأتيها الحرارة لا تنبت، تأتيها العواصف لا تنبت، تأتيها الشمس لا تنبت، متى تنبت؟ إذا نزل عليها الماء من السماء، إذا سقيت الأرض بالماء أنبتت، كذلك هذه القلوب تنبت الأخلاق العالية، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، متى؟ إذا استقبلت الوحي بهذا العقل الذي مَنَّ الله ﷻ علينا به ، فتؤمن بربها ، وتعبد الله وحده : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥ - ٧] .

فاحمد الله ﷻ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، نعمه في الماضي، ونعمه في الحاضر، ونعمه في المستقبل، نحمده على نعمه الماضية ، والحاضرة، والمستقبلة في بقية عمرنا، والمستقبلة إلى يوم القيامة، وكذلك نحمده على نعمه علينا يوم القيامة بدخول الجنة،

ورضوانه، والقرب منه، وسماع كلامه، ورؤيته جل جلاله، فنحمد الله ﷻ على هذه النعم العظيمة التي مَنَّ علينا بها، ونحن أولى الناس بشكرها .

والله سبحانه فطر الناس على هذا، ولهذا من عرف الله بأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ودينه وشرعه، ووعده ووعيده؛ توجه إلى ربه، وتاب إلى ربه : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠].

أكثر الناس لا يفقهون، أكثرهم لا يعقلون ، أكثرهم لا يعلمون ، أكثرهم يجهلون .

إذًا يجب أن نعلم عن الله ما يجب له : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [ محمد: ١٩ ] .

يجب أن نعرف الإله المعبود، نعرف الكبير لنكبره، نعرف الغني لنسأله، نعرف القادر لنستعين به ، ونعرف الكريم لنشكره على إكرامه لنا ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فهذا النقص في معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله يولد القعود عن طاعته وعبادته، ويولد الإعراض عنه، ويولد التعلق بغيره من الشهوات .

فالإنسان إما أن يكون عبدًا لله، أو عبدًا لشهواته وهواه، الإنسان خلق ناقصًا، فطرة الله؛ ليتعلق بالكامل الذي خلق هذا الكون جل جلاله، وأنزل كتبه، وأرسل رسله، رحمةً منه بخلقه، وتسهيلًا لهم لعبادته؛ فجعل لنا مظاهر الجلال حتى نخافه ونهابه .

رؤية الخلق العظيم، وهذه الجبال الشاهقة، وهذه الشمس الملتهبة، وهذه النجوم المتناثرة وهذه البحار الواسعة، كل هذا يدل على جلال الله : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦-٨] .

وعرفنا كذلك بنعمه وإحسانه، هذا الهواء اللطيف، وهذا الماء العذب، وهذه الشمس التي نستفيد من نورها، وهذه النعم التي لا تعد ولا تحصى .

فالكون مظهر لجلال الله وجماله، فالله ﷻ أظهر لنا أسماءه الحسنى في كتابه المنظور، وفي

الكتاب المسطور وهو القُرْآن.

وأظهر أفعاله في ملكه العظيم ؛ حتى نعرف أن هذه المخلوقات لها خالق، وهذه الصور لها مصور وأن الخالق حكيم، وأنه غني، وأنه قادر، وأنه خبير، وأنه لطيف، وأنه كريم، جميع أسماء الله الحسنى أودعها في مخلوقاته، وكشفها في كتابه، وسنة رسوله ﷺ .

جميع أسماء الله الحسنى أظهرها الله ﷻ في مخلوقاته في الكون المنظور : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [ يونس: ١٠١ ] .

هو الخالق الذي خلق كل شيء، الرزاق الذي رزق الخلق؛ فاحمدوه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

اقرؤوا في كتاب الله ترون أسماءه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [ البقرة: ٢٥٥ ] .

فمن عرف الله حقاً وحده حقاً ، وعبده حقاً : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ الحشر: ٢٢ – ٢٤ ] .

فالله أكبر! هذه جنة المعرفة، أعظم جنة خلقها الله ﷻ هي هذه الجنة، ومكانها القلوب، وهي محل نظر الله، فلنوقر الله؛ حتى لا نرى في هذه القلوب إلا التوحيد والإيمان، والتوكل عليه، والحب له، والخوف منه، والرجاء له، ونطيعه بقلوبنا وجوارحنا، ونذكره ونشكره ونحمده ونسأله بألسنتنا : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [ نوح: ١٣ – ٢٠ ] .

أسهل شيء طاعة الله ﷻ وعبادته؛ لأنها أنسب شيء وأحسن شيء، وأبين شيء، وأظهر شيء، ولكن الشيطان يجتهد على الخلق، فيصرفهم عن العبادات إلى الشهوات، وعن الآخرة إلى الدنيا، وعن الهدى إلى الهوى، وعما يحب الرب إلى ما تحب النفس، ثم يوم القيامة يعتذر منهم، ويقف خطيبًا بينهم على كرسي من نار يوم القيامة: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ﴾ [إبراهيم/ ٢٢].

فعلينا أن نعلم أن أصل العبودية حمد الله ﷻ، ولكن الحمد لا بد أن تسبقه المعرفة؛ لأعرف من أكبر؟ من أحمد؟ من أشكر؟ من هو الملك الذي له ملك السماوات والأرض، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب وعالم الشهادة؟ : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

فنحمده لعظمة ملكه.

ونحمده على نعمة التربية لجميع الخلائق: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

يحب الرحمن الرحيم من عبده أن يتوب إليه، ولو جاء بقراب الأرض خطايا لغفرها له، يحب من عبده أن يحمده ويوحده.

وهو ملك الملوك، والملوك في الدنيا كثيرون، ولكن المالك يوم القيامة هو الله وحده، فجميع الملوك من البشر والمماليك كلهم خاضعون لأمره: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٦].

فالحمد لله رب العالمين أن أعطانا العقول التي نعقل بها من يستحق العبادة؟ من يستحق الطاعة؟ من يستحق الحمد؟.

أعطانا العقول التي ميزنا بها عن المجانين، وعن السفهاء، أعطانا العقول التي نعرف بها الخير من الشر، والحق من الباطل، والفضيلة من الرذيلة.

وأعطانا القدرة التي نعمل بها بالحق، ونجتنب الباطل، ونعرف من يستحق الطاعة ممن

يستحق المعصية، ونعرف عدونا والشيطان والنفس والهوى، هذه نعمة كبيرة من الله، نحمد الله ﷻ على هذه النعم، وهذه العطاءات في خاصة أنفسنا، وفي غيرنا، وفي العالم العلوي، وفي العالم السفلي : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

إذًا هذا التسخير العظيم يستوجب حمدًا من المسخر له : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: ١٣].

ونستغفر الله من التقصير في العبادة، ونستغفر الله من التقصير في الدعوة، ونستغفر الله من التقصير في تعليم الخلق دين الله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

تركنا الدعوة إلى الله حتى صارت البشرية تعبد هواها وشهواتها، و أهل الأرض كلهم في الظلمات والخسار؛ إلا من عرف الله، وعبد الله بما شرع الله : ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ - ٣].

الله أرسل الرسل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ونجتهد على الخلق الذين حصل فيهم النقص؛ حتى يحصل لهم الكمال على أيدينا، وحتى يعطينا الله الأجر، ولو شاء لكمل الخلق كلهم، ولكن الله ﷻ جعل في الخلق من النقائص والعيوب ، ليظهر قدرته، وليعرف الناقص من الكامل، والضعيف من القوي، والعاجز من القادر:﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٠].

لا بد أن ننتقل من الصلاح إلى الإصلاح، ونجمع بين الصلاح والإصلاح، فأجتهد على نفسي بالاستقامة، وأجتهد على غيري بالدعوة والتعليم، والإحسان إلى الخلق .

وبهذا يكون الإنسان محمودًا، ويأخذ من صفات الله ﷻ صفة الحمد، فيحمده الله ويذكره، قال ﷻ : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ۝٩٦﴾ [مريم/ ٩٦].

فنستغفر الله من التقصير في التكبير والتحميد، والتقصير في كل عمل، وفي كل قول، وفي كل خلق .

فلله الحمد كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه على ما أنعم به علينا من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وما أسداه إلينا من النعم الظاهرة والباطنة من جزيل مواهبه، وجميل إحسانه، وكريم أياديه : ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧] .

ليس القصد أن ندخل في الدين، بل القصد أن يدخل الدين في قلوبنا، ليس المطلوب أن أسمع عن الله وأسمائه وصفاته ودينه وشرعه؛ فأبقى مثقفًا وعالمًا وشيخًا، المطلوب أن أسمع بأذني ، وأوصل هذا السمع إلى قلبي، هذا القلب إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله : ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝١٤﴾ [الحجرات: ١٤] .

إن كل ما نرى في الكون مظاهر توجب علينا حمد الله؛ فله الحمد كله ، على ما خلقه في السماوات والأرض : ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧] .

وله الحمد كله على إجابة دعوة المضطرين، وكشف كرب المكروبين، وقبول توبة التائبين، وإجابة السائلين، وإكرام وإطعام الخلق أجمعين: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل/ ٦٢].

والحمد لله على نعمة إرسال الرسل : ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل: ٥٩] .

وله الحمد كثيرًا على ما يجود به من النعم في كل ثانية قبل سؤالها، ودفع المحن قبل حلولها، وحماية العباد عن مراتع الآثام : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ

﴿ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾ [البقرة: ٢٤٣].

هو سبحانه العظيم، وكتابه عظيم، ودينه عظيم، ووصف ثوابه بأنه عظيم، وبأنه كبير، وبأنه كريم، فلله الحمد على جمال ذاته وأسمائه وصفاته.

وله الحمد كثيرًا على ما يربي به عباده بأحسن الأوصاف، ويبلغهم ما ينفعهم من ذلك ما لا تبلغه الآمال، ويهديهم برحمته إلى سبل السلام: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة/ ١٥- ١٦].

كم من نعم الله ﷻ علينا التي نراها في كل لحظة؛ حتى تسهل علينا عبادة الله.

فسبحان العزيز الحميد الذي يتحبب إلى خلقه بالنعم وهو الغني عنهم، وهم يتبغضون إليه بالمعاصي مع فقرهم إليه، ومع ذلك يدعوهم إليه، ويناديهم بأحب الأسماء إليه ليرفع مقامهم بين يديه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران/ ١٠٢- ١٠٣].

فسبحان الكريم الذي أكمل لنا الدين، وأجزل لنا الثواب، الغني الحميد الذي اختار لعباده أحسن الأديان، وأحسن الأقوال، وأحسن الأعمال، وأحسن الأخلاق، وجزاهم بأحسن الثواب: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة/ ٣].

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].

ويعطي الكريم الحميد لمن أحسن العمل أحسن المنازل في الجنة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس/ ٢٦].

والله رؤوف بالعباد، لطيف بخلقه، ما ألطف خطاب الله ﷻ في القرآن لهذه الأمة! إنه يخاطبها كالأنبياء في وعظه إياهم بالتعريض، وحثه لهم بالتحريض، يقول لهم: وسارعوا، سابقوا، كنتم خير أمة؛ ألا تحبون أن يغفر الله لكم، وتربيته لهم بقص ما أصاب من قبلهم، قص الله ﷻ علينا أخبار الأمم السابقة كقوم نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم .

هذه الأمم السابقة كشف الله لنا عوراتها؛ حتى لا نقع في تلك العورات :

هذه الأمة أعمارها قصيرة ، وذنوبها مغفورة، وعيوبها مستورة، وأعمالها مضاعفة، لماذا؟ لأنها مكلفة بعمل الأنبياء، وهو الدعوة إلى الله إلى يوم القيامة : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [ آل عمران: ١١٠ ] .

وكذلك الله ﷻ ألطف لنا الخطاب في بشارتنا بما أعد الله ﷻ لنا من النعيم فقال : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ التوبة: ٧٢ ] .

فالله ﷻ ألطف لنا في الخطاب، وبشرنا بما أعد لنا فقال : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [ البقرة: ٢٥ ] .

فبشرنا الله بما أعد لنا من النعيم، وأكرمنا بعدم مواجهتنا بخطاب الوعيد، وخصنا بمضاعفة الثواب إكرامًا لنا، والعفو عن سيئاتنا : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [ النساء: ٣١ ] .

كل هذا من تلطف الكريم بنا بأن خاطبنا بهذه الفضائل؛ حتى نرغب في الحق، ونبتعد عن الباطل، ونعمل بالحق، وندعو إليه، ونصبر عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [ آل عمران: ٢٠٠ ] .

فهذه أعظم جنة في الدنيا، جنة العلم بالحق، والعمل بالحق، والدعوة إلى الحق، والصبر على الحق، ولكن لا يعرف هذه الجنة من عاش في الظلمات، لا يعرف من في الظلمات إلا من كان في النور : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [ الأنعام: ١٢٢ ] .

ومن رحمته بنا التي يستحق منا الحمد عليها أن جعلنا خير الأمم، وورثة الرسل في الدعوة إلى الله، والعمل بالشرع : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران/ ١١٠].

فمن لم يجد طعم الإيمان ، وحلاوته ، وحقيقته، ويجد طعم هذه الأذكار والأفكار والمعارف عند تلاوة كتاب الله؛ فعليه أن يعالج قلبه بالإيمان والتقوى، ويكثر من الدعاء بأن يحيي الله قلبه الميت، وأن يصحح له سمعه وبصره : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق/ ٦-٨].

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق/ ٣٧].

لا بد للمؤمن من القلب الحاضر، والسمع الحاضر، والشهود بالقلب والقالب .

والله سبحانه اختص برحمته من يشاء، وقصد بعذابه من يشاء بحسب علمه السابق، وهو يهدي من يشاء، يهدي من هو أهل للكرامة ، ويضل من هو أهل للإهانة، بعلمه السابق لا بإلزامه القاهرة .

فالله أقام الحجة بإعطاء العقول والأسماع والأبصار لكل أحد، وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، ليبلغوا الحق للناس، ولكن منهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة بحسب علمه السابق : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [ النحل: ٣٦ ] .

والله ﷻ يحب إحسانه أكثر من عدله، ولكن أن الناس يجترئون على المعاصي فيعاملهم

بعدله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، هذا فضله : ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وهذا عدله، فالمؤمنون بفضله ورحمته مخصوصون، والكفار بعدله يعاملون، ولكل واحد من الأمرين والجنسين قسطه من الحكمة والرحمة ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾[آل عمران/ ١٢٩].

كأن الله ﷻ يقول لنا: فاستغفروه؛ فإنه رحمن رحيم، وهؤلاء الذين يعملون المعاصي لله ﷻ، فالله ﷻ أظهر فيهم عدله؛ إظهاراً لجبروته ، وملكه وسلطانه، وقوته ، وقهره ، وقدرته جل جلاله، وأظهر لأوليائه إكرامه وإحسانه؛ إظهارًا لجماله وإحسانه إلى خلقه .

فالابتلاء كله خير للمؤمنين، ورحمة للموقنين، يصح به توحيدهم، وتكفر به سيئاتهم، وترفع به درجاتهم، فلله الحمد والشكر والمنة على نعمة العطاء ، ونعمة المنع، ونعمة الغنى ، ونعمة الفقر : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[العنكبوت/ ٢- ٣].

فهؤلاء المؤمنون بالدين يسعدون، وبالمحنة يتربون، وبالعلم يهتدون، وبالإيمان يصلون، وبالعمل الصالح يصعدون : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر/ ١٠].

هؤلاء هم صفوة الخلق ، وأسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر/ ١٧- ١٨].

فسبحان من خلقهم للخيرات، وأعدهم لها، واستعملهم بما يوصلهم إليه، وإلى رضوانه، وإلى الجنة ، بما يسر لهم من السمع والبصر والعقل الذي يستقبل الوحي، وبما يسر لهم من أنواع القربات والواجبات ، والمستحبات فهم دائمًا سابقون مسرعون إلى مرضاة ربهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء/ ٩٠].

لما يرون من جلال الله وعظمته، وحسن إنعامه إلى خلقه .

وهؤلاء المؤمنون العارفون بالله إن أصابتهم نعمة شكروا ربهم عليها، واستعانوا بها على

طاعته، وحمدوه عليها، وإن أصابهم مكروه صبروا على ما قدر الله عليهم من المصائب؛ فعوضهم عنها العوض الأكبر، صبروا على المصائب، ثم رضوا بذلك، ثم حمدوا الله على نعمة الصبر، فالله ما ابتلى إلا ليعافي، وما منع إلا ليعطي ، وما قبض إلا ليبسط : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [ البقرة: ١٥٥ – ١٥٧ ].

والصبر من الله ﷻ : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [ النحل: ١٢٧ – ١٢٨ ].

والمصائب خزائن الثواب : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة/ ٥١].

فلينتظر العبد الصابر، والعبد الشاكر من ربه كل خير، فالله شاكر عليم : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [ الزمر: ١٠ ].

فهؤلاء المؤمنون في كل حال يربحون على ربهم، في كل نعمة وبلاء، وفي كل طاعة ومعصية ؛ فهم إذا فعلوا الطاعة شكروا الله، وإذا فعلوا المعصية استغفروا الله، وإذا نزلت بهم نعمة شكروا ربهم ، وإذا نزلت بهم مصيبة صبروا وشكروا الله على هذه النعمة ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾[الذاريات/ ١٥– ١٩].

وعلماء الطب ، وعلماء الصحة يقولون: إن الإنسان يحتاج يوميًا أن ينام إلى ثمان ساعات، حتى يقوى على العمل في النهار، وهذا ليس بصحيح؛ فالإنسان تكفيه ساعتان أو ساعتان ونصف تقريبًا؛ وكان النبي ﷺ يقوم الليل إلا قليلًا، ويقوم الليل حتى تتفطر قدماه.

الراحة ليست بالنوم، الراحة من الله، ولكن النوم فيه لذة كما في الاستيقاظ لذة، وهذه

نعمة ، وهذه نعمة، والنوم فيه استعداد للعمل الجديد، وفيه راحة من التعب الذي مر بالإنسان، وكل شيء في خزائن الله، السعادة والشقاوة بيد الله، الراحة والتعب بيد الله ﷻ، فيجب على المسلم أن يكون ليله بين يدي ربه عابدًا له ، حامداً له ، مستغفراً له : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر/ ٩].

والناس بحسب المعرفة: مستقل ومستكثر ومحروم، حسب المعرفة يكون الذكر والدعاء والقيام والتهجد، وكذلك في النهار هو مأمور بأن يسبح في هذا البحر العظيم من البشر؛ فيدعو الناس إلى الله، ويعلمهم شرع الله، ويحسن إلى خلقه؛ حتى يُحمد الحميد ، ويكبَّر الكبير، ويعظَّم العظيم، ويُشكر المحسن : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[ يوسف: ١٠٨ ] .

فهو دائمًا في جميع أوقاته بين يدي ربه، حامدًا له، داعياً الله ، معلماً لشرعه ، محسناً إلى خلقه .

فهذا الشكر بالقلب واللسان والجوارح : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

[ النحل: ٧٨ ] .

فأهل الإيمان جعلهم الله درجات في الإيمان والعلم، والعمل والأخلاق، والأجور والمنازل، هذه درجات عظيمة، والناس متفاوتون فيها بحسب الإيمان والعلم والعمل : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

[ المجادلة: ١١ ].

وأعلى الناس درجةً في الإيمان ، والعلم ، والعمل ، والأخلاق ، والأجور ، والمنازل ، هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهم ثلاث درجات .

ثم بعدهم يأتي الناس حسب درجاتهم : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[النساء/ ٦٩ - ٧٠].

وذلك كله من فضل الله علينا، وبحسب المعرفة تكون قوة التعبد، وقوة الشكر، ويكون البكاء، ويكون الخشوع، ويكون العمل، ويكون رضوان الله .

وحب الله للعبد بحسب حسن أعماله، وحسن أقواله ، وحسن أخلاقه، ومسارعة في الخيرات: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) ﴾ [ فاطر: ٣٢-٣٤ ] .

الله أكبر! جنة في الدنيا جنة المعرفة، وجنة في القبر روضة من رياض الجنة، وجنة في الآخرة هي أنواع من الجنات: الفردوس، وجنة المأوى، ودار الخلد، ودار السلام .

فسبحان الكريم الذي يجزي على الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، يرضيه العمل القليل، ويعطي عليه الثواب الكبير، والثواب العظيم، والثواب الكريم : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤) ﴾ [ النساء: ١١٤ ] .

وقال رسول الله ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» أخرجه مسلم(١).

والله ﷻ هو الغني الكريم، هو الولي الحميد، المحمود على جميع أفعاله، ينعم على العبد في الدنيا بالعطايا، فإذا استرجعها منه كانت له من عطايا الآخرة، ولهذا رغب الله ﷻ عباده المؤمنين بالصبر على المصائب، ووعدهم على ذلك بجزيل الأجر : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [ البقرة: ١٥٥ - ١٥٧ ] .

الذين عرفوا أن الرحمن الرحيم لا يفعل بعبده إلا ما فيه مصلحته في الدنيا والآخرة،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

فآمنوا به وأطاعوه ، هؤلاء أهل فضله وإحسانه، جعلنا الله وإياكم ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا والمسلمين والمسلمات منهم : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ ﴾ [ البقرة: ٥ ] .

هؤلاء المؤمنون لهم نعيم أبدي ، لأن في قلوبهم الإيمان المستمر ، والعبادة المستمرة ، فالله أعطاهم الخلود في النعيم بحسب نياتهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾ [ البينة: ٧ – ٨ ] .

أما من أوقع الله عليهم عدله ، فجعل قسمهم الكفر ، وأنواع المعاصي، والتقلب في مساخطه وغضبه، نعوذ بالله من ذلك؛ فهؤلاء هم أهل عدله؛ الذين جزاهم بالسيئة سيئة واحدة : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠ ﴾ [ الأنعام: ١٦٠ ] .

فهؤلاء الكفار لهم عذاب مستمر؛ لأن في قلوبهم المعصية المستمرة، والكفر المستمر، فالله ﷻ أعطاهم الخلود في العذاب بحسب نياتهم : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨ ﴾ [ التوبة: ٦٨ ] .

فهؤلاء ملكه وعبيده، خلقهم لماذا؟ ليظهر بهم مجده وجلاله، ويقيم بهم أمره، ويتم بهم كلمته، ويصدق بهم قوله؛ فصاروا كفارًا بعد إقامة الحجة عليهم، وبعث الرسل إليهم، فأوجدهم ليظهر بهم عدله، وعزة ملكه، وكمال قدرته وجبروته : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧ ﴾ [النحل/ ٣٦- ٣٧].

فسبحان من حجب عن الكفار هذا الإيمان؛ لعلمه بما في قلوبهم من الكفر والشرك الذي لا يتركونه : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ﴾ [ الأنفال: ٢٢ – ٢٣ ] .

وسبحان من حجب الكفار عنه بأغلظ حجاب، فسكنوا عن نوره في قعر الظلمات؛ ليُتِمَّ عليهم أمره، وينفذ فيهم حكمه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

فالحمد لله رب العالمين على نعمه السابغة، وله الحمد على أحكامه العادلة : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [ الفاتحة: ٢ – ٧ ] .

وسبحان الحكيم العليم الخبير الذي خلق في الدنيا المؤمنين والمتقين ، وخلق الأنبياء والمرسلين ، وخلق الصالحين والمصلحين ، وخلق النافعات من النبات والحيوان ، وخلق الطيبات والمحبوبات .

وسبحان الحكيم العليم الخبير الذي خلق في الدنيا إبليس وجنوده، وخلق الكفار والفجار، وخلق المؤذيات من العقارب، والحيات، والسباع، والحشرات، وخلق الأشواك والحشائش، والروائح الكريهات، والأمور المؤذيات، والأمراض والمصيبات، خلقها إظهارًا لقدرته في خلق المتضادات، وبيانًا لوحدانيته، خلقها لصرف الأشرار إلى أعمال الأبرار، وجذب النفوس إلى الملك القدوس، وجر القلوب من دار الغرور إلى دار السرور، ومن دار الفناء إلى دار البقاء .

فسبحان الحكيم الذي أفعاله كلها في منتهى الحكمة! : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [ الحشر: ٢٤ ] .

خلق كل ذلك إظهارًا لكمال قدرته، وإبرازًا لما في دار عذابه من الكريهات والمؤلمات، وامتحانًا لعباده بالمرضي وغير المرضي؛ ليعلم من يؤمن به ، ومن يكفر به ، ومن يطيعه ، ومن يعصيه : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

فكل مخلوق خلقه الله له حكمة، ولكل تدبير حكمة يحمد عليها الرب جل جلاله: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

هو الحي بصفات الكمال من السمع والبصر، والقوة والقدرة، والعلم المحيط، والقدرة الشاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة البالغة .

والله سبحانه هو الخلاق العليم الذي له الملك والملكوت، وله الحكمة فيما يفعل، وفيما يشاء، خلق الخلق من الجن والإنس، وجعل مساكنهم في ثلاث دور.

**الأولى:** الجنة دار السلام، خلقها الله لطالبي رضاه، العاملين بطاعته وعبادته، خلق فيها كل شيء مرضي، وملأها بكل محبوب، وساق إليها كل مؤمن: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾[الزمر/ ٧٣] .

طابت أقوالكم وأعمالكم، وأخلاقكم وأبدانكم، الآن طبتم فادخلوها، فالطيبة للطيبين، فادخلوها خالدين.

**الثانية:** النار دار العذاب؛ خلقها الله لمن كفر به، وأغضبه، وأسخطه، وعمل بمعصيته، خلق فيها كل كريه، وملأها بكل مؤذٍ، وسعرها بكل محرق، وساق إليها كل كافر ومشرك ، وظالم ومستكبر ، وفاسد وفاسق: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾[الزمر/ ٧١- ٧٢] .

وتلك الدار دار السلام، ودار العذاب وهي النار، هاتان في يوم القيامة.

**الثالثة:** دار الدنيا التي خلقها الله سبحانه، دار سجن لعباده؛ لينظر كيف يعملون، وأي دار يبتغون بعد موتهم، والدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر .

فنحن الآن في هذه الدار، امتحنا الله بثلاثة أمور :

بالأوامر الشرعية، والشهوات الحيوانية ، وبالمصائب القدرية، ليختبرنا في هذه الدنيا؛ فهذه الدنيا دار سجن للمؤمن ، لأنه مسجون عن النعيم؛ ليتزود بالأعمال الصالحة، ويستكثر من الأعمال الصالحة؛ ليزداد نعيمه في الجنة .

والكافر يتزود من الأعمال السيئة، وينتظر العذاب يوم القيامة .

قال النبي ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**» أخرجه مسلم[1].

والله ﷻ خلق هذه الدنيا، وأخرج إلى هذه الدار من دار رحمته ما شاء أن يفتحه منها بالماء، من أنواع الفواكه والثمار والحبوب، وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى، ومن القصور ومن اللباس ومن البيوت: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق/ ٩- ١١].

من هذه الدنيا سوف تخرجون وتدخلون دار النعيم الأبدي، أو العذاب الأبدي ، المؤمن يدخل الجنة، والكافر يدخل النار .

وأخرج إلى هذه الدار الدنيا من دار سخطه وهي النار كل كريه ، ومؤذٍ ، ومؤلم ، وجمع فيها من المؤذيات والمؤلمات كل مكروه للنفس، وجعل ذلك كله تذكرة بنار جهنم : ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة/ ٧١- ٧٣].

والعذاب يوم القيامة لأهل النار بالتجميد والتحريق .

قال النبي ﷺ: «**اشْتكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الزَّمْهَرِيرِ**» متفق عليه[2].

فالله سبحانه أخرج من النار إلى هذه الدنيا شدة الحرارة في الصيف ، وشدة البرودة في الشتاء .

فهذه إنذارات وتذكير بالدار الآخرة، الزمهرير وشدة الحر مذكِّر لنا بنار جهنم؛ وألوان النعيم مذكر بنعيم الجنة ، حتى نعلم أن ما وراءنا من العذاب المقيم ، أو النعيم المقيم ، فيه إشارات له في هذه الدنيا .

وخلق الجبار سبحانه ذلك كله؛ ليدل على كمال قدرته، وقوة سلطانه، وعظمة ملكه، وكمال أسمائه وصفاته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٦).

(٢)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠)، ومسلم برقم (٦١٧)، واللفظ له.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

خلق ذلك كله وقدَّره، وأظهره بقسط معلوم، وقدر موزون، وحكمة بالغة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر/ ٤٩- ٥٣].

فاعملوا بما يحب الله، واجتنبوا مساخطه ، لتكونوا يوم القيامة في الجنة بقربه : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤- ٥٥].

فسبحان الحكيم العليم، وسبحان من خلَّص الجنة من الشر كله، فجعل فيها الخير كله بحذافيره، وخلص النار من الخير كله، وجعل فيها الشر كله بحذافيره : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣ – ١٤ ].

ومزج في هذه الدار الدنيا بين الخير والشر، والحق والباطل، والحلو والمر، والمحبوب والمكروه، والطيب والخبيث، والمؤمن والكافر، والمطيع والعاصي؛ إظهارًا لقدرته جل جلاله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات/ ٤٧- ٤٩].

فكن من أوليائه تسعد بجنته ورضوانه ، وتسلم من ناره : ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠- ٥١].

وأظهر جل جلاله من رحمته في هذه الدار ما يشهد بتوحيده، وجعل فيها ما يسهل للمؤمنين مقاصد الخيرات من أنواع النعم والآيات البينات : ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح/ ١٥- ٢٠].

وقال سبحانه : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [ الطلاق: ١٢ ].

ما أعظم السبل والصراط المستقيم الذي نسير به إلى الهادي، وإلى جنات النعيم!
وأظهر الولي الحميد جل جلاله قدرة الخالق وعجز المخلوق؛ تسهيلًا لتحقيق التوحيد له وحده لا شريك له: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾[لقمان/ ١٠- ١١].
فإذا عرفت الخالق بأسمائه وصفاته، وجلاله وكبريائه، وعرفت نعمه وإحسانه؛ أمنت به وأحببته وعبدته، فلا يتأخر عن الإيمان به، وطاعته وعبادته إلا ناقص العقل المحروم الخاسر: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾[الأعراف: ١٧٩].
وقد خلق الملك القادر لكل إنسان قصرًا في الجنة لو آمن، وسجنًا في النار لو كفر، ثم بعد البعث يرث المؤمنون منازل الكفار في الجنة، ويرث الكفار منازل المؤمنين في النار.
فاجتهد أن تكون بعد الموت وارثًا لا مورِّثًا، ترث الفردوس بالإيمان والعمل الصالح.
قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾» أخرجه ابن ماجه[1].
سبحان الحكيم العليم الذي جعل المصائب كلها رحمة لعباده المؤمنين، خصهم بها، وأنعم بها عليهم؛ تذكيرًا لهم، وتخويفًا لهم، لينبههم بها عند غفلتهم، فإذا رأوا النار تذكروا نار جهنم، وإذا رأوا المكاره تذكروا ما أمامهم من العذاب والمكروهات في نار جهنم، فالمصائب والمكاره نعم توقظ العباد لسلوك سبيل الرشاد والنجاة، فيعملون بما يحبه ربهم ويرضاه؛ لينالوا بذلك دار الأمان والسلام: ﴿۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾[الأنعام/ ١٢٧].
فهم يتلقون المصائب على أنها نعم من الله ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾[التوبة/ ٥١].

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٤١).

فسبحان من ساق لعباده النعم في صورة مصائب، وجزاهم على الصبر على ذلك بأجزل الأجر : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [ الزمر: ١٠ ] .

فنعيم الدنيا وسرورها ، وثمارها وخيراتها ، يذكرهم بنعيم الجنة فينشطون للطاعات، والنار ومؤلمات الدنيا ومصائبها تذكرهم بعذاب النار وسعيرها، فيكفون عن المعاصي .

وبضيق الدنيا وظلمتها يتذكرون ضيق النار وظلمتها، ويتذكرون بأمراض الدنيا وآلامها وأوجاعها ما في النار من ألوان العذاب .

فالنار سجن، وفي داخل السجن أنواع العذاب والتعذيب، والخزي والنكال ، والحسرة والندم .

وما في الدنيا من المرض والجوع والعطش والهم والحزن يذكرهم بما في النار من أنواع العذاب الظاهر والباطن : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [ البقرة: ١٥٥ – ١٥٧ ] .

هذه كلها مذكرات بالدار الآخرة ، بدار الخلود ، إما في الجنة أو في النَّارِ .

فإذا علم المسلم والمسلمة بهذا؛ عَلِم أن كل محبوب للنفس خلقه الله في الدنيا ، ليذكر العبد بالمحبوب الأعلى في الجنة ، وكل مكروه في الدنيا خلقه الله ليذكره بالمكروه الأكبر في النار .

وكل نعمة من النعم ، وكل مصيبة من المصائب ، سبيل لحصول المحبوب الأعلى في الدنيا والآخرة، حكمة بالغة، وسنة ماضية، ونعمة سابغة: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢٩- ٣١].

والله ﷻ أمرنا بمعرفته بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله لتسعد بعبادته وحده لا شريك له، فقال ﷻ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [ محمد: ١٩ ] .

وبين كل ذلك في القرآن؛ لنتعرف على أسمائه وصفاته، ونحفظها، ونتعبد لله بموجبها .
فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى، وهو لذلك أهل أن يحمد، وأهل أن يعبد، وأهل أن يكبر : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [ الأنعام: ١٠٢ ] .
واسم الله الحميد من أوسع أسماء الله التي ظهرت آثارها في الكون، فكل نعمة من نعمه، وكل آية من آياته ، وكل أمر من أوامره ، وكل خلق من خلقه يدل على جلاله وجماله ومستوجب للحمد من الخلق للخالق ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ الجاثية: ٣٦ – ٣٧ ] .

# التعبد لله ﷻ باسمه الحميد

الإنسان إذا عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة ، أحبه ومجده وعظمه وكبره ، وحمده وشكره؛ لما يرى من عظمة أسمائه وصفاته، وأخلَص له العبادة، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، وتقرب إليه بأنواع الطاعات؛ لأنه عرف الله ﷻ بصفات جلاله ، وصفات جماله .

واسم الله الحميد من صفات جماله ، ومن صفات جلاله؛ لأن كل نعمة منه، وكل عظمة وكبرياء له: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾[الإسراء/ ١١١].

والله سبحانه لكمال ذاته وأسمائه وصفاته هو المستحق وحده للمحامد كلها .

فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق، كل حمد من الخلق موجه إلى الخالق فهو من حمد الخالق؛ لأنه الذي خلق وهدى، وحبب إلينا الطاعات، وعلمنا ما لم نكن نعلم، فالمحامد كلها له جل جلاله، وكل ما يحمد به فمن فضله وإحسانه على خلقه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[ النحل: ٥٣ ] .

وهو جل جلاله الحميد الذي هو أحق بالحمد من كل محمود من الخلق:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام/ ١].

إن معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تثمر للعبد الاستسلام لربه بقلبه ، ولسانه ، وجوارحه ، والامتثال لأوامره، والرضا بقدره من كل محبوب ومكروه؛ فلا يستوي إيمان العبد حتى يرى المكروه كالمحبوب قضاءً من الله، وإحسانًا إلى عبده ؛ فيرضى به .

فمعرفة الحميد جل جلاله، ومعرفة النعم التي يحمد عليها، ومعرفة أسماء الجلال والجمال التي يحمد عليها ، تثمر للعبد الاستسلام بقلبه وبدنه لربه، والامتثال لأوامره الشرعية، والرضا بأقداره على هذا الإنسان، وحسن الظن بالله؛ لأن الله جميل لا يفعل إلا كل جميل، وحميد لا يفعل إلا ما يُحمد عليه : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[ غافر: ٦٥ ].

والله سبحانه حميد يحب الحامدين له، ويحب الشاكرين له، ويحب المطيعين له، ويحب المؤمنين به، ويحب المجاهدين في سبيله ، ويحب التائبين إليه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[البقرة/ ٢٢٢].

فالله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، ويحب من عباده أن يتصفوا بالصفات التي يحبها، ويحب أهلها؛ فالذين اشتراهم الله ، واشترى أنفسهم وأموالهم، ما هي صفاتهم؟ ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[التوبة/ ١١٢] .

هوالحميد الذي نحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وهو جل جلاله الحميد الذي يحمد من خلقه كل جميل؛ فيثني على عباده الذين اتصفوا بالصفات التي يحبها كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[ الأحزاب: ٣٥].

هؤلاء أهل هذه الصفات، هم الذين يحبهم الله جل جلاله، ويحمدهم على أفعالهم .

فهو حميد، وهو شكور يشكر كل من آمن به، وعمل صالحًا، ومن شُكْره أنه يضاعف الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ولا شيء أحب إلى الله من الحمد؛ ولهذا حمد نفسه، ومجد نفسه، وأثنى على نفسه؛ لأنه أهل لذلك؛ وليُعلم عباده ويرغبهم في حمده وشكره؛ فقال ﷻ : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[الفاتحة/ ٢- ٥].

ومن هذه أسمائه وصفاته وأفعاله ، وهذه نعمه وآلاؤه ، وهذا ملكه وسلطانه ، فهو أهل أن يعبد ويكبر ، وأهل أن يحمد ويشكر : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[ يونس: ٣ ].

فالحمد لله رب العالمين أن عرفنا بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى، وهدانا للإسلام،

وأسبغ علينا نعمه الظاهرة والباطنة .
والمؤمن حقًّا من يسعى في تحصيل خصال الحمد من الإيمان والتقوى، والتخلق بالأخلاق الحميدة ، والأفعال الجميلة، واجتناب ما يوجب الذنب والعقوبة من الصفات الذميمة: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٤].
الله ﷻ يحب من عباده أن يتصفوا بهذه الصفات التي يحبها ، ويحذرهم من الصفات التي توجب الذم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ [ الحجرات: ١١ – ١٢ ] .
فكل هذه الصفات الذميمة التي يذم الإنسان عليها حذرنا الله منها، وكل الصفات المحمودة التي يحمد الإنسان عليها رغبنا الله فيها، ووعدنا على ذلك الجنة.
وحمد المسلم لربه يكون بالقلب واللسان والجوارح، الحمد لله رب العالمين، هذه صيغة الحمد؛ هذا نطق اللسان، لكن المطلوب تحريك القلب واللسان والجوارح بالحمد، وذلك برؤية الحميد جل جلاله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، متجليًا بعظمته وجلاله، وكبريائه وجبروته، وإنعامه وإحسانه ، وبذلك يخشع قلبه ، ويحمد ربه.
فيحمد الله الكبير المتعال الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى .
وإذا رأى نعمه وإحسانه عرف أن النعم كلها من الله؛ فيحمد ربه ﷻ باستعمال النعم فيما أمره الله جل جلاله .
ويرى كذلك جمال أوامره وأحكامه الشرعية، بمنتهى الجمال والحكمة والرحمة والإحسان؛ فيحمد ربه على ذلك : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ ﴾ [ الكهف: ١ ] .

لو تركنا هملًا لكنا كالحيوانات نأكل ما نشتهي، ونشرب ما نشتهي، بلا حد ولا قيد، ولا أمر ولا نهي، ولا تحليل ولا تحريم .

فيحمد المسلم ربه على النعم الظاهرة والباطنة، والخاصة والعامة .

الحمد لله رب العالمين، كنت ضالًّا فهديتني، وكنت جاهلًا فعلمتني، وكنت معدومًا فأوجدتني، وكنت فقيرًا فأغنيتني: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فالله ﷻ ذو الجلال والإكرام يُحمد على جماله ، وعلى جلاله .

وكل شيء خلقه الله ﷻ فهو ملكه يفعل به ما يشاء، وهو فيما يفعله بما يملك بين أمرين ، يقتضي كل واحد منهما الحمد والشكر لله وحده لا شريك له؛ فالملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولكنه حكيم لا يفعل إلا وفق الحكمة المطلقة، والرحمة العامة لجميع خلقه؛ فإذا فعل سبحانه ما له فعله فهو عدل؛ لأنه ملكه يفعل فيه ما يشاء؛ ليل ونهار، وذكر وأنثى، وعالٍ وسافل، وجبل وماء، هو يفعل في الملك ما يشاء، ويخلق ما يشاء، لم يستشِرْ أحدًا من خلقه؛ لأنه الغني عن جميع خلقه : ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [ الكهف: ٥١ ] .

فسبحانه إذا فعل شيئًا فهو عدل، والعدل حمد؛ لأن من حق الملك التصرف في ملكه بما شاء ، كيف شاء .

فالله يفعل في ملكه ما يشاء، فيعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء، ويقدم من يشاء ويؤخر من يشاء، ويقدر على من يشاء ، ويبسط لمن يشاء، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء جل جلاله : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [ آل عمران: ٢٦ ] .

فإن أعطى وقدم وفضل فهو فضل وإحسان، وهو حمد على حمد، وإن منع فهو عدل، والعدل حمد، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

إن قلة الطاعات ، وكثرة المعاصي ، سببها الجهل بالله، وكل نقص خارجي سببه نقص داخلي في القلب .

قال النبي ﷺ : « **أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ** » متفق عليه[1].

ومن لم تكن عنده هذه المعرفة؛ فليسأل ربه أن ينور قلبه بنور العلم والإيمان والقرآن: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه/ ١١٤].

فالله سبحانه هو الخالق، وأظهر مخلوقاته في ملكه العظيم ، ليكبر ويحمد على ما خلق .

وهو الحميد الذي أظهر ما يحمد عليه من أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى، ومن نعمه السابغة .

فسبحان الحميد الذي تحمده جميع مخلوقاته، وله الحمد في الأولى والآخرة! وسريان الحمد في المخلوقات، وظهور آثارها في الكائنات أمر مشهود بالأبصار والبصائر، تشهد به الذرات والبريات وكافة أنواع المخلوقات : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فالله له الحمد على إحسانه، وله الحمد على ما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وأما حمده على إحسانه، فكل نعمة من نعمه التي لا تحصى موجبة لحمده سبحانه، فالإنسان يتنفس في كل يوم أكثر من أربعة وعشرين ألف نفس، كل نفس مستوجب للحمد على من أعطاك هذا النفس، فكم من النعم التي لا تعد ولا تحصى في أنفسنا، ومن حولنا، وفي العالم العلوي، والعالم السفلي، نعمه كثيرة، وكلها مسخرة لك؛ فيجب علينا كما ملأ الله ﷻ الكون بنعمه، وأظهر فيه أسماءه وصفاته أن نملأه بحمده وشكره، وتسبيحه وتقديسه جل جلاله : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

أما حمده سبحانه على ما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، فذلك أعظم وأوسع، وهو ظاهر متواتر في القرآن والسنة .

فقد حمد الله ﷻ نفسه في كتابه، عَلَى ربوبيته للعالمين، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة/ ٢- ٤].

وحمد نفسه على كمال أسمائه وصفاته فقال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وحمد نفسه على وحدانيته وألوهيته فقال: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

وحمد نفسه على عظمة ملكه وغناه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ/ ١].

وحمده نفسه على نعمة إنزال القرآن على عباده فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف/ ١- ٢].

وحمد نفسه على كماله وتنزهه عن العيوب والنقائص والآفات فقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١١].

وحمد نفسه على خلقه العالم العلوي والعالم السفلي فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام/ ١].

فسبحان العزيز الحميد! سبحانه ما أعظم شأنه!، وما أكبر ملكه ، وما أحسن خلقه!، وما أعظم قدره! ، وما أجمل إحسانه! ، وما أوسع غناه! وما أوسع رحمته! وما أوسع علمه! ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧] .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٤-٦٥].

والله ﷻ خلق العالم كله له، فالله ﷻ له ما في السماوات وما في الأرض، خلقه يسبح بحمده ، ويشهد بوحدانيته، واختار هذا الإنسان، وجعله مخيرًا بين أن يؤمن به ، ويكفر به؛ ليعلم من يأتي إليه اختيارًا؛ ممن يعرض عنه اختياراً : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٢ – ٣] .

فالله خلق العالم كله له ، ومن أجل أن يظهر لعباده عظمة قدرته ، وسعة علمه ، وجلاله وكبريائه، وعظيم سلطانه، وجزيل نعمه، وسعة رحمته وعفوه، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله؛ لتسهل عبادته والتعرف عليه، وإذا عرف الناس ذلك؛ عظموا ربهم وأحبوه، وعبدوه وأطاعوه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

فالله ﷻ أبين من كل بين: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣].

أظهر لنا في آياته ومخلوقاته جميع أسمائه وصفاته؛ حتى نعلم أن وراء الخلق خالقاً، ووراء الصور مصور، ولو ظهر لنا بالأبصار ، لبطل التكليف؛ لأننا سوف نهابه ونُجِلُّه، فلا نفارق طاعته أبدًا، ولا نعصيه أبدًا؛ لأننا نراه بأبصارنا، فلا نستطيع مخالفته، ولكن الله سبحانه هو الحكيم العليم الذي مَنَّ علينا بأن حجبنا عن رؤيته، فلا نراه في الدنيا بأبصارنا، ولكن نراه بقلوبنا : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢] .

فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فيوم القيامة ترى الملك العزيز الحميد بأسمائه وصفاته ببصرك وبصيرتك: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢ – ٢٣] .

فسبحان العظيم الغني الحميد الذي خلقنا ورزقنا، وهدانا وكسانا، وأطعمنا وسقانا، فمنه جميع النعم الظاهرة والباطنة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾ [الضحى/ ٦- ١١].

والنِعمة الكبرى هي الإسلام، والنَعمة الصغرى هي ما نأكله ونشربه من النعم المادية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «**يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمُ الَّذِينَ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا الَّذِي أَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلا أُبَالِي؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**» أخرجه مسلم[1].

فنحن في نعم الله منذ خلقنا الله إلى أن نلقاه، ونعم الله علينا مدرارة، ونحن نعيش في نعمة، وهذه النعم تستوجب منا الحمد الدائم بالقلب، واللسان، والجوارح.

فالحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد.

وأعظم النعم التي تستحق الحمد العظيم الدائم هي نعمة الإسلام الذي هدانا الله إليه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧)﴾ [الحجرات/ ١٧].

والحميد سبحانه إن شكرته على نعمه زادك خيرًا وبركة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾ [إبراهيم/ ٧].

فسبحان الحميد الكريم الذي رغب في شكره؛ ليعطي عبده زيادةً، لا لأنه محتاج إلى الشكر؛ وإنما لمحبته لعباده، ورأفته بهم، ورحمته لهم، وحبه لإسعادهم في الدنيا والآخرة،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

ومن حمد الله غفر ذنوبه كلها .

قال النبي ﷺ: «**مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**» متفق عليه[1].

فمهما بلغت ذنوب العبد وسعتها رحمة الله، الله رحمته وسعت كل شيء، ومغفرته وسعت كل شيء : ﴿ **قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾** ﴾ [الزمر: ٥٣ ].

والحمد لله كلمة عظيمة تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض حسنات : ﴿ **فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾** ﴾ [ الجاثية: ٣٦ – ٣٧ ].

هو سبحانه الغني الحميد المتفضل على عباده بجميع النعم الظاهرة والباطنة، الذي يستحق الحمد والشكر على أسمائه صفاته، وعلى نعمه وإحسانه .

ومن لم يشكر الحميد على نعمه، واستعملها في معصية الله؛ عاقبه الله بأحد أربعة أمور:

فإما أن يسلبها عنه كليةً، أو يسلبه حلاوتها، قد يعطيه المال والولد، لكن يكون هذا الولد وهذا المال سببًا لشقائه: ﴿ **فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾** ﴾ [التوبة/ ٥٥].

أو يقلب حلاوتها مرارةً بمصيبة تنسيه حلاوتها، فقد يعطيك نعمةً تتبعها نقمة : ﴿ **فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾** ﴾ [الأنعام/ ٤٤].

أو يحول هذه النعمة إلى نعمة تشقى بها ليلًا ونهارًا، حضرًا وسفرًا؛ فأنت شقي بهذه النعم التي أعطاك الله: ﴿ **وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾** ﴾ [البقرة/ ٢١١].

فهذه العقوبات لمن أنعم الله ﷻ عليه بالنعم ولم يشكر الله عليها، ولم يستعملها في طاعة الله، إما أن يسلبها عنه بالكلية فيعود فقيرًا معدمًا بعد أن كان غنيًّا، أو يسلب حلاوتها،

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٩١)، واللفظ له.

أو يقلب حلاوتها مرارة بمصيبة تتبعها تنسيه حلاوتها، أو يحولها إلى نعمة يشقى بها الإنسان .

والنعم من سنة الله أنها تزيد بالحمد والشكر، وتزول وتفر بضد ذلك: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم/ ٧].

والشيطان يغوي الناس ويضلهم ، لئلا يحمدوا ربهم، وذلك بتبديل نعم الله، فيرى الإنسان بسبب وسوسة الشيطان أن ما أنعم الله عليه من النعم قليلة، وأن ما ليس بيده خير مما في يده؛ من مال، أو ولد، أو زوجة، ؛ يغرك بذلك حتى لا تشكر النعمة، وتعترض على ربك في القسمة، فهو بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن شمالك، يزهدك فيما أعطاك الله، ويحرك قلبك إلى أمور ليست عندك؛ حتى يسخط نفسك أو قلبك على ربك، لئلا ترضى بقضائه وقدره : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [ فاطر: ٦ ] .

ومن رحمة الله أن أخبرنا بعداوة الشيطان لنا لنحذر كيده ومكره : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الأعراف/ ١٦ - ١٧].

فالشيطان يقلب الأمور حتى يزين لك أن ما ليس بيدك مما في يدك مما أعطاك الله ، وقسم لك ، فاحذر خطواته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [ النور: ٢١ ] .

والله قسم الأرزاق كلها، فكن حامدًا لمستحق الحمد، فقد كان ﷺ أعرف الخلق بالحميد، يقوم الليل حتى تتفطر قدماه؛ شكرًا لربه على نعمه الظاهرة والباطنة .

كان النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فيقال له: إن ربك قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيقول: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**» متفق عليه(١).

فإذا عرفت الحميد، وأنه هو المحمود على نعمه، وهو المحمود على أسمائه وصفاته،

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٦)، ومسلم برقم (٢٨١٩).

وعرفت الحميد الذي تحمده الخلائق؛ فلا بد أن أشارك الحامدين بالحمد والشكر ، لمن هو أهل للحمد والشكر : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [ الواقعة: ٧٤ ] .

وهو الله الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وله الحمد كله، وإليه يرجع الأمر كله : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ الأعراف: ٥٤ ] .

فنجتهد في جميع أوقاتنا ، وفي جميع أحوالنا ، على تقوية الإيمان، وحسن عبادة الرب الكريم ، بأن نعمل بما يحبه الله ويرضاه، بقلوبنا وألسنتنا وجوارحنا، ولا نأتي من الأقوال والأعمال والأخلاق إلا ما نُحمد عليه من ربنا الحميد المجيد ، ويثيبنا عليه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل/ ٩٧].

فلنفعل الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، ونتصف بالأخلاق العالية؛ يحمدنا ربنا ﷻ، ويثني علينا كما أثنى على المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات .

فالله ﷻ يثني علينا بما نقوم به من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية، ويحمدنا على هذا، فاستقم كما أُمرت؛ لا كما اشتهيت، استقم كما أمرك ربك جل جلاله، واعمل بشرع الله، وادع إلى ربك، وابذل ما تستطيع في سبيل رضاه؛ يعزك ، ويرضى عنك، وينصرك على من عاداك، فالله يحب أن يرى آثار أسمائه وصفاته ظاهرةً فيك، يحب المؤمنين، يحب المتقين، يحب المحسنين، يحب الشاكرين : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [ الأعراف: ١٨٠ – ١٨٢ ] .

والله سبحانه حكيم عليم، يبتلي عباده المؤمنين ليرقيهم ويرفع درجاتهم، ولا يخزيهم أبدًا؛ يبتليهم ليؤدبهم، وليرقيهم، وليكفر عنهم سيئاتهم، وفي النهاية يعطيهم ويكرمهم بما يسعدهم في الدنيا والآخرة: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ

﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى/ ١ - ٨].

والشكر والحمد: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى/ ٩ - ١١].

حدث بما علمك الله ﷻ عنه وعن دينه، بما أعطاك الله ﷻ من نعمه الظاهرة والباطنة، فهو الحميد الذي يُحمد، هو الحميد الذي يحمد ويشكر من خلقه من آمن به، وعبده وحده، وصبر من أجله: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود/ ٧٣].

ما هو عمل أهل البيت؟ عملهم العبادات الكاملة، الطاعات الكاملة، الدعوة إلى الله، تعليم شرع الله، الإحسان إلى الخلق: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

هو سبحانه الغني الحميد الرقيب الذي يسمع ويرى جميع مخلوقاته، وهو شهيد على هذا الإنسان ورقيب عليه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

هو سبحانه الغني الحميد وحده لا شريك له، فمع غناه يعاملنا معاملة الكريم الرحيم التي نحمده عليها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج/ ٦٣ - ٦٤].

فهذه النعم العظيمة في العالم العلوي والعالم السفلي بأنواعها وأصنافها وأجناسها تستوجب من الإنسان كثرة الحمد والشكر: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هذه من الباقيات الصالحات، فالحميد من العباد هو من آمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا، واستقام كما أمره ربه، والمؤمنون في ذلك درجات، بحسب علمهم وعملهم تكون درجاتهم: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩ ﴾ [الأحقاف: ١٩].

فأول محمود من البشر سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ، الذي كان أحسن الناس خَلقًا وخُلقًا، وكان خلقه القرآن، واستقام قلبه، وجوارحه، وأقواله، وأعماله، وأخلاقه، في طاعة مولاه، فليكن لنا به أسوة وقدوة؛ فهو أحمد الناس لربه، وأعلم الناس لربه، وأعبد الناس لربه، أقواله حسنة، وأعماله صالحة، وأخلاقه عالية: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

ثم يليه في الحمد لله بقية أولي العزم من الرسل: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ثم بقية الأنبياء والرسل، ثم الصديقون والأولياء، والعلماء الربانيون، والدعاة المخلصون، ثم عامة المسلمين، كل واحد من هؤلاء حميد، ومحمود بقدر إيمانه، وصفاء توحيده، واستقامة أخلاقه، وسداد أقواله، وصلاح أعماله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾ [النساء/ ٦٩ - ٧٠].

فمن يطع الله والرسول من هذه الأمة، فسيكون في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وبحسب القرب من الله، والعمل بشرعه، يكون القرب من أهل الصفات، وأهل الدرجات العالية.

- **وحمد الناس لربهم على ثلاث درجات:**

**الأولى:** حمد العوام؛ فهم يحمدون ربهم على إيصال اللذات الجسمانية، من الأكل والشرب والسكن، والملبس، والمركب، والمال، والزوجة، والأولاد، وأمثالها من النعم المادية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

**الثانية:** حمد الخواص؛ وهم الذين يحمدون ربهم على إيصال اللذات الروحية من حصول السكينة، والطمأنينة، والانشراح ، والأمن : ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ الزمر: ٧٤ ] .

يحمدون ربهم بعد الصلاة أو الذكر أو قراءة القرآن، وغيرها من الطاعات .

فنحن في الصلاة نقول : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [ الفاتحة: ٢ - ٤ ] .

ونقول في الاستفتاح: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك .

ونقول عند الرفع من الركوع: سمع الله لمن حمده، وبعد الرفع من الركوع: اللهم ربنا لك الحمد ، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا .

ففي كل صلاة حمد وشكر، وتكبير واستغفار، وثناء على الرب ﷻ؛ فهذا حمد الخواص؛ يحمدون ربهم على إيصال اللذات الروحية التي تحصل لنا من السكينة والطمأنينة بعد الطاعات .

**الثالثة:** حمد خواص الخواص؛ وهم الذين يحمدون ربهم؛ لأنه أهل أن يحمد، وأهل أن يشكر، وأهل أن يعبد، لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى، هذا حمد خواص الخواص، يحمدونه على جلاله وجماله، وهم يشاركون العوام والخواص في ذلك الحمد : ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [ الأعراف: ٤٣ ] .

وهذه أعلى درجات الحمد التي يُحمد بها الرب جل جلاله : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [ جاثية: ٣٦ - ٣٧ ] .

فاحمد ربك على كل نعمة أنعم بها عليك ، لى غيرك، واحمده على نعمه الظاهرة والباطنة، واحمده على نعمة السراء والضراء، واحمده على دفع البلاء، واحمد ربك العزيز الكريم

ذي المحامد كلها، مجده بالمجد كله .
فهو أهل أن يحمد، وأهل أن يعبد، وأهل أن يمجد ، وأن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .
اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات ، وملء الأرض، وما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد .
فالحمد لله رب العالمين على نعمه الظاهرة والباطنة، وعلى نعمه التي لا تعد ولا تحصى، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ، ملء السماء وملء الأرض.
والله ﷻ هو الحميد الذي حمد نفسه ، وحمده خلقه؛ لأنه أهل أن يحمد ، وأن يعبد ، وأن يشكر، والله سبحانه قد مدح رسله وأنبياءه بكثرة حمدهم، وشكرهم لربهم .
فأحمدهم محمد ﷺ ، اسمه أحمد؛ لأنه أحمد الخلق لربه، وأحمد الحامدين بأنواع المحامد لربه .
واسمه محمد محمود في العالم العلوي والعالم السفلي، محمود عند ربه، وعند ملائكته ، وعند الناس .
فالله وملائكته يصلون على النبي، لما له من الصفات والأعمال العظيمة التي يحبها الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [ الأحزاب: ٥٦ ] .
فالله ﷻ مدح رسله وأنبياءه بكثرة حمدهم وشكرهم لربهم: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٠ - ١٢١].
ونوح ﷺ من الحامدين لربه: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [ الإسراء: ٣ ] .
والملائكة تسبح بحمد ربها لا تفتر عن ذلك أبدًا : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةً وَعِلۡمًا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [ غافر: ٧ ] .

- **والحامد حقًّا من حمد ربه بثلاثة أشياء:**

**الأول**: حمد الله باطنًا؛ فكل خلاياك، وكل ذراتك تقول: الحمد لله رب العالمين؛ أنعم علي، وأنعم على غيري، وأعطاني خيرًا، وصرف عني شرًا، وأنعم علي في بطن الأم، وأنعم علي في بطن الدنيا، وينعم علي في بطن القبر إن آمنت به وأطعته، وينعم علي بكمال النعيم في الجنة؛ ولذلك دعاء أهل الجنة وتسبيحهم: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠].

هذا حمد الله باطنًا، فجميع خلايا الجسم وذرات الجسم، تقول: الحمد لله رب العالمين.

**الثاني**: حمد الله ظاهرًا وباطنًا، بقلبك، ولسانك وجوارحك: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

**الثالث**: وهذا أعلاها وأحبها إلى الله، وهو أن تشكر الله وتحمده على نعمه، بتسخير هذه النعم لإصلاح أهل الأرض، واستعمالها في عباده في مرضاته.

أعلى أنواع الحمد، أن تستعمل ما أعطاك الله ﷻ من النعم، لإصلاح أهل الأرض، واستعمالها في عباده في مرضاته، فكلما أعطاك الله نعمة من مال أو ولد أو صحة أو جاه أو علم أو قوة، فاستعملها في مرضاته، وإصلاح أحوال عباده: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ/ ١٣].

والحمد العملي بصرف جميع النعم في مرضاة الله؛ في سبيل الله، لإصلاح عباد الله: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

فاللهم ارزقنا من نعمك ما يعيننا على عبادتك وطاعتك، والإحسان إلى خلقك، وارزقنا حمدك عليها بأنواع المحامد.

فالله أكبر ما أخسر من أصبح متقلبًا في النعم غافلًا عن شكر المنعم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا

يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

- **وحمد العباد لربهم نوعان:**

حمد الشكر .. وحمد الثناء.

الأول : حمد الشكر ، وأكثر الخلق لا يعرفون إلا حمد الشكر على النعم، صحة بعد مرض، غنًى بعد فقر، هداية بعد ضلالة، فهم لا يعرفون إلا حمد الشكر فقط، وهذا أمر مطلوب ومأمور به .

أكثر الخلق لا يعرفون إلا حمد الشكر، أعطاني النعمة فأنا أشكره عليها، فإذا لم تأتِ النعمة قل حمدي وشكري لربي : ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٥ – ١٦].

الثاني : حمد الثناء : وحمد الثناء والتمجيد والتكبير والتعظيم لله ، أكثر الخلق غافل عنه، وهو حمد الله على عظمته وكبريائه، وجلاله وجماله، وحمده على عظمة ملكه وسلطانه .

ملك الله عظيم، له ملك السماوات والأرض، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وهو رب العالمين، الذي ملأ هذا الملك العظيم بمخلوقات لا تعد ولا تحصى بجملتها فكيف بأعدادها ، وذراتها ؛ وكلها تسبح بحمد ربها، وتشهد بوحدانيته : ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٣ – ٤٤].

فحمد الثناء أكثر الخلق غافل عنه، وهو حمد الله على عظمته وكبريائه، وحمد الله على جلاله وجماله، وحمد الله على عظمة ملكه وسلطانه، وحمد الله على حسن أحكامه وأوامره : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٢ – ٧].

أحمد الله لأنه رب العالمين: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم

مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم/ ٣٢- ٣٤].

وحمد الله على النعم العامة الواسعة، أعظم من حمده على النعم الخاصة التي تأتي العبد من رزق أو صحة أو غيرها : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾[الأنعام: ١ ] .

وحمد الثناء هو تمجيد الله ، وذكره بأسمائه وصفاته، والثناء عليه بكل المحامد والمدائح والتقرب إليه بعبادته ، وطاعة أمره، فهو أهل أن يحمد، وأهل أن يكبر وأن يعظم، الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض؛ الحمد لله فاطر السماوات والأرض:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾[سبأ/ ١].

فنحمده على نعمه العامة الواسعة، ونحمده على نعمه الخاصة، ونحمده على جلاله وجماله، والحمد لله رب العالمين على هذه النعم التي عرفنا الله بها، وسخرها لنا ، وحبب إلينا حمده وشكره عليها .

والله سبحانه سهل العبادات، وسهل الشكر، وسهل رضاه علينا، بأن يسر لنا من أنواع العبادات ما يقربنا إليه ، ويرفع درجاتنا يوم القيامة لديه؛ فالله يرضى عن عبده إذا حمده على أكلة أو شربة، فلا يفوتك ذلك وذكر الناس بذلك.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمِدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشُّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**» أخرجه مسلم[1].

والحمد والذكر أحب شيء إلى الله ، وأعظمه أجرًا، فاذكر ربك كثيرًا، واحمد ربك كثيرًا : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾

[ الأحزاب: ٤١ – ٤٣ ] .

واحمد ربك كثيرًا، ولا يشغلك عنه سواه، واصبر على ما أصابك؛ يحبك ربك ويحمدك : ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤).

ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ق: ٣٩-٤٠] .

وإذا ضاق صدرك فأكثر من حمد من أنعم عليك : ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩] .

﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه/ ١٣٠- ١٣١].

وإذا أطعت الله ورسوله فاحمد الله : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: ١-٣] .

وقال النبي ﷺ: «**أَحبُّ الكَلامِ إِلَى الله أَرْبَع: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَا الله، وَاللهُ أَكْبَر**» أخرجه مسلم[1].

- **الدين نصفان:**

نصف حمد .. ونصف صبر.

فنحمد الله على النعم، ونصبر على البلاء، وفوق ذلك نرضى بالبلاء، وفوق ذلك نشكر الله على نعمة البلاء، كما نشكره على نعمة العطاء .

إنك لن تجد طعم الإيمان، حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك"؛ فأقدار الله كلها حكمة ورحمة، فاحمد ربك في جميع أحوالك، في ليلك ونهارك تنال أجرًا عظيمًا، وثوابًا جزيلًا، ومقامًا كريمًا.

قال النبي ﷺ: «**الطَّهُورُ شَطْرَ الإِيمَانِ، وَالحَمْدُ لله تَمْلأ المِيزَانِ**» أخرجه مسلم[2].

والحكمة من إكثار ذكر الله ﷻ، أن نذكر الله بأسمائه وصفاته، لنخافه ونهابه ، ونكبره ونعظمه، ونذكر نعمه وإحسانه، لنشكره ونحمده؛ فاذكر من عظمة الله وأسمائه وصفاته ما تقدر عليه، لتملأ قلبك بالإيمان، وحب الله ، وتعظيمه ، وتكبيره ، وحمده ، وشكره :

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤ ].

فكل ما نراه في الكون من آثار رحمته: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر/ ٧].

فأنت مملوك لملك، والملك يرعاك، يسوق إليك أقواتك ، ويهديك إلى الصراط المستقيم، والله رقيب عليك وشهيد عليك، وهو يكلؤك بعنايته ورعايته : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ غافر: ٦٥ ] .

الحمد لله رب العالمين على نعمة العطاء، ونعمة المعرفة، ونعمة الهداية إلى الصراط المستقيم، فمن عرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته ، وعرف نعمه وإحسانه؛ استعمل قلبه وجوارحه ولسانه في طاعة مولاه، فأطلق لسانه بحمده، وأرسل جوارحه بطاعته، وقلبه خاشع حاضر بين يديه، منكسر بين يديه، راكع وساجد له، مسبح بحمده، يدعوه خوفًا وطمعًا : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥ – ١٧].

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتنزل البركات، وتحصل الهدايات، فلله الحمد كثيرًا، كما ينعم كثيرًا، وكما يعفو كثيرًا، وكما يحلم كثيرًا، وكما يشكر كثيرًا، وكما يرحم كثيرًا : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢ – ٧] .

وله الحمد كثيرًا على ما وفق للحمد، وقبل الحمد، وأجزل أجر الحمد : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

والحمد لله كثيرًا، الذي أرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل علينا أحسن كتبه، وشرع لنا أفضل شرائع دينه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾﴾ [المائدة/ ٣].

والحمد لله كثيرًا الذي أكمل في مخلوقاته حججه، وأبان بها عظيم قدرته، وأظهر بها شواهد وحدانيته: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم/ ٢٢].

هذه آيات عظيمة الله ﷻ أظهر بها قدرته، وأسماءه وصفاته، فله الحمد: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم/ ١٧ – ١٨].

حيثما كنا في أي مكان، وفي أي زمان، وفي أي حال، نرى نعم الله التي تستوجب حمده وشكره في كل آن.

ومن آياته الدالة على وحدانيته، المستوجبة لحمده وشكره وتعظيمه وتكبيره، وطاعته وعبادته: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم/ ٢٠- ٢٢].

وإذا علموا ذلك؛ أمنوا بالله، وعبدوه، وحمدوه، ومجدوه، واستغفروه وأنابوا إليه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم: ٢٣ – ٢٥].

هذه السماء العظيمة باقية بأمره، لو رفع عنها أمر البقاء؛ لزالت فوراً، ولا يعلم أحد أين ذهبت فسبحان الله ما أعظم ملكه، وما أعظم خلقه، وما أعظم إحسانه، وما أعظم

قدرته : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧ ﴾ [الروم/ ٢٥ - ٢٧].

فمن لم يفقه بعد سماع هذه الآيات العظيمة البينة؛ فقد خُسف بعقله ، وضل بعد هدايته : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ﴾ [ الأنفال: ٢٢ - ٢٣ ] .

فنسأل الله أن يمن علينا وعليكم بالسمع الصحيح، والبصر الصحيح، والعقل الصحيح، والعمل الصحيح : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ ﴾ [ آل عمران: ٨ ] .

والحمد لله كثيرًا، الذي لجلاله وجماله غاب عن الحواس فبطن، وظهر للعقول فعلن، الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣ ﴾ [الحديد/ ٣].

والحمد لله كثيرًا الذي خلق الخلق كلهم بقدرته، ودبرهم بمشيئته، وقهرهم بقوته ، ووسعهم برحمته ، وعمهم برزقه .

هو القوي القادر القاهر، الذي لا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء، ولا يمتنع عليه شيء .

والحمد لله كثيرًا على ما خلق وأمر، والحمد لله على ما أعطى ومنع، والحمد لله على ما أنعم وأعطى، والحمد لله على ما أمات وأحيا ، والحمد لله على ما أغنى وأقنى .

الحمد لله حمدًا كثيرًا لا انقطاع له، والحمد لله حمدًا لا يحيط به أحد سواه .

والحمد لله حمدًا لا انقطاع له دون بلوغ رضاه : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١ ﴾ [سبأ/ ١].

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله المحيط بكل شيءٍ علمه، النافذ في جميع الخلق قضاؤه، العدل في حكمه، الحكيم في أمره، الذي لا يعارض في حكمه، ولا شريك له في ملكه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ ﴾ [ فاطر: ١٣ ] .

الحمد لله على النعمة به، والحمد لله على النعمة منه، والحمد لله الدائم عطاؤه، الواسع رحمته ، الدائم بره، العظيم إحسانه .

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله القائم على كل نفس، الرقيب على كل شيء، الجاعل بعد العسر يسرًا، وبعد الكرب فرجًا، وبعد الخوف أمنًا، وبعد الذلة عزًا : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ غافر: ٦٥ ] .

حي بجميع الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، هو الحي بصفة السمع ، بصفة البصر ، بصفة القوة، بصفة القهر، بصفة القدرة، بصفة الرحمة، بصفة الكرم : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [ طه: ٨ ] .

الحمد لله رب العالمين حمد المعظم لربه، المكبر لجلاله، العارف بقدره، الشاكر لنعمائه، الصابر على بلائه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ الأنفال: ٢ – ٤ ] .

سبحان الله وبحمده عدد ما خلق ويخلق، وعدد ما رزق ويرزق، وعدد ما رحم ويرحم، وعدد ما كان وما سيكون .

سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته.

- **والحمد له معنيان :**

يكون بمعنى المدح .. ويكون بمعنى الشكر.

فالشكر يكون في مقابلة الإحسان والإنعام، والمدح يكون في مقابلة معرفة عظمة أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [ الأنعام: ١ ] .

وحمد الله هو ثناؤه على نفسه؛ فهو الذي قال : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [ الصافات: ١٨٠ – ١٨٢ ] .

وأفضل النعم ما أوصلك إلى المنعم جل جلاله، وأشأم النعم ما شغلك عنه ومن

استهدى فسيهدى ويعطى ويرضى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾[طه/ ١٣٠].

فسبح باسم ربك العظيم، وسبح باسم ربك الأعلى، وسبح بحمده في كل الأوقات والأحوال: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الروم/ ١٧-١٨].

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[الصافات/ ١٨٠- ١٨١].

اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السماوات والارض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن .

ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق.

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت .

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلاله وجهك ، وعظيم سلطانك، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالمعافاة، ولك الحمد بالأهل والمال والولد، الحمد لله الواجب حمده، الحمد لله الدائم بره ، الحمد لله الواسع فضله.

الحمد لله العظيم ملكه، الحمد لله النافذ أمره، الحمد لله الشديد بطشه .

الحمد لله الكبير اسمه، الكبير رزقه، الكبير ملكه، الكبير إحسانه، الكبير ثوابه .

الحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة .

الحمد لله الأول قبل كل شيء ، الآخر بعد كل شيء، الظاهر فوق كل شيء، الباطن دون كل شيء .

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، الآخر بلا آخر يكون بعده، الحمد لله الذي ابتدع

الخلق بقدرته ابتداعًا، وجعلهم في قبضته أحياءً وأمواتًا، وجعل لكل روح منهم قوتًا معلومًا ، ورزقًا مقسومًا ، وأجلا محدوداً .

فضرب له في الحياة أجلًا محدودًا، ونصب له أمدًا معلومًا، يخطوا إليه بأيام عمره، حتى إذا بلغ أقصى أثره ، واستوعب حساب عمره، قبضه الله إليه ، ثم ساقه إلى ما ندبه إليه ، من عظيم ثوابه أو شديد عقابه، عدلًا منه وإحسانًا: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ٣١﴾[النجم/ ٣١].

والحمد لله الذي عرفنا بنفسه، وأسمائه، وصفاته وآلائه، وفتح لنا أبواب العلم بربوبيته وألوهيته، وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته .

والحمد لله الذي هدانا إلى الإخلاص له في توحيده، وعصمنا من الإلحاد والشك في أمره، والحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخلق، وأجرى علينا طيبات الرزق، وسخر لنا ما في السماوات والأرض؛ فكل المخلوقات منقادة لنا بقدرته، وصائرة إلى طاعتنا بعزته ، ومسخرة لنا بأمره .

والحمد لله الذي أغلق عنا باب الحاجة إلا إليه، وركب فينا أعضاء البسط والقبض، وخلق فينا جوارح الأعمال وغذانا بطيبات الرزق، ثم أمرنا ونهانا ، ليختبر طاعاتنا، وابتلانا بالسراء والضراء ليختبر صبرنا وشكرنا، ثم خالفنا أمره، وركبنا متون زجره؛ فلم يعاجلنا بعقوبته، بل أكرمنا بواسع رحمته، وشملنا بحلمه وعفوه، وانتظر توبتنا ورجعتنا لكمال رأفته ورحمته.

فالحمد لله الذي فتح لنا أبواب فضله، وفتح لنا أبواب رحمته، وفتح لنا أبواب جنته، والحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأرسل إلينا سيد الأنام، ووضع عنا ما لا طاقة لنا به، ولم يكلف نفسًا إلا وسعها .

والحمد لله بكل ما حمده به خلقه، وأقرب ملائكته إليه، وأقرب خليقته عليه، وأرضى حامديه لديه ، حمدًا يفضل سائر الحمد .

والحمد لله عدد ما أحاط به علمه، حمدًا لا منتهى لحده، ولا حساب لعدده، ولا بلوغ لغايته، ولا انقطاع لأمده.

والحمد لله الذي من علينا ببعثة محمد ﷺ دون الأمم الماضية، فأدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

والحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وأمسكهما بقدرته، ورفع السماء بقوته، ودحا الأرض بمشيئته، وملأ الكون برحمته ونعمه .

الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته، وميز بينهما بقدرته، وجعل لكل واحد منهما حدًا محدودًا، وأمدًا ممدودًا ، ونفعًا معلومًا.

والحمد لله عدد ما خلق في الأرض والسماء، وعدد ما علا في الهواء، وعدد ما كن تحت الثرى، ليس لنا من الأمر إلا ما قضيت، ولا من الخير إلا ما أعطيت، تباركت ربنا وتعاليت .

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# الباب الحادي عشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٤٨ – اسم الله المجيد.

التعبد لله عز وجل باسمه الله المجيد.

٤٩ – ٥٠ – اسم الله الولي.. المولى.

التعبد لله عز وجل باسمه الولي.. المولى.

٥١ – ٥٢ – اسم الله النصير.. الناصر.

التعبد لله عز وجل باسمه النصير.. الناصر.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

## إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# اسم الله

# المجيد

# موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

## اسم الله المجيد

الله سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

والله سبحانه ذكر في القرآن الكريم أعظم شيء؛ وهو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتعبد لله بموجب ذلك، وكمال الله ﷻ يجب أن نتعرف عليه، نتعرف على ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله؛ حتى تأتي عظمته في قلوبنا إذا رأينا صفات جلاله، وجبروته وملكوته، وكبرياءه وعزته، ويأتي في قلوبنا حبه وحمده وشكره إذا رأينا نعمه وإكرامه وإحسانه، ورحمته بخلقه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

وكل كمال في المخلوق فالله ﷻ أولى به، بل هو منزه عنه؛ لأن ما في المخلوق من كمال من الله ﷻ؛ فهو الذي خلق الإنسان، وخلق صفاته، والله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١].

والله سبحانه هو الملك الحق، الذي له المثل الأعلى؛ فهو أحسن الخالقين، وخير الرازقين، وأكرم الأكرمين جل جلاله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾ [الروم: ٢٧].

فالله سبحانه الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى، وله الأفعال الجميلة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

إذا عرفنا الله؛ آمنا به، وإذا آمنا به؛ عبدناه، وآمنا بكتابه العظيم، وامتثلنا أمره العظيم، وفزنا برضاه، ونلنا ثوابه العظيم جل جلاله.

فمعرفة الله في باب التوحيد بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة القلب من البدن، فإذا قُطع الرأس أو القلب مات هذا البدن، فأصبح ميتًا بعد أن كان حيًّا.

فباب التوحيد باب عظيم، وهو المقصود من خلق الخلق؛ أن يُوحَّد الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ

ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [الذاريات/ ٥٦].
والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى؛ فهو المجيد جل جلاله: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾﴾ [هود/ ٧٣].
الله سبحانه هو المجيد بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، المجيد الذي تمجد بالعظمة والكبرياء، والجلال والجمال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].
وهو سبحانه الملك المجيد الذي له الملك والملكوت، وله الخلق كله، وله الأمر كله، العظيم الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك/ ١ - ٢].
هو المجيد الذي له ملك السماوات والأرض، وله ما في السماوات والأرض، وله ما بين السموات والأرض ، وله غيب السماوات والأرض، وله جنود السماوات والأرض، وله خزائن السماوات والأرض ، وله مقاليد السموات والأرض ، وله ميراث السموات والأرض : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].
هو سبحانه المجيد القادر على كل شيء، واسع الرحمة والمغفرة، جزيل العطاء والإحسان، الفعال لما يريد: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج/ ١٢ - ١٦].
هو سبحانه المجيد الذي له المجد كله، المجيد في جميع أقواله وأفعاله، الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الجزيل في عطائه ونواله: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].
هو الحي بجميع صفات الكمال؛ فهو جل جلاله الحي ، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء، العليم بكل شيء، الخبير بكل شيء، القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء، الغني عن كل أحد، القادر على كل أحد، اللطيف العفو، المجيد بذاته وأسمائه وصفاته : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

هو المجيد الذي مَنَّ علينا بمعرفته، وشرع لنا الدين الذي نتقرب به إليه، وأمدنا بأقوات الأبدان، وأقوات القلوب، فله الحمد كثيرًا كما ينعم كثيرًا: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤].

هو سبحانه المجيد العلي العظيم، رفيع الدرجات، الذي لا يرضى لعباده إلا بأرفع الدرجات، وأحسن المنازل.

قال النبي ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَّ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وسقفه عَرْشُ الرَّحْمَنِ**» أخرجه البخاري(1).

سبحانه: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥﴾ [غافر/ ١٥].

هو سبحانه الحميد المجيد الذي له التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه، المجيد الذي تمجد بجلاله وجماله، وإحسانه وإنعامه، ومجده خلقه؛ لكمال عظمته وجلاله، وجزيل إنعامه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤].

سبحان ذي الجبروت، والملكوت والكبرياء، والعظمة!: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

هو المجيد الذي تسبحه جميع مخلوقاته: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [الجمعة/ ١].

هو المجيد الذي تمجده جميع مخلوقاته؛ لكمال عظمته وجلاله، وكمال إنعامه وإحسانه.

فسبحان الرب المجيد الذي يمجده ويكبره ويحمده أهل السماء والأرض! ذو المجد

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٣).

والشرف والسؤدد، وذو العز والعظمة والكبرياء: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

هو سبحانه المجيد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، جزيل الإنعام والعطاء، هو المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله، المجيد العظيم، الذي لا تقدر الأوهام قدره، ولا تبلغ الألسنة وصفه، ولا يحصي الخلائق ثناءً عليه، ولا تستطيع إحصاء نعمه، ولا تقدر على الإحاطة بجميع أسمائه وصفاته ومخلوقاته: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

فالله سبحانه هو المجيد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الذي له جميع صفات الكمال، المجيد الذي منه جميع أفعال الخير والإحسان والإنعام، فبيده كل شيء، وعنده خزائن كل شيء: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هذه أفعال المجيد سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١﴾

[لقمان: ١٠ - ١١].

هذه أفعال المجيد: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهو سبحانه ذو المجد والعظمة والكبرياء، وذو الإنعام والإحسان والإكرام.

فجميع المخلوقات قاعدة على موائد نعمه، من في العالم العلوي، ومن في العالم السفلي، من في عالم الغيب، ومن في عالم الشهادة، من في الدنيا، ومن في الآخرة، أولياؤه وأعداؤه؛ الجميع قعود على موائد نعمه التي لا تعد ولا تحصى؛ فهو الغني عن كل أحد،

الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

هو سبحانه الحميد المجيد، ذو المجد والكبرياء، والعظمة والجلال، المجيد الذي تمجده جميع مخلوقاته؛ لكمال مجده وعظمته، وجمال أسمائه وصفاته، وعظيم نعمه وإحسانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

فالله مجيد، تمجده وتحمده وتثني عليه جميع مخلوقاته، فجميع مخلوقاته مسبحة بحمده، وساجدة لعظمته، وخاضعة لأمره، وشاهدة بوحدانيته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

هو سبحانه المجيد، عظيم القدر والشأن، جميل الإحسان والإنعام، ذو الجلال والإكرام، عظيم الملك والسلطان.

هو المجيد الذي له الخلق كله، وله الأمر كله، وله الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، هو المجيد الذي مجد نفسه لكماله وجلاله وجماله؛ فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة/ ٢- ٤].

وقال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

هو سبحانه الحميد المجيد الذي له المجد الأعلى، والأسماء الحسنى، والصفات العلى، المجيد القادر، العليم الخبير الذي قدر المقادير، وخلق الخلائق، وقسم الأرزاق، وكتب الآجال، المجيد القادر على كل شيء، فلا يعجزه شيء، العليم بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

هو المجيد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

• **وقد ورد اسم الله المجيد في القرآن مرتين:**

**الأولى:** في قوله سبحانه في سورة هود: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ٧٣﴾[هود/ ٧٣].

**الثانية:** في قوله سبحانه في سورة البروج: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ [البروج: ١٣-١٦].

فالله سبحانه حميد مجيد، عزيز غالب، قادر قاهر، هو جبار السماوات والأرض، هو الملك الحق الذي بيده الخلق والأمر، لا يقف له شيء، ولا يمتنع عليه شيء، حميد محسن إلى خلقه بأنواع النعم التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وجاء هذا الاقتران بين اسم الله الحميد والمجيد في قوله: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ٧٣﴾[هود/ ٧٣].

للدلالة على مجامع الجلال والجمال والكمال، فالمجيد من أسماء الله الجامعة التي تجمع المعاني العظيمة، فهو الحميد الذي تُحمد جميع أفعاله، المجيد ذو الشرف والكرم والخير والإحسان، وصفات الجلال والجمال، فهو قادر قاهر، ومع هذه القدرة وهذا القهر، وهذه العظمة؛ هو حميد يحمد على إحسانه إلى خلقه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

وصفات المجد التي وصف الله بها نفسه محمود عليها من جميع الوجوه، فهو الكريم، وهو العزيز، وهو الغفور، وهو الرحمن، وهو الرحيم، وهو اللطيف، وهو الرزاق الذي أستفيد من رزقه، العليم الذي أستفيد من علمه، القوي الذي أستفيد من قوته، الرحمن الذي أستفيد من رحمته.

فهو الغني وأنا الفقير، وهو العزيز وأنا الذليل، وهو القادر وأنا العاجز، وهو القوي وأنا الضعيف، وهكذا الله ﷻ له صفات المجد كلها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

فهذه الصفات التي وصف الله بها نفسه محمود عليها من جميع الوجوه، منزه عن ضدها

من جميع الوجوه، وأنا أول المحتاجين إليها؛ فالعزة من العزيز، والقوة من القوي، والرحمة من الرحمن، والعلم من العليم؛ فله جميع صفات المجد التي تليق بجلاله؛ منزه عن جميع الصفات التي لا تليق بجلاله:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى/ ١١].

فلا إله إلا الله : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر/ ٦٥].

له الحمد على أن عرفنا بجلاله، وجماله، وكماله .

والنفوس مفطورة على حب الكمال، وحب أهل الكمال، ومفطورة على حب الإحسان، وعلى حب المحسنين، وعلى شكر المحسن إليها : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ الروم: ٣٠ ].

والله سبحانه كماله مطلق في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، وأفعاله كلها خير وحكمة، ورحمة وعدل وإحسان : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [ يونس: ٣ ] .

والعبد أحوج الخلق إلى معرفة النعم التي أكرمنا الله ﷻ بها، وماذا قدم لنا الحميد المجيد من الخير؟ وماذا قدمنا له من الشكر والحمد؟ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة/ ٣].

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان/ ٢٠].

جميع ما في الكون مسخر لنا، عالم الجماد، عالم النبات، عالم الحيوان، جميع هذه المخلوقات مسخرة لنا؛ لنتفرغ لعبادة الله ﷻ ونشكره، فنرى النعمة ونشكر المنعم، ونرى الحميد المجيد بأسمائه وصفاته من خلال النظر في آياته ومخلوقاته؛ فنحمده على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ ق: ٦ – ٨ ] .

والإنسان مفطور على حب الشهوات، فجميع اللذات الحسية يطلبها الإنسان من جميع الشهوات، لذة الأكل والشرب، ولذة المرئيات والمسموعات، وغيرها من الشهوات، فإذا حصلها مَلَّها، وتاقت نفسه إلى ما هو أعلى منها؛ النفس مجبولة على التعلق بالله ﷻ، وما دونه من الشهوات فهي تُمَلُّ؛ ولهذا أمرنا الله ﷻ أن نأخذ من الشهوات بقدر الحاجة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].

فمن رحمة الله ﷻ بنا أن جعل هذه النفوس تمل من أي شيء سوى الله؛ حتى لا تتعلق إلا بالله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ٤٢﴾ [النجم/ ٤٢].

فلا ترتاح هذه النفس ، ولا يطمئن هذا القلب إلا بالوصول إلى العلي الأعلى، الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، الملك الحق المبين، الحميد المجيد، الكريم العزيز، اللطيف الرءوف الرحيم : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ٢٩﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

هو الحميد الذي ملأ الكون بنعمه، المجيد في أسمائه وصفاته، وفي ملكه وسلطانه، وفي أحكامه القدرية، وفي أحكامه الشرعية، وفي أحكامه الجزائية .

ومن تعلق بغير الله تعذَّب به؛ رحمةً من الله، ليعود إلى ربه الذي خلقه وصوره، وأنعم عليه وهداه: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

لا تتعلق بغير الله، لا تصرف الحب الذي يُصرف لله لغير الله؛ فتتعذب به، فمن تعلق بغير الله عُذِّب به؛ رحمةً من الله، ليعود إلى ربه الذي يستحق أن يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يُكفر، ولا سعادة للإنسان أبدًا إلا بالاتصال بربه الحميد المجيد، وكل أنس بغيره فهو متعة لا سعادة، نحن والكفار والحيوان؛ ما نحن فيه من النعم المادية هذه متعة لا سعادة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ١٢﴾ [محمد/ ١٢].

أما السعادة فهي بالتعلق بالله وحده : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٥٠ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

لأن كل ما سوى الله محدود وناقص، وعاجز وفقير ، أما الله فهو الكامل، والنفوس مفطورة على حب الكامل، وحب المحسن، والثناء على الكامل ، وعلى المحسن : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [ يونس: ٣ ] .

والله من رحمته جل جلاله أن بين لنا أسماءه وصفاته في ملكه وسلطانه، وفي كتابه الكريم؛ حتى نعرف من الرب الذي نعبد، الرب الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢ - ١٠٣].

فالإنسان كلما تعلق بمخلوق؛ ابتلاه الله ﷻ بهذا الشيء ، وسلطه عليه حتى يعود إلى ربه، فمن تعلق بشيء وُكِل إليه؛ حتى يمله ويكرهه، ويتوجه إلى ربه : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [ الإسراء: ٢٢ ] .

فمن عبد الله فهو في سعادة تزداد كل يوم، ثم تزداد عند الموت، ثم تزداد في القبر، ثم تزداد في عرصات القيامة، ثم تزداد بدخول دار القرار في جنات النعيم : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ يونس: ٢٦ ] .

ومن تعلق بغير الله؛ فهو في متعة تنقص كل يوم؛ رحمةً من الله : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [ طه: ١٢٣ – ١٢٦ ] .

من رحمة الله أن الذي يتعلق بغير الله؛ تكون حياته كلها عذاب وضنك، وضيق، وشدة : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [ الشعراء: ٢١٣ ] .

فالمؤمن الذي تعلق بربه، ولم يلتفت لأحد سواه؛ هو في أعظم نعيم، في الدنيا في جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة ، وفي القبر في روضة من رياض الجنة، ويوم القيامة: ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر/ ٥٥].

والكافر بضد ذلك؛ هو في جحيم وفي عذاب، عذاب في الدنيا؛ رحمةً من الله ، ليعود إلى

ربه وأحس بمرارة الألم ، الله ﷻ يرسل عليه النعم، فإذا لم يستجب أرسل عليه النقم؛ حتى يعود إلى ربه؛ رحمةً من الواحد الأحد، الملك الرحيم الحميد المجيد:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[البقرة/ ١٤٣].

فهذه منازل الناس: إما في الجنة، أو في النار، في الدنيا ، وفي القبر، وفي يوم القيامة : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[ الانفطار: ١٣ – ١٤ ] .

والمجيد جل جلاله إذا أقبلت عليه أسعدك، وإذا أعرضت عنه أرسل إليك ما يردك إليه من نعمة أو بلاء؛ لعل النعمة تذكرك به، فتشكره على هذه النعم .

فالإنسان يشعر بالحياء إذا سكن في ملك الله، وأكل من رزقه، وتنعم بنعمه؛ أن يعصي الله ﷻ بهذه الجوارح، فإن لم تذكره النعمة؛ ابتلاه الله ﷻ ببلاء حتى يعود إلى ربه : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[ البقرة: ١٥٥ – ١٥٧ ] .

الله يبتلينا بهذا وهذا ليردنا إليه؛ فندعوه، ونتوجه إليه، ونتوب من معاصينا، الله ﷻ يرسل البلاء على عبده إذا خرج عن الهدى، فإن لم تذكره النعمة ، ولم يذكره البلاء؛ فليس له إلا العقوبة : ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾

[ الزخرف: ٥٥ ] .

فمن أصر على كفره فليس له بعد التذكير إلا العقوبة : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠] .

- **وأبواب الهداية كثيرة، ويجمعها أربعة أبواب :**

**الأول** : الهدى البياني؛ تهتدي إلى الله برؤية الآيات الكونية، وتدبر الآيات الشرعية، فتهتدي إلى الله حينما ترى هذا الخلق، وتقول: له خالق، وهذه الأرزاق وتقول: لها رزاق خلقها، وهذه الصور لها مصور صورها .

فالإنسان يهتدي إلى ربه إما بقراءة القرآن، أو بالنظر في الآيات الكونية، أو بسماع

موعظة، أو بسماع درس : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [ يونس: ١٠١ ] .

فبعد الهدى البياني تأتي الاستجابة، يستجيب الإنسان لربه بعدما رأى آياته الكونية، وآياته الشرعية .

فإن لم يستجب بعد الهدى البياني جاءه التأديب الرباني .

**الثاني** : التأديب الرباني؛ يؤدب الله الإنسان بالمصائب والآلام والأمراض، فهذه المصائب والأمراض نعم خفية ترد العبد إلى ربه إذا خرج عن الصراط المستقيم .

فالله خلق المكروهات، وخلق النار، وخلق الآلام؛ لصرف الأشرار إلى أعمال الأبرار، وجذب النفوس إلى الملك القدوس، وجر القلوب من دار الغرور إلى دار السرور.

فإذا جاءه الهدى ولم يستجب، وجاءته المصائب ولم يتُب؛ فهناك باب ثالث :

**الثالث**: الإكرام الاستدراجي : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾[الأنعام/ ٤٤].

أعطيناهم مع كفرهم وشركهم وإلحادهم، أعطيناهم كل شيء، لعل النعم تذكرهم بالله فيؤمنوا به : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم/ ٣٤].

فالله يبسط رزقه وعطاءه للمؤمن والكافر، فالكفار يعيشون في نعمه، هؤلاء الذين عندهم المليارات من الأموال، والقصور والمساكن، والبيوت والبساتين وغيرها؛ هذه نعم من الله ، لعلهم يستعملون عقولهم، ويقولون: هذا الذي أنعم علينا بنعمة الإيجاد، ونعمة الأقوات، وهي هذه الأموال ، له مراد من خلقه : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [ الذاريات: ٥٦ – ٥٨ ] .

فيستجيبون ويتوبون إلى الله ﷻ، فإن لم يستجيبوا؛ جاء عذاب القصم، وهو الباب الرابع.

**الرابع** : القصم الإلهي؛ فإذا جاءهم الهدى فلم يستجيبوا للهدى، وجاءهم التأديب الرباني فلم يتوبوا إلى ربهم من الكفر والمعاصي، وجاءتهم النعم فلم يفيقوا ولم يشكروا

المنعم؛ فهناك القصم الإلهي : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [ الزخرف: ٥٥ ] .

الله ﷻ بالمرصاد، يدبر الملك، وينظر إلى الخلائق جميعًا، ويرى كل شيء، ويعلم بكل شيء، ويسمع كل شيء : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [ المؤمنون: ١٧ ].

فالحميد المجيد جل جلاله مَنَّ علينا من بين المخلوقات بأن خلقنا بيده، وكلفنا بشرعه، وجعلنا في هذه الدنيا في ضيافته، وفي القبر في ضيافته، وفي يوم القيامة في ضيافته، وأمرنا في الدنيا بتكميل الإيمان والأعمال، بعد أن كمل ظواهرنا وبواطننا وجوارحنا وأعضاءنا، في بطن الأم، أمرنا بتكميل الإيمان والأعمال في الدنيا؛ ليكمل لنا الشهوات والمحبوبات يوم القيامة برؤية المنعم، والتلذذ بالنعم التي لا تُعد ولا تُحصى ، مع الخلود الأبدي : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة/ ٢٢- ٢٣].

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [ البقرة: ٢٥ ] .

فالله سبحانه يسوق الابتلاءات رحمةً بالعبد، وأكثر الخلق لا يفقه هذا .

فبعد كل بلاء ، وبعد كل نعمة ، يحصل للعبد توبة جديدة، وإيمان جديد، وتعظيم جديد لله، وحمد جديد لله ، وحب جديد لله، وعبادات جديدة لله ﷻ، بعد كل نعمة نزلت، وبعد كل بلاء حصل : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ [ يوسف: ٦ ] .

بعد كل بلية تقع علينا ، وبعد كل نعمةٍ تنزل علينا ، سبع كرامات؛ ليترقى هذا الإنسان، ويتوب إلى ربه، إذا رأى النعمة، وإذا رأى من رفع البلاء، يحصل له إيمان جديد، وتوبة جديدة، وحب جديد لربه، وتعظيم جديد لربه، وحمد جديد لربه ، وحياء جديد من ربه، وطاعات جديدة لربه: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [ البقرة: ٢١٦ ] .

ولهذا نحن نتقلب في هذه الأحوال؛ فنحن بين نعمة نشكرها، وبين بلاء نصبر عليه، وفي

نفس الوقت تحصل لنا هذه الكرامات السبع .
فلنحمد الحميد المجيد جل جلاله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية/ ٣٦-٣٧].
الحميد المجيد جل جلاله إذا أقبلت عليه أسعدك، وإذا أعرضت عنه أرسل إليك ما يردك إليه من نعمةٍ أو بلاء؛ والدعاء وسيلة لاتصالك بمن يملك الحاجات؛ حتى لا تلتفت لأحدٍ سواه، إذا سألت فاسأل الله، الذي بيده الخلق والأمر، الذي يعامل عباده بالكرم والرحمة: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر/ ٦٥].
له الحمد على نعمة العطاء، وعلى نعمة البلاء؛ لأن الجميع يذكر بالله؛ فنشكره ونصبر على ما أصابنا، وندعوه فيستجيب لنا : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[ غافر: ٦٠ ] .
والدعاء وسيلة؛ لأنه سلاح بيد العبد، والدعاء غاية؛ لأنك بمجرد أن تتصل بربك المجيد فأنت أسعد الناس، بمجرد أن تتصل بالملك الحميد المجيد الكبير؛ فأنت أسعد الناس؛ ولهذا فالعبد يفتخر بربه.
فالدعاء وسيلة؛ لأنه سلاح بيد العبد: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر/ ٦٠].
لأنه الغني وأنا الفقير، والله جعل الوسيلة إلى ذلك الدعاء، والدعاء كذلك غاية؛ لأنك بمجرد أن تتصل بربك المجيد؛ فأنت أسعد الناس، يُغنيك عما سواه، فإذا كان إقبال المسلم على الدعاء ضعيفًا؛ خلق الله له حاجةً عنده من أجل أن يدعوه، فإذا دعاه أسعده وقضى حاجته : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[ البقرة: ١٨٦ ] .
الإجابة مفروغ منها؛ فالله كريم، والكريم من الناس من إذا قدر عفا، وإذا سُئل أعطى، وإذا عاهد وفى، ولا يبالي كم أعطى؟ ولمن أعطى؟ هذا الكريم من الخلق، فكيف بالكريم الذي لا حد لكرمه جل جلاله؟! .
كم كَرَم الأنبياء! ، وكم كَرَم النباتات التي تنبت أنواع الثمرات والحبوب! .

وكم كَرَم الرب الذي خلق كل كريم، وخلق له ما يتكرم به، وشرح صدره للتكرم!.

فالله ﷻ كريم، بمجرد أن تتصل به فأنت أسعد الناس، تستفيد من قوته، من كرمه، من إحسانه، من عافيته، من عفوه، من رحمته، فإذا كان إقبالك على دعاء ربك ضعيفًا، وتعلقت بالمخلوق، خلق الله لك حاجةً عنده من أجل أن تدعوه من مرض أو فقر أو بلاء؛ فإذ دعوت ربك أسعدك وقضى حاجتك، فحمدته على هذه النعمة : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة/ ٢] .

أعطاني خيرًا، وصرف عني شرًّا ، أنعم عليَّ، وأنعم على غيري ، خلقني في أحسن تقويم، وساق لي الأقوات، وهداني إلى الصراط المستقيم .

هو سبحانه المجيد، وأسماؤه وصفاته مجيدة، عظيم الكبرياء والجبروت، واسع الكرم والجود، عظيم الإحسان والإنعام، فماذا قدمت أيها العبد من الشكر لربك الحميد المجيد على عظمة جلاله ، وعظيم إحسانه؟ : ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [ سبأ: ١٣ ].

هو الحميد المجيد الذي ، قدم لك كل شيء، وسخر لك كل شيء:﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾[الإسراء/ ٧٠].

هو الملك المجيد الذي أكرم خلقه بنعم لا تعد ولا تحصى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠﴾[لقمان/ ٢٠].

هو الحميد المجيد الذي أنعم عليك بكل نعمه، خلقك وقد كنت معدومًا، ورزقك وقد كنت فقيرًا، وهداك وقد كنت ضالًا، وعلمك وقد كنت جاهلًا:﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾[الضحى/ ٦ - ٨].

أعطاك العافية، وزودك بالسمع والبصر والعقل:﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل/ ٧٨].

نشكر من؟ نشكر المنعم الذي أنعم علينا بالنعم الظاهرة والباطنة، وسخر لنا ما في

السماوات وما في الأرض ، المجيد بذاته وأسمائه وصفاته، والمجيد بأفعاله وإحسانه وإكرامه ، بالنعم التي لا تُعد ولا تُحصى، وهدانا إلى نعمة الإسلام: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٧].

فسبح بحمد ربك المجيد الذي أسعدك في الدنيا بقوت الأبدان، وقوت القلوب، ويسعدك في الآخرة بالجنة والرضوان : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: ٣].

الله سبحانه تمجد بأسمائه وصفاته، وبنعمه وإحسانه، فهو الذي أمدنا بالنعم، ويريد منا أن نسعد في الدنيا والآخرة، لا نتمتع فقط كالحيوانات والكفار؛ بل نسعد بأن نأكل من الأقوات، وننعم بالأقوات، ونبذل أقصى الطاقة فيما يحبه ويرضاه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

هو المجيد الذي بيده كل خير، وبيده السعادة لكل أحد في الدنيا والآخرة؛ فمن استجاب؛ دخل باب السعادة، ومن لم يستجب دخل باب الشقاوة، واحدة بواحدة : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

هذه أفعال المجيد : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

فأفعال الله ﷻ في ملكه وملكوته دلائل على وحدانيته، وشواهد على عظمته، ودلائل

على مجده وكبريائه، ودلائل على عظمة نعمه وإحسانه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ الروم: ٤٠ ] .

فلا إله إلا الله العظيم ، وسبحان الله المجيد بذاته، المجيد بأسمائه وصفاته، المجيد بفعاله، المجيد بإكرامه، المجيد بقوته وعظمته : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ غافر: ٦٥ ] .

هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي، فكل قوة في العالم من قوته، قوة العرش والكرسي، والسماء والأرض، والشمس والقمر، وقوة الجبال والبحار والأنهار، وقوة المياه والنيران، وقوة الإنس والجن والملائكة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [ هود: ٦٦ ] .

وكل قوة في العالم لا تساوي ذرة أمام قوة الله.

فما أجهل الخلق بربهم : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

فأنت في معية القوي، في معية المجيد، في الدنيا بمعرفته وعبادته، وحسن ذكره ، والوقوف ببابه ، والانكسار بين يديه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ الأنفال: ٢ – ٤ ] .

ويوم القيامة تراه ببصرك بعد أن رأيته ببصيرتك في الدنيا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢- ٢٣].

هو المجيد بقوته وعظمته، المجيد بإنعامه وإحسانه، فجميع الأرزاق تحتاج إلى قوة لإيصالها إلى المرزوقين في قاع البحار، وفي السماوات ، وفي الأرض، وما بين السماء والأرض: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٨].

هو سبحانه ذو العظمة والكبرياء، والعزة والجبروت، والإكرام والإنعام والإحسان، واللطف والرحمة والمغفرة، فماذا قدمت يا عبد المجيد لربك المجيد؟ وماذا قدمتِ يا أمة

المجيد لربكِ المجيد؟ وماذا قدمت لنفسك يا أضعف العبيد؟ ماذا قدمت لربك المجيد مقابل بعض نعمه عليك؟ هل وحدت الذي خلقك؟ هل شكرت الذي أنعم عليك؟ هل تقربت لمن أنعم عليك بهذا الدين؟ هل سبحت بحمد الذي خلقك ورزقك، وعافاك وهداك؟ فسبح بحمد ربك العظيم : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ ﴾ [الأعلى: ١ – ٥ ].

هل استغفرت من معصية المجيد؟ هل أطعت المجيد الذي أعطاك سوابغ النعم، وحفظك من شر النقم؟: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢ ﴾[البقرة/ ٢١ – ٢٢].

هل عرفت نعم ربك المجيد عليك وعلى غيرك : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠٣ ﴾ [ آل عمران: ١٠٣ ].

ماذا قدمت لنفسك مما يحب ربك، وما جاء به رسولك؟: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧ ﴾ [الحج/ ٧٧].

هو المجيد الذي يستحق الشكر والحمد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٢٦ ﴾ [ الأنفال: ٢٦ ].

فيا عبد المجيد، ما غرك بربك الكريم؟! : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ [ الانفطار: ٦ – ٨ ].

هل غرك حلمه ، وإمهاله لك وأنت تعصيه بنعمه؟ أم غرتك نعمه التي بين يديك؛ فاستغنيت بها عن الإيمان به وعبادته؟ اذكر الذي أغناك بعد أن كنت فقيرًا، وعلمك بعد أن كنت جاهلًا، وأحياك بعد أن كنت ميتًا، وهداك بعد أن كنت ضالًا: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾ [الضحى/ ٦ – ٨].

فماذا أعمل ؟﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾﴾ [الضحى/ ٦- ١١] .

يا عبد المجيد هذه النفوس مفطورة على التوحيد ، وحب الخير ، وكره الشر، إذا جاءها ذكر الله ﷻ، وسمعت ذكر الله ﷻ، ونظرت في الآيات الكونية والآيات الشرعية؛ آمنت واطمأنت: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧ ] .

فهذه القلوب تتأثر بالذكر كما تتأثر الأرض الغبراء بالماء، فتنبت من كل زوج بهيج : ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥ – ٧ ] .

فكن أيها العبد وأيتها الأمة؛ كن لله المجيد كما يريد؛ يُعطِك المزيد فوق ما تريد، مما يصلحك ويسعدك في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٦٨﴾﴾ [ النساء: ٦٦ – ٦٨ ] .

عطاء المجيد كله مبني على الإيمان والتقوى في الدنيا والآخرة : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

ومن رحمة المجيد أن أنزل علينا الكتاب المجيد؛ فكتاب الله مجيد، فيه تبيان كل شيء، فيه الحكمة، فيه الرحمة، فيه بيان عظمة الله وأسمائه وصفاته، فيه بيان أحكام الحلال والحرام، فيه الوعد والوعيد، فيه آيات الله الكونية، فيه آيات الله الشرعية : ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [ النحل: ٨٩ ].

فالقرآن كريم ، ومجيد، وعزيز ، وحكيم، فيه تبيان كل شيء من جميع الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، والشرائع الحسنة، والأخلاق الحسنة:﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ [ق/ ١].

وكلما تعرف العبد على أسماء ربه وصفاته وأفعاله؛ مجَّده، وأكثر من حمده، والثناء عليه، بقدر تلك المعرفة؛ لهذا أمرنا الله بمعرفته قبل عبادته: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩].

والتعرف على صفات الرب عَجَلَّ يثمر للعبد التخلق بها، فإذا عرفنا الكريم تخلقنا بهذه الصفة؛ لأن الكرم محبوب، والتعلق بالكريم فطرة، والاتصاف بصفة الكرم عبادة: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

نتخلق بالأخلاق التي يحبها الله، فالله يحب أسماءه وصفاته، ويحب من يتخلق بها من عباده: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢ ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

والله يحب الشاكرين، والله يحب المحسنين، والله يحب الصابرين، والله يحب المؤمنين، فالله يحب صفاته، ويحب أن يتخلق بها خلقه؛ فالتعرف على صفات الرب المجيد يثمر للعبد التخلق بها: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ بماذا؟ ﴿ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

فالذي فيه ذكر صفات المجيد، هذا الكتاب العظيم: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

ولله الأسماء الحسنى، فلنتعرف عليها؛ حتى ندعوه بها، فالله شكور يحب الشاكرين، تواب يحب التوابين، مجيد يحب العبد المجيد، والأمة المجيدة، يحب المجيد من خلقه إذا كان مجيدًا في أقواله وأعماله وصفاته: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فالله يحب المجيد، ويثني على من مجَّد نفسه بالأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية، وأعلى الأخلاق أن تعبد من يستحق العبادة، وتشكر من يستحق الشكر، وتمجد من يستحق التمجيد، ونحمد من يستحق الحمد: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا

ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت/ ٣٠-٣٢].

فسبحان المجيد الذي تمجَّد بأسمائه وصفاته، وعظمة ملكه وسلطانه، وخلقه وأمره، وعظمته وكبريائه! .

هو المجيد الواسع الكرم، ذو الشرف والعز والكرم، سابغ النعم، دافع النقم، عظيم المنن، هو المجيد في ذاته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله الكريمة، وأقداره الحكيمة: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف/ ٥٤].

فاعبدوه إذا عرفتموه؛ لكمال مجده وعظمته، ولعظمة إحسانه وإنعامه على خلقه.

هو المجيد الحق الذي خلق كل شيء، المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، واسع المغفرة والرحمة، جزيل العطاء والإحسان : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢] .

هو المجيد الذي مجده لا نهاية له، وعطاؤه لا نهاية له، وكرمه لا حدود له، ونعمه لا نهاية لها، ورحمته لا نهاية لها، وعلمه لا نهاية له، وملكه لا نهاية له:﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم/ ٦٥].

هو المجيد الذي له أسماء والجمال ، المجيد الذي تفرد بصفات العز والمجد والكبرياء :
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾
[البقرة/ ٢٥٥].

هذه أعظم آية في كتاب الله، آية الكرسي، فيها خمسون اسمًا من أسماء الله الحسنى ظاهرةً ومضمرة، فمن تأملها استخرج هذه الأسماء العظيمة.

فسبحان المجيد بذاته، الجميل بأسمائه وصفاته، الجزيل في عطائه، المحمود على إحسانه،

القريب من عباده! .

هو المجيد الذي يعطي ويرزق، ويشفي ويكفي، ويرفع البلاء، ويزيل الهم، ويدفع النقم، فهو بقوته قادر على كل شيء، وبرحمته منعم بكل شيء: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾[يونس/ ١٠٧].

هذا ربك المجيد بيده الخلق والأمر ، وبيده الضر والنفع، والعطاء والمنع، والبسط والقبض، والذلة والعزة، والسعادة والشقاوة : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ٨ ﴾[ طه: ٨ ] .

فإذا نزلت بك داهية ، أو مصيبة ، أو قارعة أو محنة؛ فتوجه إلى ربك المجيد، ذي الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، يهديك إلى سبل السلام : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[ غافر: ٦٥ ] .

هو سبحانه المجيد الذي بيده مقاليد السموات والأرض ، وبيده مفاتيح كل شيء : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٧ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾[الأنعام/ ١٧-١٨].

فاسأله الهداية، واسأله الرحمة، واسأله العافية ، واسأله ما يعينك على حسن عبادته وأعظم سؤال في القرآن: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦﴾[الفاتحة/ ٦].

الصراط المستقيم الموصل إلى جنة المعرفة في الدنيا ، التي بواسطتها تصل إلى جنة الآخرة يوم القيامة .

فلا تتوجه إلى غير ربك المجيد، ولا تلتفت لأحد سواه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾[ يونس: ٣ ] .

أي ضلالة لا كاشف لها إلا هو، أي مرض لا كاشف له إلا هو، أي فقر لا كاشف له إلا هو، أي كربة لا مفرج لها إلا هو: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾[النمل/ ٦٢].

هو سبحانه المجيد الذي تمجد بكل شيء عظيم، المجيد الذي تمجد بكل شيء كبير.

فمجده وعظمته ، وجلاله وجماله ، لا أول له ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية لمجده، فلا

نهاية لمجده وجلاله وجماله وكبريائه، ولا حد لملكه وسلطانه .

وهو سبحانه المجيد الذي مجده على قدر شأنه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ الحشر: ٢٢ - ٢٤ ] .

هو المجيد القادر على كل شيء ، فلو كانت جميع الأشجار أقلامًا، وجميع البحار مدادًا، وجميع الخلائق كتابًا أبد الآبدين؛ لم يبلغ الخلق إحصاء كلماته، ولا إحصاء خلقه، ولا إحصاء نعمه، ولم يبلغوا ما هو عليه من الجلال والجمال والمجد، ولم يؤدوا حقه من المدح والثناء، والحمد والشكر: ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٦-٢٨].

هو سبحانه القوي العزيز المجيد، القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، كل شيء لعزته ذليل، وكل أحد لكبريائه خاضع، بيده الخلق والأمر كله، لا إله إلا هو، ولا رب سواه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [ الأنعام: ١٠٢ ] .

كل الخلق شاهد بوحدانيته، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته، وخاضع لأمره .

كل الخلق لأمره طائع، وكلهم له عابد، وكلهم لسلطانه خاشع، وكلهم إليه راغب، وكلهم منه راهب، وكلهم إليه راجع: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨٣].

هو المجيد الذي سجدت له جميع مخلوقاته في العالم العلوي والسفلي : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

المجيد الذي اجتمعت له صفات الجلال والقوة والعظمة والكبرياء، وصفات الجمال

والإكرام والإنعام والإحسان.

هو المجيد القوي الذي لا يعجزه شيء، وكل شيء مستجيب لإرادته فورًا، ومسرع إلى مشيئته طوعًا: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

هو المجيد القادر على كل شيء، خلق الكبير والصغير، والكثير والقليل، وعالم الغيب وعالم الشهادة، وكله عليه يسير: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝٢٨﴾ [لقمان/ ٢٨].

فسبحان الرب المجيد الكريم، العليم الخبير، الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه، ولا يقطع رجاء من رجاه، العليم بكل شيء، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

هو سبحانه المجيد الحميد الذي عرَّف أولياءه بتوحيده، فله الحمد والشكر، وألهم خلقه تسبيحه وتحميده، فله الحمد والشكر، وأوْلَهَ القلوب بعبادته؛ فله الحمد والشكر، وأنطق الألسن بذكره، فله الحمد والشكر، واضطر العقول لتعظيمه وتمجيده؛ فله الحمد والشكر: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥۤ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ۝١٨﴾ [الحج: ١٨].

فسبحان من خلق الخلق لرحمته، ولكنهم يتفلتون عن طاعته، ويطيعون الشيطان عدوه: ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ۝٦٢﴾ [يس/ ٦٠- ٦٢].

فتعرفون الرب العظيم الذي خلقكم ورزقكم، القادر الذي يحييكم ويميتكم، الملك الذي بيده الملك، فتعبدوه، وتوحدوه.

هو سبحانه المجيد بأسمائه وصفاته، العليم المحيط بكل شيء، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ذرات الرمال، وعدد الأرواح، والأنفاس، وعدد الحروف والكلمات، ويعلم ما في البر والبحر، وما

أظلم عليه الليل، وما أشرق عليه النهار، لا تواري منه سماء سماءً، ولا أرض أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩].

هو ملك عظيم مجيد، لا تحيط به الظنون، ولا تدركه الأبصار، ولا تقابله العيون، ولا تحيط به العقول، ولا تكيفه الأوهام: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢ - ١٠٣].

ربنا مجيد عظيم، نور وجهه ملأ الكون كله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور/ ٣٥].

وكتابه نور: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء/ ١٧٤].

ودينه نور: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

ظهر المجيد الظاهر للبصائر والعقول، ظهورًا أبين من الشمس في رابعة النهار: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣].

فسبحان من ظهر للبصائر والعقول ظهورًا أبين من الشمس في رابعة النهار: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

والله يريد منا أن نعبد الله كأننا نراه؛ فهذا مقام الإحسان؛ فالله موجود بكمال الأسماء والصفات، موجود بصفات الكمال والجلال والجمال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣].

فاعبدوه وحده إذا رأيتموه وعرفتموه.

واحتجب بعظمته ونوره عن الأبصار؛ فلا تراه في الدنيا أبدًا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

وعن أبي ذر، قال: سألت الرسول ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «**نُورٌ، أَنى أَرَاهُ، حِجَابُهُ النور، لَوْ كَشَفَه لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ما انْتَهى إلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» أخرجه مسلم[1].

فسبحان المجيد الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا رادّ لقضائه ، ولا معقب لحكمه، له الخلق والأمر وحده لا شريك له. يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويكرم ويهين، ويعطي ويمنع، ويرفع ويخفض، ويعفو وينتقم، ويهدي ويضّل، وينصر ويخذل، ويبسط ويقبض : ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ الرحمن: ٢٩ ].

والله جل جلاله هو الرب المجيد الحق، عظيم الأسماء والصفات، عظيم الملك والسلطان، عظيم النعم والإحسان، عظيم الخلق والأمر، عظيم الثواب والعقاب : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [ البقرة: ٢٥٥ ] .

هو العظيم الذي لا يعطي إلا العظيم، أنزل علينا القرآن العظيم، وأرسل إلينا رسولاً كريماً، وشرع لنا أحسن دين .

فهو المجيد جل جلاله، أسماؤه كلها مجيدة، وصفاته كلها مجيدة، وأفعاله كلها مجيدة، والقرآن كله تحميد وتمجيد ، وتعظيم وتكبير، وتسبيح للرب الحميد المجيد: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢ - ٢٤].

والصلاة التي شرعها الله ﷻ لنا، كلها تعظيم وتكبير ، وتحميد وتمجيد، وتسبيح للحميد المجيد، أهل الثناء والمجد ، شرعها الله لعباده ليتصلوا به بأحسن الصفات والأقوال والأعمال؛ فأولها تحميد وتمجيد للرب جل جلاله، وأوسطها تمجيد، وقيامها تمجيد، وركوعها تمجيد، وسجودها تمجيد، وجلوسها تمجيد، وأقوالها تمجيد: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[العنكبوت/ ٤٥].

ففي أول الصلاة تكبير، والتكبير تمجيد، والاستفتاح كله تمجيد، وفي الركوع وما بعده تمجيد، سبحان ربي العظيم تمجيد، سمع الله لمن حمده تمجيد، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا تمجيد، وفي الركوع وما بعده تسبيح وتحميد وتمجيد، وفي السجود تسبيح وتحميد وتمجيد سبحان ربي الأعلى، سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة؛ وفي الجلوس دعاء وثناء ، وتحميد وتمجيد.

فالجلوس قبل السلام دعاء وثناء ، وتحميد وتمجيد ، التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد.

ولهذا فرضها الله على عباده كل يوم خمس مرات، ورغب في الإكثار من نوافلها، وشرعها في أحوال مختلفة، وأمر بالمحافظة عليها في أوقاتها فقال : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾[البقرة/ ٢٣٨].

وهي خمس في العمل، وخمسون في الأجر أصلًا، ثم الخمسون في الأجر تضاعف؛ فالصلاة الواحدة محسوبة عشر صلوات في الأصل، مثلاً صلاة الظهر نصليها واحدة فعلًا، ولكنها عند الله أصلًا عشر صلوات، والحسنة بعشر أمثالها ، عشرة في عشرة تساوي مائة صلاة ظهر، وهكذا باقي الصلوات .

فالصلوات الخمس في أصل مشروعيتها الصلاة بعشر صلوات في الأصل، أما بقية الأعمال، فالحسنة بعشر أمثالها، الصدقة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وهكذا سائر الأعمال : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠ ] .

ولحب الله للصلوات الخمس ، ولحاجتنا إليها ، رغب فيها ، وجعلها خمساً في العمل ، وخمسين في الأجر ، فكل صلاة بمائة صلاة.

فسبحان الرب المجيد ، الذي هذا كرمه وعطاؤه لأوليائه : ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: ٢١].

والعرش أكبر مخلوقات الله ﷻ، وأعظمها، وأوسعها، وأعلاها، وأنورها، وأرفعها، وأكرمها، خلقه الحميد المجيد العزيز بقدرته، واستوى عليه الحميد المجيد برحمته، كما قال سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه/ ٥].

فالحمد لله رب العالمين على هذه النعمة، وعلى أن عرفنا بأسمائه وصفاته؛ حتى لا نتعلق بأحد سواه، فالفكر والاعتبار في أسماء الله وصفاته وأفعاله من أعظم أعمال القلوب، ومن أعظم روافد الإيمان التي يقوى بها التوحيد، ويزيد الإيمان ، ويخشع القلب ، وتحسن العبادة: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ٤٨ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ٥٠﴾ [النحل/ ٤٨ - ٥٠].

فالنظر والتفكر في هذا الملكوت العظيم، وفي جميع ما خلق الله في هذه الدنيا ، من أعظم العبادات، وكله منصوب للاعتبار، وبه يرتفع العبد درجات إلى علم الغيب المكنون الذي يدرك في الدنيا بالوحي والقلوب، ويرى في الآخرة بالعيان والأبصار : ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾ [الأنبياء: ٣٠].

والله ﷻ هو المجيد الذي أمرنا بالنظر في جميع الملك والملكوت؛ لنرى ونعلم كمال مجده وعظمته وجلاله، وعظيم نعمه وإحسانه، ثم نعبده بموجب هذه المعرفة: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

واعلم رحمك الله أنك إذا نظرت بنور إيمانك مستعينًا بربك في أقل المخلوقات جرمًا، وأصغرها حجمًا، كالخردلة والذرة والبعوضة؛ ونظرت في أعظم المخلوقات كالشمس والأرض ، والجبال والبحار ، رأيت ما يدفع الشك ويزيل الشرك، ويحقق التوحيد،

والإيمان للواحد الأحد، من الآيات الباهرات والبراهين الساطعات القاطعات: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية/ ٣- ٦].

أقام الله هذه المخلوقات العظيمة، والآيات الكبيرة في السماء والأرض، للاعتبار في ملكوته مقام فحوى الخطاب في كتابه؛ تنبيهًا للمبتدئ من أوليائه، وتذكرةً للمنتهي: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

إذا كان خلق الصغير يدل على عظمة ربه الكبير؛ فالأعلى من مخلوقاته أعظم دلالة وأكبر شهادة: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر/ ٥٧].

سبحان الملك العظيم الذي خلق الكبير والصغير، وخلق العالي والسافل؛ وجعل الكل من دلائل توحيده، وعبدًا من عبيده، يأتمر بأمره، ويخشع لعظمته، ويسبح بحمده: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [النور/ ٤١-٤٢].

ومن نوَّر الله قلبه بالإيمان؛ ارتقى بعقله من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، ومن عالم الدنيا إلى الآخرة، فرأى الصور ببصره، ورأى المصور بقلبه، ورأى العظيم سبحانه يفعل في ملكه ما يشاء، ورأى بعقله أنه كلما عظم المخلوق عظم قدره، وكلما علا محله قويت شهادته، وكلما قرب من خالقه عظمت عليه نعمته، ونال بركته، وخصه بمزيد كرمه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١].

فبهذه المعارف العظيمة معرفة الله بأسمائه وصفاته، ومعرفة نعمه وإحسانه يذوق هذا

القلب والعقل ، وهذا السمع والبصر ، حلاوة المعرفة، وطعم الإيمان، ويرى ربه العظيم يخلق ويدبر وحده لا شريك له، وبهذا يتحصل على طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان، وحقيقة الإيمان، بهذه المعرفة العظيمة:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩].

فيرى القلب صمود المخلوقات كلها إلى ربها، ويشاهد استسلام المخلوقات كلها لعزة كبريائه جل جلاله، ويسمع أصوات المخلوقات تخطب بالتوحيد، لها زجل بالتسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد لربها الحميد المجيد:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

# التعبد لله عَزَّ وَجَلَّ باسمه المجيد

الله عَزَّ وَجَلَّ هو المجيد الذي له المجد كله، والكبرياء كله، والملك كله، والخلق كله، والأمر كله، وله الحمد كله .

هو المجيد الذي يستحق التحميد والتمجيد، أهل الثناء والمجد، الحق المعبود في السماء والأرض : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ آل عمران: ٢٦ – ٢٧ ] .

والله عَزَّ وَجَلَّ هو الحميد المجيد الذي يجب علينا أن نمجده؛ فهو المجيد بذاته، له صفات الجلال والجمال والكمال، وليس بين العبد وربه مسافة ولا زمان: ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود/ ٦١].

فهو القريب في علوه، العلي في دنوه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى/ ١١].

فهو مجيد، وأنا عبد المجيد؛ فيجب علي أن أتقرب لربي المجيد بكل ما يحبه ويرضاه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

والحكمة من خلق السماوات والأرض ، وكافة المخلوقات ، أن يعرف الإنسان ربه المجيد، وماذا يريد الله منه ؟ وماذا يريد الإنسان من ربه؟ وماذا يراد له؟ وماذا يراد منه .

ما يراد من عبد المجيد أن يعرف ربه المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويعرف دينه وشرعه، ويعرف وعده ووعيده ، ويعمل بموجب ذلك: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

فإذا عرفتم ذلك فاعبدوه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [ الأنعام: ١٠٢ ] .

المجيد سبحانه يريد مني أن أعرف هذه المعارف؛ ثم أعبد الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ البقرة: ٢١ – ٢٢ ] .

فما يريده الله ﷻ من العبد هو أن يوحده ويعبده، ويوم القيامة يحاسب الخالق هؤلاء العباد، فمن آمن وأطاع ربه فله الجنة ، ورضوان ربه، ومن كفر وعصى ربه فله النار: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم/ ١٤-١٦].

وفي الدنيا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨].

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ٨٢].

فربنا مجيد بذاته، عظيم بفعاله، كريم بعطائه، المجيد الذي تمجده وتحمده وتسبح بحمده جميع مخلوقاته .

هو المجيد الذي له المجد ، وله المجد ملكًا، وله العزة صفةً، وله العزة ملكًا : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ الجاثية: ٣٦ – ٣٧ ] .

هو المحمود على جميع أفعاله، الذي أنزل النعم التي يحمد عليها، فله الحمد في الأولى والآخرة : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [ سبأ: ١ ] .

هو العزيز الذي أعز عباده وأولياءه، هو العزيز الذي له العزة، ولرسله العزة،

وللمؤمنين به العزة : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [ المنافقون: ٨ ] .

فأعظم درجات العلم هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأعظم أنواع الجهل هو الجهل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ لأنه سبب للانصراف عن عبادة الرب الذي يستحق العبادة؛ ولهذا أمرنا الله بالعلم أولاً؛ ثم بالعمل ثانياً ، فقال : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[ محمد: ١٩].

هو سبحانه المجيد ، ذو الطول والإنعام، عظيم الملك والسلطان، الجميل فعاله، الجزيل نواله، الكثير عطاؤه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[البقرة/ ٢٩].

رفيع الدرجات، كريم العطيات، عفو عن السيئات، غافر للزلات، مجيب للدعوات، لا تبلغ الألسن وصف جلاله وجماله وكماله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر/ ٦٧].

هو سبحانه المجيد الحفيظ لكل أحد، المحيط بكل أحد قدرةً وعلمًا، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، الغني الذي وصل رزقه إلى كل أحد : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١ - ٤].

فمجد ربك العظيم، الذي خلق الخلق، وبسط الرزق، وفرج الكرب ، المغيث وقت البلاء، المنعم في البأساء ، أهل الثقة والرجاء، وأهل الحمد والثناء : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [ الفاتحة: ٢ - ٤ ] .

وسبح بحمد ربك العظيم : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ [ النصر: ١ - ٣ ] .

واسأله وحده لأن عنده خزائن كل شيء : ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾[غافر/ ٣].

واعلم أن الله رفع قدرك بالإسلام، ووفقك لعبادته، وأنار قلبك بمعرفته وتوحيده، والإيمان به، فأكثر له من التحميد والتمجيد لعلك ترضى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾[الأحزاب/ ٤١- ٤٣].

وإذا عرفت ربك المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله ودينه وشرعه:﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾[مريم/ ٦٥].

وكن مجيدًا بإيمانك وتقواك، وأقوالك وأعمالك، وأخلاقك وإحسانك .

واذكر صفات المجيد لخلقه، وبين لهم أسماءه وصفاته، وعلمهم شرعه، وعرفهم بنعمه؛ ليحمدوه، وعرفهم بكبريائه ليكبروه؛ تكن من العلماء الربانيين : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[ فصلت: ٣٣ ] .

يا عبد المجيد، أنفق مما أتاك ربك المجيد، من مال تواسي به الفقير، أو علم تعلم به الجاهل، أو خلق حسن تحنن به على السفيه، أو جاه تنفع به المحتاج، أو قول حسن تقيم به الحق، وتُعدل به بين الخلق، وتقيم به المعوج:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب/ ٧٠- ٧١].

وبهذا يحمدك المجيد، ويحمدك أهل السماء، ويحمدك أهل الأرض ، وتفوز بمحبة الله ، ومحبة خلقه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم/ ٩٦].

فالمؤمن حقًّا من شغل أوقاته، ولسانه، وقلبه وجوارحه، فيما يرضي الله ﷻ، واجتنب ما سوى ذلك:﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾[التوبة/ ٦٢].

وإذا عرفت المجيد فسارع إلى طاعته : ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤﴾[طه/ ٨٤].

واعلم أن كل ما أدركته ببصيرتك، أو شاهدته ببصرك ، من المخلوقات الصغيرة والكبيرة، من لدن العرش العظيم إلى أصغر شيء خلقه الله؛ كلهم عبيد أمثالك، ليس بأيديهم شيء، الكبير والصغير، والعالي والسافل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج: ١٨].

فالملك حقًّا هو الرب المجيد، ذو العرش المجيد، لا إله إلا هو، رب كل شيء ومليكه، القائم على كل نفس، وكل ما سواه عبيد له، خاضع لأمره : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فيا عبد المجيد إلى ربك الحميد المجيد فالجأ، وعليه فتوكل، وإياه فاسأل، ولا يشغلك عنه سواه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤].

وتأدب رحمك الله بآداب النظر والتفكر، وأحسن العمل لمن يراك ولا تراه، واعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾[الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

واعتبر بأدب أول المعتبرين إبراهيم ﷺ، حين نظر بعين الإنصاف إلى الكوكب، ثم إلى القمر، ثم إلى الشمس، فلما رأى عليها آثار الحدث، وسمات الصنع، وقهر التسخير: ﴿ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[الأنعام/ ٧٦].

ثم جهر بالتوحيد ، والبراءة من الشرك : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٨ – ٧٩].

رآها مخلوقات مملوكة ومقهورة بحكم الربوبية؛ تعبد الله في محراب العبودية لله ﷻ .

هذه المخلوقات رآها إبراهيم مملوكةً مقهورة بحكم الربوبية، تعبد الله مع غيرها في محراب العبودية، فتخطاها وانصرف عنها إلى الذي فطرها قائلًا: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام/ ٧٩].

فإذا بان لك الأمر، واستبان لك الرشد؛ فاستقم على عبادة ربك، واحمد الله على هذه النعمة، ومجد المجيد، وعظم العظيم، وكبر الكبير: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١٠ - ١١١].

وانظر رحمك الله بالبصر والبصيرة؛ تكن على بصيرة: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

فطوبى، وما أدراك ما طوبى! لقلوب عرفت ربها، وعبَرت ساحات الملك والملكوت، وأميطت عنها حجب الغفلة، وانكشفت لها مجاري القدرة؛ فرأت الخالق والمخلوق، ورأت الصور والمصور، وشاهدت الخالق البارئ المصور يفعل في مخلوقاته ما يشاء، وهي تمجده وتسبح بحمده، فنظم نفسه معها: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٩ - ٥٠].

فهذه المعرفة أفادتها معرفةً الرب الحميد المجيد، والتعبد الصادق، والنور المبين الذي ميزت به الملك من العبيد؛ فاتقته حق تقاته، وعبدته كأنها تراه؛ فنالت ثوابه ورضاه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وهذه القلوب التي عرفت الله ﷻ تعبدت له في محراب العبودية؛ لكمال إيمانها، ومعرفتها بربها جل جلاله؛ فنالت ثوابه ورضاه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا

خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وهذه القلوب الزكية التي امتلأت بالتوحيد والإيمان ، لم ترضَ لنفسها شغلًا إلا عبادة الملك العلي الأعلى، فعبدته؛ فرفعها إلى المقام الأسمى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة/ ١١].

فاتق الله يا عبدالمجيد حق تقاته، واعتصم بحبل الله حتى تلقاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٢-١٠٣].

فالحمد لله على هذه المعارف العظيمة، والحمد لله رب العالمين أن أرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل علينا أحسن كتبه، وأعطانا السمع والبصر والعقل؛ لنعرف به ربنا ﷻ، ومن عرف ربه المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ كبره وعظمه، وحمده وشكره، وأحبه وأطاعه، وأفرده بالعبادة، وتذلل لعظمته، وخضع لكبريائه، وخشع قلبه لربه المجيد، وعظم أمره، وانقاد لحكمه : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

ومن عرف المجيد حقًّا؛ مجده حقًّا، وعظم أوامره حقًّا، وعظم كتبه ورسله حقًّا، وعظم شعائره وشرائعه حقًّا: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج/ ٣٢].

واسم الله المجيد من صفات الذات والأفعال، فهو المجيد؛ لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، المجيد الذي يمجد نفسه بين خلقه ، كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

ومن عرف المجيد مجده وعظمه بأنواع التمجيد والتحميد والثناء، فيثني على ربه بأسمائه

الحسنى، وصفاته العلى، وإحسانه وإنعامه، ويعبد ربه بمقتضاها، فيفعل ما يحمد عليه عند ربه، ويجتنب ما يذم عليه : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

وحظ العبد من اسم الله المجيد أن يكون العبد مجيدًا بحسن أقواله ، وأفعاله ، وأخلاقه، مجيدًا بحسن عطائه، يعبد المجيد الأعلى الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، ويدعو الناس إلى عبادة المجيد، ويعلم شرع ربه المجيد، ويحسن إلى غيره بأنواع الإكرام والإحسان : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧ ] .

ومن عرف المجيد العزيز الكريم تجاوز الخلق إلى الخالق، وتقرب بالأرزاق إلى الرزاق، وتوكل على المجيد الذي يكفيه من جميع العبيد: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

فسبحان ربنا المجيد الذي اختص بالعظمة والكبرياء، والعزة والجبروت، والإكرام والإحسان، والإفضال والإنعام: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

والله سبحانه جميل يحب الجمال، يحب أسماءه وصفاته، ويحب من يتخلق بها من عباده على شاكلة العبودية، ويحب من دعا الناس لمعرفتها، والتعبد لله بها : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [ الأعراف: ١٨٠ ] .

فكن أيها العبد مجيدًا في دينك، تقول بالحق أينما كنت، لا تخاف في الله لومة لائم .

كن مجيدًا قويًّا في أقوالك وأعمالك وأخلاقك: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة/ ٦٣].

كن قويا في دعوتك : ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان/ ٥٢].

وقال النبي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ» أخرجه مسلم(١).

كن مجيدًا في أعمالك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

كن مجيدًا في جهاد أعداء الله، في الدعوة إلى الله، في تعليم شرع الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم: ٩ ].

كن مجيداً في عبادتك : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

كن مجيدًا في أخلاقك : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [ الأعراف/ ١٩٩].

كن مجيدًا في العطاء والإحسان ، والعفو والإكرام : ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

كن مجيدًا بالتوحيد والإيمان ، وطاعة الرحمن؛ تنَلْ من ربك أجرًا عظيمًا ، ومقاماً كبيراً : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

كن مجيدًا بعطائك وإحسانك وإكرامك، وإنفاقك : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[البقرة/ ٢٦١].

كن مجيدًا بدعوة الناس إلى الخير : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥ ].

كن مجيدًا بتعلم العلم الإلهي ، وتعليم الناس : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران/ ٧٩].

كن مجيدًا بتزكية نفسك بالإيمان : ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [ الشمس: ٧ – ١٠ ].

ومجد ربك المجيد بذكر أسمائه وصفاته وأفعاله، وحمده على سوابغ نعمه، بقولك : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾

[ البقرة: ٢٥٥ ].

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[ الحشر: ٢٢ – ٢٤ ].

وقل: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وقل التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم،

وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد.
﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ الأعراف: ٢٣ ].
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [ آل عمران: ٨ ].
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾
[ البقرة: ٢٠١ ].

اللهم يا حميد يا مجيد، يا ذا الجلال والإكرام، أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

اللهم هب لنا حمدًا ومجدًا نتنفع به، وننفع به غيرنا، اللهم صُن وجوهنا باليسار، ولا تذلنا بمعصيتك فنسأل شر خلقك، ونُبتلى بحمد من أعطى، وذم من منع، وأنت من فوقهم، ولي العطاء وبيدك خزائن الأرض والسماء.

يا ذا الجلال والإكرام، نسألك من فضلك العظيم، نسألك أن تعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

اللهم يا مالك الملك، يا خالق الخلق، يا ذا الطول والإنعام والإحسان، يا فعالًا لما تريد، يا مجيد، يا حميد، يا رب العرش الكريم، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك يا رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك .

# أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

## اســـــم الله

# الولي.. المولى

# اسم الله الولي.. المولى

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٨].

فإذا أردت أن أعبد الله حقاً؛ فلابد أن أعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأعرف ملكه وسلطانه، وآياته ومخلوقاته، ودينه وشرعه، ووعده ووعيده.

لأن عبادة الله مبنية على معرفته: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ۝١٩﴾ [محمد: ١٩].

الله هو رب العالمين، الولي الحميد، المولى الرحيم، الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله ما بين السماوات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، الخلق كله له، والملك كله له، والأمر أمره، والخلق خلقه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فمعرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته هي أساس التوحيد؛ حتى نوجه العبادة لواحد، ونعرف أنه رب كريم، ورزاق، وقوي، وقادر، ورحمن، ورحيم، وعفو، وحليم: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

والله ﷻ يحب من عباده أن يتصفوا بصفاته، فالله يحب أسمائه وصفاته، ويحب من عباده أن يتصفوا بأسمائه وصفاته على شاكلة العبودية؛ فهو المؤمن الذي يحب المؤمنين والمحسن الذي يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الله ﷻ مَنَّ علينا بمعرفة أسمائه وصفاته، ودلنا عليها، لنعبد الله بموجبها،وليزيد الإيمان في قلوبنا، فإذا زاد الإيمان استنار القلب بنور التوحيد والإيمان، ثم اتسع الصدر لجميع أنواع الطاعات، ثم خرج هذا النور إلى الجوارح، فبدأنا نسمع الكلام الطيب، ونتكلم بالكلام

الطيب، ونعمل الأشياء الطيبة وننظر إلى الأشياء الطيبة، ونبتعد عن الأشياء المحرمة.
فمعرفة الله بأسمائه وصفاته هي من التوحيد بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة القلب من البدن، فجسد لا رأس له ميت، وبدن لا قلب فيه ميت.
قال النبي ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْـجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وهي القلب**» متفق عليه(1).
جعل الله حل الجوع والعطش بالطعام والشراب، وهذا سبب من الأسباب، ولكن ما حل الهم والضيق والنكد والتعب؟ حل ذلك في دين الله فقط: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].
فلا طمأنينة إلا بذكر الله؛ ولذلك الله ﷻ أمرنا بذكره كثيرًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].
فإن كنت خائفًا فهو المؤمن الذي يؤمنني، فالأمن كله بيده، هو الذي خلق الأمن، وفرقه بين خلقه، وهو الشافي من كل مرض، وهو المطعم لكل جائع، وهو الغفور لكل ذنب، وهو الرحمن الذي ملأ الكون بأنواع النعم؛ من أرض نسكن عليها، وطعام نأكل منه، وماء نشرب منه، وهواء نتنفس منه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].
فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، والله ﷻ أمرنا أن نتعرف على هذه الأسماء؛ حتى نعبد الله بمقتضاها: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد/ ١٩].

- **والله ﷻ من أسمائه الحسنى؛ الولي، والمولى.**

**فالولي**: كما قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى/ ٢٨].
**وأما المولى**: فكما قال سبحانه: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج/ ٧٨].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٥٩٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٢).

- **وقد ورد اسم الله الولي في القرآن الكريم خمس عشرة مرة:**

والمولى من أسماء الله الحسنى، وقد ورد في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة.

فكيف نتعرف على هذا الاسم العظيم؟ وكيف نتعبد لله به؟ وكيف نتصف به؟ وكيف نعرف مظاهر اسم الولي في مُلكه العظيم جل جلاله؟

فالولي صيغة مبالغة من اسم الفاعل الوالي، والمولى مشتق من الولي.

والولي: هو الذي يلي غيره بالقرب، والنصرة، والمعونة، والحفاظة.

والمولى يُطلق على الرب، والمالك، والسيد، والمنعم، والمعتق، والناصر... إلى غير ذلك من الإطلاقات.

والله سبحانه هو الولي الحميد، الناصر لعباده المؤمنين، الذي يتولاهم بنصره وعونه وتوفيقه، ويتولى تدبير أمورهم ومصالحهم، ويُقيل عثراتهم، ويغفر زلاتهم: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

هو سبحانه الولي الحميد، الكفيل بمصالح العباد، وهو ولي المؤمنين؛ يدافع عنهم، وينجيهم من كل كرب: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وهو سبحانه المولى الناصر المعين لأوليائه؛ لأنه الملك القادر على كل شيء، الذي كل ما سواه مُلك له، ولا مفزع للمملوك والعبيد إلا إليه: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٨].

فالله سبحانه هو الولي الذي يلي أمور عباده، هو الولي الحق القريب من خلقه، الولي الحميد الذي يوالي جميع خلقه بالنعم والأرزاق، والعافية والإحسان، والعون والهداية؛ فكل هذا من عطاء ربنا ﷻ، عطاء ربوبية، وعطاء ألوهية.

وهو سبحانه مولى الخلق أجمعين؛ فهو سيدهم، وربهم، وخالقهم، ورازقهم، ومالكهم وحاكمهم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى/ ٢٨].

هو سبحانه الولي الحميد، فجميع ما نراه في الكون مظهر لقدرة الولي الحميد الذي يتولى

أمور الخلق بالخلق والإيجاد، والنعم والإمداد، والهداية والإسعاد؛ فكل ما نراه في الكون من ولينا جل جلاله الذي يتولانا برحمته وإحسانه: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٨].

- **وولاية الله لخلقه تنقسم إلى قسمين:**

**الأول**: الولاية العامة للخلق أجمعين؛ فالله سبحانه هو السيد، وهو الرب، الذي خلق الخلق، هو المالك الذي له ملك كل شيء، والخالق الذي خلق كل شيء، والرزاق الذي كل رزق منه، والمتصرف في الخلائق كلها؛ لأنه ربهم ومالكهم وخالقهم، فالله ولي كل أحد، يتولاه بالخلق والإيجاد والإمداد، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾[الشورى: ٢٨].

فالله مولانا الذي يتولى أمورنا في الدنيا، ثم نُرَدُّ إلى مولانا يوم القيامة، ليسألنا: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾[القصص/ ٦٥].

﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾[النمل/ ٨٤].

فإنا لله، وإنا إليه راجعون، وكل سيلقى جزاء عمله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾[الأنعام: ٦٢].

فهذه ولاية الله ﷻ العامة لكل الخلائق.

**الثاني**: الولاية الخاصة للمؤمنين، وهذه الولاية تقتضي العناية بمن تولاه الله بالنصر، والتوفيق لما يحبه ويرضاه، فمن تولى ربه بالتوحيد والإيمان، والطاعة وحُسن العبادة؛ تولاه الله بالنصر والتوفيق والأمن: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾[محمد/ ١١].

فالله سبحانه هو الولي الملك الذي يدبر الأمور كلها، الذي قام بتدبير حالك وحال غيرك، وهو المولى الذي يركن إليه من آمن به، ويعتمد عليه، ويستعين به، في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر/ ٦٥].

هو الحي بصفات الكمال، حي بالسمع والبصر، والقوة والقدرة، والرحمة والعفو، والإحسان؛ والإنعام.

هو الولي الذي يحب من آمن به، وأطاعه، وتوكل عليه، واستعان به، وأناب إليه، فالله ينصره ويسعده في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢)﴾ [غافر: ٥١ – ٥٢].

هو الولي الذي يختار لنا ما يسعدنا في الدنيا والآخرة: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١)﴾ [التوبة/ ٥١].

وأولياء الله ﷻ هم المؤمنون الذين يحبهم ويحبونه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)﴾ [المائدة/ ٥٤].

فالله ﷻ منَّ علينا بأن عرفنا بأنه ولينا ومولانا: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)﴾ [الحج/ ٧٨].

فهنيئاً للمؤمنين الذي تولاهم الله بأنواع المكارم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ [المائدة: ٥٥ – ٥٦].

فولاية الله العامة لكل الخلق، فهذه ولاية الله ﷻ العامة، وولايته الخاصة، خاصة بمن آمن به واتقاه، وهي أعم وأكمل.

والله سبحانه هو العزيز الكريم، وهو الولي الحميد، الذي يحب أولياءه، ويدافع عنهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)﴾ [الحج: ٣٨].

ويحذر من عادى أولياءه، كما قال سبحانه في الحديث القدسي: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**» أخرجه البخاري[1].

فمن والى الله بالتوحيد والإيمان؛ والاه الله بالنصرة والحفاظة،

والولاية والموالاة صفتان مشتقتان من اسم الله الولي والمولى، فالولاية من الولي، والموالاة من المولى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾[البقرة/ ٢٥٧].

فالله ولي المؤمنين، أما الكفار فلا مولى لهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾[محمد/ ١١].

فلا ولي للكفار ينصرهم، ويحفظهم، ويسعدهم؛ إنما وليهم الشيطان الذي يزجهم من الطاعات إلى المعاصي، ومن الصغائر إلى الكبائر، ومن الإيمان إلى الكفر، ومن الفضيلة إلى الرذيلة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾[مريم: ٨٣].

فاللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

وإذا قرأنا القرآن وجدنا أن الله ﷻ قرن اسمه الولي باسمه الحميد مرةً واحدةً في قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى/ ٢٨].

وسر ذلك والله أعلم أن الله سبحانه يتولى أمور عباده، ويهديهم إلى ما يصلحهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة؛ ولهذا استحق من جميع عباده الحمد والثناء لجلاله وجماله، وعظيم نعمه وإحسانه.

فهو سبحانه هو الولي الحميد، أحق من عُبد، وأحق من حُمد، وأحق من شُكر؛ لعظيم نعمه وإحسانه، ولجلاله وجماله، له الحمد كله على نعمة العطاء والمنع، وله الحمد كله على ما قدر من محبوب ومكروه، وهو الولي الحميد الذي لا يُحمد في كل حال إلا هو: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[الفاتحة/ ٢- ٥].

فالحمد له لجلاله، وعظمته، وكبريائه، ولجزيل إنعامه وإحسانه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فاقترن اسم الله الولي باسمه الحميد؛ إشارةً إلى أن الله ﷻ هو المنعم بكل نعمة؛ فهو ولي حميد؛ يُحمد على بذله وإعطاء نعمه للمؤمن والكافر، والبر والفاجر؛ هذا عطاء الربوبية للجميع، لأنه لا رب لنا سواه؛ فجميع النعم المادية منه، ونعمة الإسلام، ونعمة الهداية

منه، فله الحمد وله الشكر على عظيم نعمه وإحسانه.

- **واقترن اسم الله النصير مع اسمه المولى مرتين:**

مرة في قوله:﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾ [الأنفال/ ٤٠].

ومرة في قوله:﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾[الحج/ ٧٨].

واقترن اسم الله النصير مع اسمه الولي مرةً واحدةً، كما قال سبحانه:﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ٤٥﴾[النساء/ ٤٥].

وسر ذلك والله أعلم أن الله ولي عباده المؤمنين ومولاهم، ومقتضى الولاية لعباده المؤمنين النصرة والمعونة؛ فخصهم بالولاية والنصرة دون غيرهم:﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾[الحج: ٧٨]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٤٧﴾[الروم/ ٤٧].

فمن آمن بالله، وامتثل أوامره، ونشر دينه؛ فالله ﷻ ينصره:﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾[الحج/ ٧٨].

يتولانا بنعمه المادية، ويتولانا بالنصرة الإلهية، فلا نصر إلا من ناصر، والنصر ينزل من السماء كما ينزل الماء من السماء، هذا ينزل لإحياء الأرض، وهذا ينزل لإحياء القلوب،ولنصرة أوليائه، وإهلاك أعدائه:﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ٤١﴾[الحج: ٤٠ – ٤١].

واقترن اسم الله الحق مع اسمه المولى مرتين في القرآن: كما قال سبحانه:﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ٦٢﴾[الأنعام: ٦٢].

وقال سبحانه هذا لك:﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٣٠﴾[يونس: ٣٠].

وسر ذلك والله أعلم ليعلم الله عباده أنه لا مولى لهم، ولا رب، ولا ملك، ولا مالك بحق إلا الله وحده، فالحق واحد، والله ﷻ هو الحق، ودينه الحق، وكتابه الحق، ووعده الحق:﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[الأنعام/ ٦٢].

وكل ما سواه مما عُبد من دونه فملكه، وولايته، وربوبيته، ليست بشيء؛ فهي ملك

قاصر زائل باطل، والله وحده هو المولى الحق: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢].

واقترن اسم الله العليم الحكيم مع اسمه المولى مرةً واحدة، في قوله سبحانه: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [التحريم/ ٢].

الله أكبر! الله ﷻ يتولى جميع أمور خلقه في العالم العلوي والعالم السفلي، إيجادًا وإمدادًا، وخلقاً وتصويرًا، وتحريكًا وتسكينًا: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور/ ٤٤].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٧].

فاقترن اسم الله العليم الحكيم مع اسمه المولى، وسر ذلك والله أعلم أن الله أعلم بمصالح عباده؛ فلا يدبر لهم إلا ما يصلحهم ويسعدهم، ويتولى أولياءه بمزيد من الفضل والإحسان؛ فمن أقبل على الله؛ أقبل الله عليه، ونصره وأيده: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١ – ٥٢].

والله سبحانه هو المولى الحميد، تدبيره أحسن تدبير، وشرعه أحسن الشرائع، وحكمه أحسن الأحكام، ورسله أفضل الرسل.

فهو العليم بمن يستحق الهداية ممن لا يستحقها، العليم بمن يصلح لدخول الجنة، ومن يصلح لدخول النار، العليم بمن يزكو على التوحيد والإيمان ومن لا يزكو.

فهو سبحانه المولى الكريم، الرحمن الرحيم، الولي الذي تولى كل ما سواه من المخلوقات، تولاهم بالخلق والتدبير، وتصريف الأمور والمقادير، في كل وقت وحين: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢].

هو سبحانه ولي لمؤمنين، يخرجهم من الظلمات إلى النور، يخرجهم من ظلمات الكفر، والجهل، والمعاصي؛ لعلمه بأنهم يزكون على الإيمان والطاعات: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ

﴿بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤].

لكن نحن لا نعلم؛ لهذا علينا أن نتوب إلى الله، وعلينا أن ندعو إلى الله جميع الخلق؛ والله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء؛ لأنه يفعل ما يشاء، وفعله مقرون بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق؛ فالله بيده الخير، والشر ليس إليه، وهو الرحمن الرحيم بعباده: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل/ ٧].

فهو سبحانه ولي المؤمنين، يخرجهم من الظلمات إلى النور، يخرجهم من ظلمات الكفر والجهل والمعاصي إلى نور الإيمان والعلم والطاعات، ومن سبل الضلالة إلى سبل الهداية: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

وأعظم تلبيس إبليس أن يزهد الناس في العلم؛ لأن العلم بالله يثمر توحيده، والإيمان به، وعبادته وطاعته؛ فيزهدهم في العلم، والعلم كله نور، ومن فقد النور عاش في الظلمات، فالشيطان يربي الناس في الظلمات، يخرجهم من النور إلى الظلمات، فيفعلون ما يسخط الله ﷻ، ويطيعون الشيطان ويعصون الرحمن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١].

الشيطان يربي أولياءه في الظلمات: ظلمة الكفر والجهل، والمعاصي، والبدع.

والله ﷻ ولي المؤمنين يربيهم بالتوحيد والإيمان، وتلاوة القرآن، وحسن معرفته وتقواه، ويحبب لهم الخير، ويضاعف لهم الأجر، ولذلك فالشيطان يزهّد الناس في العلم الشرعي، ويجرهم إلى الشهوات، والعلم الدنيوي الذي يربط المخلوق بالمخلوق، وهذا العلم الدنيوي نأخذ منه بقدر حاجتنا، وهو عبادة من العبادات، لكن الأصل: العلم الإلهي: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فاعلم أنه لا إله إلا الله، لتعرف الرب الذي تعبد، لتعرف وليك الذي تولاك بالخلق،

والإيجاد، وكمال الأعضاء، والسمع، والبصر، والعقل، خلقك في أحسن تقويم، وأمدك بالنعم، ورباك في بطن الأم، وجاء بك إلى الدنيا، ثم يوم القيامة يستضيفك عنده في القصور الملكية، أو يربيكفي السجون الجهنمية، حسب الإيمان والعمل، وحسب الكفر والعمل.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢].

والله ﷻ يحب من عباده جميعًا أن يؤمنوا به، لكن منهم من يقبل، ومنهم من لا يقبل، كالأرض منها ما يقبل الإنبات، ومنها ما لا يقبل الإنبات: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الكهف: ٢٩ – ٣٠].

وكلما أعرض الإنسان عن ربه زاد عليه النعم؛ لعل النعم تذكره بمولاه، فيتوب إلى ربه، وكلما أعرض العبد عن ربه؛ من رحمته أن يبتليه ببلاء؛ حتى يعود إلى ربه الذي يكشف البلاء: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[النمل/ ٦٢].

فعطاء الله ﷻ ومنعه كله من حسن ولايته ورحمته بعباده.

فسبحان من ولايته ولاية رحمةٍ، وحكمةٍ، وعدلٍ، وإحسان، ولطف، وإكرام: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة/ ١٤٣].

أعطى الهواء للجميع، ونور الشمس للجميع، والطعام والشراب للجميع، والأرض المستقرة للجميع: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم/ ٣٤].

فسبحان ربنا العظيم! الإنسان يظلم ويكفر بمولاه، والله يعطي ويرزق، يغفر ويرحم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

لعل نعم الله ترد الشاردين إليه: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ

﴿لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣﴾[الأنعام/ ٤٣].

فمن لم تؤدبه البَلِيَّة، ولم ترده النعمة؛ فليس هناك إلا العقوبة التدميرية: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥﴾[الزخرف: ٥٥].

جاءتهم الدعوة إلى الله فلم يستجيبوا، وابتليناهم فلم يتوبوا، وأنعمنا عليهم فلم يشكروا؛ فلم يبقَ إلا العقوبة التدميرية: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩﴾[الكهف/ ٥٩].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾[هود: ١٠٢].

كل شيء له أجل؛ الرزق والإنعام والإهلاك كل شيء بأجل مسمى.

فسبحان السميع البصير، العليم بكل ذرة في ملكه!

هو الولي الحميد الذي تولى جميع مخلوقاته علمًا وتدبيرًا وتصريفًا، كل ذرة، وكل كلمة، وكل عمل، وكل نفس، له سِجِلٌّ عند الله: ﴿كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾[هود/ ٦].

- **وكل ذرة في الكون لها ثلاثة أوامر:**

أمر بالإيجاد .. وأمر بالبقاء .. وأمر بالنفع والضر.

هذه الأوامر لكل ذرة في الكون، فكيف بالمجرات والأجسام الكبار، السموات مكونة من ذرات، والأرض مكونة من ذرات، والإنسان مكون من ذرات، والهواء مكون من ذرات، والماء مكون من ذرات، كل هذه الذرات في الكون؛ الولي المحيط بكل شيء، العليم بكل شيء، لها سجل عند الله العليم الخبير: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس: ٦١].

هذا الرب الملك الحق الذي نعبد، والذي نحب، والذي نسمع ونطيع له، والذي نحمده ونشكره، ونتقرب إليه، ونتشرف بحسن عبادته، ونتذلل بين يديه؛ لأننا أفقر الخلق إليه إيجادًا وإمدادًا وتدبير أحوال، وهدايةً، فله الحمد كثيرًا كما ينعم كثيرًا، نعم المولى ونعم النصير.

مَنَّ على البشرية عامة بنعمة الإمداد، ومَنَّ على المؤمنين خاصة بنعمة الإمداد والإنعام،

والهداية والإسعاد: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢].

هو جل جلاله العزيز الجبار، القوي القادر، وكذلك هو الغني الكريم، الرحمن الرحيم، الذي توليه لعبده إحسان إليه، ومحبة له، ورحمة به، وجبر له: ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾[الحج: ٧٨].

هو الغني عن كل ما سواه، وهو القادر القاهر لكل قاهر، لا يحتاج إلى الخلق، بل جميع الخلق يصمدون إليه؛ لأنه الصمد الذي يُصمد إليه في الحوائج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾[فاطر/ ١٥].

هو الغني عن كل ما سواه؛ المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، والمؤمنون والكفار؛ كلهم محتاجون إليه، وهو الولي الحميد، يمدهم بغذاء البدن، وغذاء القلوب، ولكن الجميع يأخذون من غذاء البدن، أما غذاء القلوب فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل: ٥٣].

الله ﷻ غني عن العالمين، لا يتكثر بمن آمن به من قلة، ولا يتعزز بهم من ذلة، ولا يستعين بهم من ضعف، ولا ينتصر بهم من غلبة.

سبحانه هو القوي وكل ما سواه ضعيف، وهو الغني وكل ما سواه فقير إليه؛ فلله الحمد والشكر، والعزة والكبرياء: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾[الإسراء/ ١١١].

فهو أهل للكبرياء، وأهل للحمد، وأهل للشكر، وأهل للتعظيم والتكبير: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾[الحشر: ٢٢-٢٤].

هو الملك الرحمن الرحيم الذي خلق كل شيء، وله ملك كل شيء لهذا يجب أن يعبده كل شيء في العالم العلوي والسفلي: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢].

هو الرحمن الرحيم الذي ولايته لأوليائه ولاية عزة ومنعة، يغار عليهم، ويحفظهم من أعدائهم، فولايته لهم ولاية عزة ومنعة وقوة، وولاية نصر وغنى وإكرام: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٩ – ٤٠].

نصركم في مواطن كثيرة، نعم المولى الذي تولاكم بالعطاء المادي، وبالنصر الإلهي، وبالأمن والطمأنينة: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

هو سبحانه الولي العليم الحكيم، هو الخبير بكل شيء، يولي كل ظالم ظالمًا مثله؛ يسومونهم سوء العذاب؛ فيضرب الظالم بالظالم، ويأخذون منهم بالظلم والجور جزاء ما ظلموا، ومنعوا حقوق الله وحقوق عباده: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٩].

فالله ﷻ يضرب الظالم الصغير بالظالم الكبير، ثم ينتقم من الظالم الكبير، والله لا يحب الظالمين، فالظَّلَمة عِصِيٌّ بيد الله، ينتقم بها من الظلمة، ثم ينتقم منها، في النهاية ينتقم من هذا الظالم الكبير، بعد أن ينتقم من مجموع الظلمة الذين ظلموا بمظالم كثيرة، فينتقم الولي الحميد الذي يدبر أمور خلقه، ينتقم من الظالم الصغير بالظالم الكبير، ثم ينتقم منه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص/ ٤].

بنو إسرائيل لما نقضوا العهد ابتلاهم الله بفرعون يقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم، ثم بعد ذلك أهلك فرعون وجنوده: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف: ٥٥].

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة/ ٤٩].

والولي ورد في كتاب الله مطلقًا مُعرَّفًا بأل، كقوله سبحانه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [الشورى/ ٩].

وورد اسم الله الولي مقيدًا؛ أي: مضافًا، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف/ ١٩٦].

هو سبحانه الولي المتولي لأمور خلقه قاطبة، القائم على تدبير ملكه العظيم، الذي له الخلق، والأمر، والملك، الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، ويمسك السموات والأرض أن تزولا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤١﴾ [فاطر: ٤١].

هذا الذي يستحق العبادة، وأن نبكي لكبريائه وعظمته، وجزيل نعمه وإحسانه، فكم نعم الله ﷻ علينا وعلى غيرنا! الله أعطاني نعمًا، وصرف عني نقمًا، وأنعم علي، وأنعم على غيري، واستضافني في بطن الأم، ويستضيفني في بطن الدنيا، ويستضيفني في القبر، ويستضيفني يوم القيامة: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ٥٥﴾ [القمر/ ٥٥].

لهذا نَلزَم الاستغفار من التقصير؛ ومن الجهل بالله وأسمائه وصفاته؛ فما قدرنا الله حق قدره، ولهذا نؤدي العبادة بالبدن لا بالقلب إلا ما رحم ربك: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ٧﴾ [الماعون: ٤ – ٧].

والخشوع من صفات القلب، والخضوع من صفات البدن: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون: ١ – ٢].

لابد أن نعرف العظيم، المولى الحميد، بأسمائه وصفاته، ونعبده كأننا نراه جل جلاله، هنالك تكون العبادة بحب كامل، وتعظيم كامل، وذل كامل لله ﷻ، فالمؤمن يتصاغر لكبرياء الله، ويحمد الكريم جل جلاله، ويعلم أن الله يراه ويسمعه؛ فلا يخالف أمره، بل يقبل على عبادته وطاعته وحمده وشكره، بقلبه وقالبه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

الله سبحانه هو الولي المتولي لأمور خلقه قاطبة، هو الذي يقلب الليل والنهار، ويأتي بالحر بعد البرد، وبالعافية بعد المرض، وبالأمن بعد الخوف: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ٤٤﴾ [النور: ٤٤].

هو الذي خلق الذكر والأنثى، وخلق الجماد، والنبات، والحيوان،وخلق الإنس، والجن

والملائكة، وهو الولي الذي يدبر جميع الأمور:﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف/ ٥٤].

ولينا كريم حميد، ولينا رحمن رحيم، وولينا قوي قادر، ففي كل حاجة من حاجاتنا نتوجه إليه بالصفة التي تناسب حاجاتنا، فإن كنت فقيرًا سألت الغني بغناه، أسألك بذل فقري، وكمال غناك، أن ترزقني من فضلك ما يجعلني أحبك، وأستغني بفضلك عمن سواك، وهكذا في بقية الأسماء.

فالله ﷻ هو الولي الحميد، القائم على كل نفس، إن كانت مطيعةً أكرمها، وإن كانت عاصية:﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[الحجر: ٤٩ – ٥٠].

فسبحان الولي الحميد الذي قسم الأرزاق على النبات،والحيوان، والإنسان، والجن، والملائكة! سبحان الولي الحميد الذي قسم الأرزاق المادية والروحية، وأوصلها إلى عباده من الحيوانات والبشر! فكل إنسان قسم الله له رزقه، وكل مخلوق قسم الله له رزقه؛ لأن خزائن الرزق عند واحد، ومفتاح الرزق بيد واحد:﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الذاريات/ ٢٢].

هو الولي الحميد الذي يُحمد على نعمه التي أنعم بها علينا تفضلًا منه جل جلاله.

فكل إنسان،وكل مخلوق، قسم الله رزقه كميةً ونوعيةً، ومكانًا وزمانًا:﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الزخرف: ٣٢].

فالله ﷻ قسم الأرزاق كلها، فالأوامر تنزل من السماء، والتسليم في الأرض، فرزقك سوف يصل إليك، ورزقك الذي قسمه الولي الحميد لك سوف يصلك، وهو يعرف عنوانك، وأنت لا تعرف عنوانه؛ فلن تموت نفس؛ حتى تستكمل رزقها وأجلها؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، نحن نطلب الرزق، ولكن الرزق بيد الله، لكن نطلب الرزق امتثالًا لأمر الله في كسب الرزق، وإلا فالأرزاق كلها مقسومة:﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الزخرف/ ٣٢].

فهذه الثمرة في الشجرة، أو هذه التمرة في النخلة، أو هذه التفاحة في الشجرة، أو هذه الحبة في السنبلة، قسمها الله لفلان، سوف تأتيه، وسوف تصل إليه قطعًا، إما أن يشتريها بماله، أو يأكلها ضيافةً عند أحد، أو تقدم له على شكل هدية، أو يتسولها من الناس، أو يسرقها من أحد، فإن أخذها بوجه حلال بارك الله له فيها، وإن تعجل وأخذها بالحرام صارت عذابًا له، مرضًا أو خسارة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى/ ٢٨].

فالله سبحانه هو ولينا جل جلاله، قسم الأرزاق، وكتب الآجال، وكتب كل شيء؛ ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠].

هو ولي المؤمنين، يتولاهم بالهداية والإرشاد، والنصر والتمكين، ويمدهم بعونه وتوفيقه، ويحفظهم من أعدائهم، وينصرهم على من ظلمهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد/ ١١].

هو سبحانه مولى الذين آمنوا، يمكن لهم في الأرض، ويقضي حاجاتهم، ويجيب دعاءهم، العزيز الذي يعتزون به بين أقوامهم، ويتوكلون عليه في جميع أمورهم: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء/ ٤٥].

فالعبد المؤمن يفتخر بربه، والكافر يفتخر بما يملك، إبراهيم ﷺ قال: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٨].

أما قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص/ ٧٨].

وفرعون قال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: ٥١].

- **فأربع مهلكات للعبد:**

أنا .. ولي .. وبيدي .. وعندي.

هذه كلها لله ﷻ، لكن هذه من مهلكات العبد، فمن قالها من الخلق دمره الله.

فسبحانه هو الولي لعباده المؤمنين، يعافيهم، ويرزقهم، وينصرهم؛ لأنهم عبيده الذين آمنوا به، وأطاعوا أمره، فتولى أمرهم في الدنيا والآخرة، أما الكفار فلا مولى لهم يرحمهم؛ لأن الكافر رفض أن يكون الله وليه، ورفض دينه وشرعه، ومن لم يكن الله وليه؛ كان

الشيطان وليه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

فالله أكبر! سبحان ربنا الولي الحميد، الذي تولى عباده بالتربية والتعليم، والرزق والنصر! فإذا خالف عبده منهج صحته وسلامته؛ نبهه مولاه الولي الحميد بآلام وهموم كأجراس إنذار مبكرة، توقظه من رقدته، وتذكره من غفلته؛ ليتوب إلى ربه، ويطيع مولاه، فلا إله إلا الله! كم رحمة الله ﷻ بعباده.

يرسل هذه البلايا، والهموم والأمراض كإنذارات مبكرة، توقظ الإنسان من رقدته، وتذكره من غفلته، ليتوب إلى ربه، ويطيع مولاه: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٦- ١٩٧].

هو سبحانه الولي القادر على كل شيء، الذي يدبر أمور الخلق في ملكه وملكوته وحده لا شريك له، يخلق ويرزق، ويعطي ويمنع، ويبسط ويقبض، ويعز ويذل، ويحيي ويميت، ويصرف ويدبر؛ ويفعل ما يشاء، كيف شاء، في أي وقت شاء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

ما هي أفعاله؟ ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران/ ٢٧].

هو الولي الذي يتولى أجساد خلقه بالعافية والرزق، ويتولى أمر نفوسهم بالدين، ويتولى أمر دنياهم بإصلاح معايشهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ [التوبة/ ١١٦].

ما لكم من ولي يتولاكم بتهيئة الطعام، والشراب، والسكن، والماء والهواء، ولا نصير ينصركم من دون الله ﷻ؛ بل هو الناصر النصير جل جلاله.

فسبحان الولي الحميد الذي يربي عباده بما يسعدهم في الدنيا والآخرة، وولايته لهم ولاية رحمة وإحسان واحتفاء بهم، وإكرام جزيل، وهو الرؤوف الرحيم، هو ربهم الذي

يربيهم، أحيانًا يؤدبهم ليردعهم، وأحيانًا يكافئهم ليشجعهم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧].

هو جل جلاله الرب الولي الحميد، الذي أحيانًا يؤدب عباده ليردعهم، وأحيانًا يكافئهم على حسن طاعتهم ليشجعهم، وأحيانًا يكرمهم ليردهم إليه: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [الحج/ ٧٨].

هو الولي الحميد، أحيانًا يُنعم، وأحينًا يبتلي، وما ابتلى إلا ليعافي، وما منع إلا ليعطي: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [الحج/ ٧٨].

والله ﷻ هو الملك الحق وحده لا شريك له، هو الذي له الأوامر الملكية في ملكه العظيم، هو الذي يدبر أمور الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي جل جلاله.

له الأوامر الكونية القدرية، وله الأوامر الشرعية، وله الأوامر الجزائية يوم القيامة: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٦ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة/ ٥- ٧].

هو الذي يدبر الأمور؛ لأنه الولي السميع البصير القادر على كل شيء، الرحمن الرحيم، يدبر أمر الحياة والموت، ويدبر أمر الخلائق، ويدبر أمر الأرزاق، ويدبر أمر الدنيا والآخرة، ويدبر أمر الأجساد والقلوب.

ومن رزقه الله حقيقة اليقين؛ رأى يد الولي الحميد هي التي تعمل وحدها، ورأى أيادي الخلق كلها في قبضته، فتوكل على ربه الولي الحميد، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

ومن أراد الله به خيرًا؛ رقَّاه إلى ذروة اليقين: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ومن رقاه الله إلى ذروة اليقين عبد الله كأنه يراه، وتجاوز المخلوقات إلى الخالق، وتجاوز النعم إلى المنعم، وتجاوز الصغير إلى الكبير، وتجاوز الفقير إلى الغني، وتجاوز التدبير إلى المدبر، وتجاوز الدنيا إلى الآخرة، وتجاوز الانشغال بالأموال والأشياء إلى الانشغال

بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾ [السجدة: ٢٤].

فسبحان الولي الحميد الذي ولايته كرم منه لمصلحة من تولاه، الكريم الذي أوصل بره وإحسانه إلى جميع خلقه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)﴾ [البقرة/ ٢٩].

هو الولي المتولي أمور الخلق في كل زمان ومكان وحال، هو الولي الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، هو الولي المنعم بالعطاء، الدافع للبلاء، الذي كل أفعاله لمصلحة خلقه، عطاءً أو منعًا حلواً أو مراً: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١)﴾ [التوبة/ ٥١].

فسبحان الولي الحميد الذي تولى خلقه بحكمه القدري، فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير والتصريف: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ [آل عمران/ ٨٣].

جميع الخلائق أسلمت له، وأذعنت لكبريائه، وتصاغرت لعظمته، وخرت ساجدةً له، فكل في محرابه يسبح بحمد ربه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١)﴾ [الجمعة/ ١].

فالله عَزَّ وَجَلَّ تولى عباده بحكمه القدري، فخلقهم على ما يريد هو، لا على ما يريدون هم، خلقهم بألوانهم وأجناسهم وأنواعهم، ونفذ فيهم حكمه القدري، وتدبيره وتصريفه، فكلهم أسلموا له: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ [آل عمران/ ٨٣].

ثم تولاهم مولاهم بأمره الشرعي، فأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحق؛ ليتولى الحكم فيهم يوم القيامة، ويحاسبهم ويثيبهم ويعاقبهم حسب أعمالهم ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢)﴾ [الأنعام/ ٦١- ٦٢].

يقضي بين الخلائق بأسرع وقت، فكما يرزقهم جميعاً في وقت واحد، يحاسبهم كذلك

جميعاً في وقت واحد: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فسبحان الله العظيم، ما أعظم قدرته، وما أحكم تدبيره في ملكه.

والله ﷻ هو الولي الحميد الذي يحب أولياءه من الأنبياء وأتباعهم، ويلطف بهم، ويعينهم على طاعته، ويحبب إليهم الإيمان والأعمال الصالحة؛ لأنهم تولوه بالإيمان به، وحسن عبادته؛ فتولاهم بالنصر والأمن والتمكين، والتوفيق لما يحبه ويرضاه، وأسكنهم الجنة في الآخرة: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٦- ١٢٧].

والله جل جلاله ولي من تولاه، واتبع هداه، ومن أعرض عن مولاه، واتبع هواه؛ سلط الله عليه الشيطان فتولاه وأغواه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣].

فما أخسر من كان الشيطان مولاه: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء/ ٣٨].

يتولاه، ويؤزه من معصية إلى معصية، ومن كبيرة إلى كبيرة، ومن ضلاله إلى ضلالة، ومن بدعة إلى بدعة، ويوم القيامة يكون معه في نار جهنم: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء: ١١٩ – ١٢١].

فأولياء الله الذين يتولاهم في الدنيا والآخرة هم من استقاموا على التوحيد والعمل الصالح؛ حتى الموت؛ فلهم السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠- ٣٢].

ومن عرف أن مولاه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى؛ فليعبده وحده لا شريك له.

ومن عرف مولاه، وتوجه في عبادته وحوائجه إلى غير مولاه؛ فقد خسر دنياه وأخراه: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [الأنعام/ ١٤- ١٥].

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه؛ فمن عرف مولاه، وتوجه في عبادته وحوائجه إلى غير مولاه؛ فقد أشرك بالله، والله ﷻ أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه غيره؛ تركه وشركه: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٦].

فالله ﷻ هو الملك الولي الحق، الذي له الولاية العظمى على جميع خلقه في العالم العلوي والعالم السفلي؛ لأنه الملك الذي يملك كل شيء، له ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك/ ١].

هذا هو مولانا جل جلاله: ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج/ ٧٨].

فكل شيء تحت ولايته، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾ [المائدة/ ١٢٠].

فسبحان الولي الحميد الحق، الذي يوالي جميع خلقه بالنعم، ويتولى من يحب الهداية إلى الإسلام، ثم يغرس في قلبه الإيمان، ثم يحبب له الطاعات، ويكره إليه المعاصي، ثم يعينه على ما فيه فلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات/ ٧- ٨].

هو الولي الحفيظ الذي إذا أصابت الإنسان أمراض أو مصائب تكاد تهلكه؛ حفظه وليه

منها فلا تضره، فهو جل جلاله الذي قدر المقادير كلها، من خلق وأمر، ومن أمن وخوف، ومن غنى وفقر، ومن عافية ومرض، ولا يتبدل شيء منها إلا بأمره وعلمه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٧ - ١٨].

هو الحكيم فيما يفعل، الخبير بأحوال خلقه، وما يصلحهم وما يسعدهم.

فالله ﷻ هو ولي الإنسان في جميع أحواله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد/ ١١].

الملك ملكه، والخلق خلقه، وهو على كل شيء قدير؛ ورحمته سبقت غضبه، فالله ﷻ العفو أحب إليه من الانتقام، والعطاء أحب إليه من المنع، ولكن الناس يحرمون أنفسهم من عطاء ربهم بالكفر والمعاصي، فالله ﷻ يتولى من تولاه وآمن به.

وسبحانه الحميد الولي الذي يحفظ عباده من الأخطار التي تحدق بهم من كل جهة.

والله يتولى حفظ جميع الخلق من بين أيديهم ومن خلفهم بملائكة هم من أمر الله، يحفظونه بأمر الله.

هؤلاء المعقبات التي هي الملائكة، يحفظونه من أمر الله بأمر الله.

فسبحان الولي الحميد الذي عصم وليه من الفتن، ولطف به في جميع أموره، ثم قبضه إليه مؤمنًا به، مرضيًّا عنه: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف/ ١٠١].

والولاية درجات تزيد وتعلو بحسب المعرفة بالله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، وملكه وسلطانه، ودينه وشرعه، والذين صدَقوا الله فآمنوا به؛ تولاهم مولاهم الحق، فآمنوا بالغيب، ثم شاهدوا الغيوب التي غابت عن غيرهم، ثم ارتقوا في دَرَج المقربين فصاروا أعلامًا للهدى، يُستضاء بنور علمهم، وهم زينة أهل الأرض، ورجومًا للشياطين وأهل الكفر والشرك والبدع: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

والله سبحانه هو الولي الحميد الذي كشف لأوليائه الحجاب؛ حتى صار الغيب عندهم شهادة، فباشروا الحق، وفروا من الشيطان، وقربوا من مولاهم، يقولون بالحق، ويأخذون به، ويعظون به، ويدعون إليه، ويصبرون على كل شيء من أجله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١- ٣].

فهؤلاء الذين اختارهم الله ﷻ كشف لهم الحجاب؛ حتى رأوه يخلق، ويرزق، ويرحم، وينتقم، ويعز، ويذل، ويعطي، ويمنع، ويدبر، ويعفو، ويُحسن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

فهم في جزيل عطائه يتقلبون، لا يشغلهم عنه شاغل، ولا يقطعهم عنه قاطع.

فسبحان من رباهم وتولاهم، وزينهم بنور الإيمان، وحرك جوارحهم بطاعاته، إن نطقوا نطقوا خائفين؛ لكمال معرفتهم بالله، وإن سكتوا سكتوا وجلين يخافون من ربهم، وإن عملوا عملوا خائفين مشفقين من خشية ربهم؛ لأنهم عرفوا ربهم، وعرفوا جلاله وكبرياءه، وعرفوا عظمة نعمه وإحسانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون/ ٥٧- ٦٢].

جعلنا الله وإياكم وجميع المؤمنين والمؤمنات من هؤلاء، فهؤلاء هم الأولياء الصادقون المقربون في الآخرة، ترتقي على مر الأيام منازلهم، وتتكامل فضائلهم، رضوا بالآخرة؛ فمنعهم ربهم من الدنيا، وخلصهم لنفسه وجنته: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾

[يونس: ٦٢ – ٦٤].

فاللهم: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥].

والله سبحانه ولينا، هو الولي الذي يدبر أمر خلقه، فيعطي من يشاء، ويمنع من يشاء بحكمته، فحين تسأله يفتح لك أسباب حصول ما تريد.

وهو الولي الحميد الذي لا يُعجزه شيء، يعطي خلقه بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب؛ لأنه على كل شيء قدير: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

يعطي بالأسباب، كما يعطي الولد عن طريق الزواج، ويعطي النور من الشمس، ويعطي النبات من الأرض.

ويعطي بدون الأسباب يقول للشيء: كن؛ فيكون: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس/ ٨٢].

ويعطي بضد الأسباب ، فأنجى إبراهيمﷺ من النار، وربى وليه موسىﷺ في قصر عدوه فرعون، وأصبحت الخزينة التي تنفق الأموال لقتل موسى هي التي تنفق عليه لإرضاعه وتربيته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢﴾ [غافر: ٦٢].

فالله سبحانه هو الولي الحميد، وهو الملك الحق، والحق واحد، والباطل متعدد، والحق لا شك أن كله نور، والباطل بأنواعه كله ظلمات، ومعرفة الحق، والعمل به، ونشره كفيلة بإزالة الباطل، وإحراق الفساد، وإهلاك الفساد والمفسدين في العالم: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾ [الإسراء: ٨١].

فالحق هو المقياس الذي كل ما سواه باطل؛ لأن عمر الإنسان لا يستوعب إلا معرفة الحق، أما الباطل فأنواعه كثيرة، ويكفي إذا جاء النور أن يبدد الظلمات، ويزيل الباطل من الأرض: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

والحق واحد، والباطل سبله كثيرة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

الحق الذي إذا عرفناه عرفنا أن كل ما سواه باطل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾ [الحج/ ٦٢].

فالقصد تعريف الناس بالحق؛ ليعبدوا الحق، بالدين الحق؛ لينالوا ثواب ربهم الحق يوم

القيامة.

فالمطلوب، أن نعرف الحق بأسمائه وصفاته، ونعرف دينه وشرعه، ونعمل بالحق، وندعو إلى الحق؛ لننال الثواب الحق من ربنا ﷻ.

لهذا فالحرب بين حقين لا تكون أبدًا؛ لأن الحق واحد، والحرب بين حق وباطل لا تطول، فالله ﷻ مع أوليائه، ومع الحق، ينصرهم على عدوهم، والحرب بين باطلين لا تنتهي: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج/ ٦٢].

فالحرب بين باطلين لا تنتهي، وما يجري في العالم اليوم هو من هذا النوع، الصحابة كانوا يقولون: كنا نغلب العدو بقدر حلب شاة، لما كان فيهم رسول الله ﷺ، فلما توفي النبي ﷺ كانوا يغلبون العدو بقدر حلب ثلاث شياه.

واليوم كم الحروب الموجودة في العالم، والتي عشناها وعاشها من قبلنا، ولم تنتهِ؟ لأنها بين باطلين، فالله مع الحق، والنصر ينزل كما ينزل المطر من السماء على أهل الحق: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١].

والله ﷻ هو الولي، والولي هو القريب إليك، والله هو الولي المحمود على كمال ولايته، وهو أقرب للعبد من نفسه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق/ ١٦].

والولي جل جلاله ولايته ولاية رحمة، إذا تولاك برعايته أسعدك في الدنيا والآخرة، فلن تستعمل سمعك وبصرك ولسانك إلا فيما يرضيه، ولن تستعمل جوارحك إلا في طاعته وعبادته وتقواه، ولن تستعمل أموالك إلا فيما يحبه ويرضاه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس/ ٦٢ - ٦٣].

فهو سبحانه الولي الذي خلقك وخلق جوارحك، وخلق كل ما يصدر عنك من أقوال وأفعال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات/ ٩٦].

والكون كله مظهر للخلائق التي خلقها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فمن تولى الله بعبادته وحده؛ تولاه ربه بحفظه قال النبي ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تِجَاهَكَ**» أخرجه الترمذي(١).

فعباد الله ﷻ وليهم الله، يمنع الشيطان أن يسيء إليهم أو يضرهم: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٦٤﴾ [يوسف: ٦٤].

والله سبحانه ولي المؤمنين كلهم بأقسامهم الثلاثة، ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، وكلما كانت ولاية العبد لربه أقرب وأكمل؛ كانت ولاية ربه له أقرب وأكمل: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ۝٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ۝٣٣﴾ [فاطر/ ٣٢- ٣٣].

الله سبحانه هو الولي الذي تولى رسله وأولياءه بنصره وحفظه، وهو الحكيم الخبير جل جلاله في تدبيره، أحوج القافلة للماء؛ ليخرجوا يوسف من البئر: ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ۝١٩﴾ [يوسف: ١٩].

سبحانه أحوج القافلة للماء؛ ليخرجوا يوسف ﷺ من البئر، وأحوج عزيز مصر للأولاد؛ ليتبنى يوسف، وأحوج ملك مصر لتعبير الرؤيا؛ ليخرج يوسف من السجن، قال: ائتوني به، وأحوج مصر كلها للأكل؛ ليؤول الرؤيا، ويصرف أكل مصر عن طريق يوسف الذي ألقي في البئر، ثم صار والياً على مصر، فسبحان الحكيم الخبير الذي أخرج يوسف من البئر، ثم إلى السجن، ثم إلى القصر فالقميص الذي لبسه يوسف بعد أن آتاه الله الملك كان سبباً لشفاء أبيه يعقوب فارتد بصيراً: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٣﴾ [يوسف/ ٩٣].

فالقميص الذي أحزن يعقوب في البداية، هو الذي أفرحه وأسعده في النهاية: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٩٦﴾ [يوسف: ٩٦].

هو الحكيم العليم في عطائه ومنعه، وفي تدبيره وتصريفه جل جلاله.

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

فسبحان ربنا العظيم الولي الحميد، الذي يقلب الأحوال بحكمته ورحمته:﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾[يوسف/ ١٠١].

ومن لا يتمنى الملك؟ ولكنه زهد في المُلك؛ رغبةً في الملِك جل جلاله، فالولي هو القريب منك، الولي هو الذي أول من تفزع إليه في جميع أحوالك:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[فاطر: ١٣ – ١٤].

فهو جل جلاله وليك القريب منك الذي تولاك، فهو ولي حميد، يرغب عباده أن يكونوا وليهم؛ ليكرمهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة.﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يونس: ٦٢].

فمعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته هي أعظم أركان التوحيد، حتى تأتي في قلوبنا عظمته فنعبده بما يليق بجلاله:﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

- **وتوحيد الله ﷻ يقوم على ستة أركان:**

**الأول**:توحيد الله ﷻ بأسمائه؛كالعليم، والقدير، والعفو، والسميع، والبصير، وغيرها من الأسماء الحسنى.

**الثاني**:توحيد الله بصفاته؛ كالحياة، والسمع، والبصر، والقدرة، وغيرها من الصفات العلى.

**الثالث**:توحيد الله بأفعاله؛ كالخلق والرزق، والإحياء والإماتة، وغيرها.

**الرابع**:توحيد الرب بأفعال العبد؛ كدعاء الله، والتوكل عليه، ومحبته، والخوف منه، والصلاة، والذكر، والدعاء، والصوم، وسائر أنواع العبادة.

**الخامس**:توحيد رسوله ﷺ بالاتباع.

**السادس**:توحيد كتابه بالاتباع.

وكل ذلك يحصل للعبد بكمال معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة خزائنه،

وبقدر تلك المعرفة يمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان، ونعبد الله بالحب والتعظيم والذل له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

- **فالذي يملأ القلب توحيدًا وإيمانًا، وحبًّا وتعظيمًا لله سبعة أمور:**

معرفة الله .. ومعرفة أسمائه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعده .. ووعيده.

هذه المعارف العظيمة إذا امتلأ بها القلب؛ امتلأ بالتوحيد والإيمان، وانشرح الصدر لأنواع الطاعات،وانقادت الجوارح لجميع أنواع الأعمال الصالحة التي يحبها الله ﷻويرضاها، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وبهذه المعارف يحصل للعبد توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بالعبادة، وتوحيد الرسول ﷺ بالاتباع، وتوحيد كتاب الله ﷻ بالاتباع والامتثال، والتصديق والتطبيق.

فإذا حصل كل ذلك حصل التعبد لله بكمال الحب، وكمال التعظيم، وكمال الذل لله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١ – ٢].

من عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة؛ أحبه ومجده، وعظمه، وحمده، وشكره، وأخلص له العبادة، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، وتقرب إليه بأنواع الطاعة؛ حبًّا له وتعظيمًا له، وذلًّا له جل جلاله:﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١].

والله سبحانه لكمال ذاته وكمال أسمائه وصفاته هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وهو المستحق كذلك للمحامد كلها، فكل ما يُحمد به الخلق فهو من الخالق، فهو أحق بالحمد من كل محمود من الخلق:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾[الأنعام/ ١].

ومعرفة اسمه الولي والمولى يُثمر للعبد الاستسلام لربه بقلبه وجوارحه، ويُثمر له الامتثال لأوامره، والرضا بما يقدره من كل محبوب ومكروه، وكذلك يورث حُسن الظن بالله ﷻ؛ لأنه جميل لا يفعل إلا كل جميل، وحميد لا يفعل إلا ما يُحمد عليه:﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾[النمل/ ٥٩].

هو المحمود سبحانه على جلاله، وجماله، وكمال أفعاله:﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥].

والله سبحانه هو الولي الحميد،الذي يحب الحامدين له، الشاكرين له، المطيعين له، المؤمنين به، المجاهدين في سبيله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾[الصف: ٤].

ولا شيء أحب إلى الله من الحمد،ولكمال ولايته لخلقه أنعم عليهم بالنعم في داخل أنفسهم ومن حولهم، فالعالم العلوي والعالم السفلي وما فيهما كله من نعمه، والنعم تقتضي الحمد، فالله ﷻ هو الولي الحميد الذي يُحمد على ما مَنَّ به علينا من النعم:﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

﴿ٱلْحَكِيمُ ٣٧﴾[الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

ولا شيء أحب إلى الله ﷻ من الحمد، ولهذا حمد نفسه، ومجد نفسه، وأثنى على نفسه؛ لأنه أهل لذلك، وليعلم عباده، ويرغِّبهم في النظر إلى هذه النعم؛ ليحمدوه ويشكروه، فقال:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤].

الحمد على ماذا؟ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، على نعمه الظاهرة والباطنة، أنعم عليَّ، وأنعم على غيري، وأعطاني خيرًا، وصرف عني شرًا، واستضافني في بطن الأم، واستضافني في بطن الدنيا، وأنزل علينا الكتاب، وأرسل إلينا رسولاً يبيِّن لنا الحق من الباطل، ويدعوني إلى الله؛ لأخرج من الظلمات إلى النور:﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٢﴾[الجمعة: ٢].

مجد نفسه جل جلاله؛ لأنه أهل لذلك؛ وحتى يعلم الناس بوليهم ومولاهم الذي يتعاهدهم بالنعم التي لا تعد ولا تحصى؛ ليحمدوه ويشكروه بما من عليهم من النعم في ذوات أنفسهم، ومن خارجهم:﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨﴾[النحل/ ٧٨].

فسبحان الولي الحميد الذي سخر كل شيء لآدم وذريته:﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ٢٠﴾[لقمان: ٢٠].

- **فإذا نظر الإنسان ببصره في هذا الكون؛ لا يرى إلا اثنين:**

مُنعِم .. ومُنعَمٌ عليه.

كل ما سوى الله منعَم عليه بالإيجاد والأرزاق، والتحريك والتسكين، والتدبير والتصريف.

هو الولي الذي تولى الخلق جميعهم، تولاهم بما يُصلحهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة.

فالحمد لله رب العالمين أن عرفنا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وهدانا للإسلام، وأسبغ علينا نعمه الظاهرة والباطنة، فنعم المولى ونعم النصير: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

العرش وما دونه من الكرسي، والسموات السبع وما فيهن من الملائكة، والأراضين السبع وما فيهن من المخلوقات بأنواعها وأصنافها لا تساوي ذرة من ملك الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

وأشرف ما في العالم العلوي من المخلوقات هم الملائكة، وأشرفهم جبريل ﷺ.

وأشرف ما في العالم السفلي هم بنو آدم، وأشرف بني آدم هم المؤمنون، وأفضل المؤمنين هم الأنبياء والرسل، وسيدهم وأفضلهم سيدنا محمد ﷺ، الذي كان خُلقه القرآن: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فالمؤمن حقًّا من يسعى لتحصيل خصال الحمد من الإيمان، والتقوى، والتخلق بالأخلاق الحميدة، فالمؤمن يشكر الله ﷻ على النعم التي أعطاها له من الإيمان والتوفيق، وأن حبب إليه الإيمان والأعمال الصالحة.

فالمؤمن دائمًا يسعى في تحصيل خصال الحمد التي يحمده عليها ربه، ويحمده عليها الناس من الإيمان والتقوى، والتخلق بالأخلاق الحميدة، والأفعال الجميلة، واجتناب ما يوجب الذنب والعقوبة من الصفات الذميمة: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ

وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

ويجتنب كذلك الصفات الذميمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا﴾ [الحجرات: ١١ – ١٢].

وهكذا المسلم يفعل الفضائل، ويجتنب الرذائل، ويعمل بالحق، ويدعو إلى الحق، ويجتنب الباطل، ويحذر من الباطل، ويجتهد على أهل الباطل، وأهل الرذائل، ليأخذوا بالحق والفضائل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم/ ١].

هذا الكتاب أُنزل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، أنزله الولي الحميد الذي يحب للإنسان أكثر مما يحب لنفسه، فهو الولي الذي يغار على خلقه أن يأسرهم الشيطان ويحتل أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم، ويلعب بأوقاتهم ويستعملهم في الشهوات والمحرمات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ومحبوبات الرب غير محبوبات الشيطان، ومحبوبات الرب غير محبوبات العبد، العبد مأمور أن يأخذ من النعم بإذن ربه من الحلال، ويستعملها في طاعته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون/ ٥١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة/ ١٧٢].

ومحبوبات الرب غير محبوبات العبد، محبوبات الرب: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].

فكل الكون مليء بما يدل على عظمة الولي الحميد الذي فعل كل مصلحة وخير للإنسان؛

لأنه هو ولي الخلق أجمعين، خلقهم وساق إليهم أرزاقهم بعطاء الربوبية، فأفعاله توجب على العبد أن يحمد ربه الذي تولاه بالنعم الظاهرة والباطنة.

فيقول العبد لربه الولي الحميد الذي تولاه بالنعم المادية والروحية: كنت ضالًّا فهديتني، وجاهلًا فعلمتني، وفقيرًا فأغنيتني، ومعدومًا فأوجدتني، فلك الحمد والشكر على هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى، اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض وما فيهن، ولك الحمد أنت قيّم السموات والأرض وما فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض وما فيهن، أنت الحق، ووعدك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق.

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، نعم المولى، ونعم النصير.

ويكون بالجوارح بأن يستعمل جوارحه فيما يحبه الله ويرضاه من صلاة وصدقة وصيام وبر وإحسان: ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤**﴾[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فالتعبد لله باسمه الولي وباسمه المولى يكون بذكر نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ورؤية الولي الحميد بأسمائه وصفاته وأفعاله يتولى الخلائق إيجادًا وتدبيرًا وتصريفًا، فيحمد ربه الولي، ويكون عبدًا للولي في جميع أحواله وأوقاته.

وفقنا الله وإياكم للتعبد لله بما يحبه ويرضاه، فالولاية انتساب إلى مولاك العظيم الذي هداك بأسماء حسنة من أسمائه الحسنى، ووصفك بصفات كريمة من صفاته العليا، مع إقرار منك له برق العبودية، وَصَفَك بالإسلام، ووصفك بالإيمان، ووصفك بالصدق وبالصبر: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ

﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾[التوبة: ١١٢].

فالتعبد لله بما يحبه ويرضاه يكون بهذه الرؤية؛ أن ترى الله ﷻ محسنًا إليك في كل حال، حين كنت في بطن أمك، وحين خرجت من بطن أمك، وحين قمت بين يديه قائمًا وراكعًا وساجدًا، وحين تسير، وحين تنام، وحين تأكل.

فأنت في ولاية الله الذي تولاك بالحفاظة، فاللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك.

والله رضي لك أن تتسمى بالأسماء الحسنى، وبالصفات العليا؛ لكن على شاكلة العبودية، فالله مؤمن يحب المؤمنين، والله محسن يحب المحسنين، والله شكور يحب الشاكرين، الله ﷻ يحب من تخلق بهذه الأسماء؛ لكن على شاكلة العبودية، والاعتراف برق العبودية للرب ﷻ:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف: ١٨٠].

فهو الملك الحق المبين، ويحب لعبيده أن يتصفوا بالصفات التي يحبها، والتي تسمى بها؛ ولكن على شاكلة العبودية، فالله يريد أن يميز أولياءه من أعدائه، بصفات يحبها هو، ويدعو إليها، وأرسل بها رسله:﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلۡقَـٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾[آل عمران: ١٧].

وهذه الصفات تثمر الإيمان به، والعمل له بإخلاص، وتوحيده جل جلاله بأسمائه وصفاته، وبعبادته، والانقطاع إليه، والتعظيم له، والحب له، والقرب منه في كل حال، في حال السراء والضراء، و في حال النعمة والبلية، فالله ﷻ يريد من أوليائه أن يتصفوا بالصفات الحسنى التي بينها في القرآن:﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[الأحزاب: ٣٥].

وإذا وصف الله الأجر بأنه عظيم؛ فأجره لا حد له ولا نهاية: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص/ ٥٤].

ولا يعلم كيفيته أحد: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٧].

ما هي صفات هؤلاء الذين يحبهم الله والذين يتولاهم بالنصرة والتوفيق؟، والذين اشتراهم؟

- **صفاتهم:**

**أولًا:** التائبون، فكل إنسان لابد أن يتوب في كل يوم، بل في كل لحظة، كان ﷺ يتوب ويستغفر الله في المجلس الواحد أكثر من سبعين مرة: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

- **وما هي الأمور التي تابوا منها:**

تابوا من عدم معرفة الله، والجهل بأسمائه وصفاته وأفعاله ..وتابوا من التقصير في العمل.. وتابوا عن تأخير العمل .. وتابوا عن التقصير في الدعوة إلى الله ..وتابوا عن تأخير تعليم الناس دينهم.

فالله هدانا واشترانا، واستعملنا في طاعته، نعبده، وندعو الناس إلى عبادته بإبلاغهم دينه: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

والصفات التي يحبها الله ﷻ يحبها لأوليائه، ويميز بها أولياءه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

ومن صفات أولياء الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾

[المؤمنون: ١ – ٢].

خاشعون، لأنهم ينظرون إلى عزة الربوبية، وذلة العبودية، ينظرون إلى الكريم وينتظرون كرمه، ينظرون إلى الغني، ويشهدون فقرهم، ينظرون إلى الغفور وينتظرون مغفرته، ينظرون إلى الرحمن وينتظرون رحمته.

خاضعون بجوارحهم، كانوا قيامًا، ثم ركوعًا، ثم سجودًا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾[الزمر/ ٩].

فلنكن من أولياء الله؛ ونتصف بهذه الصفات ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)﴾[المؤمنون/ ١-٣].

نحفظ عبودية اللسان، ولا نستعمل اللسان إلا فيما خلق له: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧)﴾[النحل: ١١٦ – ١١٧].

- **اللسان عبوديته لربه في أمرين:**

**الأول**: أن تتكلم عن الله بالدعوة إلى الله بين الناس.

**الثاني**: أن تتكلم مع الله بالعبادة فيما بينك وبينه.

تتكلم مع الله تعبدًا بين يديه، تقول: رب اغفر لي وارحمني، ربنا ظلمنا أنفسنا، تتكلم مع ربك، تسأله المغفرة، وتسأله الرحمة، وتسأله من فضله، أو أتكلم عنه في الدعوة إلى الله فنقول للناس: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

أو نقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ

يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

فهذه عبودية اللسان، وما سوى ذلك لغو، إلا في مسائل الكسب، والمعاشرات ونحوها. وما سوى ذلك كله من اللغو والغيبة والنميمة والقيل والقال، وكله مكتوب بصحائف السيئات.

فهذه صفات أولياء الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون: ١ – ٤].

ينفقون أموالهم في سبيل الله، وينفقون أوقاتهم في سبيل الله، وينفقون من ألسنتهم كلام الدعوة إلى الله، وكلام الإيمان، وكلام التعليم لدين الله، وينفقون من جوارحهم بسماع كتاب الله، وسماع المواعظ، فكل ينفق من ماعونه، السحب تنفق من ماعونها الماء، والشمس تنفق من ماعونها النور.

وكذا المسلم ينفق من ماعون المال: بيده، وينفقمن ماعون الكلام: بلسانه، وينفق من ماعون الأذن: يصغي إلى كلام ربه ومواعظه، وينفق من ماعون البصر: ينظر إلى الآيات الكونية، وينظر إلى الآيات القرآنية، فيعرف من يعبد، يعرف الولي الحميد، يعرف الكبير المتعال، يعرف الغفور الرحيم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون/ ٤].

كل شيء له زكاة، ولكن أكثر الناس لا يعرف الزكاة إلا في إنفاق المال فقط: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

ينفقون من كل ما رزقناهم، رزقناهم العلم، رزقناهم التقوى، رزقناهم المال، رزقناهم الحكمة، رزقناهم الاخلاق.

فما أعظم جرم من منع الماعون: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤ – ٧].

ومانع الماعون ملعون من الله وجميع مخلوقاته بنص القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا

مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩ – ١٦٠].

فالمسلم إما بين يدي ربه عابدًا، وإما بين يدي خلقه داعيًا.

فعلى الإنسان يكون من أولياء الله ويعبد الله؛ لأنه هو الولي الحميد الذي تولانا بنعمة الإيجاد والإمداد والهداية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨].

ومن صفات أولياء الله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون: ٥ – ٧].

فالذي يخالف هذا الترتيب هو معتدٍ على أوامر الرب، وعلى النفس البشرية التي اشتراها الله، وخلقها لعبادته، وصرفها لغير عبادة الله؛ فاتبعت شهواتها، وغفلت عن الله، وعن أوامره جل جلاله، فلا تكن من المعتدين: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة/ ١٩٠].

ومن صفاتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون/ ٨].

العين أمانة، والأذن أمانة، واللسان أمانة، والعقل أمانة، واليدان أمانة، والرجلان أمانة، والبطن أمانة، والفرج أمانة، والوقت أمانة، والمال أمانة، والأخلاق أمانة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون/ ٨].

المؤمن دائم الصلة بالله، أقف بين يدي ربي، أكبره وأحمده، وأسأله من فضله، وأستغفره من الذنب، وأصبر على بلائه، هذه عبودية المسلم بين يدي ربه، فهم متصلون دائمًا بالملك الذي هو غفور يغفر الذنوب، وكريم يكرم عباده بما سألوه، فالله ﷻ لا يرضى أن يُسأل غيره، إذا سألت فاسأل الله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المؤمنون/ ٩ – ١٠].

إذا مات الإنسان قالت الملائكة: ماذا قدم؟ وقال الناس: ماذا أخر؟ فاحرص أن تكون بعد الموت وارثًا لا مورِّثًا، كن وارثًا للأعمال الصالحة:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾[المؤمنون: ١٠ – ١١].

- **الذين ورثوا أعمالهم الانفرادية:**

من قراءة القرآن .. وذكر ودعاء .. وصلوات وصيام .. وغيرها من الأعمال.

- **وكذلك ورثوا أعمالهم الاجتماعية:**

كالدعوة إلى الله .. والأمر بالمعروف .. والنهي عن المنكر .. والنصيحة .. والجهاد في سبيل الله .. والإنفاق في سبيل الله .. والإحسان إلى الخلق:﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

فكما نذروا أنفسهم دعاة إلى الله ﷻ في هذه الدنيا، واستمروا على ذلك إلى أن لقوا الله ﷻ؛ فهم يخلدون في الجنة؛ لأن نيتهم لو بقوا أبدًا سيعبدون الله ﷻ، ويدعون الناس إليه، لأنه أهل أن يحمد، وأن يعبد، وأن يشكر:﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

[البقرة: ٢٥].

فإذا عرفت الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ وأفعاله الحميدة عرفت أنه الإله الحق، والولي الحميد الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، هو الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

ومن صفات أولياء الله ﷻ الذين يحبهم؛ حتى نتصف بها:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الفرقان/ ٦٣].

يمشون على الأرض دعاة إلى الله، معلمين لشرع الله، يدعون إلى الله، ويحسنون إلى الخلق.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان/ ٦٣].

لا يردون عليهم، بل يكظمون الغيظ، ويعفون عن الناس، ابتغاء مرضاة الله.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان/ ٦٤].

أولًا قاموا بالدعوة إلى الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان/ ٦٣].

يمشون بالتواضع والانكسار بين يدي الخلق، يدعونهم إلى الله ﷻ، والله يرفع مقامهم.

وهم بين يدي الله في ليلهم يصلون ويدعون: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفرقان/ ٦٤- ٦٥].

لما أيقنوا بالجنة والنار، وعلموا أنهم صائرون إلى إحداهما؛ قاموا ودعوا ربهم أن: ﴿ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان/ ٦٥- ٦٧].

فهم بين يدي ربهم عابدون، وبين يدي خلقه محسنون.

فهم عباد لله داخل الصلاة وخارج الصلاة، عباد لله في المنزل، وفي الشارع، وفي الطائرة، وفي السيارة، وفي البر، وفي البحر، يعبدون الله وحده في كل حال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وصفات أولياء الله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩].

يجتنبون الكبائر العظيمة، والذنوب الكبيرة، من الشرك، والقتل والزنا.

بسبب معصية متكررة يضاعف لنا العذاب،فكيف إذا تنوعت وتكررت.
والعذاب يوم القيامة عذاب مهين، وعظيم، وكبير، وشديد، وأليم.
﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٠﴾[الفرقان/ ٧٠].
وهذا من كمال ولايته ورحمته، أن يبدل السيئات إلى حسنات بعد التوبة.
﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ٧١﴾[الفرقان/ ٧١].
يتوب إلى الولي الحميد الذي يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة إلى أضعاف كثيرة.
ومن صفات أولياء الله الذين يحبهم ويحبونه:﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ٧٢ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ٧٣﴾ [الفرقان/ ٧٢-٧٣].
بل هم:﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة: ١٦ – ١٧].
ومن صفات أولياء الله:﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾[الفرقان/ ٧٤].
يحبون أن يهبهم الله ﷻ من أزواجهم وذرياتهم قرة أعين يعبدون الله، كما طلب زكريا من ربه أن يهب له ذرية طيبة؛ حتى تستمر الدعوة إلى الله، وعبادة الله ﷻ.
فهؤلاء أولياء الله ﷻ يحبون أن يهب الله لهم أزواجًا وذرية، تكون قرة عين في عبادة الله، وتوحيده، والدعوة إليه:﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾[الفرقان/ ٧٤].
إماماً في العبادة، والدعوة، والتعليم، والإحسان إلى الخلق، يريدون الصف الأول، في كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق:﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٢﴾[الزمر: ١١ – ١٢].

فماذا لهم يا الله؟﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ٧٧ ﴾[الفرقان: ٧٥-٧٧].

الله ﷻ لا يعبأ بالناس لولا دعاؤهم وتوحيدهم، الله ﷻ غني قبل أن يخلق أحدًا، وملك قبل أن يخلق هذه المماليك، فالله ﷻ لا يحتاج إلى طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، لكن يحب أن يرى من عباده من يأتي إليه اختيارًا، وهو قادر أن لا يأتي: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ ﴾[العنكبوت: ٢-٣].

والله ﷻ أحب شيء إليه المدح والثناء، ولذلك مدح نفسه، وأثنى على نفسه في كتابه جل جلاله فقال:﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾[غافر: ٦٥].

فالله ﷻ هو الولي الحميد، هو الكريم، يحب من عباده تحصيل صفاته التي تليق بهم؛ ليكرمهم يوم القيامة، بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾[الأعراف: ١٨٠].

هؤلاء يكرمهم الله ﷻ يوم القيامة بجزيل ثوابه، لأجل هذا بيَّن الله ﷻ في كتابه الصفات التي يحبها، ودعا عباده إلى امتثالها، ووعدهم على ذلك الأجر العظيم، ومن رزقه الله ذلك؛ نال الشرف الأعلى، وفاز بالمقام الأسمى في الدنيا والآخرة:﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾[النحل/ ٩٧].

هو سبحانه الولي الحميد، مولى الخلائق أجمعين، هو الرءوف الرحيم الذي يكرم جميع الخلق، ولا يمنع رزقه عمن عصاه ممن كفر به، أو قصر في عبادته.

لم يمنع رزقه عن هؤلاء، ولم ينقص الرزق لأحد قسمه الله ﷻ له:﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا

تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾[الإسراء/ ٧٠].

ومن حُسن ولايته أن قدر لجميع المخلوقات الأرزاق، مكانًا وزمانًا، وكميةً ونوعيةً: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

الله ﷻ قسم الأرزاق كلها من هذه الولاية التي كلها رحمة، وكلها إحسان إلى الخلق، وكلها تلطف بالخلق، هذا ربنا الولي الحميد الذي تولانا بهذه النعم، ولكن لكثرة النعم غرقنا فيها، ونسينا المنعم جل جلاله، ولذلك حينما نذهب إلى الطعام؛ الإسلام يأمرنا أن نقول: بسم الله، سمِّ الله، وكل بيمينك وكل مما يليك، اذكر ربك الذي أنعم عليك بهذه النعمة.

فنحن في الدنيا نعيش مع نعمه بأبصارنا، ونعيش مع ربنا ببصائرنا، ويوم القيامة نرى ربنا بأبصارنا وبصائرنا: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾[القيامة/ ٢٢-٢٣].

فترى الرحمن الرحيم، ترى الولي الحميد، ترى القاهر فوق عباده، ترى الملك القدوس، ترى العزيز الجبار المتكبر، تراه يوم القيامة، ولكن لا تحيط به لعظمته وكبريائه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

فارض بما قسم الله لك تكن أعبد الناس، وأغنى الناس، وأسعد الناس.

ومن لم يرضَ بما قسم الله له؛ سلط الله عليه الدنيا، يركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا يناله منها إلا ما قسمه الله له.

فالأرزاق مقسومة، والآجال مضروبة، والخطوات معدودة، والأنفاس محدودة، فإذا بلغ الأجل توقفت هذه الأرزاق: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾[المنافقون: ١١].

ومن سلم لمولاه الولي الحميد بما يريد كفاه ما يريد، وأعطاه فوق ما يريد، ومن لم يسلم لربه فيما يريد؛ شقي فيما يريد، ثم لا يكون إلا ما يريد: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة/ ٥٥].

فالله ﷻ هو الولي الحميد الذي من علينا بعطاء الربوبية، وبعطاء الألوهية، لنسعد في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

ومن طلب العلم، وأتبعه بالعمل، وتفقه في دين الله؛ كفاه الله همه، ورزقه من حيث لا يحتسب بيسر، وجهد قليل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].

فسبحان ربنا الولي الحميد، المتصرف بمشيئته في العالم العلوي، والعالم السفلي، وجميع العوالم، النافذ أمره في ملكه الواسع، المتولي أمر خلقه بالإحسان في كل آن، من غير انقطاع ولا امتناع: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

فجميع الأشياءوالحاجات بيده جل جلاله، وهو خالق جميع الحاجات، وجميع النعم، وخالق كل شيء، وكل ذرة في الكون، وكل كبير وصغير في الكون، وجميع الخلائق والعوالم شاهدة بوحدانيته، ومسبحة بحمده، ومنقادة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

فيا عبد الولي، ويا عبد المولى، تولاك مولاك بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، فخلقك في أحسن تقويم، وسواك وأطعمك وسقاك، وعلمك وهداك، ونقلك من الظلمات إلى

النور؛ فتولَّ أنت عباده بالإحسان إليهم، وكن سببًا لنقلهم من الضلال إلى الهدى، ومن الجهل إلى العلم، ومن الباطل إلى الحق، ومن سبل الهلاك إلى سبل النجاة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت/ ٣٣].

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾[إبراهيم/ ١].

فالله ﷻ يريدك أن تكون وليًّا، وتأخذ هذه الصفة وهذا الاسم من ربك على شكل نعمة، فتذكر مولاك الذي تولاك بنعمه، وتبسط هذه النعم على خلقه.

ومن أعظم بسط النعم على الخلق دعوتهم إلى الله، وتعليمهم شرع الله، والإحسان إليهم.

وكن وليًّا رحيمًا بالخلق، أحسن إليهم، وأنفق من وقتك ومالك، وعلمك على من أحوجهم الله إليك، والأجر عائد عليك: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس/ ٢٦].

واعلم أن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، فتصدق على الفقير، وأطعم المسكين، وارحم البائس، واهد الضال، وأرشد الجاهل، واستقم كما أمرت؛ ييسر الله لك جميع أمور دينك ودنياك، فللتيسير ثواب، وللتعسير عقاب: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾[الليل/ ٤-١٠].

فالبداية منك، تقرب إلى الله ﷻ يتقرب منك، من تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

فالولي الحميد يريد أن تظهر ولايتك في الدنيا على غيرك من الناس، فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله، فالخلق كلهم عيال على الله في إيجادهم، وفي حاجاتهم، كلهم يسعون إلى الله، فأقبل يا ولي الله على طاعة مولاك ليتولاك، واحذر معصيته التي تبعدك عن مولاك: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ

مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء/ ١٢٣-١٢٤].

فسبحان الله! من عرف مولاه الحق؛ لم يلتفت لأحد سواه من الخلق، ومن تعلق بغيره؛ شقي به: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [الشورى/ ٩].

ومن أشرك بالله غيره خسر دنياه وآخرته: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ - ٦٦].

فأحسن إلى نفسك بالاستقامة، وأحسن إلى غيرك بالدعوة، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى الخلق: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

**ومن علامات قبولك في أوليائه:** أن يصونك عن الذل لغيره، وأن يكفيك ما أهمك، ويؤمنك ممن سواه؛ حتى لا تخاف غيره، ولا ترجو إلا إياه، ولا تستعين إلا به، ولا تسأل إلا إياه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

**ومن علامات قبولك في أوليائه:** أن يعينك على نفسك، ويحيي قلبك بالإيمان، ويشغل لسانك بذكره، ويستعمل جوارحك في طاعته، ويصرف أوقاتك في التقرب إليه، صلاةً وصيامًا، وحجًّا وعمرةً، وصدقة وإحسانا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

**ومن علامات قبولك في أوليائه**: أن يجعل لك مودة في قلوب عباده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦].

ويخلصك من أسر عدوه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢].

ويخلصك من أسر عدوه؛ حتى تكون عبدًا لله وحده: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

أنا عبد لله داخل الصلاة وخارج الصلاة، في البيت، في المسجد، في السوق، في المكتب، في المدرسة، في أي مكان أنا عبد لله، أمتثل أوامر الله في الأمانات التي أعطاني الله ﷻ، بالبصر والسمع واللسان والجوارح أنا عبد له، ليس فقط بلساني وليس فقط بصلاتي؛ بل بسائر بدني في جميع أوقاتي، أنا عبد لربي ومولاي جل جلاله.

والله سبحانه ولي كل نعمة، وإليه يُرجع الأمر كله، علانيته وسره، فأطعه يا ولي الله ولا تعصه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود/ ١٢٣].

وعليك يا ولي الله بدوام الذكر لمولاك الكريم؛ يذكرك في نفسه وعند ملائكته في الملأ الأعلى، واحذر الغفلة؛ لأنها تورث كل قسوة، ثم تموت القلوب بعد حياتها، وتنقطع الصلة بين العبد وربه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف/ ٢٠٥-٢٠٦].

وأهل ولاية الله هم من اطمأنت قلوبهم بتوحيده، وصلحت أعمالهم بطاعته، وازدانت أوقاتهم بعبادته، وامتلأت قلوبهم بخشيته، والانكسار بين يديه، والافتقار له.

فتقرب إلى مولاك بما يحب؛ تكن وليه، وممن يحب: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ

يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٦-١٩٧].

فربك الولي الحميد جل جلاله يتودد إليك بنعمه؛ لتحمده وتطيعه، ولا تقف بباب أحد غيره، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فله الحمد كثيرًا، فهو الغني الحميد الذي خلقنا ورزقنا، وهدانا وكسانا، وأطعمنا وسقانا: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح/ ١-٦].

يا ولي الله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى/ ٦-١١].

حدث بنعمته التي هي الدين، حدث بهذه النعمة العظيمة، حدث نفسك ليأتي في قلبك الخشوع والخضوع لله، حدث الناس عن ربك، وعلم الناس لا إله إلا الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وتقرب إلى ربك بكل ما يحبه الله ويرضاه من الفرائض والنوافل، والواجبات والسنن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ إن الله تعالى قال: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**» أخرجه البخاري(١).

تتقرب إلى الله بالفرائض، ثم بالنوافل: «**وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ؛ حتى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ**».

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

فلا يسمع إلا ما يحبه الله ويرضاه، والله ﷻ يسمع ذكره ودعاءه و سؤاله، فيستجيب له،«**وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ**»فيمشي على هدى مستقيم، لا يمشي مشية الأعمى، بل يمشي مشية المبصر الذي يرى ربه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويمشي على الصراط المستقيم مقتديًا بنبيه ﷺ،«**وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا**».

فيجدها منفقة في سبيل الله، مجاهدة في سبيل الله، تقاتل في سبيل الله، ويرى هذه اليد ترحم الفقراء والمساكين، وتنفق الأموال، وتتقلب في أنواع الإحسان.

«**وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**».

فيمشي بها إلى المساجد، والحج والعمرة وإلى الدعوة إلى الله،وإلى تفقد المسلمين، وقضاء حاجاتهم وإعانتهم.

«**وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**» .

كم من النعم يعطيها الله وليه المؤمن! الله ﷻ ولي المؤمنين ولاية خاصة، ولاية العناية، ولاية النصرة، ولاية التوفيق، ولاية المحبة:«**وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**».

الحمد لله رب العالمين على نعم ربنا ومولانا الولي الحميد.

وأعظم نعمة تستحق أعظم حمد هي نعمة الإسلام الذي هداك الله إليه:﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ٣﴾[المائدة/ ٣].

﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾[الحجرات/ ١٧].

وليس الشأن أن تدخل في الإسلام، بل الشأن كل الشأن أن يدخل فيك الإسلام، فتأتي فيك الصفات التي في نبيك ﷺ:﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾[التوبة: ١٢٨].

وأنت يا ولي الله عليك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك؛ لأن من أساء إليك يهدي إليك الحسنات، هو يعمل ويهدي إليك حسناته، فتحسن إليه، وهذا من تمام الفقه والعقل، فأنت تصل من قطعك من

أجل الله؛ حتى تصله بالله ﷻ، تتنازل عن حقوقك من أجل أن يعبد الناس ربهم، ويحبوا الله ﷻ، وأنت حوائجك يقضيها الله ﷻ لك، وهذه صفات ولي الله ﷻ، وهذه الصفات الأربع شديدة المرارة، لكنها حلوه العاقبة: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

والحليم سبحانه إن شكرته على نعمه زادك خيرًا وبركة، وعونًا وتوفيقًا: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].

فسبحان الولي الحميد الذي هو أرحم بالعبد من نفسه، سبحان من رغب في شكره، ليعطي عبده زيادة، لا لأنه سبحانه محتاج إلى الشكر، وإنما لمحبته لعباده، وحبه لإسعادهم.

ومن حمد الله ﷻ واستغفره غفر له ذنوبه كلها: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**» متفق عليه(١).

والحمد لله كلمة عظيمة، إذا استحضر الإنسان نعم مولاه في خلق هذا الملك العظيم، وخلق ما فيه من الأرزاق والمرزوقين، والنعم والمنعم عليهم، الحمد لله كلمة عظيمة، هي توحيد وهي شكر، وهي تمجيد لله، وهي أعظم العبادات، فدين الإسلام: نصفه شكر، ونصفه صبر.

فالحمد لله تملأ الميزان الذي لو وضعت فيه السموات والأرض لوسعهن، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض، ما بين السماء والأرض مسافة خمسمائة سنة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٩٧).

فسبحان الخلاق العظيم الذي خلق ما هو في منتهى العظمة والكبر، كالعرش والكرسي والسموات والأرض، والجبال والبحار، وخلق الذرة الصغيرة، وخلق الحشرة الصغيرة كالبعوضة، والبعوضة لها مائة عين، ولها ست سكاكين في خرطومها، ولها ثمانية وأربعون سنًّا، ولها ثلاثة قلوب، وتشم الرائحة من مسافة ستين ميلًا، وتعرف الدم الذي يصلح لها أو لا يصلح: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

وكذلك النحلة،فالنحل مخلوقات عظيمة، تؤدي أعمالًا عظيمة وتقوم بأعمال كبيرة، وتسبح بحمد ربها، ما كان منها نافعًا للإنسان؛ نحمد الله ﷻ على رؤيته والانتفاع به.

وما كان منها ضارًّا؛ فتذكر العبد أن هذه الحيوانات كالذباب والبعوضة تمشي على الهوى لا على الهدى.

أما النحل فالله أمرنا بالاقتداء بجهدها، لأن جهدنا نحن على الناس؛ فالنحل يأكل من كل الثمرات ويخرج منهاالعسل،ونحن نأخذ الوحي، ونجمل به الناس.

والله مجّد جهد النحلة، لم يمجد النحلة وهي من خلقه جل وعلا، وكل خلق الله ﷻ جميل وحسن، فسبحان مولانا الخلاق العليم، الولي الحميد!

ومن لم يشكر الحميد جل جلاله على نعمه، واستعملها في معصية الله؛ عاقبه الله ﷻ، لأنهذه النعم من الولي الحميد أعطاها الله ﷻ لنا؛ حتى نشكره ونعبده، ونوحده، ونتوجه إليه، ونقضي أوقاتنا في طاعته، ومن فرط في هذه النعم، ولم يشكر الحميد على نعمه، واستعملها في معصية الله، فقد استحق عقوبة الله: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

- **ومن كفر بنعمة الله، واستعملها في معصية الله، عاقبه الله بأحد أربعة أمور:**

**الأول**: إما أن يسلبها عنه بالكلية.

**الثاني**: أو يسلب حلاوتها بمرض أو خسارة أو غيرهما.

**الثالث**: أو يقلب حلاوتها مرارة بمصيبة تنسيه حلاوتها.

**الرابع**: أو يحولها إلى نقمة يشقى بها، بأولاد يشقى بهم، وأموال يشقى بها: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ

﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[التوبة/ ٥٥].

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون/ ٥٥-٥٦].

فمن أعرض عن الله؛ أعرض الله عنه، وفتح عليه الدنيا؛ حتى يلقى الله ساخطًا عليه:﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم/ ٥٩].

فما هي عقوبتهم:﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾[الأنعام: ٤٤ – ٤٥].

أحد الأخوة زاره بعض الدعاة إلى الله، وكان في مزرعته، وكان قد ركب على حراث يحرث الأرض، فزاره لأجل الله ﷻ، ولأجل النصح ، والتواصي بالحق، فقال: أنا لا أستطيع أن أذهب للدعوة إلى الله، أنا لا أستطيع أحك رأسي بيدي من كثرة الأشغال.

فسبحان الله! بعد أسبوع كان هذا الإنسان الذي زاره يتجول في المستشفى وإذا الحراثة قد قطعت يده، فلا يستطيع أن يحك بها رأسه؛ فقال له: الآن لا تستطيع أن تحك رأسك بيدك.

فالنعم هذه نستعملها في طاعة الله، وإلا عادت علينا شقاءً ونكدًا من أولاد وأموال: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾[البقرة/ ٢١١].

والنعم تقر بالحمد والشكر، فالشكر قيد النعم، وتزول بضد ذلك، والشيطان يغوي الناس ويضلهم وينسيهم شكر ربهم، وذلك بتبديل نعم الله، والشيطان يري الإنسان أن ما ليس بيده خير مما في يده، فيطمع فيما عند الناس، فيحسدهم، وقد يقاتلهم، وقد يسرقهم.

فالشيطان يري الإنسان أن ما ليس في يده خير مما في يده، ولا يرضيه بقسمة الله من مال

أو ولد أو زوجة؛ فيجعلك لا تشكر النعمة، وتعترض على ربك في القسمة: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف/ ١٦-١٧].

فكن يا ولي الله حامدًا لمن يستحق الحمد، فقد كان ﷺ أعرف الخلق بالولي الحميد، يقوم الليل؛ حتى تتفطر قدماه؛ شكرًا لربه على نعمه الظاهرة والباطنة، فقالت له عائشة: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**» أخرجه البخاري(١).

وقد مدح الله ﷻ رسله وأنبياءه بكثرة حمدهم لربهم، وشكرهم مولاهم على ما أنعم به عليهم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل/ ١٢٠-١٢١].

فالذي عنده فكر الأمة؛ الله يجعل الأمة كلها في صحيفته، الذي عنده فكر أن يتولى الأمة بالدعوة والتعليم والإحسان؛ الله يجعله أمة، ويعطيه أجر الأمة كاملة.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» متفق عليه(٢).

إن الله ينظر إلى القلوب؛ إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا لأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

- **وحمد الله على ثلاث درجات:**

**الأولى:** حمد الله باطنًا، فكل خلايا العبد تقول: الحمد لله رب العالمين، كل ذرة في جسم المسلم تحمد المولى الحميد الذي أنعم بكل نعمة، هذا حمد باطن، فالإنسان تراه ساكتًا، وهو حامد شاكر مستغفر، فلنكن كذلك، فالصمت هنا فكر وذكر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

**الثانية:** حمد الله ظاهرًا وباطنًا، بقلبك ولسانك وجوارحك: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٧).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) واللفظ له، ومسلم برقم (١٩٠٧).

فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ [الضحى/ ١١].

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

**الثالثة:** حمد الله، وهذا أعلاها وأحبها إلى الله، وهي أن تشكر الله وتحمده على نعمه بتسخير هذه النعم في إصلاح الأرض، واستعمالها في مرضاته، فكل ما أعطاك وأولاك من نعمة، من مال، أو ولد، أو صحة، أو جاه، أو قوة؛ فاستعملها في مرضاته، وإصلاح أحوال عباده، فتدعو كافرهم إلى الإسلام، وتعلم جاهلهم، وتحسن إلى فقيرهم، وتساعد عاجزهم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

فكل ما أعطاك الله من نعمة، من مال، أو ولد، أو صحة، أو جاه، أو قوة؛ فاستعملها في مرضاة ربك الولي الحميد، وإصلاح أحوال عباده: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ/ ١٣].

وذلك يكون بصرف جميع النعم الظاهرة والباطنة في مرضاة مولاك.

اللهم ارزقنا من نعمك ما يعيننا على عبادتك وطاعتك، وأن نكون عبادًا لك في كل حال، وألهمنا حمدك وشكرك في كل حال.

الله أكبر! ما أكثر من أصبح متقلبًا في النعم، غافلًا عن الشكر: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

الله ﷻ أعطاك هذه النعم لتستعملها في عبادته، وتستعملها في التعبد بين يديه، وتستعملها في الإحسان إلى خلقه بين يدي خلقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

- **وحمد العباد لربهم نوعان:**

**الأول:** حمد الشكر.

**الثاني:** حمد الثناء.

وأكثر الخلق لا يعرفون إلا حمد الشكر على النعم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

أكثر الخلق لا يعرفون إلا حمد الشكر على النعم المادية الظاهرة، أما حمد الثناء فأكثر الخلق غافل عنه، وهو حمد الله على عظمته وجماله وجلاله، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

فالحمد لله رب العالمين على نعمه المادية والروحية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤].

وحمد الله ﷻ على النعم العامة الواسعة أعظم من حمده على النعم الخاصة بالعبد، الحمد لله فاطر السموات والأرض، الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، الحمد لله رب العالمين.

وحمد الثناء هو تمجيد الله وذكره بأسمائه وصفاته، والثناء عليه بكل المحامد والمدائح: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فنحمده على ربوبيته وإحسانه إلى خلقه، ونحمده على جلاله وكبريائه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١].

ونحمده على ألوهيته وعبادته وحده لا شريك له: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١﴾ [الكهف: ١].

هذه أنواع المحامد، نحمد ربنا على النعم المادية، والنعم القلبية التي هي معرفة الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء/ ١١١].

واعلم يا عبد الولي أنك إذا أخطأت في حق الناس حاسبوك وعاقبوك، ولم يكرموك.

أما ربك الكريم سبحانه فهو الولي الحميد الكريم، الغني عن كل ما سواه، يسوق إليك النعم كأنك لم تعصِه، بل يزيدها لك لعلك تستحي منه، وتطيعه، ويمهلك لعلك تتوب إليه؛ وذلك لسعة حلمه ورحمته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

فسبحانه ما أعظم حلمه! وما أوسع رحمته! وله الحمد في الدنيا والآخرة على حسن ولايته ونصره، وتوفيقه، وإحسانه إلى عبيده: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر/ ٣].

فكن يا ولي الله حامدًا لربك، حامدًا للناس؛ يحمدك ربك، ويحمدك الناس: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

الحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، حمداً كثيراً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥].

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف/ ١٠١].

اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، أنت مولانا، فنعم المولى ونعم النصير.

اللهم إنا نسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول أبدًا، يا ولي المؤمنين، يا مالك يوم الدين، يا رب العالمين، يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

## إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# اســــم الله

# النصير.. الناصر

## اسم الله النصير.. الناصر

الله سبحانه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾[طه: ٨].

معرفة أسماء الله الحسنى في باب التوحيد بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة القلب من البدن، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هي أساس التوحيد؛ لنعرف الرب الذي أمر، ثم نمتثل أمره، وتتحقق فينا العبودية مع العبادة.

فالعبادة هي مستوى إسلامك، والعبودية هي مستوى إيمانك، فإذا آمنت بالله العظيم، بالله الكبير، بالله القوي، بالله الكريم، بالله النصير؛ امتثلت أمره، وصدقت كتابه، ونلت ثوابه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩].

فمعرفة الله ﷻ أصل عظيم تبنى عليه أعمال الدين، وأركان الدين.

وكل أَمْر أَمَرَ الله به أساسه معرفة الله ﷻ، فحتى أؤدي هذه الأعمال بالحب لله، والتعظيم لله، والذل والتواضع لله ﷻ؛ لابد أن أعرف من أمرني بصفات الجلال، وصفات الجمال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾[الحشر: ٢٢ - ٢٤].

صفات الجلال تملأ القلب تعظيمًا لله، وتقديرًا له، وحبًّا له، وتوكلاً عليه، واستعانة به، والبكاء من خشيته وعظمته: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾[الطلاق: ١٢].

وصفات الجمال تملأ القلب حبًّا له، وحمداً له، وشكراً له، فأنا أرى نعم الله ﷻ التي لا تعد ولا تحصى، وأرى مظاهر أسماء الجمال، الرحمن، الرحيم، الكريم، اللطيف، فيزيد الإيمان والحب للكريم سبحانه.

فأسماء الله الحسنى من حيث معانيها ستة أقسام، وهذه الأقسام الستة تحرك في القلب الطاقة الإيمانية؛ ليأتي الإيمان الكامل الذي يحبه الله، والإيمان الذي تكون به النصرة، وتكون به العزة، وتكون به القوة.

هذه الأسماء بأنواعها وأقسامها تملأ القلب توحيدًا وإيمانًا، وتعظيمًا وتكبيرًا وحبًّا لله ﷻ، وخوفًا منه، وتوكلًا عليه، وافتقارًا إليه.

- **فأسماء الله ﷻ من حيث معانيها ستة أقسام:**

**الأول**: الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته: حتى أعرف لمن أوجه العبادة؟ أتكلم مع من؟ أسأل من؟ أحب من؟ أرجو من؟ أخاف ممن؟.

هذه الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته لابد للقلب أن يعرفها حتى يوجه العبادة إلى واحد، والخوف إلى واحد، والحب إلى واحد. ومن هذه الأسماء: الله، الإله، الواحد، الأحد، الحق، الحي، القيوم، الأول، الأخر، الظاهر، الباطن، وأمثالها من الأسماء الحسنى الدالة على ذات الله ووحدانيته: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

**الثاني**: الأسماء الدالة على الملك والقدرة: مثل: الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، الناصر، النصير، القادر، القوي، المقدم، المؤخر، وأمثالها، فهذه الأسماءالدالة على الملك والقدرة؛ إذا عرفها العبد استعان بربه، وعرف أنه عبد لملك، والملك له خزائن السموات والأرض، وبيده كل شيء: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

إذا عرفها العبد امتلأ قلبه توحيدًا وإيمانًا، وافتقارًا إلى الملك الذي عنده خزائن الملك، وخزائن كل شيء بيده، خزائن العزة والذلة بيده، خزائن الذهب والفضة بيده، خزائن المياه والنبات بيده، خزائن العلم بيده، خزائن القوة بيده، خزائن الأمن والخوف بيده: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

**الثالث**: الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد؛ فترى ملك الملوك يخلق ويرزق، ويعطي ويمنع، ويبسط ويقبض، ومن هذه الأسماء الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم وأمثالها.

فهذه الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد تصل المخلوق بخالقه؛ فيرى ربه هو الخالق؛ فيتوجه إليه، البارئ المصور؛ كل صورة في الكون هو الذي خلقها وصورها، الرزاق الذي جميع الأرزاق الموجودة في العالم هو الذي خلقها، وهو الذي ساقها إلى خلقه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٨].

له قوة في خلق الأرزاق، وقوة في إيصالها للمرزوقين، من كانوا، وحيث كانوا، في قعر البحار، وفي سفوح الجبال، وعلى ظهر الأرض، وفي السماء، وفوق السماء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٨].

وهو الوهاب الذي وهب كل كرم، كل نعمة، كل عافية: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

وهو الكريم، والبر، والمقيت، وأمثالها، كل هذه أسماء تعرف القلب بالله وأسمائه وصفاته، وهذه الصفات التي تدل على الخلق والإيجاد يفعلها الله ﷻ إذا شاء، حسب مشيئته، يصور متى شاء، ويخلق متى شاء، ويرزق متى شاء، ويهب من يشاء، في أي وقت شاء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

**الرابع**: الأسماء الدالة على العلم والإحاطة.

ومن هذه الأسماء: السميع الذي أحاط سمعه بالمسموعات، البصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات، العليم، الخبير، الرقيب، الشهيد، الحفيظ، المحيط، وغيرها من الأسماء.

**الخامس**: الأسماء الدالة على الرفق، والرحمة، والمغفرة، لابد للقلب أن يعرف أنه يعبد ربًّا رحيمًا، غفورًا، عفوًّا، لطيفًا، كريمًا.

فالأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة تملأ القلب حبًّا لله، وتعظيما له، مثل: الرب الذي يربي عباده بنعمه، الرحمن، الرحيم، الرءوف، الحليم، الحميد، الشكور، الودود، الولي، اللطيف، القريب، المجيب وغيرها.

وأسماء الله ﷻ تدل على صفات الجلال، وتدل كذلك على صفات الجمال، فأسماء الجلال متضمنة لصفات الجمال، وصفات الجمال متضمنة لصفات الجلال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾[طه: ٨].
فالله كريم يُكرِم، وإيصال كرمه إلى خلقه يحتاج إلى قوة، وإلى سمع، وإلى بصر، من صفات الجلال وهو جل جلاله سميع، وبصير، وقوي، وقادر، وقدرته مقرونة بالرحمة، وقهره مقرون بالرحمة وبالحكمة المطلقة، وكل أفعاله في كونه من محبوب أو مكروه كله على وفق الرحمة، والحكمة، والعدل، والإحسان.

**السادس:** الأسماء الدالة على الهداية والبيان، مثل: الهادي، المبين، الوكيل، الكفيل وأمثالها من الأسماء الحسنى.

**الهادي:** حتى يسأل العبد ربه الهادي الهداية.

**المبين:** حتى يسأل المبين أن يبين له ما أشكل عليه.

**الوكيل:** حتى يتوكل عليه وحده في جميع أموره: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٣﴾[التغابن/ ١٣].

**الكفيل:** لأرزاقنا وأقواتنا وهدايتنا والعناية بنا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، فلابد للقلب أن يعرف هذه الأسماء الحسنى؛ حتى يمتلئ القلب بالإيمان، ويتحقق التوحيد الذي يحبه الله، والتوحيد الذي يحبه الله ﷻ هو التوحيد الكامل.

فالله ﷻ هو الواحد الأحد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[طه/ ٨].

- **وتوحيد الله الذي أمر به يقوم على سبعة أركان:**

**الأول:** أن نوحد الله في ذاته وأسمائه وصفاته،، فهو سبحانه واحد لا شريك له، أسماؤه حسنى، وصفاته عليا، وأفعاله جميلة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى/ ١١].

**الثاني:** هو سبحانه واحد لا شريك له في أفعاله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾[الأعراف: ٥٤].
فالله بيده الملك، بيده الخلق، بيده كل شيء، له الخلق كله، وله الأمر كله.

**الثالث:** هو سبحانه واحد لا شريك له في الملك، الملك كله ملكه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

هو الملك الذي ملَّك الملوك المُلك، وهو الذي خلق الممالك، والملوك، والمماليك: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

**الرابع**: هو سبحانه واحد لا شريك له في الحكم، فالحكم الذي يجري على الخلق هو الذي حكم به، فلا يقع في ملكه إلا ما يريد.

له الأحكام القدرية؛ من خلق وإيجاد، وتدبير وتصريف: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

وله الأحكام الشرعية: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠].

وله الأحكام الجزائية، هو الذي يجزي العباد بما عملوا، بوعده ووعيده، بوعده بالجنة لمن آمن به وأطاعه، ووعيده بالنار لمن كفر به وعصاه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف/ ٤٠].

**الخامس**: هو واحد لا شريك له في العبادة، فالعبادة صادرة مني، أوجهها إلى الله وحده، وأوحده بالعبادة: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

**السادس**: توحيد كتابه بالإتباع: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

**السابع**: توحيد رسوله ﷺ بالإتباع: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

هذا التوحيد الذي يريده الله عَزَّوَجَلَّ، أن نوحد الله بذاته وأسمائه وصفاته، ونوحده بأفعاله، ونوحده في الملك، ونوحده في الحكم، ونوحده في العبادة، ونوحد كتابه ورسوله بالإتباع.

فهذه أركان التوحيد الذي يريده الله من عباده.

فمعرفة أسماء الله الحسنى تملأ القلب توحيدًا وإيمانًا، وتعظيمًا وتكبيرًا وحبًّا للرب عَزَّوَجَلَّ،

وتوكلًا عليه، وافتقارًا إليه، وحمداً وشكراً له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

والله أظهر لنا هذه الأسماء لنتعبد بها، فنحن الفقراء نسأل الغني، ونحن الضعفاء نسأل القوي، ونحن الخائفون نسأل المؤمن، ونحن المبتلَون بالأمراض نسأل الشافي، والحمد لله رب العالمين أن عرفنا بأسمائه وصفاته بآياته الكونية، وآياته الشرعية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

ومن أسماء الله الحسنى اسم الله النصير والناصر، فاسم الله النصير ورد في القرآن أربع مرات، منها قوله سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٨].

واسم الله الناصر ورد في قوله سبحانه: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران: ١٥٠].

هو سبحانه الناصر النصير للمؤمنين على أعدائهم، المبيِّن لهم ما يحذرون منهم، الذي يكشف خطط الكفار للمؤمنين.

هو النصير المبين الذي يبين لأوليائه ما يحذرون من أعدائهم، الذي لا يسلِّم أولياءه ولا يخذلهم: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء/ ٤٥].

والنصر على النفس، والنصر على الشيطان، والنصر على الأعداء أحد أوجه نصر الله ﷻ لأوليائه، فالله شكور، يشكر من أطاعه، ونصر دينه، وجاهد في سبيله، بأن ينصرهم، ويؤيدهم، ويدافع عنهم، ويحفظهم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

ونصر الله لعبده هو معونته إياه، وحفظه مما يضره، ونصرة العبد ربه هي جهاده في سبيله؛ ونصرة دينه، لتكون كلمة الله هي العليا: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد/ ٧].

واسم الله النصير صيغة مبالغة على وزن فعيل، مشتقة من اسم الفاعل الناصر.

فهي تدل على كمال النصر والتأييد والعون من الله ﷻ،فالله إذا نصر نصر، وإذا خذل خذل، وإذا أيد أيد، وإذا أعان لم يحتَج إلى عون أحد ممن سأله من عباده.

- **واسم الله النصير والناصر له معنيان:**

**الأول**: يدل على كمال النصر، فالعبد المخلوق قد يَنصُر، انصر أخاك ظالـمًا أو مظلومًا، لكن النصر الكامل، والنصر الكبير، بيد الله وحده، فكمال النصر والتأييد والعون بيد الله وحده لا شريك له:﴿ **إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠** ﴾[آل عمران: ١٦٠].

**الثاني**:يدل كذلك على كثرة النصر والتأييد والعون، الله ﷻ ينصر أولياءه في مشارق الأرض ومغاربها، في كل زمان ومكان:﴿ **نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠** ﴾[الأنفال: ٤٠].

ويدل كذلك على أنواع النصر، ينصرك على النفس وشهواتها؛ حتى تحملها على طاعة الله، وينصرك على الشيطان الذي يزين القبائح والرذائل، ويبعدك عن الفضائل والمحاسن، وينصرك على أعدائك من المنافقين والكفار والمشركين والحساد.

فأنواع النصر بيده، هو النصير الذي إذا نصر فلا غالب له، ولم يُهزَم من كان الله وليه، فهو ينصر جل جلاله النصر الكامل، ويؤيد التأييد الكامل، ومهما كثر الأعداء واجتمعوا، فهو ﷻ النصير الذي ينصر في كل مكان، وفي كل زمان، بأنواع النصر، على أنواع الأعداء، مهما كانوا ومهما كثروا:﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١** ﴾[الفرقان: ٣١].

هو الناصر الذي جنود السموات والأرض، وله ملك السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وعنده خزائن السموات والأرض، وكل ذرة في ملكه من جنوده، والله ﷻ لا يحتاج إلى أحد، ولكن النصير إذا نصر؛ استجابت له جميع المخلوقات، وأطاعت أمره، وأسرعت لتنفيذ أمره، من مياه البحار بالإغراق، ومن النيران بالإحراق، ومن الرياح الشديدة كما حصل لقوم عاد، ومن الخسف والزلزال، فإذا نصر نَصَر نَصْرًا مطلقًا كاملًا ليس بعده خذلان، ومهما كثر الأعداء، فالله ﷻ ينصر أولياءه في كل حين، وفي كل مكان، وفي كل زمان:﴿ **إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠** ﴾[آل عمران: ١٦٠].

والصفة المشتقة من اسم الله النصير والناصر هي النصرة والنصر، وهي من صفات الأفعال، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج/ ٤٠].

وينصر أنبياءه ورسله على أعدائهم بأصغر شيء، وأقل شيء؛ لأن قوة الأعداء أمام قوة الله ليست بشيء، ولهذا يرسل الله على أعدائه إما الطير الأبابيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾ [الفيل/ ١-٥]

وأرسل على النمرود البعوضة حتى أهلكته.

وأغرق فرعون بالماء الذي لا يستغني عنه أحد، وأهلك عادًا بالريح التي لا يستغني عنها أحد، زاد في قوتها فقلبت ديارهم، وصاروا كأعجاز نخل منقعر، فالله ﷻ قوي، ينصر بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

هو سبحانه النصير لأوليائه المستضعفين، هو النصير الذي يرفع الظلم عن المظلومين، ولو كانوا كافرين: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج/ ٣٩].

والله ﷻ يحب العدل، ويأمر به، ولا يرضى بالظلم، ولهذا فالله ﷻ ينتقم من الظالم الصغير بالظالم الكبير، ثم ينتقم من الظالم الكبير كما سلط فرعون على بني إسرائيل لما خالفوا أمر الله، ثم انتقم من فرعون وجنوده: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف: ٥٥].

فسبحان الناصر النصير الذي ينصر المؤمنين، ويؤمن الخائفين، ويجير المستجيرين، فنعم المولى ونعم النصير.

هو سبحانه الولي القريب، الرحيم العليم بأحوال خلقه، ينصر من يستحق النصر، ويخذل من يستحق الخذلان.

وقد اقترن اسم الله الولي بالنصير في القرآن، كما قال سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء/ ٤٥].

والسر في ذلك والله أعلم أن اسم الله الولي يدل على معانٍ عظيمة، واسم الله النصير يدل على معانٍ عظيمة، واقتران الولي بالنصير يدل على معنًى أعظم وأعظم، وهذا الاقتران فيه كمال العناية بالخلق، وكمال الوقاية لهم من الشرور.

وسر ذلك أن ولاية الله لعباده فيها حصول كل خير، فقد خلقهم في أحسن تقويم، وأمدهم بالطعام والشراب، والهواء والماء والنور، فالولاية تقتضي حصول جميع أنواع الخير لمن توليت، ونصر الله ﷻ لأوليائه فيه زوال أنواع الشر عنهم.

فاسم الله الولي يدل على إيصاله لجميع أنواع الخير لأوليائه، واسم الله النصير فيه معنى إزالة كل شر عنهم.

فالولي والنصير من أسماء الله الحسنى، إذا أفرد أحدهما شمل معنى الآخر، وإذا اجتمعا في آية صار الولي معناه الذي يجلب كل ما ينفع، ويوصل كل ما ينفع لخلقه، من قوت القلوب، وقوت الأبدان، والنصير في دفع كل ما يضر من الكفر والشرك، ومن شر الأعداء، وكل ما يضر القلب والبدن.

فإذا جاء في القرآن ولي بدون نصير؛ فالمراد به من يجلب لك الخير بأنواعه؛ قوت الأبدان، وقوت القلوب، ويدفع عنك الشر بأنواعه؛ الشر الذي يتعلق بالقلوب من الشرك والنفاق والرياء، والشر الذي يتعلق بالأبدان، وهو منع الكفار أن يسيئوا إليك، ومنع الأمراض، ومنع ما يضر الإنسان.

وإذا جاء نصير بدون ولي؛ فالمراد به من يدفع عنك الشر، ويجلب لك لخير، إذا أفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه.

وقد اقترن اسم الله النصير بالعزيز مع الرحيم في قوله سبحانه:﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾[الروم/ ٤-٥].

وسر ذلك أن نصر النصير لأوليائه كاملٌ عامٌ شامل، فكل منصور داخلٌ في هذا العموم، ينصر من يشاء ممن يعلم أنه يستحق النصر من أوليائه ومن أعدائه.

وهو جل جلاله النصير الذي ينصر من يشاء، وهو أعلم بمواطن النصر، وقد أخبر سبحانه أن نصره للمؤمنين بقوله:﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الروم/ ٤٧].

وهو العزيز الذي لا يغلبه غالب، وعزته مقرونة برحمته، لا تخلو عزته من رحمة لعباده،

فهو الذي سلط الكافر على المؤمن العاصي لربه رحمةً به؛ ليؤدبه ويرده إليه، فإذا تاب وأناب؛ أدار له النصر على من تسلط عليه: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد/ ٤].

ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ومن استعان بالناصر نصره.

ونصرة الله لعباده المؤمنين أنواع لا تعد ولا تحد ولا ترد، إذا نصر الله؛ لا يستطيع أحد رد نصره، وليس لنصره حد أبدا، إذا نصر نصر على الكافرين والمنافقين، وعلى الأفراد والجماعات، كما نصر نبيهﷺ وصحابته في غزوة الأحزاب الذين جاءوا من كل مكان، فأنزل الله عليهم ريحًا وجنودًا لم يروها؛ لأنه الناصر الذي ينصر بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩)﴾ [الأحزاب: ٩].

فنصرة الله لعباده المؤمنين أنواع كثيرة لا تعد، كم رِزقًا رَزَق الله العباد!، كم رحمة نزلت على العباد! كم نصرًا نزل على العباد، نصر على النفس، ونصر على الشيطان، ونصر على الأعداء.

وأنواع نصره لا تعد ولا تحد ولا ترد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، وأنواع نصره يأتي بها الناصر النصير العليم الحكيم من حيث لا يحتسب العباد، تارة تكون بالإعداد والإمداد، وتارة تكون بما يهيئ لأوليائه من الأسباب، وتارة بدون الأسباب، وتارة بضد الأسباب: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠)﴾ [لقمان: ٢٠].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)﴾ [الفيل: ١ – ٥].

﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

هو الناصر الذي بيده النصر، ومن ذلك: النصر الذي أنزله النصير على أوليائه، فالنصر ينزل على عباده وأوليائه المتقين كما ينزل القطر من السماء، وكما ينزل الرزق من

السماء: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الذاريات/ ٢٢].
فتقدير الأرزاق وتقسيمها في السماء، والتسليم في الأرض.
ومن أنواع نصره التي لا تعد ولا تحد ولا ترد: تأييد الله لأوليائه بملائكته، كما في نصره لنبيه ﷺ وأصحابه في بدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[آل عمران/ ١٢٣].
فالله ﷻ أمد المؤمنين بألف من الملائكة، ثم أمدهم بثلاثة آلاف، ثم أمدهم بخمسة آلاف، ثم طمأنهم أن النصر من عنده فقط بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾[آل عمران/ ١٢٦].
وكان يكفي لهزيمة هؤلاء ملك واحد، لكن الله فرح بخروج المؤمنين لنصرة دين الله، ونصرة رسوله، حيث لا عدد ولا عدة إلا القليل، ومع الأعداء العدد والعدة، فأمدهم بهذا العدد الكبير، وكان يكفي ملك واحد، جبريل له ستمائة جناح، جناح منها لو مده سد الأفق بالكامل، أمره ﷻ أن ينصر لوطًا على قومه؛ فاقتلع الديار من تحت الأرض، ثم رفعها وقلبها عليهم، ولكن الله فرح؛ فأنزل الملائكة تأييدًا لنبيه ﷺ، ولمن قام بالحق ونصر الحق.
فالأنبياء معهم الإيمان والأعمال، وأعداء الأنبياء معهم الأموال والأشياء، ونحن مأمورون بفعل الأسباب، والتوكل على رب الأسباب: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾[التغابن/ ١٣].
فالناصر سبحانه هو الذي نصر المؤمنين في بدر والأحزاب وغيرهما من الغزوات: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾[التوبة: ٢٥-٢٦].
ومن مظاهر نصره جل جلاله: إرسال الريح، كما حصل لعاد والأحزاب: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ

خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾[الحاقة/ ٤-٨].

فالله يرسل أصغر مخلوقاته لخذلان أعدائه؛ لأنه ﷻ هو الناصر النصير جل جلاله الذي ينصر بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾[الفيل: ١-٥].

ومن جلال نصره: إهلاك فرعون وقومه بالغرق: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾[الزخرف/ ٥٥].

وأغرق كذلك قوم نوح: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾[الفرقان/ ٣٧].

ومن جلال نصر النصير: الخسف، كما فعل في قارون وماله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾[القصص/ ٨١].

ومن جلال نصر الناصر النصير: قلب البلاد على الكفار، ورميهم بالحجارة، كما فعل بقوم لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾[هود/ ٨٢].

ومن جلال نصر الناصر أن أهلك ثمود بالصيحة: ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾[الذاريات/ ٤٥].

ومن جلال نصر النصير إلقاء الرعب في قلوب الأعداء: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾[الأنفال: ١٢].

وكما ألقى الرعب في قلوب اليهود: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾[الحشر: ١٤].

ومن جلال نصر الناصر سبحانه أنه ينصر بعض الكافرين على بعض، ينصر أقربهم إلى الحق ويديل الأيام بينهم لحكمة يعلمها، كما نصر الروم على الفرس، لما في ذلك من تهيئة أسباب نصر المؤمنين عليهم جميعًا، كما قال الله ﷻ في سورة الروم: ﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ

مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٖ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم/ ١-٧].

الله ﷻ بيّن لنا في القرآن في سورة الروم أنه سبحانه ينصر بعض الكافرين على بعض، نصر الفرس على الروم مع أن الروم مؤمنون، ينصر أقربهم إلى الحق، كما نصر الروم على الفرس، فنصر الفرس أولًا على الروم، ثم نصر الروم على الفرس في بضع سنين؛ تهيئةً للنصر الذي سيأتي وهو نصر المؤمنين بمحمد ﷺ وبرسالته، نصرهم على الروم والفرس بعد أن أسقط هؤلاء وهؤلاء، وصاروا مهيئين ومخذولين، حتي يأتي النصر الكامل لمن معه الإيمان الكامل من هذه الأمة: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١].

هو الناصر الذي ينصر أولياءه، ويدبر الأمور، وهو العزيز الذي لا يغلب، الرحيم في جميع أقداره، وهذا الذي حصل، فقد غلبت الروم الفرس في بضع سنين، ثم جاء المسلمون وفتحوا بلاد الروم، وبلاد الفرس، وأصبحت كلها إسلامية، ونصر الله أولياءه، وخذل أعداءه، وهو الحكيم في خلقه وفي تدبيره: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

والنصر من صفات الله الفعلية، ومن الصفات الفعلية المتعلقة بخلقه.

فهو سبحانه النصير الذي ينصر من يشاء من عباده، ومتى شاء، وكيف شاء: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٨].

هو سبحانه القوي النصير الذي ينتصر لأوليائه من أعدائه، وإذا أخذ فأخذه أليم شديد، والله ﷻ هو النصير ينصر أولياءه بما يشاء، وإذا نصر نصر، وإذا أخذ أخذ عزيز مقتدر: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبٗا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

فخزائن النصر بيده، وخزائن الأرزاق بيده، وخزائن العلم بيده، وخزائن الهداية بيده، وخزائن الرحمة بيده، وكل شيءٍ بيده، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وأحكامه وأفعاله على وفق الرحمة والحكمة والعدل والإحسان، وأفعاله مقرونة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

كل تدبيراته في ملكه، وكل ما يجري في ملكه، على وفق الحكمةوالرحمة والعدل والإحسان، فالنصر من النصير، والرزق من الرزاق، والعلم من العليم: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وكل الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي فقيرة إلى ربها في خلقها وإمدادها وهدايتها ونصرها، ولا ينصر الله ﷻ من البشر إلا من آمن به، وتيقن على ذاته وأسمائه وصفاته، أما انتصار الأعداء فهو تسليط من الله على من آمن به، وخالف أمره، ليعود إلى ربه، فالله يسلط على عباده من يردهم إليه: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح/ ٢٤].

هو الحكيم الذي يسلط هذا على هذا لحكمة يعلمها: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [النساء/ ٩٠].

هو النصير الذي يضع النصر لمن يستحق النصر، فالنصر من عند الله وحده، والناس إذا توهموا أن النصر بيد فلان أو فلان؛ فقد وقعوا في أعظم وهم، بل في أكبر وهم، النصر بيد الناصر وحده: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

- **والنصر ثلاثة أنواع:**

نصر استحقاقي .. ونصر تفضيلي .. ونصر مبدئي

**الأول**: نصر استحقاقي؛ فمن آمن بالله، واستقام على دينه؛ نصره الله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم/ ٤٧].

آمنوا بالله وأطاعوه، فالله ﷻ قد أوجب على نفسه نصرهم لأنهم أولياؤه، فالنصر

الاستحقاقي يكون إذا دفع المؤمن ثمنه، ودفع الثمن امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، والاستقامة على الدين، فالنصر لأوليائه له ثمن، ثمنه قائم على أمرين:

**الأول**: الإيمان، بالله ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم/ ٤٧].

**الثاني**: الإعداد كما أمر الله ﷻ بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة/ ٢].

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج/ ٧٨].

هذه إعدادات يعدها المسلمون، فنفعل الأسباب بأمر الله، ولا نتوكل إلا على خالق الأسباب وحده، نفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

والله برحمته أمرنا أن نعد العدة المتاحة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال/ ٦٠].

لا العدة المكافئة، فكل إنسان آمن إيمانًا يحمله على طاعة الله ولم يعد العدة؛ لا ينصره الله ﷻ، مؤمن لكن لم يفعل الأسباب؛ الله ﷻ لا ينصره؛ لأن فعل الأسباب من أمر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

فالدنيا دار الإيمان والعمل، والآخرة دار الثواب والعقاب، ومن آمن بالله إيمانًا يحمله على طاعة الله، ولم يعد العدة؛ لا ينصره الله، وإذا أعددنا للعدو العدة الكاملة، ولم نؤمن بالله؛ لا يحصل النصر، فكل شرط من هذين الشرطين؛ الإيمان وإعداد العدة لازم غير كافٍ وحده بل لابد من ربط هذا بهذا، الإيمان مع إعداد العدة، فلابد من اجتماعهما معاً ليحصل النصر: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

الإعدادات:﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ [الحج: ٤١].

فهو سبحانه الولي النصير الذي ينصر عبده المؤمن على المرض الذي تفشى في جسده، ينصرك على المرض إذا أصابك، وعلى العدو إذا أحاط بك؛ لأنه محيط بكل محيط.

ينصر بأسباب الهلاك، كما نصر إبراهيمﷺ حين أُلقِي في النار، فصارت النار جنديًّا من جنوده تحفظه وتحرسه، ويهلك بأسباب النجاة كما أهلك فرعون مع ملكه، وقارون مع ماله.

ويربي أولياءه في قصور أعدائه، كما ربى موسى في قصر فرعون، وجعل الخزينة التي تنفق لقتله تنفق لإرضاعه وحياته.

فهو فعال لما يشاء، ينصر بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب:﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[الطلاق/ ٢-٣].

الله ﷻ يقول لموسى وهارون:﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[طه/ ٤٦].

أسمع ما تقولون وما يُقال لكم، وأرى ما يكيدون به لكم، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم، الداعي إلى الله العابد يتوجه إلى ربه ويعبده، والله معه يحفظه وينصره: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة/ ٤٠].

وإذا كان الله معنا؛ فمعنا كل شيء، وإذا لم يكن معنا فليس معنا شيء، والعدو قد يكون قويًّا؛ لكن الله أقوى منه، الله ﷻ هو القوي الذي لا يقف له أحد؛ من العرش العظيم، والكرسي الكريم، والسموات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، وما عليهن، وما بينهن، فالله ﷻ قوته وكبرياؤه أعظم شيء، وأكبر شيء:﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾[هود: ٦٦].

وجميع مخلوقاته مماليكه، وجميع مماليكه كالذرة أمام عظمته وكبريائه:﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر: ٦٧].

والمؤمنون قد لا تكون معهم الأسباب الكاملة؛ لكن يعدون الأسباب التي يستطيعون،

والله يكمل بقدرته ما لا يستطيعون، كما أكمل المؤمنين من ثلاثمائة وثلاثة عشر في بدر بالملائكة ألفًا، ثم ثلاثة آلاف، ثم خمسة آلاف، ومن فوق ذلك كله الله ﷻ بين لهم أنه هو الناصر وحده، ولكن الله جعل الملائكة بشرى للمؤمنين؛ لتطمئن بها قلوبهم: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وإذا صبرنا، واتقينا الله، وفعلنا الأسباب؛ فقد فعلنا ما نستطيع، والله يحفظنا من كيد أعدائنا: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠].

والله ﷻ قادر على أن يقلب أسلحة الأعداء عليهم، قادر أن يغرقهم بالماء، أو يحرقهم بالنار، أو يدمرهم بالخسف، أو بالزلازل، أو يجعل قنابلهم الذرية غنائم يتغلب بها المؤمنون، فالله بيده كل شيء، يفعل ما يشاء، ولا يعجزه شيء: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠].

ولو اجتمع على المؤمنين مَنْ بأقطارها؛ فربهم الحق الناصر القوي ينصر أولياءه على أعدائه بهذه الأمور الثلاثة، بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة: ١٠٦].

بيده الرياح يدمر بها إذا شاء كما فعل بقوم عاد، وبيده المياه يغرق بها من يشاء كما أغرق قوم نوح، وفرعون وقومه.

والإيمان والطاعة مع الصبر يعقبها النصر فورًا، كما حصل للصحابة في بدر.

والمعصية مع الصبر والإيمان؛ ليس بعدها إلا العقوبة، الصحابة في أُحُد قتل منهم سبعون من أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، وأن المعصية إذا حصلت ترفع نصرة الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٢].

الرماة الذين كانوا على رأس الجبل بقيادة عبد الله بن جبير عصوا أميرهم، ورأوا الغنائم، ورأوا قتل الأعداء، فنزلوا وتركوا أماكنهم وكانت بداية المعركة نصر للمؤمنين، والرسول ﷺ أمرهم ألَّا ينزلوا أبدًا من على الجبل حتى يأذن لهم، فالصحابة الذين على رأس الجبل لم يسمعوا لكلام أميرهم عبد الله بن جبير فنزلوا لجمع الغنائم؛ فكانت النتيجة أن قُتِل من الصحابة سبعون، وجُرِح النبي ﷺ، وكسرت رباعيته، وشُجَّ في جبينه، وأشاع الشيطان بين الصحابة أن النبي ﷺ قد قُتِل.

أحد جبل يحبنا ونحبه، كل ذرة فيه مهيأة لنصرة المؤمنين.

فإذا اختلطت المعصية بالإيمان؛ رفعت النصرة.

فلابد من إيمان كامل وتقوى كاملة لينزل النصر كما حصل في غزوة بدر.

والله سبحانه في أحد رفع النصرة بسبب المعصية، ولم تكن هزيمة للمسلمين لأنها لو كانت هزيمة لأباد الكفار المسلمين، واستباحوا المدينة.

فهذه المواطن؛ مواطن النصر يرى المسلم فيها قدرة الله ﷻ تظهر، وتأييده لأوليائه بنصره وإعزازه، ولكن الله ﷻ لا يحابي أحدا، فمن جاء بالإيمان والأعمال والتقوى؛ نصره الله ﷻ، ومن خلط بالإيمان المعاصي؛ رفع عنه النصرة رحمةً به؛ حتى يعود إلى ربه، ويكون أهلًا للنصر لأن الله لا ينصر إلا أولياءه الذين أطاعوه في كل شيء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾[البقرة/ ٢٠٨].

وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾[الحج: ٤٠ – ٤١].

طاعة كاملة؛ نصر كامل، وطاعة ناقصة نصر ناقص: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾[النساء/ ١٢٣].

فإذا جاء السوء؛ جاءت العقوبة؛ حتى يقلع المسلم عن هذه المعصية، وهذا من رحمة الله، والأمة الإسلامية اليوم في أمس الحاجة إلى نصر الله على أعداء الإسلام والمسلمين.

- **ولكن أنَّى لهم النصر إلا بأمرين؛ هما:**

**الأول**:الاستقامة على الدين وحسن الطاعة.

**الثاني**:إعداد القوة التي أمر الله بها.

لابد من الإيمان، والاستقامة، مع كمال الطاعة، مع إعداد ما نستطيع من قوة.

لابد من إعداد القوة التي أمر الله بها ليست القوة المكافئة؛ لأننا لا نستطيع أن نواجه الكفار بمثل ما عندهم من الطائرات والإعدادات والقنابل وغيرها.

إنما نفعل ما نستطيع، ونقف بأنفسنا لقتال عدونا ونواجههم بالإيمان والتقوى وحسن الطاعة، مع إعداد القوة:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال/ ٦٠].

وبعد ذلك ينصرنا ولينا على أعدائنا:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت/ ٣٠-٣٢].

فهذا النصر الاستحقاقي:﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الروم/ ٤٧].

بماذا؟ بالإيمان، والتقوى، وإعداد القوة اللازمة التي نستطيع.

**الثاني**: النصر التفضلي، والنصر التفضلي أن المنتصر الذي نصره الله ليس كما ينبغي، ولكن حكمة الله اقتضت أن ينتصر، كما قال سبحانه:﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴿٤﴾﴾[الروم/ ١-٤].

الله نصر الروم فيما بعد في بضع سنين، المنتصر هنا ليس كما ينبغي؛ لكن حكمة الله اقتضت أن ينتصر، لأمر لا يريده الله.

الروم مشركون، لكنهم أحسن من الفرس، الفرس يعبدون النار، والروم عندهم شيء من الإيمان، لكن خلطوه بالشرك، ونحن في دعائنا نقول: يا رب، إن لم نكن أهلًا للنصر الاستحقاقي الذي وعدتنا؛ فانصرنا النصر التفضلي؛ لأن فضلك وإحسانك عم الخلق كلهم، أنت الذي أحسنت إلى الخلق بالنعم التي لا تعد ولا تحصى، لذلك أثبت الله ﷻ في هذه الآية للصحابة فرحهم بهذا النصر:﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾[الروم: ٤-٥].

وسيأتي اليوم الذي ينتصر فيه المؤمنون على كفار مكة، وقد حصل، كما فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس، كذلك سيفرحون بنصرهم على كفار مكة في بدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[آل عمران: ١٢٣].

هذا هو النصر التفضلي من الله ﷻ، ينصر من كان أقرب إليه من غيره، كما نصر الروم على الفرس، هذا اسمه النصر التفضلي.

**الثالث:** النصر المبدئي: فأصحاب الأخدود أحرقوا المؤمنين: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾[البروج/ ٤-٨].

فثباتهم على المبدأ هذا هو النصر، انتصروا على أنفسهم، وعلى الشيطان، وعلى عدوهم؛ بأن أثبتوا بأنهم على الحق، ولذلك بذلوا أنفسهم من أجله، والله ﷻ قلب عليهم هذه النار بردًا وسلامًا.

وهذا الغلام ضحى بنفسه، وانتصر الدين، وانتصر هو على الملك الطاغي، وآمن الناس برب الغلام، قالوا: آمنا برب الغلام، هذا النصر المبدئي أن يقاتل الإنسان عدوه، ولا ينقلب على عقبه، يقاتل عن مبدأ قد ملأ قلبه، وعرف به ربه: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾[النساء: ٧٤].

المؤمن يغار على الحق، ويدعو إلى الحق، ويجاهد في سبيل الله من أجل الحق، المؤمنون انتصروا نصرا مبدئيًا؛ لأنهم ثبتوا على الحق، وهم المنتصرون؛ لأنهم صاروا بعد ذلك فورًا أحياء، فالمؤمنون في بدر وفي أحد يقاتلون في سبيل الله نصرة للحق، ونصرة للرسول ﷺ، ونصرة للدين الذي آمنوا به، ولهذا فالله ﷻ جعل هؤلاء الأولياء أحياء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٩].

عند ربهم، هذه العندية عندية قرب؛ لأنهم بذلوا أنفسهم من أجل أن يحيا الدين، ضحوا بحياتهم من أجل أن يحيا الدين.

ومن هؤلاء الذين كان لهم نصر مبدئي ماشطة بنت فرعون وأولادها، حيث قتلها فرعون، هي كانت مؤمنة، وقتل فرعون أولادها الخمسة، وضع برميلًا من الزيت، يضع فيه أولادها من بنين وبنات أمامها لترجع عن دينها، كلما أبت وضع واحدًا حتى أكملهم، فألقى فرعون أولادها في زيت مغلي أمامها، ثم لما لم تستجب أتبعها بهم؛ فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص/ ٤].

فالله ﷻ أخذه أخذ عزيز مقتدر، فأغرقه هو وجنوده في البحر: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف/ ٥٥].

فكل يدافع عن مبدئه، هذا النصر المبدئي، أن يثبت الإنسان على الحق، ويموت على الحق من أجل أن يحيا الدين ولو مات هو، الله يظهر الدين بسبب هذا النصر المبدئي الذي يدافع فيه الإنسان عن المبدأ، وعن المنهج والدين الذي يقاتل من أجله، ليكون سببًا لهداية الناس من بعده.

- **فهذه أنواع النصر الثلاثة:**

**نصر استحقاقي**: لمن جاء بالإيمان، والأعمال الصالحة، مع فعل الأسباب.

**ونصر تفضلي**: الله ﷻ ينصر من يستحق النصر ولو كان أدنى كما نصر الروم على الفرس.

**والنصر المبدئي**: وهو نصر الإنسان على نفسه، ونصر الإنسان على عدوه، بثباته على المبدأ ولو كان ثمن ذلك قتله.

إن معرفة اسم الله الناصر والنصير تملأ القلب ثقة بالله، وتوكلًا عليه، واستعانة به، وافتقارًا إليه، واستنزال النصر منه على النفس، وعلى الشيطان، وعلى جميع أنواع الأعداء: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان/ ٣١].

الله سبحانه هو الناصر القوي الذي لا أحد أقوى منه، الناصر الغني الذي يملك خزائن النصر كلها، الملك الناصر الذي وهب النصر لكل منتصر، الناصر وحده لا شريك له، الناصر الذي بيده النصر كله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ١٢٦]

وهو سبحانه الناصر القوي الذي لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء، ولا يغلبه أحد،

قهر بقوته جميع الأقوياء، وأهلك جميع الطغاة، وأذل بجبروته جميع الجبابرة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود/ ٦٦].

كل المخلوقات جند من جنوده، ينصر بها أولياءه، ويخذل بها أعداءه.

فهو سبحانه الناصر الذي ينصر من يشاء، في أي وقت شاء، النصير الذي ينصر رسله وأنبياءه والمؤمنين على أعدائهم، ويثبت أقدامهم عند لقاء أعدائهم، ويلقي الرعب في قلوب أعدائهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم/ ٤٧].

وهو سبحانه الناصر الحق الذي بيده النصر وحده لا شريك له، ينصر كل من آمن به، وتوكل عليه، ولاذ به، ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم/ ٤-٥].

وهو سبحانه الناصر لأهل الإيمان على مر الدهور، فلو اجتمع عليهم أهل الأرض جميعًا بما عندهم من العَدد والعدة؛ نصر الله المؤمنين عليهم؛ لأن الله لا غالب له.

فهو الملك العزيز الجبار الذي خلق الخلائق كلها، وقهر الخلائق كلها، وبيده مقاليد كل شيء: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة/ ٢١]

فسبحان الملك الحق الذي بيده مفاتيح النصر، وبيده مفاتيح الرزق، وبيده مفاتيح الخير، وبيده مفاتيح العلم، وبيده مفاتيح الأمن: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

وهو سبحانه الناصر الغالب، البالغ مراده من خلقه، القوي الذي لا يغلب ولا يقهر؛ لكمال قدرته، وعظمة ملكه وسلطانه.

سبحانه هو الله الواحد القهار، الواحد لابد أن يكون قهارًا، والقهار لابد أن يكون واحدًا، هو سبحانه الواحد صفة كمال، القهار صفة كمال أخرى، الواحد القهار صفة كمال تجمع الكمالين: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

هو الواحد الذي خلق كل واحد، المحيط بكل واحد، الغني عن كل واحد، القاهر لكل واحد: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨].

وهو سبحانه النصير، الغالب على أمره، الذي لا يغلبه شيء، ولا يرد حكمه راد، الذي يفعل ما يشاء، وأمره نافذ كيف يشاء: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف/ ٢١].

فهو سبحانه الغالب وحده لا شريك له، فمن آمن به وتوكل عليه فهو الغالب، ولو أن جميع من في الأرض له طالب، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة/ ٢١].

هو سبحانه الملك القادر، النصير الناصر، الغالب القاهر، الذي أمره نافذ في جميع ملكه، الذي لا يملك أحد أن يرد ما قضى، إذا أراد ليلًا كان ليلًا، وإذا أراد نهارًا كان نهارًا، وإذا أراد أنثى كانت أنثى، وإذا أراد ذكرًا كان ذكرًا، وإذا أراد أمنًا كان أمنًا، وإذا أراد خوفًا كان خوفًا، وإذا أراد عزة كانت العزة، وإذا أراد ذلة كانت الذلة: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

هو القوي وحده، فلا يستطيع أحد مهما أوتي من قوة أن يرد ما قضى، أو يمنع ما أمضى، الرب الذي تفرد بالخلق والأمر، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وفعل الأسباب من أسباب النصر المطلوبة، ولكن النصر بيد الناصر وحده لا شريك له، فنفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ١٢٥-١٢٦].

وأحيانًا ينصر الناصر عباده المؤمنين بدون الأسباب أو مع قلتها؛ لبيان كمال قدرته: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

وأحيانا يخذل بأسباب النصر إذا تعلق المسلمون بها واعتمدوا عليها؛ ليردهم إلى التوكل

على من بيده النصر سبحانه، كما قال ﷻ: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥﴾ [التوبة/ ٢٥].

حينما قال بعض الصحابة: لن نغلب اليوم من قلة، فالله ﷻ رفع عنهم النصرة، ثم نصرهم لما عادوا إليه: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦﴾ [التوبة/ ٢٦].

فالنصر بيد الناصر وحده، فلنتوكل على الناصر، ونفعل الأسباب التي أمر بها الناصر، لا إعداد مكافأة؛ بل إعداد استطاعة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فسبحان الملك النصير الناصر الذي تفرد بالملك، والخلق، والرزق، والنصر، والتأييد، الذي ينزل النصر على أوليائه كما ينزل الغيث من السماء على أرضه.

هو الناصر الذي يأتي بالنصر مع الصبر، وبالفرج مع الكرب، وبالعافية مع السقم، وباليسر مع العسر، وبالأمن بعد الخوف، وبالنجاة بعد رؤية الهلاك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف/ ١١٠].

فلا إله إلا الله! كم تمتلئ القلوب بالإيمان إذا عرفت ربها بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرفت عظمة ملكه وسلطانه، وعرفت جميل نعمه وإحسانه، وعظمة دينه وشرعه!.

فسبحان من بيده الملك والملكوت، النصير الذي إذا أراد أن ينصر أحدًا نصره، ولو وقف له جميع الخلق، وإذا أراد أن يخذل أحدًا خذله ولو أعانه جميع الخلق: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾ [الزمر: ٤].

والله سبحانه هو النصير الذي تكفل بنصر أوليائه على أعدائه في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾ [غافر: ٥١ - ٥٢].

فسبحان الناصر لمن شاء، الغالب البالغ مراده من خلقه، الذي لا يُغلب ولا يُقهر؛ لكمال قوته وعظمته وعزته، وكمال قدرته وجبروته وكبريائه: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾ [الفتح/ ٧].

هو جل جلاله الناصر الغالب على أمره، الذي يفعل ما يشاء، ولا يغلبه أحد، ولا يرد حكمه راد، وأمره نافذ في ملكه أبدًا، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

هو الناصر القوي القادر الذي لا يملك أحد أن يرد ما قضى، أو يمنع ما أعطى، أو يعطي ما منع، أو ينصر من خذل، أو يخذل من نصر: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو سبحانه الملك الحق الخالق، القاهر لكل غالب، الذي لا يستطيع أحد رد ما قضاه، أو إبعاد ما قربه، أو تقريب ما أبعده، أو إحياء ما أماته، أو إماتة ما أحياه، أو قبض ما بسطه، أو بسط ما قبضه، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فسبحان الناصر النصير، الغني عن كل أحد، الذي لا يحتاج إلى أحد ينصره أو يعينه: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج/ ٧٤].

أما نصره المؤمنين من أوليائه فقد كتبه على نفسه جل جلاله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم/ ٤٧].

ونصرة الله عَجَلَّ لأوليائه المؤمنين تكون بحسب إيمانهم وطاعتهم.

أما نصرة المؤمنين لربهم فتكون بعبادته، والقيام بحقوقه، وحقوق عباده، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والعمل بشرعه والدعوة إليه، والجهاد في سبيله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

فأولياء الله يربحون السعادة في الدنيا والآخرة، والنصر في الدنيا والآخرة، والله غني عنهم، لكن أمرهم بذلك ليسعدهم، ويثيبهم، ويرضيهم، ويزكيهم ويرفع درجاتهم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[الحج/ ٤٠-٤١].

وهذه علامات من يستحق النصر، والتمكين، والاستخلاف: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[النور/ ٥٥].

وحقيقة النصر هي المعونة بطريق التولي والمحبة، خص الله بها خيار خلقه، وهم الملائكة والرسل والمؤمنون: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[الصافات/ ١٧٣].

والمعونة على الشر لا تسمى نصرًا، ولهذا لا يقال للكافر إذا ظفر بمؤمن أنه منصور عليه، بل هو مسلط عليه عقوبةً له على ذنب، أو تربية له، كما رفع الله النصر عن المؤمنين في أحد، وسلط عليهم الكفار حينما عصى بعض الرماة أمر رسول ﷺ.

والله يسلط بعض الكفار على المؤمنين تربية لعباده الذين بدلوا الطاعات بالمعاصي؛ ليعودوا إليه بكمال الطاعة، فيفعلوا الأوامر، ويجتنبوا النواهي، ويوحدوه بذاته وأسمائه وصفاته، ويوحدوه بعبادته وحده لا شريك له، فإذا عادوا إليه نصرهم على أعدائهم: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾[النساء: ١٤١].

والكفار والظلمة والطغاة عصي بيد الله ينتقم بها، ويربي بها، ثم ينتقم منها، كما هو حاصل الآن في العالم، الكفار والظلمة والطغاة والمتجبرون عصي بيد الله، ينتقم بها، أولا ينتقم من الظالم الصغير الذي ترك الصلاة والزكاة والصيام، وآمن بالله، وخالف أمر الله، وعصى الله، ثم ارتد عن دين الله، فالله من رحمته أن يسلط عليه ظالـمًا أكبر منه يريه ثمن هذه المخالفة، ثم ينتقم من الظالم الكبير بعد ذلك كما سلط فرعون على بني إسرائيل، ثم انتقم منه فأغرقه وجنوده.

والله قادر على نصر دينه وإهلاك أعدائه، وحده لا شريك له: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣].

الله ﷻ قادر أن يهلك الأعداء، ولكن له حكمة عظيمة في نصر أوليائه على أعدائه، وفي تسلط أعدائه على أوليائه؛ ليرجعوا إليه سبحانه بالتوبة والإنابة، فالله ﷻ يبتلي عباده بذلك التسليط، ليربي أولياءه، ويظهر من ينصر دينه ممن يتولى عن نصرته: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد/ ٤-٦].

فالحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، والحمد لله أن عرفنا باسمه النصير حتى نسأله أن ينصرنا على أنفسنا أولًا بالاستقامة، وعلى عدونا الباطن وهو إبليس، وعلى عدونا الخارجي وهو شياطين الإنس، وأنواع الكفرة الذين تحزبوا على حرب أولياء الله والمؤمنين: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٠].

اللهم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

اللهم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

الله ﷻ هو الملك الحق، الذي له الخلق كله، والأمر كله، وله الملك كله في العالم العلوي والعالم السفلي.

هو سبحانه ملك عظيم، أراد أن يظهر أسماءه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة أوامره القدرية والشرعية والجزائية، فخلق هذا الكون العظيم، وأنزل القرآن العظيم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

كذلك أنزل كتابه العظيم، الذي فيه أخباره العظيمةوأوامره العظيمة جل جلاله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

- **ومن سنة الله في خلقه أمران عظيمان:**

**الأول:** أن الله ﷻ يبقي الكافر، ويمد له، ويمكن له، حتى يقول ضعيف الإيمان متى نصر الله؟، أين الله؟: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾[يوسف/ ١١٠].

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾[سبأ/ ٣٥].

**الثاني:** أن يظهر الله آياته، حتى يقول الكافر لا إله إلا الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾[الروم/ ٢٢].

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾﴾[النبأ: ٦ – ١٧].

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾[الغاشية: ١٧ – ٢٠].

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٤ – ٣٢].

فمن آيات الله ﷻ أن يظهر آياته حتى يقول الكافر: لا إله إلا الله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾[آل عمران/ ١٩٠].

- **فهذان امتحانان عظيمان:**

**الأول:** أن الله يقوي الكافر ويمد له حتى يقول ضعيف الإيمان: متى نصر الله، أين الله؟!

**الثاني**: أن يظهر الله آياته حتى يقول الكافر: لا إله إلا الله: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾[ق/ ٦- ٨].

فهذان أمران عظيمان، ونحن الآن في الامتحان الأول، فالكفار الآن مستكبرون أقوياء،دمروا، وأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، ونهبوا الأموال، وانتهكوا الأعراض؛ فضعاف الإيمان تأثروا بذلك وضعفوا،والله ﷻ يقول:﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾[آل عمران/ ١٣٩].

والكفار والطغاة في كل زمان ومكان عصي بيد الله؛ يؤدب بها من عصاه، وينتقم بها ممن خالف شرعه، واحدةً بواحدة، ثم ينتقم من هؤلاء الكفار والطغاة:﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤﴾[القصص/ ٤].

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣﴾[الفجر/ ٦- ١٣].

فبعد أن ينتقم بالطغاة الكبار من الطغاة الصغار، يدمر أعداءه الكبار تدميرًا كاملًا، كما قال الله عن فرعون:﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[القصص/ ٤٠].

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾
[الفيل: ١ – ٥].

وكل من أصر على كفره أخذه الله أخذ عزيز مقتدر:﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾
[العنكبوت/ ٤٠].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾[هود: ١٠٢].

في بدر كان الإيمان قويًّا، والاستقامة كاملة؛ فجاء النصر الكامل بعد التذلل الكامل، وبعد إظهار الافتقار الكامل:﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣﴾[آل عمران: ١٢٣].

على أي حال كنتم؟ كنتم أذلة بين يدي ربكم، خاضعين خاشعين متذللين.

وفي أحد حصلت المعصية من الرماة؛ فرفع الله عن المؤمنين النصر:﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾[آل عمران: ١٥٢].

فهذه أربع صفات حصلت فيهم؛ فرفع الله ﷻ عنهم النصر، وفي أحد كانت معصية سلوكية من الرماة للرسول ﷺ، وفي حنين كان شرك خفي، حيث قال بعض المؤمنين: لن نُغلب اليوم من قلة، ونظروا إلى العدة والعدد؛ فقال الله ﷻ:﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥﴾[التوبة/ ٢٥].

ثم بعد ذلك نصر الله ﷻ أولياءه بعدما تابوا إلى الله، وخذل أعداءهم من الكفار:﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦﴾[التوبة/ ٢٦].

فالناصر والنصير سبحانه يرى كل ذرة في ملكه، خاصةً من يجاهد في سبيله لإعلاء دينه، ينظر إلى الأجساد، وينظر إلى الأسباب، وينظر إلى القلوب، ويعامل خلقه بموجب ذلك.

والله سبحانه خلقنا في دار الأسباب؛ لهذا يجب علينا أن نأخذ بالأسباب المشروعة وكأنها كل شيء، وأن نتوكل على الله وكأن الأسباب ليست بشيء، ومن اعتصم بالله نصره الله، ومن اعتصم بغير الله خذله الله من حيث اعتصم:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ

فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾[التغابن/ ١٣].
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج/ ٧٧].
فلا نستعين إلا بالله وحده لا شريك له؛ ولا نتوكل إلا عليه وحده لا شريك له.
فاللهم انصرنا على أنفسنا بالإيمان والتقوى، وحسن الظن بك؛ حتى نكون أهلًا نستحق النصر على أعدائنا فأنت نعم المولى، ونعم النصير.
فالنصر ثمنه الأخذ بالأسباب والتوكل على رب الأرباب: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾[الطلاق: ٢ –٣].
﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل/ ٩٧].
والقلوب كلها بيد الله يقلبها كيف يشاء، فإذا كان الله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وبيده الملك والملكوت، إذا كان الله معك أعانك أعداؤك.
وإذا كان الله عليك تطاول عليك أقرباؤك.
فإذا كان الله ﷻ معك فلن يهزمك أحد، إذا كان الله معك؛ أعانك أعداؤك؛ فالنار التي تحرق جعلها الله بردًا وسلامًا على إبراهيم، والله ﷻ ربى موسى ﷺ في قصر فرعون، وأنفق عليه من خزينته، فالخزينة التي تنفق لتدمير موسى هي التي أُنفقت لتربيته وإرضاعه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك: ١].
وإذا كان الله عليك تطاول عليك أقرباؤك وأصدقاؤك، ومن هاب الله ﷻ هابه كل شيء: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الأنفال: ٢٤].
فسبحان الله النصير الناصر، العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه ذرة في ملكه؛ يراك إن تحركت، ويسمعك إن تكلمت، ويعلم بما في قلبك إن سكت؛ فأنت من رحمته، تحت عنايته، وسمعه، وبصره: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي

﴿كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾[الحج: ٧٠].

الله ﷻ مولاك وأنت تحت عنايته، وتصريفه، وتدبيره، يأخذ بك إلى ما يصلحك، ويسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾[البقرة: ٢٤٣].

ومن هذه صفاته وأفعاله هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو سبحانه الناصر النصير الذي ينصرك على المرض فيشفيك، وينصرك على العدو الذي يعاديك، وينصرك على كل ما أهمك وأحزنك، وينصرك على النفس فتأخذ بيدها إلى كل خير: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾[الشمس/ ٧-١٠].

هو سبحانه النصير الناصر؛ فنعم المولى ونعم النصير، والنصر بيد الناصر النصير سبحانه، ولكن النصر من الله له أسباب من الخلق، وأعظم أسباب النصر على الأعداء ذكرها الله ﷻ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧﴾[الأنفال/ ٤٥-٤٧].

فهذه هي أسباب النصر، فالدنيا دار الأسباب، الدنيا إقامتها بالأسباب، والآخرة بناؤها بالأسباب، والجنة لها أسباب، والنار لها أسباب؛ فلابد أن نأخذ بأسباب النصر، والنصر المطلق بيد الله ﷻ، هو الذي ينصر من يشاء، ومشيئته مقرونة بالحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة، مقرونة بالخير المطلق.

- **ولكن الله ﷻ ربط هذا النصر بأمور لابد من توفرها:**

**الأول**: حقيقة الإيمان في قلوب المجاهدين في سبيل الله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾[الروم/ ٤٧].

**الثاني**: استيفاء مقتضيات الإيمان، وهي الأعمال الصالحة في جميع أمور الحياة: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

**الثالث**: استكمال العدة التي في طاقة البشر: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال/ ٦٠].

**الرابع**: بذل الجهد الذي في وسع البشر، والتوكل على الله وحده، ولزوم الطاعة والصبر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وإذا جاءت هذه الأسباب الأربعة في حياة المسلمين؛ نصرهم الله ﷻ على عدوهم.

حصول حقيقة الإيمان في قلوبهم، واستيفاء مقتضيات الإيمان وهي الأعمال الصالحة في جميع أمور الحياة، واستكمال العدة التي في طاقتهم، وبذل الجهد الذي في وسعهم، والتوكل على ربهم، ولزوم الطاعة والصبر، وانتظار الفرج.

وبهذا تكون معية الله النصير معهم، وينزل عليهم نصر الله كما نزل على الأنبياء والرسل وأتباعهم، وكما حصل للنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في غزواتهم: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات/ ١٧١-١٧٣].

فالآن الذي يجري في العالم ابتلاء من الله ﷻ سببه انحراف المسلمين عن دينهم، وأخذ الصورة لا الحقيقة؛ فالله ﷻ يربيهم ليرقيهم، ويبتليهم؛ ليرفع عنهم البلاء إذا عادوا إليه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون/ ٧٦].

لابد من إظهار الذلة، والنبي ﷺ أظهر الذلة في بدر، وكان ينادي ربه: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ جِيَاعٌ فَأَطْعِمْهُمْ، وَحُفَاةٌ فَاحْمِلْهُمْ، وَعُرَاةٌ فَاكْسُهُمْ، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلَكْ هَذِهِ العِصَابَةُ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**» أخرجه مسلم[1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٦٣).

فتذلل إلى ربه؛ وبكى بين يديه، وشكا الحال إليه، فنزل جبريل معه ألف من الملائكة، ثم أمدهم الله بثلاثة آلاف، ثم أمدهم الله بخمسة آلاف، كل ذلك نصرة لأوليائه من الرب ﷻ، وكان يكفي ملك واحد، فجبريل له ستمائة جناح، بطرف جناحه رفع خمس قرى من قرى قوم لوط، ثم قلبها عليهم، ولكن الله فرح باجتماع المسلمين، وخروجهم لنصرة الله ورسوله ودينه وظهور ذلتهم أمام ربهم ﷻ، وافتقارهم إليه، حيث لا عدد ولا عدة، فجاء النصر الكامل، حسب الإيمان الكامل.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم الإيمان الكامل، وأن يحقق للمسلمين النصر على أنفسهم أولًا، والنصر على عدوهم ثانيًا: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ومن أسباب النصر: التقوى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران/ ١٢٠].

ومن أسباب النصر اجتماع الكلمة وعدم التفرق: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٣].

وقد نصر الله القرن الأول لما كملت وجاءت فيهم الصفات التي يحبها الله، فقد زكى الله عقيدتهم وأعمالهم فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وزكى منهجهم: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

وقال النبي ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» متفق عليه[1].

فالقرن الأول اتصفوا بصفات أعزهم الله ونصرهم بسببها.

فيهم التوحيد والإيمان، وفيهم العبادات، وفيهم الدعوة إلى الله، وفيهم الأخلاق العالية، فلما كملت فيهم الصفات؛ نصرهم الله على أعدائهم، وفتح قلوب الخلق لهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومن أعظم أسباب النصر: الإخلاص، وحسن متابعة النبي ﷺ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

وعدم مخالفة الرسول ﷺ: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ١١٥**﴾ [النساء/ ١١٥].

وقال ﷻ: ﴿**فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣**﴾ [النور/ ٦٣].

والله سبحانه خلق الجن والإنس، وجعلهم مختارين، وعرفهم بالحق، ورغبهم فيه، وعرفهم بالباطل، وحذرهم منه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ [الكهف: ٢٩ – ٣٠].

فصار الناس بعدم معرفتهم للحق فريقين: مسلمون وكفار، موحدون ومشركون، أبرار وفجار، فابتلى الله بعضهم ببعض، وسلط بعضهم على بعض؛ ليظهر وعده في نصر أوليائه، ويظهر كمال قدرته في تدمير أعدائه ونصر أوليائه، كما فعل بمن رد الحق وكذب

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٥١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٣٣).

رسله، كقوم نوح، وعاد، وثمود، وفرعون وقومه، وغيرهم، حيث أهلكهم الله وأنجى رسله ومن آمن بهم: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر/ ٥١].

فالله ﷻ ينصر رسله وأولياءه إذا حققوا ما أراد الله، ويدمر من عاند رسله، وكفر بما جاءوا به: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات/ ٣٨-٤٢].

هذا فعل الناصر بمن استكبر عن دينه: ﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الذاريات/ ٤٣-٤٦].

فالله ﷻ يظهر قدرته في نصر أوليائه، وفي عظمة خلقه: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات/ ٤٧-٤٩].

فما الحل؟ ما سبيل النجاة؟ ما سبيل الفوز؟: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

فالله ﷻ يظهر قدرته لعباده؛ حتى يتوكل المؤمنون عليه، ويستعينوا به، ولا يلتفتوا لأحد سواه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

فالله سبحانه فطر الخلق على التوحيد، وابتلاهم بالشهوات التي يحبونها، والأوامر التي يحبها جل جلاله.

فكل إنسان مبتلى بثلاثة أمور:

بالأوامر الملكية الشرعية من ربه، وبالمصائب القدرية، وبالشهوات الحيوانية.

فمنهم من قبل الحق، وآمن بربه، ودعا إليه، ومنهم من كفر به، وحارب أولياءه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾[النحل/ ٣٦].

وأهل الحق يعملون بالحق، وينهون عن الباطل، ويغزون ويفتحون البلاد من أجل نشر الحق بين الخلق، من أجل لا إله إلا الله أن تدخل في قلوب الناس، ومن أجل محمد رسول الله أن تتزين بها أجساد الناس: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)﴾[إبراهيم: ٥٢].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾[يوسف: ١٠٨].

والله سبحانه ينصرهم، ويؤيدهم، ويحفظهم، ويفتح بهم قلوب العباد للتوحيد والإيمان والتقوى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)﴾[الحج/ ٤٠].

أما أهل الباطل فيغزون البلاد لإفساد أهلها أولًا، ثم الاستيلاء عليها وعلى ثرواتها ثانيًا؛ فأعداء الإسلام قد أحكموا الأقفال على المسلمين حتى لا يعودوا إلى دينهم؛ فاجتهدوا على إفقارهم، وإضلالهم، وإفسادهم، وإذلالهم، فإن لم يخضعوا لذلك فليس عندهم إلا تدميرهم؛: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)﴾[البقرة: ٢١٧].

فأعداء الدين وأهل الباطل يغزون البلاد؛ لإفساد أهلها أولًا، ثم الاستيلاء عليها وعلى ثرواتها ثانيًا؛ ولهذا شرع الله الجهاد لإقامة الحق، وزوال الباطل؛ حتى يُعبد الله وحده، ويكون الدين كله لله، ويتحقق مراد الله من خلقه بالتوحيد والإيمان والعبادة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)﴾[الحج/ ٣٩].

﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ٣٦﴾[التوبة/ ٣٦].

وذلك من أجل لا إله إلا الله، لا من أجل سفك الدماء، فسفك الدماء ليس مقصودًا؛ المقصود فتح الأبواب للدعوة والهداية لتدخل في قلوب الناس: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾[البقرة: ١٩٣].

فلا بد من جهاد الكفار باللسان والسنان، حتى يكون الدين كله لله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩﴾[التحريم/ ٩].

- **والجهاد في الإسلام ينقسم إلى قسمين:**

**الأول:** جهاد حسن لذاته؛ وهو: الدعوة إلى الله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾[الفرقان/ ٥٢].

**الثاني:** جهاد حسن لغيره؛ وهو القتال في سبيل الله؛ لأنه يفضي إلى فتح الأبواب للدعاة إلى الله؛ لينشروا الدين بين الخلق.

ومدة الجهاد؛ جهاد الكلمة، وجهاد الدعوة استغرق ثلاثة وعشرين عامًا، أما مدة الجهاد والقتال في سبيل الله فمدته أربعة أيام وأربع ساعات كما هو محفوظ في كتب السنة.

والله سبحانه ينصر من نصره دينه وجاهد في سبيله؛ فإذا جاء هذا اليقين؛ نصر الله أولياءه على أعدائه: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾[الفرقان/ ٣١].

وجهاد الدعوة إلى الله مأمور به مطلقاً، وجهاد القتال في سبيل الله مأمور به إذا دعت الحاجة إليه، لأن جهاد الدعوة له كل الوقت: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾[يوسف: ١٠٨].

ومن سنة الله أن يظهر نصرته لأوليائه في الدنيا، وقد يؤخرها في الآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾[غافر/ ٥١].

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢﴾[إبراهيم/ ٤٢].

ونصرة الله لأوليائه بحسب إيمانهم وتقواهم، لا بحسب عددهم ولا عدتهم، وبحسب الاعتصام بالكتاب والسنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران/ ١٠٢-١٠٣].

وجمع الناس على الإسلام من غير اعتصام بالكتاب والسنة لا تتحقق به النصرة، كما هو حاصل الآن؛ فلابد من الاستقامة على الدين، ثم إعداد القوة، ثم بعد ذلك النصير ينزل نصره على من يستحق النصر!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾﴾[محمد/ ٧].

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الروم/ ٤٧].

والنصير سبحانه من سنته أنه إذا أراد نصر عبده أذله له؛ لينكسر بين يديه، ثم ينزل نصره عليه، ويخذل عدوه:﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

فخلعة النصر عظيمة، خلعة النصر مقرونة بالذل لله؛ فيكسر الله عبده أولًا، فإن أظهر الافتقار نصره وأعزه؛ ولهذا في القرآن:﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾[البقرة/ ٢٥٠].

وإذا افتخر الناس بقوتهم وسلاحهم؛ خذلهم الله:﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[التوبة: ٢٥].

فالنصر المطلق بيد الله الناصر النصير وحده لا شريك له.

وكل ذرة في الكون من جنود الله، خاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته ومسرعة إلى إراداته:﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾[الفتح: ٧].

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾﴾[الفتح: ٤].

فالنصر والنصرة بيد الناصر وحده لا شريك له، ومن استنصر بغير الله من مال، أو قوة، أو قبيلة؛أو دولة خذله الله من جهة ما تعلق به:﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٠].

وفي غزوة تبوك كانت الثمار يانعة، والحر شديدًا، والمكان بعيدًا، وسمى الله هذا الجيش

جيش العسرة، فتثاقل بعض الناس؛ فقال الله للمهاجرين والأنصار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة/ ٣٨].

فالناصر الذي نصر رسوله وقت الضعف والقلة والخذلان غني عن نصرة أحد، والذي نصره وقت القلة كيف لا ينصره وقت الكثرة والقوة؟ فنصرة الله في الغار لنبيه ﷺ بأن ثبته وربط على قلبه وأنزل سكينته عليه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

والله سبحانه مع الصابرين، ويحب الصابرين: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم/ ٦٠].

والله مع الصابرين، يؤيدهم وينصرهم على من عاداهم، وينصرهم على أنفسهم أولًا، وعلى أعدائهم ثانيًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة/ ١٥٣].

فمن أراد أن ينتصر على نفسه، وعلى الشيطان، وعلى جميع الأعداء؛ فعليه بالصبر والتوكل على الله: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾ [هود: ١٢٣].

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

والفلاح مقرون بالصبر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

## التعبد لله ﷻ باسمه النصير.. الناصر

لا شك ولا ريب أن النصر كله بيد الله وحده لا شريك له، بيده مفاتيح النصر كلها: النصر على النفس، والنصر على الشيطان، والنصر على الأعداء، والنصر على الجوع، والنصر على الخوف، والنصر على الظلمة.

وأنت أيها المسلم سَلْ ربك أن ينصرك على نفسك؛ لتستقيم على طاعة الله، وأن ينصرك على هواك؛ لتستقيم على هدى ربك، وأن ينصرك على جميع أعدائك من الشياطين والكافرين والظلمة والطغاة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقد بين الله ﷻ لعباده المؤمنين أنه لا ناصر لهم دونه، ولا معين لهم سواه؛ وذلك لتتوجه قلوبهم له، ويرفعوا أكف الضراعة إليه، فيستجيب لدعائهم وينصرهم على من عاداهم، فتوجه في جميع أمورك إلى مولاك الملك الحق، الملك القادر، فإنه نعم المولى ونعم النصير: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة/ ١٠٧].

الذي ينصرك على نفسك، وعلى عدوك، وعلى المرض، وعلى الخوف، وعلى كل شيء، هو وليك جل جلاله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١].

واعلم أنه إذا نقص إيمان المؤمنين فعصوا ربهم لا يتحقق لهم نصر، بل يتسلط عليهم أعداؤهم بسبب ذنوبهم: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٥].

واعلم يقينًا أن النصير والناصر مع أهل الإيمان والطاعات، وأن الخذلان والهزيمة والحرمان لأهل الكفر والمعاصي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد/ ٧-٩].

فليجتهد عبد الناصر وعبد النصير على زيادة إيمانه، وحسن أقواله وأعماله، وحسن عبادته لربه؛ ليجتهد على زيادة إيمانه كل يوم بالنظر في الآيات الكونية، والآيات

الشرعية، والاستقامة على أوامر الله، والتفكر في أسماء الله وصفاته وأفعاله، حتى يأتي الإيمان في القلب: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

واحذر أن ينقص إيمانك، فتقع في المعاصي، ثم تحرم النصر وبركة الرزق، فمن قصر في الحال أُخذ في الحال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء/ ١٢٣].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

واعلم أن المسلمين لن يُنصروا على العدو الظاهر حتى ينتصروا أولًا على العدو الباطن، وهو النفس والهوى والشيطان والدنيا؛ فهذه الأربعة من أعدى أعداء الإنسان؛ فليتنبه العبد لذلك؛ فمن انتصر على هؤلاء نصره الله على عدوه الخارجي: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

- **وعلامات انتصار الإنسان على نفسه خمسة أمور:**

فعل الأوامر ..واجتناب النواهي ..والحمد على النعم ..والصبر عند البلاء ..والاستغفار من الذنوب.

فمن حقق هذه الأمور الخمسة؛ فقد انتصر على نفسه، وصار أهلًا لأن ينصره الله على عدوه، ولا شك أن المؤمن منصور أبدًا، فإذا ضعُف الإيمان نقصت الطاعات، ثم زادت المعاصي؛ فصار لعدو المؤمنين من السبيل عليهم بقدر ما نقص من إيمانهم: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء/ ١٢٣].

فالإيمان والأعمال الصالحة من أعظم جنود الله التي يحفظ الله بها عباده المؤمنين، فإذا ضعف الإيمان ونقصت الأعمال الصالحة؛ فقد جعلوا لعدوهم السبيل عليهم بما تركوه

من طاعة الله ﷻ؛ فلنعلم هذه السنة من ربنا ﷻ، لتكون على بينة من الأمر: ﴿**هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩**﴾ [آل عمران/ ١٣٨-١٣٩].

فانصر رحمك الله دين الله بالإيمان به، والعمل به، والدعوة إليه، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، ولا ينجيك من الخسار والعذاب إلا هذا: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر/ ١-٣].

وانصر كذلك إخوانك المؤمنين، الظالم منهم والمظلوم، الظالم تكفه عن الظلم، والمظلوم تأخذ حقه من الظالم وتعطيه إياه إن قدرت: ﴿**لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤**﴾ [النساء/ ١١٤].

وقال النبي ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ**» أخرجه البخاري(١).

واعلم وفقك الله لما يقربك إليه أنه لا يكون مخلوق إلا من خالق، ولا يكون مغلوب إلا من غالب، ولا يكون منصور إلا من ناصر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر/ ١٣].

فالأمور كلها بيد الله ﷻ، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

واعلم أن النصر عزيز، فاطلبه من الناصر بأسبابه المشروعة، وإذا أردت أن تكون غالبًا لأعدائك؛ فعليك بالجهاد والمجاهدة في سبيل الله، بفعل كل ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان والتقوى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الشورى/ ١٥].

وقد ربط الله ﷻ الهداية بالجهاد والمجاهدة، فاحمل نفسك على طاعة مولاك: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٤).

فأكمل الناس هداية، وأحسنهم استقامة، أعظمهم جهادًا في سبيل الله، جهاد الدعوة إلى الله، وجهاد القتال في سبيل الله، لمن عادى أولياء الله، وآذاهم وسفك دماءهم.

وأفرض الجهاد جهاد النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت/ ٦].

فالله مع المؤمن ينصره على نفسه، وعلى عدوه، وإذا جاء الإيمان الحقيقي؛ جاءت النصرة الحقيقية من الله ﷻ، فمن استعان بالله، وجاهد هذه الأربعة في الله؛ هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى الجنة ورضاه: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٨].

فمن انتصر على هذه الأربعة؛ نصره الله على عدوه، ومن انتصرت عليه؛ غلبه عدوه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

ولا شك أن الشيطان جاء إلى المسلمين، وجاء إلى من هم على الصراط المستقيم يزين لهم؛ فاحتل قلوبهم، ثم جاء الأعداء فاحتلوا بلادهم، ولا تزال البلاد محتلة ما دامت القلوب معتلة بحب الدنيا، والهوى، واتباع الشيطان، واتباع شهوات النفس، فلابد من الانتصار أولًا على النفس، وأكبر إله معبود من دون الله هو النفس، والهوى الموجود في هذه النفس، فالنفس تريد تحقيق محبوباتها من الشهوات، والله يريد تكميل أوامره الشرعية، فمن انتصر على نفسه؛ نصره الله على عدوه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

ولنعلم علم اليقين أن كل مؤمن انتصر على نفسه وهواه، ونصر دين الله، وجاهد في سبيله؛ فهو منصور في الدنيا والآخرة، وعدوه مخذول: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر/ ٥١-٥٢].

وكل أحد أعرض عن ربه، وعصى الله ورسوله؛ فهو مغلوب مذموم مخذول في الدنيا والآخرة: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾[الإسراء/ ٢٢].

مذمومًا: لا حامد لك، مخذولًا: لا ناصر لك.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾[الشعراء/ ٢١٣].

فهذا الكافر الذي عصى الله مغلوب في الدنيا بحياة الضيق والنكد والمعيشة الضنك، وركوب الدنيا عليه، وتسلط الشيطان عليه، فأينما يوجهه لا يأتي بخير، بل يأتي بكل شر وفساد، وهو يظنه خيراً وصلاحاً: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾[الكهف/ ١٠٣-١٠٥].

والشياطين تهديه إلى سبل الضلال، وتصرفه عن كل حق، وهو يظن أنه على هدى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[الزخرف/ ٣٦-٣٧].

وهو مغلوب في الآخرة؛ لأنه عمي في الدنيا عن سماع الحق، واستكبر عنه، وأطلق جوارحه في معصية الله، فقُيدت جوارحه بالسلاسل يوم القيامة، وقُذف به في نار السعير، ونُسي في العذاب كما نسي دين الله في الدنيا: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[طه/ ١٢٣-١٢٦].

نسأل الله ﷻ أن ينصرنا على أنفسنا لنكون أهلًا لنصرة الله ﷻ لنا على أعدائنا، ونصر الله ﷻ قريب لمن استقام على دينه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت: ٣٠-٣٢].

والأمة الآن الله ﷻ ابتلاها بهذه المصائب الكبرى؛ لأنه يريد أن يظهر دينه، ويريد من عباده أن يعودوا إليه، فما ابتلى إلا ليعافي، وما منع إلا ليعطي، وما قبض إلا ليبسط:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[الحج: ٤٠].

فمفاتيح الخير ومفاتيح الشر معلومة، فإذا أخذنا بمفاتيح النصر، فتح الله لنا القلوب والبلاد، وإذا تركناها تولى الشيطان وجنوده إدارة أنفسنا وإدارة بلادنا، وإذا قمنا بالدعوة إلى الله سيرنا العالم كله بالهدى، وإذا تركنا الدعوة إلى لله سيرنا أهل الباطل بالعصا: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٦٢].

والله سبحانه لا يقضي قضاءً إلا وهو خير لعبده المؤمن، الله سبحانه شكور يحب الشاكرين، ويشكر الشاكرين، ويذكر الذاكرين، ويجيب من دعاه، وينصر من نصره، ولا يضيع عنده عمل المحسنين، يقبل القليل من العمل، ويثيب عليه الثواب العظيم من الأجر: ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[الحج/ ٧٨].

فلابد من اليقين على ذات الله، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، ومَن حَسُن ظنه بربه فقد أفلح ونجا، ومن ساء ظنه بربه فقد خسر وهلك: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

والمؤمن إذا عرف ربه باسمه النصير والناصر؛ أحبه وسعى في مرضاته، وشكره على إحسانه وعونه، فهو سبحانه الذي أنعم علينا بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية، فالحمد لله رب العالمين: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة: ٣].

هو الذي يشفي المريض، ويغني الفقير، وينصر المخذول، ويجيب المضطر، ويكشف السوء: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل/ ٥٣].

ومن عرف ربه باسمه النصير؛ أفرده بالعبادة وحده لا شريك له، وتوكل عليه وحده، واستعان به وحده: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة/ ٢٥٥].

ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ هُوَ

﴿ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر/ ٦٥].
فالتعرف على اسم الله الناصر، يملأ القلب طمأنينة، ويُستنصر به في كل حال من أحوال العبد التي تمر عليه لتربيه وترقيه.

ومن عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ استحيا من ربه العزيز الكريم الذي خلقه وسواه، وأنعم عليه بكل نعمة، الذي إذا سأله أعطاه، وإذا استعان به أعانه، وإذا استغفره غفر له، وإذا استنصره نصره، فداوم على ذكره وشكره وحسن عبادته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢].

ومن عرف الولي النصير؛ اطمأن قلبه بذكره، وأيقن بكفايته لمن آمن به، وأحسن الظن بالله، ولم يبالِ بأحد سواه، وتوكل على مولاه النصير، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، ولم يبالِ بقوة الكفار والأعداء، لأنهم ضعاف أمام قوة القوي العزيز: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٠].

أبرهة وجيشه مع الفيل حشرة أمام قدرة الله، أهلكها بأضعف مخلوقاته الطير الأبابيل، فرعون أمام قوة الله حشرة لا تساوي شيئًا، أغرقه الله بما لا يستغني عنه وهو الماء.

قوة النار بيد الله ﷻ جعلها الله بردًا وسلامًا على إبراهيم؛ لأنه نَصَر دين الله، ومن نصر دين الله نصره الله ﷻ.

والنصر مقرون بالصبر، فمن صبر على الأذى والظلم نصره الناصر الذي يحب العدل والإحسان ويأمر به: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[الحج/ ٣٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾[آل عمران: ١٢٥ – ١٢٦].

وقال النبي ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ» أخرجه أحمد(1).

ومن عرف أن ربه هو القوي النصير الناصر نصر دينه وكتابه وسنة رسوله ﷺ، ولم يَخَف في الله لومة لائم: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦].

فمن عرف النصير الناصر نصر دينه وكتابه وسنة رسوله ﷺ؛ لأن النصير معه جل جلاله يؤيده ويحفظه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة/ ٤٠].

وكما قال لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه/ ٤٦].

فالله ﷻ من سنته أن ينصر أولياءه ورسله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة/ ٢١].

- **وتوحيد الله باسمه النصير يقتضي:**

التوكل عليه ..والاعتصام به ..ومحبته ..وطاعة الله ورسوله.

ومن وحد الله بهذا الاسم العظيم حفظه ونصره ممن كاده.

قال النبي ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» أخرجه الترمذي(2).

فالمؤمن يأخذ بشرع الله، ويؤمن بقضاء الله وقدره، وهذا هو توحيد الشرع والقدر، وهذا هو توحيد العبادة الذي يريده الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

وهذا التوحيد مبني على توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي أمرنا الله بتعلمه قبل العبادة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٨٠٣).
(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

وهذه آية في سورة مكية، نزلت بعد البعثة بعشرين سنة، والله ﷻ يأمر النبي ﷺ أن يتعلم لا إله إلا الله، فعلم التوحيد والإيمان مستمر مع العبد من حين يعقل إلى أن يلقى الله، أما علم الأحكام فهو محفوظ، وقد اكتمل في ثلاث وعشرين سنة:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة: ٣].

والمؤمن إذا نصره الله وهذه اشتغل بالثناء على الله، وشكره وحمده، وانكسر حياءً من الله، ولا يعجب ويفخر بما حصل له، بل ينسب كل ما أكرمه الله به إلى ربه الكريم الناصر النصير، كما دخل النبي ﷺ مكة في عام الفتح وهو يقول:«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْـمُلْكُ وَلَهُ الْـحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لا إِلَهَ إِلا اللهُ، أَنْجزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وهزم الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»أخرجه مسلم(١).

والنبي ﷺ أعرف الخلق بربه، وأعبدهم له، قال عنه ربه:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

فالخُلُق مركوب، والراكب محمد ﷺ، فنعم الراكب والمركوب.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم هذا الخلق العظيم الذي نستحق به رضا الله ﷻ والجنة والنصر على الأعداء، والسعادة في الدنيا والآخرة:﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة/ ٧٢].

**والنصر والغلبة التي أكرم الله بها رسله وأولياءه نوعان:**

نصر بالسيف والسنان .. ونصر بالحجة والبرهان؛ فكل الأنبياء والرسل نصرهم الله بالحجة والبرهان، وأظهر الحق الذي أرسلهم به، وأما النصر بالسيف والسنان؛ فقد نصر الله به من كتب وشرع لهم القتال، وهم تقريبًا أربعة من الأنبياء والرسل، الأنبياء والرسل مائة وأربعة وعشرون ألفًا، لم يقاتل منهم إلا أربعة، فالأصل جهاد الدعوة الذي ننتصر به على النفس، وننتصر به على الأعداء، وفتح القلوب مقدم على فتح البلاد؛ ولهذا أخر الله فتح مكة؛ حتى انفتحت قلوب أغلب أهلها للحق والتوحيد والإيمان، ثم فتح الله بعد ذلك مكة.

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٢١٨).

ولهذا فالفتح الأعظم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾[الفتح: ١ –٣].

هذا الفتح كان في صلح الحديبية، كان قبل فتح مكة بسنتين.

فكل الأنبياء والرسل نصرهم الله بالحجة والبرهان، وهي المقصودة شرعًا، وأظهر الله الحق الذي أرسلهم به، وأما النصر بالسيف والسنان؛ فقد نصر الله من كتب وشرع لهم القتال، ولم يُقتل نبي في معركة أبداً، ومن قُتل من الأنبياء قُتل غدرًا.

فسبحان ربنا الكريم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض، ينصر أولياءه المؤمنين، ويخذل أعداءه الكافرين.

ومن عادى أولياء الله من الأنبياء والرسل،ومن أهل الدعوة والخير والتقوى، فقد استجر خذلانه بفعله.

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**» أخرجه البخاري(١).

ومن حاربه الله فهو مهزوم قطعاً.

وأولياء الله من الأنبياء وأتباعهم يطلبون النصر من الناصر النصير وحده لا شريك له، فنوحﷺ دعا ربه أن ينصره فنصره: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾[القمر/ ١٠-١٢].

فأغرق الله قومه، وأنجاه ومن آمن معه.

ونصر الله موسىﷺ بأن أغرق فرعون وجنوده: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾[الشعراء: ٦١ –٦٨].

فأنجى الله موسى ومن معه، وأغرق فرعون وجنوده.

ونصر الله إبراهيمﷺ على النمرود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٨].

ونصر الله النصير يوسف ﷺ على إخوته الذين أرادوا قتله حسدًا؛ وآتاه الله ﷻ الملك: ﴿ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف/ ١٠١].

ونصر الناصر النصير محمدًا ﷺ على من عاداه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر/ ١-٣].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال/ ٦٢-٦٣].

فمحمد ﷺ جمع الأمة على الدين فتحابوا عليه، ولو جمعهم على الدنيا لتقاتلوا عليها، وصاروا إخوانًا، وكانوا عباد الله إخوانًا، ورضي الله عنهم ورضوا عنهم؛ بسبب تضحياتهم وصبرهم، فالمهاجرون تركوا، والأنصار بذلوا، فجاء رضوان الله على الجميع: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

ونصر الله يأتي بالصبر، ويأتي بالعدل، والصبر والعدل من أعظم أسباب النصر، والخذلان مقرون بالظلم، فلا تظلم نفسك أيها المسلم، ولا تظلم غيرك من مسلم أو كافر أو حيوان، فالله حرم الظلم على نفسه، وجعله بين العباد محرمًا: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل/ ٩٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠].

﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ١٩﴾[الفرقان/ ١٩].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ،فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ،فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا،فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ...**»أخرجه مسلم[1].

فنسوي بين الأولاد في الهدايا والعطايا حسب الميراث، ونحسن المعاملة والمعاشرة.

وكذا العدل بين الزوجات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [التغابن: ١٤].

ويقول ﷻ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور: ٢٢].

ونعدل مع الناس عمومًا: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْمَظْلُومًا**»أخرجه البخاري[2].

فاحذر الظلم كله بأنواعه، فالله لا ينصر ظالمًا أبدًا: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٨﴾[الشورى: ٨].

ومن نصر غيره بحق؛ نصره الله على من عاداه، وقيض له من ينصره، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

قال النبي ﷺ: «**هل تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلا بِضُعَفَائِكُمْ**»أخرجه البخاري[3].

ومن نصر مسلمًا نصره الله، ومن خَذله خذله الله.

والله سبحانه حكيم عليم، يؤخر النصر أحيانًا؛ لأنه يريد من عباده أن يخرجوا أحسن ما عندهم، وهو التضرع والانكسار، والدعاء والاستغفار، والصبر ومحاسن الأخلاق: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦﴾[المؤمنون/ ٧٦].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٣).

(٣)أخرجه البخاري برقم (٢٨٩٦).

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[الأنعام: ٤٣].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾[يوسف: ١١٠].

فالله يؤخر النصر لهذه الحكمة.

وقد يتأخر النصر من الله؛ لأن في العدو بقية خير عند بعض الناس، فيمهله حتى يخرج كل ما عنده من الشر، العدو قد يكون له بعض المحاسن التي يراها بعض الناس، فالله يمهل هذا العدو، حتى يخرج كل ما عنده من الشر؛ فيسقط من عين الله، ويسقط من أعين الخلق،فيُقاتل بالقلوب مع القوالب؛ فيتم النصر حينذاك.

فيجب علينا أن نتعلق بالله وحده، ولا نتعلق بغير الله، فالله هو الذي خلقنا وهدانا وكفانا، وهو على كل شيء وكيل، فلنتوكل على الله الناصر النصير جل جلاله، ونتعلق به وحده:﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق/ ٢-٣].

ومن تعلق بغير الله عُذِّب به:﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

- **والتعلق بغير الله ثلاثة أنواع:**

**الأول:**أن تتنازل عن كل شيء من أجل من تعلقت به، وفي هذا التعلق إضاعة للدين من أجل من تعلق به:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[المنافقون: ٩].

**الثاني:** أن يشغله هذا التعلق عن التفكر في الله والدار الآخرة، وأسباب الفلاح في الدنيا والآخرة، فينشغل بذلك التعلق عن التفكر في الله، والدار الآخرة، والأعمال الصالحة، وأسباب الفلاح في الدنيا والآخرة:﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف/ ٢٨].

فالذي يتعلق بغير الله يتعذب به:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢].

**الثالث:** أن يكون كل وقت الإنسان يتحدث به عمن تعلق به من مال، أو تجارة، أو صيد، أو زراعة، أو صناعة أو تجارة، أو لهو ونحو ذلك.

والأصل أن يذكر الله، أن يذكر العبد ربه في كل أوقاته، ويكثر من ذكره، ويُذَكِّر بالله ودينه وشرعه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٢].

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف: ١٠٨].

فإذا استعمل الإنسان هذه الطاقات في الذكر، والثناء على من تعلق به مما سوى الله أضاع أوقاتهوخسر دنياهوأخراه ، وهذه كلها مذمومة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف/ ١٧٩].

فاللهم إنا نعوذ بك من التعلق إلا بك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الحب إلا لك وفيك، على الله توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن: ١٣].

وما يجري في العالم اليوم من الأحداث الجسام، وسفك الدماء، والرعب والخوف إنما هو تمهيد لكنس الباطل من العالم، وإزالة النفوس الفاسدة وإظهار النفوس الطيبة، التقية، النقية، الزكية بالإيمان والتقوى، والصلاح والإصلاح: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾[الروم/ ٤-٥].

ويوم النصر قريب، والعاقبة للمتقين: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[البقرة: ٢١٤].

فالله أغير على العبد من نفسه، وهو ولي المؤمنين، ينصرهم على الظالمين: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾[الأنفال: ٤٠].

نسأل الله أن ينصرنا على أنفسنا بالاستقامة على دينه، والدعوة إليه، وينصرنا على عدونا، وأن يجعلنا رحمةً للبشرية، نقول: لا إله إلا الله، وندعو إليها، ونؤمن برسول الله، ونتبعه في سنته، وفي فكره، وفي أقواله، وفي أعماله، وفي أخلاقه، وهذا هو مقصود الرب من خلقه، أن يؤمنوا به ويعبدوه، وأن يطيعوه وأن يرحمهم، وأن يرضى عنهم، وأن يدخلهم الجنة: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦].

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٠].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[البقرة: ٢٨٦].

اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللهم انصر دينك، وكتابك، وسنة نبيك محمد ﷺ، وعبادك المؤمنين، فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك المؤمنين، ودمر الطغاة والملحدين.

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# الباب الثاني عشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

**٥٣-٥٤-٥٥- اسم الله القادر.. القدير.. المقتدر.**

التعبد لله عز وجل باسمه القادر..القدير..المقتدر.

**٥٦- اسم الله اللطيف.**

التعبد لله عز وجل باسمه اللطيف.

**٥٧- اسم الله الخبير.**

التعبد لله عز وجل باسمه الخبير.

**٥٨-٥٩-٦٠- اسم الله الحكيم.. الحكم.. الحاكم.**

التعبد لله عز وجل باسمه الحكيم..الحكم..الحاكم.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

## إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# اســـــم الله

# القادر.. القدير.. المقتدر

## اسم الله القادر.. القدير.. المقتدر

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

الله ﷻ له أسماء جلال وأسماء جمال، ومن أسماء الجلال لله ﷻ التي تدل على عظمته وكمال قدرته: اسم الله القادر، والله ﷻ هو القادر القدير المقتدر، وهذه ثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى، القادر على كل شيء، القدير على كل شيء، المقتدر الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البقرة: ١٠٦].

- **وقد ورد اسم الله القدير في القرآن في خمسة وأربعين موضعًا:**

منها قوله ﷻ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك/ ١].

وقوله سبحانه: ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾ [الروم/ ٥٤].

- **وورد اسم الله القادر في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة:**

منها قوله سبحانه: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ [الأنعام: ٦٥].

- **وقد ورد اسم الله المقتدر في القرآن الكريم أربع مرات:**

منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ٤١ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ٤٢﴾ [القمر/ ٤١-٤٢].

واسم الله القادر اسم فاعل مشتق من الفعل قدر يقدر فهو قادر وقدير.

فهو سبحانه القادر على كل شيء أراده، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

والقدرة صفة تقوم بالقادر بحيث يفعل ما شاء بلا عجز، وذلك لا يكون إلا لله وحده: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك: ١].

- **واسم القادر له معنيان:**

**الأول:** من القدرة على الشيء، فالله قادر على كل شيء، وكل شيء خاضع لقدرته خلقًا وتدبيرًا لكمال قدرته، فالله له القدرة المطلقة، قادر على كل شيء، وكل شيء خاضع لقدرته، من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في الكون .

**الثاني:** بمعنى المقدر لكل شيء، فالقادر سبحانه لكمال قدرته قدر المقادير من الخلق، قدر المقادير كلها في علمه، ثم كتبها في اللوح المحفوظ .

فسبحان من قدر أمور الخلق قبل إيجادهم، وشاء كل شيءٍ قبل ظهوره، قدره في علمه أولًا، ثم كتبه، ثم شاء وقوعه، ثم أظهره:﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[المرسلات/ ٢٣].

أي: المقدرون للخلائق، والآجال، والأرزاق، والأحداث، والحركات، والسكنات، والأقوال، والأعمال، والتصريف، والتدبير:﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ **وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ** ﴿٥٠﴾﴾[القمر/ ٤٩-٥٠].

واسم القدير صفة مبالغة لمن اتصف بالقدرة، وإذا وُصف بها المخلوق؛ فهي اسم لهيئة يتمكن بها من فعل شيء ما، وإذا وُصف بها الله ﷻ؛ فهي إثبات كمال القدرة المطلقة لله ﷻ، ونفي العجز عنه:﴿**مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ** ﴿٧٤﴾﴾ [الحج/ ٧٤].

والله سبحانه هو القادر القدير الذي يتولى تنفيذ المقادير، ويخلقها على ما قدرها في سابق علمه، كما قال النبي ﷺ:«**قَدَّرَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السموات وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»أخرجه مسلم(١).

أما اسم الله المقتدر فهو اسم فاعل من اقتدر اقتدارًا فهو مقتدر، والمفعول ، مقتدَر عليه، فكل ما يفعله الله ﷻ قادر عليه، هو القادر على كل شيء، المقتدر على كل شيء .

قادر على خلق الكبير وخلق الصغير، قادر على خلق العالم العلوي والعالم السفلي، قادر على خلق كل شيء جل جلاله، فالله ﷻ مقتدر، والمفعول مقتدَر عليه، فكل ما نراه في الكون هو مقدور عليه، وهو قدر من أقدار الله ﷻ .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

والاقتدار سرعة التكوين بالقدرة : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [ القمر: ٤٩ – ٥٠ ] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٠].

هو سبحانه القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القدير الذي له القدرة المطلقة، والقدرة صفة ذاتية للقادر سبحانه، لا تنفك عنه أبدًا، فقدرته جل جلاله لا أول لها ولا آخر، ولا بداية لها ولا نهاية .

هو القادر على كل ما يريد، لا يمنعه مانع مما يريد، ولا يحول بينه وبينه عجز: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك/ ١].

فسبحان ربنا القادر على كل شيء، القدير الذي لا يخرج عن قدرته شيء، ولا يخرج عن علمه أحد، ولا يخرج عن رؤيته أحد، ولا يخرج عن سمعه أحد! ، ولهذا أمرنا الله ﷻ أن نتعرف عليه وعلى أسمائه وصفاته؛ حتى نعرف من نعبد بكمال القدرة، بكمال العلم، بكمال الحكمة، بكمال الكرم، بكمال القوة، بكمال العزة: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم القدير على كل شيء اتصلتم به؛ لأنكم ضعاف ، وأعرضتم عن كل ما سواه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [ يونس: ٣ ] .

- **وكل مخلوق خلقه الله ﷻ مطبوع على أربع صفات:**

ضعيف .. فقير .. عاجز .. محتاج.

فجميع الخلائق كلها ضعاف أمام قدرة الله ﷻ، وكلهم فقراء إلى الله في إيجادهم وفي تصريفهم وتدبيرهم، وكلهم عاجزون، وكلهم محتاج إلى من لا يحتاج .

والله ﷻ هو القادر على كل شيء، أما سائر المخلوقات فهي أمام قدرة الله كلها عاجزة .

- **بل كل ذرة في الكون محتاجة إلى ثلاثة أوامر من القادر جل جلاله:**

**الأول** : أمر الخلق والإيجاد.

**الثاني**: أمر البقاء؛ لو رفع الله عنها أمر البقاء؛ لزالت وفنيت.

**الثالث** : أمر التحريك والتسكين، والنفع والضر .

فجميع المخلوقات مماليك في ملكه جل جلاله، وهو وحده القادر على كل شيء: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦].

ومن عرف القادر احتمى به، وسأله القدرة؛ لأن الإنسان مطبوع على العجز والضعف: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء/ ٢٨].

لماذا؟ حتى يظهر الله ﷻ له منته عليه، وحتى يقف بباب القادر على كل شيء؛ وهذا من رحمة الله به: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

من رحمة الله أن الله خلقه ضعيفًا؛ ليتوجه إلى ربه القوي في كل ما يحتاجه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

والله ﷻ أظهر قدرته العظيمة، أظهر القدرة المطلقة التي تدل على كمال ذاته وأسمائه وصفاته، أظهرها في كتابه المسطور، وكتابه المنظور.

وكتابه المنظور أوسع كتاب، وهو هذا الكون العظيم، المليء بالمخلوقات العظيمة فهذا الكون مظهر لقدرة الله، مظهر لعلم الله، مظهر لحكمة الله، مظهر لرحمة الله، فالذي ينظر في هذا الكون ينظر إلى عظمة القادر، ينظر إلى عظمة أفعاله؛ فهذه الأفعال بقدرة الله ﷻ أظهرها، بقدرته على كل شيء أظهر هذه المخلوقات من العدم إلى الوجود، ولما أظهرها حكمها، فهي ملكه، وتحت تدبيره وتصريفه: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠].

فالله أظهر قدرته في خلق المخلوقات كلها؛ حتى نعرف أن الخالق العظيم الذي نعبده هذه أسماؤه الحسنى، وهذه صفاته العلى، وهذه أفعاله الحميدة، فلا أحد مثله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١].

يرانا إن تحركنا، ويسمعنا إذا تكلمنا، ويعلم بما في قلوبنا إن أضمرنا.

خلق الخلق العظيم في هذا الملك الكبير، وأرانا مخلوقاته التي تدل على كمال قوته، وكمال قدرته، وكمال علمه: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

الحمد لله على كمال أسمائه وصفاته وأفعاله، والحمد لله رب العالمين على جزيل إنعامه

وإحسانه، والحمد لله رب العالمين أن جعلنا من بني آدم، وأعطانا السمع والبصر والعقل؛ لنعرف به من نعبد.

والحمد لله رب العالمين أن هدانا للإسلام، والحمد لله رب العالمين أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، فله الحمد كثيرًا كما يُنعم كثيرًا، وكما يعطي كثيرًا: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

فربنا ﷻ أظهر أسماءه وصفاته في كونه المنظور لنعرفه ونعبده وحده لا شريك له: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

والنظر والتدبر من أعظم وسائل زيادة الإيمان: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

وقال الله ﷻ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق: ٥-٨].

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية/ ١٧-٢٠].

هذا النظر يولد في القلب قوة الإيمان، ويولد في القلب حب الله، وتعظيم الله؛ وشكر الله لما يرى القلب من عظمة ربه، وعظمة أسمائه وصفاته، فيخضع لأوامره الشرعية كما خضع قهرًا لأوامره الكونية القدرية: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فالله خلق الإنسان بربوبيته؛ لأنه رب العالمين الذي خلق الخلق، وهو الذي يدبر

أمورهم، ويسوق أرزاقهم، فيخضع هذا العبد لشرعه كما خضع لربوبيته ، بطوله وعرضه ولونه، وجنسه من ذكر وأنثى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [ البقرة: ٢١ ] .

فالقلب إذا امتلأ بالإيمان؛ أحب الله ، وكبر الله، وتاب إلى ربه في كل آن؛ لما يعرفه من جلال الله وكبريائه، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة أسمائه وصفاته؛ فيتصاغر لكبريائه، ويحتمي به جل جلاله، ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فالعبد مفطور ومركب على الضعف والعجز؛ حتى يفتقر إلى القوي؛ لأنه ضعيف، ويفتقر إلى القادر؛ لأنه عاجز، ويفتقر إلى الغني؛ لأنه فقير، فهذا من رحمة الله بالخلق أن جعل فيهم صفات النقص؛ حتى يطلبوها عند من له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [ فاطر: ١٥ ] .

والله يحب أسماءه وصفاته، ويحب من اتصف بها من خلقه على شاكلة العبودية؛ فالله رحمن ويحب من يرحم الناس، «**ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ؛ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**» أخرجه الترمذي[1].

والله شكور يحب الشاكرين ، تواب يحب التوابين ، محسن يحب المحسنين .

والله رحيم يحب من ينفع الناس، فيعلمهم شرع الله، ويحسن إليهم بماله، بعلمه، ويساعد فقيرهم، يواسي محتاجهم، وهكذا الله ﷻ يحب أسماءه وصفاته، ويحب من اتصف بها؛ لكن على شاكلة العبودية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [ البقرة: ٢٢٢ ] .

فالإنسان يكون حليمًا، والله ﷻ حليم، لكن حلم الله مطلق، وحلم الإنسان محدود مقدور حسب قدرة الإنسان، وهكذا في بقية الأسماء، فالله يعرفنا بأسمائه وصفاته؛ حتى نعبده بمقتضاها، ونتعبد لله ﷻ بموجبها : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِىٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [ الأعراف: ١٨٠ ] .

وهذه القلوب محل الإيمان والتقوى ، فلابد لها من غذاء يصلها بخالقها .

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٩٢٤).

- **وغذاء القلوب في سبعة أمور:**

أن تعرف الله .. وتعرف أسماءه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعده .. ووعيده.

فتُقبل على الله بالعبودية، بالحب لله ، والتعظيم له ، والذل له .

وفرق بين العبادة والعبودية؛ العبادة محدودة، الصلاة محدودة، والصوم محدود، والحج محدود، وقراءة القرآن محدودة، الذكر محدود .

لكن العبودية أن يكون المسلم في جميع أوقاته عبدًا لله؛ يعبد الله كأنه يراه ، إن تكلمَ تكلم بسنة، وإن سمعَ سمع بسنة ، وإن رأىَ رأى بسنة .

فكل أوقاته معمورة بالعبودية لله، فهو خارج الصلاة كما هو داخل الصلاة، سمعنا وأطعنا داخل الصلاة، وسمعنا وأطعنا خارج الصلاة:﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

ولهذا الله ﷻ أظهر أسماءه وصفاته وأفعاله في ملكه العظيم ، وفي كتابه الكريم؛ حتى نعرف من نعبد؛ وأن له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، فلا نلتفت لأحد سواه؛ بل نتعلق به وحده، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤ ] .

فالله ﷻ أظهر قدرته في ملكه وسلطانه، فخلق العوالم العظيمة في العالم العلوي ، والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة، وفي عالم الغيب، وفي عالم الشهادة، أظهر قدرته في خلق الكبير والصغير، والعالي والسافل، والجامد والسائل، والذكور والإناث : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢ ] .

- **أظهر الله قدرته في ستة أنواع من المخلوقات:**

فخلق عالم الملائكة .. وخلق عالم الجن .. وخلق عالم الإنسان .. وخلق عالم الحيوان ..

وخلق عالم النبات .. وخلق عالم الجماد : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

- **وخلق الظروف لهذه المخلوقات:**

فالسموات ظرف للملائكة، فما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد لله : ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠] .

والأرض ظرف للمخلوقات التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله ﷻ، من عالم الجماد والنبات والحيوان والجن والإنسان، وغير ذلك من المخلوقات التي لا يحصيها إلا هو ، وأفضل ما في هذه الظروف هو الإنسان .

والفضاء كذلك ظرف لمخلوقات تعيش في هذا الفضاء منذ خلقها الله ﷻ، فأعظم الظروف هو العالم العلوي: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر/ ٥٧].

فالعالم العلوي محيط بالعالم السفلي، والعالم السفلي الذي هو الأرض مملوء بالخلائق، وكل الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي الله ﷻ القادر القدير المقتدر قهرها بقهر الربوبية، وخلقها على ما شاء كيف شاء، ويخلق في أي وقت شاء، بأي حجم شاء، وخلق كل مخلوق وقدر شكله ووظيفته وبقاءه : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر: ٤٩ - ٥٠] .

فمظاهر القدرة في الكون عظيمة، الله ﷻ أظهر قدرته في خلق المخلوقات؛ حتى لا نتعلق بأحد سواه، فالقادر على كل شيء هو الذي يجب أن نعبده، ونترك كل شيء من أجله، ونبذل كل شيء من أجله، فنحن عبيده، والله خلقنا وهدانا واشترانا، وأنزل علينا الدين الكامل، وأراد منا أن نتصف بالصفات الجميلة التي يحبها الله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

والخلق كلهم ملكه ، ولكنه لكمال رحمته اشترى أهل الصفات الجميلة التي يحبها : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [ التوبة: ١١٢ ] .

فهذا غذاء القلوب، إذا عرفت القلوب المعبود ، وكانت في بحر العبودية؛ عاشت في ألذ نعيم، فهذه جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة .

وإذا عرف الإنسان ربه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، استحيا من ربه؛ لكثرة ظلمه لنفسه ، وتقصيره في عبادته، وكبره وعظمه ومجده وأثنى عليه؛ ولهذا أول سورة في القرآن كلها حمد وتمجيد لله ﷻ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ على عظمة ملكه وسلطانه.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ أن خلقنا في أحسن تقويم.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ أن هدانا للإسلام.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ أن أعطاني خيرًا ، ومنع عني شرًا.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛أن أنعم علي، وأنعم على غيري.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ أن استضافني في بطن الأم، واستضافني في بطن الدنيا لأسعد بمعرفته وعبادته.

ويوم القيامة يستضيفني في القصور الملكية : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [ الإنسان: ٢٠ - ٢٢ ] .

فالقلب محل التوحيد والإيمان ، واللسان آلة الكلام ، والجوارح مصادر الأعمال .

فمعرفة أسماء الله الحسنى في باب التوحيد بمنزلة القلب من الجسد، وبمنزلة الروح من البدن، وبمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس لا قيمة للجسد .

ولهذا الله ﷻ في القرآن، مجد نفسه، حمد نفسه، وأثنى على نفسه، وأمرنا أن نتعرف عليه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ

وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [ محمد: ١٩ ] .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

[ الحشر: ٢٢ – ٢٤ ] .

فاعبده وحده ، ولا تذهب إلى غيره وأنت من مماليكه وعبيده : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾

[ الذاريات: ٥٠ – ٥١ ] .

- **فمسائل الدين قسمان:**

أغذية .. وأدوية.

فالأغذية؛ هي ما يملأ القلب بالتوحيد والإيمان من الأخبار الصادقة عن الله ﷻ، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله ، وعن ملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الأخر : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [ الأنعام: ١١٥ ] .

أما الفتاوى ومسائل الأحكام؛ فهذه عبادات نتعبد لله ﷻ بها، والمطلوب العبودية، والعبادة مقوية لها؛ فنحن في العبادات المحدودة نقوي العبودية المطلقة التي يجب أن أتصف بها في كل أمر من أوامر الله، حين أقف بين يديه، وحين أقف بين يدي خلقه، في أي مجال ، وفي أي حال من أحوال المسلم أتخلق بهذه الصفات، وأمتثل الأوامر التي أمر الله ﷻ بها : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ [ السجدة: ١٥ ] .

واسم الله القادر من أسماء الله العظيمة الشاملة التي أظهرها الله ﷻ في كتابه العظيم، وفي ملكه الكبير، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [ البقرة: ١٦٤ ] .

هذه دلائل قدرته جل جلاله، ولا يجوز للعاقل أن يترك القادر ولا يقف في بابه، وأن يذهب إلى العاجز المحتاج : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [ النحل: ١٧ ] .

الله ﷻ: ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة/ ١٦٤].

فأنبتت الأرض ملايين أو مليارات المخلوقات، في كل ثانية ينبت مليارات النباتات على ظهر هذه الأرض بواسطة الماء النازل من السماء ، والنابع من الأرض .

هذه العوائل الكبيرة المختلفة من عالم النبات الذي يزيد على أكثر من أربعين مليون صنف، وكل صنف أمم وشعوب وقبائل، من حبوب ، وخضار ، وفواكه ، وأعشاب ، وكلها دالة على وحدانية الله، وشاهدة بكمال قدرته، ومسبحة بحمده، ومستجيبة لمشيئته، وخاضعة لأمره ، ومسرعة إلى إرادته : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

فسبحان من خضع لعظمته كل شيء من مخلوقاته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [ الحج: ١٨ ] .

ربنا ﷻ هو القادر وحده على كل شيء ، وضع اسمه القادر على السماء فاستقلت ، وعلى الأرض فاستقرت ، وعلى الشمس فأنارت ، وعلى الرياح فهبت ، وعلى المياه فسالت، وعلى الجبال فرست، وعلى اللسان فتكلم، وعلى الأذن فسمعت، وعلى العين فأبصرت: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾[الرحمن/ ٧٨].

فالله ﷻ قادر لا يحتاج إلى أحد، ولا يستعين بأحد، ولا يحتاج إلى أحد: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو الذي : ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة/ ١٦٤].

الدواب التي تأكل من تلك النباتات أكثر من مليون صنف على وجه الأرض، من البقر والإبل والغنم والحشرات والطيور، وأكثر من مليون صنف في عالم البحار، كم في المحيطات ، وفي البحار ، وفي الأنهار ، من المخلوقات التي لا يحصيها ولا يعلمها إلا الله: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [ لقمان: ١١ ] .

هذه المخلوقات العظيمة تدل على قدرة مطلقة، وعلى حكمة مطلقة، وعلى الخير المطلق، وعلى الرحمة المطلقة بأن جعل لنا هذه الضيافات العظيمة المفتوحة من عالم النبات نأكل ما شئنا، من عالم الحيوان نأكل ما شئنا، ومن عالم الأسماك نأكل ما شئنا ، وفق الشريعة تناولًا وكسباً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [ البقرة: ١٧٢ ] .

فهذه المخلوقات تدل على عظمة القادر، فإذا عرفتم ذلك؛ فاعبدوه وحده لا شريك له؛ لأنه الخالق الذي خلقكم، والقادر الذي يقضي حاجاتكم، والرحمن الذي يرحمكم : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [ الأنعام: ١٠٢ ] .

﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [ البقرة: ١٦٤ ] .

- **الرياح التي بين السماء والأرض ثمان:**

أربع في البر .. وأربع في البحر.. ورياح إسعاد.. ورياح عذاب .

وهذه الرياح تهب من الجهات الأربع ، ومن الجهات الفرعية ، بقدرة الله ﷻ، كمًّا ونوعًا ووقتًا : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [ القمر: ٤٩ – ٥٠ ] .

والرياح مبشرات وملقحات وحاملات : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [ الأعراف: ٥٧ ] .

والريح التي أرسلها الله ﷻ على قوم عاد ماذا فعلت بهم؟ دمرتهم ، وقلبت عليهم

ديارهم : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ القمر: ١٨ – ٢٠ ] .

والسحاب المسخر بين السماء والأرض بحر من الماء، وبحر من الهواء، من ملأ الفضاء بهذا وهذا على مر الدهور؟ .

بقدرته سبحانه ملأ الفضاء بهذا الهواء الذي يأخذ منه الإنسان في كل يوم ثلاثمائة وستين مترًا مكعبًا هواءً نظيفًا، فبحر الهواء نحن نعيش فيه، ولو دخلنا إلى بحر الماء لمتنا، وكذلك بحر الماء تعيش فيه الأسماك، فهؤلاء إن دخلوا في بحر الهواء ماتوا، ونحن إن دخلنا بحر الماء متنا، والكل عبيده، والكل يسبح بحمده، والكل خاضع لعظمته، والكل مستجيب لمشيئته : ﴿ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [ الإسراء: ٤٣ – ٤٤ ] .

فكل سور القرآن ، وكل آيات القرآن ، إما أخبار صادقة تملأ القلب إيمانًا وحبًّا وتعظيمًا للرب، أو أحكامًا عادلة يمتثلها المسلم بعدما يعرف المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله، يسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [ الأنعام: ١١٥ ] .

هو سبحانه الخلاق العليم ، الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ظاهراً وباطناً .

- **خلق الله كل إنسان ، وجعل فيه ثلاث أوان عظيمة :**

**الأولى:** آنية الطعام والشراب وهي المعدة، تأكل الأطعمة والأشربة الحلال الطيبة؛ فيبقى الجسم سليمًا ليعمل إما في أمور الدنيا أو في أمور الدين.

**الثانية:** أعطانا الله العقول تستقبل المعلومات والكيفيات: كيفية الوضوء، وكيفية الصلاة، وكيفية الصناعة، كيفية الزراعة ، وكيفية التجارة .

**الثالثة:** أعطانا الله القلوب التي هي مكان الإيمان والتوحيد ومكان التقوى والتوكل : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [ الأنفال: ٢ ] .

فالقلب هو الأصل ، وأعمال الجوارح فرع عليه .

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ؛ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أخرجه مسلم(١).

ماذا في القلوب من التوحيد والإيمان والتقوى؟ وماذا على الأبدان من السنن والأحكام والآداب الشرعية ؟.

فربنا عز وجل هو القادر على كل شيء وحده لا شريك له، ولابد أن يتكلم اللسان عن ربه ، ليخاطب القلب ، عن طريق الآذان : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣ ] .

والخطاب المباشر هو للإنسان المتكلم، فأول وأقرب شيء للسان الأذنان، والأذن أمينة، توصل للقلب ما سمعت، والمطلوب: سمعنا وأطعنا، لا سمعنا وعصينا : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [ البقرة: ٢٨٥ ] .

ونحن في مجالسنا الإيمانية عندنا اجتماع: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ...» أخرجه مسلم(٢).

ثم استماع : ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[الزمر/ ١٨].

ثم اتباع : ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف/ ١٥٨].

ثم اندفاع : ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [ آل عمران: ١٣٣ ] .

﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿٧٨﴾﴾ [ الحج: ٧٨ ] .

ثم ارتفاع : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [ المجادلة: ١١ ] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

فالعلم درجات ، والأعمال درجات ، والأخلاق درجات ، والجنة درجات، يرتفع الإنسان ويعلو بقدر إيمانه وأعماله الصالحة .

فالمؤمن يندفع ، ويسارع إلى الخيرات في كل ميدان، من أعمال اجتماعية ، وأعمال انفرادية: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [ الحديد: ٢١ ] .

والله محمود قبل أن نحمده، وقبل أن يخلق الحامدين له، والله ﷻ قادر قبل أن يخلقنا، والله ﷻ سبح بحمده قبل أن يسبحه المسبحون، فالله ﷻ غني عنا وعن أعمالنا، بل نحن أحوج خلقه إليه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [ فاطر: ١٥ ] .

الله ﷻ منَّ علينا بأن عرفنا بأسمائه وصفاته في كتابه المنظور الذي هو هذا الكون العظيم، وفي كتابه المسطور الذي هو القرآن العظيم، وهذه المعرفة تولد في القلب الحب لله، والشكر له والتعظيم له .

فهذه الأغذية أغذية للقلوب، إذا تغذت بها أنبتت من كل زوج بهيج، أنبتت: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة/ ١١٢].

وأنبتت : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [ المؤمنون: ١ – ١١ ] .

وأنبتت : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾ [ الفرقان: ٦٣ – ٦٤ ] .

وأنبتت : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [ الأحزاب: ٣٥ ] .

فهذه المعارف الإلهية تولد الطاقة الإيمانية لحب الله، وتكبير الله وتعظيمه، وحمده وشكره، والتقرب إليه بما شرعه رسوله ﷺ، فنجتهد على ملء القلوب بالإيمان؛ حتى يأتي في هذه القلوب حب الأعمال، ثم تظهر على الجوارح لسانًا ينطق، يحمد ربه، ويكبر ربه، ويثني على ربه، ويدعو إلى دينه، ويعلم شرعه .

وجوارح تعمل في أنواع العبادات التي وردت في الشريعة : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [ الأنبياء: ٩٠ ] .

فربنا ﷻ هو القادر العظيم الذي يملك خزائن القدرة، فكل قادر من المخلوقات أقدره الله ﷻ فكان قادرًا، وفي الأصل كان عاجزًا، لكن القادر أقدره، وأعطاه من خزائن قدرته ما يقدر به : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [ الحجر: ٢١ ] .

هو القادر الذي أقدر كل قادر، الذي كل خلْق ورزْق وأمْر وتدبير فمن آثار قدرته، فكل ما نراه في الكون من آثار قدرته وكرمه ونعمته : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف/ ٥٤].

وإذا عرفتم ذلك فاعبدوه؛ لأنه أهل أن يُعبد، وأهل أن يشكر، وأهل أن يحمد، ومن حقه ﷻ أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر؛ وذلك لعظمته وجلاله، وعظيم نعمه وإحسانه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [ الأنعام: ١٠٢ ] .

وهو سبحانه القدير على كل شيء، المقتدر الذي لا يعجزه شيء، ولا يغيب عنه شيء،

ولا يفوته شيء : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾[فاطر/ ٤٤].

وهو سبحانه القادر الحق الذي وهب القدرة لكل قادر فصار قادرًا، ولو سلبها عنه عاد عاجزًا: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل/ ٥٣].

فهو سبحانه القادر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، وإهلاك الموجود، وقهر كل قاهر، وتحريك كل ساكن، وتسكين كل متحرك : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [ يس: ٨٢ – ٨٣ ] .

هو القادر الذي خلق كل شيء، وهو الذي يدبر، خلق الشمس ودبرها، وخلق الأرض وأمرها بالإنبات، خلق اللسان وأمره بالكلام، حبس مليارات الألسنة، وأنطق لسان الإنسان فقط؛ لأنه هو الذي خلق الإنسان ، وخلق فيه القدرة على الكلام؛ فله الحمد على هذا وعلى هذا : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [ غافر: ٦٥ ] .

والنفوس الزاكية ، والعقول المستنيرة ، تحب الكامل، وتحب الاتصاف بالكمال؛ فالله كريم، والكرم صفة محمودة، نحبه لكرمه، ونحب أن نتصف بهذه الصفة، ونقف بباب الكريم ننتظر عطاءه، فإذا سألناه أعطانا : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [ البقرة: ١٨٦ ] .

والله ﷻ إكرامًا لعباده ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؛ وذلك توددًا منه لعباده : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [ البقرة: ١٤٣ ] .

فهو سبحانه القادر على كل شيء، القادر الذي لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء، ولا يستعين بشيء، بل قدرته مطلقة، لا أول لها ولا آخر، ولابداية ولا نهاية: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[يس/ ٨٢-٨٣].

نحن في الحياة نسمع كلامه، ونرى آثار قدرته، ويوم القيامة نراه عيانًا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

فمن رآه في الدنيا ببصيرته يفعل ويدبر ، ويخلق ويرزق، ويعطي ويمنع، ويبسط ويقبض، ويعز ويذل، رآه يوم القيامة ببصره ، وسعد برضوانه وجنته : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)﴾ [التوبة: ٧٢ ] .

والله سبحانه قادر على كل شيء، والإنسان عاجز عن كل شيء، إلا بوسيلة تكمل ضعفه، من طعام يأكله، وماء يشربه ، ولباس يلبسه ، ومركب يركبه، وآلة تخدمه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣)﴾ [الأحقاف/ ٣٣].

والإنسان من حيث خلقه ضعيف: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا (٢٨)﴾ [النساء/ ٢٨].

لكن المؤمن قوي؛ لأنه احتمى بقوي، فاستفاد القوة من القوي الذي قواه من ضعف، وكبره من صغر، وأطعمه من جوع، وآمنه من خوف، والإنسان إذا شعر بالقوة يقوى على خصمه، ويقوى على شهواته، ويقوى على أعدائه كما قال هود ﷺ : ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٦)﴾ [ هود: ٥٥ – ٥٦ ] .

فلكل مؤمن قوتان : قوه على نفسه حيث حملها على الإيمان بالله ، وقوه على عدوه حيث واجهه بالقتال .

والإنسان إذا شعر بالضعف صار منافقًا، والمنافق أجبن وأضعف الخلق، ليس له قوة على نفسه لحملها على الإيمان، وليس له قوة على مواجهة الأعداء .

فمع كل ضعف نفاق وكذب، وذل وخوف، وفرقة وعذاب: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (١٤)﴾ [الحشر/ ١٤].

فسبحان القادر على كل شيء! القادر الذي لا أقدر منه، القادر المحيط بكل قادر، الذي خلق كل شيء بقدر يحقق مراده منه، وقدر في حجمه، وقدر في وظيفته: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ

بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

هو سبحانه العليم القدير الذي قدر فهدى، خلق للإنسان عينين يرى بهما الأشياء بقدر محدود ، فالعين لا ترى كل شيء، كما أن الأذن لا تسمع كل شيء؛ فلو تضاعفت الرؤية؛ لرأى الإنسان الجراثيم في الطعام والشراب فعاف الأكل والشرب .

وخلق الله للإنسان السمع في الأذن بقدر؛ فلو زاد سمعه لسمع حركات أمعائه فلم ينم الليل كله، فـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى/ ١-٣].

والإنسان إذا رأى قدرة الله وعظمته؛ تذلل له، وأطاعه، وإذا جهل قدرة الله؛ ظلم نفسه، وظلم الخلق، واعتدى عليهم، فجاءته العقوبة؛ لهذا لابد من معرفة هذا الاسم، والإحاطة بمعانيه مقرونًا باسم العليم : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [ الطلاق: ١٢ ] .

وإذا عرفتم كمال قدرته ، وكمال علمه ، وكمال خلقه ، آمنتم به ، وعبدتموه وحده .

والمؤمن إذا عرف قدرة الله وقف عند حده، وإذا عرف نفسه تواضع لربه، واستغفر من ذنبه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

هو سبحانه القادر الغالب القاهر، الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، خالق كل شيء، وغالب كل شيء، وقاهر كل شيء: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/ ٤].

هو الواحد القهار، وكل واحد يقهر ما سواه.

والقهار لا يكون إلا واحدًا؛ لأنه قهر جميع المقهورين، قهر العرش والكرسي، وقهر السموات والأرض ، وقهر النجوم، وقهر الشمس والقمر، كلُّ شيء خلقه الله بقدرته، وقهره على ما يريد منه : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [ القصص: ٦٨ ] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الخالق لكل شيء، القاهر لكل شيء، الصغير

والكبير، الظاهر والباطن، المتحرك والساكن، والذكر والأنثى ، والجامد والسائل ، والرطب واليابس .

القادر على كل شيء من الخير والشر، والأمن والخوف، والمحبوب والمكروه، والنصر والهزيمة ، والعافية والمرض: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه؛ لأنه الملك الذي بيده كل شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

هو القادر الحق، القدير الحق، المقتدر الحق، وحده لا شريك له، وكل ما سواه عاجز، كل ما سواه مخلوق مملوك مرزوق، وهو الملك العظيم الغني الذي يملك خزائن كل شيء وحده لا شريك له .

خزائن القدرة بيده، فكل قادر إنما استفاد القدرة من الله القادر الذي أقدره على السمع والبصر، وأقدره على الأكل والشرب، وأقدره على الحركة والسكون، وأقدره على البقاء والحياة .

خزائن القدرة بيد القادر وحده لا شريك له، خزائن العلم بيد العليم وحده لا شريك له، خزائن الأرزاق بيد القادر، خزائن الأسماء بيد القادر، خزائن الصفات بيد القادر، خزائن الكلام بيده جل جلاله، خزائن السمع بيده، خزائن الأبصار بيده، خزائن الجماد والنبات والحيوان بيده؛ لأنه القادر القدير المقتدر الذي لا يعجزه شيء.

الله خالق كل شيء، خزائن المياه والبحار بيده، خزائن الرياح بيده، خزائن الذهب والفضة بيده ، خزائن المعادن ، والذرات ، والمياه ، والغازات ، وأنواع المخلوقات بيده: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠].

خزائن الطعام والشراب بيده لعالم الحيوان، لعالم الحشرات، لعالم الإنسان، لعالم الجن، لعالم الملائكة، كل له قُوتُه، وكل يأكل من ماعونه، فللحيوان طعام ، وللإنسان طعام : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [ فاطر: ٣ ].

فسبحان القادر على كل شيء الذي تكفل بغذاء القلوب، وهو التوحيد والإيمان، وغذاء الأبدان من الطعام والشراب : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) ﴾ [ يونس: ٣١ – ٣٢ ] .

وهذه الخزائن العظيمة وهذه الهبات الكريمة ، لا تكون إلا من رب كريم ، ومن قوي قادر يقدر على خلقها وإيصالها إلى كل مخلوق في العالم العلوي، والعالم السفلي، وعالم البر، وعالم البحر، وعالم الهواء : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ (٥٨) ﴾ [ الذاريات: ٥٨ ] .

وخزائن القوة والنصر بيده، النصر من الناصر، والنصر لا يكون إلا من قادر، فبقدرته جل جلاله يمسك السماء أن تقع على الأرض، وبقدرته ينصر أولياءه على أعدائه .

خزائن العزة والذلة بيده، إن أعز أحدًا فبفضله، وإن أذل أحدًا فبعدله، خزائن الرحمة والعذاب بيده، خزائن السموات والأرض كلها بيده، وخزائن الدنيا والآخرة كلها بيده: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) ﴾[الحجر/ ٢١].

فالله ﷻ هو الملك العظيم، وخزائنه ملأى بكل شيء .

الله ﷻ هو الملك الذي له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله ما بين السموات والأرض ، وله غيب السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض ، وله ميراث السموات والأرض .

وبقدرته خلق هذه المخلوقات العظيمة ، وبقدرته خلق الدنيا والآخرة، وبقدرته خلق العالم العلوي والعالم السفلي، وبقدرته خلق عالم الغيب وعالم الشهادة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) ﴾ [ الأنعام: ١٠٢ ] .

هو الملك العظيم القادر الذي لم يشاركه في خلقه تلك المخلوقات العظيمة وغيرها شريك، ولم يستظهر على خلقها بظهير : ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ (٢١) قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ

فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ/ ٢١-٢٢].

سبحانه هو الحي بصفات الجلال والجمال والكمال: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر/ ٦٥].

هو القادر الذي يفعل ما يشاء بقدرته، ولا يحتاج إلى أحد، ولا يستعين بأحد، بل هو المعين لكل أحد: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣].

فسبحان القادر القدير الذي يفعل في ملكه وملكوته ما يشاء بقدرته، الغني عن كل أحد: ﴿۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾﴾[الكهف/ ٥١].

الله ﷻ لا يحتاج إلى أحد، الذي يحتاج إلى أحد ليس بإله، وإنما الله ﷻ من رحمته بنا أن أنزل علينا هذا الدين، لنتقرب إليه بما يحبه ويرضاه، ولنسعد في الدنيا؛ حتى نصل إلى كمال النعيم يوم القيامة: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت/ ٦].

فمجالس الإيمان، ومجالس الذكر، تقوي الإيمان في القلب، فينصرف العبد من الشهوات الحيوانية إلى الأوامر الربانية، فيمتثل الأوامر، ويجتنب النواهي، فيحبه الله، وإذا أحبه الله أسعده في الدنيا، ثم أسعده في القبر، ثم أسعده في جنة عرضها السموات والأرض يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

هو سبحانه القادر، ويريد منا أن نعرف القادر: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾﴾[المائدة/ ٩٨].

هو القادر الحق الذي يقدر على المقدرات كلها بقدرة واحدة: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس/ ٨٢].

ويعلم المخلوقات كلها بعلم واحد : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [ الأنعام: ١٠١ ] .

كل ذرة في العالم العلوي ، والعالم السفلي؛ يرى الله شكلها وحجمها ، وطولها وعرضها، ويسمع تسبيحها : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [ الإسراء: ٤٤ ] .

فسبحان الله! ما أعظم هذه القدرة العظيمة! كم عظمة قدرة الله في سمعه، في بصره، في علمه ، في إحاطته! ، في خلقه ، في تدبيره ، في إحسانه : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [ الزمر: ٦٧ ] .

الله ﷻ أظهر قدرته لنا؛ حتى نهابه، حتى نخافه، حتى نرجوه، حتى نحبه، حتى نكبره، حتى نعظمه، : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [ الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣ ] .

- **فالناس اثنان:**

إما مشغول بالله .. أو مشغول عن الله.

مشغول بالله؛ تعبدًا وحمدًا ، وتمجيدًا وثناءً عليه، مشغول بالله دعوةً إلى دينه، وتعليمًا لشرعه، وإحسانًا إلى خلقه : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [ البقرة: ٥ ] .

أو مشغول عن الله؛ بما تهواه نفسه: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم/ ٥٩].

والله ﷻ عليم بكل شيء ، يعلم المعلومات كلها بعلم واحد .

يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار في آن واحد، ويعلم عدد قطر الأمطار في آن واحد، ويعلم عدد ذرات الرمال في آن واحد، فهو يسمعها ويراها، عليم قدير لا تواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضًا، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره، القريب والبعيد كله عنده قريب جل جلاله، والصغير والكبير كله عنده صغير، فالله له الكبرياء، وهو محمود على كبريائه وعظمته، وكمال أسمائه وصفاته: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فالله ﷻ قادر يقدر على جميع المقدرات التي نراها أو لا نراها كلها بقدرة واحدة، ويعلم المعلومات كلها بعلم واحد، ويريد المرادات كلها بإرادة واحدة، في وقت واحد: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فسبحان القادر الذي يملك القدرة كلها، القادر على الخلق كله، القادر على الإبداع كله، القادر على الإيجاد كله، القادر على الرزق كله! ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦١ – ٦٢].

فسبحان الله! ما أجهل الإنسان بربه، وما أجهله بدينه، وما أجهله بقدر ربه ﷻ! ولهذا يقع في المعاصي، ومن عرف ربه أطاعه ولم يعصه؛ ووحده ولم يشرك به: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وهذه الآية نزلت في المدينة، نزلت بعد عشرين سنة، مما يدل على أن علم التوحيد، وعلم الإيمان، غذاء لا يستغني عنه الإنسان طرفة عين.

- **والإيمان على ثلاث درجات:**

إيمان موجود .. وإيمان مفقود .. وإيمان مطلوب.

فالإيمان الموجود نجتهد عليه، بالعلم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ حتى يزيد الإيمان، فإذا انضم المفقود إلى الموجود جاء المطلوب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

ثم جاءت المواعيد على قدر الإيمان المطلوب: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم/ ٤٧].

والإيمان له أركان ستة، من عرفها اكتمل إيمانه، ثم أحس بطعم الإيمان، ثم أحس بحلاوة الإيمان، ثم أحس بحقيقة الإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وكل ما سوى الله ﷻ من الخلق القادرين؛ القادر جل جلاله هو الذي خلقهم، وخلق قدرتهم، وأقدر بعضهم على بعض، وسلط بعضهم على بعض، هو سبحانه القادر القاهر لكل قادر وقاهر: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: ٦٥].

والقادرون سواه لا يقدرون إلا على ما أقدرهم القادر عليه من الحمل، والتحريك، والتدبير، والتصنيع، وقدرتهم محصورة في تغيير صورة بعض مخلوقات القادر، وتحويلها من صورة إلى أخرى بعون القادر وإذنه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات/ ٩٦].

فالله ﷻ الذي خلق المواد التي نصنع منها، وخلق العقل الذي يفكر، وخلق الجوارح التي تعمل، وخلق العين التي تبصر، وهكذا الله ﷻ خلق هذه المواد، والإنسان يصنع من هذه المخلوقات، يركب مخلوقًا موجودًا مع مخلوق أخر فينتج له مصنوع ينتفع به، كما صنع السيارة من الحديد، واللباس من القطن وهكذا.

والله ﷻ كامل القوة، وكامل القدرة، وكامل العلم، أما قدرة القادرين فهي موهوبة من ربهم ﷻ، وقدرة القادرين سواه ناقصة بصفتها، محدثة بعد عدمها، طارئة على محلها، مخلوقة من القادر سبحانه لمن قدر بها: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

فسبحان القادر القدير الذي خلق كل شيء بقدرته!، له الخلق والأمر، وبيده الخلق كله

والأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، خلق الخلق بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، وقسم العافية بقدر، وقسم البلاء بقدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾[القمر/ ٤٩-٥٠].

والله ﷻ هو القادر على كل شيء، القدير الذي خلق كل شيء في العالم العلوي والعالم السفلي، وفي عالم الغيب وعالم الشهادة .

خلق سبحانه بقدرته العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الكواكب والنجوم، وخلق الملائكة والروح، وخلق الدنيا والآخرة : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾[الزمر/ ٦٢-٦٣].

فالمفاتيح كلها بيده جل جلاله، يخلق ما شاء من السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات.

هو القادر العظيم الذي لا نهاية لقدرته ، الذي خلق أنواع الجماد، وأنواع النبات، وأنواع الحيوان، وخلق الملائكة والإنس والجان، وخلق الذرات والجبال، وخلق المياه والبحار، وخلق الأشجار والثمار: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢].

والذي يخلق هو الذي يستحق العبادة وحده : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾[النحل/ ١٧].

والله ﷻ يخلق بصفات كثيرة منها: الحياة والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [ غافر: ٦٥ ] .

ففي جانب الخلق يأتي بنون العظمة : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ ق: ٣٨ ] .

وفي جانب التوحيد يأتي بالإفراد : ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [ طه: ١٤ ] .

لأن الخلق يتم بصفات كثيرة من العلم والقدرة والقوة والغنى وغير ذلك، فهذه

المخلوقات العظيمة وغيرها مما لا يعلمه إلا الله القادر الذي خلقها ، لا يمكن لأحد أن يعدها أو يحصيها أو يدبرها، وكلها تدل على كمال قدرة الله، وتشهد بوحدانيته، وتسبح بحمده، وتخضع لأمره : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [ الأعراف: ٥٤ ] .

فسبحان الملك العظيم! ، عظيم الملك والسلطان، القوي كامل القوة، القدير كامل القدرة، خالق كل شيء، ومدبر كل شيء : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر/ ٦٧].

فلم يقدروه حق قدره، ولم يعبدوه حق عبادته؛ لجهلهم به وبأسمائه وصفاته، وبملكه وسلطانه، وبنعمه وإحسانه فبسبب هذا ما قدروا الله حق قدره، ولو عرفوه؛ لآمنوا به وأطاعوه ، وعبدوه ؛ لهذا لابد من الدعوة؛ حتى يعرف الناس ربهم، ويحبوه ويكبروه ويوحدوه : ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [ قريش: ٣-٤ ] .

فالرب العظيم الخالق لكل شيء، القادر على كل شيء، المنعم بكل شيء هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

واعلم أن كل ما خلقه الله فهو إحسان إلى عباده؛ يستحق به وحده الحمد عليه، فالمخلوقات كلها من آلائه ونعمه، والنعم كلها من آياته الدالة على غناه وكمال علمه وقدرته:﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل/ ٥٢-٥٣].

فجميع مخلوقاته في العالم العلوي وفي العالم السفلي توجب الشكر والحمد والثناء له من عباده؛ لما فيها من النعم، وتوجب التذكر لما فيها من الدلائل على وحدانية الرب،

وعظمة الباري وقدرته: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران/ ١٩٠].

فوا عجبًا! كيف يُعصى مَن هذا خلقه، وهذا إحسانه، وهذه قدرته، وهذا ملكه وسلطانه؟: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ١١﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

وكيف لا يعبد ويطاع وهو الملك الذي بيده الملك؟ ذو العزة والجبروت، والعظمة والكبرياء: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ٨٤ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٨٥﴾ [الزخرف/ ٨٤-٨٥].

وكيف لا يُشكر وهذا فضله وإنعامه وإحسانه لعموم عباده! ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج/ ٤٦].

ونعمه على عباده لا تعد ولا تحصى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

والمؤمن إذا اعتقد وأيقن أن الله على كل شيء قدير في كل أمر؛ أعطاه إن سأل، وشفاه إن مرض، وأمنه إذا خاف، ونصره إذا استنصره، وغفر له إذا استغفره، وتاب عليه إذا تاب إليه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ٣﴾ [الطلاق: ٢-٣].

واعلم أن كمال اليقين أن ترى الله ولا ترى غيره، وتتعلق بالله وحده ولا تلتفت لأحد سواه، وتفعل الأسباب المشروعة ببدنك، وتقطع آمالك من الخلق، وتتوكل على ربك وحده بقلبك: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ

﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ٣٦﴾[الزمر/ ٣٦].

فمن رحمة الله بالإنسان أن جعل له قدرة محدودة ناقصة؛ ليكون دائمًا مفتقرًا إلى ربه القادر الذي يرى آثار قدرته في ملكه وملكوته: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ٢٨﴾[النساء/ ٢٨].

وذلك رحمةً من ربه؛ حتى يقف العاجز بباب القادر، والفقير بباب الغني، والضعيف بباب القوي، والصغير باب الكبير وهذا هو التعبد لله ﷻ.

والإنسان مع ضعفه وعجزه يطغى ويتكبر، ويقتل بلا رحمة، فكيف لو كان قويًّا؟! ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ٧﴾[العلق/ ٦-٧].

فسبحان القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء، القاهر لكل شيء، الغني عن كل شيء، الذي وسعت رحمته كل شيء! ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٢٩﴾[آل عمران/ ٢٩].

فسبحان الملك القادر الذي له كل شيء، ويسبح بحمده كل شيء!: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١﴾[التغابن/ ١].

والله ﷻ هو القادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، هو القادر على كل ما يريد، لا يمنعه مانع مما يريد، ولا يحول بينه وبينه عجز: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ٤٤﴾[فاطر: ٤٤].

فسبحان القادر على كل شيء، القدير الذي لا يخرج عن قدرته شيء، ولا يخرج عن علمه شيء، ولا يخرج عن بصره شيء، ولا يخرج عن سمعه أحد.

فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، وله المثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٤﴾[الحشر: ٢٤].

فسبحان كامل القوة، كامل القدرة، كامل العظمة، كامل الكبرياء، كامل العلم، كامل الإحاطة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبر الكائنات، وبقدرته سواها، وأحكمها وأبقاها، وبقدرته يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويعطي ويمنع، وبقدرته يقلب الليل والنهار، وبقدرته يقلب القلوب والأبصار، ويصرفها على ما يشاء ويريد: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ

مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

ما هي آثار قدرته؟ ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٧].

ومن آثار قدرته: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

ومن هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذه أفعاله هو أحق أن يُعبد، وأن يُشكر، وأن يُطاع: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

فسبحان القادر القدير المقتدر الذي لا يمتنع عليه شيء أراده في العالم العلوي والعالم السفلي، التام القدرة، المظهر قدرته بآياته ومخلوقاته!: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم: ٢٢].

ومراتب القدر التي هي المراحل التي يمر بها المخلوق من كونه معلومًا عند الله إلى ظهوره في الواقع المشهود أربع مراتب هي: العلم بالشيء، والكتابة، والمشيئة، والخلق؛ فالله علم كل شيء أراده، وكتبه، ثم شاء إظهاره، ثم أظهره، فهذه مراتب القدر، فالله سبحانه علم، ثم كتب، ثم شاء، ثم أظهر وخلق.

قال النبي ﷺ: « **كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السموات وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** » أخرجه مسلم(1).

والله سبحانه هو القادر على كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، المقتدر الذي لا يمتنع عليه شيء، شاء الماء أن يكون سائلًا فكان، وشاء الجبال أن تكون جامدةً فكانت، ووضع اسمه على السماء فاستقلت، ووضع اسمه على الأرض فاستقرت، ووضع اسمه على الجبال فرست، وعلى العين فأبصرت، وعلى اللسان فتكلم، وعلى القدم فتحركت، وعلى العيون فنبعت، وعلى النباتات فأثمرت، فله القدرة المطلقة التي لا يقف لها

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

شيء: ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾[البقرة/ ١٤٨].

- **وقدرة الله ﷻ تتمثل في أمور:**

**الأول:** أن الله قادر قدرةً مطلقة على كل شيء، قادر على ما فعل، وقادر على ما يفعله، وقادر على ما لم يفعله؛ فهو على كل شيء قدير: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البقرة: ١٠٦].

**الثاني:** أن كل ما كتبه الله ﷻ في اللوح المحفوظ كائن لا محالة، ولابد من وقوعه في وقته كمًّا، ونوعًا، وحجمًا، ومكانًا، وزمانًا؛ لابد من وقوعه في وقته الذي قدره، فلا يكون شيء إلا بقدرته ومشيئته، ثم يظهر ما شاءه وقدره وكتبه في اللوح المحفوظ، في وقته الذي قدره وأراده: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠﴾[النحل/ ٤٠].

**الثالث:** سرعة التكوين بالقدرة، وإظهار ما قدره الله، وتكوينه، وإيجاده فورًا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠﴾[القمر/ ٤٩-٥٠].

فسبحان القادر على خلق كل شيء: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨١ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[يس/ ٨١-٨٣].

فلابد لنا أن نعرف آثار قدرة الله ﷻ في الملك والملكوت؛ حتى نعرف القادر وعظمة قدرته، وأن الله ﷻ قادر على كل شيء، وقد أكثر الله ﷻ من هذا في كتابه العظيم؛ حتى تستقر هذه المعرفة في القلوب؛ فتعظم العظيم، وتكبر الكبير، وتحمد المنعم، وتسأل الغني، وتستعين بالقادر على كل شيء.

لابد للقلوب أن تعرف من هو القادر؟ وما هي أسماؤه وصفاته؟ حتى تحبه وتكبره، وتقف ببابه، وتدعوه وتسأله.

فهذا هو غذاء القلوب الذي يجب أن تتغذى به، فالقرآن هدًى، وشفاء، وبيان، وموعظة، ورحمة: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

هذا غذاء للقلوب، لابد للقلوب أن تعلم وتعرف الله، وكذلك لابد للجوارح أن تعمل بعد هذه المعرفة بما أمر الله ورسوله به: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى

﴿ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾[الرعد/ ٢].

يدبر الأمر الأوامر الكونية، والأوامر الشرعية، والأوامر الجزائية .

كم في هذه الأرض من الجبال الراسيات، والبحار الزاخرات، والأنهار الجاريات، والنخل الباسقات، والثمار اليانعات، والنباتات المختلفة بأحجامها وألوانها وطعومها!

وهو الذي مد الأرض ، وجعل على هذه المائدة أنواع النباتات للإنسان والحيوان : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾ [الرعد: ٣] ؛ بقدرته جل جلاله، فإذا عرفوه آمنوا به، وأطاعوه ، وأحبوه ، وعبدوه.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾؛ هذه بيضاء، وهذه سوداء، وهذه حمراء، وهذه صفراء ؛ وهذه القطع مملوءة في باطنها بالمعادن المختلفة، وعلى ظهرها تنبت النباتات المختلفة، فبقدرته خلق هذه المخلوقات التي في بطن الأرض وفي بطن الجبال، وخلق هذه النباتات التي تظهر على ظهر الأرض:﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤﴾[الرعد/ ٣-٤].

فيعرفون من الذي خلق، وعظمة ما خلق، فيستجيبوا لأمره الشرعي، كما استجابوا لأمره القدري : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ [الرعد: ١٢ – ١٣] .

بحر من الماء في الهواء، في هذه السحب، وهذه السحب تُحمل فوق الريح، ولهذه السحب ثمان رياح: رياح تثيرها من الأرض، ورياح تنشرها في السماء، ورياح تجمعها، ورياح تسيرها ، ورياح تؤلف بينها، ورياح تلقحها، ورياح تفرق الماء إذا نزل منها؛ حتى لا ينزل جميعًا، فيهلك ما تحته .

فالله ﷻ حمل هذا البحر العظيم من الماء ببحر عظيم من الهواء، وأمسك هذا البحر العظيم في السماء، وأمسك الهواء بقدرته جل جلاله : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك/ ١].

هذا الصوت الذي نسمعه في السحاب يسبح بحمد ربه ، لما ترى من عظمته وجلاله وكبريائه .

فيجب علينا أن نتعرف نحن على ربنا: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة/ ٩٨].

ومن عرف الله آمن به : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [ محمد: ١٩ ] .

ولهذا من عرف ربه سجد قلبه وقالبه: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ١٥﴾ [الرعد/ ١٥].

فإن لم يسجدوا بقوالبهم وقلوبهم؛ فظلالهم لابد أن تسجد لله: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ [الرعد/ ١٦].

لا إله غيره، ولا رب سواه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [ يونس: ٣ ] .

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض، خلق هذا الكون العظيم، وجعله مظهرًا لأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى، مظهرًا لعلمه المحيط، مظهرًا لقدرته المطلقة، مظهرًا لحكمته في خلقه وأمره وتدبيره : ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ [ ق: ٦-٨ ] .

والله ﷻ أمرنا أن ننظر في الآيات الكونية لنرى مظاهر قدرة الله ﷻ في خلق الكبير والصغير، والعالي والسافل، والرطب واليابس، والسائل والجامد، والذكر والأنثى،

والنبات والحيوان والجماد، فهذا الكون كله مظهر لقدرة الله ﷻ؛ ولهذا لابد من معرفة الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى؛ حتى نعبده بقلوبنا وجوارحنا، ونخضع لكبريائه وعظمته قلبًا وقالبًا : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [ فاطر: ٢٨ ] .

والله ﷻ يثني على نفسه بكمال قدرته وبكمال علمه، ويأمرنا أن نتعرف على ذلك؛ حتى نجل الله ونكبره ونهابه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾لماذا؟﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ۝١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم الله بهذين الاسمين العظيمين: العليم والقدير، عبدتموه؛ لأنه ﷻ عليمٌ يعلم بكل شيء، بصيرٌ يبصر كل شيء، سميعٌ يسمع كل شيء، فهو رقيبٌ ، وشهيدٌ، وعليمٌ، وخبيرٌ، وقدرته مطلقة : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [ الشورى: ١١ ] .

فغذاء هذه القلوب هو أولًا بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم يأتي التعبد لله بالقلوب والجوارح .

بعد هذه المعرفة يأتي حب الله، تعظيم الله، تكبير الله، تمجيد الله، الثناء على الله، تحريك اللسان بالذكر والحمد والشكر، تحريك الجوارح بالركوع والسجود والتسليم والطاعة، وامتلاء القلوب بالخضوع لله، والسجود لكبريائه وعظمته، وحبه، والخوف منه، ورجائه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [ الأنفال: ٢ – ٤ ] .

واسم الله القدير، والقادر، والمقتدر؛ ورد الاقتران في القرآن بهذه الأسماء الثلاثة كثيرًا .

وقد اقترن اسم الله الغفور الرحيم مع اسمه القدير في قوله سبحانه : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [الممتحنة/ ٧].

**وسر ذلك والله أعلم**:أن مغفرة الله ورحمته إنما هي عن مقدرة لا عن ضعف، والمغفرة

والرحمة الممدوحة هي التي تصدر عن قادرٍ على العقوبة والانتقام، ولكن لكمال مغفرة الله ورحمته هو يغفر ويرحم، ويحلم على عباده:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[البقرة/ ١٤٣].

فالله قادر على كل شيء، قدير لا يعجزه شيء، مقتدرٌ على كل شيء .

وقدرته سبحانه ذاتيه ، وتامة، ومطلقة ، وشاملة ، ونافذة، قد سلمت قدرته من التعب واللغوب، والإعياء، والعجز، ولكمالها فكل شيءٍ في الكون مستجيبٌ لمشيئته، ومسرعٌ إلى إرادته، ومسبحٌ بحمده، وخاضعٌ لأمره؛ ولهذا يُثني على نفسه جل جلاله : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

له الخلق كله، جميع الخلائق خلقها بقدرته، العالي منها والسافل، والكبير والصغير .

وله الأمر كله ، له الأمر الكوني القدري، وله الأمر الشرعي، وله الأمر الجزائي بالوعد والوعيد، وفي كل ثانية تنزل على الخلق مليارات الأوامر الملكية بالإحياء والإماتة، والعزة والذلة، والحياة والموت .

فله الخلق كله، وله أمر التدبير والتصريف في هذا الكون العظيم : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[ يونس: ٣١ – ٣٢ ] .

فسبحان ربنا القادر القاهر الذي له التصرف التام في كل الأكوان، وله النفوذ المطلق في الخلق والتدبير والتصريف في كل زمان ومكان، هو قادرٌ لا يغلبه غالب، ولا يعارضه منازع، ولا يخرج عن قبضته مخالف أو طائع:﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

فما أعظم ملك الله ، وما أعظم قدرته : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[آل عمران/ ١٨٩].

هو سبحانه القادر على كل شيء، المقدِّر لكل شيء، ومن كمال قدرته إيجاد المعدوم وإعدام الموجود: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾ [العنكبوت/ ١٩-٢٠].

من تمام قدرته أنه يوجد الأشياء من غير معالجة: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)﴾ [يس/ ٨٢].

ولكمال قدرته جل جلاله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويحي ويميت، ويعفو وينتقم، ويبسط ويقبض: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧].

جميع الخلائق قعودٌ على موائد نعمه في البر، والجو، والبحر: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦)﴾ [هود: ٦].

وقد اقترن اسم الله القدير بالعليم في قوله سبحانه ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)﴾ [النحل/ ٧٠].

**وسر ذلك والله أعلم**: أن قدرته سبحانه في خلق الأشياء وإيجادها وإعدامها، وتغييرها، منوطٌ بالعلم، فهي قدرةٌ شاملةٌ عن علم محيط بكل شيء، وهذا الاقتران دليلٌ على كماله سبحانه، فالعلم صفة كمال، والقدرة صفة كمال، واجتماعهما معاً كمالٌ آخر.

وهذا كله للدلالة على كماله سبحانه؛ لأن العلم بدون قدرة عجز، والقدرة بدون علم مظنة الفساد والظلم والطغيان، وفي تقديم العليم على القدير سر آخر، وهو: أن القدرة تتعلق بالعلم، فبمقدار سعة العلم تكون عظمة القدرة، وهذا هو الكمال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم/ ٥٤].

وجميع أفعال الله ﷻ مقرونة بالعلم المطلق، والعلم المطلق مقرونٌ بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق، فالله ﷻ بيده الخير، والشر ليس إليه.

- **والله حكيم عليم ، جعل بحكمته وقدرته وعلمه الناس أربعة أقسام:**

فمن الناس من يعطيه الله البنات ، ومنهم من يعطيه البنين ، ومنهم من يعطيه النوعين ذكراً وأنثى ، ومنهم من يمنعه هذا وهذا، وهو العقيم: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[الشورى/ ٤٩-٥٠].

وقد اقترن اسم الله المقتدر مع اسم الله المليك في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[القمر/ ٥٤-٥٥].

وسر ذلك أن الملك التام يستلزم القدرة التامة، فالمؤمنون يوم القيامة في جناتٍ عظيمة الشأن والقدر، مقربون في مكان مُرْضٍ وهو الجنان، عند مليكٍ تام الملك والقدرة من كل الوجوه، فلا شيء إلا تحت ملكه وسلطانه وقدرته ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

واقترن اسم الله المقتدر مع اسم الله العزيز في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾[القمر/ ٤١-٤٢].

فالعزة كمالٌ لله، والقدرة كمالٌ آخر، والجمع بينهما كمالٌ ثالث، فليس كل عزيزٍ قادر، وليس كل قادر عزيز، أما الله سبحانه فهو بالغ العزة لا يمتنع عليه شيء، بالغ القدرة لا يعجزه شيء، ولا يعجل بالأخذ لأنه لا يخاف الفوت ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

- **جمع في هذا الاقتران بين اسم العزيز المقتدر:**

**الأول:** في شدة الانتقام بالأخذ والقهر والغلبة باسمه العزيز.

**الثاني:** في كمال القدرة والإحاطة باسمه المقتدر: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة/ ٩٨].

فالله ﷻ ثوابه عظيم، وثوابه كريم، وثوابه كبير، كما أن عذاب الله ﷻ وصفه الله ﷻ بأنه عظيم، وأليم، ومهين، وشديد، وكبير، فرحمته ﷻ وسعت كل شيء، وعذابه إذا أحاط

بأحد أهلكه ودمره: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩٨﴾ [المائدة/ ٩٨].

فسبحان الملك العزيز القادر القدير المقتدر، الذي آثار قدرته في هذا الكون العظيم الكبير لا تُعد ولا تُحصى، فهي أكبر من أن تحيط بها عبارة، وأعظم من أن يُشار إليها بإشارة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨٦﴾ [الحجر: ٨٦].

فحيثما نظرنا في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي السموات والأرض وما فيهما، وفي الأنفس، وفي الآفاق، وفي كل شيءٍ في الأرض؛ يرى آثار قدرة الله، آثار قدرة القادر سبحانه، فبقدرة الله ﷻ خلق الكون وما فيه، وبقدرته خلق الدنيا والآخرة، وبقدرته خلق عالم الغيب، وعالم الشهادة: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وبكمال قدرته جل جلاله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٧﴾ [الروم/ ٢٧].

ولكمال قدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك السموات والأرض أن تزولا، ولكمال قدرته يأتي الله ﷻ يوم القيمة بالخلق جميعًا، مَن كانوا وحيثما كانوا: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٤٨﴾ [البقرة/ ١٤٨].

ومن جلال قدرته خلق السموات والأرض وما بينهما في ستةٍ أيام: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [ق/ ٣٨].

هو القادر الذي أظهر قدرته في خلق الصغير والكبير: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ [غافر/ ٥٧].

هو سبحانه القادر على كل شيء، فجميع مخلوقاته كالخردلة بين يديه، لأنه هو الكبير ذو الكبرياء والعظمة، والجلال والعزة والجبروت، جميع مخلوقاته كالخردلة بين يديه، وكلهم من العرش العظيم إلى الكرسي الكريم إلى أصغر ذرة خاضعةٌ لأمره، ومستجيبةٌ لمشيئته، ومسرعةٌ إلى إرادته، ومسبحةٌ بحمده، وشاهدةٌ بوحدانيته، فهو القادر، وكل ما سواه عاجز: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝٤٤﴾ [فاطر/ ٤٤].

- **وأسماء الله القادر والقدير والمقتدر دالةٌ على:**

صفات الذات .. وصفات الأفعال.

فدلالتها على صفات الذات؛ لاتصاف الله سبحانه بالقدرة التامة التي لا تنفك عنه أبدًا، فهو سبحانه القادر وكل ما سواه عاجز: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك/ ١].

فنوحده بصفة القدرة، وأنه قادر على كل شيء، وأن قدرته لا أول لها ولا آخر، ولابداية ولا نهاية، وهي لا تنفك عنه أبدًا؛ لأن الإله لابد أن يكون قادرًا على كل شيء، سميعًا لكل شيء، محيطًا بكل شيء، بصيرًا بكل شيء، هذه صفات الكمال.

أما دلالة هذه الأسماء على صفات الفعل؛ فهي في تنفيذ مقاديره في جميع ملكه ومخلوقاته في كل زمانٍ ومكان على وفق تقديره، وكتابته، ومشيئته، وإراداته، فالله ﷻ في كل ثانية تنزل منه مليارات الأوامر بالخلق والإيجاد، والتدبير والتصريف، والإحياء والإماتة: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس/ ٨٢].

وأظهر قدرته بالأسباب وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، أظهر قدرته بالأسباب أن ما ينزله من السماء على الأرض فتنبت من كل زوجٍ بهيج، وأظهر قدرته بدون الأسباب كما رزق مريم طعامًا بلا شجر، وابنًا بلا ذكر، ويظهر قدرته جل جلاله بدون الأسباب: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس/ ٨٢].

بحرفين من كلامه خلق هذا الكون العظيم، هذه قوة كلامه، وقدرته جل جلاله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

هو القادر الذي يستوى عنده خلق الكبير والصغير، وخلق الكثير والقليل: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٨﴾ [لقمان: ٢٨].

هو سبحانه القدير التام القدرة الذي لا يلابس قدرته عجزٌ بحال؛ لكمال قدرته، واستغنائه عن الأسباب.

هو القادر الذي خلق القدرة في كل قادرٍ من المخلوقات، خلق القدرة في الجبال، خلق القدرة في السماء، خلق القدرة في الشمس، خلق القدرة في الإنسان، خلق القدرة في

الأسد، خلق القدرة في البعوضة:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

هو خلق القدرة في كل قادر، كما خلق العلم في كل عالم، وكما خلق السمع في كل سميع، فالله ﷻ خالق كل شيء بقدرته:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠ ﴾[القمر: ٤٩ – ٥٠].

فجميع المخلوقات الله ﷻ خلقها، وكل ما ينتج عنها هو خالقها:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾[الصافات: ٩٦].

فهذه المصنوعات التي نراها في العالم، الله ﷻ هو الذي خلق الإنسان، وخلق فيه العقل الذي يُفكر ويُدبر ويخترع؛ وخلق المادة التي يصنع منها الشيء، وخلق القدرة التي يتمكن بها الإنسان حين الفعل ولهذا الإنسان وما عمل الإنسان الله ﷻ هو الذي خلقه.

فهو سبحانه القادر على كل شيء، القادر الذي قدر جميع الآجال، وجميع الأرزاق، وقدر الخلائق، وقدر الحياة والموت، وقدر الأمن والخوف.

هو القادر الذي له القدر العظيم وحده:﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[الزمر/ ٦٧].

والقادر سبحانه لا يُعجزه شيء، ولا يحتاج إلى تنفيذ أقداره لأحد، أما الإنسان فقدرته محدودة، موهوبة، ناقصة، فيحتاج إلى السيارة ليكمل بها بطء سيره، ويحتاج إلى النظارة ليكمل بها ضعف بصره، ويحتاج إلى السماعة ليكمل بها ضعف سمعه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾[فاطر/ ١٥].

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨ ﴾[النساء: ٢٨].

وهذا من رحمة الله ﷻ أن خلقه ضعيفًا، وخلقه عاجزًا؛ حتى يقف بباب القادر، بباب الغني، بباب القوي، بباب الملك، بباب العزيز:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾[يونس: ٣].

وسر قوة المؤمن لا لأنه قوي، بل لأنه عبد القوي، والقوي سبحانه هو الذي وهبه القوة، ولو سلبها منه لعاد ضعيفاً.

فمن أراد أن يكون أقوى الناس؛ فليتعرف على ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويتوكل عليه وحده: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣].

ومن أراد أن يكون أغنى الناس؛ فلتكن ثقته بما في يد الله أعظم من ثقته بما في جيبه، فرزق الله ﷻ مطلقٌ غير محدود: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص/ ٥٤].

وسيصل رزقه إلى كل مخلوق بكميته ونوعيته، ومكانه وزمانه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦].

هذه القلوب تتغذى بهذه المعارف العظيمة، وتسبح بحمده ربها؛ لجلاله، وجماله، وكماله.

فسبحان القادر الذي قدر المقادير كلها، وعلم الأعمال كلها، وعلم الأحوال كلها، ثم يظهرها يوم القيامة: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

فسبحان الله ما أعظم أسماءه وصفاته! وما أعظم قدرته! وما أوسع رحمته!: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المؤمنون/ ١٨].

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨١-٨٢].

الله يثني على نفسه باسمه القادر؛ حتى لا نتوجه إلى العاجز، ولا نتكئ على مخلوق، بل نتوجه إلى القادر وحده؛ القادر على كل شيء، القادر على الإحياء والإماتة، القادر على الإعزاز والإذلال، الذي بيده مفاتيح كل شيء، بيده مفاتيح الإيمان، بيده مفاتيح الأعمال، بيده مفاتيح التوفيق ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

هو سبحانه القادر الذي بيده مفاتيح كل شيء: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢].

هو القادر، وكل ما سواه عاجز: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [المعارج/ ٤٠-٤١].

فسبحان الله ما أعظم قدرته! وسبحان القادر الذي قدر المقادير قبل الخلق والتكوين: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٤].

هو القادر الذي قدر المقادير: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر/ ٢١].

فكل شيء خزائنه عند الله، خزائن الذهب عند الله، خزائن الفضة عند الله، خزائن المياه عند الله، خزائن الحبوب عند الله، خزائن الأمن عند الله، خزائن الرحمة عند الله، كل شيء خزائنه عند الله ﷻ، فالذهب الموجود الآن في العالم في بطون الجبال، والذهب الموجود في الأسواق، والذهب الموجود على النساء، وكل الذهب الموجود في العالم لا يُساوي ذرة مما في الجنة من ذهب، وما في الجنة من الذهب لا يساوي ذرة مما في خزائن الله؛ لأن الله ﷻ إذا أراد شيئًا قال له: كن؛ فيكون: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

وكل قدر يسبقه علمٌ يحدد وجوده ووظيفته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق/ ٣].

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب/ ٣٨].

فالله ﷻ قدر المقادير أشكالًا، وألوانًا، وأحجامًا، ووظيفة السماء، والأرض، والجبال، والبحار، والأنهار، والشمس، والقمر، والنجوم،والطيور، والأسماك، والحيوانات، والإنس، والجن، والملائكة، والجنة، والنار: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٨].

وأقدار الله مقرونةٌ بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق.

فكل أفعال الله مبنية على أربع صفات، مبنية على الحكمة، والرحمة، والعدل، والإحسان، والشر ليس إليه، بل بيده الخير، وهو على كل شيءٍ قدير: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

فلا إله إلا الله، العظيم الذي قدر المقادير قبل الخلق والتكوين، وكتبها في اللوح

المحفوظ، ثم أظهرها جيلًا بعد جيل، وقرنًا بعد قرن، أظهرها في العالم العلوي، وفي العالم السفلي.

والله وحده هو القادر على كل شيء، وكل ما سواه عبدٌ له، وكل ما سواه مخلوقٌ له، وكل ما سواه مملوكٌ له، مقيدٌ له: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[هود/ ٥٦].

له الخلق كله، وله الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم/ ٤٢].

له أمر الخلق والإيجاد، وأمر التدبير والتصريف، وأمر القبض والبسط، وأمر البقاء والفناء، بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير.

فعبد القادر، وأمة القادر، لابد أن يعتزوا بالقادر، ويستعينوا بالقادر، ويعلموا أن ربهم قادر على كل شيء: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة/ ٩٨].

وكل ما سوى الله ﷻ مخلوق، مملوك، مرزوق، كل ما سوى الله ﷻ ضعيف، فقير، عاجز، محتاجٌ إلى ربه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾[مريم/ ٩٣-٩٥].

وكل ما قدره القادر على العباد فهو في مصالحهم، سواء كان محبوبًا أو مكروهًا.

فمن يصلح على النعمة يزيده من فضله؛ لعل النعم تذكره بربه فيشكر ربه على هذه النعمة، ولا يُعطي الله ﷻ المال لأحد إلا والله ﷻ يعلم أن لهذا الإنسان مرتبة عالية في الجنة لا ينالها إلا بالإنفاق من هذا المال، ولا يمنع المال من أحد إلا ويعلم أن لهذا العبد مقامًا في الجنة لا يناله إلا بالصبر على الفقر أو الألم أو المرض: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة: ٥١].

الله ﷻ كل أفعاله مقرونةٌ بالحكمة، والحكمة مقرونة بالخير المطلق، وهو بصيرٌ بعباده، من يصلح على النعمة يزيده من فضله؛ لعل النعمة تذكره بربه، فيشكر ربه، ويتوب إلى ربه، ويحب ربه، ويُعظم ربه، ومن تبطره النعمة يحبسها عنه، لمصلحته: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾[الشورى/ ٢٦-٢٧].

والإيمان بالقضاء والقدر يُذهب الهم والغم والحزن، وكل ما قدره الله خيرٌ للعبد، والمؤمن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال النبي ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ**» أخرجه مسلم[1].

فالمعاصي،والتقصير في العبادات، وضعف العمل بشرع الله، سببه ضعف الإيمان، والجهل بأسماء الله وصفاته، فربنا ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، لا يفعل إلا ما يليق بجلاله، أفعاله كلها رحمة وحكمة، وعدل وإحسان، فالمؤمن يؤمن بقضاء الله وقدره، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة/ ٥١].

وكل شيء قدره الله لابد أن يقع: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد/ ٢٢].

والله سبحانه عرف عباده من أسمائه وصفاته بما يوجب محبتهم له، وتعظيمهم له.

فأظهر لهم في كتابه المقروء أسماء جلاله، وأسماء جماله، وأظهر آثار أسمائه وصفاته في ملكه وسلطانه، وأمرنا بالنظر فيهما لتزداد محبتنا له، ويزداد تعظيمنا له، ويزداد شكرنا له: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

وإذا نظرنا رأينا الخالق يخلق، والرازق يرزق، والرحمن يرحم، والقادر يخلق ويدبر: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

فالنظر في الكون المنظور، والتدبر للكتاب المسطور يولد قوة الإيمان، وإذا جاءت قوة الإيمان جاءت قوة التعبد لله، وقوة الحب له، وقوة التكبير والتعظيم له جل جلاله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

أمرهم بالتدبر حتى يتعرفوا على ربهم بما أخبر به عن نفسه، ويتعرفوا على ملكه، ويتعرفوا على نعمه، ويتعرفوا على عظمته وجلاله وأسمائه وصفاته: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد/ ٢٤].

أقفال الجهل، أقفال الشهوات ، أقفال الهوى، لابد أن تُفتح هذه القلوب، بأي شيءٍ تُفتح؟ بالدعوة إلى الله، بالتعريف بالله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ حتى يعرف الناس ربهم، فيكبروه لأنه الكبير، ويُعظموه لأنه العظيم، ويحبوه لأنه المنعم المحسن إلى الخلق بصنوف النعم المادية والروحية:﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾[يوسف: ١٠٨].

والقلوب مفطورةٌ على حب الكمال، وحب من اتصف بالكمال، والسعي للاتصاف بالكمال:﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٠﴾[الروم: ٣٠].

والله سبحانه يبتلي عباده بما شاء ليقفوا ببابه، يبتليهم بما شاء،بمرضٍ، أو فقرٍ، أو خوفٍ، ليقفوا ببابه، فالله إن أعطى أحدًا كمالًا ؛كقوة علمية، وقوة عملية، يبتليه بضد ذلك.

لماذا؟، ليبقى الكمال والجمال والجلال لله وحده لا شريك له، فإن أعطى الله ﷻ أحدًا الجلال والجمال والكمال تعرض للحسد من الناس، فما من أحدٍ يُعطى جمالًا، وجلالًا، وهيبةً، وكمالًا؛ إلا وتعرض للحسد من الناس، فإن لم يقر لله بأنه هو الذي كمله وجمله؛ سلبه منه:﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

والعباد كلهم يعيشون في الدنيا بين رؤية قدرة الله وحكمته، فبقدرة القادر يفعل ما يشاء، وبحكمته يحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك/ ١].

وهذه الأفعال لمصلحة العبد، فحكمة الله في شرعه وقدره أن يوصل العبد إلى ما يسعده في الدنيا والآخرة، فكل أفعال الله ﷻ في مصلحة العبد:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٢٤٣﴾[البقرة: ٢٤٣].

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾[النساء: ٢٧ – ٢٨].

فالخلائق كلها بيده، ولا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ١٣٣﴾[النساء: ١٣٣].

قدرة مطلقة، وحكمته مطلقه: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣﴾ [السجدة/ ١٣].

هذه حكمته، أن شرع الشرع، وخلق خلقًا ابتلاهم بالأوامر الشرعية، وبالشهوات الحيوانية، وبالمصائب القدرية، ليأتوا إليه طوعًا لا إجبارًا، والله يحب من يأتي إليه طوعًا واختيارًا، وهو قادرٌ على أن لا يفعل: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾[الكهف: ٢٩].

فحكمته أن شرع الشرائع، فمن الناس من يستجيب، ومنهم من لا يستجيب، وخلق سبحانه الجنة والنار إتمامًا لحكمته، فالله أظهر قدرته في خلق هذا الملك العظيم، والتقديرات العظيمة، وأنزل شرعه وأمره في خلقه؛ حتى يعلم من يطيعه ممن يعصيه، فسبحان الملك القادر على كل شيء! أظهر قدرته في خلق السموات والأرض، ليعرف ويعبد وحده: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾[الزمر: ٦٢ – ٦٦].

وأظهر قدرته في خلق الشمس والقمر والليل والنهار: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾[فصلت: ٣٧].

وأظهر قدرته في خلق الأنفس والآفاق: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ [فصلت/ ٥٣].

وأظهر قدرته جل جلاله في عظمة كلامه: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ

يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان/ ٢٧].

عزيزٌ لا يغلب، حكيمٌ في أفعاله، وأقواله، وتدبيراته.

وأظهر قدرته في الإحياء والإماتة والبعث: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان/ ٢٨].

وأظهر قدرته جل جلاله في خلق العالم العلوي والعالم السفلي، وما فيهما من المخلوقات الكبيرة والصغيرة، من عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان، وعالم الجن، وعالم الملائكة: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

ومن مظاهر قدرته: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾﴾ [نوح/ ١٥-١٨].

بهذا تصح القلوب، بهذا تصفو القلوب، بهذا تمتلئ القلوب بالإيمان؛ لأن فيه معرفة الرب، ولكن مع الغفلة يحتلها الشيطان، ولا تزال الأمور مختلة، والأحوال معتلة، لماذا؟ لأن القلوب محتلة مملوءة بالغش والكذب والحسد؛ لأن الشيطان قد احتلها، واستولى على المنافذ من السمع، والبصر، واللسان، وهذه تصب في القلب، فتملؤه بالضيق والشدة والضنك: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٤].

فالله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه، وعلى أسمائه وصفاته؛ حتى تمتلئ القلوب بالإيمان: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

الله أظهر قدرته في خلق الظلام الدامس، والنهار، والشمس المشرقة؛ والقمر المنير إظهارًا

لقدرته، وتبييناً لحجته، وإظهاراً لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت/ ٣٧].

ومن مظاهر قدرته: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩].

هذا من آيات الله وعظمته، الأرض مخلوقة لا يمكن أن تفعل شيئًا، وما كانت شيئًا؛ حتى تفعل شيئًا، إنما هي مستقبلةٌ للأوامر الملكية، السموات والأرض قالوا: سمعنا وأطعنا: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ١١].

فلا ترد أمرًا كونيًّا قدريًّا عليها، فالسماء تمطر بأمر الله، والأرض تنبت بقدرة القادر جل جلاله، فتنبت من كل زوجٍ بهيج، هو سبحانه القدير الذي أظهر قدرته في ملكه العظيم، وسلطانه الكبير، ودينه القويم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

فالله ﷻ أكمل الدين، وأتم النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، وهذا دليلٌ على أنه لا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بهذه الأمور الثلاثة، الدين قد كَمل، والله ﷻ أتم النعمة، وبقيا علينا أن نعمل بهذا الدين: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

فمن رضي الله عنه قبل هذا الدين، ولم يرض عنه لم يقبل هذا الدين.

نسأل الله ﷻ أن نكون وإياكم من المقبولين عند ربهم، ومن السابقين والمسارعين إلى كل عملٍ صالح: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [لقمان: ٥].

هو القادر الذي خلق الرياح، وجعل فيها قوة الحمل والحركة، هذه الرياح العظيمة تحمل السحب الثقيلة، وخلق الجبال وجعل فيها قوة الصلابة، وخلق المياه وجعل فيها قوة السيولة بقدرته جل جلاله.

بقدرته خلق الشمس، وجعل فيها قوة الإنارة والحرارة، وبقدرته جل جلاله خلق النار وجعل فيها قوة الإحراق، وخلق بقدرته الأرض وفطرها على الإنبات، وخلق النبات وفطره على النمو والتكاثر، وخلق جميع المخلوقات الكبيرة والصغيرة، ووسم الجميع

بسمة العبودية: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾[مريم/ ٩٣].

وسم جميع المخلوقات بسمة العبودية والعجز والفقر والحاجة، وتفرد وحده بالربوبية والألوهية: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان القادر القدير على كل شيء، الذي أظهر قدرته وكمال أسمائه وصفاته؛ ليُعرِّف عباده به، ويظهر لهم آثار قدرته، ورحمته، وعظمته: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

فلله الحمد أن أظهر لنا أسماءه وصفاته، وبين لنا دينه وشرعه، ومكننا من قبول الهدى، وحبب إلينا الإيمان والعمل، وضاعف لنا الأجر، فله الحمد كثيرًا كما ينعم كثيرًا، وله الحمد أولًا وآخرًا: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فسبحان ربنا القدير القادر الخلاق العليم الذي له الملك والملكوت، وله الكبرياء والعظمة، وله العزة والجبروت.

هو الخلاق العليم الذي خلق بقدرته العالم العلوي، والعالم السفلي، وعالم الغيب، وعالم الشهادة، وعالم الدنيا، وعالم الآخرة.

خلق جميع المخلوقات بقدرته ودبرها بمشيئته، وحكمها بأمره: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾[النحل/ ١٧].

هو بديع السموات والأرض، خلق جميع المخلوقات التي لا يحصيها إلا هو، وكلها مسبحةٌ بحمده، وشاهدةٌ بوحدانيته، وخاضعةٌ لأمره: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[الإسراء/ ٤٣-٤٤].

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾[الواقعة/ ٧٤].

وسبح باسم ربك الأعلى، سبح بحمده؛ لأنك ترى عظمته وكبرياءه، وجلاله وجماله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾[النصر: ٣].

تسبح جميع المخلوقات بحمده في العالم العلوي، في العالم السفلي، فسبحانه بقدرته خلق كل شيء، ولا يحصي مخلوقاته إلا هو، وعظمة المخلوقات دالة على عظمة الخالق.

فكم عالم الذرات؟! وكم عالم الملائكة؟! وكم عظمة عرش ربنا العظيم؟! وكم عظمة كرسيه الكريم؟! وكم عظمة سماواته؟! وكم عظمة أرضه وبحاره، وجباله؟ وكم عظمة جناته؟! وكم عظمة عقوبته وناره؟! كم عالم النباتات بأنواعه وثماره وأحجامه؟! كم عالم الحيوان بأنواعه وقبائله في البر والبحر والجو؟!: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾[لقمان: ١١].

بقدرته خلق الأشياء، وبعلمه المحيط أحاط بكل شيءٍ في العالم العلوي، والعالم السفلي؛ ولهذا من عرف ربه زاد إيمانه بربه، وزاد تعظيمه وحبه له، ثم زاد تعظيمه لكتابه، ثم زاد تعظيمه لأمره، ثم نال ثوابه العظيم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر/ ٢٨].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر/ ٩].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

من هم العلماء؟ هم الذين يعلمون أن الله على كل شيءٍ قدير، وأن الله ﷻ هو الذي قدر المقادير، والآجال، والأرزاق، والخلائق، والحركات، والسكنات، وكل شيءٍ في الكون، كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء.

الله ﷻ أظهر لنا في هذا الكون العظيم آثار قدرته، وآثار كبريائه، وآثار رحمته؛ حتى تمتلئ قلوبنا بالإيمان، ثم تستقبل الوحي الإلهي بمزاج سمعنا وأطعنا.

وسور القرآن وآياته كلها تدل على عظمة الله، وعظمة أسمائه وصفاته، وتأمر بالتدبر

والتفكر؛ لأن حقيقة الإيمان تتم بأمرين:
بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات الشرعية.
وإذا نظرنا إلى الآيات الكونية والآيات الشرعية؛ حصل لنا أمران:
الأول: عرفنا العظيم فنعظمه، والكبير فنكبره، والقادر فنستعين به، والرحمن فنسترحمه، والغفور فنستغفره.
الثاني: عرفنا كذلك الكريم، الرزاق، المنعم، اللطيف؛ فنحبه لإحسانه، ونسأله، ونقف ببابه، ولا نذل أنفسنا لأحدٍ سواه، فالله ﷻ يبين أسماءه وصفاته في كتابه؛ حتى نحبه، وحتى نحمده، وحتى نقدره، وحتى نكبره، وحتى نعبده، ولاشيء أحب إلى الله من تمجيد نفسه، وحمد نفسه جل جلاله؛ لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي أمر الله ﷻ بالتعبد لله بها، فأولًا نتعرف عليه وعلى أسمائه وصفاته، ثم نتعبد له بموجب هذه الأسماء والصفات على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠].
هو الرحمن الرحيم الذي: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾[النحل/ ٢].
ما هي أفعاله؟: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾ [النحل/ ٣-٥].
ومن مظاهر قدرته سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل/ ١٠-١٢].

يعرفون الخالق من المخلوق، والقادر من العاجز، ومن يستحق الشكر، ومن يستحق العبادة، من يستحق الطاعة.

ومن مظاهر قدرته سبحانه: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل/ ١٣-١٤].

الله ﷻ يظهر لنا هذه المخلوقات؛ حتى نعرف أسماءه وصفاته وأفعاله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٥ -١٨].

فالله ﷻ بين لنا في كونه العظيم آثار قدرته جل جلاله؛ حتى نتعرف عليه ﷻ، ونعرف أسماءه وصفاته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور: ٤١ -٤٣].

فسبحان من هذه عظمته، وهذه قدرته، وهذا خلقه، وهذا ملكه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فلابد من معرفة الآمر قبل معرفة أوامره، لابد من معرفة المعبود قبل معرفة أنواع العبادة، أن نعرف من نعبد، ونعرف أسماءه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ

﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٦﴾ [النور/ ٤٥-٤٦].

فهذه المعارف العظيمة تولد في القلب الإيمان، وكل القرآن يبين هذه الأصول العظيمة، وأن معرفة الرب أول علم يجب تعلمه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

يستغفر الإنسان لنفسه، وللمؤمنين والمؤمنات؛ لأن الإنسان محل الخطأ والتقصير، والغفلة والنقص.

ومن مظاهر قدرته ﷻ: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠﴾ [النمل/ ٥٩-٦٠].

كم عدد الأشجار والنباتات في العالم؟! الخلية النباتية أكثر من أربعين مليون صنف، وكل صنف أنواع مختلفة من الأشجار والنباتات، وغذاء الإنسان والحيوان.

هذا ربنا الذي يُستحق أن يُعبد وأن يُكبر، وأن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١﴾ [النمل/ ٦١].

وقد قدر الله لنا فذهبنا إلى جنوب أفريقيا، ورأينا الجبال الشاهقة، ومن أسفل منها البحر العميق، وبالمناظير يستطيع أن يرى الإنسان الحاجز بين البحرين؛ هذا حلو، وهذا مالح، ومن مظاهر قدرته سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٣ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾ [النمل/ ٦٢-٦٤].

هذه النباتات، كل يوم يخلق الله مخلوقات جديدة فيها، ويميت مخلوقات جديدة من عالم النبات والحيوان والإنسان.

فالذي بيده الخلق والأمر هو الذي يفعل هذه الأفعال في ملكه العظيم؛ ليظهر لخلقه قدرته رحمةً بهم، فهو جل جلاله مالك الملك، وله الحمد على الخلق والأمر، والتصريف والتدبير، وله الحمد كثيرًا على إنعامه وإحسانه وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم/ ١٧-١٩].

منكم الأنبياء والرسل، والأبرار والفجار، والمطيع والعاصي، والأبيض والأسود، والذكر والأنثى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم/ ٢٠-٢١].

هذه المخلوقات العظيمة بقدرة الله ﷻ، دالة على عظمته، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه.

ومن آياته الدالة على كمال قدرته وعلمه ورحمته: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم: ٢٢ – ٢٥].

هو الملك الذي له الملك كله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

فهذه آثار قدرته جل جلاله بيَّنها في ملكه العظيم، وملكه المنظور، وبينها في كتابه المسطور، فالحمد لله رب العالمين أن مَنَّ علينا بهذه المجالس الإيمانية؛ لنتعرف على ربنا، وعلى أسمائه وصفاته، ليزداد إيماننا وتصلح أقوالنا، وتصلح أعمالنا.

فالله ﷻ في القرآن العظيم بيَّن هذه الأمور؛ حتى يمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان، وبيَّن لنا قدرته في خلق المخلوقات لنعرف الخالق من المخلوق، ونعرف من يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة/ ٦٣-٧٤].

فما أعظم النظر والتدبر في آثار قدرة الله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ/ ٦-١٧].

ومن كانت هذه قدرته، وهذه أفعاله هو الذي يستحق العبادة وحده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

الله هو القادر الأعلى، والمخلوق هو القادر الأدنى، وكل قدرةٍ في الأدنى فهي من الأعلى، والله أقدرني فقدرت، لو رفع عني أمر القدرة لظللت عاجزًا لا أستطيع أن أرى، ولا أسمع، ولا أتحرك.

فالله ﷻهو القادر الذي وهب القدرة لكل قادر، والقدرة نعمة من الله ﷻ، أقدر بها الجماد، والنبات، والحيوان، والملائكة، وغيرها من المخلوقات:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣].

فكيف نتعبد لله بهذا الاسم العظيم؟ فأنا عبد القادر، وعبد القدير، وعبد المقتدر،فكيف نتعبد لله ﷻ بهذا الاسم؟ وكيف نستعمل هذه القدرة في طاعة الله، فيما يحبه الله ﷻ ويرضاه؟ الله ﷻ أخبر عن نفسه أن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى فقال:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه/ ٨].

والإنسان إذا عرف ربه باسمه القادر والقدير والمقتدر؛ آمن به، وأحبه، وكبره، واستعان به، وتوكل عليه، ورضي بقضائه وقدره، ولجأ إليه في قضاء الحوائج، وتفريج الكروب، وأخلص العبادة له؛ لما يرى من كمال قدرته، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن/ ١٣].

وقال النبي ﷺ لابن عباس: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»أخرجه الترمذي(١).

ومن عرف الله ﷻ بكمال القدرة؛ كبره، وأجله، وتصاغر لكبريائه، وتواضع لعباده، وابتعد عن ظلم الخلق، واستعمل قدرته فيما ينفع نفسه وينفع غيره:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج/ ٧٧].

بالقدرة التي أعطاني الله أتعبد لله ﷻ، فأقوم بين يديه بالعبادة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ ﴾ [المزمل: ١ – ٢].

وأقوم بين يدي خلقه بالدعوة إلى الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ ﴾ [المدثر/ ٣].

واستعمل القدرة في العمل الصالح وفي التواصي بالحق، والتواصي بالصبر: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ١ – ٣] آمنوا وعملوا الصالحات جهد على النفس، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر جهد على الغير، جهدٌ على الغير بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

وقال ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**» أخرجه مسلم(١).

ومن عرف القادر على كل شيء منع نفسه من ظلم العباد، والعدوان عليهم.

فالمؤمن إذا دعته قدرته إلى ظلم غيره تذكر قدرة الله عليه، تذكر قدرة القادر على كل شيء، ومن ذكر ربه أطاعه ولم يعصه؛ ولهذا أُمرنا بإكثار الذكر لله، لأن من ذكر الله أطاعه، ولم يعصه، وأحبه، وقدره، وعظمه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢].

ومن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، والمؤمن إذا عرف ربه باسمه القادر قويت عزيمته، واستعدت إرادته بالحرص على فعل أعمال الخير وطلبها، والمنافسة فيها، والمسارعة إليها، والبعد عن الشر، والهرب منه: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٦).

﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

فمن عرف القادر جل جلاله استعمل القدرة التي أعطاها الله ﷻ للمسابقة والمسارعة إلى الخيرات؛لينال عند القادر مقامًا كريمًا:﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾[الحديد: ٢١].

قال النبي ﷺ:«**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ؛ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» أخرجه مسلم[1].

ومن عرف ربه باسمه الحكيم الرحيم؛ سلم من أمراض القلوب، والحسد، والحقد، والغش، والكذب؛ لإيمانه أن الأمور كلها بتقدير الله ﷻ، وأنه سبحانه هو الذي أعطى العباد، وقسم بينهم أرزاقهم، وأوصلها إليهم:﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾[هود: ٥٦].

﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾[هود/ ٦].

﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾[الزخرف: ٣٢].

والمؤمن إذا عرف ربه باسمه القادر؛ تعبد له بحسن رجائه، ودوام سؤاله، والإكثار من دعائه، والطمع في إنعامه وإحسانه، فالخيرات كلها بيده، ومفتاحها الدعاء الذي أمرنا الله ﷻ به:﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر: ٦٥].

وما أمرنا الله بالدعاء إلا لأنه سوف يستجيب لنا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾[غافر/ ٦٠].

فادع الله وحده، وابشر بالإجابة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

﴿ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

والمؤمن إذا عرف ربه باسمه القادر القدير المقتدر؛ وثق في رحمته، وحكمته، ولطفه، ودفع اليأس والهلع والقنوط، خاصةً عند المصائب والكوارث، وتسلط الأعداء.

الله قادرٌ على كل شيء، قادرٌ على رفع المصائب، وعلى قصم الجبارين، وإهلاك الظلمة، وتدمير البغاة والطغاة، والله ينتقم بالظالم الكبير من الظالم الصغير، ثم ينتقم من الظالم الكبير، فالطغاة والمجرمون عصي بيد الله ينتقم بها، ثم ينتقم منها،فالكل في قبضته، وتحت قهره: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحج/ ٤٠].

ومن أصر على كفره وظلمه بعد دعوته أخذه القادر أخذ عزيز مقتدر: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٠﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود: ١٠٢].

وأنت أيها العبد إذا ظلمك أحدٌ من الناس فذكره بربه القادر على كل شيء، وقل له: أسألك بالذي أنت بين يديه أذلُّ مني بين يدك، إلا كففت عني الإساءة.

وأسألك بالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي إلا رفعت ظلمك عني: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣﴾ [الحشر: ٢٣].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

وإيمان العبد بربه القادر على كل شيء يقتضي الإيمان بالقدر خيره وشره، الذي هو أحد أركان الإيمان الستة، التي هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والتي عليها مدار الفلاح في الدنيا والآخرة.

والفلاح هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب، الفوز بالجنة، والنجاة من النار: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ

﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾
[المؤمنون: ١ – ١١].

والإيمان بالقدر الذي هو القدرة المطلقة، والتقدير الشامل، من أجل صفات أهل العلم: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

من هم؟ الذين يقولون: إن الله على كل شيءٍ قدير، فيعلمون أن الله لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

فيا عبد القدير، ويا عبد القادر، الله أقدر منك، فاستعمل ما أعطاك الله من قدرة في عبادة ربك، والدعوة إلى دينه، وتعليم شرعه، والجهاد في سبيله، والإحسان إلى خلقه، فإن الله سائلك عنها: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٦٤].

استعملوا الطاقة في عبادة الحق، واستعملوا الطاقة في الدعوة إلى الحق بين الناس.

والإنسان إذا رأى قدرة الله أمامه شعر بالعجز أمامه، وإذا رأى قدرة نفسه ظلم غيره، وإذا جهل قدرة لله استهان بأوامره؛ لهذا لابد من معرفة الله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

ومن عرف القدير اعتز به، واستعان به، وتوكل عليه، ومن عرف القدير سبحانه عرف ضعف نفسه وعجزه، واستصغر لكبريائه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

ومن عرف أن ربه قادر على كل شيء آمن به، واطمأن إليه، وسأله كل ما يحتاج، فهو

القادر الذي يشفيك إذا مرضت، ويُغنيك إذا افتقرت، ويؤمنك إذا خفت، ويهديك إذا ضللت، ويعينك إذا عجزت، ويُعلمك إذا جهلت: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى/ ٦-١١].

والله سبحانه أعطى الإنسان قدرة ناقصة ليقف بباب القادر الرحمن الرحيم، يقف بباب القادر على كل شيء في كل ما يحتاجه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

فالله ﷻ أفقرنا إليه؛ حتى لا نتوجه إلى غيره في أي حاجةٍ من الحاجات، في أي شأنٍ من الشؤون، فكيف نتصف بهذه الصفة، أو نستعمل هذه الملكة، وهذه الطاقة، وهذه القدرة التي أعطانا الله ﷻ قدرة في الفكر، قدرة في التصور، قدرة في العمل، قدرة في العلم، هذه القدرات التي أقدرنا الله ﷻ عليها كيف نستعملها لنشر الحق، والعمل بالحق، والدعوة إلى الحق؟: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [الحج: ٧٨].

فربنا هو الملك الذي بيده الملك والملكوت، وهو القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، الذي له ملك كل شيء: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٨٩﴾ [آل عمران/ ١٨٩].

العرش شيء، والكرسي شيء، والسموات شيء، والملائكة شيء، والنجوم شيء، والشمس شيء، والقمر شيء، والفضاء شيء، والأرض شيء، والإنس شيء، والله خالق كل شيء، وقادر على كل شيء، فأنا عبدٌ من عبيده، أقدرني الله ﷻ، وأعطاني هذه القدرة، لأستعملها في طاعته، وفي التعبد له، وفي دعوة عباده إلى دينه، والإحسان إلى خلقه.

فإذا علم العبد هذه الأمور؛ فعليه أن يُحب ربه العظيم، ويعظمه بتعظيم ذاته وأسمائه وصفاته، وجميل إنعامه وإحسانه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ

شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢].
وعليك أيها العبد أن تخافه، وتخاف عذابه، فإنه قديرٌ على أنواع العذاب والعقوبات من كل وجه، فعنده عذابٌ أليم، وعذابٌ شديد، وعذابٌ كبير، وعذابٌ مهين.
فعلينا أن نخافه، ونخاف عذابه؛لأنه قديرٌ قادرٌ على إيقاع أنواع العذاب والعقوبات بكل وجه فيمن عصاه، كما أهلك من عاداه وكذب رسله من الأمم السابقة بأنواع العذاب مِن الخسف، والتدمير، والإغراق، والإحراق، والزلازل، والصواعق، وغير ذلك من أنواع العقوبات:﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[هود: ١٠٢].
واحذر يا عبد القادر من الذنوب والمعاصي التي تغضب ربك؛ فإنه يراك وأنت لا تراه، وهو أقرب إليك من نفسك، وهو إن أمهلك لتتوب؛ فإنه لا يهملك:﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾﴾[البقرة/ ٢٣٥].
ولا تيأس يا عبد القادر من رحمة ربك أبدًا، وارجُه رجاء من يعلم أنه قادرٌ على تحقيق كل مرغوب، وإعطاء كل محبوب، وقضاء كل حاجة، وكشف كل كربة:﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر/ ٥٣].
واعلم بأن علم العبد بأسماء الله وصفاته، وعلمه بأن ربه هو القادر الذي لا يعجزه شيء يقوي في قلبه الاستعانة بالله، وصدق الالتجاء إليه، ودوام التوكل عليه:﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾[الطلاق: ٢-٣].
وإذا علم العبد أن كل محبوبٍ ومكروه بقدرٍ من القادر العليم الحكيم سَلَّم قلبه وقالبه لربه، وسَلِم قلبه من أمراض القلوب، وامتلأ بالإيمان، وانشرح للحمد على النعمة، والصبر على البلية:﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[الأنعام: ١٧-١٨].
ومعرفة القدير الرحيم سبحانه تكمل للعبد عبودية الصبر، وحسن الرضا عن الله، وصدق التوكل عليه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

ومن ملأ قلبه بالرضا بالقدر؛ ملأ الله صدره غنًى وأمنًا وطمأنينة، وفرغ قلبه لمحبته، وذكره، وشكره، وحسن عبادته: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر/ ٩].

ومن عرف الله استأنس به، واستوحش من غيره، فكن لله يكن لك، وأحسن إلى خلقه كما أحسن الله إليك، واستعمل ما أقدرك الله عليه فيما يُحبه ويرضاه؛ يسرك يوم تلقاه بما تحبه وترضاه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

والأمور كلها بيد القادر المقتدر، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، فأطعه وأرضه بحسن عبادته، وأحسن رجاءك له، وداوم على سؤاله وحده، وأكثر من دعاء ربك الملك القادر الذي بيده مفاتيح الأمور ومقاليد الأمور؛ يغنيك، ويرضِيك، ويسترضِيك: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وإذا قدرت على من دونك من الخلق؛ فاعلم أن القادر سبحانه هو الذي أقدرك عليه؛ لينظر بأي المحاسن تصل إليه، ليكتب لك ثواب الإحسان إليه: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور/ ٢٢].

وإذا أقدرك الله على العلم فاعمل به، وعلمه، وإذا أقدرك الله على العمل الصالح فأكثر منه وأحسنه لربك، فالله ﷻ عبادته في مقام الإحسان هي أعلى أنواع العبادة، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وإذا أقدرك الله على المال فاعلم أن لك منزلة عنده لن تصل إليها إلا بالإنفاق من هذا المال، وإذا أقدرك على المال فأنفقه فيما يحبه الله ويرضاه، وينفع عباده؛ من الصدقة على الفقراء والمساكين، والإنفاق على طلبة العلم، وغير ذلك من المنافع التي ينتفع بها

الخلق: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦].

وإذا أقدرك الله على حسن الأخلاق؛ فخالق الناس بخلقٍ حسن؛ تفُزْ بالجنة والرضوان: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد/ ٢١].

وإذا أردت عظيم الأجر فصِل من قطعك، وأعط من حرمك، واعفُ عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، فلا أحد أصبر على الأذى من الله، يرمونه بالصاحبة والولد، وهو يعافيهم ويرزقهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

وإذا أردت عظيم الأجر والثواب؛ فأحسن معاشرة الناس، وأحسن إليهم، واصبر على أذاهم؛ لأنك عرفت ما لم يعرفوا، واصبر على كل ذلك ابتغاء مرضاة الله؛ تَنَلْ ثوابًا وأجرًا عظيمًا: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٤].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم/ ٨].

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزمر/ ٤٦].

اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، يا قوي يا قادر، يا عزيز.

اللهم يا من له العزة والجبروت، وله الملك والملكوت، يا عالمًا بكل شيء، يا محيطًا بكل شيء، يا قديرًا على كل شيء، نسألك الجنة وما قرب إليها من قولٍ وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قولٍ أو عمل، يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت،نستغفرك ونتوب إليك.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

## إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# اســــم الله

# اللطيف

# اسم الله اللطيف

الله ﷻ هو الرب الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

الله ﷻ هو اللطيف الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك بلطفه البواطن والخبايا، اللطيف الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس/ ٦١].

فسبحان من وسع سمعه الأصوات، ووسع بصره المرئيات، ووسع علمه كل شيء خلقه.

هو سبحانه اللطيف البر بخلقه، الرفيق بهم، العليم بخفايا حوائج العالمين، البصير بأسرارهم الذي يوصل إلى خلقه إحسانه وألطافه من حيث لا يعلمون، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ [الشورى/ ١٩].

هو اللطيف القادر على إيصال الرزق إلى كل مخلوق في البر والبحر والجو.

وهو سبحانه اللطيف الرحيم بعباده وأوليائه، الذي يسوق إليهم أنواع البر والإحسان من حيث لا يشعرون، ويعصمهم من أنواع الشر الخفي بلطفه، ويرقيهم لأعلى المراتب بأسباب لا تخطر على بالهم، حتى إنه يذيقهم الآلام والمكاره، ليوصلهم بها إلى المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف/ ١٠٠].

فسبحان الكريم اللطيف بعباده، الحفي بهم، الموصل إليهم أرزاقهم من حيث يعلمون، ومن حيث لا يعلمون: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

هو اللطيف الذي يوصل إلى من شاء من خلقه ما لم يكن يؤمله من عزيز النصر، وكريم الظفر، ويرزق من يشاء ما لم يكدح فيه، ولا فكَّر فيه: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى/ ١٩].

هو اللطيف العالم بدقائق الأمور، وخفايا السرائر، وغوامض الحقائق، وعوالم الغيب.

هو اللطيف البر بعباده، الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويهيئ لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠]

هو سبحانه اللطيف العليم بكل شيء مهما دق وخفي، اللطيف الذي ينقل عبده من حال إلى حال لمصلحته بلطف عجيب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آلعمران/ ٥-٦].

هو سبحانه اللطيف المنعم بكل خير، المعطي لكل فضل، أعطى عباده فوق الكفاية، وكلفهم دون الطاقة، وضاعف لهم أجر الحسنة: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤]

هو اللطيف الرحيم، الذي يسَّر كل عسير، وفرج كل كرب، وجبر كل كسير، وأغنى كل فقير، هو اللطيف الكريم الذي أعطى فأغنى، وأنعم فأجزل، وقدر فعفا، وولي فستر: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى/ ٦-٨].

هو اللطيف الذي هدانا للإسلام، ووفقنا للعمل الصالح في البداية، وختمه بالقبول في النهاية، وأجزل الأجر في دار المقامة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف/ ١٠٧-١٠٨].

هو سبحانه اللطيف العليم بكل شيء، اللطيف الخبير الذي لا يعزب عن علمه شيء وإن دق وصغر وخفي، حتى الخردلة التي لا وزن لها يراها اللطيف في الظلمات، ويسمع تسبيحها من بين الكائنات، ويأتِ بها من بين المخلوقات: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ

حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان/ ١٦].

لطيف لا يخفى عليه شيء، وإن دق وصغر، خبير بجميع مخلوقاته، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ذرات الرمال، لطيف لا يخفى عليه شيء في ملكه وملكوته، وجميع مخلوقاته بين يديه أصغر من الخردلة، لأنه هو الكبير المتعال المحيط بجميع مخلوقاته علماً ورؤية وقدرة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

هو سبحانه اللطيف في إتقان الصنع، وتركيب دقائق الصنعة، وما دون ذلك من خفايا المخلوقات، وأسرار المصنوعات: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل/ ٨٨].

هو سبحانه اللطيف بعباده، كثير اللطف بهم، بالغ الرأفة بهم، لا يفوته من أعمالهم شيء، ولا يظلم أحدًا مثقال ذرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠].

بل هو اللطيف الكريم الذي يزيد أجور الصالحين بفضله وكرمه، ويعفو عن سيئات المذنبين بلطفه وعفوه، ويعذب من يشاء من المذنبين بعدله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

هو سبحانه اللطيف الذي لا أحد ألطف منه، اللطيف الذي يملك خزائن اللطف، اللطيف الذي كل لطف في العالم من آثار لطفه، اللطيف الذي وهب اللطف لكل لطيفٍ فلطَف: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١]

خزائن الجماد بيده، خزائن النبات بيده، خزائن الحيوان بيده، خزائن الملائكة بيده، خزائن البشر بيده، خزائن الذهب بيده، خزائن المياه بيده، خزائن الهواء بيده، خزائن المعادن بيده، كل شيء خزائنه عند الله ﷻ.

هو سبحانه اللطيف الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

هو سبحانه اللطيف الذي لطَف بعباده في جميع مصالحهم في الدنيا والآخرة.

واسم الله اللطيف ورد في القرآن الكريم سبع مرات، منها قوله سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٤].

واسم الله اللطيف اسم فاعل من لطَف يلطف بمعنى البر والإكرام والحفاوة، وإن كان من لطُف بالضم فهو صفة مشبهة بمعنى دق وخفي، فهو يعلم كل شيء خفي، والله سبحانه أبْيَن من كل بيِّن، فهو الحق المبين، وهو الظاهر، ولكنه لطيف لا تراه العيون، ولا تدركه الظنون، ولا تخيَّله الأوهام: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣]

واسم الله اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الخفية والدقيقة، وإيصاله الخير والرحمة بالطرق الخفية: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف/ ١٠٠].

وقد اقترن اسم الله الخبير مع اسم الله اللطيف خمس مرات في القرآن، منها قوله سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

وسر ذلك والله أعلم أن لطف اللطيف وإحسانه وبره إنما دق على عقول وأفهام البشر؛ لأنه جارٍ على مقتضى خبرته التي هي فوق إدراك عقول البشر، فهو سبحانه اللطيف الذي لطف صنعه ودق حتى عجزت عنه الأفهام، الخبير الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وظواهرها، وهو المحيط بكل محيط، ولا يحيط به محيط.

فسبحان اللطيف العليم الخبير بدقائق الأمور وخفاياها وأسرارها، اللطيف الذي يوصل البركات والرحمات بالطرق الخفية: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان/ ١٦].

وجميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي مماليكه وعبيده، تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته، وتخضع لأمره، وتستجيب لمشيئته، وتسرع إلى إرادته: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩ - ٥٠].

هو سبحانه اللطيف الرحيم بعباده، الكريم الذي أعطاهم فوق الكفاية، الرحيم الذي

كلَّفهم برحمته ولطفه دون الطاقة، اللطيف الذي سهل لهم أبواب العلم والعمل الصالح الذي يوصلهم إلى السعادة في الدنيا والآخرة، فأكمل لهم الدين، وأتم عليهم النعمة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة/ ٣].

فكل نعمة من اللطيف بعباده الرحيم بهم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل/ ٥٣].

والله سبحانه بكمال لطفه لعباده لا يترك أحدًا منهم بلا رزق؛ لأنه الغني القوي العزيز، الغني الذي لا تنقص خزائنه مثقال ذرة مع كثرة الإنفاق، القوي الذي يوصل الأرزاق إلى المخاليق بالطرق الخفية والجلية، العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء، الذي لا يعجزه شيء، المنيع القاهر لكل أحد، الغني الذي لا ينتفع من عبادة العباد ولا شكرهم له: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات/ ٥٦-٥٨].

هو سبحانه الغني الذي يُطعِم ولا يُطعَم، وما سواه يرزق ويُطعَم من ربه ﷻ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾[الأنعام: ١٤].

هو سبحانه اللطيف الرفيق الذي يوصل إلى عباده الخيرات والمنافع، ويدفع عنهم الشرور والمضار، فنحن تحت رقابة الله حفظًا وعنايةً وتدبيرا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾[الشورى/ ١٩].

هو سبحانه اللطيف الذي لطف عن أن يُدرَك: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام/ ١٠٣].

هو اللطيف الذي لَطُفَ عن أن يُدرَك بالكيفية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى/ ١١]

هو اللطيف الذي لا يُدرَك ولا يُحاط به علمًا في الدنيا والآخرة؛ لعظمة جلاله وكبريائه ولطفه، فلا يُرى في الدنيا؛ لطفًا وحكمة، ويُرى في الآخرة؛ إكرامًا وتفضلًا ومنة على أوليائه وعباده المؤمنين.

والرؤية تختلف عن الإدراك، فقد أرى الشيء لكن لا أحيط به ولا أدركه من كل الجهات، فالمؤمنون يوم القيامة يرون ربهم، ولكن لا يحيطون به؛ لأن المحاط مقدور عليه، والله قادر غير مقدور عليه:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٣].

ومن كل هذا نفهم عظمة أسماء الله وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه؛ فتمتلئ القلوب بالإيمان، وتعلم أن السميع يسمع كل من تكلم أو لم يتكلم، والبصير يرى جميع مخلوقاته، والخبير يعلم بما في الضمائر؛ فنحبه، ونرجوه، ونخافه، وندعوه رغبًا ورهبًا؛ لأن القلب استحضر عظمة الله، وعظمة أسمائه وصفاته، وتعبد لله بهذه الأسماء، ورأى مظاهر وأثر رحمة الله ولطفه في الكون:﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس/ ١٠١].

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦-٨].

فهذا غذاء القلوب، أن تتغذى بمعرفة الله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده، هذه مغذيات القلوب، كما أن النباتات واللحوم غذاء للأبدان، والعلوم والمعارف غذاء للعقول، كذلك معرفة الله أجل العلوم؛ ولهذا أمر الله ﷻ بمعرفته ومعرفة أسمائه وصفاته:﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٨].

وإذا عرفتموه؛ أحببتموه، وعظمتموه، وكبرتموه وأطعتم أمره، واجتنبتم نهيه.

ومن جلال لطفه سبحانه: خلق هذه المخلوقات العلوية والسفلية في ملكه العظيم:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق/ ١٢].

الله ﷻخلق هذه المخلوقات العظيمة؛ لتدل على كمال قدرته، وكمال حكمته، وعظمة ملكه وسلطانه، ومن هذه المخلوقات العظيمة التي خلقها الله ﷻفي ملكه العظيم خلْق السماوات والأرض، خلق العرش والكرسي، خلق ما في السماوات من الملائكة، وخلق

من في الأرض من مخلوقات لا يحصيها إلا هو، من عالم الجماد والنبات والحيوان والإنسان والجان، وغيرها من المخلوقات التي لا يحصيها إلا هو جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام/ ٩٥].

ومن مظاهر لطفه: فالق الإصباح، هذا الصباح الذي يأتي بعد الظلمة الشديدة: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام/ ٩٦].

ومن مظاهر لطفه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام/ ٩٧].

ومن آثار لطفه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام/ ٩٨].

الآن يولد في العالم أكثر من خمسمائة مولود من البشر تقريباً، ويموت مثل هؤلاء تقريبًا، فكم يوجد من المخلوقات الأخرى التي تولد كل يوم، وتموت كل يوم؟!

هو الحي جل جلاله الذي يحيي ويميت، ويفعل في ملكه ما يشاء بلطفه وحكمته: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المؤمنون: ٨٠].

ومن مظاهر لطفه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام/ ٩٩].

ومن هذه أفعاله، وهذه صفاته، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وهو جل جلاله اللطيف في خلقه وأمره وتدبيره جل جلاله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ

مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾[الأنعام/ ١٤١].

ومن آثار لطفه:﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢﴾[الأنعام/ ١٤٢].

هو سبحانه الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة الدالة على كمال قدرته، وكمال عظمته جل جلاله، لنعرف ذلك، ثم نتوجه إليه ونعبده، ونمتثل أمره، ونقف بين يديه خاشعين متذللين لعظمة جلاله، وعزة كبريائه:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾[يونس: ٣].

هو جل جلاله الذي أظهر لطفه في خلق الإنسان:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾[الحج: ٥].

ثم انظر لتعرف لطف اللطيف في خلق هذا المخلوق في الظلمات، وأن الأرض تشبه هذا الرحم للأم، الأرض رحم كبير، ولها مواليد كثيرة من النباتات:﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾[الحج/ ٥].

وذلك لنعرف خمس مسائل:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾[الحج: ٦ - ٧].

ومن آثار لطف اللطيف في ملكه وملكوته:﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩﴾[الروم: ١٩].

ومن آثار لطفه في خلق البشر:﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠﴾[الروم/ ٢٠].

ومن آثار لطفه:﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾[الروم/ ٢١]

فيعرفون الخالق من المخلوق، والرازق من المرزوق، والملك من العبد، فيمتثلون أوامر ربهم، ويقفون بين يديه ركعًا وسجدًا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

ومن مظاهر لطفه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم/ ٢٢].

ومن مظاهر لطفه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الروم/ ٢٣]

ومن مظاهر لطفه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٥-٢٧].

فهذه آثار لطف الله ﷻ في ملكه وملكوته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم/ ٤٠].

فالقلب إذا عرف هذه الحقائق؛ آمن بربه وأحبه، وتوجه إليه في جميع حوائجه؛ لأنه الصمد الذي تصمد إليه الخلائق في جميع حوائجها: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

فسبحان الله! ما أعظم لطفه في خلق هذا الإنسان في الظلمات!: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ [يس/ ٧٧].

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق/ ٥-٨].

ومن جلال لطفه سبحانه: إخراج اللبن الخالص السائغ للشرب طعمًا وحلاوة، من بين فرث ودم في باطن الحيوان، فهذا من جلال لطف الرب ﷻ أن أخرج هذا اللبن

الخالص السائغ الأبيض، طيب الطعم وطيب الحلاوة، من بين فرث ودم في باطن الحيوان الذي يرُمُّ من كل شيء: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل/ ٦٦].

ومن جلال لطفه إخراج العسل الشهي من بطون النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل: ٦٩].

ومن جلال لطفه عَزَّ وَجَلَّ هذا الهواء اللطيف الذي نحس به، ولا نرى شخصه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ﴾ [الأعراف/ ٥٧].

فهو هواء لطيف، لم يجعله الله شديدًا يقتلع الأشجار والبيوت والأشياء، ولم يجعله معدومًا فينخنق الإنسان والحيوان ويموت.

وهو اللطيف الذي خلق من مخلوقاته في باطن البحار من يعيش في الماء، وخلق من مخلوقاته من يعيش في بحر الهواء، فهما بحران، بحر الماء يعيش فيه السمك، وبحر الهواء يعيش فيه الإنسان والحيوان: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

ومن جلال لطفه جَلَّ جَلَالُهُ هذه العيون التي خلقها لنا، هذه العيون التي نبصر بها الأشياء، وهذه الآذان التي نسمع بها الأصوات، وهذا اللسان الذي نتكلم به بما نشاء، وهذا القلب الذي يدبر هذا البدن بما شاء: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**» متفق عليه(١).

والقلوب محل نظر الله، لأنها محل النيات.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» أخرجه مسلم(٢).

ومن جلال لطفه جَلَّ جَلَالُهُ: هذه الأرض التي تستقبل ماء السماء؛ فتنبت من كل زوج بهيج: ﴿تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾[فصلت/ ٣٩]

واللطيف من صفات الذات؛ لأنه الذي لَطُفَ عن أن يُدرَك بالبصر والكيفية:﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام: ١٠٣].

الله ﷻهو اللطيف الذي لَطُفَ عن أن يُدرَك بالكيفية، لا يدركه أحد، العليم بدقائق المخلوقات والأمور وأسرارها وغوامضها، فهو عليم بجميع مخلوقاته، هو الذي خلقهم وهو العليم بهم ظاهرًا وباطنًا:﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾[الملك/ ١٣-١٤].

واللطيف كذلك من صفات الأفعال؛ لأنه اللطيف الموصل إلى عباده أنواع البر والإحسان والإنعام والإكرام، في كل مكان، وفي كل زمان، بألطف الوجوه، وهذا متعلق بمشيئته وإرادته المقترنة بحكمته، وحكمته المطلقة مقترنة بالخير المطلق.

فالأول متعلق بذاته، فهو ﷻ اللطيف الذي لَطُف عن أن يُدرَك بالكيفيات، نراه بالبصائر لا بالأبصار، ونراه يوم القيامة بالبصائر والأبصار، ولكن ذلك خاص بالمؤمنين:﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾[القيامة/ ٢٢-٢٣].

والثاني متعلق بمشيئته وإرادته، والأول متعلق بذاته لا ينفك عنه:﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾[الشورى/ ١٩].

هو سبحانه اللطيف الذي خلق ورزق، وولي فستر، وأعطى فأغنى، وأنعم فأجزل، وعلم فأجمل، فلا يخفى عليه شيء،:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

ومن رحمة اللطيف بعباده أنهم لا يرونه في الدنيا، ولو رأوه في الدنيا لبطلت الحكمة، وتعطلت معاني العدل، وتعطلت معاني الشريعة بالأمر والنهي، لأن من رأى الله بعظمته وجلاله وكبريائه؛ فلن يعصيه أبدًا، ولكن الله ﷻ مِن رحمته بعباده أنهم لا يرونه في الدنيا، بل يراه المؤمنون في الآخرة؛ إكرامًا لهم.

أما في الدنيا فاقتضت حكمته أن لا يروه، ومن كان بحضرة السلطان من المخلوقين فإنه لا يعصيه، فكيف بملك الملوك ﷻ؟! فلو رآه الناس في الدنيا لبطلت الحكمة من

التكليف بالأمر والنهي.

وأنى لأبصار البشر أن تثبت لرؤية الجبار ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٤٣].

فموسى صُعِق لما نظر إلى المتجلَّى عليه وهو الجبل، فكيف لو رأى الله ﷻ؟.

فالله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

أما في الآخرة فالمؤمنون يرونه، ففي الدنيا لا رؤية ولا إدراك، وفي الآخرة رؤية بلا إدراك: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

فسبحان الله! ما ألطف تدبيره، وما أعظم قدرته، وما ألطف صنعه في خلق مخلوقاته العلوية والسفلية، الكبيرة والصغيرة، السائلة والجامدة! وما ألطف أمره! وما ألطف كلامه! وما ألطف فعله!.

فهذه أربعة أمور أظهر الله فيها لطفه بعباده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ننظر إلى لطفه في خلق السماء والملائكة، والأرض، والجماد، والنبات، والتدبير والتغيير، وتقليب الليل والنهار، وخلق الإنسان والحيوان، الله أظهر لطفه في مخلوقاته.

وما ألطف أمره الكوني القدري، وأمره الشرعي، وأمره الجزائي! فهو لطيف ﷻ في خلقه وأمره وتدبيره: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وما ألطف كلامه! فإنه يتودد إلى عباده وهو الغني عنهم، ويتقرب إليهم، ويعدهم بالثواب العظيم على العمل القليل، ويكلفهم بما يطيقون، ويعفو عن السيئات، ويغفر الذنوب، ويكشف السوء ﷻ، فهو لطيف في خلقه، وفي أمره الكوني، وفي أمره الشرعي، في التكليف بما لنا فيه طاقة، وعدم التكليف بما لا طاقة لنا به: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وهو اللطيف في أفعاله ﷻ: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

[النور/ ٤٤].

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٦].

فسبحان اللطيف الذي حجب خلقه عن رؤيته بكمال نوره.

قال النبي ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ؛ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» أخرجه مسلم[1].

فنعم الله ﷻ علينا كلها لطف في الخلق والأمر، والأوامر، والنواهي، والفرائض والسنن، والعزائم والرخص، كلها لطف من الله اللطيف بعباده: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

واسم الله اللطيف ورد مطلقًا كقوله سبحانه: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك/ ١٤].

وورد مقيدًا كقوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾ [الشورى: ١٩].

وورد معرفا بأل كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك/ ١٤].

وورد مجردًا من أل في قوله: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى/ ١٩].

واسم الله اللطيف اسم دال على ذات الله اسمًا، ودال على وصف الله باللطف كغيره من أسماء الله الحسنى، فالله اسمه اللطيف، وهذا الاسم دال على وصف الله باللطف.

وهو اللطيف بعباده، اللطيف الذي لا يخفى عليه شيء، يعلم الصغير والكبير، والسر والجهر، فكل اسم من أسماء الله الحسنى لا بد أن يكون دالًّا على وصف الله بالكمال مع دلالته على الذات، والوصف لا يقوم إلا بذات، الرحمة لا تقوم إلا بذات، والقوة لا تقوم إلا بذات.

فلا إله إلا الله! ما أعظم لطفه وعلمه وقدرته! وما أعظم لطفه بعباده، وما أعظم إحسانه إليهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ۝٦١ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾[الحج: ٦١ – ٦٢].

وأسماء الله الحسنى وصفاته العلى لها تعلق بالتدبير الكوني، وتعلق بالتدبير الشرعي، ولولا هذا التعلق لفسدت الحياة، وانتهى العالم:﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ۝٢٣﴾[الأنبياء: ٢٢ – ٢٣].

الله ﷻ هو الحي الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وهو اللطيف الذي يدبر هذا الكون بموجب أسمائه الحسنى، وصفاته العلى.

فسبحان الذي يدبر أمر العالم بأوامره الكونية، وأوامره الشرعية،بأنواع الألطاف والإحسان والأحكام:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٠٣﴾[الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فتدبير الله ﷻ لهذا الكون بموجب أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة.

هذا الكون لا يصلح إلا بتدبير إله واحد، وخلق إله واحد، وطاعة وعبادة إله واحد: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾[يونس: ٣].

ربنا ﷻ يثني على نفسه بأنه الواحد الأحد الذي خلق هذه المخلوقات، وأن له الخلق وحده، وله الأمر وحده، وله التصريف والتدبير والملك وحده لا شريك له:﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾[الأعراف/ ٥٤].

هو اللطيف ﷻ الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض بقوته وقدرته،﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤١﴾[فاطر/ ٤١].

هو اللطيف القادر:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ۝٢٥﴾[الروم: ٢٥].

هو اللطيف المحسن إلى عباده:﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى

ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾[إبراهيم/ ١].

فسبحان الله! ما أعظم لطف الله بالإنسان في خلقه في أحسن تقويم، وسوق رزقه إليه، وتقليب أحواله لمصلحته، وتيسير حصوله على العلم والرزق والهداية!: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾[الجاثية/ ٣٧].

ما أعظم لطف الله ببني آدم: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾[الإسراء/ ٧٠].

فما أعظم آثار لطف اللطيف في الملك والملكوت!، في التدبير والتصريف.

فسبحان من لَطَفَ بك أيها العبد لأجلك، فإن رأيت لطفًا من البشر بك؛ فاعلم أنه لأجلهم، ولأجل مصالحهم لا لأجلك: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾[العنكبوت/ ٦].

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النحل: ٥٣].

**﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾**
[آلعمران/ ١٦٤].

هو سبحانه اللطيف الذي عم بلطفه وألطافه جميع الخلق، الله لطيف بالعباد في خلقهم، لطيف في تدبيره لأحوالهم ومصالحهم، لطيف في سوق أرزاقهم إليهم؛ لأنه القوي الذي يوصل الأرزاق إلى من شاء، حيث شاء، بأي قدر شاء، في أي وقت شاء، فله الحمد والشكر على إحسانه ولطفه بعباده، حيث خلقهم في أحسن تقويم، وهداهم إلى الدين القويم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ٣﴾[المائدة/ ٣].

ومن لطف اللطيف بخلقه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ٦٣﴾[الحج/ ٦٣].

إن هذه الأرض مائدة للإنسان والحيوان، خلق الله عليها من أصناف النعم من نباتات وحيوانات ومعادن كلها مسخرة للإنسان.

ومن لطف الله بعباده استجابته لدعائهم، وقبوله أعمالهم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

فالله عز وجل من رحمته فطر الإنسان على الفقر والضعف والعجز؛ ليتوجه إليه في جميع الحوائج، الله يحب أن يُسأل، ويحب أن يُعطي، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة أحب إليه من الانتقام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ٢٥﴾ [الشورى: ٢٥].

ومن لطف الله بعباده أنه يحاسب المؤمنين يوم القيامة حسابًا يسيرًا بلطفه ورحمته: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨﴾ [الانشقاق/ ٨].

ويحاسب الكفار بعدله وحكمته: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ١٢﴾ [الانشقاق: ١٠ - ١٢].

فالله عز وجل يحاسب جميع الخلق يوم القيامة: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦].

هو الذي خلقهم، وأنزل عليهم هذا الدين في الدنيا، وأمرهم بالإيمان به وعبادته، وسيعودون إليه يوم القيامة ويحاسبهم على أعمالهم، خيراً كانت أو شراً: ﴿يَوْمَئِذٖ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتٗا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

ويوم القيامة يوم العدل والإحسان: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

فالله عز وجل يعامل الكافر بعدله، ويعامل المؤمن بإحسانه وكرمه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء/ ٤٠].

- **ولطف الله بعباده نوعان:**

الأول: لطف يتعلق بتوحيد الربوبية: كسوق الأرزاق إلى العباد وإعطائهم ما يصلحهم، ويصلح حياتهم في الدنيا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣)﴾[فاطر: ٣].

الثاني: لطف يتعلق بتوحيد الألوهية: بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، وهداية من أراد الله هدايته، ومن يعلم أنه يزكو على التوحيد والإيمان والتقوى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)﴾[آل عمران: ١٦٤].

فلطف يتعلق بتوحيد الربوبية في العطاء المادي، ولطف يتعلق بتوحيد الألوهية بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وشرع الشرائع، وتحبيب الإيمان والأعمال الصالحة إلى عباده: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)﴾[الحجرات: ٧ – ٨].

ومن لطف الله بعباده أن الأبصار لا تدركه؛ لأن كل مدرَك محاط به، والله لا يحيط به أحد، بل هو المحيط بكل أحد: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾[الأنعام/ ١٠٣].

وإذا أحاطت الأبصار بالله؛ انقلب البصر قادرًا والله مقدورًا عليه، والقادر لذاته لا ينقلب مقدورًا عليه أبدًا، فالله يرانا ونحن لا نراه في الدنيا، لكن نراه في الآخرة؛ تكريمًا لنا، وفضلًا منه سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣)﴾[البقرة: ٢٤٣].

والله سبحانه هو اللطيف الذي لَطُف حتى لا تراه العيون، ولَطُف فخلق كل لطيف دقيق لا نراه، فهو اللطيف الذي خلق الكبير والصغير، والجليل واللطيف.

فسبحان من لَطُف بذاته فلا يُرى، ولَطَف بعباده فأكرمهم بأنواع الرحمة والإحسان، وتدبير أمورهم ومصالحهم بألطافه الخفية في خلقه، والتدبير اللطيف في خلق الماء العذب، وفي خلق الهواء، وفي خلق الإنسان، وفي خلق الحيوان: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠)﴾[يوسف: ١٠٠].

وما أعظم لطف الله بعباده في تسخير جميع المخلوقات لهم!: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

ألا تشكرون هذه النعمة؟ ألا تكبرون الكبير؟ وتحبون الذي خلقكم، وساق أرزاقكم، وأوصلها إليكم، وفتح نفوسكم لتقبلها، وجعلها عونًا لكم على طاعته؟: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

ومن مظاهر لطفه بعباده أنه يستقل كثير النعم على خلقه، ويحب أن يعطي خلقه كل ما يسألون، ولهذا أمرهم بسؤاله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ [غافر/ ٦٠].

فنسأله من خيري الدنيا والآخرة.

هو اللطيف الكريم الذي يدعوهم إلى الشكر، ليزيد لهم النعم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].

فالله ﷻ يستقل كثير النعم على خلقه، يحب أن يعطيهم ما يحبون وما يصلحهم ويصلح أحوالهم، ولكن له الحكمة في قسم الأرزاق عليهم.

وهو سبحانه اللطيف الذي يستكثر قليل الطاعة من خلقه، فيضاعف لهم ثوابها من عشر حسنات، إلى سبعمائة حسنة، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، إلى عطاء بغير حساب: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة/ ٢٦١].

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨].

فعطاء الله مطلق غير محدود، لأنه يحب العطاء؛ فيعطي على العمل القليل الأجر الكثير؛

لكمال رحمته ولطفه بعباده:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر: ١٠].

الحساب عند المخلوق، أما الخالق فيعطي بغير حساب، لكمال غناه وكرمه.

هو اللطيف الكريم الرحيم الذي إذا ناديته وقلت: يا رب، يا الله، لباك فشفاك وأغناك، وإذا قصدته آواك، وإذا استهديته هداك، وإذا سألته أعطاك، فنعم المولى ونعم النصير، يتولاك برعايته، يتولاك في صحة بدنك، وسوق الأرزاق إليك، وهدايتك، وإرسال الرسل إليك:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة: ٢].

فهو سبحانه لطيف كريم، رحمن رحيم، إن ناديته لباك، وإذا قصدته آواك، وإذا أحببته أدناك، وإذا أطعته كافأك، يعطيك على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

وهو اللطيف الذي إذا عصيته عافاك، ولم يقطع رزقه عنك، فهو يطعمك ويسقيك ويؤويك مع أنك تعصيه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة/ ١٤٣].

وإذا أعرضت عنه دعاك، وتودد إليك بالنعم؛ لترجع إليه، وتتوب إليه، مهما عصيته، ومهما خالفت أمره:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر/ ٥٣].

هو اللطيف الذي إذا تقربت منه هداك،«**وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا**» متفق عليه(١).

وإذا جاهدت فيه هداك:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت/ ٦٩].

ربك هو اللطيف الذي يجازيك بأحسن الثواب إن وفَّيت، ويعفو عنك إن قصرت: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾[النساء: ٣١].

الله ﷻ لطيف بعباده، يجازيك بأحسن الثواب إن وفيت:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٥٣٦)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٧٥).

كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف/ ١٠٧].

ويسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

فربنا لطيف يجازي بأحسن الثواب إن وفينا له العبادة، ويعفو عنا إن قصرنا: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

هو سبحانه اللطيف الذي من اعتز به وذل له أعزه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨].

لأن خزائن العزة بيده جل جلاله، فيعز من يشاء، ويذل من يشاء، يعز المؤمنين، ويذل الكافرين، فهو اللطيف الذي من افتخر به وذل له أعزه، ومن افتقر إليه أغناه، ومن استعان به أعانه، ومن استغفره غفر له، ومن دعاه أجابه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فالله عز وجل يحب أن يُسأل، والعطاء أحب إليه من المنع، يعطيك ما يسعدك في الدنيا والآخرة، ويمنع عنك ما يجعلك تبطر النعمة: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: ٢٧].

هو العزيز الذي من استغفره غفر له، وهو الغفور الرحيم الذي من تاب إليه تاب عليه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٥٠].

هو حي بصفات الكمال، من السمع، والبصر، والقوة، والرحمة، والعفو، والحلم، واللطف: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

الحمد لله رب العالمين على كمال ذاته، وأسمائه، وصفاته، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة دينه وشرعه، وعظمة إنعامه وإحسانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٥].

هو اللطيف الذي لا يخفى عليه شيء خلقه، لطيف يعلم النيات والإرادات فضلًا عن الأقوال والأعمال: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

﴿ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

هو سبحانه اللطيف الذي خلق المخلوقات كلها وأحسنها، وأتقن صنعها، وأحاط بها علمًا، اللطيف الذي لَطُفَ علمه وخبره حتى أدرك السرائر والضمائر والخفايا والعيوب: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

فهو رقيب علينا، وشهيد علينا، إكرامًا لنا، ليحفظنا مما يضرنا.

فسبحان ربنا اللطيف الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي وصل بره ولطفه إلى جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، فلا إله إلا الله! وسبحانه ما أعظم لطفه بعباده!.

وسبحان اللطيف بمن لجأ إليه، وتاب إليه من عباده؛ فيقبله، ويُقبِل عليه، ويُنعِم عليه، الذي يُعطي الجزيل، ويقبل القليل، لكمال رحمته ورأفته!: ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧﴾ [النحل/ ٧].

فأقبلوا على عبادته، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، فإنه رؤوف رحيم.

ومن رأفته أن بسط لكم الرزق،وأرسل إليكم الرسل، وأنزل عليكم الكتب، وشرع لكم الشرائع: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولا إله إلا الله اللطيف الخبير الذي يعلم الأشياء الدقيقة، ويوصل رحمته ورزقه إلى الخلائق بالطرق الخفية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣﴾ [فاطر: ٣].

فكل ما يبتلي الله به عباده من المصائب، وما يأمرهم به من المكاره، وما ينهاهم عنه من الشهوات، هي طرق خفية يوصلهم بها اللطيف الخبير إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، في العاجل والآجل: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾[البقرة: ١٥٥ –١٥٧].
كما ابتلى يوسف بالغربة، والجب، والسجن فصبر؛ فأعطاه الله النبوة والعلم والملك، كما قال الله ﷻ عن يوسف: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠ ۞رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾[يوسف/ ١٠٠–١٠١].
وابتلى اللطيف الخبير إبراهيم ﷺ بالنار، وفراق الأهل، وذبح إسماعيل، فصبر وأطاع؛ فجعل ذريته هم الباقين، وجعل منهم أئمة يدعون ويهدون إلى الخير إلى يوم القيامة: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٦﴾[الحديد/ ٢٦].
﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾[الأنبياء: ٧٣].
الله ﷻ لطيف بعباده، إبراهيم ﷺ ضحى بحياته من أجل الله؛ فوهب الله له الحياة، ضحى بحياته، وسلم نفسه، وأُلقي في النار، فالله أمر النار أن تحفظه: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾[الأنبياء/ ٦٩].
وضحى بالولد؛ فأحيا الله الولد، وأخرج من نسله أفضل وأحسن ولد، وهو سيد الخلق محمد ﷺ.
وضحى إبراهيم بالبلد العراق؛ فالله أعطاه أحسن بلد، وبنى فيها أعظم بيت، هو البيت الذي جعله الله ﷻ أول بيت وضع للناس، وأمر إبراهيم ببنائه.
وضحى بأم الولد؛ فالله جعلها أمًّا للعرب، وجعل خطواتها عبادة يُتعبَّد لله بها إلى بالسعي بين الصفا والمروة، في نسك الحج والعمرة.
هو اللطيف الذي جعل هذه الشدائد الأربع مفتاحاً للنجاة والحياة والتكريم والسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾ [النحل: ١٢٠].
فسبحان ربنا العظيم اللطيف! ما أعظم رحمته بعباده! وما أعظم لطفه بهم! وما أوسع

حلمه على من عصاه! وما أشد فرحته بمن تاب إليه!: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٧ – ٢٨].

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

وإذا عرفنا ذلك؛ فيجب علينا أن نحمد ربنا اللطيف، ونتوب إليه، ونستغفره، ونقف بين يديه خاضعين لأمره، مجتنبين لنهيه، مستغفرين من الذنوب، شاكرين على النعم، صابرين على البلاء: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

- **واسم الله اللطيف له معنيان:**

**الأول**: بمعنى الخبير الذي لا يخفى عليه شيء، والذي لَطُفَ أن يُرى، فهو سبحانه اللطيف الخبير بكل شيء، الذي علمه دق ولَطُفَ حتى أدرك السرائر والضمائر والخفيات: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

**الثاني**: بمعنى اللطيف المحسن والمنعم، الذي يوصل إلى عباده وأوليائه مصالحهم ومنافعهم بلطفه وإحسانه من حيث لا يشعرون: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحج/ ٦٣].

واعلم أن لطف الله هو الرحمة، فكل رحمة تصل إلى الخلق فهي من لطف الرحمن الرحيم بعباده، سواء كانت بالأسباب المحبوبة أو المكروهة، فالله ﷻ يبسط ويقبض، ويعطي ويمنع، وهو الحكيم العليم.

ومسالك اللطف ظاهرة بادية في الملك والملكوت، ظاهرة في خلق المخلوقات كلها، والإتيان بالأرزاق وتقسيمها، ولطف الله ظاهر في أنواع الكفايات كلها، وتقليب الأحوال والأطوار، واختلاف الألسنة والألوان، والأحكام والأوقات، وخلق الذوات

والذرات، وخلق الجامدات والمائعات، واستخراج ذلك كله من غيابات خزائنه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾[الزمر/ ٦٢-٦٣].

فسبحان اللطيف الخبير الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة واستودعها في خزائنه العظيمة، ثم يخرجها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وما أحسن لطف ربنا في إرسال الرياح اللواقح! ثم لطفه في تلقيحهاالسحاب، ثم لطفه في حملها السحاب، ثم لطفه في جمع السحاب بالرياح، ثم لطفه في جمع الماء في السحاب، ثم لطفه في إنزاله على خلقه مفرقًا لئلا يهلكهم: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾[النور/ ٤٣-٤٤]

ثم تأمل لطف اللطيف في سوق السحاب بالرياح إلى البلد الميت، ثم لطفه في ترتيب إنزاله إلى الأرض وتقطيره رذاذًا؛ لئلا يُهلك من تحته: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾[الأعراف/ ٥٧].

ثم انظر كيف لطف اللطيف في خلق أرحام الأرض، وفتحها لقبول الماء والنبات حتى ذهبت عروق النبات في الثرى، وصعدت أغصانه في الهواء، وظهرت ثماره في الفضاء، فلا إله إلا الله! ما أعظم لطف الله في فتح أرحام الأرض وهيأها لقبول الماء والنبات،: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾[الحجر/ ٨٦].

ثم تأمل حكمة اللطيف كيف خلق النبات أزواجًا وشعوبا وقبائل مختلفة الألوان والأحجام والثمار، والطعوم، رزقًا لخلقه وعباده ليشكروه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١﴾[ق/ ٩-١١].

ثم تأمل قدرة اللطيف في خلق الحب والنوى، وهدايته له ليمتص الغذاء من الطين في جذوره، ثم كونه أغصانًا وأوراقًا وأزهارًا وثمارًا، ثم كيف لطف بخفي قدرته في تدريج نمو الحبة حتى صارت شجرة شامخة مستمرة النسل والبذر إلى يوم القيامة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾[النحل/ ١٠-١١].

فأعظم عبادة هي عبادة التفكر والتدبر والنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية.

ثم تأمل كيف أخرج اللطيف بخفي لطفه الثمار من النبات كما يخرج الأطفال من الأرحام، وكما يخرج الأفعال من الإنسان، وكما يخرج الكلام من اللسان، ليذكِّر عباده أنه القادر على بعث الأموات من القبور: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت/ ٣٩].

هو سبحانه اللطيف الخبير القدير، الذي أخرج من أرحام الأرض مواليد لا يحصيها إلا هو: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾[الأنعام: ٩٩].

هو سبحانه اللطيف بعباده، الذي له خزائن الأرزاق في السماوات والأرض، اللطيف الكريم الذي يسوق لعباده بلطفه أرزاقهم من بلاد شتى، بكميات شتى، بأنواع شتى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[الحجر/ ٢١].

وسبحان الملك الحق الذي خلق الأرزاق والمرزوقين، وساق هذا لهذا بلطفه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود/ ٦].

فالله ﷻ من رحمته بنا أن أخبرنا بحكمة خلقنا، لنشتغل بمراده منا، ونمتثل أمره، ونجتنب نهيه، ومن علينا بأن تكفل بأرزاقنا وقسمها بيننا؛ حتى لا ننشغل عن عبادته

بطلب المعاش: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

- **والناس اثنان:**

مشغول بالله.. ومشغول عن الله.

والله ﷻ أمرنا بعبادته وامتثال أوامره في جميع الأحوال.

فإذا اشتغلنا بعبادة الله وحده لا شريك له صلحت القلوب بالإيمان، وصلحت الجوارح بالأعمال، وحصلت البركة في الرزق، وحصل التيسير في الحياة، وإذا لم نشتغل بالعبادة؛ فسدت القلوب، ونُزعت البركة من الرزق، وتعسرت المعيشة: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٦].

وأخطر شيء على الناس أن يعبدوا غير الله، ويتركوا عبادة الله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

معذب في حياتك، معذب في معيشتك، معذب في أفكارك، معذب في الدنيا، ومعذب في الآخرة.

فنعمل بما طلب الله منا وهو الإيمان به وعبادته، وهو سبحانه الذي طمأننا على أرزاقنا وقسمها بيننا: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢].

والحمد لله رب العالمين أن جعلنا من أمة سيد المرسلين؛ فأسعد الناس في هذه الحياة هم أتباع الأنبياء، وأسعد أتباع الأنبياء هم أتباع سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

فنحب الله الذي من علينا ببعثة النبي ﷺ، ونحب الكتاب الذي جاء به النبي ﷺ، ونحب النبي الذي أرسله الله ﷻ لنا: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

فالحمد لله رب العالمين على هذه النعم التي من الله ﷻ بها علينا، وعلى قدر اتباعنا للنبي ﷺ تكون الهداية، وعلى قدر التقصير في اتباعه تكون الضلالة: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فالاتباع الكامل ثمرته هداية كاملة، وأول أمر يجب علينا أن نمتثله هو معرفة الله ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

فنتعرف على ربنا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ حتى نعرفه ونحبه ونقدره؛ لأننا إذا عرفنا أسماء جلاله، وأسماء جماله، وعرفنا عظمة ملكه وسلطانه، وعرفنا عظمة أوامره؛ نشأ من ذلك تعظيم الله في القلب، والحب لله ﷻ، والتكبير له،والشكر له، والخوف منه، والرجاء له.

وبقدر هذه المعارف تكون قوة التعبد لله ﷻ، محبةً له، وتعظيمًا له، ورجاءً له، وخوفًا منه ومن عقابه جل جلاله، فمعرفة أسماء الله الحسنى تولد في القلب الطمأنينة والسكينة، وتعظيم الله، وحب الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

والله سبحانه هو الكريم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وجميع الخلق ينتفعون بأرزاقه، ويأكلون من موائد نعمه، فلا ترى أحدًا من الخلق إلا قاعد على موائد نعم رب العالمين، برًّا وبحرًا وجوًّا، في العالم العلوي والعالم السفلي، في عالم الدنيا، وفي عالم الآخرة؛ فليس في الدنيا إلا مُنعم ومنعَم عليه، المنعم هو الله الذي أنعم بكل نعمة: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل/ ١٨].

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

والمنعم عليه هم كل ما سوى الله من خلقه، أنعم عليهم بنعمة الإيجاد، ثم بنعمة الإمداد، وخص الإنس والجن بنعمة الهداية، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وما أعظم نعم الله على الإنسان مادية كانت أو معنوية! ما أكثر ما يجلس الإنسان على مائدة فيها من نعم الكريم! أنواع شتى، من بلاد شتى، في أوقات شتى، كم نجلس في كل يوم على موائد النعم المختلفة أفرادًا وجماعات! ونحن جزء من عالم، فكيف بالعوالم الأخرى؟ عوالم الحيوانات والطيور والحشرات، والجن والملائكة.

هذه العوالم كلها، الله ﷻ خلقها بقدرته، وكلها تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[الإسراء: ٤٤].

فلا إله إلا الله! وله الحمد، ما ألطفه بخلقه! وما أعجب لطفه في حسن تدبير هذا الملك العظيم، وجميل تقسيمه الأرزاق على المرزوقين: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾[الحجر/ ٩٨-٩٩].

فأنت ذرة من جنسك، وجنسك ذرة في ملك الله العظيم.

ويا عبد اللطيف تفكر في خلقك، فهذا الإنسان الله ﷻ خلقه في أحسن تقويم؛ تفكر في النطفة التي خلقك منها الخلاق العليم أحسن الخالقين، كيف جمعها اللطيف من الغذاء، وأقرها في قرارها المكين، ثم استنزلها من الذكر والأنثى من بين الصلب والترائب؟.

ثم تأمل مرةً أخرى كيف جمع الله ماء الرجل والمرأة في ظلمات الأرحام، ثم صيرها ربك اللطيف في أطوار الخلق نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، ثم كسا العظام لحمًا، ثم نفخ فيه الروح فكان خلقًا آخر بتدبير اللطيف الخبير: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾[المؤمنون/ ١٢-١٤].

خلقًا آخر يسمع، ويبصر، ويتحرك، ويأكل ويشرب، ويفكر ويتدبر، ويشكر أو يكفر.

ثم تأمل كيف أخرج اللطيف هذا الإنسان من بطن أمه بشرًا سويًا، حسن الأعضاء الظاهرة والباطنة، مكتمل الأعضاء والحواس: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ

رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾[التين: ٤-٦].

فسبحان اللطيف الذي خلق من ذلك الماء إنسانًا له رأس ولسان، وأذنان وعينان، ويدان ورجلان، وأصابع وبنان، وغيرها من الأعضاء الظاهرة:﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٢].

وإذا عرف العبد هذه المعارف العظيمة عن ربه؛ جاء في قلبه حب الله، وتعظيمه، وحمده، وحسن عبادته.

وخلق القدير اللطيف من ذلك الماء القلب والكبد والأمعاء والمعدة والعروق والعصب، وغيرها من الاعضاء الباطنة:﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾[الطارق/ ٥-٨].

فهذا الإنسان عورة، خرج من عورة، ثم دخل في عورة، ثم خرج من عورة، وهو عورة، وظالم، وشقي، وخاسر إن لم يؤمن بربه؛:﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر/ ١-٣].

وكل إنسان ظالم إذا لم يتب من كفره ومعاصيه:﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات/ ١١].

﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[النور: ٣١].

وكل إنسان ضال وشقي «**يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ**»أخرجه مسلم[1].

فمن هداه الله فليشكر نعمة اللطيف الكريم الذي مَنَّ عليه بالإيجاد والإمداد والهداية: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحجرات/ ١٧].

فسبحان الله! هذه قدرة اللطيف الخالق القادر في خلق فرد من جنس من أحد مخلوقاته التي لا تعد ولا تحصى:﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١١].

وهذا التخليق والتقدير في كل ثانية، الله ﷻ يخلق مليارات المخلوقات من كبير وصغير، وذكر وأنثى، من الجمادات والنباتات، ومن الحيوانات والبشر، ومن الملائكة والجان: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

فسبحان الخلاق العليم اللطيف الخبير الذي يملك جميع موازين التقدير، والتدبير والتصريف، والتشكيل والتغيير، بسلطانه العظيم في ملكه الواسع الكبير؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وهو الحكيم العليم في خلقه وأمره، يبسط ويقبض، ويعز ويذل، ويعطي ويمنع، ويغني ويفقر، ويحيي ويميت، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويعفو عمن يشاء، وينتقم ممن يشاء.

خلق الكبير جل جلاله والصغير، وخلق الجليل والدقيق، والكل عنده سواء في الخلق والعلم، والتقدير والتدبير: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِى ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

فلا إله إلا الله! ما أعظم أسماءه وصفاته وأفعاله! وما أعظم ملكه وسلطانه! وما أعظم نعمه وإحسانه، وما أعظم هذه المخلوقات التي خلقها الله في العالم العلوي والعالم السفلي!.

والكل ملكه، والكل خلقه، والكل يشهد بتوحيده، والكل يسبح بحمده ويعبده، والكل خاضع لأمره القهري، والكل مسرع إلى إرادته الملكية: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

وسبحانه ما أعظم لطفه في تدبيره بالبسط والقبض، والعطاء والمنع!.

هو القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء؛ ولا يمتنع عليه شيء، هو المحيط بكل شيء، القوي القادر القاهر، يحيي بأسباب الموت، ويميت بأسباب الحياة، وينجي بأسباب الهلاك، ويهلك بأسباب النجاة، ويعز بأسباب الذلة، ويذل بأسباب العزة.

إن ربك فعال لما يشاء؛ لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، وجميع أفعاله مقرونة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق؛ فلا يفعل الله إلا ما هو خير، وكل أفعاله حكمة ورحمة، وعدل وإحسان: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ [فاطر: ٤٤].

هو اللطيف الذي يربي أولياءه في قصور أعدائه، ثم يورثهم أرضهم وملكهم، كما ربى موسى ﷺ في قصر فرعون: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨﴾ [القصص/ ٧-٨].

ويعطي اللطيف سبحانه المحبوب بالأسباب المكروهة، لأنه اللطيف العليم بكل شيء، القادر على كل شيء وحده لا شريك له: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦].

هو جل جلاله اللطيف الذي يحيي بأسباب الموت، كما أنجى إبراهيم ﷺ من النار المحرقة، وجعلها بردًا وسلامًا عليه، ويميت بأسباب الحياة، فكم من إنسان! وكم من مخلوق عنده أسباب الحياة! ولكن الحياة والموت بيد واحد، الذي يملك الحياة هو الذي يملك الموت: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك: ١ – ٢].

فسبحان الله! ما أعظم لطفه بعباده المؤمنين! لا يقضي لهم بشيء إلا كان خيرًا لهم: ﴿هُوَ

ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ

رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ [الأحزاب/ ٤٣].

خلقهم في أحسن تقويم، وساق لهم الأرزاق، وحبب إليهم ما يكون سببًا لحياتهم، ومن عليهم بنعمة الهداية: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: ٢٦].

وقال ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» أخرجه مسلم[1].

أما الكافر من حيث هو كافر فقد كفر بالنعمة، ورَدَّ أمر الله، وظلم نفسه، الكافر من حيث هو كافر لا يقضي الله له بشيء إلا كان شرًّا له، إن بسط له وأغناه طغى وتكبر، وإن منعه وقبضه سخط على ربه وعاداه: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة/ ٨٥].

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون/ ٥٥-٥٦].

هذه عقوبة الإعراض عن دين الله ﷻ، أن الله ﷻ إذا أعطى الكافر النعمة؛ أغناه وأطغاه ذلك الغنى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦ -٧].

أما المؤمن فيشكر النعمة، ويستعملها في طاعة الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

واعلم يا عبد اللطيف ويا أمة اللطيف أن من لطف الله بعباده المؤمنين أنه يتولاهم بالخير دائمًا، فيخرجهم من ظلمات الكفر والبدع والجهل والمعاصي إلى نور الإيمان والسنة، والعلم والطاعات والعمل الصالح، ويقيهم شر نفوسهم الأمارة بالسوء، ويصرف عنهم السوء والفحشاء، ويصرفهم عن الكبائر والمحرمات التي توجب سخطه؛ لأنه وليهم: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

ويقدر لأوليائه المؤمنين أرزاقهم بحسب علمه بما يصلحهم، وبقدر ما يعينهم على طاعته، ويقدِّر عليهم أنواعًا من البلايا والمصائب التي يسوقهم بها إلى ما يحبه ويرضاه من الطاعات والقربات والكرامات: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة/ ١٢٠].

فالله سبحانه خلق الأمراض والمصائب، والابتلاءات والمكاره لحكمة، ومن حكمة ذلك أن في خلق الأمراض والمصائب صرف الأشرار إلى أعمال الأبرار، وجذب النفوس إلى الملك القدوس لتعبده، وجر الناس من دار الغرور إلى دار السرور، فالله لطيف بخلقه المحبوب والمكروه: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن لطف الله بعباده المؤمنين أن يجعل لهم الرزق الحلال في راحة وييسره لهم من حيث لا يحتسبون، فيجعل رزقهم حلالًا في راحة، يحصل به المقصود، ولا يشغلهم عما خلقوا من أجله وهو عبادة الله، والدعوة إليه: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى/ ١٩].

ومن لطف الله بعباده المؤمنين أنه يبتليهم ببعض المصائب ليكفر عنهم السيئات إذا صبروا، ويرفعهم إلى أعالي الدرجات، ويكرمهم بجزيل الثواب؛ فله الحمد على لطفه، وله الحمد على قضائه في المحبوب والمكروه، وله الحمد على عطاء الخير، وصرف الشر: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

فالمقصود الأعظم من الصبر على هذه الابتلاءات، لتظهر فينا عبودية الصبر؛ لأن الله يحب الصابرين، والله مع الصابرين، فبهذه الابتلاءات نتحصل على فضيلة الصبر، وما هو أجر الصابرين؟: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر/ ١٠].

فسبحان الله! ما ألطفه بسَوْق النعم الظاهرة والباطنة إلى عباده حبًّا لهم وإن كرهوا ذلك: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾[النساء: ١٩].

فهذا لطف الله ﷻ بعباده المؤمنين، واختياره لهم ما يسعدهم في الدنيا والآخرة.

ونحن في هذه الدروس نحرص دائمًا في شرح أسماء الله الحسنى على أن نثبت الاسم لله ﷻ، من القرآن والسنة، وأن نفهم معناه، وأن ننظر في آثاره في الكون، ثم نثني على الله به، ثم نتعبد لله بالتخلق به.

فالله لطيف يريد مني أن أكون لطيفًا، فكيف أكون لطيفًا بعدما عرفت اللطيف، وصفات اللطيف، وأفعال اللطيف جل جلاله؟ وكيف نتعبد لله سبحانه باسمه اللطيف؟: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف: ١٨٠].

الله ﷻ لطيف بعباده يحسن إليهم في كل حال، ويصلح أحوالهم بأوامره الكونية القدرية في ملكه العظيم، وبأوامره الشرعية،من الأوامر والنواهي، وما جاء في القرآن من الأخبار الصادقة، والأوامر العادلة:﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾[الأنعام: ١١٥].

فيصلح سبحانه أحوال الأمة، وأحوال البشرية، بأوامره الكونية، ليل ونهار، وماء وهواء،وسماء وأرض ونبات وحيوان، وحر وبرد، وصيف وشتاء يصلح أحوال الخلق بأوامره الكونية؛ فله الحمد والشكر.

ويصلح أحوال الخلق في الدنيا والآخرة بأوامره الشرعية، بعد أن أنعم بنعمه المادية.

فهو العليم الخبير بكل شيء، لا يخفى عليه شيء وإن صغر ودق:﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾[لقمان/ ١٦].

لطيف: لطُف أن يُرى بالأبصار، لطيف بعباده يسوق إليهم أنواع النعم، ويمنع عنهم ما يضرهم؛ فلا إله إلا الله! كم غمر خلقه بعظيم لطفه، وجميل إحسانه، وأنواع بره وفضله!:﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم: ٣٤].

نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية، نعم في داخل النفس، ونعم خارج النفس، نعم في الدنيا، ونعم في الآخرة، نعم في العالم العلوي ونعم في العالم السفلي، نعم في عالم الغيب، ونعم في عالم الشهادة:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣].

ومن عرف صنوف بر اللطيف، ولطفه بخلقه سبحانه؛ أحبه، وشكره على إحسانه وبره وإنعامه:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

والناس إذا عرفوا أن النعم من الله، وأنه أعطاها هؤلاء الخلق؛ فيجب عليهم أن يؤمنوا به ويشكروه، وشكره بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، وأن يستعمل العبد النعم في طاعة مولاه،

ولا يستعين بشيء من نعم الله على معاصيه، وكم من الخلق من يستعين بالنعم على المعاصي! ولكن الحليم يمهلهم ولا يهملهم، لعلهم يتوبون إليه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة: ٢١ – ٢٢].

والشكر للطيف يكون بالقلب واللسان والجوارح ما بقي الإنسان حيًّا، والله يحب الشاكرين، قلبه خاشع لمولاه، حامد له، قانت له.

ولسانه ذاكرًا شاكرًا، حامدًا مستغفرًا، يحمد ربه ويمجده، ويدعو إلى دينه، ويعلم شرعه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢].

والجوارح تتحرك في جميع أنواع الطاعات؛ من الصلاة والصيام والحج والبر وصلة الأرحام.

وإذا عرف المؤمن ربه باسمه اللطيف؛ سارع إلى طاعته، واستحيا من معصيته، وصدق في التوكل عليه، ورضي بكفايته:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾[التغابن/ ١٣].

ومن عرف ربه باسمه اللطيف حاسب نفسه عن كل صغيرة وكبيرة من الأقوال والأعمال والأخلاق؛ لعلمه بكمال إحاطة ربه بكل صغيرة وكبيرة، وأنه لطيف لا يخفى عليه شيء من أعمال الخلق:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾ [آل عمران: ٥ – ٦].

فسبحان عالم الغيب والشهادة:﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٣٥﴾[البقرة/ ٢٣٥].

فسارعوا إلى طاعته، واستغفروا من الذنوب، فربكم غفور حليم يغفر الذنوب جميعًا.

فالتعبد لله ﷻ باسمه اللطيف وبأسماء الله الحسنى ، وبصفاته العلى، يملأ القلب إيمانًا وتوحيدًا، وحبًّا لله، وتعظيمًا له، وتكبيراً له:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾[محمد: ١٩].

وأول ما يجب على العبد من التعبد لله باسمه اللطيف طلب علمه، بأن يتعرف على اسم الله اللطيف؛ فذلك مفتاح التعبد لله به وبغيره من الأسماء الحسنى، ومعرفة مسالك اسمه اللطيف في العالم، لترى قدرة القدير، ولطف اللطيف، وحكمة الحكيم في مخلوقاته وأفعاله:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

والهدف الأول من طلب العلم بأسماء الله الحسنى هو معرفة الرب الذي يستحق العبادة بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة وعده ووعيده.

والهدف الثاني: هو عباده الله وطاعته، وحبه وحمده، وتكبيره وتمجيده، بعد معرفته سبحانه:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾[يونس: ٣].

ومن وفقه الله لهذا وهذا؛ سعد بالقرب من ربه، وسعد برضاه وجنته:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة: ٧٢].

وإذا علم العبد أن ربه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة؛ بادر إلى التعبد لله بما يحبه ربه ويرضاه، والتعبد له بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى:﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فلننظر إلى آثار اسم الله اللطيف في مسالك العالم، وفي هذا الملك العظيم؛ لنرى قدرة القدير، ورحمة الرحيم، وعطاء الكريم، وحكمة الحكيم، ولطف اللطيف في مخلوقاته وأفعاله وملكه وملكوته، حتى نعرف قدرة اللطيف،ورحمة اللطيف، ونتعبد لله ﷻبهذه المعرفة، فتكون طاعاتنا وعباداتنا لله ﷻ شهوات؛ حتى نعبد الله بالمحبة وبالتعظيم والذل له، ونعبده بما جاء عن رسوله ﷺ:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر: ٢٨].

فالتدبر والنظر في آثار اسم الله اللطيف في الكون يثمر التوحيد والإيمان، والعبادة

والإحسان، وحب الله وحمده، وتكبير الله وتمجيده.

فانظر لترى العظمة والكبرياء، ونسجد لرب الأرض والسماء.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ﴾ [الحج/ ١٨].

فانظر في الملك والملكوت؛ لترى آثار لطف اللطيف في ملكه، وحكمة الحكيم، وقدرة القدير؛ فتعبده حبًّا له وتعظيمًا له: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحج/ ٦٣].

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور/ ٤١].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور: ٤٣ – ٤٤]. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ [الفرقان/ ٤٥].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان: ٢٩ – ٣٠].

الله أكبر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٧ – ٢٨].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ

﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٢١﴾ [الزمر: ٢١].

فالله أكبر! ما أعظم ظهور آثار هذا الاسم في ملك الله العظيم! في آياته الكونية التي بثها الله ﷻ في هذا الملك العظيم؛ لتكون سبيلًا إلى إيمان العباد، وطريقًا إلى توحيدهم: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ٨﴾[ق: ٦ –٨].

فعلينا أن ننظر في الملك والملكوت، ونتدبر هذا الملك العظيم، ونرى آثار اسمه اللطيف، آثار اسمه القدير، آثار اسمه الرحمن، آثار اسمه العليم، آثار اسمه الخالق، آثار اسمه الرزاق:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾[البقرة: ١٦٤].

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ٢٠﴾[لقمان: ٢٠].

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ١٨﴾[نوح/ ١٥–١٨].

سبحان الله! ما أعظم خلقه! وما أعظم حكمته! وما أعظم لطفه في تدبيراته وتقديراته!

النظر والتدبر في الآيات الكونية وفي هذا الملك والملكوت سبيل وطريق إلى الإيمان والتوحيد، وإلى وجود طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان، والحصول على حقيقة الإيمان، فانظر لترى قدرة القدير، ولطف اللطيف، وحكمة الحكيم جل جلاله:﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ٤٨﴾ [النحل/ ٤٨].

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل/ ٧٩].

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس/ ٨١].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء: ٧-٩].

كم من الأشجار التي تثمر على مر الدهور والأزمان ثماراً كريمة، تؤتي أنواع الثمار بأشكالها وألوانها وطعومها! فتكون هذه المعرفة سبيلًا إلى توحيد الله، وحب الله، وتعظيم الله، وعبادة الله وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النمل/ ٨٦].

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠].

سبحان الله! ما أعظم لطفه في خلقه وتدبيره!: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [العنكبوت/ ١٩].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الروم: ٣٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس/ ٧١-٧٣].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣].

فكل القرآن يبان لقدرة القدير، ورحمة الرحيم، وخلق الخالق، ورزق الرازق، ولطف

اللطيف.
والنظر والتدبر في الآيات الكونية، وكذا الآيات القرآنية، أعظم وسائل معرفة الله ﷻ، ومعرفته بأسمائه وصفاته، وهو غذاء القلوب، فإن غذاء القلوب في سبعة أمور:
العلم بالله، والعلم بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده.
هذه العلوم العظيمة هي السبيل العظيم أو السبيل الوحيد لمعرفة الله بأسمائه وصفاته، ويتم ذلك بالنظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية.
فالحمد لله رب العالمين أن جعلنا من بني آدم، وساق لنا الأرزاق بلطفه وكرمه، وساق لنا غذاء القلوب وهو الإيمان والتوحيد، ومن علينا باتباع سيد المرسلين، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس.
فما أعظم لطف ربنا بنا، ورحمته بخلقه، وإيصال الخيرات لهم!: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].
ومن عرف أن ربه اللطيف،واسع العطاء، وأبواب إحسانه لا نهاية لها، وإحسانه وبره ممتد بلطفه إليه وإلى غيره؛ غرست هذه المعرفة في قلبه شجرة المحبة لله، وشجرة التعظيم لله، وشجرة الذل لله، وشجرة الشكر لله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ ﴾ [الحجر: ٩٨].
وهذه المعارف تثمر أنواع التقرب والعبودية لله؛ فالعبادة هي المحبة،وكل عبادة لا تقوم على محبة فليست عبادة، فنحن نحب الله لجلاله وجماله، ونتقرب إليه بما جاء عن رسوله ﷺ، ونكمل محبوباته في الدنيا، ليكمل لنا محبوباتنا يوم القيامة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ ﴾ [يونس: ٢٦].
فمن عرف أن ربه اللطيف، وأبواب إحسانه لا نهاية لها، يراها صباحاً ومساء، وإحسانه وبره يراه ممتدًّا بلطفه إليه وإلى غيره من مؤمن وكافر، وبر وفاجر؛غرست هذه المعرفة في قلبه شجرة المحبة التي تثمر أنواع التقرب والتعبد لله، والحياء منه.
ومن ذلك: التعبد لله بمقتضى هذا الاسم الكريم، وذلك بالتلطف مع الأهل والإخوان والجيران، وسائر المؤمنين، وسائر الخلق أجمعين، فالله لطيف يريد منا أن نكون من

ألطف الخلق بالخلق، فيتلطف الإنسان مع أهله، وإخوانه وأخواته، وجيرانه وأصدقائه، وسائر الخلق أجمعين، ويوصل إليهم البر والإحسان بأنواعه، يوصل ذلك إلى كافة الخلق؛ من إطعام ومواساة، ونصح وتوجيه وتعليم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة: ٧١].

فالله ﷻ بين لنا أنه اللطيف، ويريد منا أن نتصف بهذه الصفة على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يلطف العبد بنفسه، ويعطيها حظها مما أباح الله لها من الطيبات، ويحملها على طاعة الله ورسوله، وأنواع العبادة، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى الخلق بالقول والفعل: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤﴾ [المؤمنون: ١ - ٤].

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة/ ١٧٢].

فيلطف الإنسان بنفسه بأن يأكل من الطيبات ويسارع إلى طاعة الله، ويستعملها في طاعة ربه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[النحل: ١٢٥].

فكل من دخل في الدين، وكل من دعوته إلى الله، إن اهتدى فبصحيفته، وإن لم يهتدِ فالأجرة مدفوعة لك، كن آلة أعمال كالشجرة آلة للأزهار والثمار، والسحب آلة للمياه؛ فكن لطيفًا مع الخلق بدعوتهم إلى الله، والإحسان إليهم وتعليمهم: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾[آل عمران/ ٧٩].

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾[فصلت/ ٣٣-٣٥].

فسبحان الله! ما أعظم مظاهر وآثار هذا الاسم في ملك الله العظيم! وما أجمل هذه الصفة، وهذا الاسم! أن يتصف به العبد على شاكلة العبودية؛ فيكون لطيفًا في أقواله وأعماله وأخلاقه.

فيا عبد اللطيف، إن رأيت خيرًا فانشره واعمل به، وإن رأيت شرًّا وسوءاً فكن لطيفًا في إزالته: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

يا عبد اللطيف،كن لطيفًا مع الخالق بكمال الأدب، فاعبد من يستحق العبادة؛ ووحد من يستحق التوحيد، فربك أهل أن يطاع فلا يعصى، وأهل أن يشكر فلا يكفر، وأهل أن يذكر فلا ينسى.

وكن لطيفًا مع الخلق بحسن الخلق، صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك؛ تجد ثواب ذلك عظيمًا عند ربك يوم تلقاه، وتظفر بمحبة عدوك: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ

وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ

عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت: ٣٣ – ٣٥].
وكن مع ربك بكمال الأدب، ذكرًا وتوحيدًا، وتحميدًا وتمجيدًا؛ فأنت العبد الفقير، وهو الرب العزيز، الغني عن كل ما سواه، وقف في حال عبادتك بين يدي ربك ناظرًا إلى عزة الربوبية لربك العظيم، وذلة العبودية لشخصك الفقير: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر/ ١٥].
واعلم أن من لطف اللطيف أن جعلك فقيرًا ليغنيك، وجاهلًا ليعلمك، وضالًّا ليهديك؛ ليظهر لك لطف اللطيف بك؛ فتكبره وتحبه وتعظمه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل: ٥٣].
كن لطيفًا لينًا عفوًّا كريمًا مع أهلك وسائر الخلق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾[التغابن/ ١٤].
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[النور: ٢٢].
ومن سألك عن شيء فعلمه؛ فإن الله جعلك خزانةً للعلم، وإذا استفتاك أحدٌ من الناس، وكان في الأمر سعة؛ فلا تضيق عليه، فأفتِ له بالرخصة، يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء: ١٠٧].
وخذ نفسك بالعزيمة؛ لأنك عرفت ما لم يعرف: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ ﴾ [الحج/ ٧٨].
﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴿٩٣﴾ ﴾[البقرة/ ٩٣].
فكن رءوفًا رحيمًا لطيفًا بالخلق؛ يحبك الله، ويحبك الخلق.
وكان رسول الله ﷺ ألطف الناس بأهله، وألطف الناس بالناس: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].
﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة: ١٢٨].
والمؤمن يرى ببصره وبصيرته آثار اللطف العام من اللطيف سبحانه، من الخلق

والتقدير،والتصريف، والتدبير، والتحريك والتسكين، والعطاء والمنع، والبسط والقبض، في ملك الله العظيم، وفي مخلوقاته الكبيرة الكثيرة، فيزداد بهذا العلم حبًّا لربه، وتعظيمًا له، وحياءً منه، ورجاءً له، وخوفًا منه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ – ٢٠].

وكلما تكرر نظر العبد في ملك الله العظيم؛ زاد إيمان العبد،واطمأن قلبه، وزاد حمده لربه، وأكثر من التحميد لربه، وداوم على الاستغفار والتوبة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وبقدر النظر والتدبر يقوى الإيمان ويزيد: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

معرفة الله أسهل شيء وأيسر شيء، والتوحيد أسهل شيء، بمجرد استعمال الأعضاء والجوارح فيما خُلقت له، فهذه أمانات، يجب أن ننظر في الآيات الكونية والآيات القرآنية، ونسمع آيات ربنا، ونسمع سنة نبينا ﷺ، لا يجوز للإنسان أن يستعمل هذه الجوارح في غير طاعة الله، الله خلقنا وهدانا واشترانا، وأمرنا باستعمال هذه الأمانات في طاعته وعبادته، وعدم استعمالها في غير ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

فاللسان أمانة، والأذن أمانة، والعين أمانة، والوقت أمانة، والأقدام أمانة، والأيدي أمانة، والدين أمانة، والمال أمانة وجميع أوامر الله أمانة، فنؤدي هذه الأمانات لله: ﴿إِنَّا

عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وكل واحد مسئول عن أداء هذه الأمانات: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء/ ٣٦].

ومن استقام قلبه لربه بالتوحيد والإيمان؛ استقامت جوارحه بأنواع الطاعات والعبادات، وهذه ثمرة النظر في لطف اللطيف، وخلق الخالق، ورحمة الرحيم، وأرزاق الرزاق جل جلاله، فمن استقام قلبه لربه بالتوحيد والإيمان بعد هذا النظر والتدبر؛ استقامت جوارحه بأنواع الطاعات والعبادات، لمن يستحق الطاعة والعبادة، وهو الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ومن استقام قلبه وجوارحه استقامت حياته بالأمن والهداية في الدنياوالآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

فلا إله إلا الله! ما أجهل الإنسان بربه! وما أعظم تقصيره في معرفة وعبادة الله ﷻ!.

فكن يا عبد اللطيف لطيفًا في معرفة حوائج الناس، وسارع إلى قضائها، واشكر اللطيف الذي شرح صدرك لقضائها، ومد يدك بالإحسان، وملأ يدك بأنواع النعم، حتى جعلك اليد العليا، فاليد العليا خيرٌ من السفلى، وفي كل خير، فأعط مما أعطاك الله وما أقدرك الله عليه، رعايةً لمصلحة نفسك: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

وكن لطيفًا في معاملة الخلائق، لطيفًا مع أهلك وأولادك، لطيفًا مع أقاربك، لطيفًا مع جيرانك، لطيفًا في إحسانك، لطيفًا في تجارتك، لطيفًا في دعوتك: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

وإذا علم المؤمن أن ربه لطيف عليم بكل صغيرة وكبيرة؛ حاسب نفسه على أقواله وأفعاله، وراقب ربه في حركاته وسكناته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

وإذا قال الله عن الأجر أنه كبير؛ فكم يكون حجمه؟ وإذا قال: كريم؛ فكم يكون عدده؟ وإذا قال: عظيم؛ فكم تكون عظمة هذا الأجر؟ فالعبد يأتي بالعمل القليل، والله يعطي الأجر الكثير: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

فنستغفر الله ونتوب إليه من جهلنا بالله، ومن جهلنا بأسمائه وصفاته، ومن جهلنا بأوامره، ومن جهلنا بقدره وجلاله وجماله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فلا إله إلا الله! ما أعظم ملكه وسلطانه! وكل شيءٍ في الكون مكشوف بين يدي اللطيف الذي لا يخفى عليه شيءٌ في ملكه العظيم.

هو اللطيف الخبير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

فاعرف ربك اللطيف الحق؛ واعبده وسبح بحمده؛ لتنال فضله، وتظفر بنعمه وعطاياه، وكن واثقًا بربك الكريم، ومولاك الرحيم الذي جميع النعم منه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].

وكن بالليل مع اللطيف، واسأله أن يلطف بك وبالخلائق أجمعين: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وكن في النهار مع الخلق، تلطف مع الناس،وألطف بهم، وأحسن إليهم، ادعهم إلى الله،

علم جاهلهم، اهدِ ضالهم، أحسن إلى محتاجهم، أكرم فقيرهم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وكن في الليل مع الرحمن، واسأله أن يرحمك ويرحم الخلق أجمعين، وكن في النهار رحيمًا يرحم الناس، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

هذه أسماء ربك الحسنى، وهذه صفات ربك العلى، فتعبد لله بها شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وارغب إلى ربك في جميع أمورك، واعلم أن من يتحرى الخير يُعطى، ومن يتوقى الشر يوقاه، والفضل كله بيد الله وحده العليم الخبير، الغني الكريم القادر: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤].

فاطلب منه أغلى شيء في خزائنه، وهو طلب الهداية والعافية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٢ – ٧].

وكن الأول في كل عبادة لله، واسأله من فضله؛ فهو ذو الفضل العظيم، وكل ما في الكون من فضله: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

واعلم رحمك الله أنك كما تحب أن يلطف الله بك في جميع أمورك؛ فالطف أنت بنفسك، وألطف بإخوانك المؤمنين، وخالق الناس بخلق حسن، وأوصل برك وإحسانك إلى غيرك بحسب قدرتك، وسعهم بحسن خلقك، وادعهم إلى الله، واصبر على أذاهم؛ يحبك الله، وتكسب محبة الناس ومودتهم، وتسلم من أذيتهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن

دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت: ٣٣ – ٣٥].

فالكل مكتوب، والكل مسجل، والكل له سجل عند الله، يُكشف لك يوم القيامة، وإذا فيه العفو واللطف والرحمة والإحسان لخلق الله ﷻ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[القمر: ٥٢ – ٥٥].

واشغل نفسك وقلبك ولسانك وجوارحك بذكر وشكر من لطفه بك ظاهر غير خفي، وبره بك واصل إليك في سرائك وضرائك، في حال طاعتك ومعصيتك، في حال سفرك وإقامتك: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[الأعراف/ ٢٠٥].

اذكر ربك، اذكر لطفه، اذكر رحمته، كرمه، نعمه، هدايته، اذكر نعم الله عليك التي لا تعد ولا تحصى، وأنفق مما رزقك الله من علم ومال وبر وإحسان، وتلطف بإيصال برك إلى الناس بألطف المآخذ، وأحسن المذاهب، بلا منةٍ ولا أذى، ولا كبر ولا احتقار ولا رؤية: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾[البقرة/ ٢٦٢-٢٦٣].

وإذا عرفت يا عبد اللطيف أن ربك هو اللطيف؛ فليكن حظك من هذا الاسم الكريم أن تكون لطيفًا في مصالحك بالمبادرة إلى كل عمل صالح، لطيفًا بالخلق كلهم على اختلاف طبقاتهم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر/ ١-٣].

إذا رأيت كافرًا فادعه إلى الله بلطف، وإن رأيت جاهلًا فعلمه بلطف، وإن رأيت عاجزًا فخذ بيده بلطف، وإن علمت سنة فانشرها بلطف، واعمل بها، وإن عملت حسنةً فاشكرها، وإن عملت سيئةً فاسترها، واستغفر الله منها: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾

[الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠].

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].

وتذكر يا عبد اللطيف ألطف الناس بالناس، وأرحم الناس بالناس، وأكرم الناس، وأجود الناس، محمد ﷺ الذي أثنى عليه ربه بكمال حسن خلقه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم/ ٤].

فاهتدِ بهديه، وتخلق بأخلاقه، وتأدب بآدابه، واسلك سبيله، وتمسك بدينه؛ تكن في الجنة رفيقه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب/ ٢١].

اقتدِ بنبيك ﷺ في خمسة أمور: في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الكريمة: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وتقرب يا عبد اللطيف إلى ربك بكل ما يحبه ويرضاه؛ تنَلْ أعظم مما تتمناه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝٦٦ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠﴾ [النساء/ ٦٦-٧٠].

وأحسن يا عبد اللطيف إلى الناس جميعًا فيما استطعت، واصبر في سبيل ذلك على أذاهم، وعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، ولاطفهم بما تستطيع من القول والعمل والخلق.

وأحب لأخيك ما تحب لنفسك، وكن في حاجة أخيك؛ يكن الله في حاجتك، وكل امرئ حسيب نفسه، ورقيب عمله، وقد بين الله لك ماذا تفعل بخاصة نفسك ومع غيرك: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [التوبة/ ٧١].

ما هو ثوابهم؟ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ

فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

فنستغفر الله ونتوب إليه من تقصيرنا، وتأخير أعمالنا، وعدم أداء العبادة على شاكلة العبودية بالوجه اللائق بجلال الله وعظمته وكبريائه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

نستغفر الله ونتوب إليه من كل ذنب، نستغفر الله ونتوب إليه من الجهل، وقلة العلم، وقلة العمل، وقلة الخلق الحسن: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، واجعل الموت راحةً لي من كل شر.

# أسماء الله الحسنى

## في ضوء القرآن والسنة

## إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

# اسم الله

# الخبير

## اسم الله الخبير

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له ملك السماوات والأرض، وله ما في السماوات والأرض، وله غيب السماوات والأرض، فلا بد من معرفته بأسمائه وصفاته؛ حتى نعبده بالمحبة والتعظيم، والذل والخوف والرجاء، فمن لم يعرف الله حقًّا؛ لم يعبده حقًّا، ومن لم يعرف الله كما أمره؛ لم يعبده كما أمره.

لهذا لا بد من معرفته أولًا، ثم معرفة دينه وشرعه ثانيًا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

فلا بد للقلب أن يعرف العظيم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة الله ﷻ لا بداية لها ولا نهاية، ولا أول ولا آخر: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

الله سبحانه عظيم، وكتابه عظيم، وثوابه عظيم، وعقابه عظيم، وملكه عظيم، وخلقه عظيم، وأمره عظيم.

هو سبحانه العظيم المحمود بكل لسان، الذي يسبح بحمده المكان والزمان وما فيهما: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هي غذاء القلوب، بالتوحيد والإيمان والتقوى.

هو سبحانه العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، هو العظيم المحيط بكل محيط، القاهر لكل قاهر، العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، الخبير بكل شيء، وسعت رحمته كل شيء، ووسع ملكه كل شيء، الواحد الأحد القادر على كل أحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾[الإخلاص/ ١-٤].

هو سبحانه العظيم الذي كل شيء خلقه، وكل شيء ملكه، وكل شيء عبده، وكل شيء خاضع لأمره، وشاهدٌ بوحدانيته، ومسبحٌ بحمده، ومستجيبٌ لمشيئته، ومسرعٌ إلى إرادته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾

[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

فلا إله إلا الله! كم عظمته وعظمة أسمائه وصفاته! هو العظيم الذي في قبضته الملك والملكوت، وفي قبضته الخلق والتدبير، وفي قبضته العطاء والمنع، والحياة والموت: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧﴾[الزمر/ ٦٧].

فلا بد للقلوب أن تتغذى بهذا العلم العظيم، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده، لأن ذلك يولد في القلب قوة الإيمان، قوة اليقين، قوة التوحيد، قوة الإخلاص، قوة الصدق، ثم التعبد لله ﷻ بما جاء عن رسوله ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾[محمد: ١٩].

فكل معصية سببها الجهل بالله ﷻ، الجهل بمن أمر بها، ولو عرفت القلوب مَن الآمر، وعرفته بأسمائه وصفاته؛ لآمنت به، وأجبته، وأطاعته وأقبلت إليه، واطمأنت بذكره.

فنسأل الله ﷻ أن يملأ قلوبنا بالتوحيد والإيمان، ومعرفة الله، ومعرفة أسمائه وصفاته.

الله ﷻ هو الخبير العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الخبير الذي يعلم جميع الأشياء والأمور الظاهرة والباطنة: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾[الملك/ ١٣-١٤].

واسم الله الخبير اسم عظيم جامع لكل ما في الملك والملكوت، فإن الله خبير به، من الذرات والمجرات، والعالم العلوي، والعالم السفلي، وعالم الغيب، وعالم الشهادة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾[الملك/ ١٤].

هو سبحانه الخبير الذي لا يجري شيء في الملك والملكوت إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرة في الكون ولا تسكن إلا بعلمه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣﴾ [الأنعام/ ٧٣].

وهو سبحانه العليم الخبير بكل ما كان، وما يكون، وما سيكون: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فسبحان العليم الخبير الذي له كل شيء، وبيده كل شيء، الخبير العليم بكل شيء: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١﴾ [سبأ/ ١].

فسبحان ربنا العليم الخبير بكل شيء في السماء والأرض، والدنيا والآخرة، والليل والنهار، واليوم والغد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ [لقمان/ ٣٤].

هو سبحانه العليم الخبير بسرائر العباد، وضمائر قلوبهم، وما تكنه صدورهم، الخبير بكل ما يعملونه من الطاعات والمعاصي، والحسنات والسيئات، في السر والعلن، الخبير بجميع نيات وأقوال وأفعال العباد، وما يدور في خواطرهم من خير أو شر: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٨].

هو سبحانه الخبير الذي أخبر عباده بأحسن الكلام وهو القرآن، الخبير الذي يعلم كل شيء، الخبير الذي لا يعزب عن علمه صغيرة ولا كبيرة، الخبير الذي يعلم كنه كل شيء، الخبير الذي يعلم الحق من الباطل، ويعلم الخير من الشر، ويعلم الطيب من الخبيث، ويعلم الظاهر من الباطن، ويعلم السر والعلن، ويعلم الداء والدواء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

هو سبحانه العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الخبير

بالظواهر والبواطن، والخواطر والبواعث، والسرائر والخفايا.
وكل إنسان، وكل مخلوق مكشوف أمام ربه الخبير، لا تخفى عليه منهم خافية، علانيته وسره، وجهره وصمته، وظاهره وباطنه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق/ ١٦].
والناس أمام الله سواء، وكلهم عبيده ومخاليقه، وأفضلهم عنده أهل الإيمان والتقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/ ١٣].
فسبحان اللطيف الخبير بكل ظاهر وباطن، الذي يعلم بمن يتقيه ظاهرًا وباطنًا، ممن يتقيه ظاهرًا لا باطنًا، ثم يجازي كلًّا بعمله: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾
[آل عمران: ١٦٢ – ١٦٣].
وهو سبحانه الخبير، المحيط بجميع ملكه، الشاهد لجميع ما فيه من الذرات والمجرات، العليم بجميع المخلوقات الظاهرة والباطنة، والصغيرة والكبيرة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٤].
وهو سبحانه الخبير الذي أخباره كلها حق وصدق، الذي يخبر عباده بالحق والخبر الصدق: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء/ ٨٧].
وقد ورد اسم الله الخبير في القرآن خمسًا وأربعين مرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨].
والخبير صفة مشبهة للموصوف بالخبرة، والخبرة علم وزيادة، والخبير من البشر من عرف شيئاً وأحاط بتفاصيله الدقيقة.
والله سبحانه وحده هو الخبير بكل شيء، هو العليم بكل شيء، العالم بكنه الأشياء، المطلع على حقائقها، الذي أحاط علمه بظواهر الأشياء وبواطنها وخفاياها.
وهو سبحانه العليم الخبير الذي أحاط بكل شيء علمًا، الخبير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة، الخبير الذي لا تتحرك ولا تسكن ذرة في الملك والملكوت إلا بإذنه وعلمه، وهي

تحت سمعه وبصره، ولا يسكن نَفَس ولا يضطرب إلا وعنده خبر منه: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣﴾ [الأنعام/ ٧٣].

والصفة المشبهة من اسم الله الخبير هي صفة الخبرة، وهي صفة ذاتية لله، لا تنفك عنه أبدًا، فالله خبير أبدًا.

فالصفات الذاتية من السمع والبصر والقدرة والقوة والخبرة ونحوها لا تنفك عن الله أبدًا، وخبرته لا أول لها ولا آخر، ولا بداية لها ولا نهاية لها: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

وقد اقترن اسم الله الخبير مع اسمه العليم في القرآن أربع مرات، منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ٣٥﴾ [النساء/ ٣٥].

ومنها قوله: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾ [الحجرات/ ١٣].

واسم الله العليم صفة كمال، واسم الله الخبير صفة كمال أخرى، واقترانهما معا كمال ثالث آخر، وسر اقتران العليم بالخبير أنهما اسمان إذا افترقا اجتمعا، فكل منهما إذا ذكر مفردًا دل على إحاطة علم الله بالظواهر والبواطن.

وإذا اجتمعا في آية واحدة افترقا كقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣﴾ [التحريم: ٣].

فالعليم يفيد الإحاطة العلمية بالعالم المشهود، والخبير يفيد الإحاطة التامة بعالم الغيب والبواطن والسرائر.

وقد اقترن اسم الله البصير باسمه الخبير في القرآن خمس مرات، منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١﴾ [فاطر/ ٣١].

وسر ذلك والله أعلم الإشارة إلى كمال علم الله بالمشاهدات والمبصرات، والبواطن والحقائق، فهو العليم بالأشياء والأمور المبصرة، الخبير العالم بدقائق الأمور الظاهرة والخفية، والمعقولة والمحسوسة، وتقديم الخبير على البصير؛ لأنه أشمل وأعم، وذكر البصير بعده للعناية بالأعمال التي هي غالب شرائع الدين: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾ [الشورى/ ٢٧].

وكذلك اقترن اسم الله الخبير مع اسمه الحكيم في القرآن أربع مرات، منها قوله

ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ/ ١].

وسر ذلك والله أعلم بمراده أن اقتران الخبير بالحكيم يدل على كمال الإرادة، وكمال العلم، فكمال الإرادة أن تكون واقعة على وجه الحكمة، وكمال العلم أن يكون كاشفًا عن الخبرة: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨].

فالخبرة باطن العلم وكماله، والحكمة باطن الإرادة وكمالها، والمراد ظاهر والحكمة باطنة، والعلم ظاهر، والخبرة باطنة.

وكذلك اقترن اسم الله الخبير مع اسمه اللطيف في قوله سبحانه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحج/ ٦٣].

وسر ذلك أن الله لطيف لا يخفى عليه شيء، خبير بالظواهر والبواطن، عليم أحاط بكل شيء علمًا، ومن لطفه أنه يعلم مواطن القطر من الأرض، ومواطن البذور التي في باطن الأرض، فيسوق بلطفه ذلك الماء إلى ذلك البذر الذي خفي على علم الخلائق: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٤].

فسبحان الخبير الذى جعل الأرزاق المخفية في باطن الأرض بمقدار موزون: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، ولهذا استحق أن يعبد، وأن يطاع، وأن يشكر، وأن يسبح بحمده، وأن يستحيا منه، وأن يطاع أمره، وأن يجتنب نهيه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

هو سبحانه الخبير الذى يعلم كل شيء، الخبير الذى أخبر عباده بأحسن الحديث والأخبار عنه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله، وعن ملكه وسلطانه، وعن ملائكته وكتبه ورسله، وعن دينه وشرعه، وعن وعده ووعيده، وعن ثوابه وعقابه، هذه الأخبار صدقًا وعدلًا: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ

رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

هو سبحانه الخبير، أخباره أحسن الأخبار، وأحكامه أحسن الأحكام: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤].

فسبحان الخبير العليم بكل شيء! فالإنسان قد يعلم صورة الشيء، لكن حقيقة الشيء لا يعلمها إلا الله؛ لأنه خبير بالسر والعلن، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فقد نعلم أن فلانًا مثلًا جاء لهذا الأمر، لكن الخبير يعلم أنه جاء لغير هذا الأمر: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ [البقرة: ٢٣٥].

هو العليم الخبير بالظاهر والباطن: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك/ ١٤].

﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ [آل عمران/ ١٨٠].

هو سبحانه خبير بكل شيء، وخلقه للمخلوقات في غاية الحكمة والإتقان.

أما البشر فيخترعون ويصنعون، ولكنهم دائمًا يجددون في صناعاتهم لقلة خبرتهم، وقلة علمهم، وقلة تصورهم، والله الخبير لكمال علمه وخبرته وقدرته خلقه من أول يوم في غاية الإتقان والتمام والكمال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ [النمل/ ٨٨].

الله ﷻ كل صنعته في منتهى الإتقان والإحكام؛ لأنه عليم بما كان، وما يكون، وما سيكون، عليم بكل شيء، لا يعجزه شيء، فخلقه دائمًا في غاية الإتقان، وغاية التمام والكمال، ولذلك مدح نفسه بقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ [الأعلى/ ١-٣].

فهو سبحانه الخبير العليم بكل شيء ظاهرًا كان أو باطنًا، هو الخبير الذي يعلم البواعث

والخفايا، والخواطر والإرادات، وحده لا شريك له،لأنه الله لطيف خبير.
فسبحان العليم الخبير بكل شيء ما نراه وما لا نراه! المحيط بكل ذرة في الكون رؤية وسماعًا وعلمًا وخبرة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].
فاسم الله العليم أحاط بكل شيء، واسم الله اللطيف أوسع من العليم، والخبير أوسع من اللطيف: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك/ ١٣-١٤].
فهذه الأسماء الثلاثة العليم واللطيف والخبير تدل على كمال علم الله، وإحاطته بكل شيء ظاهر أو باطن.
هو سبحانه الخبير العالم بالشيء قبل كونه، ووقت كونه، وبعد كونه، والله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، وما كتبه لا بد أن يقع على ما قدر مكانًا وزمانًا، وحجمًا وشكلًا: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[الأحزاب/ ٣٨].
وقال رسول الله ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»أخرجه مسلم(١).
فربنا ﷻ عليمٌ خبير، حكيمٌ خبير، لطيفٌ خبير، قادر على كل شيء، لا يعجزه ولا يمتنع عليه شيء: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[يس/ ٨١-٨٣].
فالله عليم خبير بكل شيء وحده لا شريك له.
أما البشر فعلمهم محدود، وخبرتهم محدودة، فلصنع طائرة يحتاجون إلى آلاف العلماء وآلاف الخبراء، ليصنعوا طائرة واحدة تطير في السماء، وليصنعوا سفينة كذلك تسير على البحر يحتاجون إلى مثل هذه الأعداد؛ لقلة علمهم وخبرتهم، فالبشرية كلها لن تستطيع خلق طائر واحد خلقه الله العليم الخبير: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

﴿ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾[الحج/ ٧٣-٧٤].

البشرية كلها لا تستطيع خلق طائرٍ واحد، ولا خلق جناح من هذا الطائر، لماذا؟ لأن الخلق والإبداع عظيم يحتاج إلى خبرة عظيمة واسعة شاملة، ويحتاج إلى علم، ويحتاج إلى قدرة، ويحتاج إلى حكمة، وذلك لا يقدر عليه إلا العليم الخبير وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢].

فعلم التخليق للمخلوقات كلها بيدِ العليم الخبير، وعلم التدبير بيده، وعلم التشغيل بيده، هذه ثلاثة علوم بيد الله وحده.

علم التخليق كله بيدِ الخبير جل جلاله:﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر/ ٦٢].

وعلم التدبير بيد العليم الخبير جل جلاله:﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾[السجدة: ٥ – ٧].

وعلم التشغيل بيده:﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف/ ٥٤].

فعلم التخليق، وعلم التدبير، وعلم التشغيل بيد الحكيم الخبير، بيد العليم الخبير، بيد اللطيف الخبير:﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾[آل عمران: ٢٦ – ٢٧].

فسبحان الخبير العليم بحوائج الخلق! خلق الأرزاق بأنواعها نباتية وحيوانية وجمادية، وساقها إلى المرزوقين بقدرته:﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات/ ٥٨].

فهو سبحانه الخبير بخلقه، يوصل إليهم الأرزاق بقدرته في كل ثانية.

فأهل البحر يطعمون من رزقه، وأهل البر يطعمون من رزقه، وأهل السماء يطعمون من رزقه، ورزقه مادي ومعنوي، والله ﷻ هو الرزاق، ولا يصل رزقه إلى خلقه إلا بقدرته

وقوته، وعلمه وخبرته بمن يحتاج من عباده في كل وقت، وفي كل مكان، وفي أي حال:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس: ٣١ – ٣٢].

- **فسبحان الخلاق العليم الحكيم الخبير، الذي دبر أمور الخلائق بنوعين من التدبير:**

الأول: تدبير كوني: فهدى الخبير كل مخلوق إلى معاشه، وتيسير أسبابه وهذا أمر عظيم؛ لأن كل مخلوق من أنواع المخلوقات يحتاج إلى متطلبات وحوائج من الإنسان والحيوان والنبات والملائكة والجن، وغيرها من المخلوقات، كل مخلوق يحتاج إلى أنواع من الحاجات في وقت معين، ولا يعلم ذلك إلا الله:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

فهذا التدبير الكوني،أن الله ﷻ هدى كل مخلوق إلى معاشه وتيسير أسبابه، وهذا أمر عظيم يشمل جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي؛ لأن كل مخلوق من أنواع المخلوقات يحتاج إلى متطلبات وحوائج سواء في بدنه أو خارج بدنه، من الهواء والنور والطعام والشراب وغير ذلك.

حركة الأجهزة في الجسم: الجهاز الهضمي، الجهاز العصبي، الجهاز العقلي، الجهاز البولي، الجهاز التناسلي، هذا المخلوق يحتاج هذه الأمور العظيمة، والله ﷻ الخبير بأحوال الخلق هو الذي يدبر الخلائق، له أمر التخليق، وله أمر التدبير، وله أمر التشغيل.

هو الخبير بالنبات، فالبذرة تلقى في الأرض، وتسقى بالماء، فيذهب منها جذور تحت الأرض، وأغصان فوق الأرض، ثم يأتي بعد الأغصان الأوراق، ثم من بعد الأوراق الأزهار، ثم من بعد الأزهار الثمار.

فالله ﷻ خبير بكل ذرة، بكل نبتة، بكل ورقة، بكل كلمة طائرة، بكل حرف، بكل جملة، بكل رقم، الله ﷻ خبير بكل شيء:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

فالله أكبر! ما أعظم ملكه وسلطانه! وما أعظم مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي! كم عدد المخلوقات والأحياء الكبيرة والصغيرة في البر والبحر والجو، وما نراه وما لا نراه من الملائكة والجن، ومن الجماد والنبات! وكل ذلك يحتاج إلى خبرة واسعة، وقدرة مطلقة، وعلم شامل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

هو الذي خلق لكم كل شيء، لتعرفوه، وتعبدوه وتستعينوا بذلك على طاعة الله، ولتعرفوا من سخرها:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

خلقها أولًا، ثم سخرها ثانيًا، فهي منقادة لنا، الجبال نكسرها ونستخرج المعادن منها، والنبات نزرعه ونستفيد منه، والحيوان كذلك، وغير ذلك من المخلوقات، والشمس والهواء، كل هذه المخلوقات المسخرة لنا تسبح بحمد من خلقها، وهي في أدائها لوظيفتها مسبحة بحمد ربها، وشاهدة بوحدانيته، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة لإرادته، وخاضعة لأمره: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٨].

فهذه تدبيراته في الملك والملكوت، هذا التدبير الملكي الكوني.

الثاني: التدبير الشرعي: فالله ﷻ أنزل على البشر الكتب، وأرسل الرسل، وشرع الشرائع من أجل مصالح العباد: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

الله ﷻ أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وشرع الشرائع، لإسعاد البشرية في الدنيا والآخرة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

فسبحان العليم الخبير المحيط بكل شيء خلقًا، وتقديرًا، وكتابة، وإحاطة، وعلمًا!، لا إله إلا هو، ولا رب سواه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ

وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩].

والله ﷻ عليم خبير بكل ذرة في ملكه، في كل وقت، في كل مكان، وكتب كل ذلك في اللوح المحفوظ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ [الحج/ ٧٠].

فسبحان العليم الخبير بكل شيء وحده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ [لقمان: ٣٤].

الله ﷻ يخبرنا بأسمائه وصفاته حتى نحبه، حتى نكبره، حتى نعرف من نعبد، وماذا يريد منا ، وماذا نريد نحن منه، فالله يثني على نفسه في كتابه، ويبيِّن أسماءه وصفاته؛ حتى نؤمن به،ونحبه، ونستقبل أمره، ونؤمن بكتابه، ونطيع أمره: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

يعلم جميع حركات الخلق، جميع أقوال الخلق؛ لأنه عليم بكل شيء.

ومن كمال لطف الخبير جل جلاله أن حجبنا عن رؤيته في الدنيا؛ لعلمه وخبرته بضعفنا، بحيث عين الإنسان لا تطيق رؤية الشمس المخلوقة، فكيف تطيق رؤية الخالق الكبير المتعال؟!، كما قال سبحانه لموسى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِىۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ [الأعراف/ ١٤٣].

فنحن لا نستطيع أن نرى الشمس مباشرة، وهي نور من نور الله ﷻ، الله ﷻ صب من نوره في هذه الشمس المخلوقة التي تنشر النور الذي نرى به الأشياء.

فلرؤية الأشياء لا بد من أمرين: نور داخلي في عين الإنسان، ونور خارجي، وهو نور الشمس، أو نور القمر، أو نور السراج، فالله من علينا بهذا النور الذي نرى به الأشياء، والنور الآخر هو نور القرآن، ونور الإيمان، ولو رأى الخلق ربهم في الدنيا بأسمائه

الحسنى، وصفاته العلى، وصفات جلاله وجماله؛ لما عصاه أحد أبدًا؛ لما يرونه من عظمة جلاله وكبريائه،فبطل أمر التكليف بالأمر والنهي الذي أراده الله من عباده أن يأتي اختيارًا.

ولكن الله ﷻ رحيم بالعباد، فحجبنا عنه، حجابه النور، كما قالت عائشة للنبي ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟! حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» أخرجه مسلم(1).

فمن رحمته جل جلاله أننا لا نراه في الدنيا رحمةً بنا، ولو رأيناه لما عصيناه، ولكن الله ﷻ نراه في الدنيا ببصائرنا لا بأبصارنا:﴿**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣**﴾[الأنعام/ ١٠٣].

والمؤمنون يرون ربهم ببصائرهم؛ فيعلمون أن للخلق خالقًا، ولهذه الأرزاق رازقًا، وهذا الملك له مالكاً، فهم يرونه ببصائرهم، ويعبدونه كأنهم يرونه، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ويوم القيامة يراه المؤمنون بأبصارهم وبصائرهم ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣**﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

وقال النبي ﷺ للمؤمنين: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»متفق عليه(2).

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، وجنة المعرفة هي هذه الجنة، أن تعرف ربك بأسمائه وصفاته وأفعاله:﴿**فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩**﴾[محمد: ١٩].

فالذي يتفكر في المخلوقات يعلم أن وراء المخلوقات خالقًا، وأن وراء الأرزاق رازقًا، وأن وراء الـمُلك مالكاً.

فالله سبحانه جعل للمعتبرين في مخلوقاته غُنيَة عن التفكير في ذاته؛ لقصور العقول والأبصار عن إدراك ذاته ونور جلاله وعظمته وكبريائه:﴿**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ**

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

(٢)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٦)، ومسلم برقم (٦٣٣).

يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

نحن نرى المخلوقات، ونرى فعل الله في المخلوقات:

أمَر الله السماء فاستقلت، وأمر الأرض فاستقرت، وأمر الشمس فجَرَت ونورت، وأمر اللسان فتكلم، وأمر الأذن فسمعت، وأمر العين فأبصرت، وأمر الجبال فرَسَتْ، وأمر البحار فسالت، وأمر الرياح فهَبَّت، وأمر الأشياء فسبحت، وأمر النبات فنبت، وأمر الأشجار فأثمرت: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالتفكر في المخلوقات هو سبيل التوحيد والإيمان: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

وهذه الأبصار والعقول قاصرة عن إدراك نور جلال الله وعظمته وكبريائه، فالله ﷻ من علينا بالكون المنظور؛ لنرى فعله في مخلوقاته، وعظمة ملكه وسلطانه.

ومن علينا بإنزال الكتاب المسطور، لنعرف أسماءه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

حتى إذا عرفناه آمنا به،وأطعناه ولم نعصه.

إذا عرفناه استحيينا منه أن نسكن في ملكه، ونأكل من نعمه، ونعصيه بنعمه.

فهذه المعارف تزرع في القلب حب الله، وتكبير الله، وشكر الله والإقبال على طاعته، والحياء منه: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧].

فسبحان من تعرفه القلوب والعقول بآياته ومخلوقاته، وتدعوه الألسن بأسمائه وصفاته، وتميزه البصائر عما سواه بصفاته وأفعاله! ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ

أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الروم/ ٢٢-٢٤].

هو الواحد الأحد العليم الخبير بكل أحد، هو العليم المحيط بكل شيء، العلي العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وليس له شبيه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى/ ١١].

هو الواحد الأحد الذي لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وفي ملكه وسلطانه، في دينه وشرعه، وفي خلقه وأمره: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

هو الواحد الأحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاجه كل أحد.

فسبحان الحكيم الخبير بأحوال عباده، الذي يضع الشيء في موضعه، ويختار له ما يناسبه فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

هو الحكيم الخبير البصير بما يصلح عباده؛ فيعطيهم ما يصلح أحوالهم، ويصرف عنهم ما يضرهم، يبسط لهذا، ويقبض عن هذا، ويعطي هذا، ويمنع هذا، وهو العليم الخبير بما يناسب كل مخلوق.

فمنهم من تستقيم حاله على النعمة والغنى، ومنهم من تستقيم حاله على الفقر والابتلاء، لهذا نجد عيش بعض الناس مع فقره وبلائه أحسن، وقلبه لربه أصفى، كلما ضربه الله بالبلاء ازداد حبًّا له وتقوى؛ لكمال معرفته به: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٠].

واعلم يا عبد الخبير، ويا أمة الخبير، اعلم أن الحكيم الخبير خلق خلقه بقدرات وصفات مختلفة، ثم اصطفى منهم الأنبياء والرسل والمؤمنين: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج/ ٧٥].

فجميع الأنبياء والرسل مصطفون، فهم قمم الجبال، وأعلام الهدى، ونخبة

البشرية: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ ﴾[آل عمران/ ٣٣-٣٤].

فإذا اصطفى العليم الخبير محمدًا ﷺ من بين البشر؛ فإنه يعلم من حسن خلقه، وعمله، وقوة يقينه، ورحمته، وصبره فهذا اصطفاء كسبي منه أنعم الله به عليه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم/ ٤].

وإذا أكرمه ربه بكرامات، وخصه بالوسيلة والشفاعة، وغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ فهذا اصطفاء وهبي، وهبه الله إياه إكرامًا له؛ لحسن عمله، وكمال صبره: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣ ﴾[النساء: ١١٣].

والنبي ﷺ أحسن الناس خَلْقًا وَخُلُقًا، كان خلقه القرآن، وكان يجتهد ﷺ على خلقه، فهو كما وصفه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم/ ٤].

والله ﷻ مقابل هذا الخُلق العظيم من الإيمان والتقوى، وكمال اليقين، وصدق الإخلاص؛ أكرمه ربه بكرامات، وخصه بالوسيلة والشفاعة، وغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، إكرامًا له لحسن عمله، وحسن خلقه، وكمال صبره: ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣ ﴾[الفتح/ ١-٣].

فسبحان ربنا العليم الخبير الذي علم من بين خلقه أكثرهم معرفة، وأكثرهم استقامة، وأقواهم صبرًا وجهادًا، وأكملهم تضحية وإيثارًا، وأحسنهم عبادة، وأجملهم خُلُقًا، وأصدقهم يقينًا وتقوى؛ فاصطفاه وجعله نبيًّا: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧ ﴾[ص/ ٤٥-٤٧].

هذا اصطفاء من الله ﷻ لمن يعلم فيهم كمال الصفات.

وقال عن أفضلهم وأكملهم نبيه ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم/ ٤].

وقال: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

واعلم يا عبد الخبير، ويا عبد العزيز، ويا عبد الملك، أن من اصطفاه الله واجتباه واختاره لدينه؛ فعليه أن يعمل به، ويدعو إليه، ويشكر ربه على هذه النعمة العظيمة: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف/ ١٤٤].

كل من اصطفاه الله من الأنبياء والرسل وأتباعهم لا بد أن يمر بثلاث مراحل؛ حتى يتحلى بأحسن الصفات، ويحصل على كمال الإيمان:

**الأولى:** مرحلة التربية: الله ﷻ يربي أولياءه على الإيمان؛ حتى لا يعتمدوا ويتوكلوا إلا على الله وحده.

**الثانية:** مرحلة الابتلاء، فيبتليهم بالشر والضراء: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣].

**الثالثة:** مرحلة التكريم بالأمن والخلافة والهداية في الدنيا، ودخول الجنة والرضوان يوم القيامة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

لا بد أن يمر المسلم بهذه المراحل الثلاث، كما كان ﷺ، رباه ربه فأحسن تربيته في مكة، ثم ابتلاه بالشدائد والضراء وجرت عليه الأحوال فصبر، ثم جاء التكريم وهاجر إلى المدينة، وأقبل الناس على الدين أفواجاً، ثم فتح مكة، وعز الإسلام.

والله ﷻ أعطاه هذا المقام العظيم بسبب نجاحه في هذه المراحل الثلاث، وهذه سنة الله في خلقه المصطفيْن، يربي ثم يبتلي، ثم يكرم بجنة المعرفة في الدنيا، وجنة النعيم في الآخرة: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [الرحمن/ ٤٦].

وبحسب قوة الإيمان تكون قوة الابتلاء: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت/ ٢-٣].

وبحسب صدق المؤمن، وإخلاصه وصبره ويقينه وطاعته لربه ﷻ؛ الله يصطفيه ويجعله إماما في الإيمان والتقوى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة/ ٢٤].

ومن اصطفاهم الله ﷻ لدينه؛ فقد علم فيهم الصدق والإخلاص والطاعة، فليحمد الله المؤمن على هذه النعمة: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل/ ٥٩].

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

ومن اصطفاه الله وجعله مؤمنًا؛ فهو في سلام مع نفسه،لأنه ألزمها بالإيمان والتقوى، وسلام مع ربه،لأنه وحد ربه، وعبد ربه، وأطاع ربه، وسلام مع غيره، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وخير المسلم لنفسه ولغيره من الكفار؛ لأن المسلم لا يأخذ ما ليس له، ولا يؤذي أحدًا، ولا يسب أحدًا، بل يحسن إلى الخلق.

وشر الكافر يتضرر به المسلم، ولهذا لا بد من الجهد على الكافر حتى يسلم، فشر الكافر واصل للمسلم، وخير المسلم يستفيد منه الكافر، إذًا لتكون الأمة واحدة في الخير لا بد من الجهد على الكافر حتى يسلم، وعلى الجاهل حتى يتعلم، وعلى الغافل حتى يكون ذاكرًا، وعلى الصالح حتى يكون مصلحاً.

فالمؤمن في سلام مع نفسه، وسلام مع ربه، وسلام مع غيره من المؤمنين والكفار، ومن الحيوانات.

سلام في الدنيا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

وسلامٌ في الآخرة: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

فمن اصطفاه الله العليم الخبير، وجعله مؤمنًا؛ فهو في سلام مع نفسه، وسلام مع ربه، وسلام مع غيره، وسلام في الدنيا، وسلام في الآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

والله سبحانه اصطفى هذه الأمة وأكرمها بالكتاب العظيم، والرسول الكريم، والثواب الجزيل: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر/ ٣٢-٣٤].

فلله الحمد والمنة على جزيل العطاء والتكريم لهذه الأمة.

والله سبحانه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، وغالب آيات القرآن بل جل آيات القرآن تذكر بالله وآياته ومخلوقاته؛ حتى نعرفه أولًا، ونتقرب إليه بما أمر به ثانيًا، فالأوامر جاءت مجملة في القرآن، ومفصلة في السنة.

أما بيان أسماء الله وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده فكل ذلك مفصل في القرآن من ربنا الحكيم الخبير جل جلاله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥].

فمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله غذاء القلوب، وبهذه المعرفة يعْظُم الرب ﷻ في القلب، وتتحرك الجوارح بأنواع العبادة، واللسان بالذكر والحمد والتمجيد لله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

الله ﷻ هو القوي الذي له القوة التي لا ترام، العزيز الذي له العزة التي لا تضام، الجبار الذي له الجبروت الذي لا يُسامى، الحكم الذي له السلطان الذي لا يُغلب، الملك الذي لا نهاية لملكه، الكريم الذي لا نهاية لكرمه، الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، السميع الذي يسمع كل ما يجري في ملكه، البصير الذي يرى جميع مخلوقاته الظاهرة والخفية، الخبير بما تكنه القلوب، وما تخفيه الصدور: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ

ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

هذا القلب إذا عرف هذه الأمور؛ اطمأن، وأحب ربه، وكبره وعظمه، وحمده وشكره، وسأله واستغفره: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

وهو سبحانه الملك القادر على كل شيء، القاهر الذي قهر كل شيء، القادر الذي لا يعجزه شيء، الواحد الأحد، المحيط بكل أحد، القوي الذي لا يقف له أحد، الكريم الذي لا ينسى أحد، الجبار الذي يجبر كسر كل أحد: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

ومن عرف ربه حقاً آمن به حقاً، وأحبه حقاً، وكبره حقاً، وعبده حقاً: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ومن عرف الله وحده ولم يشرك به: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

الله ﷻ عليم خبير، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، سميع لكل شيء، بصير بكل شيء، خبير بكل شيء، لا يخفى عليه ذرة في ملكه العظيم، لا تواري منه سماء سماءً، ولا أرض أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، ولا ليل ما في ظلمته: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١].

فسبحان الملك الحق العليم الخبير، العليم بخفيات الأمور، الخبير بما تكن الصدور، البصير بمحجوبات الغيوب، الخبير بعالم الغيب، وعالم الشهادة، ومحجوبات الغيب بأنواعها: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩]..

وهو جل جلاله الحي القيوم الذي كل شيء قائم بأمره، خاضع لسلطانه، الحي الذي لا تأخذه سنة ولا نوم؛ العلي الذي كل شيء دونه، الحكيم الذي أحكمَ الأمور، الخبير الذي أتقن كل شيء صنعه، الفتاح الذي بيده مقاليد الأمور، الرزاق الذي جميع الخلائق تأكل من رزقه، القريب الذي يسمع ويرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وهو سبحانه الكبير وحده لا شريك له، ذو العزة والجبروت، والملكوت والكبرياء والجلال والعظمة، له الحمد كله في الدنيا والآخرة على أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ونعمه السابغة، وإحسانه العظيم ودينه القيم: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦- ٣٧].

فسبحان ربنا الملك الحق الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وله الحمد

كله، وإليه يرجع الأمر كله، بيده الخير وهو على كل شيء قدير: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

له جل جلاله الأمر النافذ فلا يُبدَّل القول لديه، وله الحجة البالغة فلا تتوجه الحجج عليه، وله الربوبية المطلقة فكل الخلائق مفتقرون إليه، وله خزائن كل شيء، فجميع المخلوقات مضطرة إلى ما لديه: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

فلا إله إلا الله! كم عظمة أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى!.

وسبحان من دل عباده بأفعاله على صفاته، ودلهم بصفاته على أسمائه، ودلهم بأسمائه وصفاته وأفعاله على ذاته! ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

هو سبحانه الذي دل عباده بأفعاله في الملك والملكوت من خلق وتدبير وتصريف، دل عباده بأفعاله على صفاته، ودلهم بصفاته على أسمائه، ودلهم بأسمائه وصفاته وأفعاله على ذاته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وبهذه المعارف العظيمة يمتلئ القلب بالتوحيد، وينشرح الصدر بالإيمان، وتحصل الطمأنينة في القلب، بذكر الله، والأنس به، ودوام ذكره وشكره، وحسن عبادته، وطاعة الله ورسوله، ومحبة الله ورسوله، ومحبة دينه وشرعه وأوليائه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٨- ٢٩].

فربنا عز وجل أمرنا أن نتعرف عليه؛ حتى نوجه العبادة إليه بالحب والتعظيم والذل له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

فالله عز وجل حكيم خبير بكل شيء من الأمور الماضية التي وقعت، والأمور الحاضرة التي تقع، والأمور المستقبلة التي لم تقع، فهو العليم بكل ما كان، وما يكون وما سيكون.

عليم خبير بظواهر الأمور وبواطنها، عليم بعالم الغيب والشهادة، عليم بما في العالم العلوي والعالم السفلي من المخلوقات التي لا يحصي أنواعها وأعدادها وأشكالها إلا هو.

هو العليم الخبير الذي يعلم الجزئيات والكليات: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩].

والمؤمن إذا علم بقلبه أن ربه سميع بصير، عليم خبير لطيف، أورث له ذلك الخوف من الله؛ لأنه يرى المصور من خلال رؤية الصور، ويرى الخالق من خلال رؤية المخلوقات، ويرى الرزاق من خلال رؤية الأرزاق التي يراها، ويرى الملك من خلال رؤية الملكوت العظيم: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

فالمؤمن إذا علم ذلك بقلبه؛ أورث له الخوف من الله الخبير بكل شيء، وأثمر له خشية ربه، وتعظيمه وإجلاله، ومراقبته في السر والعلن، ودفعه ذلك إلى حسن الاستقامة، ودوام الطاعة بقلبه وجوارحه، وعبد الله كأنه يراه في جميع أوقاته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك/ ١٢- ١٤].

ويثمر له ذك دوام الاستقامة والطاعة لله ﷻ.

والاستقامة: أن تستقيم على أوامر الله فعلًا وتركًا، وألَّا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك؛ لأنك عبد مطيع: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب/ ٧١].

ويثمر له ذلك دوام الطاعة بقلبه وجوارحه في جميع أوقاته: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر/ ٩].

هذا الذي يعبد ربه كأنه يراه، وعرف أسماءه الحسنى وصفاته العلى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

ومن عرف ربه باسمه الخبير؛ أطاعه ولم يعصه، وذكره ولم ينسه، واجتنب كل ما نهى الله ورسوله عنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ [الحشر/ ١٨].

والمسلم إذا عرف أن ربه بصير بأعماله، سميع لأقواله، خبير بما في قلبه؛ أحب ربه؛ لما يراه من جلاله وجماله، ولما يراه من إنعامه وإحسانه، ورضي بقضائه وقدره، واطمأن قلبه لما قدره الله عليه من المصائب والمكروهات، لأنه يعرف أن ربه لطيف وكريم، ورحمن ورحيم ورؤوف؛ فيطمئن قلبه بقضاء الله وقدره، ويطمئن لما قدره الله عليه من المحبوبات والمكروهات، ومن النعم والمصائب: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)﴾ [الحديد: ٢٢].

وكل مصيبة وكل حدث في الكون مقرون بالقدرة المطلقة، المقرونة بالحكمة المطلقة المقرونة بالخير المطلق، فلا يفعل الله في ملكه العظيم سواء كان في الكون أو في خاصة الإنسان إلا ما هو مقتضى الحكمة والرحمة والعدل والإحسان، فبيده الخير كله، والشر ليس إليه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨)﴾ [طه: ٨].

فإذا عرف العبد أن ربه ﷻ سميع لأقواله، خبير بما في قلبه؛ أحب ربه، ورضي بقضائه وقدره: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١)﴾ [التوبة/ ٥١].

فالمصائب فيها تكفير للسيئات، ورفعة للدرجات،وتقوية الإيمان في القلب، ورد للعبد إلى ربه.

فكل مصيبة تقع وتمر على العبد تورث سبع كرامات فتحصل له توبة جديدة، وإيمان جديد، وحب جديد لربه، وتعظيم جديد لربه، وعبادة جديدة، وطاعة جديدة، وحياء جديد من ربه: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)﴾ [النساء: ١٩].

الله خبير بالظواهر والبواطن، ومن رحمته أن يرسل النعم أحيانًا لتذكر الإنسان بنعمة ربه، فتدفعه هذه المعرفة إلى شكر المنعم، أو يرسل عليه مصيبة،لتذكره هذه المصيبة بأن ربه رقيب وشهيد عليه، وخبير بما في قلبه، فيتوب إلى ربه، ويتجنب المعاصي الظاهرة

والباطنة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد/ ٢٢-٢٣].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

فمن عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة؛ رضي بما يقدره الحكيم الخبير الرحمن الرحيم: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة/ ٥١].

فكل إنسان حين كان في بطن أمه يكتب الملك: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.

وعلم المؤمن أن ربه عليم خبير يثمر له الثبات في ميادين القتال، والمواجهة مع أهل الباطل بكل قوة؛ لأنه يعلم أن ربه خبير لا يخفى عليه شيءٌ من أحوال الأعداء: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ [البروج: ٢٠-٢٢].

وهذا الإيمان يطمئن قلب المؤمن، ويقوي ضعفه، ويجعله قادرًا على مواجهة العدو بكل شجاعة وثبات: ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٦﴾ [يس: ٧٦].

فعلم العبد بذلك يثمر له قوة الثبات، والطمأنينة بربه، والطمأنينة بنصره.

وإذا تيقن المؤمن أن ربه خبير بحاله؛ أثمر له ذلك التعلق بربه، والتضرع بين يديه، وتوجيه شكواه إليه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف: ٨٦].

لأن الله سميع لأقوالي، بصير بأحوالي، خبير بما في قلبي، رحيم بنفسي، قادر على قضاء حاجتي: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

فسبحان العليم الخبير، المحيط بكل مخلوق: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

فليس في الكون إلا اثنان: ملك وعبيد، وخالق ومخلوق: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والمؤمن إذا عرف ربه باسمه الخبير؛ لزم العدل في أقواله وأعماله مع العدو والصديق، في حال السراء والضراء، في حال الغضب والرضا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة/ ٨].

فعنوان رسالة النبي ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

فلا يكون في قلوبنا حب قتل الأعداء؛ بل يكون في قلوبنا أولًا رحمة الأعداء،ليؤمنوا بربهم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فإن هذا العدل سيكون سببًا لإسلام الناس، وحبهم للدين، ورؤية محاسن الدين: ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة/ ٨].

ومن عرف الخبير سبحانه فارق المعاصي في كل حين، وكف يده ولسانه عن كل محرم ومكروه، وغض بصره عما يشغله عن ربه، أو يسخطه عليه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور/ ٣٠].

فمن عرف أن الله ﷻ سميع وبصير، وعليم وخبير، غض بصره عن الحرام، وأطلق بصره في النظر في الآيات الكونية والآيات الشرعية؛ فازداد إيمانًا وتقوى، هو سبحانه العليم الخبير بكل شيء، هو الخبير بكل شيء قبل أن يعلمه العلماء والخبراء مما كان وما يكون وما سيكون: ﴿ذَٰلِكَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: ٦ – ٧].

فيا عبد الخبير،ويا أَمَة الخبير ، ليكن الواحد منا خبيرًا بما يحدث في عالمه، والعالم الأول هو الإنسان؛ فكن خبيرًا بما يجري في عالمك من قلبك وجوارحك، وأعمالك وأخلاقك وأقوالك، فاشكر الله على النعم، وداوم على طاعة مولاك، واحذر الذنوب، وأكثر من الاستغفار والتوبة، وطهر قلبك من الشك والشرك، والغش والكذب والحسد والكبر،والرياء والظلم، والخيانة والنفاق: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر/ ١٨].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾ [الأنفال: ٢٧ – ٢٨].

فالمسلم يتفقد نفسه، يتفقد عالمه من قلبه وجوارحه، ماذا في القلب من حب الله وتعظيمه؟ وماذا في القلب من الشك والشرك؟ وماذا في القلب من الإيمان والتقوى؟ ماذا في القلب من الصدق والإخلاص؟.

فكن خبيرًا بما يجري في عالمك من قلبك وجوارحك، فاشكر الله على النعم، وداوم على طاعة مولاك، واحذر الذنوب، وأكثر من الاستغفار؛ فإن الله سميع بصير، غفور رحيم.

وطهر قلبك ولسانك وجوارحك من النجاسات؛ من الشك والشرك والكذب، والغش والحسد والكبر، والخيانة والنفاق والرياء وغيرها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران/ ١٠٢].

﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

واحذر السخرية بالناس، وسوء الظن بهم، واجتنب أكل لحومهم بالغيبة والنميمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات/ ١١ – ١٣].

عليم بالظواهر والبواطن، خبير بالسرائر والخفايا؛ فلا يخفى عليه شيء، فبادر إلى ما يحبه ويرضاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

فمن عرف أن ربه خبير بظاهره وباطنه؛ أقبل على الطاعات، وابتعد عن المعاصي، وعرف الفضائل وتحلى بها، وعرف الرذائل واجتنبها: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

فيا عبد الخبير، احذر أن تظهر الخير، وتضمر الشر، أو تتجمل بالإخلاص مع الإفلاس مما يحبه الله ﷻ؛ فربك خبير بكل ظاهر وباطن: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

وكن خبيرًا بأحوال الناس؛ لتشكر محسنهم، وتطعم فقيرهم، وتواسي محتاجهم، وتعلم جاهلهم، وتهدي ضالهم: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف/ ١٠٨].

﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران/ ٧٩].

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة: ٢].

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

واعلم يا عبد الخبير، أنك مكشوف في جميع أحوالك أمام ربك اللطيف العليم الخبير، فاتق الله حق تقاته، واتق الله أن يفقدك حيث أمرك، أو يجدك حيث نهاك: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام: ١٠٣].

فالله أهل أن يُتَّقى، وأهل أن يُعبد، وأهلٌ أن يُذكر فلا يُنسى، ويطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يُكفر؛ لأنه المنعم بكل نعمة، الملك الذي له الملك والملكوت الخبير، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس: ٣].

هو سبحانه الخبير اللطيف الذي أمرك بما يسعدك وينجيك من أوامره ﷻ، ونهاك عن كل ما يشقيك ويؤلمك من نواهيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي

ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾[الحجرات: ٧ – ٨].

فالله ﷻ كريم، أعطانا عطاء الربوبية، وأمرنا أن نستفيد منه؛ فالهواء والماء والطعام والشراب، فرض عين عليك؛ لتبقى حيًّا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة: ١٧٢].

وحتى تكون سعيدًا في الدنيا والآخرة، فالإيمان بالله وتقواه فرض عين عيك، وهذا كله من أمر العليم الخبير بما يصلحك ويسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة/ ٢١– ٢٢].

فالصلوات فرض عين عليك لسلامتك وفلاحك، فإذا آمنت بالله ألقى الله في قلبك نورًا ترى به الحق حقًّا وتفعله، وترى الباطل باطلًا فتحذره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[الحديد/ ٢٨].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الأنفال: ٢٩].

وهكذا الحرام من كذب وغش، وسرقة وزنا، وظلم وأذى، يحرمك السعادة والسلامة في الدنيا والآخرة: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه/ ١٢٣– ١٢٦].

فسعادة الإنسان بطاعة الله ورسوله، وشقاؤه بمعصية الله ورسوله: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا

﴿خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾[البقرة: ٣٨ – ٣٩].

هذه الأمور لا بد للقلب أن يعرفها، حتى يُقبل على طاعة ربه بالحب والتعظيم والذل له، فالفقيه حقًّا من علم أن سعادته بطاعة الله ورسوله، وشقاءه بمعصية الله ورسوله.

لا بد للعاقل أن يعرف من الأخبار في القرآن ما يطمئن القلب للعمل بهذا الدين، والتعبد لله ﷻ، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ويعرف ثمرة الطاعة، وماذا تجلبه من الخير والبركة، وجناية المعصية، ماذا تجلبه من الشر والعذاب الأليم:﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾[الرعد: ١٩].

فلكل طاعة ثواب، ولكل معصية عقاب:﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾[النساء/ ١٣ – ١٤].

هذه أخبار القرآن موجهة من الرب إلى القلب؛ حتى يأخذ من أخبار، وأحكام الحكيم، ما يسعده في الدنيا والآخرة:﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾[إبراهيم: ٥٢].

وأعلم الناس وأسعدهم من آمن بالله واتقاه، وأجهلهم وأشقاهم من كفر بالله وعصاه:﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾[الانفطار/ ١٣ – ١٤].

- **هناك نعيم اوجحيم في ثلاثة مواطن:**

في الدنيا.. وفي بطن القبر..ويوم القيامة في الجنة أو النار.

وأعظم نعيم في الدنيا هو نعيم معرفة الله، والإيمان به، وعبادته:﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

فيا عبد الخبير كن خبيرًا بأحوال نفسك؛ هل سلمت قلبك وجوارحك للرحمن أم للشيطان؟.

فالمؤمن من سلم نفسه للرحمن:﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ

﴿حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ [الأنعام/ ١٦١- ١٦٢].

أنا أسير على هذا الصراط المستقيم، حتى أصل إلى الله، وحتى أصل إلى ما يحبه الله ﷻ، وما تحبه نفسي من السعادة في الدنيا، والجنة ورؤية الله في الآخرة.

والكافر سلم نفسه للشيطان، فاستغل لسانه بالغيبة والنميمة، والقيل والقال؟ واستغل أوقاته في معصية الرحمان، سمعه بسماع ما حرم الله؟ واستغل بصره فجعله يرى ما حرم الله ﷻ؟.

لا بد للإنسان أن يكون خبيراً بنفسه؛ هل هو من جند الرحمن، أو من جند الشيطان؟ هل جوارحك وقلبك سلمتها لربك الرحمن أم سلمتها للشيطان؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾[البقرة/ ٢٠٨].

فليأخذ العبد حذره من الشيطان، وينتبه لنفسه؛ لأن أقرب عالم إليك هو النفس: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾ [يس/ ٦١- ٦٢].

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾[فاطر/ ٦].

وكن خبيرًا يا عبد الخبير بأحوال زوجك وأولادك؛ لتحملهم على طاعة الله ورسوله، واجتناب معصية الله ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم/ ٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[التغابن/ ١٤].

أنفق على زوجك، وأهلك، وأولادك، وأقاربك، أنفق عليهم مما أعطاك الله، وعلِّم جاهلهم، وذكِّر غافلهم، وخذهم إلى الحق بالرفق والرحمة والحكمة: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي

﴿ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران/ ١٥٩].

عاملهم بالصفات التي يحبها الله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

وقال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» أخرجه الترمذي وابن ماجة[1].

كن خبيرًا يا عبد الخبير بأحوال الأمة؛ لتتعلم من العالِم، وتُعلِّم الجاهل، وتواسي المحتاج، وتغني الفقير، وتهدي الضال: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾[إبراهيم/ ١].

فالتعبد لله ﷻ باسم الله الخبير، يثمر ثمرات عظيمة؛ من حب الله ﷻ، وتعظيمه، والحياء منه، ودوام الشكر له، والخوف منه، والرجاء له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

هو جل جلاله العليم الخبير بما تكنه الصدور، وما تخفيه القلوب، الخبير الذي انكشف له كل مخبوء، فهو يرقب كل مستور، يعلم السر وأخفى.

ولا بد للعبد أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته، ويتلو كتابه، ويستنَّ بما جاء عن رسوله ﷺ، لماذا؟ ليعرف الخالق من المخلوق، ويعرف ما يحبه الله وما يكرهه، وما يرضيه وما يسخطه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾[المائدة: ٩٨].

لا بد للعبد أن يتلو كتاب ربه، ويستن بما جاء عن رسوله ﷺ؛ ليعرف هذه المعارف العظيمة، ويعرف الخير من الشر، والحق من الباطل، والنافع من الضار، والباقي من الفاني؛ ليقدم ما يستطيعه في حياته؛ ليجد جزاءه عند ربه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

لابد للمسلم أن يعرف حقيقة الدين، ليقدِم على اليقين من أمر ربه، ويواظب على المشروع من أحكامه؛ فلا بد له من معرفة الخالق من المخلوق، ومعرفة الدنيا من الآخرة، ومعرفة قيمة الإيمان والأعمال الصالحة، لا بد له أن يقرأ كتاب ربه؛ فيجد هذه

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥)، وأخرجه وابن ماجة برقم (١٩٧٧) وهذا لفظه.

المعارف العظيمة: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠)﴾[الحديد/ ٢٠].

واعلم يا عبد الخبير، أن من لم يقدِّم خبر القرآن والسنة بين يديه؛ كان من أمره على خطر عظيم؛ لأنه قدم الهوى على الهدى، وقدم العقل على الوحي: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)﴾[القصص/ ٥٠].

فكل إيمان، وتصديق، وهدى، ومسارعة إلى الخيرات، وصبر على الأقدار والأحكام سببه العلم والعمل بخبر الوحي المنزل من ربنا ﷻ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥)﴾[الأنعام: ١٥٥].

وكل جهل، أو تكذيب، أو تقصير، أو جزع، أو ظلم، أو كبر، أو فساد سببه الجهل بخبر الوحي، أو الإعراض عنه: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦)﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦].

فهذه أخبار الخبير في كتابه منهج حياة، يسير عليها المسلم على صراط مستقيم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)﴾[المائدة/ ١٥-١٦].

واعلم يا عبد الخبير أن الله خبير بأقوالك وأعمالك، خبير بنيتك وإرادتك، فاستحِ منه، ولا تسكن في أرضه، وتأكل من رزقه، وتعصيه بنعمه.

اتق الله حيثما كنت، واستقم كما أُمرت.

واعلم أن النفس إذا دعوتها إلى الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله، والصبر على عبادة الله، بعد تقدم الخبر والعلم بالله ووعده ووعيده؛ أعطتك ذلك من ذاتها بيسر وسخاء، ودوام واستمرار؛ لعلمها بأن ما دعوتها إليه هو طريق سعادتها الواجب عليها سلوكه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[الشمس: ٧ – ١٠].

فالنفس مجبولة على حب الشهوات، والروح مفطورة على حب الطاعات.

فمحبوبات النفس: المطعومات، والمشروبات، والمركوبات، والمنكوحات، والملبوسات.

فهذه محبوبات النفس، وهي ليست محرمة، إنما نأخذ منها بقدر الحاجة؛ لأن كمال النعيم في الجنة، ونعطي للدين بقدر الطاقة، ونعطي الروح ما تحب من الطاعات.

والروح تحب الإيمانيات، والعبادات، والمعاملات الطيبة، والمعاشرات الحسنة، والأخلاق الكريمة.

هذه محبوبات الروح، ومحبوبات النفس، ومحبوبات الرب، ومحبوبات العبد، وهذه هي أخبار الخبير لنا ﷻ في كتابه وسنة رسوله ﷺ.

من أجل هذا احتاجت النفوس إلى معرفة الخبير، ومعرفة خبر الخبير الحق سبحانه، ومعرفة ثواب الخبير جل جلاله؛ ليتبين لها من تعبد؟ ومن تسأل؟ ومن تطيع؟ وما تصبر عليه؟ وما أنواعه؟ وما ثوابه؟ وما عقابه؟.

فأولًا تعرف الخبير بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

ونعرف صفات جلاله وجماله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة/ ٩٨].

فنعلم أولًا ربنا ﷻ بأسمائه وصفاته، ثم نعرف أوامره الشرعية، ثم نعرف ثوابه وعقابه ووعده ووعيده، ثم نتعبد لله بموجب ذلك، بالحب والتعظيم والذل لله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠].

هذه الأمور لا بد للقلب أن يعرفها، ويأخذ الأخبار من الخبر الصادق، من كتاب ربنا، وسنة رسولنا ﷺ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾[الأنعام: ١١٥].

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف: ١٥٨].

اتبعوه في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه العالية: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

فمن وحد ربه، وآمن به، وعبده بما جاء به رسوله ﷺ؛ فقد سار إلى ربه على صراط مستقيم.

فهو يسير في الدنيا على الصراط المستقيم، ويوم القيامة يسير على الصراط المستقيم أسرع من البرق؛ لأنه سار على الصراط الديني في الدنيا، ويسير على الصراط المستقيم الحسي يوم القيامة، وينجو من عذاب جهنم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فالنفس لمن سبق، إن حملتها على طاعة الله انقادت، وإن تركتها وأهملتها مالت إلى محبوباتها، فالنفس إذا لم تعرف ما ينفعها وما يضرها بالخبر المنزل زلت عند المحنة، وجمحت عند الصدمة، فهلكت وضلت وأضلت: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩ - ١٨٠].

واعلم رحمك الله أن العليم الخبير يراك؛ فلا تفعل ما يسخطه عليك، هو الخبير الذي يعلم جميع أحوالك في السر والعلن، فلا تبارزه بالمعاصي الظاهرة والخفية، ولا تجعله أهون الناظرين إليك: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق/ ١٦ - ١٨].

ويا عبد الخبير، اعبد ربك بالحب مع كمال التعظيم والذل له، وتقلب في ليلك ونهارك في طاعته وعبادته بكل ما يحبه ويرضاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ١ - ٤].

ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه، وينال ثواب ربه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء/ ٧٩].

اسأل الرحمن أن يرحمك ويرحم الأمة، اسأل الغفار أن يغفر لك، ويغفر لأمة محمد ﷺ، فكن بين يديه عابدًا له في ليله ونهاره، فهو الكريم الذي شرفك بالعبودية، وهو الرقيب القريب الشهيد الذي خصك بالعناية والرعاية: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٧- ٢٢٠].

وإن كنت خبيرًا بأحكام الدين؛ فعلمها من لا يعلمها: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

إن كنت خبيرًا بأحكام الدين؛ فاعمل بها، وعلمها من لا يعلمها بلسانك وقلمك، وانصح لجميع الخلق، واتبع سبيل المؤمنين؛ تكن من الفائزين: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

ففي كتاب الخبير جل جلاله كل ما يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

واعلم يا عبد الخبير أن من عرف أن الله خبير بأقواله وأفعاله وسائر أحواله؛ تأدب في سلوكه، وراقب ربه في جميع حركاته وسكناته، واستقام على ما يحبه ربه ويرضاه في ظاهره وباطنه، وفي جلوته وخلوته، وابتعد عما يسخط مولاه العليم الخبير، وأيقن أن كل ما قسمه الله له لن يفوته، وما لم يُقسم له لن يدركه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

ومن عرف أن ربه خبير بكل شيء، عليم بكل شيء؛ ناداه نداءً خفيًّا، وناجاه في سره، ودعاه في سره؛ لعلمه بقربه منه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

والعاقل حقاً يجب أن يكون خبيرًا بنفسه وعالمه، وعالمه هو بدنه وقلبه وجوارحه، وأقواله وأفعاله، وأخلاقه وأفكاره، ويتفقد قلبه أين يتقلب؟ وهل هو يطوف حول العاجلة أم حول الآجلة؟ هل هو قاعد على موائد الرحمن؟ أم على موائد الشيطان؟ هل

هو يعمل فيما يسعده؟ أم فيما يشقيه؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾[الحشر/ ١٨- ١٩].

واعلم أن كل من دعا إلى الله؛ فقد أذن الله له، فإن كانت دعوته صادقة؛ وفقه الله وأعانه، وصرف قلوب الناس إليه، وهذا نوعٌ من الاصطفاء والتكريم: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾[الحج/ ٧٥].

وإن كانت دعوته كاذبة أو على هواه؛ صرف الله قلوب الناس عنه، وأظهر سريرته على فلتات لسانه، وصفحات جبينه: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٠﴾[محمد/ ٢٩- ٣٠].

فسبحان العليم الخبير بالظواهر والبواطن، والسرائر والخفيات، وعالم الغيب، وعالم الشهادة، وعالم الدنيا وعالم الآخرة، وما نراه وما لا نراه: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر: ٦٥].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكون المسلم خبيرًا بنفسه، خبيرًا بأهله وأسرته، خبيرًا بأحوال الأمة، ماذا يجري في الساحة الإسلامية من فكر الأعداء أو كيدهم.

فيا عبد الخبير، ويا أَمة الخبير،ويا أُمَّة الخبير، كونوا خبراء بمكر وكيد شياطين الإنس والجن الذين يسعون لحربكم، وإضلالكم، وإفسادكم، وإفساد أخلاقكم، فكل ما يملك الأعداء من قوة ومال وإعلام سخروه لصرف المسلمين عن دينهم، ونهب خيراتهم، وتمزيق قيمهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾[آل عمران/ ١٠٠- ١٠١].

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾[البقرة: ٢١٧].

والخبير بأحوال الأمة الإسلامية يرى أن شياطين الإنس والجن طعنوها بثلاثة خناجر

مسمومة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[التوبة/ ٣٢].

**الخنجر الأول:** أنهم زينوا للمسلمين أن الشعائر من صلاة وصوم، وزكاة وحج وغيرها هي الدين، وفصَلوا الشعائر التي هي العبادات عن الشرائع التي تشمل حياة الإنسان كلها، وأوهموا الناس أن العبادة هي العبودية، وقد ضل بذلك كثير من الناس، وسخروا بذلك أقلامهم وأموالهم حتى أوهموا الناس أن الدين عبادات بين العبد وربه فقط.

والمطلوب: العبادة مع العبودية، العبادة شجرة، والعبودية ثمرة، العبادة لها وقت محدود، الصلاة لها وقت، الصوم له وقت، الزكاة لها وقت، الحج له وقت، لكن العبودية وقتها مفتوح، ووقتها عام شامل لحياة الإنسان ليلًا ونهارًا، في كل حال من أحواله، في أي زمان وأي مكان: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام/ ١٦٢ - ١٦٣].

فالعبودية هي الأصل والعبادة وسيلة لها.

فالعبودية هي المطلوبة، أن يكون الإنسان عبدًا لله بقلبه، بلسانه، بجوارحه، في بيته، في سوقه، في مسجده، عبدًا لله في سفره وحضره، وعند طعامه وشرابه، عبدًا لله مع زوجته، عبدًا لله مع الكفار، مع المسلمين،فالعبودية تشمل كل حياة الإنسان: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[البقرة/ ١٣٨].

والأعداء أوهموا كثيرًا من المسلمين، وزينوا لهم أن الشعائر من صلاة وصوم وزكاة وغيرها هي الدين، وفصلوا الشعائر عن الشرائع، فالشعائر هي التعبد لله، وهي تعطي الطاقة الإيمانية للعبد ليمتثل أمر الله، فمثلًا الصلوات الخمس تأخذ ساعة من أربع وعشرون ساعة، ساعة تعبد بين يدي الله، وثلاث وعشرين ساعة تعامل مع الخلق، بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، وتطبيق شرع الله على النفس وعلى الغير.

فهم جعلوا الإنسان يتعبد لله في يومه بالذكر والصلاة، أو في حوله بالزكاة والصيام، أو في عمره بالحج، لكن المطلوب أن تكون عبد الله في جميع أحوالك وأوقاتك، داخل الصلاة، وخارج الصلاة، أنت عبد الله ﷻ.

فهذا الخنجر الأول؛ أنهم زينوا للمسلمين وأوهموهم أن الشعائر هي الدين فقط، وما سوى ذلك فلا، عليك أن تتبع الهوى، وتخرج من الهدى:﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾[البقرة: ٨٥].

**الخنجر الثاني:** أنهم سعوا لتمزيق الأمة الإسلامية؛ فاجتهدوا على نشر المذاهب الإسلامية، وفرقوا الأمة شيعًا، وجماعات وأحزابًا:﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾

[آل عمران: ١٠٤ – ١٠٥].

ففرقوها إلى مذاهب إسلامية، وحركوا بعضها ضد بعض، فنشأ التعصب للمذاهب والأشخاص والبلاد، وقد نجحوا في هذه المساحة نجاحًا كبيرًا؛ فنشأت المدارس المذهبية المختلفة، وأصبح الناس يبغض بعضهم بعضًا، ويعادي بعضهم بعضاً: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾[المؤمنون: ٥٣].

فأنى يكون لهم نصر، وتكون لهم عزة، وهم على هذه الحال السيئة:﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء: ١١٥].

وأفضل قبيلة يريدها الله هي قبيلة المؤمنين، قبيلة المسلمين، قبيلة المتقين:﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[الأنبياء/ ٩٢].

**الخنجر الثالث:** أنهم سعوا إلى تمزيق كيان الأمة الإسلامية الكبير إلى مجموعة دول كبيرة وصغيرة تتطاحن فيما بينها، والعدو يمدها بالسلاح، ويأخذ الأموال،ويمزق الأبدان، ويحطم الكيان:﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

[الصف: ٨].

فهذه ثلاثة خناجر مسمومة، ضربت بها الأمة الإسلامية، ولن تشفى من جراحها وآلامها حتى تعود إلى ربها:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ

﴿ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت: ٣٠ – ٣٢].

وهؤلاء الأعداء لن يفلحوا، ولكن الله ﷻ أمهلهم، ليرى من يغار على الدين، والأمة الآن ولله الحمد تسعى إِلَى الوحدة وإلى الاجتماع، وإلى نشر الدين بين النَّاس بالحكمة والرحمة، وحب الخير للبشرية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الصف: ٩].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾[يوسف: ١١٠].

فليكن العبد خبيرًا بأحوال العالم، حتى يقوم بما يجب عليه نحو نفسه، ونحو أهله، ونحو البشرية كلها: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم/ ٥٢].

فالحمد لله رب العالمين أن اصطفانا العليم الخبير، وجعلنا من خير أمةٍ أخرجت للناس، وأجرى على أيدينا وأيدي المسلمين الخير الكثير، وأنطق ألسنتنا بالحق، وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وحبب إلينا عبادته، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران: ١١٠].

فسبحان من حفظ دينه، وحفظ من يقوم به: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٦٧].

ومن أعظم سبل الاصطفاء بعد الإيمان طلب العلم خالصًا لله، فمن صدق في طلبه؛ اصطفاه الله وعلمه، وجعله معلمًا للبشرية، وداعيًا إليه، وشاهدًا بوحدانيته: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥﴾ [الشعراء/ ٨٣- ٨٥].

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت.

اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني.

أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون.

يا خبيرًا بكل شيء، يا عليمًا بكل شيء، يا بصيرًا بكل شيء، يا مالكًا لكل شيء، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا؛ إنك أنت العليم الخبير.

اللهم يا إلهي، يا من بيده ناصيتي، يا عليمًا بضعفي ومسكنتي، يا خبيرًا بفقري وفاقتي، أسألك أن توفر حظي من كل خير تنزله، ومن كل رزق تبسطه، ومن كل بر تنشره، ومن كل ذنب تغفره يا أرحم الراحمين.

اللهم أنت العليم الخبير بالدقائق والخفايا، وأنت المطلع على المعلنات والسرائر، بصرني في جميع أحوالي؛ حتى أكون خبيرًا بما ينفعني ويضرني، بصيرًا بما يسعدني ويشقيني؛ إنك أنت العليم الخبير.

سبحانك الله وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

## اســـــم الله

# الحكيم.. الحكم..الحاكم

## اسم الله الحكيم.. الحكم.. الحاكم

الحمد لله رب العالمين ن عرفنا بنفسه، وعرفنا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وبآياته ومخلوقاته، وبدينه وشرعه، وهدانا للإسلام، فله الحمد كثيرًا، كما ينعم كثيرًا، وكما يعطي كثيرًا: ﴿ **فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٦) وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣٧)** ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

وكل من عرف الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، تفانى في طاعته، وأحبه وكبره وعظمه، وكل من عرف أوامر الله، ولم يعرف ربه ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى؛ تفنن في التفلت من أوامره، وطلب الرخص؛ لجهله بربه، وما يجب له من توحيده، وتعظيمه، وتكبيره، ومحبته وحمده: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا (١٢)** ﴾ [الطلاق: ١٢].

ومعرفة الله ﷻ بأسمائه الحسنى هي باب التوحيد الأعظم، وهي في باب التوحيد بمنزلة الرأس من الجسد: ﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ (١٩)** ﴾ [محمد/ ١٩].

**والله حكيم عليم جعل في كل إنسان ثلاث أواني:**

جعل القلوب آنية الإيمان، وجعل العقول آنية المعلومات، وجعل المعدة آنية الطعام والشراب.

فلا بد من ملء هذه القلوب بمعرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، ودينه وشرعه؛ حتى يمتلئ قلب المسلم بالإيمان، والإيمان يحرك الجوارح بالأعمال.

**ومغذيات القلوب بالإيمان سبعة:**

أن نعرف الله، ونعرف أسماءَه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده.

هذه مغذيات القلوب التي تحرك الجوارح للطاعة، وتحرك القلوب بالحب لله، والتعظيم له، والذل له، ولهذا فالقلوب محل نظر الله ﷻ، كما قال الرسول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى**

صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أخرجه مسلم[1].

وأصل التقوى تقوى القلوب: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

فسهولة الطاعات، وحب القيام بالتكاليف، أساسها معرفة الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، لأن تلك المعرفة تثمر كمال الإيمان، وكمال التقوى.

وأسماء الله ﷻ الحسنى كلها مغذيات للقلوب، ولهذا أُمرنا بأن نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته؛ لتمتلئ القلوب توحيدًا وإيمانًا، وحمدًا للرب، وتعظيمًا له، وشكراً له، وحياءً منه، وخوفاً منه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وأسماء الله الحسنى تنقسم إلى ستة أقسام، وكلها تغذي القلوب بالتوحيد والإيمان، فلا بد للقلب أن يعرف هذه الأقسام الستة؛ حتى يعبد الله ﷻ بموجبها ومقتضاها، بالمحبة، والتعظيم، والذل لله ﷻ.

- **فأسماء الله الحسنى ستة أقسام:**

**الأول**: الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته: مثل الله، الإله، الواحد، الأحد، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، وغيرها من الأسماء الحسنى، هذه أسماء دالة على وحدانية الله؛ حتى نتوجه إلى واحد، ولا نلتفت إلى ما سوى الواحد.

هو الواحد الأحد الذي بيده كل أحد، القادر على كل أحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، فإذا عرف القلب هذا لم يلتفت إلى أحد سوى الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

**الثاني**: الأسماء الدالة على الملك والقدرة: فالله ﷻ له أسماء تدل على ملكه وقدرته وعظمته، ومن تلك الأسماء:

الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القادر، القوي، المقدم، والمؤخر، وغيرها من الأسماء الحسنى، وهذه تولد في القلب الهيبة والخوف والإجلال، والرهبة من الله ﷻ؛

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

حتى لا نجترئ على معاصيه، ولا نتعدى حدوده، فيتغذى القلب بهذه الأسماء؛ حتى يعرف أن الملك العزيز الجبار القاهر القادر القوي يراقبه ويسمعه ويراه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣].

**الثالث:** الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد، فلا بد للقلب أن يعرف من الخالق؟ من الباري؟ من المصور؟ من الرزاق؟ من الوهاب؟ من الكريم؟ من البر؟ من المقيت؟ حتى نقف ببابه وحده.

فإذا عرف القلب ذلك؛ عرف أن خالقه هو الله، وأن الله هو الخالق البارئ المصور، وأنه الرزاق الوهاب الكريم، البر بعباده جل جلاله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤].

**الرابع:** الأسماء الدالة على العلم والإحاطة: مثل: السميع البصير، العليم الخبير، الرقيب الشهيد، الحفيظ المحيط، وأمثالها، فإذا عرف العبد ذلك لم يتكلم إلا بما يحبه الله ورسوله، ولا يسمع إلا ما يحبه الله ورسوله، فيعلم أن ربه سميع بصير عليم؛ سميع إن تكلمت، بصير إن تحركت، عليم إن أضمرت، خبير يعلم الظاهر والباطن، رقيب شهيد على ما يعمله العباد، فإذا عرف القلب ذلك لم يتكلم إلا بما يحبه الله ﷻ ويرضاه من الأقوال والأعمال.

**الخامس:** الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة: مثل: الرب، الرحمن الرحيم، الرؤوف الحليم، الحميد الشكور، الودود الولي، النصير، القريب المجيب، العفو الغفور، التواب، هذه الأسماء تدل على رحمة الله؛ حتى يقبل العبد على ربه، إن عصاه استغفره، وإن أطاعه أمَّل برحمة الله ﷻ، فهو ربنا الذي يربينا بالنعم المادية وهو أرحم الراحمين، وهو الرؤوف بعباده، الحليم الذي لا يعجل على من عصاه؛ بل يمهله لعله يتوب، الحميد المحمود على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، الشكور الذي يشكر على العمل القليل، فيعطي الأجر الكبير: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢].

**السادس:** الأسماء الدالة على الهداية والبيان: مثل: الهادي المبين، الوكيل الكفيل، وأمثالها

من الأسماء الحسنى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ٣١﴾ [الفرقان: ٣١].
هذه معاني أسماء الله الحسنى، وهي مغذيات للقلب بالإيمان بأنواعها الستة.
فإذا تغذى القلب بمعرفة هذه الأسماء؛ آمن بالله، واطمأن إلى ربه، واطمأن بذكره، وأحب ربه، وكبره وعظمه، وحمده وشكره، وتوجه إليه في جميع أموره: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].
الله ﷻ هو الحكيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحكيمة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].
فنعرفه أولًا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ثم نعبده بمقتضى هذه المعرفة، فالله رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، تواب يحب التائبين: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].
الله ﷻ هو الرب الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، ويتقن صنع كل شيء بقدرته وحكمته، الحكيم الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل ولا نقص: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤﴾ [الملك: ١ - ٤].
هو سبحانه الحكيم في أقواله وأفعاله، هو الحكيم الذي يضع الأشياء في محلها بحكمته ورحمته وعلمه، الحاكم الذي يحكم بين عباده بالقسط والعدل، النافذ حكمه في ملكه، الحكيم الذي يحكم ولا معقب لحكمه: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١﴾ [الرعد/ ٤١].
هو سبحانه الملك الحق الحكيم الذي أحكم خلق المخلوقات والأمور، ومنعها عن الخروج على حكمه، الحاكم القاهر الذي قهر جميع المخلوقات على ما أراد، قهر جميع المخلوقات حجمًا ولونًا، وبقاءً وفناءً.
هو الحاكم القاهر الذي قهر جميع المخلوقات على مراده، ذكر وأنثى، وليل ونهار، وكبير

وصغير، وأبيض وأسود، وإنسان وحيوان، وملائكة وجان: ﴿سُبْحَانَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

هو الحكم الحاكم القاهر الذي قهر جميع المخلوقات على مراده، فدان الملك والملكوت كله لحكمه العدل، وأمره الفصل، يخلق ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾ [الزمر/ ٥].

هو سبحانه أحكم الحاكمين، الذي كل أقواله وأفعاله وأحكامه في منتهى الحسن، الحاكم الذي يحكم بالحق والعدل والإحسان، الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة/ ٥٠].

هو سبحانه الحكم الذي لا حكم أعدل منه، الملك الذي لا أرحم منه، ولا قائل أصدق منه، الذي سلم له الحكم كله، في ملكه العظيم، وسلطانه الكبير: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فسبحان ربنا الحكم الذي يحكم بين العباد بالعدل والإحسان، الحكم في كل زمان ومكان، الحكم في العالم العلوي والعالم السفلي، في عالم الغيب وعالم الشهادة، في الدنيا والآخرة، الحاكم في كل مكان وزمان وحال، الحكم الصادق الذي لا يقع في وعده ريب ولا شك: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٤ - ١١٥].

هو الحكم الذي حكم الملك والملكوت، فجميع المخلوقات شاهدة بوحدانيته، ومسبحة بحمده، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره.

هو الحكم الذي حكم الملك والملكوت، وحكم عالم الغيب والشهادة، الحكم الذي حكم على القلوب بالرضا والقناعة، وحكم على النفوس بالانقياد والطاعة، الحكم الذي نفذ حكمه في جميع مخلوقاته، فليل ونهار، وحار وبارد، وطعام وشراب، وهواء

ونور، وجبال وبحار: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [الجمعة: ١].

هو الحكيم الذي نفذ حكمه في جميع مخلوقاته، فجاءت على ما أراد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

هو الحكم الذي حكم جميع المخلوقات، وأحكم الأمور، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة.

وهو سبحانه وتعالى الحكم وحده لا شريك له، فلا يجوز لأحد أن يحتكم إلى غير شرع الله، ومن احتكم إلى غير شرع الله؛ فقد حكَّم في أموره من ليس حاكمًا: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾ [المائدة/ ٤٧].

هو سبحانه الحكيم الحق الذي لا بد أن يظهر الحق؛ لأنه هو الحق الذي ينصف المظلوم من الظالم، هو الحق الذي ينصف المظلوم في الدنيا والآخرة، لكن لا بد من الصبر وانتظار الفرج؛ فأعظم العبادة انتظار الفرج.

ومن سنة الله مع خلقه الظالم والمظلوم أن يمهل، ويرخي الحبل مع الكل، ليفعل كل أحد ما يشاء، ولكن الظالم لا يستمر إلى ما لا نهاية، الحبل مرخي إلى أجل، والعاقبة بعد ذلك للمتقين: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف/ ١١٠].

فالله يمهل ولا يهمل، والمظالم كلها مردودة، إما في الدنيا أو في الآخرة، فلا بد أن يقتص الملك من الظالم للمظلوم، إما في الدنيا أو في الآخرة، فليصبر العبد، وليستقم كما أمره الله ﷻ، والله سوف ينتقم له: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩﴾ [يونس/ ١٠٩].

والحكم سبحانه سوف ينتقم من كل ظالم إما عاجلاً أو آجلاً: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢﴾

[إبراهيم: ٤٢].

فالله عَجَلَّ هو الملك الحق، هو الحكيم الذي أحكم الأمور كلها في ملكه العظيم، وسلطانه الكبير، فلا يضع شيئًا إلا في موضعه، الحكم الذي يحكم بالحق والعدل والإحسان، الواسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦- ٣٧].

واسم الله الحكيم من أسماء الله الحسنى التي ظهرت آثارها في الملك والملكوت، وفي المخلوقات كلها، والأمور كلها، والتدبيرات كلها: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

وقد ورد اسم الله الحكيم في القرآن سبعاً وتسعين مرة منها قوله سبحانه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة/ ١].

وورد مرفوعًا ومنصوبًا، ورد مرفوعًا إحدى وثمانين مرة، وورد منصوبًا ست عشرة مرة منها قوله سبحانه: ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء/ ٩٢].

والحكيم صفة مشبهة للموصوف بالحكمة، مأخوذ من الفعل حكم يحكم حكمًا وحكمة فهو حكيم، والحكيم من الناس من تصدر أقواله وأعماله عن رؤية سديدة، ورأي سليم.

هو جل جلاله الحكيم الذي يؤتي الحكمة من يشاء: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: ١٢].

فالحكيم هو الذي وهب الحكمة لكل حكيم من خلقه، والحكيم هو الذي وهب الحكم لكل حاكم من خلقه.

هو سبحانه الحكيم الذي كل أفعاله في غاية الحكمة والحسن والإتقان، لا يفعل شيئًا عبثًا؛ لأن أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة، لأجلها فعل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

فالله ﷻ هو الحكم الذي يحكم جميع ملكه وهو الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة/ ٥٠].

والحكمة أخص من العلم؛ لأن الحكمة هي إجراء العلم على نحو خاص يحقق أسمى الغايات: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [الممتحنة/ ١٠].

والفرق بين الحكيم والعليم أن العليم هو الذي يعلم الأشياء بحقائقها ظاهرًا وباطنًا.

والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم بالحكمة المطلقة، المقرونة بالخير المطلق، المقرونة بالقدرة المطلقة، والإرادة المطلقة، والله حكيم إذا حكم لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام/ ١٨].

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [يوسف/ ٦].

والحكمة تتضمن كمال علم الله وخبرته، وأنه الذي خلق وقدر، وأمر ونهى، وأعطى ومنع، وأكرم وأهان، وأعز وأذل، لما له من الحكم والغايات الحميدة التي يستحق عليها كمال الحمد والثناء والتمجيد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ [سبأ/ ١].

والصفة المشتقة من اسمه الحكيم هي صفة الحكمة، فصفة الحكمة مشتقة من اسم الله الحكيم، وهو الوهاب الذي وهب الحكمة لكل حكيم من الخلق، وصفة الحكمة صفة ذاتية لله ﷻ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة/ ١١٨].

الحكمة صفة ذاتية لله ﷻ، وهي كذلك صفة فعلية لله ﷻ.

فهو سبحانه الحكيم الذي يحكم بما شاء من أحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية.

هو الحكيم الذي له الأحكام القدرية بالخلق والأمر، خلق السماوات والأرض، والجبال والبحار، وجاء بالليل والنهار، والأمن والخوف، والصحة والمرض، هذه أحكام قدرية تجري على جميع المخلوقات.

وله أحكام شرعية بما أنزل من الكتب التي فيها الشرائع من الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، والأوامر والنواهي.

وكذلك له الأحكام الجزائية، يجزي أهل الطاعة بالجنة والرضوان، ويجزي أهل المعاصي والكفر بالنار وسخطه جل جلاله.

فلله وحده جميع الأحكام في ملكه العظيم، أحكام قدرية، وأحكام شرعية، وأحكام جزائية: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف/ ٤٠].

واسم الحكيم في ذاته اسم من أسماء الله الحسنى، والعليم كذلك اسم من أسماء الله الحسنى، فإذا اقترن اسم الله الحكيم باسمه العليم؛ كان ذلك كمالًا آخر، فحكيم صفة كمال، عليم صفة كمال، وإذا اقترنا معًا كان ذلك كمال ثالث.

وقد اقترن اسم الله الحكيم باسمه العليم ست وثلاثين مرة في القرآن الكريم، منها سبع مرات قدَّم الحكيم على العليم، والباقي قدم العليم على الحكيم، كما قال سبحانه عن الملائكة: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ [البقرة/ ٣٢].

وسر تقديم العليم على الحكيم والله أعلم أن المقامات التي قدم الله العليم على الحكيم هي مقامات منوطة بالعلم الأول، ثم بالحكمة في تنزيل العلم على الواقع، بما يحقق التوافق بين الأحكام الشرعية النازلة من عند الله، والطبائع البشرية التي خلقها الله ﷻ في العباد، أن يختاروا ما شاءوا، وذلك يثمر الرضا والتسليم بكل ما قدره العليم الحكيم؛ لأن المؤمن معتمد على حكم الله في اختيار الزمان الأنسب لمصلحته، معوِّل على حكمة الله في تهيئة الأسباب له، ليقع الأمر على أحسن ما يكون، كما قال سبحانه عن يعقوب: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾ [يوسف/ ٨٣].

أو يقترن في مقام التواضع والتحدث بنعمة الله، كما قال سبحانه عن يوسف ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف/ ١٠٠].

هنا يتحدث عن نعمة الله على يوسف، حيث خرج من السجن إلى القصر، ومن عبد يباع إلى ملك يطاع.

هو الحكيم الذي يضع الشيء في مواضعه، ويعلم عواقب الأمور وأوائلها.

وقدم سبحانه اسم الله الحكيم على العليم في مقامي التوحيد، وإظهار المعجزات؛ ليعلم جميع الخلق أن ألوهية الله ﷻ سارية وحاكمة على جميع من في السماوات والأرض من المخلوقات بالحكمة القائمة على القوة الغالبة القاهرة: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٨].

هو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، الخبير بالظواهر والبواطن: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ٨٤﴾ [الزخرف/ ٨٤].

ويقرن الله في القرآن بين العلم والحكمة بعد ذكر الأحكام وآيات الوعد، وآيات الوعيد؛ ليبين للعباد أن الشرع الإلهي، والجزاء الإلهي، كلاهما مقرون بالحكمة، غير خارج عن علمه، فقال بعد ذكر المواريث: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦٠﴾ [التوبة/ ٦٠].

فهو العليم الذي يعلم ما لا يعلم العباد، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها.

فيجب علينا أن نخضع لأمره الشرعي كما خضعنا لأمره الكوني، نحن خاضعون لأمره الكوني، في وجودنا ذكر وأنثى، أبيض وأسود، طويل وقصير، نحن خاضعون لأمره الكوني الذي لا خيار لنا فيه، لا خيار لنا في ألواننا، وفي أنواعنا، وفي أعضائنا، فخضعنا لأمره الكوني، فيجب أن نخضع لأمره الشرعي: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٣﴾ [الأنعام/ ٨٣].

واقترن اسم الله الحكيم بالعزيز، هو العزيز الذي لا يغلب، الحكيم الذي شرع أحسن الأحكام، الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٣٨﴾ [المائدة/ ٣٨].

وسر ذلك أن عزة الله جل جلاله مقرونة بالحكمة؛ لأن العزة وحدها قد ينتج عنها سوء التصرف، إنسان عزيز قادر إذا لم تكن عنده حكمة فيتصرف بسوء، فالله ﷻ قرن العزة بالحكمة؛ لأن العزة وحدها قد ينتج عنها سوء تصرف وظلم وجور، كما يحصل من الخلق.

والله سبحانه عزيز لا يغلبه غالب، حكيم يضع الشيء في موضعه، فعزته مقرونة

بحكمته، وحكمته مقرونة بعزته، عز وحكم فعاقب المعتدين، وقطع يد السارق، فانتقامه من أعدائه يجري على سنن العدل والحكمة، والرحمة والإحسان.

ولهذا من كمال حكمته إكرام الطائعين، وعقاب المعتدين شرعًا وقدرًا وجزاءً؛ لأنهم خالفوا أمره.

هو سبحانه العزيز الحكيم الذي ينصر أولياءه على أعدائه بعزته وقدرته، ويحكم أمره على أتم وجه بحكمته: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [الأنفال: ١٠].

واقترن اسم الله الحكيم بالعلي في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾ [الشورى/ ٥١].

فهو العلي الأعلى، له علو الذات، وعلو القهر، وعلو القدر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۝٣٤﴾ [النساء/ ٣٤].

وسر ذلك والله أعلم أن الله عليّ في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، فاقتضت حكمته أن يكون توجيه خطابه إلى البشر لطيفاً تيسيرًا لهم، وحكم الله يعلو ولا يعلى عليه؛ لاشتماله على الحق: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢﴾ [غافر: ١٢].

فهو علي، وأحكامه عليا، تحكم على البشر من العلي الأعلى، وكل ما سوى أحكامه فهو أدنى، ومن أمور الجاهلية.

واقترن اسمه الحميد مع اسمه الحكيم مرة واحدة في القرآن في قوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت/ ٤٢].

وسر ذلك والله أعلم الإشارة إلى أن هذا القرآن منزل من حكيم يضع الشيء في موضعه، ويتقن الأمور غاية الإتقان، ولهذا استحق الحمد والثناء على كمال ذاته وأسمائه وصفاته، وكمال قدرته وعلمه وحكمته: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝١١١﴾ [الإسراء/ ١١١].

فسبحان الحكيم العليم بأحكام الأمور، الذي يضع الشيء في موضعه! الحكيم الذي له

الحكم كله، لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم، الحاكم الذي يفصل بين الأمور، ويحكم بالعدل، الحكيم الذي أتقن ويتقن كل شيء خلقه، الحكيم الكامل في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

فهو سبحانه الحكيم في أقواله وأفعاله وأحكامه، قوله الحق، وحكمه العدل، وفعله الصواب: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ ۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة/ ٥٠].

فالذي خلق هو الذي يحكم من خلق حكماً كونياً قدرياً، فجميع المخلوقات مماليكه وعبيده، خاضعون لأمره، ويحكم خلقه بأحكامه الشرعية، فأنزل الكتب، وأرسل الرسل للجن والإنس، ويحكم خلقه أحكام جزائية، التي هي الثواب والعقاب: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨﴾ [القصص: ٨٨].

هو سبحانه الحكيم الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره.

كل ذرة في هذا الكون لها حكمة، وكل ذرة خلقها الله في هذا الكون فهي مظهر لجلال الله وجماله، وقدرته في خلق الكبير كالعرش، وخلق الصغير كالذرة، وهي مظهر لجلاله وقدرته في خلق الصغير والكبير، وخلق الكامل والناقص، وهو الحكيم الذي له الحكمة في خلق هذه الذرة في جبل، أو في إنسان، أو في بحر، أو في سماء، أو في أرض.

وكل ذرة في ملكه العظيم لها ثلاثة أوامر من الحكيم:

لها أمر بالإيجاد، ولها أمر بالبقاء، ولها أمر بالنفع والضر.

فهو سبحانه الحكيم لكل ما خلق وذرأ وبرأ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

فهو الحكيم الذي لا يفعل ولا يأمر ولا يخلق إلا ما فيه خير ومصلحة، ولا ينهى إلا عما فيه مفسدة أو مضرة: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٩﴾ [النور/ ٥٩].

هو سبحانه الحكيم الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الحكم في العالم العلوي والسفلي، وله الأحكام الثلاثة:

الأحكام القدرية الكونية في ملكه العظيم، فهو في كل ثانية يحكم في ملكه العظيم

بأحكامه القدرية بمليارات الأوامر الكونية القدرية، كم من عالم النبات ينبت! وكم من المخلوقات التي تخلق في كل ثانية! من عالم الجماد والنبات، والحيوان والإنسان وغيرها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ٨٦﴾ [الحجر: ٨٦].

ولكل مخلوق حكمة، ولكل مخلوق وظيفة، ولكل مخلوق عبادة، فالخلق كلهم عبيده، في العالم العلوي والعالم السفلي، لكن له عبيد بالتسخير وهم كل ما سوى الإنس والجن من المخلوقات، وعبيد بالتخيير وهم الإنس والجن الذين أرسل الله إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وله سبحانه الأحكام الدينية الشرعية، وله الأحكام الجزائية بالثواب والعقاب، وهو يحكم لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب، لا أحد يعترض عليه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ٤١﴾ [الرعد: ٤١].

فجميع أفعاله مقرونة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وما سوى الخير هو الشر، والشر ليس إليه: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء/ ٧٩].

فهو سبحانه الحكيم، الخبير بالظواهر والبواطن، إذا أمر بأمر كان حسنًا في نفسه، وإذا نهى عن شيء كان قبيحًا في نفسه، وإذا أخبر بخبر كان صدقًا، وإذا فعل فعلًا كان في منتهى الحكمة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦﴾ [يوسف: ٦].

هو سبحانه الحكيم الذي بحكمته خلق فسوى، وقدر فهدى، وأسعد وأشقى، وأضل وهدى، ومنع وأعطى، وأمات وأحيا: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾ [الأعلى/ ١-٣].

هو سبحانه الحكيم، ومن جلال الحكيم أن جميع المخلوقات والشرائع مشتملة على الحكم العظيمة، والغايات الحميدة، فلا إله إلا الله! ما أعظم أحكامه! وما أصدق أخباره! وما أحسن أوامره، وما أحكم تدبيره.

وجميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، وجميع شرائعه مشتملة على الحكم

العظيمة، والغايات الحميدة، والمصالح الكبيرة، كما أنها في نفسها في غاية الإحكام والإتقان: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام/ ٧٣].

الحكيم سبحانه خلق المخلوقات، وشرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل؛ ليعرف عباده بذاته، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، لماذا؟ ليعبدوه وحده لا شريك له، ولا يلتفتوا لأحد سواه؛ لأنه الخالق الرازق، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، الملك الذي له ملك السماوات والأرض، العليم بكل شيء، الخبير بكل شيء، القادر على كل شيء، الذي له كل شيء، الذي خلق كل شيء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

فأنزل الله الكتب، وأرسل الرسل ليعرف عباده بذاته، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ حتى يعبده العباد وحده بالمحبة والتعظيم والذل له، محبة ورجاءً لثوابه، وخوفًا من عقابه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هذا ربكم الذي تعبدونه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فإذا عرفتم ذلك؛ فاعبدوه وحده لا شريك له، وأخلصوا العبادة له، فهو الذي خلقكم ورزقكم، وهداكم إلى دينه، وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم، وضاعف لكم الأجر والثواب، وأعانكم على طاعته، فاحمدوه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

وشريعة الله أحسن الشرائع؛ لأنها عدل كلها، حكمة كلها، مصلحة كلها، رحمة كلها، وحق كلها: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود/ ١].

والحق ما وافق العقل الصحيح، وقبلته الفطرة السليمة، وحقق المصلحة، ودفع المفسدة، في الدنيا والآخرة: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١].

والله سبحانه وتعالى عدله مطلق، وحكمته مطلقة، ورحمته مطلقة، وإحسانه مطلق، لا يرضى أن يظلم في ملكه ذرة، أو حشرة أو مخلوق من خلقه.

هو سبحانه الرحمن الرحيم الحق، الذي لا يرضى أن يظلم في ملكه أحد؛ لأن حكمته ورحمته مطلقة عمت جميع خلقه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠].

فلا إله إلا الله! وسبحان الحكيم الذي يوظف شر البشر لخير البشر وصالحهم!.

فننظر ماذا جرى ليوسف ﷺ حينما أخذه إخوته وجاءوا على قميصه بدم كذب، قالوا: أكله الذئب، ثم رمي في البئر، وهناك أوحى الله ﷻ إليه: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف: ١٥].

ثم بيع في السوق، ثم امتحن بزوجة العزيز، ثم جرت عليه هذه الأحوال الشديدة، ثم وصل إلى الملك، ثم تمنى أن يخرج من هذه الدنيا: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف/ ١٠١].

فالله ﷻ يوظف شر البشر لخير البشر وصالحهم، فما من طاغية يطغى إلا ويوظف طغيانه لمصلحة البشر: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة/ ٢١].

هو سبحانه الحكيم العليم الذي يجعل المحبوب في باطن المكروه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة/ ٢١٦].

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص/ ٤-٦].

وقد قال سبحانه وفعل فأغرق فرعون وجنوده: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ

﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥﴾ [الزخرف: ٥٥].

وهو الحكيم الخبير الذي يعلم أوائل الأمور وعواقبها، وظواهرها وبواطنها.

والله سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

ومن عرف ربه الحكيم بأسمائه وصفاته وأفعاله تفانى في طاعته، وامتلأ قلبه بمحبته وحمده وتمجيده، ومن عرف أوامره دون معرفته تفنن في التفلت من امتثال أوامره: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

هو سبحانه الحكيم الذي وهب الحكمة لكل حكيم، الرزاق الذي وهب الرزق لكل مرزوق، اللطيف الذي وهب اللطف لكل لطيف: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

ورأس الحكمة مخافة الله، فمن عرف الله فقد عرف كل شيء، ومن لم يعرف الله فكأنه لم يعرف شيئًا: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢﴾ [النجم/ ٤٢].

قد يؤتيك الله المال والله لا يحبك، فقد أعطى قارون المال وهو لا يحبه، ولما لم يشكر الله ﷻ؛ خسف به وبداره الأرض، وقد يؤتيك المال؛ لأن حالك أيها العبد لا يصلح إلا بالمال، ولكنه سبحانه لا يؤتي الدين إلا لمن يحب، كما قال الله ﷻ عن يوسف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾ [يوسف/ ٢٢].

ومن عرف أنواع الحكمة والعلوم، ولم يعرف الحكيم جل جلاله؛ فلا يستحق أن يسمى حكيمًا، بل هو أسفه السفهاء، وأغبى الأغبياء؛ وإمام الغافلين، لأنه عرف المخلوق، ولم يعرف الخالق: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٧٩-١٨٠].

فمن عرف العلوم وعرف أنواع الحكمة، ولم يعرف الحكيم جل جلاله؛ فهو أسفه الخلق: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ

فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٣٠].
والإنسان وعاء المعلومات، وأشرف العلوم معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه، والحكيم من ملأ وعاءه بهذه العلوم النافعة، وعمل بموجبها؛ محبة لله، وتعظيمًا له، وطمعًا في ثوابه، وخوفًا من عقابه، هذا هو الحكيم.

الحكيم الذي صدَّق بأخبار الله، وامتثل أوامره، وتعبد لله ﷻ بموجب هذه المعرفة.

الحكيم هو الذي عرف الحكيم، وعرف أوامر الحكيم جل جلاله، وعمل بموجبها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

هذا هو الحكيم الذي آمن بالله ، وعرفه بأسمائه وصفاته، وعرف أمره، فأطاعه في ملكه.

هذا هو الحكيم الذي عرف ربه جل جلاله، ثم عرف أمره، ثم استجاب لدينه وفاز بثوابه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾
[السجدة: ١٥ – ١٧].

الحكيم هو الذي آمن بربه، وعبد ربه وحده، ودعا إلى ربه الذي له الملك العظيم والسلطان الكبير، وله الأوامر الكونية، وله الأوامر الشرعية، وله الأوامر الجزائية، وله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله عالم الغيب والشهادة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فسبحان ربنا الحكيم الذي أحكم صنع ما خلق من جماد ونبات وحيوان، وملائكة وإنس وجن: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل/ ٨٨].

**واسم الله الحكيم له ثلاثة معاني:**

**الأول:** حكيم بمعنى محكِم ومتقن للمخلوقات التي خلقها، فهي في غاية الإحكام والإتقان، الذي أحسن كل شيء خلقه: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ [السجدة: ٦ - ٨].

**الثاني:** أن الله هو الحكيم الذي علمه مطلق، وعلمه لا أول له ولا آخر، ولا بداية له ولا نهاية، هو العليم بكل شيء، الخبير بكل شيء، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء.

العليم الذي يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ذرات الرمال، لا تواري منه سماء سماءً، ولا أرض أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما قعره.

هو الحكيم العليم الذي يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، الذي يعلم عباده ما شاء من علمه جل جلاله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [النساء: ١١٣].

**الثالث:** أن الحكيم ذو الحكمة البالغة الذي يضع الشيء المناسب، بالقدر المناسب، في المكان المناسب، بالحجم المناسب، في الوقت المناسب: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر: ٤٩ - ٥٠].

فسبحان الحكيم الذي حكم على الخلق بقضائه وقدره، فذكر وأنثى، وليل ونهار، وحر وبرد، وجماد ونبات، وحيوان وإنسان.

هو الحكيم الذي حكم على الخلق بقضائه وقدره، لونًا وحجمًا، وشكلًا ومساحة.

هو الحكيم الذي حكم على الخلق بقضائه وقدره، خلقًا وتدبيرًا، فما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين/ ٨].

وهو سبحانه الحكيم الذي حكم بين عباده بدينه وشرعه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف/ ٤٠].

الله ﷻ رفعنا عن حياة الحيوان الذي يأكل ما يشتهي، ويشرب ما يشتهي، وينام حيث يشتهي، بلا حد ولا قيد، ولا أمر ولا نهي.

ورفعنا عن حياة الشياطين الذين كل حياتهم معاصٍ وذنوب وكبائر.
ورفعنا عن حياة السباع التي كل حياتها اعتداء وظلم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾ [الروم: ٣٠].
الله سبحانه رفع مكانة الإنسان حين دعاه إلى حياة الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠)﴾ [النساء: ٦٩ – ٧٠].
وحكم الجاهلية، وظن الجاهلية، وحمية الجاهلية، وتبرج الجاهلية، هذه الأمور الأربعة مرفوضة في حياة المسلم: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾ [المائدة: ٤٩ – ٥٠].
وحكم جل جلاله بين الخلق يوم القيامة بفضله وعدله: ﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧)﴾ [الأعراف/ ٨٧].
هو الحكيم الذي يحكم بالعدل على الكفار، ويحكم بالفضل والإحسان على المؤمنين، فيؤتي على الحسنة عشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)﴾ [الأنعام: ١٦٠].
فالحكم الحق هو الله وحده لا شريك له: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ (١١٤)﴾ [الأنعام/ ١١٤].
هو سبحانه الحكيم ذو الحكمة البالغة، الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها، أقواله وأفعاله في منتهى الحكمة والرحمة، والعدل والإحسان، ومن رحمته بنا أن بيّن لنا ماذا يريد منا، وتكفل لنا بما يشغلنا عن مراده منا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].
فالرزق قد فصل الله فيه لكل مخلوق، لكل ذرة، لكل حشرة، لكل طير، لكل حيوان في البر

والجو والبحر، وكل إنسان وكل جان، قد فصل الله في جميع الأرزاق كمية ونوعية، ومكانًا وزمانًا، وكلٌّ سوف يصل إليه رزقه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٠﴾ [العنكبوت: ٦٠].

لكن الشيطان جاء وأشغل الناس بما قُسِم لهم وهو الأرزاق، عما أمروا به وهو عبادة الله، لذا لا بد من التفرغ لعبادة الله وطاعته، والله ﷻ يرزقنا من حيث لا نحتسب، مع إعطاء وقت قليل لكسب المعاش، أما الوقت كله فهو تعبد لله، حتى في أمور الكسب نمتثل أمر الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

فالله ﷻ عنده قوة خلق الأرزاق كلها، ويخرجها من الخزائن، ويرسلها إلى كل مرزوق في البر والبحر والجو، يوصل الأرزاق بقوته وقدرته إلى كل مخلوق، سائل أو غير سائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

هو سبحانه الحكيم الذي له الحكم كله في العالم السفلي وفي العالم العلوي، وخلق كل شيء في هذا الكون، من أصغر ذرة إلى العرش العظيم، إلى الكرسي الكريم، إلى السماوات السبع، والأراضين السبع، وما فيهما، كل شيء له حكمة، وكل شيء له وظيفة، وكل مخلوق يقوم بعبادة ربه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

فكل مخلوق له حكمته: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٩﴾ [الدخان: ٣٨ – ٣٩].

﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾[المؤمنون/ ١١٥].

هو سبحانه الحكيم الذي أتقن ما صنع، وأحسن ما خلق: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤﴾ [الملك: ١ – ٤].

هو سبحانه الحكيم الذي أمر بكل عمل صالح؛ لما فيه من الخير، ونهى عن كل عمل

سيئ؛ لما فيه من الضرر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

فنتعبد لله بفعل الأعمال الصالحة، ونتعبد لله بترك الأشياء الضارة السيئة: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/ ٧].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤ – ١٠٥].

هو الحكيم الذي أخباره تملأ القلوب إيمانًا وتوحيدًا، وتعظيمًا وحبًّا لله العلي القدير، وأوامره كلها منافع ومصالح، وتثمر الأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة، والأجور الكريمة، والهدى الكامل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن/ ١٧].

ونواهيه كلها موافقة للفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، فلم يَنْهَ إلا عما يضر الناس في أبدانهم، وعقولهم، وأموالهم، وأعراضهم، وأخلاقهم: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

فهو سبحانه حكيم عليم، يضع الشيء في موضعه، فالأوامر بمثابة الأغذية التي تغذي البدن، والمناهي بمنزلة السموم التي تضر البدن، ومن حكمه وحكمته مجازاته المحسن بإحسانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس/ ٢٦].

وكذلك مجازاة المسيء بإساءته: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

فالله ﷻ حكيم، وأحكامه كلها في منتهى الحسن والجمال، فلا أحد أحكم من الله، ولا شيء أحسن من حكم الله، ومن حكم الله الحسن الجميل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ

﴿وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات/ ١٣].
أكرمكم عند الله هو أتقاكم لله، ذكر وأنثى، أبيض وأسود، عربي وعجمي، أكرمكم عند الله أتقاكم.
أتقاكم لله الذي صدق أخبار الكتاب، وامتثل الأوامر، واجتنب النواهي، وسخر هذا البدن؛ فكان كريمًا تخرج منه الأعمال الصالحة، والأخلاق العالية، والأقوال الحسنة: هذا هو الكريم عند الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].
الكريم الذي يسخر نفسه ويوظفها لطاعة الله ﷻ، في التعبد له، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه، هذا هو أكرم الخلق، أن يستعمل هذا البدن في طاعة مولاه، جهدًا على نفسه، وجهدًا على غيره: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ – ٣].
ومن حكم الله الحسن: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].
ومن حكم الله الحسنة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].
ومن حكم الله الحسن: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ [النجم/ ٣٩-٤١].
ومن حكم الله الحسن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد/ ٧].
ومن حكم الله الحسن: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار/ ١٣-١٤].
ومن حكم الله الحسن: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً

طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

هذه أحكام الله الشرعية، وكل القرآن الكريم حكم وأحكام، وأوامر وأخبار، وتوحيد وتمجيد للمجيد جل جلاله، ووعد ووعيد وقصص: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود/ ١].

فلا إله إلا الله العلي العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، كيف يتودد إلى عباده؟، في أمر عباده بالنظر في الملك والملكوت، وبالنظر في الآيات الشرعية؛ لنعرف الرب المعبود الذي يستحق العبادة، الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

بيّن الله لنا بالدلائل الحسية، وبالآيات القرآنية، أنه الواحد الأحد الذي له الملك والملكوت، الذي له الأوامر الكونية، والأوامر الشرعية، والأوامر الجزائية، ودلنا وأمرنا بالتعرف عليه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦ -٨].

ومن كمال حكمته جل جلاله، أنه اللطيف الذي يتكرم على عباده، ويتودد إليهم بنعمه وإحسانه، ويذكرهم بآلائه وآياته ومخلوقاته، ويعرفهم بأسمائه وصفاته، فكيف نذهب عنه إلى غيره؟ الله ﷻ أمرنا أن نفر إليه: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

فكل من تعلق بغير الله فهو في العذاب الشديد في الدنيا، وفي القبر، وفي النار يوم القيامة: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

ومذموم ومخذول في الدنيا والآخرة: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء/ ٢٢].

والإله الآخر هو الهوى والشهوات والمناصب تُجعل مع الله.

وأعظم صنم معبود مع الله هو النفس التي تجرك إلى محبوباتها من مأكولات، ومشروبات، ومنكوحات، وملبوسات، ومركوبات: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)﴾ [القصص: ٥٠].

فسبحان الحكيم العليم الذي يتودد إلى عباده بدلالتهم على ما يحبه ويرضاه، بدلالتهم وأمرهم بالتعرف عليه، والتعرف على أسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ حتى يعرفوا العظيم فيعظموه، ويعرفوا الكبير فيكبروه، ويعرفوا الكريم فيشكروه، ويعرفوا القادر فيستعينوا به، ويعرفوا القوي فيتوجهوا إليه، ويعرفوا الرحمان فيسترحموه، ويعرفوا الغفور فيستغفروه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾ [يونس: ٣].

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣)﴾ [البقرة/ ١٤٣].

هو سبحانه الحكم الحق الذي له الأحكام كلها.

له الحكم الكوني القدري على الكائنات كلها، الذي أثره جميع ما خلق وذرأ وبرأ في العالم العلوي والسفلي: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣)﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

هو الحكم الذي له الحكم الكوني القدري على جميع المخلوقات، وجميع المخلوقات نراها مقهورة في إيجادها وبقائها: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وهو الحكم الحق الذي له الحكم الديني الشرعي، الذي أثره جميع الشرائع والأوامر والنواهي الموجهة إلى الإنس والجن بواسطة الأنبياء والرسل، وبواسطة الكتب السماوية: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾ [يوسف/ ٤٠].

وهو الحكيم الحكم الحق الذي له الحكم الجزائي في الدنيا والآخرة، الذي أثره الثواب والعقاب على العباد فيما عملوه من خير أو شر: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥٧)﴾ [الحج: ٥٦ - ٥٧].

فسبحان المالك الحق الذي له الخلق والأمر، والحكم والحمد، والدبير والتصريف: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص/ ٧٠].

والحكيم من أسماء الله الحسنى التي تدل على ثبوت كمال الحكم لله، وكمال الحكمة له، أما كمال الحكم فاعلم أن الحكم كله لله وحده لا شريك له، وهو الذي يحكم بين عباده بما يشاء، ويقضي فيهم بما يريد، ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام/ ٥٧].

وكما أنه ليس له شريك في الملك فليس له شريك في الحكم، وليس له شريك في العبادة: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف/ ٢٦].

ورب العالمين الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الملك العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، الخالق لكل شيء، هو الذي يستحق وحده أن يحكم في كل شيء، وأن يحكم ويشرع، ويأمر وينهى، ويحلل ويحرم: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف/ ٤٠].

ومن أظلم الظلم، وأعظم الجور، وأقبح الفعل، أن يسكن الناس في ملك الله، ويأكلون من رزقه، ويكفرون بنعمه، ويجعلون الحكم والتشريع لغيره من خلقه وعبيده: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٩ – ٥٠].

فيجب على جميع الحكام أن يحكموا بين الناس بما أنزل الله، ولا يجوز لهم أن يتعدوا حكم الله الذي شرعه إلى غيره من طاعة الناس وترك شرع رب الناس، ومن فعل ذلك فهو كافر، وظالم، وفاسق، فله الخزي والذل في الدنيا والآخرة: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة/ ٤٩-٥٠].

واسم الله الحكيم والحكم من الأسماء العظيمة الجامعة التي تظهر آثارها في الملك

والملكوت، والتي هي ظاهرة بادية في مخلوقات الله الكبيرة والصغيرة، والعالية والسافلة، والسائلة والجامدة.

هو سبحانه الحكيم الذي حكم على خلقه بقضائه وقدره، الحكيم الذي حكم بين خلقه بدينه وشرعه، الحكيم الذي حكم لخلقه بثوابه وعقابه، الحكيم الذي حكم جميع المخلوقات؛ فهم تحت أمره وقهره: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٨].

هو وحده الحكيم الذي حكم على كل مخلوقاته من جماد، ونبات، وحيوان، وإنس، وجان، وملائكة وغيرها بقضائه وقدره، فجاءت على ما أراد مكانًا وزمانًا، وحجمًا ونوعًا، وشكلًا ولونًا، وحياةً وموتًا، ونفعًا وضرًّا.

وخلق الحكيم كل مخلوق لحكمة، خلقه شاهدًا بوحدانيته، ومسبحًا بحمده، وخاضعاً لأمره، وخلقه بحكمة يقتضيها وجوده: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢- ٦٣].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٤﴾ [الزمر/ ٤].

وهو سبحانه الحكيم الذي حكم بين خلقه بدينه وشرعه؛ لأنه الملك الذي خلقهم، العليم بمصالحهم؛ فأنعم عليهم بنعمة الإيجاد، والإمداد، ثم من عليهم بنعمة الهداية إلى الإيمان: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [الحجرات: ١٧].

هو سبحانه الحكيم الذي بين لعباده الأخبار والأحكام وسبل النجاة: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وهو سبحانه الحكيم الذي حكم لعباده بالثواب والعقاب، والسعادة والشقاوة، حسب إيمانهم وأعمالهم، فمن آمن فله السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢].

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف/ ١٠٧ - ١٠٨].

ومن كفر بالله وعصاه؛ شقي في الدنيا والآخرة: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٦].

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء/ ١٤].

فهذه حكمة أحكم الحاكمين أن شرع الدين، ووعد بالثواب والعقاب، بالثواب لمن أطاعه، وبالعقاب لمن عصاه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة/ ١٨ - ٢٠].

هذه حكمة أحكم الحاكمين، لا يساوي بين البر والفاجر، والمطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، فالمؤمنون يعاملهم الله بإحسانه، يعطي المؤمن على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف.

والكافر يعامله بعدله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠].

فسبحان أحكم الحاكمين الذي خلق هذا الملك العظيم، وجعله مظهرًا لحكمته وعلمه وقدرته وكرمه، ولطفه، ورأفته بعباده جل جلاله!: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فالله ﷻ هو الملك الحق الذي أنزل علينا هذا الدين الكامل الذي نعرف به ربنا بأسمائه وصفاته وأفعاله، وملكه وسلطانه، ودينه وشرعه، وما يحبه ويرضاه، وما يسخطه وما يكرهه: ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤ – ١٧٥].

فالله ﷻ خلق هذا الإنسان، وجعله خليفةً في الأرض، يؤمن بالله، وينفذ أوامر الله على نفسه وعلى غيره، فمهمة الخلافة في الأرض إقامة حكم الله في الأرض، والحكم بين الناس بما أنزل الله من أحكام وتشريعات: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص/ ٢٦].

أما كمال الحكمة في خلقه وأمره جل جلاله: فهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها؛ فقد خلق الله ﷻ جميع المخلوقات بالحق، وأوجدها بأحسن نظام، وأتقنها أحسن إتقان، وأعطى كل شيء وكل مخلوق خلقه؛ أعطاه خلقه اللائق به، وصوره أحسن تصوير: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة/ ٦ – ٧].

فهذه مغذيات القلوب، أن نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، فيتغذى القلب بالإيمان، فيزداد محبةً لله، وتعظيمًا له، وشكراً له، وخوفاً منه، وعبادةً له، وتوكلًا عليه، وافتقارًا إليه، وحياءً منه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وأما كمال الحكمة في أمره وشرعه: فالله هو الحكيم الحق الذي شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، لماذا؟ ليعرفه عباده ويحبوه، ويعبدوه بما شرع، ويعبدوه بموجب أسمائه وصفاته جل جلاله.

وعبادته بموجب أسمائه وصفاته ودينه هي مقصوده من خلقه؛ لأنه يغار على عباده؛ فهو الصمد الذي يصمدون إليه، الصمد الذي صمد لحوائجهم، ودعاهم لعبادته، وبيَّن لهم من أول يوم أنه خلقهم لعبادته وطاعته، وأن يتصلوا به وحده لا شريك له؛ لأنه

الكريم الذي لا أكرم منه، العزيز الذي لا أعز منه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

فعبادة الرب بموجب أسمائه وصفاته ودينه هي مقصود الرب من خلقه، فالله مؤمن يحب المؤمنين، والله شكور يحب الشاكرين، والله تواب يحب التوابين، والله محسن يحب المحسنين، والله صادق يحب الصادقين: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فمن رحمة الله أن بين لنا ماذا يريد منا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

فالله ﷻ يقول: خلقتكم لعبادتي، أما رزقكم فقد قسمته بينكم، فلا يشغلكم عن عبادتي، قسمه الحكيم بيننا مكانًا وزمانًا، وكميةً ونوعية: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢].

والله ﷻ اجتبى هذه الأمة، وخصها بأفضل الرسل، وأحسن الكتب، وأكمل الشرائع، وشرفها كالأنبياء بأمرين: بعبادة الله، والدعوة إليه إلى يوم القيامة: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فخذوا هذا الدين، وأكملوه أقوالًا وأعمالًا وأخلاقًا؛ لتنالوا الأجر العظيم عند ربكم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

واعلم يا عبد الحكيم بأن الحكيم الحق سبحانه شرع لعباده كل خير ومصلحة في الدنيا والآخرة، فأخباره في كتابه الحكيم تملأ القلوب توحيدًا، وإيمانًا ويقينًا وعلمًا بالله وأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا

مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٣].

القرآن قسمان: أخبار وأوامر.

فالأخبار خبر عن الخالق، وخبر عن المخلوق، والخبر عن الخالق تعريف بالله ﷻ بأسمائه وصفاته؛ حتى نعبده جل جلاله بما نعرفه من أسماء جلاله وجماله، فأخباره في كتابه الحكيم تملأ القلوب توحيدًا وإيمانًا ويقينًا وعلمًا بالله وأسمائه وصفاته، وتعظيمًا للرب، ومحبةً له، وحمدًا له، وذلًا له: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [هود/ ١ - ٢].

وأوامر ربنا الشرعية كلها منافع، ومصالح، وأغذية، تثمر الأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة، وتزكي النفوس بالطاعات: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الممتحنة/ ١٠].

عليم بما يصلحكم، حكيم يضع الشيء في موضعه.

ونواهيه جل جلاله كلها موافقة للعقول والفطر السليمة، فهو العليم الحكيم الذي لم ينهَ الناس إلا عما يضرهم في دينهم ودنياهم من الأقوال والأعمال والأخلاق والأشياء، حرم عليهم الخبائث والخمور، وسفك الدماء، وأكل أموال الناس بالباطل.

فهو العليم الحكيم الذي لم ينهَ الناس إلا عما يضرهم في دينهم، وأبدانهم، وعقولهم، وأخلاقهم، وأعراضهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل/ ٩٠].

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الحجرات: ٧ - ٨].

فلله الحمد والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وله الحمد أن شرع لنا أحسن الشرائع، وأنزل علينا أحسن الكتب، وأرسل إلينا سيد الأنبياء والرسل ﷺ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ

وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وسبحان القادر الحكيم الذي أظهر حكمته في مخلوقاته العظيمة، وأفعاله وآياته العجيبة، وأحكامه الشرعية، وشهدت عقول البشر بحكمة الحكيم جل جلاله بما شهدته في الملك والملكوت، وخرت ساجدةً لعظمته وجلاله وكبريائه، وعظيم إحسانه، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٨].

صفة العزة والحكمة من أعظم الصفات التي تظهر في الملك والملكوت مع صفة الرحمة والخلق.

فالله أكبر! انظر إلى حكمة أحكم الحاكمين في مخلوقاته العظيمة، وآياته العجيبة؛ ترى ببصرك وبصيرتك حاكمًا حكم كل شيء، وأحكم صنع كل شيء، وأقام الأمر كله به في الدنيا والآخرة؛ فلا ظلم ولا جور في أحكام الحكيم، بل عدل وإحسان، وحكمة ورحمة: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فالله ﷻ يبيِّن لنا من هو، وما هي أسماؤه، وما هي صفاته؛ حتى نحبه ونعظمه ونكبره، ثم نتمثل أمره، ونؤمن بكتابه، ونؤمن برسله، فنطيع أوامره، ونجتنب نواهيه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

فالله ﷻ حكيم عليم، انظر إلى حكمة العزيز الحكيم في خلق السماوات والأرض، وما فيهن وما بينهن من المخلوقات والأفلاك والتدبيرات؛ تجد ما يبهر العقول والألباب من عجائب المخلوقات.

وترى الآيات الساطعات الدالة على عظيم قدرة الجبار جل جلاله، وتشاهد حكمة أحكم الحاكمين تجري بإحكام متقن، وتدبير عجيب، وحكم مستمر: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

فالنظر والتدبر في الآيات الكونية يزيد الإيمان في القلب، ويحرك الجوارح للطاعات، ويشغل اللسان بالذكر والشكر والدعاء: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة/ ١٦٤].

فإذا عرفوا ذلك؛ آمنوا بالله، ثم امتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه.

واعلم يا عبد الحكيم ويا أمة الحكيم أن ربنا الحكيم العليم بيده ملكوت كل شيء: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٦)﴾ [هود/ ٥٦].

هو الحكيم العليم الذي بيده الملك والملكوت، وبيده ملكوت كل شيء، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)﴾ [آل عمران/ ٢٦].

أفعاله جل جلاله: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)﴾ [آل عمران/ ٢٧].

أفعاله جل جلاله مقرونة بإرادته المطلقة، وإرادته مقرونة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق، فالله ﷻ بيده الخير، وأفعاله في ملكه وملكوته كلها خير ورحمة، وعدل وإحسان ونعمة، والشر ليس إليه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣)﴾ [فاطر: ١٣].

هو سبحانه الحكيم الذي يمنع الإنسان مما يضره، ويحميه مما يؤذيه، ويمنع وليه من عدوه، ويمنع عنه المرض، ويمنع عنه الشر، ويحفظه مما يؤذيه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)﴾ [الحج: ٣٨].

هو الحكيم العليم الذي يمنع من يستحق المنع والحفظ من المؤمنين، ويعرض عمن لا يستحق المنع والحفظ؛ فينكشف ويصل إليه عدوه، فإذا لم يستقم المؤمن؛ يُفتن بالكفار فينالون منه؛ لأن الله لم يمنعه؛ لأنه لم يستحق المنع لانحرافه، فقهره وأذله عدوه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[الفتح/ ٢٤].

فهؤلاء وهؤلاء كلهم بيده، وتحت حكمه وتصرفه.

والله حكيم عليم، يعلم أن في هؤلاء من سيؤمن، فكف أيدي المؤمنين عن الكفار، وكف أيدي الكفار عن المؤمنين: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾[النساء: ٩٠].

واعلم أن من سلم من المصيبة أو المرض؛ فالله منع ذلك عنه، ومن أصابه ذلك فالله أذن بذلك لحكمةٍ يعلمها، ليربيه، أو يؤدبه، أو يرفع درجاته: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة/ ٥١].

فبعد كل مصيبة يدعو المسلم ربه أن يكشفها عنه، فهذه المصيبة التي تحصل للعبد أو المرض حكمته أن يرجع العبد إلى ربه.

فبعد كل مصيبة أو بلاء أو مرض يحصل للعبد سبع كرامات: يحصل له إيمان جديد، وتوبة جديدة، وحب جديد لله وتعظيم جديد لله ﷻ، وحمد جديد، وحياء جديد، وعبادات جديدة، وطاعات جديدة لله.

وكذا الحال في كل نعمة تحصل للعبد، فالله ﷻ يذكر عباده بهذه النعم والمصائب؛ حتى لا يفروا منه إلى الشيطان أو إلى أهوائهم.

هو الحكيم العليم الذي يمنع من يحب من التقصير، كلما قصر ابتلاه ربه بمصيبة ليتوب إلى ربه: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[البقرة/ ٢١٦].

هو الحكيم الخبير بما يصلح عباده، الذي يمنع البلاء حفظًا وعنايةً بمن أطاعه، ويمنع عنه العطاء ابتلاءً وحماية: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾[الإسراء: ٣٠].

فالله ﷻ هو الحكيم الخبير الذي يسمع ويبصر ويعلم بأحوال عباده وما يصلحهم،

فيمنع البلاء حفظًا وعنايةً بمن أطاعه، ويمنع عنه العطاء ابتلاءً وحمايةً؛ حتى لا ينشغل به عن ربه ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦﴾ [يوسف: ٦].

هو الحكيم الخبير جل جلاله الذي يعلم جميع أمور خلقه: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٣ – ١٤].

هو جل جلاله عليم بكل شيء، حكيم في خلقه وأمره، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء؛ فمن فتح الله له معرفة باب الحكمة في العطاء والمنع؛ رأى المنع عين العطاء، ومن كشف الله له الحقيقة سارع إلى ربه في جميع أحواله، وقال قلبه: لو علمت أن غدًا أجلي؛ ما قدرت أن أزيد في عملي.

فهذا قد عرف ربه، وعرف ما يجب له، فهو بين يدي ربه حامدًا له على نعمه، متصاغراً لكبريائه، ممتثلًا لأمره، مجتنبًا لنهيه، صابرًا على بلائه، مستغفرًا من ذنبه؛ لأنه عرف ربه وما يجب له: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٩﴾[الزمر/ ٩].

ومعرفة الله هي أم المعارف: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩﴾[الرعد/ ١٩].

هو الحكيم العليم الذي يستحق أعظم الحمد على عطائه ومنعه، يعطيك ما يسعدك ويغنيك، ويمنعك من كل ما يضرك ويؤذيك، ويمنعك من كل ما يطغيك ويشقيك، ويمنعك تأديبًا، وتربيةً، ورفعةً لك: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ١١﴾[التغابن/ ١١].

فسبحان الحكيم العليم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وسبحان من خلق العالم كله على طبقاته، وخلق الوجود كله من الخير والشر على درجاته ودركاته، من الجماد، إلى النبات، إلى الحيوان، إلى الإنسان، إلى الجن، إلى الملائكة، إلى العالم العلوي، إلى العالم السفلي، إلى الدنيا، إلى الآخرة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ٨٤ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٨٥﴾[الزخرف/ ٨٤- ٨٥].

خلق الحكيم هذا العالم العظيم بعلويه وسفليه، خلقه بحكمة تبهر العقول، وحكم قاهر يخضع له كل مخلوق: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢- ٦٣].

هذا هو الرب الذي يستحق أن يُعبد، وأن يُحمد، وأن يُشكر، ويستحق أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.

هو الحكيم الكريم الرحيم الذي وصل أفعاله المحكمة، ومخلوقاته المتقنة، بالشريعة المنزلة؛ ليعرف خلقه أنه العظيم الذي لا أعظم منه، وصل الآيات الكونية، والمخلوقات العجيبة، بالآيات الشرعية، لماذا؟ ليعرف العباد والخلق أنه العظيم الذي لا أعظم منه، الذي خلق هذا الملك العظيم، العليم الذي لا أعلم منه، الكريم الذي لا أكرم منه، القادر الذي لا أقدر منه، الرحيم الذي لا أرحم منه، الحكيم الذي لا أحكم منه، فإذا عرفوا ذلك آمنوا به وأحبوه وكبروه، وعبدوه وأطاعوه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق/ ١٢].

فجميع الآيات الكونية، والآيات الشرعية، تملأ القلب بالإيمان فيزداد العبد حبًّا لربه، وطاعةً له، ومن رزقه الله ﷻ بصرًا وبصيرة رأى في ملكوت السماوات والأرض من عجائب الخلق، وأنواع المخلوقات التي لا يحصيها إلا الله.

ورأى دوام التصريف والتدبير، رأى من ذلك ما يبهر العقول، ويكل دونه النظر، وينحسر دونه البصر، ويربو على الوصف، مما لا تدرك كنهه العقول، ولا يحيط به سوى من كتبه في اللوح المحفوظ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾ [لقمان/ ١٠- ١١].

هذه المخلوقات العظيمة، والآيات الكريمة، تبين عظمة الله ﷻ، وأن عبادتنا له من أجل أنفسنا، والله ﷻ غني عن عبادتنا، هو الكبير قبل أن نكبره، وهو المحمود قبل أن

نحمده، وهو الواحد قبل أن نوحده، وهو الخالق قبل أن يخلق أحدا.

هو الذي خلق السماوات بغير عمد ترونها؛ بيَّن لنا أفعاله في ملكه؛ حتى نعبده بالتعظيم والحب والذل له، لأنه العظيم الكبير الرحمن الرحيم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو الخالق الحكيم الذي برأ البرايا، وفطر الفِطر، وركب الأجسام وزوجها بالأرواح؛ فكل جسم من الأجسام فيه روح تحركه من إنسان أو حيوان، أو نبات وركب الأجسام، وزوجها بالأرواح؛ فصارت حية تشهد لربها العظيم بالوحدانية، وتسبح بحمده، وتقوم له بالعبودية، وتسبح بحمد ربها في كل حين.

فالكل يسبح بحمد ربه، ويشهد بوحدانيته، ويخضع لأمره، ويركع ويسجد له: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾ [الحج/ ١٨].

والله عَجَّلَّ لا يهين أحدًا إلا بحكمته، والحكمة مقرونة بالخير المطلق.

فسبحان القادر الحكيم العليم بكل شيء، الخبير بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء.

هو القادر الحكيم الذي اختزن جميع البرايا في الأرزاق، فكل ما نراه من المخلوقات نعمة من نعم الله، من العرش العظيم حتى أصغر ذرة، واختزن الأرزاق في الأسباب، واختزن الأسباب في الإرادات، واختزن الأرواح في الأجسام، واختزن الثمار في الأشجار، واختزن المعاني في الألفاظ والكلمات؛ واختزن الكل في خزائن السماوات والأرض، واخرج الكل من غيابات علم علام الغيوب: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩].

هذا كلام متين من العلم العظيم، علينا أن نتدبر هذا الكلام ونعمل بموجبه.

فسبحان الحكيم القادر الذي جعل من الماء كل شيء حي: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

وسبحان الحكيم العليم الذي جميع مخلوقاته مودعة في خزائنه: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٧﴾ [المنافقون/ ٧].

وسبحان العلي العظيم الحكيم الذي خلق العالم كله بالحق، العالي منه والسافل، والكبير والصغير، خلق العالم كله بالحق وللحق؛ حتى نعرف الحق، ونرى أفعال الحق، وندين بدين الحق، ونصل إلى الثواب الحق: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٢٢﴾ [الجاثية: ٢٢].

هو الحكيم العلي العظيم الذي خلق العالم كله بالحق، وللحق، وركب العالي على السافل، فالشجرة مركبة على الجذر، واستودع السافل في العالي، فالأرضين السبع محيطة بها السماوات السبع، وملأ ملكه العظيم بالعوالم التي لا يحصيها إلا من خلقها، وأحاط ذلك كله بكرسيه الكريم، وعرشه العظيم: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فالنظر والتدبر يملأ القلب إيمانًا بالله، وحبًّا له، وتعظيماً له؛ فتأتي الطاعات شهوات، ويتقرب العبد إلى ربه بالحب والتعظيم، والخوف والرجاء: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ۝١١﴾ [ق: ٦ – ١١].

عُرف إلى الآن من النخيل أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة نوع، وكل نوع قبائل وأمم، والكل أغصانه وأوراقه، وجذوره وثماره، يسبح بحمد ربه، ويشهد له بالوحدانية: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤٤﴾ [الإسراء: ٤٣ – ٤٤].

هذه أفعال الحكيم في ملكه؛ أظهر لنا قدرته وعظمته لنتعلق به، ولا نلتفت لأحد سواه، ولنرجوه ونخافه؛ لأن بيده الملك والملكوت: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣﴾ [فاطر: ١٣].

والله علي عظيم كبير، محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء، استوى على العرش العظيم برحمته، حي قيوم، يفعل ما يشاء بقدرته، ويحكم ما يريد بمشيئته، عليم خبير بجميع ما

في ملكه وملكوته: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو سبحانه الخلاق العليم، الحكيم القادر على كل شيء، فانظر كيف خلق المخلوقات؟ وكيف صورها على غير مثال؟ فأحسن التصوير، وقدر فأحسن التقدير، ثم أخرج ما قدر على سواء ما قدر بلا كلفة ولا عناء، ولا زيادة ولا نقصان: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠ ﴾ [القمر/ ٤٩- ٥٠].

هو سبحانه القادر الذي لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾ [يس/ ٨٢- ٨٣].

ما أعظم ما خلق! وما أعجب ما أبدع! ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾ [الأنعام/ ١٠١].

وما أحسن ما صور!، وما أحكم ما صنع! ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

ثم انظر رحمك الله كيف أحيا الحي القيوم الخلق بقدرته، وجمعهم بحكمته؛ لأنه القادر على كل شيء، الحي الذي لا يموت، الحي الذي يحيي ويميت: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ ﴾ [المؤمنون: ٨٠].

والله حي قيوم لا يموت، والإنس والجن وغيرهم يموت ويفنى: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧ ﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧].

فانظر كيف أحيا الحي القيوم الخلق بقدرته! كانوا كلهم في صلب آدم، ثم أخرجهم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم، ثم ردهم في صلب آدم.

ثم هم يخرجون من صلب إلى صلب؛ إلى أن يبلغ أهل الجنة عددهم، وأهل النار عددهم، ثم تقوم الساعة: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا

غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣].

فانظر كيف أحيا الحي القيوم الخلق بقدرته، من جماد ونبات وحيوان وإنسان وملك، كيف أحيا الخلق بقدرته، وجمعهم بحكمته! لأنه القادر على كل شيء، فرّق الماء نازلًا من السماء، وجمعه في الأرض بحرًا أو نهرًا؛ لأنه القادر على كل شيء، القادر على التجميع والتفريق، والإحياء والإماتة، والبسط والقبض؛ لأنه الحي الذي لا يموت، الحي الذي يحيي ويميت، فلبقائه أفناهم؛ حتى يظهر الحي الباقي الذي لا يفنى، من المخلوق الذي يفنى: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الرحمن/ ٢٦ – ٢٧].

فلبقائه أفنى الخلق، فكل شيء هالك إلا وجهه، ولحياته أماتهم، فلا يتبين الحي الذي لا يموت من الحي الذي يموت إلا إذا رأينا الشجرة تموت، والحيوان يموت، والإنسان يموت، ولحياته جل جلاله أماتهم، ولحياته أحياهم يوم القيامة، فلا يموتون يوم القيامة أبدًا، لأنه أعطاهم من صفاته: «**أما آن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وتصحوا فلا تسقموا أبدًا، وتنعموا فلا تبأسوا أبدًا؟!**» أخرجه مسلم [1].

فاستغفر الله من ذنبك ومن جهلك، واستقم كما أُمرت: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[الفرقان/ ٥٨].

ولعزته جل جلاله أذل الخليقة قاطبة، فكل مخلوق ذليل لخالقه، ساجد بين يديه، خاضع لأمره، مسبح بحمده، مستجيب لمشيئته، مسرع إلى إرادته.

لعزه جل جلاله وكماله أذل الخليقة، فالله عزيز، وكل ما سواه ذليل بين يديه، وتحت قهره وأمره: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنعام/ ١٨].

فلعزه جل جلاله أذل الخليقة قاطبة، ثم لعزه يعز من أطاعه في الدنيا والآخرة، فلا يذلون أبدًا: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون/ ٨].

فهو العزيز الذي يعز من يشاء، وهو الغني الذي يغني من يشاء، وهو الكريم الذي يكرم من يشاء، فسبحان الله ما أعظم قدرته وحكمته!: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٧).

﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

هو الحكيم الخبير الذي خلق الخليقة كلها بالحق، وللحق الذي هو الدين القيم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤﴾ [يونس: ٣-٤].

فالكل سيرجع إلى ربه، ويحاسبه على ما عمل من خير أو شر: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾ [القارعة: ٦-١١].

وهو الحكيم العليم الذي نشر الحق في أمشاج العالم كله بقدرته في العالم العلوي، والعالم السفلي، وأفرغه في قالب الموجودات، فكل شيء مخلوق بالحق وللحق، أفرغ هذا الحق في قالب المخلوقات كلها بحكمته، وهدى كلًّا من هذه المخلوقات لما خلقه، فالشمس للإنارة والحرارة، والسحب لنزول الغيث، والأرض للإنبات، والنبات للأكل، والحيوان للأكل، وكل شيء خلقه الله ﷻ لحكمة، فهو قائم يشهد لربه بالتوحيد، ويعبده بالتسبيح والتحميد، والتمجيد والتقديس: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وكل قد علم صلاته وتسبيحه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٤١﴾ [النور/ ٤١].

فالله ﷻ خلق جميع المخلوقات بحكمته، ليعرف عباده بقدرته وكمال رحمته: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٢﴾ [الجاثية/ ٢٢].

فالله ﷻ خلق هذه المخلوقات بالحق، فكل مخلوق نراه خلقه الحق بالحق وللحق، ثم أرسل الحكيم العليم رسله بالدين القيم إلى أهل الأرض، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ودعا الكل إلى ذلك، ورغب في الإيمان، وحذر من الكفر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠﴾ [النساء/ ١٧٠].

فأرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، ثم آمن من علم الله أنه يؤمن، وكفر من علم الله أنه لا يؤمن؛ لأن الله لما خلق القلم قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة؛ فجرى في تلك اللحظة، وكتب كل ما سيجري في العالم من الحركات والسكنات، والمخلوقات والأشياء، والأفعال، والأقوال، وكل ما خلقه الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان/ ٢٩- ٣١].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٢٩ – ٣٠].

فالإنسان أصله ما كان شيئًا، حتى يفعل شيئًا من الخلق والتدبير: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ١ –٣].

لكن الله أعطاه الاختيار أن يؤمن أو يكفر، ليعلم من يأتي إليه اختياراً ممن لا يأتي إليه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾

[الأحزاب: ٧٢ –٧٣].

فسبحان ربنا الحكيم القادر، الفعال لما يشاء، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود/ ١٠٧].

إن ربك فعال لما يشاء، يبسط ويقبض، ويعز ويذل، ويرفع ويخفض، ويكرم ويهين، ويعطي ويمنع، ويرتق ويفتق، ويحيي ويميت، ويهدي ويضل: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر/ ٦].

ومن هذه أفعاله هو الذي يستحق أن يعبد وحده: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات/ ٥٠- ٥١].

فلا إله إلا الله! ما أعظم جهل الإنسان بربه وأسمائه وصفاته وأفعاله، وآياته ومخلوقاته: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩].

هو سبحانه الحكيم العليم القادر على كل شيء، الذي خلق الجلي والخفي، الجلي كالبدن، والخفي كالروح، الجلي كالجسد، والخفي كالعقل، الجلي كالمطر الذي ينزل من السماء، الخفي كالهواء الذي نحس بأثره ولا نرى شخصه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فهو جل جلاله الحكيم العليم الذي له حكمة في خلق كل شيء، خلق الظاهر والباطن، وخلق الكبير والصغير، خلق العرش العظيم، وخلق الذرة الصغيرة، وخلق الطويل والقصير، وخلق الرطب واليابس، وخلق الجامد والسائل، وخلق الحلو والمر، وخلق الذكر والأنثى، وخلق الليل والنهار، والنور والظلام، وخلق الإنس والجان: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات: ٤٩ – ٥١].

وسبحان القوي القادر الذي خلق العرش العظيم والكرسي الكريم، وخلق السماوات والأرض، وخلق الدنيا والآخرة، وخلق الجنة والنار، وحكم الكل بقهره وجبروته: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

فمظاهر الحكمة في الملك والملكوت ظاهرة بينة باهرة، تبهر العقول، وتأسر القلوب، وترد القلوب إلى ربها، فتبارك الله رب العالمين، وأحسن الخالقين، وأحكم الحاكمين، وخير الرازقين: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧ ﴾ [الروم: ٢٧].

والله سبحانه حكيم عليم، انظر كيف جازى الغني الكريم المطيعين له على اختلاف طاعاتهم وكثرتها بما يقابل ذلك، وزيادة من الكريم لا تخطر على بال أحد، فيأتون

بالعمل القليل، ويعطيهم الكريم الأجر الجزيل الكثير: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧ - ١٠٨].

وانظر كيف جازى القوي العزيز العصاة على اختلاف معاصيهم وكثرتها بما يقابل ذلك جزاءً وفاقًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء/ ٥٦].

جازى المحسن بإحسانه وفضله، وجازى المسيء بأن عذبه جزاء كفره، لأنه يسكن في ملك الله، ويأكل من رزق الله، ويعصي الله بنعم الله، فلما استكبر عن طاعة الله ﷻ؛ حشره مع إبليس الذي كفر بالله، وأبى واستكبر، وكان من الكافرين: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨ - ٢٩].

والحكمة هي إصابة الحق في الأقوال والأعمال، وأعظم الحق هو طاعة من يستحق الطاعة، وعبادة من يستحق العبادة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والحكمة التي وهبها لعباده هي إصابة الحق في الأقوال والأعمال، وهي من أعظم النعم التي يخص الله بها من يشاء من عباده: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

ومن حكمته سبحانه أن استودع جميع المخلوقات المنافع والمضار فالمخلوقات مستودعات للمنافع والمضار، وهدايته إياها لما قدره لها، واستعماله إياها لما فطرها عليه، لحكمة نعلمها أو لا نعلمها.

فالملائكة يعبدون ربهم، ويسبحون بحمده، ويدبرون أمره، وأعمالهم لا يحصيها إلا الله فهم المقسمات أمرًا، والملقيات ذكرًا، والصافات صفًّا، والمدبرات أمرًا، والتاليات ذكرًا: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء/ ١٩ - ٢٠].

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩ - ٥٠].

هذا خلق من المخلوقات، خلقهم الله ﷻ لحكمة، وجعلهم مظهرًا للطاعة الدائبة.

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يعبدون ربهم بما جعل فيهم من القول بالحق، والعمل بالحق، والدعوة إلى الحق، والصبر على الحق، وأتباعهم من المؤمنين كذلك: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۝١٥١ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾ [البقرة/ ١٥١ - ١٥٢].

والحكيم العليم سبحانه استخرج حكمته في الصنع على أيدي أهل البراعة من عباده بما هداهم إليه من إتقان الصنع.

فالله ﷻ يستخرج أنواع المصنوعات على أيدي أهل الذكاء والفطنة والخبرة والبراعة من عباده بما هداهم إليه من إتقان الصنع، وقوة الفكر، وغرائب الصناعات كلها: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝٧٩ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ۝٨٠﴾ [الأنبياء/ ٧٩-٨٠].

وكذا ما هدى الله ﷻ إليه الخلق الآن من صنع الطائرات التي صُنعت على شكل الطائر الذي يطير، والسيارات صنعت على شكل الحيوان الذي يمشي، وهكذا كل مصنوع من الآلات والأجهزة، فالله ﷻ يفتح على عقول بعض عباده، ويعطيهم من الذكاء والتفكير ما فيه مصلحة ومنفعة لخلقه؛ لأنه بهم رؤوف رحيم.

فسبحان الحكيم الذي أحكم العقول بما يبهر العقول من عجائب المخلوقات وحسن التدبيرات، وحكم المخلوقات، وقهر الكائنات: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح/ ٤].

فالكل ملكه، والكل عبيده، والكل يسبح بحمده، والكل يشهد بوحدانيته؛ فلا إله غيره، ولا رب سواه.

والحمد لله أن من علينا وجعلنا من عبيده، وعرفنا به وبأسمائه وصفاته؛ حتى ندخل جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة يوم القيامة: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وما كان من السفه من بعض الخلق، وقول الزور والبهتان، والاستهزاء بالله وآياته ورسله، ورد الحق، ونحو ذلك مما خالف الحكمة؛ فهو سبحانه الحكيم في كل ذلك، علمه، وقدره، وأذن بوقوعه؛ لكنه لم يأمر به؛ لأن الله يأمر بالعدل والإحسان، ولا يأمر بالفحشاء: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠)﴾ [الأعراف: ٢٨ – ٣٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾ [النحل: ٩٠].

فما نراه من السفه، وقول الزور والبهتان، والجرائم وغيرها؛ الله عز وجل أرادها كونًا لا شرعًا؛ لأن الله لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر، لكن الله علمه وقدره وأذن بوقوعه؛ لأنه لا يقع في ملكه ما لا يريد، ولو شاء ربك ما فعلوه، لكنه لا يحب ذلك ولا يرضاه.

فهو سبحانه الحكيم في كل ذلك، علمه وقدره وأذن بوقوعه، ثم أظهره من فاعلين له، وأراد وقوعه منهم، لكنه لم يأمر به، وهم الموصوفون به بفعلهم له، ومحبتهم له، فيجزون عليه جزاءً مثله حقًا وعدلًا: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)﴾ [النساء/ ١٢٣- ١٢٤].

فكل عمل منوط بفاعله، والفعل يضاف إلى فاعله لا إلى العالم به القادر عليه جل جلاله، مع كونه غير واقع منه، ولا محب له، ولا راضٍ عنه، ولا آمر به، بل الرب جل جلاله يحب الإيمان والطاعات، ويسخط الكفر والفساد ويكرهه، ولا يحبه ولا يرضاه: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا

﴿تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾[الزمر/ ٧].

واعلم يا عبد الحكيم ويا أمة الحكيم أن الله جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأفعاله كلها حق، وعدل، ورحمة، وحكمة، وإحسان، وهو المحمود على كل ذلك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾[سبأ/ ١].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ﴿١﴾﴾[الكهف/ ١].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[فاطر/ ١].

هو الملك الذي يغضب ويرضى، ويحب ويكره، ويعفو وينتقم، ويثيب ويعاقب؛ لأنه الحكيم الذي يغضب على من عصاه، ويرضى على من أطاعه، ويحب المؤمنين، ويكره الكافرين، ويرحم المسترحمين، ويبطش بمن سخطه، ويتوب على من تاب إليه، وينتقم ممن أساء إلى خلقه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾[المائدة/ ٤٠].

فهو يعذب من يشاء وفق الحكمة المطلقة المقرونة بالخير المطلق: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[النساء/ ٤٠].

وسر ذلك كله حكمة ورحمة، وإليه يرجع الأمر كله، وهو الحكيم الخبير: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾[التين/ ٧– ٨].

ولهذا خلق الله إبليس أعاذنا الله منه، وأمر الملائكة بالسجود لآدم ﷺ، فسجد الملائكة امتثالًا لأمر ربهم فنجوا، واستكبر إبليس عن السجود فهلك: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

ثم سأل إبليس ربه النُّظرة فأمهله، وأقطعه وذريته كل عمل ليس بصالح، وكل ما هو بخلاف الحكمة، وما في فعله سفه في حق من فعله، من الكفر والشرك، والمعاصي والقبائح؛ لإتمام كلمته فيهم، وإقامة عدله فيهم، فالله لم يأمر إبليس بعدم السجود، بل

تركه وما شاء، وكان إبليس من عبَّاد الجن، ولكنه اختار ما اختار، واستكبر عن السجود لآدم، واحتقر آدم ﷺ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١)﴾ [الإسراء: ٦١].

فالله ﷻ أقطع إبليس وذريته كل عمل ليس بصالح، وكل ما هو بخلاف الحكمة، وما في ظهوره سفه بحق من فعله، من الكفر والشرك، والمعاصي والقبائح، لإتمام كلمته فيهم؛ لأنه وعد جهنم أن يملأها من الجنة والناس أجمعين، وإقامة عدله فيهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)﴾ [السجدة: ١٣].

فلما طرده الله ولعنه وأنظره؛ عزم على إغواء آدم ﷺ وذريته: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨)﴾ [الأعراف/ ١٥ – ١٨].

وما زال الشيطان يكيد لبني آدم؛ حتى اتبعه وأطاعه أكثرهم: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠)﴾ [سبأ/ ٢٠].

فإبليس وذريته أهل الابتلاء والمحنة لبني آدم، وقد أمرنا الله بعداوته، وحذرنا من طاعته بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)﴾ [فاطر/ ٦].

فلا بد من معرفة حياة الأنبياء والمرسلين والدين الذي جاءوا به، ولا بد من معرفة إبليس، وخطوات إبليس؛ حتى نجتنبه ونحذره، ونبتعد عن طريقه.

فسبحان من خلق خلقًا للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم إليها يصيرون، وخلق خلقًا للنار، وبعمل أهل النار يعملون، ثم إليها يصيرون! لأنه هو الحكيم الخبير، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ومن يستحق ثوابه وعقابه، وإكرامه وإهانته: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾ [الملك/ ١٤].

فسبحان من أظهر بالإيمان فضله، وأظهر بالكفر عدله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)﴾ [النساء/ ٤٠].

واعلم رحمك الله أن الله خلق الجنة والنار، وكل بني آدم مقسومون على الدارين كما في قبضتيه الكريمتين، كما قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَجَّلَ قَبَضَ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ وَلَا أُبَالِي، وَقَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَى بِيَدِهِ الْأُخْرَى جَلَّ وَعَلَا، فَقَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ وَلَا أُبَالِي**» أخرجه أحمد(١).

فاحمد الله ﷻ على أن جعلك في قبضة اليمين، ووَسَمَك بوسام المسلمين، ولم تكن شيئًا مذكورا، ثم أخرجك من بطن أمك، فكنت عبد الله مؤمنًا مسلمًا تقيًّا.

فلا بد إذًا من طريقين، أمر الله بأحدهما، ونهى عن الآخر، طريق الخير، وطريق الشر، طريق الحق، وطريق الباطل؛ ليتميز من يستحق الإكرام ممن يستحق الإهانة، ويمتاز جنود الرحمن من جنود الشيطان: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)** ﴾ [النحل: ٣٦].

فلابد إذًا من طريقين، أمر الله بأحدهما، وهو طريق الخير والحق، ونهى عن الآخر وهو طريق الشر والباطل، وإذا كان كذلك فلا بد للناس من كفر وإيمان، ومن طاعة وعصيان، والطاعة حكمة ظاهرها وباطنها، الطاعة حكمة؛ لأن الطاعة لمن يستحق الطاعة، والشكر لمن يستحق الشكر.

والمعصية ظاهرها سفه، وباطنها حكمة، من نراه يعصي الله قد يمتد في المعاصي، وتصيبه ابتلاءات من ربه ﷻ، ثم يعود إلى ربه.

فالطاعة حكمة ظاهرها وباطنها، والمعصية ظاهرها سفه؛ لأنها جهل بالحق، وجهل بأوامره، وجهل بجزائه، وباطنها حكمة: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)** ﴾ [النحل/ ٩٠].

واعلم أن كل ما في العالم من خلق وأمر وحال لا بد من وجوده، والله يمحو منه ما يشاء ويثبت، وهو الحكيم العليم: ﴿ **لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)** ﴾ [الرعد/ ٣٨-٣٩].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٠٦٦٨).

فلو نقص سفه السفهاء من العالم؛ لغلب على الظن أن فاعل الخير كأحد المطبوعات؛ مثل النار التي لا توجد إلا محرقة، وكالثلج الذي لا يوجد إلا مبردًا، وكالثقيل يثبت، ولم تتم الحكمة من الخلق، ولم يحصل التمييز بين الحق والباطل، وبين الطاعات والمعاصي، وبين أهل الخير وأهل الشر.

فسبحان الحكيم العليم الذي أوجد الشيء وضده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو الحكيم الذي قدم وأخر، ورفع وخفض، وأعز وأذل؛ وأعطى ومنع ليظهر لعباده قدرته في خلقه، وحكمته في أمره: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٤٩- ٥١].

وقال النبي ﷺ: «**لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا؛ لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**» أخرجه مسلم(١).

فسبحان من له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وبحكمته قدر لمقتضى تلك الأسماء والصفات أعمالًا، وخلق لها عاملين، ثم استعملهم فيها بعد أن بيَّن لهم وخيرهم، وقد سبق الكتاب بكل خلق وعمل، ثم يُلحِق العاملين بخواتيم أعمالهم، فيهدي سبحانه هذا، ويضل هذا، وفق حكمته المطلقة، المقرونة بالخير المطلق، والعلم المطلق، وينعم على هذا، ويبتلي هذا، ويحفظ هذا، ويفتن هذا، ثم الأعمال بالخواتيم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» متفق عليه(٢).

والله حكيم عليم، أوجد الخير كله بنفسه لنفسه، وأحبه ورضيه من عباده، ووعد عليه الجنة، وأوجد الشر كله بقدرته لا لنفسه؛ فإن الشر ليس إليه، بل لحكمته ومشيئته: ﴿مَآ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٦٤٣)، واللفظ له ومسلم برقم (٤٢٠٧).

﴿أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن/ ١١].

فاتصف سبحانه بما أوجده بنفسه لنفسه، وتنزه عما لم يخلقه لنفسه من الكفر والمعاصي، وتوعد العاملين به بالنار: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

وقد دعانا الله في كتابه إلى معرفته فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

ومعرفة الله ﷻ هي أعظم شيءٍ في باب التوحيد، معرفة الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده؛ هي مغذيات القلوب التي تملأ القلب إيمانًا وتوحيدًا، وحبًّا للرب، وتكبيرًا له، فينطق اللسان بحمد ربه وتمجيده، وتتحرك الجوارح بعبادته بأنواع العبادات المختلفة، فيؤدي العبادة بالحب والتعظيم والذل لله ﷻ، مع رجاء ثوابه وخوف عقابه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وهذا هو العبد حقًّا، فأكثر الناس لا يفرق بين العبادة والعبودية؛ فالعبادة محدودة الوقت، كالصلاة، والوضوء، والصوم، والحج، وتلاوة القرآن.

أما العبودية فهي أن يشتغل القلب بعبادة الله ﷻ في كل حال، يمتثل أمر الله ﷻ في كل حال، وهذا المطلوب، أن نجمع مع العبادة العبودية، أو أن ننتقل من العبادة المحدودة إلى العبودية الكاملة: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١ - ١٦٣].

والله ﷻ هو الحكيم الذي خلق كل شيء، خلق القلم، وأمره أن يكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، من الخلائق، والتدبير، والتصريف، وكل ما سيجري في ملك الله ﷻ.

فقد سبق الكتاب بكل خلق وعمل، ثم يُلحق العامل بخواتيم عمله، فالله ﷻ حكيم عليم، يهدي هذا، ويضل هذا، وينعم على هذا، ويبتلي هذا، ويحفظ هذا، ويفتن هذا، ثم الأعمال بالخواتيم: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

فالذهب لا نستفيد منه إلا بعد فتنته بالنار؛ حتى تخلصه من الشوائب، وكذلك الإنسان

لا بد أن تمر عليه السراء والضراء؛ حتى يعلم الله ﷻ الصادق حقًّا من الكاذب: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣].

لا بد من معرفة الحكمة في خلق الخير والشر، وما ينفع وما يضر، فاتصف الله سبحانه بما أوجده بنفسه لنفسه؛ فسمى نفسه العليم، الحكيم، الخبير، الكريم، اللطيف ونحوها من الأسماء الحسنى، وتنزه عما لم يخلقه لنفسه من الكفر والمعاصي، وتوعد العاملين به بالنار: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فمن وفقه الله لما تسمى به، واتصف به من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، سماه الله به، ووصفه به، وسماه بأسماء طيبة من أسمائه، ومدحه وأكرمه، وأوصله إليه كما قال سبحانه: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨].

فالله ﷻ يحب صفاته، ويحب من اتصف بها من عباده: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

الله يحب أهل هذه الصفات، فالله شكور يحب الشاكرين، تواب يحب التوابين، محسن يحب المحسنين، مؤمن يحب المؤمنين.

ومن أتبع نفسه ما تنزه عنه ربه، ورضيه اسمًا ووصفًا لنفسه؛ انقطعت صلته بربه، وضل عن ربه، وخالف سبيل ربه، فكان في الذلة والخسران: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٥].

فالله لا يحب المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، والكافرين والكافرات، والفاسدين والفاسدات، والفاجرين والفاجرات، والظالمين والظالمات.

فلا إله إلا الله! ما أجهلنا بحكمة أحكم الحاكمين! وما أظلمنا لأنفسنا من بين العالمين!

فنستغفر الله، ونتوب إليه من الجهل بالله وأسمائه وصفاته، ومن الجهل بدينه وشرعه، ومن التقصير في العمل بدينه وشرعه: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ١٩ - ٢٣].

واعلم يا عبد الحكيم أن الله هو الخالق القادر الحكيم، الذي خلق أباك آدم ﷺ بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، وأسجد له ملائكته، وغرس فيه وفي ذريته معرفته وتعظيمه، حين أحضرهم جميعًا صورًا في الهواء كالهباء، وأخذ عليهم الميثاق، وشهدوا له بالربوبية، ثم ردهم في غيبه على ما سبق في علمه.

ثم استخرجهم الله بعد ذلك من ظهر أبيهم آدم ﷺ كالذر، والأنبياء بينهم كالسرج، فأقروا له بالربوبية، وشهدوا على أنفسهم أن الله ربهم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].

كان يكفيهم هذه الفطرة، ليعبدوا ربهم، ولكن من رحمة الله أن أنزل عليهم الكتب، وأرسل إليهم الرسل؛ ليتعرف الإنسان على ربه أكثر، وذلك من فضله ﷻ، وعنايته بخلقه؛ لأنه يريد منهم التوحيد الكامل، والإيمان الكامل، والعمل الكامل؛ حتى يعطيهم الثواب الكامل، والمقام الكامل في جنات الخلود والنعيم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

فسبحان الحكيم القدير الذي خلق آدم، وخلق ذريته في صلبه، ثم أخرجهم من صلبه،

فأقروا له بالربوبية، ثم ردهم إلى صلب آدم، ليخرجوا منه جيلاً بعد جيل: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فكل واحد منا الآن قد شهد لله بالربوبية، وكان حينذاك ذرةً حية، ولا زال مستمرًّا في الحياة، ويخرج من بطن إلى بطن، ومن قرن إلى قرن، إلى أن يظهر حيًّا قد خرج من بطن أمه، يأمر وينهى، ويطيع ويعصي.

ثم بعد هذه الشهادة ردهم سبحانه إلى صلب أبيهم آدم، فكانت هذه أظهر من تلك.

ثم أخرجهم بعد ذلك منه نسلًا بعد نسل إلى هذه الحياة الدنيا، ومن صلب إلى صلب على مر القرون، واستعملهم بدينه بأمره ونهيه، فكانت هذه الحياة أظهر كثيرًا من الأوليَيْن، الأولى حين كانوا هباءات في الفضاء، والثانية حين أخرجهم من صلب آدم.

وجميع البشرية ذرات لا تساوي طرف إصبع من صغرهم، والله ﷻ قادر على خلق الصغير والكبير، فهذه الذرات كلها كطرف الإبهام، كلهم الله ﷻ وضعهم في صلب آدم، ويخرجون جيلًا بعد جيل، وفردًا بعد فرد، من صلب آدم، ثم بعد كمال خلقهم يأمرهم وينهاهم، ثم يميتهم بعد هذه الحياة الدنيا، وموتهم بعد هذه الحياة أقرب إلى الحياة من الموتة التي كانت قبلها.

فيميتهم بعد أن ينزل عليهم الوحي، ويسمعوا كلام الرسل، يميتهم بعد هذه الحياة الدنيا، وموتهم بعد هذه الحياة أقرب للحياة من الموتة الأولى التي كانت قبلها، حين ردهم إلى صلب أبيهم آدم، فكانوا أحياء، ثم أخرجهم من صلب آدم، جيلًا بعد جيل، وقرنًا قرن، فهم في هذه الموتة يحسون بعذاب القبر ونعيمه، فالقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وتعرض عليهم منازلهم في الجنة أو النار، بل منهم أحياء وهم الأنبياء والشهداء، فالأنبياء أحياء في قبورهم يصلون، أما الشهداء فيقول الله عنهم: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾ [آل عمران/ ١٦٩ - ١٧٠].

فالشهيد ضحى بنفسه من أجل الله، فوهب الله له الحياة فورًا.

وحياة البعث المستقبلة أتم وأكمل وأبقى من حياتنا اليوم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ

وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢].

- **والناس يوم القيامة فريقان:**

فريق: في الجنة، وفريق: في السعير: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم: ١٤ – ١٦].

فإذا كان يوم القيامة؛ بعث الله الموتى من قبورهم للحياة الدائمة الأبدية الكبرى، وشهدت الشواهد، ونطقت الصوامت، وحق الحق، وحان الحساب: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التغابن/ ٧– ٨].

ويوم القيامة ميقات الفصل بين الخلائق: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الدخان/ ٤٠].

يوم القيامة ميقات الفصل بين الخلائق كلهم، أولهم وآخرهم، مؤمنهم وكافرهم: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة/ ٦– ٨].

فسبحان الملك الحق الذي يحكم بين عباده بالحق، العلي العظيم في خلقه وأمره، وحكمه وعدله، وبره ورحمته، وكبريائه وعظمته، وأسمائه وصفاته: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الحج: ٥٦ – ٥٧].

واعلم يا عبد الحكيم أن سنة الله في الخلق بالتدريج، كما خلق آدم ﷺ وغيره من الجماد، والنبات، والحيوان، كالسنة في تنفيذ الأمر النازل من فوق العرش من الرحمن، حين: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [النحل: ٢].

تدور به دوائر التنفيذ على سنته الجارية بالإيجاد والخلق؛ فالله ﷻ خلق السماوات والأرض في ستة أيام: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا

طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾[فصلت/ ٩- ١٢].

فسنة التدريج قائمة في المخلوقات، وقائمة في الأوامر، فرب أمر يومه خمسون ألف سنة، ورب أمر يومه ألف سنة، ورب أمر يقضيه الله يومه سنة، ورب أمر يومه شهر، ورب أمر يومه ساعة، ورب أمر حصل بأسرع من طرفة عين: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[القمر/ ٤٩- ٥٣].

هذا فعل الحكيم في ملكه العظيم، فالله له سنة جارية في خلقه وأمره، وله قدرة خارقة يفعلها إذا شاء، له سنة جارية أن النار تحرق، ولكنه يخرق هذه السنة؛ ليبين للخلق أنه هو الحكيم الذي له التصريف والتدبير: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

والأمور والخلائق كلها خاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فاطر: ٤٤].

فالله ﷻ له سنة جارية في خلقه وأمره، وله قدرة خارقة يفعلها إذا شاء؛ ليرفع الأبصار والبصائر من المخلوق إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور، يفعل بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[يس/ ٨٢- ٨٣].

هو الحكيم العليم الذي كل شيء أراده لا بد أن يكون، وما لا يريده لا يكون أبدًا، ومشيئته مقرونة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق، فكل ما يقضيه الله ﷻ رحمة وعدل، وإحسان وحكمة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨].

فسبحان الملك الحق رب العرش العظيم، الكريم الذي يعامل عباده معاملة الأكفياء، كأنهم جاءوا بأحسن شيء، ويثيبهم ثواب المتين عليه: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

فالله سبحانه ملك كريم رؤوف بالعباد، يعامل عباده المؤمنين معاملة الأكفياء، ويثيبهم ثواب المتنين عليه، مع أنه الذي هداهم، يجزي بالسيئة مثلها أو يعفو عنها، ويجزي

بالحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة لا يعلمها إلا هو: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾ [التغابن/ ١٧ - ١٨].

فما أغناه! وما أكرمه! إنه يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وهم له عبيد، ويعطيهم بها الجنة، ويثمنهم برضاهم عنه رضوانه عليهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)﴾ [التوبة/ ١١١].

وكما يعاقب الحكيم على ما لو شاء لعصم منه من الكفر والمعاصي، كذلك يثيب على ما إليه هدى، وهو الحكيم العليم في خلقه وأمره، وثوابه وعقابه، ووعده ووعيده: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦٠)﴾ [يونس/ ٦٠].

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦٢)﴾ [غافر/ ٦٢].

فسبحان الله وبحمده الذي عدل فيما بينه وبين عبيده، فأوجد خلقًا من خلقه في سماواته وأرضه من الملائكة والمؤمنين، يوحدونه ويطيعونه ويسبحونه، ويحمدونه بمحامده التي هو أهل لها: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وأوجد الحكيم العليم أيضًا خلقًا من خلقه في أرضه، يكفرون به، ويكذبون عليه، ويعصون رسله، ويصفونه بما لا يليق بجلاله، وهو مع ذلك يعافيهم ويرزقهم، ويتودد إليهم بنعمه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

بل نراه جل جلاله ينتقم لعباده في الدنيا بعضهم من بعض، بنصر المظلوم، وإهلاك الظالم، أكثر مما ينتقم لنفسه ممن أشرك به وعصى أمره؛ لكمال حلمه ورحمته بعباده: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥)﴾ [الحج/ ٦٥].

وقال النبي ﷺ: «**لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى الْأَذَى مِنَ اللهِ، يَرْمُونَهُ بِالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، وَهُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**» متفق عليه[1].

وقد قالوا في حقه: إن الله ثالث ثلاثة، وقالت اليهود: إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء.

وربما عجل الانتقام لنفسه كما أخذ الأمم السابقة بذنوبهم لما كفروا؛ فإن الأرض لا تصلح إلا بالدين الحق، ولا تصلح بالفساد والإفساد: ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾**﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

وربما أخَّر المظالم إلى يوم القيامة، فينتقم لنفسه ولعباده هناك: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾**﴾ [إبراهيم/ ٤٢].

وربما وضع انتقامه في بعض المواطن، وعفا لعباده عنه، ولا يترك مظالم العباد فيما بينهم، وهذا كله من فضله، وسبق رحمته غضبه: ﴿**هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾**﴾ [الحشر/ ٢٢].

وهذا دعوة للخلق أن يتوبوا إلى الله، وأن يستغفروه؛ فإنه الرحمن الرحيم.

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لَـمَّا خَلَقَ اللهُ الْـخَلْقَ؛ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**» متفق عليه[2].

فانظر يا عبد الحكيم ويا أمة الحكيم إلى عدل ربك العظيم، وحسن معاملته، وكريم عفوه، ولطيف تدبيره، وسعة رحمته، وعظيم إحسانه: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾**﴾ [الإسراء: ٧٠].

فسبحان الملك الحق الذي ملأت كل شيء عظمته، وقهرت كل شيء عزته، وأحاطت

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩)، ومسلم برقم (٢٨٠٤)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٠)، ومسلم برقم (٢٧٥١)، واللفظ له.

بكل شيء قدرته، وأحصى كل شيء علمه، وبلغ كل شيء لطفه، ووسعت كل شيء رحمته: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨)﴾ [غافر/ ٧- ٨].

فسبحان الحكيم الذي حكم العالم العلوي والعالم السفلي بقوته وقدرته وقهره، وحكم الخلائق بعز ربوبيته، الخلق كلهم عبيد له، وهم جميعًا في قبضته، وحياتهم وموتهم بيده، وكلهم يعيشون في عز ملكه، وقهر سلطانه، وسعة رحمته، وسابغ نعمه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧].

فما أحكمه في خلقه وأمره وتدبيره!، وما أكرمه وما أرحمه بعباده! لا إله غيره، ولا رب سواه يستحق العبادة والتكبير والتعظيم والتحميد والتقديس: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

لا إله إلا الله! كيف ينكره من جبله على معرفته! هذا العبد الذي جبله الله على معرفته كيف ينكر ربه؟! كيف ينكره من جبله على معرفته، وأشهده على ربوبيته؟! وكيف يكابره من قد قهره بملكه وسلطانه؟! وكيف يعجزه من ناصيته بيده؟! وكيف يستنكف عن عبادته من هو عبده وملكه، ويسكن في أرضه، ويأكل من رزقه؟!.

ولكن الله حليم وحكيم، لا يعجل على عباده؛ لأنه يحب منهم أن يؤوبوا إليه، ويتوبوا إليه، ويرجعوا إليه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤)﴾ [الزمر: ٥٣ – ٥٤].

ومن عرف الله حقاً آمن به، وعبده وحده، وتاب إليه من ذنبه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧].

كم من أجساد وقلوب كافرة صارت بفضل الله بالدعوة مؤمنة به عابدةً لله، سامعةً له، وساجدةً لعظمته متصاغرة لكبريائه: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد/ ١٧].

وكيف يعبد هذا الشارد عن ربه مَن دونه! ومن بقاؤه وفناؤه بيده من الأحجار والأشجار وغيرها؟ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج/ ٤٦].

وقد من الله ﷻ علينا فسيرنا في بلاده، ورأينا غرب الأرض، وشرق الأرض، وشمال الأرض، وجنوب الأرض، ووسط الأرض، ورأينا هذه الذرة الصغيرة في ملك الله ﷻ، وهي هذه الأرض التي نحن عليها، ماذا تساوي الأرض بالنسبة للقمر؟ وماذا تساوي بالنسبة للشمس؟ وماذا تساوي بالنسبة للسماء الدنيا؟ وماذا تساوي بالنسبة للسماوات السبع؟ وماذا تساوي بالنسبة للكرسي؟ وماذا تساوي بالنسبة للعرش العظيم؟ وماذا يساوي الإنسان في هذه الأرض؟، وما الذي غره حتى استكبر عن عبادة ربه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦ – ٨].

فسبحان الملك العظيم الحكيم، الذي عالم السماوات والأرض، وعالم الليل والنهار، وعالم الدنيا والآخرة، وعالم الغيب والشهادة شعبة من سلطانه، وخزائن السماوات والأرض شعبة من نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هذه أفعاله:﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف/ ٥٤].

له الأمر الكوني القدري، وله الأمر الديني الشرعي، وله الأمر الديني الجزائي.

هو الحكيم العليم في خلقه وأمره، وتدبيره وتصريفه، لم يخلق الحكيم العليم شيئًا مما خلق لحاجة به إليه، وإنما خلقه ليبين به كمال علمه وقدرته، وكمال أسمائه وصفاته، وليعرف خلقه بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولتدين الخلائق كلها لعزته، ولتعلو الوجوه كلها لوجهه، ولتسبح النفوس بحمده:﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك أحببتموه وكبرتموه، وعبدتموه وأطعتموه.

فسبحان من جميع الخلائق خاضع لأمره، وشاهد بوحدانيته، ومسبح بحمده، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢ - ١٠٣].

فسبحان الملك الحكيم الرشيد في خلقه وأمره، وأقواله وأفعاله، العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته، الذي يرشد عباده إلى ما هو خير، هو الحكيم الذي أرشد عباده إلى مصالحهم، وأرشدهم إلى سبل السلام:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

فأرشدهم إليه، وأرشدهم إلى دينه، وأرشدهم إلى محبته، وأرشدهم إلى قدرته، وأرشدهم إلى عظمته، وأرشدهم إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة:﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ

ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾[المائدة/ ١٥- ١٦].

هو الحكيم الذي يرشد الخلائق إلى هدايته، الذي أرشد أولياءه إليه، الذي ألهم أهل الرشد إلى عبادته: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحجرات/ ١٧].

واعلم يا عبد الحكيم ويا أمة الحكيم أن الإنسان يكون رشيدًا بقدر اتصاله بالله؛ لأن اتصاله بالله يكسبه نورًا وأمنًا، وقوةً ورحمةً وبصيرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾[الحديد/ ٢٨].

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا.

ومن كان مع الله فلن يضل أبدًا، ومن كان مع غير الله فلن يهتدي أبدًا: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾﴾[الكهف/ ١٧].

فكن مع ربك الحكيم الذي أرشدك إلى الهدى، كن مع ربك الحكيم الهادي إلى كل خير، واسأله من فضله، فلن تضل ولن تزيغ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[آل عمران/ ٧٣- ٧٤].

فالله ﷻ حكيم يؤتي الحكمة من يشاء، وهي من أعظم النعم والمنن؛ فهو الحكيم الذي وهب الحكمة لكل حكيم، والحكمة هي فهم القرآن والعمل به، والإصابة في القول والعمل، ومعرفة دين الله والعمل به، وطاعة الله وخشيته.

والعلماء هم الذين يخشون الله، ومن لا يخشى الله فليس بعالم، ولو كانت عنده علوم الدنيا كلها، بل هو سفيه؛ لأنه عرف الخلق ولم يعرف الخالق، وعرف الصور ولم يعرف المصور، فهو أجهل الناس: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

وأصل الحكمة ما يمنع من السفه والجهل، فالقرآن حكمة، وسنة النبي ﷺ حكمة، والعلم حكمة، والتقوى حكمة، وتقديم الأحسن على الحسن حكمة، وتقديم الفرض على النفل حكمة: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

وقال النبي ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**» متفق عليه(١).

ومن آتاه الله الحكمة فقد آتاه خيرًا كثيرًا؛ لأنه خرج بالحكمة من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمة الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمة الضلال إلى نور الهدى، ومن ظلمة الانحراف بالأقوال والأعمال إلى إصابة الصواب بالأقوال والأعمال، وكمل نفسه بهذا الخير العظيم: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧١٤١)، ومسلم برقم (٨١٥)، واللفظ له.

المؤمن إذا عرف أن ربه حكيم، وأن القرآن حكيم؛ سارع إلى عباده ربه وتكبيره وتعظيمه، وشكره وحمده، وسارع إلى تلاوة كتابه وتدبره، وحرص على النهل من حكمة القرآن العلمية والعملية: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

وعلى قدر معرفة العبد بالحكيم والحَكَم، والحُكم والأحكام، والعلوم والمعارف المذكورة في القرآن؛ يكون حكيماً: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران: ٧٣].

اللهم ارزقنا الحكمة، والعمل بالحكمة، والدعوة إلى الحكمة.

والآن ما هو حظ العبد من هذا الاسم العظيم: من اسم الله الحكيم، ومن اسم الله الحكم؟ كيف يتعبد المسلم لله باسم الله الحكيم؟

اعلم يا عبد الحكيم أن أسعد الناس من آمن بالله، ورضي بحكم أحكم الحاكمين، وسلم لأمر رب العالمين، واستقام على التوحيد بقلبه وقالبه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠- ٣٢].

والله سبحانه هو الحكيم الذي له الحكمة التامة، الحكم الذي لا أحد أحكم منه، الحاكم الذي يملك خزائن الحكمة، الكريم الذي وهب الحكمة لكل حكيم، وكل حكمة وأحكام وإحكام في العالم فمن آثار حكمته وحكمه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦- ٣٧].

واعلم يا عبد الحكيم أن الحكمة أجل شيء يُكرم الله به عبده، والحكمة هي الدين.

**والحكمة تنقسم إلى قسمين:**

**الأول**: من حيث العلم هي معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه، والعمل بموجب ذلك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

**الثاني**: الحكمة من حيث الفعل: هي جمع الأضداد وقرن المتعاصيات بحسن التدبير، وأصل الحكمة إصابة الصواب، وموافقة الحق والعدل في القول والعمل.

والحكيم من وضع الشيء في موضعه، وتزكى بالإيمان والتقوى، وسلك باليسرى منه مسلك اليمنى، وزمَّ العسرى باليسرى، وقدَّم الأحسن على الحسن: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ١٢﴾ [لقمان/ ١٢].

فاجتهد رحمك الله في طلب الحكمة؛ فهي الجوهرة العظمى، والهبة السَّنية العليا، ومعرفتها حق واجب على أولي الألباب، فإنها الدين كله، وهي فرض لازم على من رغب في حسن الزلفى إلى ربه وحسن المآب: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

فالحكمة إصابة الحق، والحق كل ما وافق الشرع والعقل.

والله هو الحكيم الذي لا أحكم منه، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

والحكمة التامة من العباد هي وضع الشيء المناسب، في المكان المناسب، في الوقت المناسب، بالقدر المناسب، بالأسلوب المناسب، للشخص المناسب.

فالذي يقوم بالدعوة يختار لها الوقت المناسب، والمكان المناسب، والكلام المناسب، والقدر المناسب من الوقت، بالأسلوب المناسب، لتحصل الثمرة، فالمطلوب من المسلم أن يبلغ أوامر الحكيم بالحكمة: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

وحكمة البشر فضل من حكمة الله، وعطاء من الحكيم سبحانه: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

والله حكيم خبير، يعطي الملك والمال من يحب؛ كسليمان ﷺ وعثمان رضي الله عنه وغيرهما، ويعطيها من لا يحب؛ كفرعون وقارون، ولكنه لا يعطي الإيمان والعلم والحكمة إلا من يحب، كما قال سبحانه عن يوسف ﷺ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف/ ٢٢].

واعلم يا عبد الحكيم أن الأحمق من كافر ومشرك ومنافق وغيره مقطوع عن الحكيم، والندم دائمًا يرافق الحمق، ومن اتصل بالحكيم آتاه الحكمة، وحفظه من الحمق: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

ومن افتقر إلى ربه صادقًا ألهمه الله الحكمة، وسداد القول والعمل، ومن اعتد برأيه؛ تخلى عنه ربه، فوقع في الشر والشرك، وانفرد به الشيطان فأرداه: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء/ ٣٨].

ومن لم يكن وليه الرحمان تولاه الشيطان: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

واعلم يا عبد الحكيم ويا أمة الحكيم أن الله إذا أعطى الإنسان صحةً وسعةً في المال والولد؛ فلا يظن أن الله يحبه، وإذا كانت صحته معلولة وهو فقير؛ لا يظن أن الله لا يحبه، بل الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ابتلاءً، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ [الفجر/ ١٥- ١٨].

فليس العطاء والمنع دليلاً على محبة الله، فالله ﷻ يحب التوابين، ويحب المؤمنين، ويحب المحسنين، ويحب المتقين، فليس العطاء من الله إكرامًا، وليس المنع كذلك حرمانًا، بل العطاء ابتلاءًا، والمنع دواءً: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى/ ١٢].

فسبحان الحكيم العليم بكل شيء، الذي يعطي عباده ما ينفعهم، ويمنعهم ما يضرهم،

أحيانًا بالأسباب، وأحيانًا بدون الأسباب، وأحيانًا بضد الأسباب؛ لأنه قادر على كل شيء، عليم بكل شيء، حكيم في خلقه وأمره: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

واعلم أن الله سبحانه هو المعطي المانع وحده لا شريك له؛ فلا تلتفت إلى غيره، ولا تتعلق إلا به وحده: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

والمخلوق إذا أعطى فهو معطٍ صوري، وإذا منع فهو مانع صوري، ولا يُقضى في الأرض أمر حتى يُقضى في السماء، والذي يعطي ويمنع حقيقةً هو الله وحده، وهو المحمود على عطائه ومنعه، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٧ – ١٨].

ومن أراد الله به خيرًا آتاه الحكمة التي تذهب الشك، وتجلي الريب، ويعرف بها العبد الحق من الباطل، والخير من الشر، والهدى من الضلال، فيقبل على ربه، ويعبده، ويمتثل أمره، ويجتنب نهيه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٤].

والمؤمن إذا علم أن ربه عليم بكل شيء، بصير بكل شيء، سميع لكل شيء، حكيم حاكم لكل شيء، قاهر لكل شيء، بيده كل شيء؛ حمد ربه وأحبه، وكبره وعظمه، وخافه ورجاه، وراقبه في السر والعلن، واطمأن قلبه بما قدره ربه وقضاه، وسلم لأحكامه الشرعية والقدرية، وفوض أموره كلها إليه، واستعان به، وتوكل عليه؛ لكمال معرفته به: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر/ ٤٤].

هذا دعاء الأنبياء، يفوضون الأمر إلى الله؛ لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته.

ومن علم أن الله حكيم في خلقه وأمره، حكيم في أقواله وأفعاله، حكيم في أمره ونهيه،

حكيم في قضائه وقدره؛ امتلأ قلبه أمنًا وطمأنينة بقضاء الله وقدره، وسلم لحكمه، واطمأن بذكر ربه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد/ ٢٨- ٢٩].

وإذا عرف المؤمن ربه الحكيم في خلقه وأمره؛ فعليه أن يطلب منه الحكمة، ويتعلم الحكمة؛ ليكون حكيمًا يضع الأشياء مواضعها، وخزائن الحكمة عند الحكيم جل جلاله: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ويجب على كل مكلف أن يعلم أن الحكيم هو الله وحده لا شريك له، وكل ما سواه محكوم له، والحكمة موهوبة من الحكيم الحاكم لكل حكيم.

وإذا عرف هذا فعليه أن يخضع لألوهيته كما خضع لربوبيته، فيعبد ربه ويمتثل أمره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة/ ٢١- ٢٢].

فالعلم هو سبب كل خير، والجهل هو سبب كل شر، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته؛ عبده حقًّا، ودعاه حقًّا، وذكره حقًّا، ومجده حقًّا: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وعلى المؤمن أن يعلم أن الأنبياء والرسل هم رسل الله، ومعادن الحكمة، وأهل الحكم الشرعي، فهم الذين يحكمون بما أنزل الله، ويؤمنون بما أنزل الحكيم عليهم من الأوامر الشرعية، وكل من سواهم يجب عليه الاقتداء بهم في نياتهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وأخلاقهم؛ فإنهم رسل الحكيم الذي أرسلهم، فالحكيم لا يرسل إلا الحكيم: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب/ ٢١].

فجيب على المؤمن والمؤمنة إذا دُعي إلى حكم الله أن ينقاد لحكم الله ورسوله، وإلا كان

ظالمًا، فلا بد أن يسلم قلبه وجوارحه لحكم الله ورسوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء/ ٦٥].

ومن تحاكم إلى غير حكم الله ورسوله؛ فقد تحاكم إلى الطاغوت، وقد أُمر أن يكفر به، ولا يكفر العبد بالطاغوت حتى يجعل الحكم لله وحده: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٩ – ٥٠].

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة/ ٤٤].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة/ ٤٥].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة/ ٤٧].

نسأل الله ﷻ أن يمن على الحكام في الأرض بتحكيم كتاب الله، وتطبيق سنة رسوله ﷺ؛ فإن الملك ملكه، والأرض أرضه، والعباد عباده، فلا يجوز لأحد أن يحكمهم بغير كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩].

ومن أطاع الله ورسوله فهو حكيم، ومن أطاع النفس والشيطان؛ فهو سفيه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ١٣٠ – ١٣١].

ومن توكل على الله في جميع أموره فهو حكيم، ومن توكل على غيره؛ فهو سفيه: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل/ ٧٩].

ومن فعل ما أمر الله ورسوله به، واجتنب ما نهى الله ورسوله عنه؛ فهو حكيم، ومن ترك ما أمر الله ورسوله به، وفعل ما نهى الله ورسوله عنه؛ فهو سفيه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣].

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة/ ٥٠].

ومن الحكمة ترك المسلم مالا يعنيه، وفعل ما ينفعه، واجتناب ما يضره، والقول الحسن، والفعل الحسن، والخلق الحسن، وبذل الندى، وكف الأذى، والصبر على البلاء، وأن يسكت أكثر مما يتكلم، كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**» متفق عليه[1].

وأن يتخلق بالأخلاق الحسنة: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٤].

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾[الشورى/ ٤٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب/ ٧٠ - ٧١].

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢].

فيا عبد الحكيم، ويا أمة الحكيم، كلٍ واحد منا محتاج إلى الحكمة، فلنسأل الحكيم أن يرزقنا إياها: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة/ ٢٦٩].

ولتحصل لنا الحكمة لا بد من سؤال الحكيم أن يرزقنا الحكمة، ولطلب الهداية لا بد من سؤال الهادي أن يهدينا الصراط المستقيم: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٧].

فيا عبد الحكيم كن حكيمًا تملك قلوب الخلق بحسن الأدب، وجمال الخلق، وجميل

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠١٨)، ومسلم برقم (٤٨)، واللفظ له.

الإحسان؛ يحبك الله والناس.

فالدين ركنان: عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

وتجمل بمحاسن الأخلاق: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت/ ٣٤- ٣٥].

وهذه الأمور مرة، ولذلك ينزغ الشيطان العبد فيأمره أن ينتقم لنفسه: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت/ ٣٥-٣٦].

فكن حكيمًا إن حكمت بين الناس، حكيمًا إن تكلمت، حكيمًا إن سكت، حكيمًا إن فعلت، حكيمًا إن أعطيت، حكيمًا إن أخذت، حكيمًا إن استقبلت أحدًا، حكيمًا إن زرت أحدًا: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران: ٧٣].

وكن حكيمًا تحكم الأمور إن تعبدت وصليت، كن حكيمًا تحكم الأمور إخلاصًا ومتابعة إن تعبدت وصليت، أو بعت واشتريت.

لتكون أعمالك كلها عبادة، كن حكيمًا مع ربك، فهو الذي يستحق أن يُعبد، وأن يطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُعبد وحده لا شريك له، كن حامدًا لربك، مسبحًا بحمده، مكبرًا له، معظمًا له؛ لعظمته وجلاله، ولإنعامه وإحسانه، كن حكيمًا مع ربك، وأدِّ العبادة كما أمرك الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

كن حكيمًا مع زوجك وأهلك، وأدِّ الحقوق إلى أهلها، كن حكيمًا مع صديقك وعدوك: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ

﴿ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨].

والحكمة الحق هي معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، والعمل بموجب هذه المعرفة وهي أصل الفضائل والخيرات، والمعارف والمحاسن، وتلك جوهرة ثمينة، يخص الله بها من يزكو بها ممن يشاء من عباده، وهو العليم بعباده جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام/ ١٢٤].

وبالحكمة واتباع السنة والعمل بشرع الله يزداد نور الإيمان في القلب، ويحصل كمال اليقين، ويكمل العلم، ويتم السرور، وتحصل حلاوة الطاعة، ولذة العبادة، وهذا هو الفلاح، والفلاح هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب، الفوز بالجنة، والنجاة من النار: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

واعلم يا عبد الحكيم أسعدك الله في الدارين أن من حكمة من يحكم العالمين أن يخص منهم من شاء بما شاء، ويقلب أحوالهم كما شاء؛ لأنه الحكيم الذي له الحكم كله، وله الأمر كله، فهو الحكيم الذي حكم الخلائق بأمره الكوني، وبأمره الشرعي.

فسراء وضراء، وشدة ورخاء، وسلم وحرب، وأمن وخوف، وقوة وضعف، وعافية وبلاء، وصحة ومرض، وغنًى وفقر، وخصب وجدب: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور/ ٤٤].

فهذه هي أفعال الحكيم في ملكه، يدبر الأمور: سراء وضراء، وشدة ورخاء، وسلم وحرب، وأمن وخوف؛ يفعل الحكيم سبحانه ذلك كله؛ ليربي عباده ويسعدهم، لا ليعذبهم، ولا ليؤذيهم، ولا ليشقيهم، ولا لينتقم منهم، بل ليعرفهم الحكيم الحق بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ ليعبدوه وحده، ويسألوه وحده بمقتضى تلك الأسماء والصفات، وبذلك يصفو لهم توحيدهم وإيمانهم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

واعلم رحمك الله أن الأحوال بيد الله، والأعمال بيد الإنسان، وثبات الأحوال في الدنيا محال، لا بد من سراء وضراء، ومن فقر وغنى، ومن أمن وخوف، لتظهر قدرة الله ﷻ لعباده، وليتعبد الناس له في حال السراء والضراء، وفي حال الصحة والعافية: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣].

فثبات الأحوال في الدنيا محال، والعزة بالأعمال لا بالأحوال، العزة ليست بالمال وبالقوة وبالصحة، العزة بالأعمال لا بالأحوال، وثبات الأعمال في هذه الدنيا محال، وثبات الأحوال للإنسان في الآخرة لا في الدنيا: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾ [سبأ/ ٣٧].

وينادي منادٍ يوم القيامة لتثبيت الأحوال لأهل الجنة، ويقول لأهل الجنة: أما آن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وتنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وتخلدوا فلا تموتوا أبدًا، وتشبوا فلا تهرموا أبدًا؟ ثم يذبح الموت بين الجنة والنار: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت: ٦٤].

فسبحان الحكيم الرحيم الذي يملك الرحمة، ويحب من يسألها، ويحب من اتصف بها، ويحب من رحم بها، وهو الرزاق الذي يملك الرزق، ويحب من يطلبه، ويحب من ينفقه، الشافي الذي يملك الشفاء، ويحب من يسأله الشفاء: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

اللهم أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا، ولكننا مأمورون بفعل الأسباب من أجل امتثال أمر الله، ومن أجل طاعته، وامتثال أمره، وإلا فالشفاء في خزائن الله، والله جعل لكل شيء سببًا.

وهو سبحانه المؤمن الذي يملك الأمن، ويحب من يسأله، ويحب من يتصف به، ويحب من ينشره: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا

﴿كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف/ ١٨٠].
فيا سعادة من كان في الليل مع الحكيم يسأله من فضله، ويحمده على نعمه، ويستغفره من ذنبه، وفي النهار ينشر أحكامه بين خلقه، ويدلهم عليه بما عرفه من أسمائه وصفاته، وبما عرفه من دينه وشرعه، هذا أهدى الناس وأسعد الناس: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت/ ٦٩].
فاجتهد يا عبد الحكيم ويا أمة الحكيم في توحيد ربك بأسمائه وصفاته، وتعبد لله بمقتضاها، وادع بها تكن ربانيًّا؛ فهو التواب الذي يحب التوبة، ويحب التائبين، المحسن الذي يحب الإحسان ويحب المحسنين، الكريم الذي يحب الكرم، وكل كريم، المؤمن الذي يحب الإيمان ويحب المؤمنين: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾[آل عمران/ ٧٩].
وإياك والتواني في الأمر، والتفريط في العمل، وترك ما يحبه الرب!.
أسأل الله الكريم الذي لا يخيب مؤمله، ولا يحرم سائله، ولا يقطع رجاء من رجاه أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يغفر ذنوبنا، وأن يعصمنا جميعًا من الشرور والفتن، والتسويف والكسل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[الأعراف/ ٢٣].
وأسأله جل جلاله أن لا يجعلنا ممن ملكه الطمع، واستهواه الجبن، وأرداه الهوى، وأغواه الشيطان، وحيره العمى؛ فخسر الدنيا والآخرة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾[البقرة/ ١٦].
﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾
[الزمر/ ١٥].
فاتق الله بما أسداه إليك من النعم، وعلمك ما لم تكن تعلم: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾[النساء/ ١١٣].

فإذا آتاك الحكيم الحكم والحكمة: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص/ ٢٦].

واصرف أوقاتك وأموالك وأنفاسك في مرضاة من أنعم به عليك، وأعط كل ذي حق حقه، فلك حقوق، وعليك حقوق.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**» متفق عليه[1].

وأحكم جميع أمورك فيما بينك وبين الله، وفيما بينك وبين خلق الله، وسارع إلى الخيرات، وسابق في الفضائل والطاعات؛ تسبق إلى أعلى الجنات: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

وافعل الخير وعلمه، ودل الناس عليه، ورغبهم فيه، وابدأ بأهلك وعشيرتك وجيرانك: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان/ ١٧].

واحذر تمام الحذر عدوك من الأخلاق السيئة، وعدوك من شياطين الإنس والجن، وعدوك من الأعمال المحرمة والخبيثة، واعتصم بالله وحده؛ يكفك شرهم، وقل: ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة/ ١٢٩].

وتوجه إلى ربك الصمد في جميع أمورك؛ فهو الحاكم في خلقه وحده خلقًا وتدبيرًا، وعطاءً ومنعًا، وقضاءً وقدرًا، وهو الحاكم فيهم بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

وإذا حكمت بين الناس فاحكم بالعدل، وإياك والجور واتباع الهوى؛ فتضل وتشقى.

وتدبر كتاب ربك الحكيم، وقرآنه العظيم، وهو كتابه الكريم في بركاته، الحكيم في أسلوبه، الحكيم في بيانه، الحكيم في تشريعه وأحكامه، الحكيم في وعده ووعيده: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود/ ١].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦١٣٤)، ومسلم برقم (١١٥٩).

فتعلمه وعلمه، واعمل به؛ تكن من الربانيين: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٠].

﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء/ ٨٣- ٨٥].

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

اللهم يا من بيده ملكوت كل شيء، يا أحكم الحاكمين، ويا خير الرازقين، ويا أرحم الراحمين، ويا رب العالمين، اغفر لنا وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء.

اللهم إنا نسألك إيمانًا كاملًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، وعملًا صالحًا، وحلالًا طيبًا، ونسألك الفوز بالجنة، والنجاة من النار، يا ولي الصالحين.

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

# فهرس الموضوعات

## الجزء الثالث


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| **الباب الثامن: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية:** | ٧ |
| ٣٤- اسم الله المؤمن | ٨ |
| التعبد لله عز وجل باسمه المؤمن | ٤٣ |
| ٣٥- اسم الله المهيمن | ٧٩ |
| التعبد لله عز وجل باسمه المهيمن | ١٠٥ |
| ٣٦- اسم الله العزيز | ١١٥ |
| التعبد لله عز وجل باسمه العزيز | ١٥١ |
| ٣٧- اسم الله الجبار | ١٦٩ |
| التعبد لله عز وجل باسمه الجبار | ١٨٢ |
| **الباب التاسع: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية** | ٢٠٥ |
| ٣٨-٣٩- اسم الله الخالق.. الخلاق | ٢٠٦ |
| التعبد لله عز وجل باسمه الخالق.. الخلاق | ٢٦٤ |
| ٤٠- اسم الله البارئ | ٢٧٧ |
| التعبد لله عز وجل باسمه البارئ | ٣١١ |
| ٤١- اسم الله المصور | ٣١٧ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| التعبد لله عز وجل باسمه المصور | ٣٤٢ |
| **الباب العاشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية** | **٣٤٩** |
| ٤٢- اسم الله الغني | ٣٥٠ |
| التعبد لله عز وجل باسمه الغني | ٣٩٦ |
| ٤٣-٤٤- اسم الله الرزاق.. الرازق | ٤١١ |
| التعبد لله عز وجل باسمه الرزاق.. الرازق | ٤٦٠ |
| ٤٥-٤٦- اسم الله الكريم.. الأكرم | ٤٧٥ |
| التعبد لله عز وجل باسمه الكريم.. الأكرم | ٥٣٣ |
| ٤٧- اسم الله الحميد | ٥٦٥ |
| التعبد لله عز وجل باسمه الحميد | ٦٢١ |
| **الباب الحادي عشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية:** | **٦٤٧** |
| ٤٨- اسم الله المجيد | ٦٤٨ |
| التعبد لله عز وجل باسمه المجيد | ٦٧٨ |
| ٤٩-٥٠- اسم الله الولي.. المولى | ٦٨٩ |
| التعبد لله عز وجل باسمه الولي.. المولى | ٧١٨ |
| ٥١-٥٢- اسم الله النصير.. الناصر | ٧٤٧ |
| التعبد لله عز وجل باسمه النصير.. الناصر | ٧٨٨ |
| **الباب الثاني عشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية:** | **٨٠٣** |
| ٥٣-٥٤-٥٥- اسم الله القادر.. القدير.. المقتدر | ٨٠٤ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


التعبد لله عز وجل باسمه القادر.. القدير.. المقتدر ........ ٨٦٠

٥٦- اسم الله اللطيف ........ ٨٦٩

التعبد لله عز وجل باسمه اللطيف ........ ٩٠٤

٥٧- اسم الله الخبير ........ ٩٢١

التعبد لله عز وجل باسمه الخبير ........ ٩٤٢

٥٨-٥٩-٦٠- اسم الله الحكيم.. الحكم.. الحاكم ........ ٩٦٣

التعبد لله عز وجل باسمه الحكيم.. الحكم.. الحاكم ........ ١٠٢٦

**الفهـرس** ........ **١٠٣٥**